

بسم الله الرحمن الرحيم
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٥
 في يوم الاثنين الموافق ١٠ من الشهر المذكور
 في مدينة القاهرة

المكتبة

١٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٥
 في يوم الاثنين الموافق ١٠ من الشهر المذكور
 في مدينة القاهرة

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « متراً » كشار الطريق)

(مصر يوم الاثنين غرة المحرم سنة ١٣٢١ — ٣٠ مارس (آذار) سنة ١٩٠٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والماقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خاتم
 النبيين ، وإمام الهداة والمصلحين ، وعلى آله وصحبه الراشدين المهديين ، وعلى
 من تبعهم بهداهم الى يوم الدين ،

وبعد فقد بلغ المشار بفضل الله وتوفيقه السنة السادسة وهذا أول
 جزء منها . ولله مزيد الشكر والثناء ، أن أعطانا فوق ما تعلق به الأمل
 والرجاء ، وزادنا على ما كنا نتوقع من زيادة القراء والمشتريين ، عددا
 صالحاً يدخل في عقود المؤمنين ، من غير دعاة مندوبين ، ولا وكلاء مستخدمين ،
 الا تريغيب أهل الغيرة المالية ، وتنبه ذوي الأريحية الإسلامية ، صادقا
 من قلوب إخواننا المسلمين شعوراً يتجلى ، ووجداناً يسمو ، وعلماً بالحاجة
 الشديدة الى توثيق الرابطة الدينية ، وإحكام عقدة العقائد الإسلامية ،

والجمع بين مجازاة الأمم المعاصرة ، وحفظ ما فيه حياة الدار الآخرة ، من المقائد الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والأعمال النافعة ، وهذا ما أنشئ المنار للدعوة اليه ، وهو عين ما يدعو اليه الاسلام ، ما زدنا فيه ولا نقصنا منه ؛ وإنما توخى بيانه ، وتقيم برهانه ، بما يناسب حال الزمان ، وما انتهى اليه رقي الانسان ،

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر وهم في مرض اجتماعي يشبه داء السكنة ؛ تعيث في جامعتهم جرائم للارض وهم لا يشعرون ، وتهديم بالقضاء والزوال ولا يعلمون ، حتى اذا فار التور ؛ وجاء القدر المقدور ، تخرق حجاب الغرور ، وطفق يدب ديبب الشعور ، ولكنه شعور يظهر انه زاد الأمة مرضا ، حتى كادت تكون حرضا ، شعور هبط ببعض ذويه في مهاوي الاياس ، وطوح ببعضهم الى مواحي الوسواس ؛ فكان انتقالا من طور الخدر والسبات ، الى طور الحيرة والشتات ، ولحيرة في الفكر ، وشتات في الامر ، خير من خدر الحواس ، وفقد الالحاس ، لأن هذا من أمارات المدم والزوال ، وذاك من علامات الحياة على كل حال ، ذهب أقوام في هذه الحيرة الى ان وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين ؛ والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم ، لأن الخطر إنما ينذرنا من الجانب القربي جانب القوة القاهرة ، والمدنية الساحرة ، وملوكنا وان جارواهم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي تكافح بها تلك القوى ؛ فلا بد من تعزيزهم وتقديرهم ، وإجلالهم وتقديرهم ، بل لا بد لنا من تزيينهم وتقديسهم بكرة وأصيلا وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة

بدون مشاورتها قرونا طويلة فما كان منهم الا أن أوقعوها في هذا الضعف والهوان ، والفقر والخلافت ، والجهل بأمر الدنيا والدين ، لأجل الخضوع الأعمى لهم وان كانوا ظالمين ، واذ كانوا هم مصدر الشرور والفتن ، ومثار البلايا والحن ، فأول واجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاواة استبدادهم ، وإلزامهم بالمشاورة في الأمر ، وتقييد السلطة في الحكم ، وإعلامهم بأنهم أجراء الرعية ، كما قال أبو العلاء ، حكيم الشعراء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وبذلك يصلح الحال ، وتحقق الآمال ، ونشق من حسن الاستقبال ، وأما دوام الاستماتة في الخضوع للمستبدين ، فإنه يردنا في اسفل سافلين ، فهم الذين يجيزون على ما أتى أسلافهم من قوى الأمة الحسية والمعنوية ، وهم الذين يسامون بقية بلاها للدول الاجنبية ،
الا أن الفريق الأول أكثر عددا ، وأعز مددا ، والفريق الثاني أكثر علما ، وأبعد فهما ، ولكل منهما صحف منشرة ، وجرائد محررة ، ولكن جرائد حزب القوة أعز أنصارا ، وأكثر دينارا ، والنجاح من حجب القوة على الضعف وما كل ناجح محق ؛ وما كل خائب مظلوم ؛

وقد فاق حزب المحافظين أنهم يطلبون بناء ما كان على ما كان . فاذا طلب أحدهم إصلاحا قائما يطلبه في فرع من القروع ؛ ولا إصلاح الابصلاح الاصول « متى يستقيم الظل والود أعوج » . وفات حزب المعارضين أنهم لا يدرون من يطالبون ، ولودروا لملوا انهم يلقون ويعشون ، فانه لا يقوّم الحكم إلا الأمة المتعلمة المهذبة فالسعي في تكوين أمة عالمة مهذبة هو الواجب الاول على الذين شعروا بمصائب المسلمين وأبصروا من وراء الحجاب

ما كن لهم من من القوائيل والزياء ولا طريق لهذا التكوين الا التربية المالية
الصحيحة والتعليم العام ولا يكمل هذا الا في المدارس الكلية كما سبق لنا القول
هذا رأي لا يختلف فيه أهل البصيرة من عقلاء المسلمين ولكن
هؤلاء لم يلفوا أن تكون لهم صحف نشرية وجرائد تدعو — على أن كل
المصنف عود لهم — حتى إذا ما انشأ المثار كان هو صميمهم لأنه لم يشأ
للساومة سلطة ولا حكومة ولا لمذح سلطان أو أمير ولا لدمها وإنما
أنشأ لمساعدة العقلاء على السعي في تكوين الأمة من طريق التربية المالية
والتعليم النافع . ولذلك قلنا في مقدمة العدد الأول إن القرض الأول من
الثمار الحث على التربية والتعليم لا الحط على الامراء والسلاطين ، انشأ وقتنا
في أواخر مقالة نشرت في العدد ١٦ من السنة الأولى عنوانها (الأي تربية
وتعليم نحن أخرج) بعد كلام في تعلم التثنية المصرية بصيغة أوربية مانصة :
« فيجب على العلماء والكتّاب الشرقيين أن يوجهوا عنايتهم الكبرى
إلى هذا الامر تكوين الأمة ، ويجهدوا فيه قولا وعملا ، ويجب على مؤسسي
المكاتب والمدارس الوطنية ومعلميها وأساتذتها أن يجعلوه نصب أعينهم
وأهم ما تدور عليه قلوبهم بحيث يفرسون في قلب كل تلميذ أن حياته
كلها لأمة وبلاده وأن عمله لا يشرّف له فيها الا ان صار فيها المنفعة
لأمة والبلاد » انشأ
في طريق هذه التربية وهذا التعليم عتبة في طريق المسلمين تهتد
اقتحامها وهي سوء فهم الدين وتقليد الجاهلين بعضهم بعضا فيه . لهذا كان
الإصلاح الديني شرطا في الإصلاح المدني أو شطرا منه في وضع الاسلام
الذي جمع بين مصالح الدارين . وليس المراد من جعل المثار دينيا الا بيان

ملعو الدين على وجه الحق والشفقة بينه وبين مائس من الدين في شيء
وكيفية الجمع بين مصالح الروح والجسد . وكل هذا مما يستقبله جميع
المسلمين بالإجمال ؛ وفي التفصيل منزلة الأقدام ، ومضلة الأقدام ،
ومن مقدمات الإصلاح إحياء الأمة ، لأن الأمة بدون لغة حية . ومنها
إزالة حجب الغرور ، عن حقائق الأمور ، ومن هذا القبول ما ينشر
أحيانا من النثر الأدبية والمناجزة ، ومن جواب الاخبار ، التي تضمن
العلقة والاعتبار ؛

هذا هو موضوع المنار نشير اليه على رأس كل سنة . لا ينزع حزبا من
الاحزاب في مشرعه . ولذلك ساءه أصحاب الجرائد السياسية — من وقف
نفسه منهم على مديح الاسراء والسلاطين ومن وقفها على ذمهم ؛ ومن رضي
بنفوذ الحكومات الأجنبية في البلاد التي يسكنها ومن سقط عليها ، وساءله
أيضا أصحاب الجرائد العلمية والدينية وساءلهم الامن استهواء الغرور
فضمن في أصول الاسلام الاعتقادية أو الادبية أو العملية فرد المنار طعنه
وأخرج ضئله ؛

وجملة القول ان المنار قد جاء بشرب جديد استعذبه الأقول فوجه
الاكترون - استعذبه من ذاقه ففرقه ، وجه من جهله فما ألفه ، وأولئك
أسرى التقيد يمشرون من كل جديد الا أن يكون بدعة دينية ، ويرون
من كل داع الا ان يدعو الى لغة بيضية ، يأثرون مما هم فيه ، ويكفون طريق
تلافيه ، يطلبون النجاة من الدنيا ، ويعصرون على أسباب البلاد ، يهرب
مدعي العلم فيهم من المناظرة ، وينهري المعترف بالجهل منهم الى المماراة
والمهاجرة ، يترأ زعيمهم من الدليل المقول والمقول ، ويحاول أن يفتدي كل

﴿الكرامات والحوارق﴾

(المقالة الثامنة في منفعة الاعتقاد بها ومضرته)

يذهب كثير من الناس الى ان جميع الأديان وثنية وسماوية قائمة على قواعدها الخوارق فاذا تزلزلت هذه القواعد في دين انقض الجدار وخر السقف وذهب بناء الدين حتى لا يبقى له أثر ،
قول يقوله الملاحدة ، ويوافقهم عليه رجال كل دين على حدة ، فهو حجة الدين عند أهله ، وهو الحجة عليه عند أعدائه ؛ وتلك عضلة العمدة ، وحك المتنقده ، يقول كل ذي دين : ان الخوارق التي نعقد بها قد ثبتت عندنا بالمشاهدة بالنسبة الى قوم وبالثقل عن الثقات بالنسبة الى آخرين وقد بلغ عدد الناقلين في بعضها مبلغ التواتر الحقيق وفي بعضها الآخر مبلغ التواتر المعنوي أو الاستمناضة أو الشهرة بين الآحاد الثقات على الأقل .
وأما ما يدعيه أهل الملل الأخرى فهو كذب واقتراء ؛ أو شعوذة وسيمياء ، ويقول الملحد - لا سيما اذا دعي الى الدين : انه ليس من العدل ، ولا من مقتضى العقل ، أن ينظر طالب الحقيقة في قول أحد المدعين ، وينقل أقوال الآخرين ، بل الصواب ان ينظر في جملتها ليتسنى له الترجيح . وقد

فعلنا ذلك فأنفينا ان الآية الكبرى في كل دين هي دعوى الخوارق لزعماء الدين . وانا لنعلم ان كل دين من هذه الاديان يحرم الكذب ونعلم ان من أهل كل منها الاختيار والاشرار فلا وجه لترجيح أحدها على الآخر فلم يبق الا تصديق الجميع او تكذيب الجميع . والتصديق يستلزم التكذيب إذ لو قلت كل واحد من هؤلاء صادق لدخل في تصديق كل واحد تكذيب الآخرين لانه يدعيه وهو صادق فتكون النتيجة ان كل واحد صادق كاذب في حال واحدة وهو محال فتمين إذن تكذيب الجميع ثم ان هؤلاء المنكرين يقولون أيضاً : ان من ينشأ في دين يجوز وقوع الخوارق آناً بعد آن من كبار المتسكين يكون عقله دائماً متقللاً اسير الاوهام والخرافات بل يكون الموبة في أيدي الدجالين والمشعوذين ، الذين يلبسون ثياب الصالحين ، أو الذين يتخذون الدين حرفة يعيشون بها في سوق الغرور والفضلة . ولذلك نرسم هذه الخوارق التي يدعونها تكثروا ويكثر مدعوها في البلاد التي خيمت فيها الجهالة ، وعرف أهلها بالغباوة والبلادة ، وانا نعرف كثيراً من البلاد الاوربية كان أهلها يدعون كثيراً من هذه المعجائب ويؤمنون انهم يروون ما يرون بأعينهم ويسمعون بأذانهم ويحسون في أنفسهم . ومن ذلك زعمهم ان القديسين والشهداء يخرجون من قبورهم في صور نورانية فيطوفون في الارض ويأتون بهض الأعمال . ثم لما تشمت عنها سحب الجبل ، واشترقت عليها شمس العلم ، بطلت هذه الدعاوى ، وانتقضت هاته القضايا ، وطاحت تلك الاشارات ، وذهبت هاتيك المبارات ، وحُيت آيات الليل بآية النهار ، وصار النور بدلا من الظلام شرطاً في الابصار ، ويقولون أيضاً : ان العلم قد كشف الستار عن اكثر هذه الخوارق

للمعاداة ؛ وعرف علة ما أدركه من هذه العجائب والكرامات ، وقد
 ما كان العلماء بعضهم راووه من مدح شات سحرية أفريقها وكثرة المنود وعرفوا
 علة بعضه ، وإن لم يحاكموه . ففهم من توصل إلى انفسه في انوار الحياة صالحة
 ومنهم من ظهر للعلماء أنه أطاح رأس الناس من يدك ثم أمد اليه . ففهم من
 انشأه هذه الامور والبعث فيها ان منها انما أسباب طلبة صالحة كان فيها
 بعض الناس فيكتمها عن الآخرين لما يكون فيها من السلطان عليهم . ومنها
 ما هو عليل وشبهه ذلك من المشغولون فيها إلى الناس أنهم يوجدون أشياء
 وما هم يتوحدوا ولكنهم بهم يتحدون

وقد رأى هؤلاء الناس ما كتب كثير من القسوس في إنكار
 نبوة أئمتنا عليه الصلاة والسلام واستحسانهم بأنه لم يكن يتبع على نبوة
 الا بما جاء به من العلم والهدى في الكتاب . وهو أنهم لم يقرأوا ، لم يكتب
 وزعمهم أن هذا لا يكفي في إثبات النبوة . وأنه لا بد من إظهار الخوارق
 السحرية : ففهم كبر من استحسانهم وزعمهم . قالوا : ان عجزنا ذكر كونه
 فهو أقوى إلى إهمال حتى صدقه ببراءة من الناس والتمويه الذي كان يكره
 لو أرادوا لعلوا فكره نبوة ذهده . وقال بعضهم فلا بد من إظهار ما بينهم ان محمد
 (صلى الله عليه وسلم) لم يكن مدحنا إلى عمل الصالحين بل كان محتاجا
 إلى إظهار من جانب الناس إلى الأيمان به فانه كان يرى أن الناس ليسوا
 على وجه نبوته بل على قسطنطين أو غيره من نفسه انهم من سحره . ففهم
 ذلك مدحنا لهم إلى الأيمان به بجانب الأيمان والويعان إلى الأيمان
 المنع أسرها حتى لا يتركها الاستقلال به وان قلنا في مدح من الخوارق
 ، لا يثبت الواضحة ويثبت السياسي ، فإن هذا الأيمان من إيمانهم وأما

أعجوبة لا يدركون سرها فتخضعوا لها، واسلموا بما يقول، وإن لم تدرك
فائدة القول؛ حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان، عبدوا ما يصوغون
من الآوثان؛ فإذا كانت فائدة المعجزات تجذب النفوس إلى الإيمان فلا شك
أن هذه الفائدة أظهر في القرآن منها في سائر المعجزات ولذلك كان إيمان
المسلمين أشد من إيمان جميع أتباع الأنبياء الآخرين.

وقال أحد القسيسين العلماء: إننا نفضل الانجيل على القرآن بما فيه
من كثرة الحوارق والمعجائب المنسوبة إلى صاحبه على أنه القرآن لم يسند
إلى من جابهه عجيبة واحدة وإنما ذكرت فيه المعجائب حكاية عن السابقين
ويشبه في جواب الذين طالبوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالآيات «أولم
يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بُحَىٰ علمهم» (قال) «ولكننا صرنا إلى
نفس تمتد في الحوارق من العقبات في طريق الإيمان ويفضل فيها القرآن
على الانجيل بذلك.

هذا يحمل اعتقاد خواص الناس في الاقطار الغربية في الحوارق
والمعجائب وهو اعتقاد أكثر الذين يتعلمون على طريقهم في البلاد الشرقية
وهذا الصنف المتعلم هو صاحب السلطة على غير المتعلم وإن لم يراه لا يوجد في
بلاد الأوربي وغيره مستمراً بطيئاً كان أو سريعاً، ويرى أهله يتسلطون من
الدين لو أذا، ويعتدون منه زواجات وأبناء، ولهذا رجع في أكثر الأحيان
أن العلم والدين ضدان، وصار المسلمون بالدين ينفرون من العلم،
بأنهم أهله يسودون عليهم تارة بالحرب وتارة بالسلم، ولهذا يظن الناظرون
في سير الإنسان أن العلم يقتل دينك بالدين، حتى يحوي من روح الوجود ولو
بمقدارين؛ وما هؤلاء الظالمين من علم بأن في العالم ديناً حل جميع المشكلات.

وأزال جميع الشبهات، وهو دين العلم والعرفان، إلى آخر الزمان،
فلم بما شرحناه أن أهل الأديان يرون أن للحوارق التي تجري على
أيدي رجال الدين فائدة عظيمة وهي تأييد الدين بها في أمثاله كما قام بها في أول
ظهوره. ولذلك قال بعض علمائنا أن كرامات أولياء شعبة من معجزات الأنبياء
تفني على منكر التفرع أن ينكر الأصل. وقد شرحنا هذا أنتم شرح
في المقالة الأولى فلترجع في المجلد الثاني. ويذكرون لها فائدة أخرى وهي
انشغال الناس بالكرامة فلها إما أن تكون جلب منفعة للإنسان أو دفع مضرة
عنه أو إيقاع سوء بمنكر أو فاسق ليرتدع غيره

وعلم أن من غوائل الاعتقاد بالحوارق ومضراتها تغيير خواص أهل الدنيا
من الدين وهذه غائلة تبهم غوائل أثرنا إليها آنفاً وهي تنطرق إلى معجزات
الأنبياء كما تقدم ولم يكن ذلك من موضوعنا هنا وقد سبق لنا القول في
إثبات آيات الأنبياء فليرجع في الأمالي الدينية من المجلد الرابع. ونريد
الآن أنها كانت في أزمنة تحقق فيها أن البشر كانوا في أشد الحاجة إليها وثبت
أنهم انتفعوا بها في عقولهم ونفوسهم وفي أعمالهم ومعايشهم. ذلك لأنهم
كانوا لم يرتقوا إلى معرفة المقائد ببرايتها وكانوا الأعيب في أيدي السحرة
والدجالين يتصرفون في عقولهم ونفوسهم وأموالهم فاتخذهم الأنبياء بأذن
الله تعالى وتأييده من ذلك كله وعلوهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون
وأنه ليس لهم من الأمر الذي يزعمونه شيء وأن التصرف فيما وراء الأسباب
التي يقدر على الوصول إليها الناس خاص بالله تعالى وحده وإن تلك الأعمال
التي يظهر بايدي الرأي أنها عن اقتدار إنمائي كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث أتى. ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما نسى له جذب أولئك

القوم الثلث القلوب الغلاظ الرقاب، الضفاف الاستمداد.

والدليل على أن المراد من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تطهير العقول من لوث الخرافات والأوهام؛ تنقها من أسر السحرة ولذجالين وأن الآيات الكونية كانت هي الآلات الجاذبة لهم إلى الإيمان بالتوحيد الذي هو المطهر الأكبر للعقول وأنه لو أمكن جذبهم بالآيات العلمية الأدبية لما خرق الله على أيديهم شيئاً من الأمور العادية. — هو بناء نبوة خاتم النبيين على الآية العلمية الكبرى. والهداية الأدبية العظمى وهي القرآن الحكيم، المنزل على النبي الأُمِّيِّ اليتيم، الذي علم به الاميين الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل في ضلال مبين، ومكن به لهم في الأرض وجعلهم أئمة وارثين، وبلغ رسالة ربه الامم المجاورة رأساً بأن يبلغ الشاهد الغائب. ومن أصول دينه أن زمن الوحي والمعجزات قد انتهى به فلن يعود، وأن لله في الخلق سنناً لن تتغير ولن تتبدل، وأن الأمور تطلب بأسبابها، وأنه ليس وراء الأسباب شيء إلا معونة الله تعالى وتوقيته، فليس لمؤمن أن ييأس إذا انقطعت به الأسباب من خير يتطلبه، أو النجاة من سوء يترقبه، فثبت بهذا أن الدين القيم الذي يمكن أن يتفق مع العلم في كل زمان هو هذا الدين الذي يحكم بأن زمن المعجزات قد مضى ولا يكلف الآخذ به بأن يمتد بخارقة على يد أحد الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أما البحث في آيات الانبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السماوات والأرض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور؛ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً. ومبلغ العلم

فيها أنها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلًا متواترًا أعترف به المؤمنون
بهم والكافرون الذين سموها سحرًا لجهلهم بالثبوتة بينهما وبين تلك الشبهات
وأفضل الباطلة ، وفي شرح المواقف أن المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة
وأن لم يكن من الخوارق ،

فعلم بهذا أن آيات الأنبياء عليهم السلام معسوفة من إنكار المنكرين
واعتراض الوهمين ، وأنها قد انتهت فلا يخشى أن يضر الاعتقاد بها في الزعم
الخاص وما بعده كما أنه لم يكن ضارًا في الماضي وإنما كان نافعًا ،

وبقي القول في كرامات الأولياء ومقتضى ما تقدم أن الاعتقاد بها
يضر كما يضر الاعتقاد بالخوارق عند كهيئة الوثنيين وقد يسمى المسيحيين
والمنفعة التي تدعيها كل الطوائف من الاحتجاج بهذه الخوارق على صحة
الدين أو الاستمانة بها على تمكين اعتقاد المؤمنين ، مخنوعة بأنهم المشترك
الإلزام كما تقدم في الجزء الماضي

فإذا دعوت انسانا إلى دينك بوجه أن من قوه لك من يعمل المعائب
وتظهر على يديه الخوارق يلزمك بأن في قومه أيضًا من له مثل ذلك
أو يتازعك في دعوته داع آخر يحتج بمثل هذا الاحتجاج .

ووجه آخر للدفع وهو أن أهل العلم والبحث يرون دعوى الخوارق
من الأدلة على بطلان الدين كما سبق آنفًا ، وأما المومنان فأنهم أسرى التقليد
ولذلك يصمدون بما يسمون من قومهم من الأخبار ويكذبون ما تدعيه
لقومك ، وهذا أن دعوة الاسلام قد انتشرت في الأرض انتشارًا لم يعرف
مما قبله في دين آخر وما ذلك إلا أن الدعاة إليه ما كانوا يمتدحون في
الدعوة إلا على كون ما يدعون إليه صوابًا عقائده معقولة ، وأحكامه مقبولة ولم

يعرف أنه كان للإسلام دعاء قد استجودوا على النفوس بما أدهشوها
بالكرامات والحواري كما هو المقول عن دعاء النصارى وغيرهم . ثم أنه قد
قل عن بعض الأولياء من الكرامات أضاف ما نقل عن المسيح وتلاميذه
وعن جميع الأنبياء المرسلين ولكن أولئك الأولياء لم يروا في التاريخ الصحيح
أنهم كانوا دعاء وأن الناس آمنوا بكراماتهم اللهم إلا بعض الحكايات التي توجد
في بعض كتب المناقب وقلا يوثق بشيء من روايتهم إلا سيما إذا انفردت بها
ووجه آخر المدفع وهو أن أمر الحواري صار بعد السامة من جميع
الأئمة كالصناعة المحترمة لشدة الحاجة إليها ولا ينظر فيها إلى الدلالة على
صحته دين من ظهرت على يديه لاسيا بدموته ولذلك ترى كثيراً من
عامة النصارى يتصدقون من اشترى من أولياء المسلمين لقضاء الحاجات
يركأهم وهم على نصرانيتهم . ولقد كان عم والدي (السيد الشيخ أحمد
رحمه الله تعالى) مشهوراً بالصالح والبركة فكان يرد عليه وفود الناس
من المسلمين والنصارى يلتمسون بركته بالرقى والتأييم ويأخذون منه
البشارات . وقد كنت أكون خليفة له رغم أنني لأمر اتفقت لي في سن
الحدثة . من ذلك أن بعض الأعراب أخذوا مني ورقة فمضوها على كبش
في غم موبوء فزعموا أن الموت أشر والصحة أقبات منذ علقته الورقة
على الكبش . ومن ذلك أن إنساناً كان يصارع ويرى شراً من الجن
يضربونه فدعيت إليه فبعت مؤكداً لهم أنه لا مائدة من زيارتي إلا البتة
فأجلوا وتوسلوا بالله فمعدت صريخهم لشئ . وثنى لي أمثال هذه
الوقائع من كثير من المسلمين والنصارى فالتفت خبرها وكنت أكون
معتصداً بها كم نواله الذي كنت أنكر عليه (رحمه الله تعالى) أولاً أن

بادرت الى محاربة هذه الاعتقادات وعدم إجابة القاصدين الى ما يطلبون
وكذلك نرى كثيراً من المسلمين يقصدون بعض الأديار
وقبور القديسين بالزيارة ويحملون اليها التذوكر كما يحملونها الى قبور الأولياء
متوسلين بهؤلاء وأولئك وطالين منهم قضاء الحاجات
ومن ذلك دير مار جرجس في مصر المتينة والمير تادرس بكنيسة
القطب بحارة الروم وغير ذلك مما لا يحصى . وكذلك يقصد بعض المسلمين
والمسلمات بعض القيسيين الذين يشتهرون في قومهم بالعجائب وقضاء
الحاجات . ولا يكاد يمتد أحد من هؤلاء وأولئك بصحة دين غير دينه
الذي نشأ عليه . وذلك أن الحواري صارت عندهم من قبيل الصناعة والدين
صار من قبيل الجنسية . وقد طال بنا المقال أكثر مما كنا نتوقع فترجيء إتمام
المبحث الى الجزء الآتي وفيه نبين وجود التأويل ومناشئ القل والقليل .
وما ينبغي اعتقاده في السكرات التي أثبتناها في المقالات الأولى . وقد سئنا
عن الثابت من معجزات يئنا غير القرآن وسنجيب عنها في الجزء الآتي أيضا

باب الأخبار النبوية وآثار السلف

﴿ وفد بني تميم ﴾

عن جابر قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه : يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين ، وإن سبنا شين . فسمهم النبي صلى
الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول « إنما ذلكم الله عز وجل فما تريدون ؟ »
قالوا : نحن ناس من بني تميم جئناك بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك : فقال
رسول الله الله عليه وسلم « ما بالشعر بيننا ولا بالفخار أمرنا ولكن هاتوا » فقال
الأقرع بن حابس لشاب من شياهم : قم فاذا كر فضلك وفضل قومك فقال : الحمد

لله الذي جعلنا خير خلقه ، وآتانا أموالاً فعل فيها ما نشاء ، ففحن من خير أهل الأرض وأكثروهم عدداً وأكثروهم سلاحاً ، فمن أنكر قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا وبصالح (كرم) هو أفضل من قائلنا :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شاس الأنصاري وكان خطيبه « قُمْ فَأُجِهُ » فقام ثابت فقال : الحمد لله أحدهم وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دما المهاجرين من بني نمر أحسن الناس وجوهاً وأعظم الناس أحلاماً فأجابوه . الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وهنأ لدينه . ففحن قاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها منع من ماله ونفسه ، ومن أباه قاتلناه وكان رغمه في الله علينا حيناً ، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات :

قال الزبير بن بدر لرجل منهم : يا فلان قم واذا كر أبيتاً تذكر فيها فضلك وفصل قومك : فقال

نحن الكرام فلا حي يبادلنا نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
ونعلم الناس عند المحل كلهم من السيف إذا لم يؤنس الفزع (١)
إذا أيتنا فلا يأتي لنا أحد أتا كذلك عند الفخر نرفق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علي بن محسنان بن ثابت » فذهب إليه الرسول فقال : وما يريد مني رسول الله (ص) وإنما كنت عنده آنفاً : قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فتكلم خطيبهم فامر رسول الله (ص) ثابت بن قيس فأجابه . وتكلم شاعرهم فأمر رسول الله (ص) اليك لتجيبه : فقال حسان : قد آن لكم أن تسبوا إلى هذا المود - والمودا للمحل الكبير - فلما أن جاء قال رسول الله (ص) « يا حسان قم فأجبه » فقال : يا رسول الله صرته فليسمني ما قال : قال « أسمعه ما قلت » فأسمعه فقال حسان

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم باد من همد وحاضر
بضرب كإيزاع الخاض مشاشه وطمن كافوا اللقاح الصوادر (٢)

(١) السيف شحم السنام (٢) قال في التاج عند قول القاموس « والتوزيع القسم والتفريق كالإيزاع » : وبه يروى شعر حسان رضي الله عنه * بضرب كإيزاع الخاض مشاشه * جعل الإيزاع موضع التوزيع وهو التفريق وأراد بالمشاش هنا البول وقيل

وسل أحداً يوم استقأت شعابه بضرب ثامثل الليوث الخوادر (١)
 ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى إذا طاب ورد الموت بين الصاكر
 ونضرب هام الدارين ونفتحي إلى حسب من جئتم غسان قاهر (٢)
 فأحيأنا من خير من وطئ الحصى وأموأنا من خير أهل المقابر
 فلو لا حياء الله قلنا تكرماً على الناس بالخيفين هل من منافق (٣)
 فقام الأقرع بن حابس فقال : إني والله يا محمد لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء
 إني قد قلت شعراً فاسمعه : قال « هات » فقال

أنتك كما يعرف الناس فضلنا إذا اختلفوا عند ذكر المكارم
 وأنا رؤس الناس من كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
 وأن لنا المرباع في كل غارة تكون نجد أو بأرض التهاميم
 فقال رسول الله (ص) « قم يا حسان فأجبه » فقام وقال

بني دارم لا تفخروا أن تفركم يعود وبالأ بعد ذكر المكارم
 هُبَّائِمَ عَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَسَاخُولَ مَا يَنْ قَيْنَ وَخَادِمَ

فقال رسول الله (ص) « لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم أن تذكر منك ما قد
 كنت ترى أن الناس قد نسوه منك » فكان قول رسول الله (ص) أشد عليه من قول
 حسان ثم رجع حسان إلى قوله :

وأفضل ما نلت من الفضل أنكم رداقنا من بعد ذكر المكارم
 فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تسموا في المقاسم
 فلا تجلوا لله ندّاً وأساموا ولا تفخروا عند النبي بدارم
 وإلا ورب البيت ما لأكفنا على رأسكم بالمرهفات الصوارم

فقام الأقرع بن حابس فقال : يا هؤلاء ما أدري ما هذا الأمر . تكلم خطيبنا
 فكان خطيبهم أرفع صوتاً وأحسن قولاً وتكلم شاعراً فكان شاعرهم أرفع صوتاً
 وأحسن قولاً : ثم دنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك

هو بالقيتين المجمة وهو بمسماه : اهـ (١) الآية الخادر المقيم في خدره وهو أشد بأساً
 منه خارج العرين لمكان الحماية ومنع الأشبال (٢) جئتم غسان أصله وهو بكسر الجيم وفتح
 (٣) تافره منافرة حاكمه في الحسب والنسب وقيل قافره مطلقاً

رسول الله : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يضررك ما كان قبل هذا » اهرواه
الروائي وابن مندة وأبو نعيم وابن عساكر . وقد طعنوا بالمعلل ابن عبد الرحمن ابن
الحكيم الواسطي روي عن حماد الدارقطني بالكذب ولا يستلزم هذا أن يكون الحديث بطوله
غير واقع فإن احتمل أن فيه زيادة أدرجها للمعلل فذلك لا يمنع أن يستفاد من الحديث ما فيه
من الأدب والعبرة وإنما يمنع الاحتجاج به في إثبات الأحكام وروي في السير بالفاظ أخرى

﴿ ورع أبي بكر رضي الله عنه ﴾

عن زيد بن أرقم قال كان لأبي بكر مملوك يقل عليه قائم ليلة بطعام فتناول منه
لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسأني كل ليلة ولم تسأني الليلة ؟ قال : حماني على
ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجماعة فرقيت لهم فوجدوني
فلما أن كان اليوم مررت فاذا عرس لهم فأعطوني : قال : أفترى لك كدت أن تهلكني
فأدخل بيده في حلقه فجعل يتقيأ وجعت لأنخرج فقليل له : أر هذا لا يخرج إلا بالمال
فدعا بمس أنا من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقليل له يرحمك الله كل
هذا من أجل هذه اللقمة : قال : لو لم يخرج لأمع نفسي لأخرجها . سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل جسد ثبت من سحت فانتار أولى به « فثبت أن
يثبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : رواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم في الحلية
والذبيوري في المجالسة بهذا السياق . وروي أحمد في الزهد من طريق ابن سيرين
والبيهقي عن زيد بن أرقم ما يؤيد الواقعة

وعن أبي بكر حفص بن عمر قال جاءت عائشة إلى أبي بكر وهو يعالج ما يعالج ميت
ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت

(لعمرك ما يعني الثراء عن الفقى إذا حشر جيت يوموا ضاق بها الصدر)

فخطر لها كالنضبان ثم قال ليس كذلك يا أم المؤمنين (وفي رواية ليس كما قلت
بابنية) ولكن « وجاءت سكرة الموت بالحقى ذلك ما كنت منه تحيد » إني كنت قد
تحلكت حائطاً وإن في نفسي منه شيئاً فريده على الميراث — قالت نعم فردته — أما إنا
منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل ديناراً ولا درهماً ولكن قد أكلنا من حريش

طعامهم [١] في بطوننا ، ولستمان خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من في المسلمين قليل ولا كثير الا هذا العيد الحبشي وهذا البير الناضح وجر هذه القطيفة [٢] فاذا مات فابقي بها الى عمر وارثي منهن : ففعلت فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل على الأرض وجعل يقول : رحم الله أبا بكر لقد أنسب من بعده . يا غلام ارفعهن : فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبيراً ناضحاً وجر د قطيفة منه خمسة دراهم ! قال فاذا تأمر : قال : ردهن على عياله : قال : لا والذي يموت محمداً بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولا يخرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله . الموت أقرب من ذلك زروا ابن سعد (المنار) هكذا تكون خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه هي السيرة التي كان يجب على المسلمين ان يلزموا بها ملوك بني مروان وبني العباس الذين سموا أنفسهم خلفاء وكذلك غيرهم من الملوك . والله ما نكل بالاسلام وأوقع المسلمين في هذا الهوان ، الا استبداد أولئك الملوك بالسلطة وجعلهم الرعية وأموالها ملكاً لهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بما شاؤوا حتى اذا ظهر فيهم ماذل يحاول وضع الحق موضعه كعلاوية الأصغر ومهر بن عبد العزيز والمأمون الزموا بقوة العصية على أن يجري في طريقهم أو يقطع من الملك . ولقد نسب عمر بن عبد العزيز فيما قدر عليه من العدل تمناً عظيماً فم ان هذه السنة التي سنها أبو بكر متبعة لا يقدّر عليها الا مثل عمر ويظهر أنه كان يعتقد أن ما فرض له من الانتفاع من بيت المال (كما ذكرنا في السنة الماضية) يجب أن يكون مشروطاً بمدة عمله للمسلمين وأنه اذا بقي منه بقية يجب أن ترد الى بيت المال ولا يجوز لورثته التمتع بها لانهم لا يعملون للمسلمين ما كان يعمل . وإنا لننتفي اليوم أن يأخذ أسرارنا وملوكنا أضعاف كفايتهم وأن يورث عنهم ما بقي عن نفقاتهم بشرط أن يكفوا عن تبذير ما في خزائن الامنة من الاموال والتحف والإفشاء بها الى أوليائهم ، بمجرد شهواتهم وأهوائهم ، وقد سبق لنا القول في السنة الرابعة بان في خزائن الدولة العلية من الذخائر والجواهر ما يكفي بعضه للقيام بإنشاء الاساطيل البحرية وتروية القوة الحربية ، بحيث تقاوم بها اعظم الدول القوية . وهذه الذخائر كثيرها تحت تصرف شخص السلطان ، ولا يكاد يسمح بشيء منها الا لقيصري الروس والامان ،

(١) الجريش الدقيق الفايط معسوف والملح لم يطيب (٢) القطيفة دينار محمل

أي له رغب وجر د قطيفة يردون به خلق قطيفة وأصله شيء مجرد أي خلق

أنا عبد الحميد

باب التقاريف

ديوان الرافعي

مصطفى افندي صادق الرافعي يعرف شعره قراء المنار فلا حاجة لتمريرهم به وقد جمع منظوماته في ديوان يطبع الآن واننا ننشر كله له فيه تنويعاً به وترغياً فيه وهي

كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه • وانما يرجع في ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر
جلا صفحة البيان • فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب • وسفير النفس اذا
ناجت النفس • ولا خير في لسان غير ميين • ولا في سفير غير حكيم
ولو كان طيراً يتفرد لكان الطبع لسانه • والرأس عشه • والقلب روضته • ولكان
غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء • وحسبك بكلام تنصرف اليه كل
جاذبة • ويجني من كل شيء حق لتحبس الشعراء من النحل تأكل من كل الغرار
فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس •

وكأنما هو بقية من منطق الانسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها
الحواس حتى وزتها على ضربات القلب وأخرجتها بمد ذلك الحانا بغير إلهاع • الا تراها
ساعة الظلم كيف تنفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تبحث بنور العقل عن شيء غاب عنها في
سويداء الفؤاد وظلماته • لذلك كأن أحسن الشعر ما تنفى به قبل عمله وهي طريقة
تفنن فيها الشعراء حتى لكان الخطيئة يعوي في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه •
وترى المجيد من أهل الفناء اذا رفع عقيرته يتنقى ذهب في التحرك مذاهب حتى
كأنما ينتزع كل لفظة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه
وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه •
كأنما أنجذب قلبه • وتصبو نفسه • كأنما أخذ حصه • لافرق في ذلك بين أعجمي وعربي
ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يقلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في
جذب القلوب سواء • وفي سحر النفوس أكفاء • الا ان هذا يوحى الى القلب

وذلك ينطق عنه • وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ منه • والويل لكتابهما إذا لم يطرب هذا ولم ينجب ذلك •

والشعر • وجود في كل نفس من ذكر وأنثى • لآنك لتسمع الفتاة في خدرها • والمرأة في كسر بيتها • والرجل وقد جلس في قومه • والصبي بين أخوته • يقصون عليك أصناف أحلام فتعبد في أنشاء كلامهم • من عبق الشعر مالمو نسمة لفعلك • وحسبك أن تكسر وسادك تحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفي فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه • ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شمس ساطع في سماء البيان • وطلعت في أفق البلاغة • ولا يزال الناس الى اليوم يروون لافخساء وجنوب • وعلية وعنان وزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول التواسي: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء ولبلى •

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاه لمدناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولكنه ينزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان • وأما ما يمرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فمكا يمرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب • وانك انما تمدح الكلام بآباره ولا تمدح الاعراب بالكلام •

ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم المصير • وامام الاقواء في مصر • « لو سألوا لطيفة أن تختار لها مكاناً تشرى منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة » •

• ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها الرجل في الحاجة تمرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي اليوم يبقى لدويد بيتة لو كان للدهى بلى أبلتة

أو كان قرني واحداً كفته

وانما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف • وهنك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء • وأضاء تلك السماء التي ماطاؤها سماء • ولم يتقدم غيره الا يساً سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده • فهو أول من استوقف على الطاول ووصف النساء بالغفلاء والمهمل بالبيض وشبه الخيل بالعقبان والمصبي وقرق بين التسبيب

وما سواه من القصيدة وقرب ما أخذ الكلام وقيد أو ابتداء وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه أنه كان تمتع على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب كما يكتب الجواد . وبعضهم كان كلامه وحى للملاحظ . وفريق كان مثل سهيل في التجوّم يمارضها ولا يجري معها . ولقد جدوا في ذلك حتى أن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر لخلق . أو الصخر لخلق .

ذلك أيام كان للقول ضرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء أن تغلب عليهم القاهم بشعرهم حتى لا يعرفون إلا بها كالمرقش والمهمل والشريد والمزق والمتلمس والناقة وغيرهم . ومن قدر الشعراء كانت القبيلة إذا نبع فيها شاعر أت القبايل فهنأته بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يابن بلزاه كما يصنعن في الأعراس . وأيام كانوا لا يهتدون إلا بعلام يولد أو شاعر يدع أو فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بند الكساد إذا شرب بين الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقدوه في أنفسهم إلا نظموه في سبط من الشعر وأدخروه في سبط من البيان حتى أنك ل ترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستحبون حتى من دواهم . وكان القائل منهم يستمد عفوها جبه وربما أفظ الكلمة تحسبها من الوحي وما هي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم إلا أخلاقهم العالية على أنفسهم . فزهر أشعرهم إذا رغب ، والناقة إذا رهب ، والاعشى إذا طرب ، وعنترة إذا اكاب ، وجريز إذا غضب . وهلم جرا .

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر امرأة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واحتص زهير بالحوليات واشهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الخطيب بأهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عدي في صفات المظلة وطفيل في الخيل والشماخ في الخير . ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها أني لأحسب أن أحد أبويه كان حاراً . وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الأسلاميين أنه كان يقول « إذا قلت كأن » ولم أجد مخلصاً منها قطع الله لساني . وقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم أبو نواس بخمرياته ؟ وورقت قلوبهم على زهديات أبي القاهية وجرت دموعهم لرائي أبي تمام

وأتهمت أنفسهم بمدائح البحري وروضيات الصوري ولطائف كشاحم .
 فن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصرة المعري وكانت له أداء ابن
 الرومي وفيه غزل ابن ربيعة وصباية ابن الاخنف وطبع ابن بردولة اقتدار مسلم
 وأجنحة ديك الجبل ورقة ابن الجهم ونفر أبي فراس وحسين ابن زيدون واثقة الرضي
 وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة أبي دلامة ولينه بصر ابن خضاعة بمحاسن
 الطبيعة وبين جنبه قلب أبي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره ؟ وصانحة عصره .
 ولا يهولك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين اتحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه
 بانفسهم إلحاق الواو بصمرو فكلامهم أموات غير أحياء وما يشعرون .

وأربع الشعراء من كان خاطره هدفاً لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال
 مما لا يفي غيره فإذا علق بها فكره تمحضت عن بدائع من الشعر نجأت بها كالمجترات
 وهي ليست من الإعجاز في شيء ولا فضل للشاعر فيها إلا أنه قلبه لها . ومن شديده
 على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر غيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من اذا انشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك . وان عينك
 تنظر في شفافه ، فاذا نزل أحبك ان شاء وأبكك ان شاء . واذا نحس فزعت
 لمساقط رأسك . واذا وصف لك شيئاً هممت بامسه حتى اذا حثته لم تجده شيئاً .
 واذا عتب عليك جعل الذنب لك ألزم من ظلك . واذا نزل كنانته رأيت من يرميه
 صريعاً لا أثر فيه لفذيفة ولا مدية وإنما هي كلمة فتحت عليها عينه أو ولجت الى قلبه
 من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر .

واذا مدح حسب الدنيا تجاوبه ، واذا رثى خفت على شعره ان يجرمي : موعا ، واذا
 وعظ استوقف الناس كلته وزادتهم خشوعا ، واذا نخر اشتم من لحيته رائحة الملك
 فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قابه فان الكلمة اذا خرجت
 من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول
 الاشياء ليقر هاني مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري .
 وأبصرنا فيهم كذلك من يحكى باللفظ الموقوف والوشى الضر فاذا نثرت أوراقه
 لم تجد فيها الا ثمرات فجفة .

ورأينا في المطبوعين من أقل شعره بأنواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها الميون بما أرادت ان تلفتها به . على ان أحسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغاية فهو معروضها .

وهو عندي أربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير وبيت ينذر وبيت يحزن به جزواً وماعداً ذلك فكالشجرة التي تقص ثمراها . وحني زهرها . لا يرغب فيها الا تحتطبه . أما مذاهبه التي أبانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء . والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا يخرج من طريق الا الى طريق . ألم تر انهم في كل واحد يهيمون . وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر أطوار . آونة تحظر فيه نسبات الصبا ما بين افنان الوصف الى أزهار الغزل . ويتسبب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الامل . وطوراً تراه جم الفشاط . تكاد تمقل بمائه السوف . وتفرق بحده الصفوف . وحيناً تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار . وجملة بمسحة من الوقار . وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروي عنه . وما أكثر فنون الشعر اذا رويتها عن أفانين الايام

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد فحده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوماً فذلك المذهب بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى يجد الكلمة من مطامعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الابداء وتلك مقدمات الشعراء . اليك مثلاً قول ابن الرومي يصف منهزماً

لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين اللفاظ وأجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك الحارجي وقد قال له المنصور: أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقباعهم فقل لهم يدبروا أعرفك : أنت ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة اللفاظ ما لا تراه في هذا النثر .

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منشور القول ومنظومه . والذي أراه أن النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه الالة ثم ضمهما لما وقع الا في عش النثر وعلى أعواده . ولن نجد لمنثور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الفرد . بل لو كان النثر ملكاً لكان الشعر تاجه . ولو استضاء لما كان غيره سراجيه .

وما زال الشعراء يأتون يحمل منه كأنها قطع الروض اذا تورد بها خد الريح .

وهذا ابن عباس وكتبه • وابن المعتز وفصوله • والمري ورسالته • وانظر الى قول
بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً ثقيل له لم تجد في مدحه قتال • والله لقد مدحته
بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خفت صفره على حر ولكني اكذب في السمل
فاكذب في الامل • وبشار هو ذلك القواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي انه
اشهر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

إذا ما غضبتا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرتنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلي علينا وسلمنا

والأثلة على ذلك أكثر من أن تعد • وأوسع من أن تعد •

ولا تجد الناظم وقد أصبح لا يحسن هذا الطراز الا اذا كان جاني الطبع كدرا الحس
غير ذكي الفؤاد لم يجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك وجاء من صنته بشيء
فانما هو نظام وليس بشاعر •

أما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كان كما يقول الصابي • ان الشعراء انما
أغراضهم التي يرتعون اليها وصف الديار والآثار • والحين الى الاهواء والاورطار •
والتشبيب بالنساء • والطلب والاجتهاد • والمدح والهجاء • وأما المترسلون فانما
يتربسون في أمر سداد ثغر واصلاح فساد • أو تحريض على جهاد • أو احتجاج على
فئة • أو مجادلة لمسألة • أو دعاء الى ألفة • أو نهى عن فرقة • أو تهنة بعطية • أو تعزية
برزية • أو ما شاكل ذلك • فذلك زمن قد درج فيه أهلهم • وبساط طوي بماعليه • ولم
يسد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه • بمن وبهجوه مجاناً • وانما الفرق بين
الفرقتين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع
في النفس وعلى قدر إجادته يكون تأثيره فالحجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة
الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر •

وفي الحديث الشريف • انا قد سمعنا كلام الخطباء وكلام أبي سلمي فما سمعنا
مثل كلامه من أحد • • وقال الشافعي في كتاب الأم: الشعر كلام كالإكلام فحسنه
كحسنة وقبيحه كقبيحة وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه:
هنا وان من الشعر حكمة • ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولوا الالباب •

تمة تقريظ « أحسن الكلام »

أورد المصنف بعد مقدمته تلك حديث أبي هريرة الصحيح في النبي عن الكلام وقت خطبة الجمعة وهو « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنت وأنت والامام يحط بقدر لقوت » وقال أنه قد أخرجه الستة ونقول أن ابن ماجه لم يخرج به . وأورد بعده احتجاج أبي حنيفة بأقوال الصحابة على منع الكلام من وقت خروج الامام وأن صاحبه خالفه لأنهما لا يحتجان برأي الصحابي لأن المجتهد لا يقلد مجتهداً . واستنتج من ذلك أن الترقية المتعارفة في زماننا جائرة عند الصالحين ما لم تشمل على تفنن وتلحين محض قال « والا فبهى مكروهة اتفاقاً » . ثم قال أنه لا وجه للانكار على الترقية مع هذا الخلاف بين المجتهدين « وانما يجب الانكار فيما اتفق الكل وأجمعوا على عدم جوازها »

ونقول : الظاهر ان مصنف الرسالة هو الذي استنبط هذا الجواز من قواعد الصالحين . فإن كان يدعي ان بدعة الترقية كانت في عهدها وانها لصاً على جوازها فليدنا على النص . وإذا كان هو المستنبط للجواز فلنا في استنباطه إشكالات

(أحدها) أنه ليس لثله أن يستنبط ولا أن يرجح وانما هو من الطبقة التي لا قبل منها الاقل نصوص المذهب كابن عابدين ولا يدعي أنه فوق طبقة ابن عابدين الذي صرح بأنه لا قبل منه الا القليل لنصوص المذهب المرجحة . بل قالوا ان أبحاث الكمال بن الهمام لا يميل بها اذا خالفت نصوص المذهب

(ثانيها) اذا فرضنا أنه ادعى أنه فوق الكمال في الفقه وأن له أن يستنبط من نصوص أئمتة فلماذا لا يستعمل هذه الموهبة في وظيفته ويرزح عن المحكمة بض قيود الفقهاء الذين ضيقوا مذهب الحنفية واكثرهم من الذين لم يبلغوا هذه الدرجة — درجة الاستنباط من أصول المذهب — وإذا كان المؤلف وصل إليها فلا يجوز له التقييد بأقوال من هم دونه من الفقهاء وأي نعمة على المحاكم الشرعية في مصر بل على مذهب الحنفية من وجود مجتهد فيه يسهل وعورته فيصلح به حال هذه المحاكم التي محتج قضائهم بأنهم ممنوعون عن الاسصلاح بقيد الفقهاء التي كلفوا بالجمود عليها وعدم التصرف فيها كما نألفاظها قرآن تبعدوا به تسيداً

(ثالثها) ان ما ينقل عن الصحابة عليهم الرضوان ان كان من قبيل الرأي فهو الذي لا يكلف المجتهد اتباعهم فيه الا اذا وافق دليله دليلهم . وأما اذا كان بمالاجال

لرأي في كالعبادات فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والأقرب أن
مسألتنا من هذا القسم فإن لم يسلم بأنه الأقرب فلا راد ينكر أنه الأحوط

(رابعها) أن الكلام الذي أجازوه في المسجد في غير وقت الخطبة ليس فيه
شبهة التعبد به واتخاذ شعاراً لازماً كما هو الشأن في الترقية المعروفة في هذه الأزمنة
فقياس الترقية على الكلام قياس مع الفارق . على أن ما كان من قبيل الشمار الدينية
والتعبد لا يجوز القياس فيه كما تقدم في البذة الماضية لأنه مما يجب فيه الوقف عند نص
الشارع ثبت بهذا أن الترقية بدعة منكرة لا وجه لجوازها في مذهب من المذاهب

(خامسها) أن الترقية المسؤل عنها مشتملة على التعفي والتلحين المحل فهي منكرة
حتى في رأي المصنف ولكن أراد قياسه على تقدير خلوها من ذلك والحكم بأنه
لا وجه لا نكارها يوم من يطلع على الرسالة من غير أهل التدقيق أنه بذلك القياس،
يحيى ما عليه الناس ، وهو إنما أجاز صورة من صور الترقية غير موجودة ، وخلاصة
القول أن هذه الرسالة لا يتبع الترقية الممهودة الآن وإنما تدع رقية مشروطة بشرط
غير موجود بناء على قياس في غير محله

ثم تكلم المصنف في حكم قراءة سورة الكهف فقال أنها « جائزة اتفاقاً ولا وجه
للقول بمنعها » ثم ذكر أنها عبادة لم يرد النهي عنها بخصوصها ولم يدخل ذلك تحت
نهي عام واستثنى من ذلك القراءة وقت الخطبة أو عند خروج الامام على الخلاف
المار . ثم صرح بأن قراءتها رفع الصوت في المسجد لا يمنع وأورد حديث « لا يجهر
بعضكم على بعض بالقرآن » وقال أنه على فرض صحته لا يصلح حجة لمنع وكذلك
حديث « لا ضرر ولا ضرار » قال « وعلى فرض وجود مصل لتحويل مسجد وقت
قراءتها فلا يحصل من ذلك تشويش عليه » ثم قال « أنه ورد أحاديث كثيرة بطلب قراءتها
وأورد منها حديثين ثم نفى أن يكون الاجتماع الخاص في المسجد لسماعها بدعة لدخوله
في عموم الترغيب في الاجتماع للذكر

قول ان في هذا الاستدلال نظراً ظاهراً لاسيما على قواعد الحنفية الذين يقدرون
المصنف قائمهم نصوا في كتبهم على أن قراءة ألم السجدة والإنسان في فجر الجمعة مكروهة
مع أن الاحاديث فيها صحيحة ليست كأحاديث قراءة سورة الكهف . وعلاوا الكراهة
بأن فيها هجراً لباقي القرآن بل قالوا باتجاه التحريم في ذلك . فان قيل انهم قالوا بذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياتزم قراءة ألم السجدة والإنسان في فجر يوم الجمعة

بل ورد أنه قرأ غيرها أيضاً فقالوا بكرهه المواظبة عليهما نقول ان ما ورد فيها أصح مما ورد في غيرها ويدل على التكرار ولم يرد حديث صحيح في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة والناس يواظبون عليها مع الاجتماع والتوقيت حتى كأنها من شعار الاسلام المنصوصة مع انها معارضة بأحاديث منها ما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وعلائكته حتى تحجب الشمس » ومنها ما رواه ابن مردويه عن كعب مرفوعاً بسند صحيح « اقرؤا سورة هود يوم الجمعة » نعم ما مرسل ولكن الحنفية يحتجون بالمرسل وان لم يحتج به مصنف الرسالة في منع الكلام عند خروج الامام الى الجمعة . ومنها حديث الطبراني في الكبير عن أبي أمامة « من قرأ حم السجدة في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومنها أحاديث في قراءة سور في ليلة الجمعة

أما الاحاديث التي احتارها مما ورد في قراءة سورة الكهف فهي كما ذكرها بالنص قال : « ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعاً » من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضي له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وما رواه غير واحد عن أبي سعيد الخدري « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق »

أقول قد طعن في سند كل منهما بل قال الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الأذكار ان أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف حديث أبي سعيد عند الحاكم في التفسير واليهيقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هانئ ومحمه ولكن قال الذهبي في الميزان : بل نعيم بن حماد ذو منة كبير : « وقد ورد في قراءة آيات مخصوصة من الكهف بدون ذكر الجمعة روايات قوية وبعضها في صحيح مسلم وأما تشويش هؤلاء القراء في المساجد على المصلين فهو مما لا شك فيه وما فرضه صاحب الرسالة من وجود المصلين وقت قراءة سورة الكهف في المسجد أمر واقع مشاهد ولكن هؤلاء الفقهاء يتكلمون بالقروض كأنهم في كون مفروض غير موجود . وكون التشويش على المصلين غير جائز مما لا ينبغي أن يشك فيه والصلاة هي المقصودة من المساجد بالذات ولذلك صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي . وقد أول المصنف حديث « لا يجهر بمضكم على بعض بالقراءة » ورواه

« بالقرآن » بأن مناه الطاهر « لا يتم أحد أحد بالقرآن أولاً يشتم بعضكم بالقرآن
 انتماراً على البعض الآخر » ولم يعلم أنه نُعلل بإذناء المصلي (رواه الخطيب عن جابر)
 وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري : اشتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في المنجس فيهمهم يجهرون بالقراءة فكشف الست وقال « لا إن كلكم مناج لربه
 فلا يؤذ بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » ولكن أكثر المشتغلين بالفقه
 لا يطلعون على كتب السنة الا قليلاً ، ولا يخفى ان اِذناء من يجهر لمن يسر بالصلاة
 أو للقراءة أشد من اِذناء من يجهر مثله لأن الجهر يدفع الجهر - فستقل جميع استدلال
 المصنف وثبت أن قراءة سورة الكهف في المسجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجنب
 الناس فيه للصلاة بدعة محظورة لاسيما مطلوبة (التقريظية)

﴿ كتاب اصابة السهام - فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ﴾

اهدانا الشيخ محمود محمد احمد خطاب السبكي أحد علماء الأزهر نسخة من كتاب
 له جديد سماه بهذا الاسم وهو في بيان البدع والمنكرات الفاشية بين أهل العلم والدين
 وفي المساجد وحلقات الدروس وغير ذلك . ولم تيسر لنا مطالعته وانما أخذناه
 الآن في يدا وقرأنا جملة من فهرسته فإذا فيها (مطلب يحرم القراءة إذا نزم عليها
 تشويش خلافاً لمن قل بالكراهة) فراجعنا هذا المطلب وأحياناً أن نقل منه تأييداً
 لما ذكرنا آخراً في الاستناد على رسالة الشيخ بحيث ما يأتي . قال المصنف في سياق الكلام على
 المنكرات الفاشية في الجامع الأزهر ومنها التشويش على المصلين برفع الصوت بالنية مانعة :
 « قال ابن السامع لوتوسوس المأموم من تكبيره الاسعرام على وجه يشوش على
 غيره من المأمومين - حرم عليه ذلك لكن قد يتكلم بجوار المصلي وكذا يحرم عليه القراءة
 جهراً على وجه يشوش على المصلي بجواره » اهـ وقوله : من المأمومين : يعني مثلاً وكذا
 قوله على المصلي والافتشوش حرام ولوعلى السامع . وأما قول ابن حجر بكراهة
 القراءة عند التشويش ورواه قول ابن السامع بالحكمة فهو المردود . وكيف لا وقد أضر
 بقراءة المصليين ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ضرر ولا ضرر » اهـ

ثم رأيت في مبحث قراءة سورة الكهف في المساجد فأحييت نقلها أيضاً وهو :

« ومنها أعني البدع التي اخترعوها في الجامع الأزهر ونحوه قراءة سورة الكهف يوم
 الجمعة بصوت مرتفع وترجيع والمسجد ممتلئ من الناس ما بين ركن وساجد وذلك
 وقارئ ومتفكر الى غير ذلك ومع ذلك يرتبون للقارئ لها اجرة من الوقف وذلك

ممنوع من وجوه (الاول) كونه مخالفا لما كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والسلف والخير كله في الاتباع والشركة في الابتداء والاحاديث في ذلك معلومة (الثاني) أن فيه تشويشا على من بالمسجد متلبسا بعبادة وقد تقدم غير مرة أن التشويش ممنوع بالاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ملعون من شارك مؤثما) (الثالث) فيه صرفه المال في غير مصرف شرعي بل هو منكرو وهو ممنوع ولا سيما من مال الوقت (الرابع) أن ذلك كان سببا في اعتقاد العوام أن قراءة السورة المذكورة بهذه الصيغة من معالم الدين فأدخلوا في الدين ما ليس منه وتقدم أنه ممنوع بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحائس) فيه رفع الأصوات في المسجد لغير ضرورة شرعية وقد ورد النهي عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا يجهر بمضكم على بعض بالقراءة » وقيل عني الصلاة والسلام « يا علي لا يجهر بقرأتك ولا بدعائك حيث يصلي الناس فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم »

« وقال في الدر المختار للسادة الحنفية « يحرم رفع الصوت في المسجد بذكر الالمنة قضية: اهـ » ولعل موضوعه فيما اذا كان في تشويش . وقال ابن العماد الشافعي : تحرم القراءة جهرًا على وجه يشوش على نحو مصل اهـ ومرو بأبي الحسن على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ولا سيما في المساجد فإذا عند التشويش لا يثبت في التحريم . نعم ورد النص على فضل قراءة هذه السورة ليلة الجمعة وبومها ولكن ليس كاعتاده هؤلاء الناس بل يقرأ لنفسه في بيته مطلقا أو في المسجد بدون رفع صوت حسداً من التشويش . وبعبارة قرة العين مع شرحها فتح المعين للامامة زين الدين الملبدي الشافعي فصلا وسُن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها لأحاديث فيها وقرأتها نهاراً أو كذا وأولاه بعد الصبح مسارة للخير وإن يكثر منها ومن سائر القرآن فيهما ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها أن حصل به تأذٍ لمصل أو تأثم كما صرح به النووي في كتبه » وقال شيخنا في شرح العباب ينبغي حرمة الجهر بالقراءة في المسجد وحمل كلام النووي بالكراهة على ما اذا خيف التأذي وعلى كون القراءة في غير المسجد اهـ قال محشيه السيد علوي قوله (لأحاديث) فقد صح أن من قرأها ليلتها أضاع له من النور ما بينه وبين البيت القريب اهـ

وفي فتاوي قاضي خان : رجل يقرأ القرآن ويحبته رجل يكتب الفقه لا يمكنه أن يستمع كان الاثم على القارئ لانه قرأ في موضع يشغل الناس باعمالهم ولا شيء على الكاتب اهـ فما بالك بمن كان مشغولا بنحو صلاة ويشوش القارئ عليه كالحاصل

بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة . ونحوه في القمح عن الخلاصة قال : وعلى هذا لوقرأ على السطح والثاس نيام يأتيهم اه قال ابن عابدين اي لانه يكون سبأ لا عراضهم عن استماعه أو لانه يؤذيههم بإيقاظهم ثم قال يجب على القاري احترام القرآن بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال فإذا قرأ فيها كان هو المنصع لحرمة فيكون الاسم عليه دون أهل الاشتغال دفعا للحرص اه

« وكذا في مذهب السادة الحنبلية وغيرهم فتحصل أن قراءة السورة المذكورة بهذه الكيفية التي اعتادها كثير من الناس بنوعه بإجماع المسلمين . وكيف لا وهي من الحديث في الدين . لمخالفتها لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وصالح السلف . ومعلوم أن كل ما خالف ذلك فهو في شرك الوبال والتلف . اه هذا ما رأينا نقله الآن من كتاب السبكي من غير بحث فيه وسنعود الى التثقل عن هذا الكتاب الذي نود أن يطلع عليه جميع المسلمين ، ونشكر مؤلفه غايته بخدمة الدين ، (تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة الهجرة الجديدة وفيه من الفوائد والمباحث العلمية والتاريخية والسياسة والأدبية ما جمع على اختصاره بين الفائدة واللذة وقد توسع فيه بالكلام عن مصر والسودان حتى أنه يفي عن كتاب (دليل مصر) لما فيه من بيان أحوال البريد والسكك الحديدية وذكر في باب وفيات الأعيان ما يخص تراجم كبار الرجال الذين ماتوا في العام الماضي ومنهم باي تونس والسيد الكواكبي . وذكر في باب القضاء أهم المسائل التي يحتاج الى معرفتها المتخصصون في المحاكم المصرية مرتبة على حروف المعجم . وفي باب الإحصاء طلبة العلم والعلماء بمساجد مصر . البريد المصري . سكك الحديد في العالم . الأمم والمدنة السكر . نسبة المتعلمين في الأمم . المائلات وخصف التناسل . الجربايد في العالم . سكان الأرض . السفن . اللغات . الزناني فرنسا . النساء في الولايات المتحدة . أعمار النساء . وغير ذلك . وحقلة القول في هذا التقويم أنه نديم المقوم ورفيق المسافر وقاموس العلم ومكتبة الحبيب . وهو يطلب من مؤلفه محمد قاسدي مسمود الخور بالمؤيد ومن المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش

﴿ النخبة الأزهرية . في تخطيط الكرة الأرضية ﴾

كتاب حافل في تقويم البلدان يدخل في أربعة أجزاء . الجزء الأول — عموميات على الدنيا . الجزء الثاني — مصر والحكومة السودانية . الجزء الثالث — أفريقيا وأوروبا . الجزء الرابع — آسيا وأمريكا والافيانوسية والاقليم القطبية . وفيه ٤٧٥

خريطه ملونة و ٦٦ صورة وشكلا . ومؤلفه اساميل اقندي علي الموظف بناية الاستئناف الأهلية ومدرس علم تقويم البلدان بالجامع الأزهر الشريف .

هذا ما يخص التعريف بالكتاب . ونقول إن قراء العربية في أشد الحاجة الى كتب مطولة في هذا الفن ومن المحيب أن وجدت كتب مطولة في أكثر المعلوم المصرية دون هذا العلم الذي يجب أن يكون عاماً ومن الفضائح أن يجمله ذكر أو انق . فمن نعم الله تعالى على قراء العربية ان سخر لهم رجلاً من أوسمهم اطلاعا وتدقيقاً فيه فوضع لهم هذا الكتاب وهو مؤلفه اساميل اقندي علي الذي زاول تعليمه في المدارس الاميرية أعواماً طويلة ثم لازال يعلمه في الأزهر الى اليوم

ومن شكر التعم أن يبادروا الى اقتناء الكتاب والاستفادة منه لأن الشكر انما يكون بوضع النعمة في موضعها الذي وجدت لأجله . ومن آيات الجهل الفاحشة أن يجبس هذا الكتاب الجليل في مكاتب الباعة زمناً طويلاً . ومن الاساءة الى الحسن أن يتفق هذا المؤلف زمناً طويلاً من وقته في التعريب والتأليف ووضع الخرائط بالعربية ثم يصرف ما بقا كبيراً من ماله في نفقات طبع الكتاب ولا تكون أقل مكافأة له من الأتم سرعة الاقبال على كتابه . أما صفحات الكتاب فهي ٦٤٠ من الشكل الكبير جيداً وثمنه أربعون قرشاً صحيحاً ومن لاحظ الصعوبة في طبع الخرائط الملونة بالألوان الكثيرة وصعوبة وضعها يعلم أن ثمن الكتاب رخيص بصرف النظر عن فائدته

اننا نصف هنا بعض الكتاب بالإجمال وانما نشق به ثقتنا بسعة اطلاع مؤلفه على كتب الافرنج الحديثة وله المذراذ اوقع فيه شيء من الخطا في احصاء أهالي بلاد كالبلاذ العثمانية لا يتيسر له الوقوف على كتب حديثة فيها كما يتيسر له في غيرها . وقد كان أول من انتقد هذا في الكتاب هو أول الممجين به صديقنا رفيق بك العظم قال : انه اعتمد على الاحصاءات القديمة . كقوليه عن سكان دمشق ان عددهم ٦٠ ألفاً مع ان الاحصاء الجديد الوارد ذكره في سلطنة الولاية الرسمية هو ١٤٣٣٢٩ وفي الحقيقة إنه يزيد عن هذا العدد أيضاً اذ يقدر البارفون سكان دمشق بمائة وستين ألفاً . وعلى هذا يقاس ما ذكره عن عدد نفوس قرية البلدان الكبيرة في الزيادة والنقصان ككتب بيروت وحماه وغيرها ولو اعتمد في النقل على سائحات الدولة الرسمية لكانت خدمته العظيمة ثم وضعه الجليل اكمل وانتقد عليه أيضاً عدم تعيينه درجات العرض للبلدان الكبيرة بالتفصيل أو الاقطار بالاجمال ولو فعل لأغنى المطالع عن مراجعة الخرائط الموجودة في الكتاب لمعرفة

عرض كل بلد أو قطر كما فعل غيره في كتب أصغر من كتابه . وانتقد أيضاً اختصار الكلام في المملكة العثمانية وهو يرجو كانز جوان يضع لها كتاباً مخصوصاً

باب الحكيمة والأحكام

الدولة الملية ومكدونية

نجم من عدة أشهر ناجم من الثورة في بلاد مكدونية فشخصت له أوروبا وأسرت روسيا والنفس إلى الدولة الملية بالنصيحة والحث على تلافي الأثر والمساعدة إلى إصلاح البلاد ووضعنا للإصلاح (لأئحة) عرفنا بها سائر الدول ثم قدمناها إلى الدولة ملحقين في المبادرة إلى قبولها فلم تلبث الدولة أن قبّلتها على علاقتها خلافاً لما فيها في التريث والحيث . ومن موضوع للأئحة وجوب استعمال الأوز بدين في الإصلاح لأنه لا ثقلاً وأوروبا رجال الدولة . وقد ساء هذا معشر الألبانيين ، ولم يقع موقعه من نفوس معاشر المسيحيين ، لأن نفوسهم طمعت بالاستقلال ، فكل ما دونه يمد عندهم من الأعياب الأطفال ، كان في أثر ذلك أومعه حركة في البلغار وهزة في السرب وطاف في الأذهان ، أن هذه الفتنة ستم بلاد البلقان ، وظهرت من بعض الدول العظام أمارات الاتفاق مع روسيا والنفسا ومن بعضهم علام السكوت وعدم المعارضة واحتلفت الظنون في نية روسيا ففجح بعض إلى ترجيح كفة السلم من جانبها بدليل نصائحها المتتابعة للباغار بين وغيرهم من شعوب البلقان بأن يخلدوا إلى السكينة ، ويتفقوا ظلال الهدون والمسألة ، ومال بعض إلى ترجيح كفة الحرب بدليل التقاليد القديمة التي وضعها بطرس الأكبر في وصيته (التي نشرناها في الجزء الماضي) وما يصدق ذلك من أخبار استعدادها الحربي في هذه الأيام

الحق أن لكل من الرأيين وجهاً وجيهاً وأن سياسة روسيا أصبحت دقيقة المسالك مشبهة الأعلام فينا ترى قيصر هاينادي بوجوب تعميم الأمن والسلام ، وممد ظلاله على رؤس جميع الأنعام ، تراء يستعد للكفاح استعداداً صورياً ومضوياً .

فأما الصوري فبإ نشاء الأساطيل وتكثير الأسلحة وإتقان العلوم العسكرية. وأما المنصوري فبمخالفة بعض الدول القوية ومسالمة بعض . ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا خلال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يطمع ولا يطمع شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جدد جدها بكتفي منها بلقمة كبيرة ياتهما ويركها بعد ذلك وشاتها . ولا بطوف في خاطر عاقل أنه يسمح بخياري الماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطمان ،

كانت قلوب المسلمين في العيدين محموسة فوق بلاد مراكن ثولها فتنة الخاراج ، كانوا سيرة الملاك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مراكن — هم الدولة المسامة الكبرى (وقالها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا . فاذا كانت لا تريد سوء افدع البلقان يضطرم بيران الثورة اضطراما ولا تخش مقبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سبر أوروبا بالمسألة الشرقية مذهب التفكيك وتحليل العناصر . وهذا المذهب خير لدول أوروبا واسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتوح والغلب لأن هذا يعوزه الاتفاق على ما ينسبر الاتفاق عليه ويقضي بذل أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر يخل من عناصر بلادهم وكل قطعة من تنقسم أرضهم تهدم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي . فاذا لم يتعلموا بشكر التذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون . فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعيشون

مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوروبا وما يديانها كبلاد الأرمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا أن أوروبا نصيرة لهم وأن الذريسة الوحيدة لإثارة نفرتها عليهم وتصددها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دماهم تأديباً لهم . ولعل أوروبا في مجموعها وروسيا خاضعة جرائم فكر الاستقلال في البلقان في خاصها تمعز عن ضبط حركة هذه الثورة التي تولدت وتأصلت ورسخت واندفعت عن بصيرة أو غير بصيرة . هذا ما ينبغي على تقدير إرادة

روسيا إطفاء الثورة والاكتفاء بما طلبت من الإصلاح فكيف اذا كانت تريد شيئاً آخر . . .

ماذا يجب على الدولة أن تفعله في هذه الفتنة وماذا يجب عليها أن تفعله في نفسها لأجل مستقبلها . اما الأول فالظاهر أن الذي تفعله الآن من اجابة طلب روسيا والنسأ إلى الإصلاح الذي طلبناه بدون تموير ولا تأخير ومن اختيار الموظفين الاوربيين للإصلاح من الامم الاوربية الضعيفة ومن الاستعداد للكفاح اذا طرأ ما هو أعظم من ذلك = هو الواجب الذي لا يمكن غيره . وأما الثاني فإن الجواب عنه لا يفهم ولا يقبل الا بعد العلم بأمور كثيرة أهمها (مالية الدولة) وان لدينا رسالة مطولة أو كتاباً صغيراً في ذلك لأحد الكتاب العثمانيين مستقى من البنايع الرسمية واننا ننشره تبعاً في أجزاء المنار ليصح للقارئ معرفة الدولة وما يجب أن تفعله لتنجو من الخطر . وان فهم حقيقة الدولة بما لا يد منه للمشغلين بمسألة الإصلاح الاسلحي لما هذه الدولة من المكانة في الوجود ومن المكانة في نفوس المسلمين في جميع أنظار الأرض . ولهذا أخذنا على أنفسنا أن نكتب في كل جزء من منار هذه السنة شيئاً عن الدولة العالية من بيان حقيقة وجودية ورأي معقول نرجو الانتفاع به . ونجنب في ذلك الممدح والذم للأشخاص المعينين

﴿ سلطان زنجبار والأمير العربي ﴾

نحمد الله تعالى أن حفظ البلاد المقدسة في هذه السنة من الوباء والأمراض وقد كتب إلينا من مكة المكرمة بأن صديقنا الأمير العربي الكريم محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين قد كان له من الحفاوة والاحترام عن سيادة الشريف ودولة والي الحجاز ما يابق بمقامه وأنه قد وفق الى توزيع ألف وخمسة جنية على علماء الحرم الشريف وخدمته وغمر بصدقاته الفقراء والموزين . وأنه تبرع بمئة جنية وعشرة جنيهات إعانة لسكة حديد الحجاز . وأن سلطان زنجبار تبرع لهذه السكة أيضاً بمئة جنية وخمسة جنيهات ووزع على المجاورين والمستخدمين في الحرم الشريف ست مئة ريال (يوم)

﴿ تقيمه ﴾

كل من قبل هذا الجزء من المنار فهو مشترك الى آخر السنة ويجب عليه دفع القيمة المينة على غلاف المجلة . ونستغني عمال البريد خاصة فنقبل منهم نصف القيمة

المحكمة

١٣١٥

يؤمنون بالحكمة من بناء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو أوتيتك الذين هداهم
الله وأوتيتك هم أوّل الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق)

(مصر يوم الأربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ - ٣ مايو (نيسان) سنة ١٩٠٣)

المكرامات والخوارق

(المقالة التاسعة فيما ينبغي عليه التمويل)

علم مما تقدم ان الامور العنصرية التي تسمى خوارق عادات ومعجائب منقولة عن جميع الامم فهي واقعة حقا ومنقولة بالتواتر اللغوي وبالتواتر المعنوي وان ادعاهما كثيرون من الناس كذبا وتملأوا للاشتهار بها تملا . ثم ان هذه الامور على ضربين - ضرب عرف عن أهله أنه صناعي يتوصل اليه بالعلم والعمل كالسحر والشعوذة فهو من الخوارق بالنسبة الى الذين لا يعرفون طريقه ولم يتقوا على علمه قال الله تعالى « يعلمون الناس السحر » وقال عز وجل « يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى » أي والحقيقة خلاف ذلك التفضل وقال « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » وقال حكاية عن فرعون « إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » . وضرب عرف عن أهله انه ليس له طريق صناعي يتوصل اليه العلم وإنما هو وراء الاسباب . والثابت القطعي من هذا القسم آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم الكلام عليها في المقالة الأولى وفي الامالي الدينية . ومنه ما يدعيه أو يدعى لكبار رجال الدين من أهل الملل والكلام فيه والمقصود منه بالذات ما عندنا معشر المسلمين

وقد ذكرنا حجج مثبتة الكرامات وحجج منكرها وأوردنا مارواه
المثبتون من الكرامات المأثورة عن الصحابة والتابعين وبيننا ما صح منها
وما لم يصح فليراجع كله في المجلد الثاني من المنار . وإننا نتم القول في
مبحث الكرامات بمسائل أكثرها مستفاد من المقالات السابقة وهذه
المسائل هي خلاصة رأينا في الموضوع فمن أنكر عليها . منها شيئاً فليكتب
اليانا مدلياً بحججه ونمده بأننا ننشر ما يكتب بمعناه أو بلفظه إذا كان صحيحاً
ومختصراً وغير خارج عن محل النزاع استطراداً الى مسائل أخرى . فان
كانت الحجة ناعضة سلمنا وان كانت داحضة بينا . ولا ينبغي لأحد أن
يرد علينا في الموضوع الا بعد الاطلاع على المقالات التسع لتلايمح في
شيء سبق بيانه فيهمل كلامه .

(المسألة الاولى) إن الاصل في كل ما يحدث في الكون أن يكون له
سبب وأن يجري على سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهذه الاسباب مطردة
متى تمت شروطها (كما قال الغزالي) وتلك السنن ثابتة لا تبدل ولا تحوّل
كما علم بالمشاهدة والاختبار ونص القرآن فهي مسألة اتفق فيها المسلم
والمقل مع نصوص الشرع فهي قطعية

(المسألة الثانية) إن من قضايا العقول ، التي نصها علماء الاصول ، أن
الظن الراجح لا يدارض العلم اليقين وأيد هذا القرآن أيضاً بمثل قوله تعالى
« إن يتبعون الا الظن . وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » وقوله عز وجل
« وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » وغير ذلك من الآيات الواردة
في إبطال عقائد أهل الزنغ والجحود .

(المسألة الثالثة) اجمع العلماء من الاصوليين والحمدنين على أن روايات

الأحاد المدول الثقات كالصحابة وإئمة التابعين المروفين ومن عرف بالصدق
وجسن السيرة مثلهم لا تفيد أكثر من الظن . وأجمع على أنه اذا روي عنهم
ما يخالف المقول القطعي والمنقول القطعي كنس القرآن فإنه لا يمتد بالرواية
ولا يمول عليها الا أن يوفق بينها وبين القطعي منقولا كان أو مقولا فقط
(المسألة الرابعة) ان العجائب والحوارق قد ثقات عن جميع الامم فليس
من الصواب التضاضل بينها وادعاء أن بعضها على حق وبعضها على باطل بسبب
ذلك وإنما يجب تحميم القول وتحريرها فان الناس مولعون أشد الولع
بالترائب ، وأكثر ما يتحدثون به منها كاذب ،

(المسألة الخامسة) كما يجب تحميم النقل والرواية يجب تحميم المروي
المنقول من الترائب ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخيلا للانظار . أو خداعا
للأبصار أو الأفكار ،

(المسألة السادسة) قد كشف العلم أسبابا لأمر كثيرة كانت تسمى
حوارق وكرامات فاذا علم بعد تحميم الرواية والمروي أن شيئا من هذه
الترائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع لآلئاس الاسباب من مظانها في العلم
الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن أن يؤل
اليه ، فهو الذي يصح أن يسمى خارقة أو أعجوبة والنظر فيه من وجدين —
حال من ظهر على يده وإمكان قياسه على غيره

(المسألة السابعة) اثبوت الخارقة على ما ذكر طريقان الحسن السليم
والتواتر الصحيح وكلاهما عسر جدا لان الحواس تخضع حتى تكذب صاحبها
فيما ترى وتسمع ، وأمر التواتر أعمد في العسر وصعوبة التحقق فان من شرطه
ان ينتهي الى حجب محقق باليقين وقد علمت ان الحسن يخضع في هذا المقام .

ومنها أن يكون الناقلون لذلك الخبر المحسوس جميعاً يستحيل في العقل السليم
تواطؤهم على الكذب واتخاذهم بما أدركوه بحسبهم وأن ينقل عنهم مثلهم في
كل طبقة من الطبقات. وإنك ترى أكثر الناس يسمون الأسماء المشهورة بينهم
متواترة لاسيما إذا كثرت تحدث الناس بها فإذا استقرت حلقات سلاسل
الروايات وجدتها كلها ملقة في آخرها بحلقة واحدة أو حلقتين أو ثلاث مثلاً .
وما انتهى إلى واحد أو آحاد فهو خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته وربما
رجحت الكذب في أكثر الغرائب المشهورة التي يسوقونها متواترة. الحق أن
الإنسان منهم طبعاً بائداً كل غريب لاسيما إذا صادف هوى في النفس
أو طابق التقاليد والاعتقادات المسلمة . فالحمد لله الذي جعل آية نبينا بينة قائمة
على وجهه لدهر محفوظة من المعارضة والنقض ، مادامت السموات والأرض ،
(المسألة الثامنة) إنك إذا بحثت في حال الذين يدعون الخوارق تجدهم
طلاب مال وطلاب جاه وأهم يقصدون بما يأتون استرهاب الناس بما
يؤمنونهم من قدرتهم على إيذائهم متى شاؤوا أو تعليق آلامهم بهم وإيهاهم
أن بأيديهم مناليد الرزق ومفاتيح الخير أو الجمع بين الأمرين حتى إنهم
جعلوا إرادة الله تابعة لإرادتهم كما قالوا في الكلمة المأثورة عن الربانيين
منهم وهي : « ان لله عباد ، إذا أرادوا أراد » (هكذا يقولونها بالوقف على
العباد على لغة ربيمة) ويتقلون عنهم من مثل هذه الجرأة على الله تعالى كلمات
كبيرة وأشعار أو أغاني تختلب قلوب المامة . وفي كتب النائد التي تقرأ في
الازهر وغيره من المدارس الدينية (كخواشي الباجوري على الجوهرة
والسنوسية) ان خوارق العادات تظهر على أيدي جميع أصناف الناس حتى
الكفار والفساق وتسمى إذا صدرت من هؤلاء على نحو ما يجبون استدراجاً
(٨ - انبار)

لأنها تفرم بآهم فيه من الباطل فيسترسلون فيه - حتى لا مطمع في هدايتهم
 وإذا ظهرت على يد مستور الحال تسمى معونة . ويخصون اسم الكرامة
 بالخارقة التي تكون للمتمسك بالشريعة اعتقاداً وتخلقاً وعمالاً في الظاهر والباطن .
 وإننا نقول لمن يأخذون أنوال هؤلاء العلماء بالتسليم: إذا كانت الحوارق تقع
 على أيدي جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على أن من تظهر على
 يديه محق في اعتقاده أو مرضي عندربه ونما يعرف ولي الله تعالى والصالح من
 عباده بأمر واحد وهو مطابقة اعتقاده للحق المؤيد بالبراهين الصحيحة
 وموافقته في أخلاقه وسجاياه وأعماله السرية والجزرية لما أرشد إليه الدين
 والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة بقدر الاستطاعة . ونحن نرى العامة
 ييحبون لمن يجري عليه يديه شيء من الفرائب جميع النكرات فهم يحكمون
 خوارقه في حاله من الاعتقاد والعمل ، والعلماء يحكمون حاله في خوارقه . فقد
 تناقض اعتقاد العامة مع اعتقاد العلماء ولا نرى أحداً منهم ينكر على الآخر
 ولا يجذب به إليه لأن حرية الإسلام قد انقلبت إلى فوضى بعد ذهاب منصب
 الخلافة وتولية الجاهلين بالدين أمور المسلمين

(المسألة التاسعة) من رأى بعينه خارقة للسادة أو نقلت إليه بطريقة
 التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعاً ولا تحميلاً وعلم أن من ظهرت
 على يديه ليس من أهل التليس والشعوذة ولا من طلاب المال والجاه
 واستمالة القلوب إلى الاعتقاد به وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه
 التأويل الآتية فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: إن كثير من
 الفرائب وخوارق العادات المألوفة قد كان يظن أنها خارقة عن نظام الخليقة
 وسنن الكون ومنشرة من سمط الأسباب التي تنظم بها المسببات ثم ظهر

أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية ، ولا نادرة من دائرة الاسباب
الكونية ؛ وهذا الذي أراه الآن ، هو مثل تلك في ذاك الزمان ، فيجوز
أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب ، وتزول الغرابة ويبطل المجب ؛
وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم
ليتوقعون ظهور علل جميع الصرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(المسألة العاشرة) اذا فرضنا أن العلم اظهر لما يؤثر من المعجزات
عللا روحانية وأسبابا خفية فلا يهمن وام ان ذلك قدح في النبوة او ظهور
لبطلانها . كلا إنه إن تحقق فلا يبعد ان يكون تحققة مظهر الحقيقة النبوة كأن
يتبين ان الارواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى
الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كاحياء الموتى وقاب العصا
حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لأن الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من
سننه الظاهرة والخفية وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى
يتصرفون فيه بمشيئتهم وإرادتهم متى شاؤوا وكيفما شاؤوا وإنما كانوا يتبرؤن من
حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ، يقولون انه واقع بإذنه
وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان وكانوا لا يملكون الآيات الا
بعد معاندة ومجاهدة من قومهم وإلحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن
البشر في افهامهم السببية وكان الله تعالى يقيم عليهم الحاجة التي يطلبونها ولم
تكن هي المدة في إنبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه
« ألم يا نكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم

وسلم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لنفي
 شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات
 والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان
 انتم الا بشر مثنا نريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين .
 قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من
 عباده وما كان لنا ان ناتيكم سلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .
 فهذه هي سنة الله في الانبياء والامم - يدعو النبي قومه الى الله بالبينه وهي كل
 ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل اقناعي فيطلبون منه آية كونية فيتبرأ
 من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع له
 المستعد لقبول ذلك ويعانده الآخرون فتحقق عليهم كلمة العذاب . قال تعالى
 « وما نرسل بالآيات الا تخوفاً » . فاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً معقولاً
 لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك انها كان تخويفاً نزعون وقومه وجاذبة
 لبني اسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بامثالهم في بلادهم وجفوتهم؟
 نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يمتنع على
 صحته الا بالمجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة
 كتابهم، أولئك الذين يعقون في كل بلاد إسلامية: إن القرآن لم يثبت الحمد (عليه
 أفضل الصلاة والسلام) المجائب والحوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست
 صحيحة: فالعلم الاولي والشرائع الدينية والمدنية والحربية والسياسية وتكون
 الامم وتربيتها من رجل أي تربى يتباني جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً
 إلهياً، وبرهاناً على صدقه قطعياء، وانما البرهان عندهم تلك الحكايات التي يتقلونها
 في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها

(المسألة الحادية عشرة) يؤيد ما ذكرناه في معنى آيات الانبياء وكونها لم تكن براهين لإثبات الدين ما جاء في الباب الثالث عشر من تفتية الاشتراع آخر أسفار التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهو (١) إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها فأتا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع للكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يتعجنكم لكي يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم « وما جاء في الباب السابع من أنجيل متى وهو : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تدبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فينشد أصرح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم » وفي الباب ٢٤ منه « لانه سيقوم مسحاء وكذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضالوا لو أمكن المختارين ايضا » فعلم من هذا ان اليهود والنصارى يجب ان يوافقوا علماء الكلام من المسلمين على ان الحوارق السكونية ليست دلائل برهانية قطعية على اصول الدين وعقائده وصدق دعائه كما أوضحنا ذلك في الدرسين ٢٩ و ٣٠ من الامالي الدينية (راجع ص ٣٧١ و ٣٨٨ م ٤) وقد اختلف المتكلمون في دلالة المعجزة على النبوة هل هي عادية او عقلية او وضعية وقد رجح الأخير بناء على انها بمعنى تصديق الله لهم بالقول (المسألة الثانية عشرة) سبق في المقالات الاولى أن أصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد أن تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي والثانية لا تكون كذلك وبأن الاولى يجب اظهارها لإقامة الحجة ، والثانية يجب اخفاؤها خوفاً من التهمة ،

وزاد بعضهم كالشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحيا الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاء مرض ومكاشنة خلافاً للقول المشهور «ماجاز أن يكون معجزة لئلي جاز أن يكون كرامة لولي» ، ولقائل أن يقول جمعاً بين القولين : إذا جاز ذلك في تصور العقل ، فإنه ما وقع ولا يقع بالعمل ،

(المسألة الثالثة عشرة) قال الشيخ محي الدين بن عربي أحد أئمة الصوفية إن خارق العادة لا يتكرر فإن كل ما يتكرر يكون معتاداً سواء عرف سببه أو لم يعرف . وهذا القول معقول وهو يقضي القضاء المبرم على تلك الزخوف والفيالق من حكايات الكرامات التي يجارب بها العامة عقلاء الناس الذين لا يستخذون ويخنعون لأولئك الجهال الذين يدعون الولاية بحجة أنهم في كل يوم يخبرون الناس بالمغيبات ويبرؤون المرضى من الأسقام بركاتهم ونحو ذلك . ويسمون هذا على تكراره كل يوم كرامة وما هو بكرامة وإنما بعضه كذب واختلاق وبعضه واقع بالأسباب التي سننبه عليها . ولكنه أسند إلى غيرها أو ادعى فيه الكرامة (للمسائل بقية)

دعوى صلب المسيح

﴿باب شبهات النصارى وحجج المسلمين﴾

جاء في الجزء الأخير من الجريدة البروتستانتية لبندان في الطعن بالإسلام إحداها محاوردة في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وقيح ، وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبية مع شيء من الأدب ونزاهة في هذه المدة هتكت ستار الأدب وتجاوزت حدوده مع أننا كنا نرجو أن يزيد في تحريه بعدما أسند تحريرها إلى نقولا أفندي روفائيل الذي نعرفه دمثاً لطيفاً الشبان ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بضعف نفوس المسلمين في هذا القطر ، فعلا في نفوس هؤلاء الدعاة إلى

النصرانية ما لا تقبل الخمر، فصار الواحد منهم إذا نسب الاقتراء إلى سيد الانبياء بالتصريح وكتبه ونشره يرى نفسه كأنه قد جلس على كرسي ميثاس الاول اورعسيس الاكبر ونحن نقول ان الحرية تنفع الحق ولا تضره وإن سوء الادب يضر صاحبه ولا ينفعه وإن الشعب الضعيف قد يقوى بشدة الضغط المعنوي عليه فيتنبه إلى التمسك بحقه والدفاع دونه وعند ذلك تزهق الأباطيل . واننا لم نطاع على ما ذكره إلا بعد تهيئة أكثر مواد هذا الجزء من المنار فاختصرنا مقالة الحوارق والكرامات وكتبنا بدل ثمنها هذه الكلمات ، ونرجي تفنيد أقوالهم في القرآن إلى الجزء الثالث من المنار، ونخص كلما تناهذه في مقام ذلك الحوار ،

ذكرت المجلة ان الحوار كان في مكتبة البر وتستان في السويس بين محررها وبعض المسلمين وإن المسلم احتج بالقرآن على نفي الصلب فأجابه المحرر :

« هب أنك كنت معاصراً للمسيح وعن يعرفونه شخصياً وحضرت في مشهد الصلب خارجاً من أورشليم فماذا كنت ترى؟ قال : كنت أرى ولا شك المسيح مصلوباً كآراء الجمهور : قلت : وماذا يكون إيمانك وبهيتك حينئذ ؟ قال كنت أؤمن وأؤمن وأشهد أنه صلب حقيقاً أبصرت بعيني وأبصر الجمهور في رائحة النهار

قلت : افرض أنك فيما أنت « وكذا بهذا التأكيد عن صلب المسيح وإذا رجل أمة من العرب أو تلك القوم المشركين يقول لك أنت المؤمن وقد مضى على حادثة الصلب نحو سبعين سنة عبارة القرآن هذه « وما صابوه وما قتلوه » (كذا) فهل تستطيع أن تكذب عيانك . وإن الجمهور وتصدق خبر هذا الأمة وبل الخبر أصدق من العيان

قال إذا كنت أعلم ان هذا الأمة المكذب للصاب رسول الله فأصدق خبره وأكذب عياني وعبان الجمهور لأن الله أعلم منا بمحقق الأمور قلت : وهل علمت انه رسول الله وإن هذه العبارة من وحي الرحمن لأمن تلقين الشيطان؟ قال : نعم علمت ذلك بدون شك : أحببت كيف علمته ؟ « قال ان محمداً (سالم) لما بعث رسولا أيده الله بالمعجزات الباهرة

قلت ليس لمحمد معجزة بدليل قوله « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون » ولكن هب ان له معجزة وأنت رأيتهما فبأي حق ترجح حكمك حسبك في رؤية معجزات محمد على حكمه في رؤية صاب المسيح أو نست تعلم انه إذا أرى الله الناس شيئاً على خلاف حقيقته ثم كذب ما أراهم إياد لا يموت الناس يصدقونه

إذا أراهم شيئاً على حقيقته • تعالى الله عن ذلك التسلاعب وهل هذا هو الدليل
القرآني الذي نحاول أن ننفي به حقيقة شهدت لها الكتب المقدسة من قبل ومن
بعد وأثبتها التاريخ والآثار وعانيتها جمهور عظيم من كل أمة تحت السماء • وعندنا
حجتي لم يكن عنده رد عليها وأمسك عن الكلام وخرج هو وأصحابه

«وعدا ذلك اعلم أيها القارئ العزيز أن عبارة القرآن» ولكن شبه لهم «منقولة
عن بقايا فرقة صغيرة من النصارى قد مرقّت عن الحق يقال لها الدوسيتيين الذين
اعتقدوا بلاهوت المسيح تماماً كما تعتقد النصارى اليوم ومن البسء ولكنهم انكروا
ناسوته وزعموا أن الحسد الذي ظهر به المسيح إنما كان صورة فقط لا حقيقة له أشبه
بظلال الخليل وأولوا الآيات الإنجيلية التي ثبتت كون جسده كسائر الاجساد ما عدا
الخطية فقالوا عن نموه في القامة ما كان ينمو ولكن شبه لهم وعن تناوله الطعام قالوا
ما كان يأكل ولا يشرب ولكن شبه لهم وعن نومه وسائر أعماله الجسدية المشار إليها
في الإنجيل قالوا لم تكن حقيقة بل شبهت لهم وعن صلبه وموته قالوا «ما صلبوه وما
قتلوه ولكن شبه لهم» فحمد الله إذ سمع مقالهم بصلب المسيح صورة دون الحقيقة
ولم يكن يعلم المبدأ الذي ترتب عليه هذا القول بدر بالمصادفة عليه رغبة في تزويه
المسيح عن الموت المهيمن ونكاته في اليهود والدليل على ذلك أن مقالة التشبيه هذه
لا يمكن أن تخطر مباشرة على بال ناقل ما لم يكن لها مبدأ كالذي ذكرناه «أه

هذه هي الحجة» ورنالقي أوردته بحجج وفها ونقول له في الجواب: ان الاسلام سيهدم الوثنية
التي غشيت جميع الأديان السماوية حتى يرجع الناس إلى الدين القيم دين التوحيد القائم على
أساس الفطرة المتضابق للعقل حتى يستترف الناس ان الوثنية السفلى عبادة الحجر
والشجر مثل الوثنية العليا وهي عبادة البشر فهو يهدم كل دين بالبراهين الراجحة.
فكيف تقوى عليه هذه السفسطة الفاضحة •

إذا فرضنا أن أجوبة المسلم له كانت قاصرة في معناها على ما كتبه فلا شك ان ذلك المسلم
تامر غر • والظاهر أنه زاد في القول ماشاء وحرف فيه ماشاء كما هي عادتهم وكأبدل
عليه المبالغة في تأكيد الصواب من المسلم بناء على ذلك الفرض ككلمة «كنت أرى
ولا شك» وكلمة «كما رآه الجمهور» وكلمة «كنت أوقن وأؤمن وأشهد» ومن عادة
المنكر إذا أقر بشيء على سبيل التمايم الجدلي الفرضي أنه لا يؤكده بمؤكد ما فكيف
نصدق ان ذلك انسلم انسل من هذه العادة الطبيعية العامة وغلا كل هذا القلو في
تأكيد الصواب ثم انقطع عن المناظرة وتوهم أنه رأى المسيح مصلوباً حقيقة وحار

في التطبيق بين مشاهدته، وقول من قام البرهان على عصمته، ١١ ونحن نذكر للكتاب البارع جواب المسلم العالم بدينه عن هذه المسائل

أما الجواب عن السؤال الأول فكل من يعرف الإسلام يقول فيه : اني لو كنت في زمن المسيح وكتب أعرف شخصه لحاز أن يشبه عليّ أسر تلك الإشاعة كما أشبه علي غيري وجز أن أعرف الحقيقة كما عرفها غيري فالنصارى أنفسهم لا ينكرون أنه وقع خلاف في الصلب وأن بعض الأنجيل التي حذفتها المجامع بعد المسيح بقرون كانت تنفي الصلب ومنها انجيل برنابا الذي لا يزال موجوداً رغمًا عن اجتهاد النصارى في محوه من الأرض كما محوا غيره . وإذا كانت المسألة خلافية وكان الذين اختلفوا فيه مالهم به من علم الاتباع الظن فاعلمنا الآن ألا نأخذ بما قاله عالم القيب والشهادة في كتابه المنزل على نبيه المرسل . وبهذا الجواب سقط السؤال الثاني وجوابه وكذلك السؤال الثالث . ومع هذا نقول أن السؤال الثالث غير وارد بحال فانه ليس عندنا مسألة مشاهدة وجاءنا رجل أمي من المشرىين يكذبها ولو وقع لنا هذا لكذبنا المشرى الأمي وصدقنا بصرتنا . وأما عندنا مسألة تاريخية اختلف فيها الناس وظهر فيها نبي أمي باتفاق جميع الأمم ولكنه علمنا الكتاب والحكمة وهدم الشرك والوثنية من معظم الممالك بقوة إلهية أعطاه الله إياها . وبما جاء به حل عُقد الخلاف بين الملل الكبيرة ومنها هذه المقدمة فوجب اتباعه في ذلك

وعجيب من نصراني يفي دينه على التسليم بأقوال مناقضة للحس والمقل في كتب ليس له فيها سند متصل ثم يحاول هدم كتاب سباري منقول بالتواتر الصحيح حفظاً في الصدور والسطور بمول وهمي وهو فرض أننا رأينا المسيح مصلوباً وما رأينا مصلوباً والفرض اللوهم ، لا عس الثابت المعلوم ، يقول هذا النصراني أن التوراة التي يحملها هي كتاب موسى من الله تعالى وكله حق . وفي هذه التوراة مسائل كثيرة مخالفة للحس والبرهان العلمي فكيف يؤمن بها ؟ كيف يؤمن بقوله أن الرب قال لإحياة وتراباً تأكلين كل أيام حياتك . وهذه العبارة تقيده بتقديم المفعول أنها لا تأكل كل غير التراب وقد ثبت بالمشاهدة أنها تأكل غير التراب كالخشرات والبعض ولا تأكل التراب مطلقاً ، وكيف يؤمن بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وإن كلا من هذه الوحدة وهذا التعدد حقيقي ؟؟ وأمثال ذلك كثير في الكتابين

وأما السؤال الرابع فجوابه أننا علمنا أن محمداً رسول الله وأن ما جاء به وحي من

ان القبالبراهين العلمية ومنها ما أشرنا اليه آنفا في مقالات الكرامات والحوار قد راجع المسألة العاشرة وقررناه بالتفصيل. في مقالات سابقة. وأثبتنا آنفا من نص نوارتكم وانجيلكم ان الآيات والمعجائب الكونية لا تدل على النبوة وانها تصدر على أيديهم الكذبة والمضلين

هذا إذ سلمنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤت الآيات الكتاب العلمية. وما كان عليه يديه من الهداية العملية وكلاهما يدل على نبوة كما تدل المؤلفات النفيسة في علم الطب والمعالجات الناجمة المرافعة على ان صاحبها طيب بخلاف عمل المعجائب إذ جعل دليلا على ان صاحبه طيب. فانه لا يتجدع به الا الجاهلون لأنه لا علاقة بين معرفة الطب وبين عمل الأعجوبة. والمسلم ان يقول ان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتي آيات كونه كثيرة ولكنهم يجعلونها ولا أتباعه من بعده عمدة في الدعوة التي دينة لأن دلالة هذا النوع من الآيات أضعف ولأن خاتم النبيين عليه يحاطب العقول ويؤيد العلم ويحدد الأساليب ويبطل السحر والكهانة والخرافة والاندجل ايرتقي الانسان بعلمه وعمله ولا يستخذي لمبدع من عبادة الله تعالى

وأما قوله تعالى « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » فهو مخصوص بالآيات التي تقترحها الأمة فتعريف الآية فيه للعهد بدليل ملرواه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني وغيرهم في سبب نزوله وهو ان قريشا اقدحت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن يخفي عنهم الحبال فيزوروا. ولا يخفى أن هذه أسئلة تمت وعناد ولا فلاحاً في الآيات التي أيدها الله تعالى بها فيهم لم يقبلوا على مسارعتها ولا تقضها. ولما طلبوا آية غير معينة كما هنا نزله قوله تعالى « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم »

وأما قول القصراني إن محمداً أخذ إنكار الصلب عن الدوسنيين فهو من الافق الخفي يرض عنه المسلم وليكتنا ذلك بمناسبة خلقه من خلائق هؤلاء المعتدين من دعاة النصارى وطريقتهم في الاعتراض على القرآن وهي أنهم يقولون فيما ورد فيه عن الانبياء والأئم بما هو معروف ويعترف به أهل مذهبهم: إنه أخذهم عند وليس وحياً من الله. وفيما هو معروف عند غيرهم ولم يوافق أهواءهم: أنه مأخوذ عن الظلغة الفلانية الكاذبة النصالة المبتدعة وليس وحياً. وفيما لا يميز عند غيرهم ولا عند غيرهم كالأموال التي حمل تاريخها واندرست رسوماتها: إنه غير صحيح ولا وحي لأنه لا يميزه احد: ولا يخلق الكلام

في الأمم من هذه الأقسام والذين الأجي لم يتعلم من أحد مذاهب الأمم وآراء الفرق المختلفة لأهلهم يكن في بلادهم ممن يعرفها ولا يعلم يكن يعرف في غير بلادهم من المؤمنين الجاهلين ولأنه لم يولد في طائفة في كل ما يقولون بل اتبع للوحي المنزل عليه من الله والله علام الغيوب وان لما في هذا المقام تنبيها آخر وهو أن اعتداء هؤلاء المستدين على الاسلام وتصدينا للرد على أباطيلهم عقبة في طريق الدعوة الى الاتفاق وإزالة الضغينة والشقاق وتعلمون على عمارة البلاد فان المسلمين يعلمون أن هؤلاء الطائفتين في الاسلام مستلجرون من قبل الجملات الدينية لتشكيك طاعة المسلمين في دينهم وإهانة كتابهم ونبيهم وأن هذه الجملات تنفق على دعائها في كل سنة أكثر من ثلاثة ملايين حبة لا أجل هذا الفرض ونتيجة هذا أن النصارى بمجموعهم لا يمكن أن يرضوا عن الأئمة الاسلامية حتى تسع ملتهم فالذنب في نكل عداوة وشقاق على النصارى دون المسلمين ولما ردا عنهم وتصدينا لبيان أباطيلهم فلا ينبغي أن يكون له تأثير سيء في النصارى لأنه هفاج لا اعتداء فان رد للشبهات الواردة على الدين فريضة دينية على جميع المسلمين اذا لم يقيم بها أحد كانوا جميعاً عصاة لله تعالى فاسقين عن أمره فحقن ندفع الحرج عن نفسنا وعن جميع المسلمين في هذه البلاد بحكم الاعتقاد لذلك لربوينا وللتصرف في إرثنا وهم ليسوا كذلك ومن البلاء أن هؤلاء الطائفتين لا يؤثر فيهم البرهان لأنهم لا يطلبون الحق وإنما يطلبون المال فاذا استطاعنا إسكات غيرهم عن يكتب لنفسه شخصه فلا يتيسر لنا إسكاتهم لأن منهمهم الشخصية مرتبطة بهذا الطامن ولذلك نضطر الى الرد عليهم دائماً عملاً بالواجب المحتم عابداً في الدين فلا يلومنا عقلاء النصارى الذين عرفوا مضرة التصصب الذي بل يجب عليهم أن يساعدونا عليهم بخطتهم في سيرهم وان كانوا راضين منهم فهم أنصارهم وأوليؤهم والله ولي المؤمنين

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

معجزات نبينا عليه السلام : (س) علي افندي مهيب بتفتيش عموم التلفرافات بمصر : أرجوا أن تبينوا لنا كل المعجزات الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الشريف لأن الناس في اختلاف كثير فيما جاء عن معجزاته عليه الصلاة والسلام وسيكون قولكم هو الفصل في هذا الموضوع جزاءكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً : (ج) ان آيات النبوة أعم من المعجزات فمن آيات نبوته بشارت الأئمة الساهية

وهي لا تسمى معجزات وإن في مكتبة الفاتكان برومية إنجيسلا مكتوباً بالقلم الحبري قبل بئس النبي عليه الصلاة والسلام وفيه هذه العبارة بحروفها « وبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ثم إن معجزة القرآن تتضمن معجزات كثيرة كما علم من مباحث النار السابقة وسندين ذلك في الأملالي الدينيّة والرد على شبهات النصارى. والظاهر انكم تسألون عن المعجزات الكونية لالعامية والادبية وهذه كثيرة جداً ومستفيضة ولكنّها لم نجعل عمدة في الدعوة الى الاسلام وطريق اثباته للحكمة التي بينها في مقالات متعددة آخرها المقتاتان الثامنة والتاسعة من الكرامات والحواري وأونجها مقالة (الآيات الينات على صدق النبوات) في المجلد الرابع ولهذا لم يمتن بتقلها الصحابة والتابعون لتقل عنهم بالتواتر وانما اشتهرت ثم تواترت من بعدهم وتنتهي اسانيدها الى أفراد منهم فتقلها شيعه بتقل معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام من حيث استفاضت على السنة للتأخرين ولم تؤثر الا عن أفراد من أهل القرن الأول . إلا أن قل معجزات نبينا الكونية أضبط وأصح من تقل معجزات المسيح (عليهما السلام) لأن لها أسانيد متصلة اشخاصها معروفون إذ وضع لهم كتب مخصوصة في تاريخهم ولذلك ترى المحدثين يقولون ان سند هذه المعجزة صحيح وسند هذه ضعيف وهذه ثابتة وهذه مكذوبة أو واهية لأن في سندها فلانا الذي كان يكذب في بعض الأحيان ، أو فلان الذي كان كثير النسيان ، وليس للنصارى مثل هذه الاسانيد المتصلة : أما استقصاء ما كان سنده صحيحاً أو حسناً وما كان مختلفاً فيه لترجيح أحد الوجهين فليس جواب السؤال بمحل له على أنه غير ضروري ويتوقف على مراجعة جميع ما نقله بأسانيد وتاريخ رجالها وهو كثير جداً حتى ان بعض المتأخرين ألف في المعجزات كتاباً يدخل في ثمان مئة صفحة ونيف

ومن المروي في الصحيحين خبر انشقاق القمر روياه كثيرهم عن جماعة من الصحابة ودفع العلماء ما اعترض به من ان ذلك لو وقع امرفه أهل الآفاق ونقلوه بالتواتر وان لم يذكروا سمييه بأنه كان لحظة وقت نوم الناس وغفلتهم وأن القمر لا يرى في جميع الأقطار في وقت واحد لاختلاف المطالع وان بعض المشركين لما قالوا : هذا سحر ابن أبي كبشة فانتظروا السقار : وانتظروهم جاؤا فأخبروا بأنهم رأوا القمر من ليلهم تلك قد انشق ثم التأم وبأنه يجوز ان يكون رآه غيرهم وأخبر به فكذب به من أخبرهم أو خشي أن يكذبه فلم يخبر وليس بضروري ان يراه في تلك اللحظة

علماء الفلك على قتلهم في الحجة التي رؤي فيها • ولكنني لأذكر ان أحداً أجاب عن كون هذه المعجزة كانت مقترحة مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يبط الآيات المقترحة لأنها سبب نزول العذاب بالأثم إذا لم يؤمنوا • وقد روي أن انشقاق القمر كان بطلب كفار قریش ولا أذكر لهم أيضاً جماعاً بين آية «أقربت الساعة» وانشق القمر» وآية «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» ولا بد من تأويل إحداها وقد أول بعضهم الأولى فقط وليس هذا المقام مقام التطويل في هذه المباحث ومن المعجزات الواردة في الصحيح أيضاً إطعامه عليه السلام النفر القليل من الطعام القليل جداً رواه الشيخان وغيرها من حديث جابر ومن حديث أنس وقد وقع ذلك مرات كثيرة • ومنها نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى كفي الحيش وقد تكرّر هذا أيضاً وبهذه رواياته في الصحيحين • وقالوا إن هذه المعجزة أعظم من انفجار الماء من الحجر على يد موسى عليه السلام فإن من شأن المياه ان تنبع من الاحجار • ومنها الاخبار بالغيوب في وقائع كثيرة جداً وبهذه في الصحيحين وغيرها كقوله • «وج عمار تقتله الفئة الباغية» قال السيوطي في الحقائق هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر وقد قتله فئة معاوية عند خروجهما على امير المؤمنين عليه السلام ولما ذكر لهم الحديث لم ينكروه لان منهم من كان يرويه قبل هذه الفتنة كعمرو بن العاص وإنما أولوه بتأويل ضعيف فقالوا : انما قتله من اخرجه • ويلزم من هذا ان يكون النبي عليه الصلاة والسلام هو القاتل لعمه حنزة ولسائر اصحابه الذين دافعوا عنه عن الدين • وتروى هذه الحجة عن امير المؤمنين كرم الله وجهه

ومن اللطائف في هذا الباب ما رواه ابن سعد في الطبقات من طريق عمارة ابن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل و«و لا يسئل سيقاً وشهد صفين وقال أنا لا أضل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تقتله الفئة الباغية » قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لي الضلالة ثم اقرب فقاتل حتى قتل :

ومن قيل حديث عمار قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن عليه السلام « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني عن أبي بكر عن الحسن • ومع

هنا قد بحث بعضهم في سماع أبي بكر بن الحسن لأن بعض المحدثين أنكروا الصحيح أنه سمع، ولتثبت مقدم على الثاني
ومما يحزن الجليلي الذي كان بخطب عليه رواه البخاري وغيره وقال الناج السبكي إنه متواتر بكاشف القمري روي عن نحو عشرين مجتهداً من طرق صحيحة وتفصيل للوقائع التي كانت فيها هذه الآيات يطول في طلب من مواضعه... ومنها إراء كثير من من الملتهات والأمرض باللمس أو التفلّه ولو أردنا أن نذكر طعن المحدثين في بعض لتسديد المعجزات التي لم تصحح — كقول ابن كثير في حديث إحياء البنت المليّة أنه منكر جداً وقول ابن الجوزي في حديث نطق الجمار أنه موضوع وقول للزني في حديث نطق الضب لا يصح إسناداً ولا متناً إلخ — فكانت عبرة للموافق والمخالف في تحري المسلمين وتبهم في نقل معجزات نبهم فليأينا المخالفون بضبط كهذا الضبط وأسناد كهذه الأسناد فيما يروون عن رسولهم، وقد سبهم ثم ليتجهجوا على عظمتنا بمجاشيهم وغرائبهم، وفرق أكبر من هذا بيننا وبينهم وهو أنهم إذا عجزوا عن اثبات مجاشيهم لا يبقى لهم شيء ونحن عندنا آيات الله الكبرى — القرآن والعلم الأعلى من الأسمي، وما يتبع ذلك وبهذا القدر كفاية

القسم المسمى

الدولة المليّة وماليّتها

(بقلم المؤرخ اللبناني صاحب التوقيع الرمزي)

إن بالمال قوام الدول وعزها وقد كثر الكلام في إصلاح الدولة المليّة ما كان منه وما يجب أن يكون وأكثرت المتكلمين في ذلك على جهول بحقيقة الحال فأينا أن نكتب في مالية الدولة وأحوالها كتاباً نستقي مسائله من الموارد الرسمية لا يظن ظان أن الحال في مالية الدولة حديث بل هو قديم يصعد تاريخه إلى واسط حكم السلطان عبد العزيز وازداد في الأدوار الأخيرة الإسراف والزرف من جهة وسوء سلوك المستخدمين تحصيل الأموال من جهة أخرى فسرى داء الحال في سائر فروع الحكومة حتى استعصى الداء وعزّ الدواء وأنشأت الحزينة العثمانية يضرب بها المثل في الإفلاس، وصارت تؤخر دفع رواتب المستخدمين أشهراً متصلة فكان لذلك ضرر عظيم حتى على سياسة السلطة إذ لم تكن الحكومة تدفع رواتب المستخدمين في أوقاتها كباقي

الحكومات المنتظمة لما كان الظلم وصل إلى هذا الحد ولما كان يظهر هذا التآلم العام والشكوى من الحكومة وأعمالها ولما كان الإحسان ينفذ للتدخل في شؤون الدولة الداخلية . وباليتمس بتدخلون لمصلحة جميع رعايا الدولة بدون تفرق بين الملل والجناس . انما يتدخلون انحصاراً لفئة دون أخرى . فإذا كان المستخدم لا يقبض راتبه في السنة سوى شهرين أو ثلاثة شهراً فلا بد ان يظلم العباد لسلب أموالهم حتى يسد رمقه وورق عياله وأولاده . على ان أكثر صغار المستخدمين في الحكومة العمالية هم من أفقر الناس لا يملكون شروى تقير سوى الراتب الرسمي الذي يجده قليلاً جداً بالنسبة إلى الوظيفة .

وكثيراً ما نسمع بأن الحكومة ألقت لجنة لإيجاد طريقة تعطي بها الرواتب لأربابها وبعد ان تم ذلك اللجنة بضع جلسات ونشر بعض شذرات عن أعمالها في الجرائد يخفي أثرها ولا تعود نسمع لها ذكراً حتى تنقضي شهور فتزف الجرائد حينئذ لنا بشرى تأليف لجنة أخرى بناء على إرادة سفية ولمر حتى الآن نتيجة تلك اللجان الكثيرة العدد .

تقدم دواوين الحكومة من حيث دفع لرواتب في عاصمة الدولة إلى ثلاثة أقسام قسم تعطي رواتب مستخدميه كل شهر بصورة منتظمة مثل نظارة البوستة والتلفراف وأمانة الرسومات (الجمارك) وما يقبضها من القروض ونظارة الدفتر الخافقي وصندوق الدين العمالي والبنك الزراعي ولهذا السبب تهافت طلاب الاستخدام على الدواوين المذكورة تهافت الجياع على القضاة .

وقسم يقبض ثمانية أو تسعة شهور في السنة ومن هذا القسم وزارة المعارف ووزارة العدلية « الخفائية » وأمانة الشهر « مشيخة المدينة » .
والقسم الثالث لا يقبض الا أربعة شهور أو أقل مثل وزارة المالية والخرجيية والداخلية « ويستثنى من هذه مصلحة النفوس ذات الربح لأنها تدخل في القسم الأول » .
وشورى الدولة ونظارة الضبطية ومستخدمي المابين الهمايوني ووزاري البحرية والحرية وهذه الأخيرة هي أسوأ حالا من جميع الوزارات لكثرة المطالب عليها واتساع نفقاتها وكثرة عدد الضباط النظام .

اما حالة المالية في الولايات فهي أسوأ منها بالعاصمة لأن الولاية يضطرون إلى امتثال لأوامر التي تصدر دائماً من الاستانة قاضية بإرسال كل ما جعب عندهم من الدراهم قليلاً كان أو كثيراً إلى الاستانة وإذا لم يتمكن إوالي من سرعة الامتثال يأتيه التوبيخ

وراء التوبيع حتى يميز من وظيفته شرعية . فلذا ترى الولاية يتساقبون الى ايرسال الدرام الى العاصمة ولايقبون عندهم لدفع الرواتب اولاء مشروعات المفيدة شيئا وقد كانت الحكومة في السنين الأخيرة اتخذت طريقة زعمت أنها ترضي الناس فما كان منها اتساع دائرة الخلل اتساعا عظيما واشتداد الأزمة المالية وهذه الطريقة هي إرضاء كل من يشكو أو يتالم من شيء أو ينتسب الى أحد العظماء بوظيفة عضو في إحدى المجالس أو بأية عطاءه راتباً كبيراً يقبض وهو جالس في منزله والإعلاء بالرتب ذات الرواتب الكبيرة جزافاً بدون تفريق بين المستحق وغير المستحق والجدول الآتي المستخرج من سجلات الحكومة المبنية لرسمية لسنة ١٢١٨ هجرية يظهر صدق ما نقول .

﴿ شوري الدولة ﴾

هذا المجلس ينقسم الى ثلاثة فروع : الأول دائرة الملكية والثاني دائرة التنظيمات والثالث دائرة المحاكمات .

ودائرة المحاكمات هذه تنقسم الى محاكم ابتدائية واستئنافية ومحاكم فيها أكابر المستخدمين الذين يرتكبون ما يحبط بقدر وظيفتهم أو يخل بمواد القانون وكان الأعضاء في مجالس شوري الدولة الثلاثة قبلاً لا يتجاوزون الاربعين اما الآن فإن عددهم يزيد على مئة وخمسين بينهم ٧ برتبة وزير و ٢٥ برتبة بالا وواحد برتبة صدر روم ايلي وواحد برتبة صدر اناطولي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الأول و ١٢ برتبة روم ايلي بكاريكي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الثاني والباقيون من أصحاب رتبة التمايز فما دونها ولا يحق أن عضو شوري الدولة الذي هو أعظم مجالس الدولة الحاضر لرتبة وزير أو بالا أو روم ايلي بكاريكي لا يمكن أن يكون راتبه أقل من مئة وخمسين جنيا في الشهر وليس بين أعضاء هذا المجلس من يقبض أقل من عشرين جنيا في الشهر فإذافر ضنا لكل عضو في المجلس ومنهم أصحاب الرتب السامية وهم الاكثرون « ٤٠ جنيا شهريا يكون المجموع ٦٠٠٠ جنيه » هذا أقل ما يمكن تصوره للاعضاء وزيد عليه رواتب المستخدمين من الرؤساء والكتاب وغيرهم

(وزارة المعارف)

يوجد في وزارة المعارف مجلسان يقال لأحدهما مجلس المعارف والآخر يسمى « أجمعين تفتيش » وكان هذا قبل أن تهمل الوظائف جزافاً يتألف من بضعة أعضاء مقدرين ذوي اهلية واستعداد لا يدارة معارف السلطنة بخلاف ما يرى عليه

أعضاءهما الآن ولا نخوض غمار هذا الباب لأنه ليس من خصائص رسالتنا هذه وربما عدنا إليه في رسالة أخرى .

أعضاء المجلسين اليوم هم خمسة وستون ماعدا الرؤساء وكتبة أقاليمهما وراتب كل منهم لا يقل عن ١٥ ج ولا يزيد عن ٥٠ ج في الشهر فإذا فرضنا لكل منهم ١٠ جنيهات يكون المجموع ٦٥٠ ج شهرياً ولا يدخل في هذا الحساب رواتب الكتبة والرؤساء والمدارس التابعة لوزارة المعارف كثيرة جداً وأغلبها مجانية وهذا هو سبب الإقبال عليها . ويوجد في الاستانة وحدها ٤٢ مدرسة تتبع الوزارة المذكورة منها ست عالية وهي المكتب الملكي ومكتب الحقوق ومكتب الطب الملكي ودار الشفقة ودار المعلمين ومدرسة الفنون الجميلة وخمس تجهيزية واحدة منهم خاصة بالتجارة . وللبنات ثلاث عشرة مدرسة واحدة منها عالية وهي مدرسة المصلحات وثلاث للصنائع وتسع ابتدائية

أما مدرسة الصنائع للذكور فإنها تتبع ديوان الأشغال كما ان كثيراً من المدارس عالية وتجهيزية وابتدائية تتبع ديوان المعارف العسكري التابع لوزارة الحرب وسيعي بيانه في الكلام على الوزارة المذكورة . وهذه الوزارة في أغلب عواصم الولايات وبعض حواضر الأولية « اللواء في الولايات كالمديرية في مصر » مدرسة تجهيزية - ماعدا بعض الولايات الأسيوية - ومدارس ابتدائية وأما مراكز القضاء فقلما يوجد فيها مدارس والمعلم في المملكة العثمانية إجباري قانوناً وعملاً وكل من لا يعلم ابنه أو بنته يعاقب حسب المادة الواردة في نظام المدارس فيجب والحالة هذه على الدولة ان تعفي اعتناء تاماً بإدارة هذه المدارس المهمل أمرها ويختار لها أساتذة مقتدرين ذوي كفاءة تامة وبحر وبروجراماتها ونجملها على أساس متين كمدارس أوروبا مع العناية بالعلوم الدينية والمبادئ وتنفيذ أحكام القانون القاضي بإجبار الناس على تعليم أولادهم وتنشيط مدارس ابتدائية في كل مركز قضاء ومدارس تجهيزية في حواضر الأولية وتكثر من مدارس الصنائع والتجارة في عواصم الولايات ولا بأس من فرض مبالغ جزئية على كل تلميذ نظير أجره اتململ ليساعد على نفقات المعارف .

وهذه الوزارة حصة معلومة من أعشار الدولة قدرها انسان في المئة غير ايراداتها الخاصة بها . فلو آفقت هذه الاموال في الوجوه الموضوعه لها لعادت على الامه بالنفع العظيم (لها بقية) (العثماني)

« م م ق »

أناجيل الحسية

« كتاب من صديق الى صديق في هذه الديار ، يصف له فيه حال بعض الأقطار »

سيدي الاخ اذاتذكرت مصر فلا تذكرها الابك، واذا جنحت اليها فلا أخرج الا اليك ، قلبي يهواك ولساني يذكرك لأنك مطلب الروح ومبتغى النفس . فان كرمك وحلمك وفطنتك وعلمك ونيلك ونفرك — تلك نياشين المجد — جعلت لك سناء يخطف أبصار عشاق الحلال الكاملة وان لم يروك فنبالك مولاي وانا ذاك الذي ملكك قلبه على ينة بمد درس جديك ونشاطك وعزمك وحزمك وعفتك ونزاهتك وغيرتك على دينك وشذك في الحق ونزوعك الى نصرته — خلال تفوق عدد رمل الدهاء . وتربو على نجوم السماء، فكيف أتبين منك هذه الحلال العظيمة واستطيع مع البعد سلوا

هذا واني بين قوم تتعالى نفوسهم عن الحق ، ويتجافى جنوبهم عن ضامج الصدق، لاهم ما توافاضوا تراخوا ، ولا هم انتبهوا فاراحوا، غشهم طائف من الجهل جعلهم يتجبطون في بعضهم بعض (١) كالذي يخبطه الشيطان من المس حتى اضطررت ان اعتصم بحبل العزلة واتزوي في ركن بقي على خلاف عادي التي تعرفها . استغذروا الله مخاطبة واحد من هؤلاء القوم لاهم عليه من الغاوة الزائدة والجهل المطبق والحق الشديد والياد بالله تعالى فلا بلاهة المصري ولا غباوة السوري ولا استبداد التركي ولا جهل الأعجمي (٢) ولا غرسة الافغاني أشد على نفوس العقلاء من تمخرق هؤلاء (٣) فان أولئك القوم مع ما هم عليه قد نجب فيهم أحرار أرباب يفرّد واحد منهم بأمة كاملة فخا الله بلاداً وأوسقيا لها ورعا تجب أمثال عبده وعثمان (٤) والكواكبي ورفيق ورشيد وكال ومدحت

(١) كان الصواب أن يقول: يتخبط بعضهم في بعض : (٢) يريد بالأعجمي العجمي وهو من جنسه المعجم ويراد منهم الفرس وأما الأعجمي فهو نسبة من الى الأعجم وهو من لا يفصح في القول وان كان عربياً وينسب الى نفسه مباغلة . وظاهر ان هذه الاوصاف لا تنطبق كلها على الموصوفين (٣) ورد: مخرق الرجل: أي موه . وكذب واختلف في أصاكت وفي العربية ولم أجد تمخرق ولكنه مستعمل في الكلام العربي الذي قلما تخلو منه الرسائل الشخصية الآن (٤) ظاهر انه يعني بعبده الأستاذ الامام واما عثمان فهو الدكتور عثمان بك غالب العالم الطبيعي المشهور . وقد فصل بين المضاف والمضاف اليه بالمعطف على المعامل في الثاني

وعالي وقودا والباب ورقة العين وجلال الدين . وسحقاً لامة (١)
مولاي : لا يستطيع القلم ان يصف لك ولو شيئاً قليلاً مما رزئت به هذه البلاد
من نكد الطالع وجهل بأسر وطيش حلم وافن رأي بهذه الورقة الصغيرة ولكن لا أظنه
يحل عليك بيان رؤس منها ومنها تعلم البقية

(لنا علماء) ولكنهم جاهلون متكبرون متعابنون متغابون وهم آلهتنا (يريد أنهم
عبّدوا الناس باستعلائهم) حديثهم بطونهم ونديقاتهم ومباحثهم خاصة بمسجائب النكاي
وكرامات القبور وعلمهم كعلم آلهة الاشوريين لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد ولا ينعدم
وهو محصور في تصرف أكل يأكل أكلاً !!! وفي إعراب هذه الجملة : ليت لي
قطاراً من الذهب فأحجج به : وهو عندهم من نخي مالا طمع فيه أو مافيه عسروني
اكتشاف متعلق الجار والمجورور في إعراب البسملة وفي فرض وجه للحكم في عدة
زوج الممسوخ هل تعد عدة طلاق أو عدة وفاة وفي جواز تزوج الخني بالانسية
والانسي بالجنسية أو عدمه وفي اختراع نكت في التفسير في معنى تفاخر فرعون
بجريان الانهار من تحته في حكاية القرآن ففاصت أفكارهم في التهر ولم يوقف لهم
فيه على أثر !!

اذ قالت لهم ان هذه أو هام في أو هام زعمروا واستكبروا ، ومزقوا ثيابهم
وطمروا . (٢) وصخبوا ولعبوا ، وبكوا وانحبوا ، وقالوا : هذا آخر الزمان : ووشوا عنك
أنت كافر ، لا تؤمن باليوم الآخر ، واستمانوا عليك بخطاء العامة فيسكتونك أما طوطا راما
كرها — طوطا اذا وثقت سجزك عنهم وكرها اذا وثقوا بقدرتك عليهم فاستملوا معك
سلطة الحكومة (٣) التي لا تخل بها عليهم الدخلاء ، وربما كان ذلك من مقتضى سياستهم لأنهم
لا يودون أن يقبصر الناس ولا أن يرفعوا رؤسهم من شبكة الاستبداد . وهناك يتحكم
القضاء ، ويجري البلاء ، وأين الصابرون الذين يوفون أجرهم بنير حساب ؟

(لنا حكام) ولكنهم أميون جبناء متخاذلون ، لإرادتهم شريعة القاهرة ، وحكمهم سلطان
نافذ ، لاراد لقوهم ، ولا مانع لحكمهم ، فالحاكم منهم يجمع في شخصه ثلاث سلطات فهو
مشرع منفذ مراقب كأنه المسيح عند النصارى يجمع في شخصه ثلاثة أقانيم . استغفر الله ، من

(١) ذكرنا حادثة رأينا السكوت عنها على فطاعتها إخفاء تلك الامة
(٢) لأعرف هذه الكلمة الا في كلام العامة ومعناها انتفضخوا (٣) كان ينبغي
لنقول فاستمانوا عليك بسلطة الحكومة

أين للمسيح المقهور أن ينال سلطة من السلطتين الاخيرتين ولو نالها لم تكن بها على الأقل من تخيف وطأة أكابروس اليهود آه ! دعني أنفث الآهات حتي يفرغ الصدر فان الناس عندنا أرقاء ، وأسواق المحاكم اسواق الاسترقاق ، فلا قانون يزع ، ولا مسؤولية تردع حكامنا اما قضاة شرعيون وإما حكام سياسيون . فالقضاة الشرعيون يتولون الحطة بعد دراسة تلك الكتب القديمة التي أخفى عليها الذي أخفى على ليدقعي أحدهم وأتبا قليلا فيحديده بسائق الضرورة إلى الرشوة ويستعمل الخبث في وظيفته وبحجور ويسد للبرهم والدينار لا يكتفي بأحدهما فلا يمر عليه زمن قليل حتي تتمدد مركباته بعدد أنواعها وتكثر قصوره بمدمواقها ويكثر خدمه وحشمه وعبيده وجواره فلا الحديوي في مركبه ، ولا السلطان في مركبه ، بأعظم من قاض شرعي في بلادنا ذاتني في الاسواق فودخل المحكمة وهذا والمامة والخاصة !!! يستقدون أنهم سجادة الرسول وشرع المصطفى وأن ما يحكمون به في الارض يبرم في السماء واذا نظلم منهم مظلوم تقوم على رأسه للقيامة وتأتي عليه الآخرة بعذابها . أولئك يشيعون أنه مارق من الدين لا يرضي بالشرع ولا يقبل حكم الله فيه فتكفره العامة وأنت أدري بماقية هذا التكفير . على أن أهل الحل والعقد لا يجحدونه ضمناً (١) ابتغاء مرضاة القضاة حتى يفسدوا الاختلال في الشريعة وتآلف الأمة من نفسها القاضي لدى حكامها وتطلب استبدال الشريعة بالقانون (٢)

وليس رجال محاكمنا الأهلية بأقل خطراً على الأمة من قضاة الشريعة لأن مصدر تربيهم واحدة . . . فاعمالهم بالطبع تكون متقاربة متشابهة ولا يكون هناك فرق بينهم اللهم الا في الشكل فان القاضي الشرعي يردى بأردية الإيهام والكسل ، والآخر يلبس لبوس النشاط والعمل ، وهذه غاية الفرق بينهم

أما الأحكام فالقاضي الشرعي يرجع فيها إلى قواعد مشتتة متضاربة متخالفة يطبقها على القضايا بحسب ما يراه والقاضي الأهلي يعتمد فيها الماديات والاصطلاحات التي جرت عليها السياسة السالفة بدون أن يكون لديه قانون يرجع اليه ، أو دستور يعول عليه ، فالطريقة الأولى كسيت صبغة الشرع اسما ، وهذه أعطيت لقب القانون رسمياً ، وفي الواقع لا شرع ولا قانون

(أحداثنا) هم مطعم آمالنا وزهرة حياتنا وهم ينقسمون إلى قسمين قسم عامة وهم لا كلام عليهم . وقسم خاصة وعددهم لا يزيد على ربع ! عشر ! تسع ! نحن !

(١) للمروفي « ما يجدي عنه » (٢) الصواب : استبدال القانون بالشريعة : أي جعل القانون بدلاً عنها وهذا مما يغلط فيه أكثر الكتاب تبعاً لاجرائد

سدس ! خمس ! معشار الأربعين من مجموع الأمة • وهم يقسمون على أنفسهم الى قسمين — قسم تربى في المهد الديني • • • وأهل هذا القسم عبارة عن مختصر أزهرى فهذا أيضاً لا كلام عليه • بقي الكلام على القسم الثاني وهو المراد من قولنا : أحداثنا هم مطمح آملنا : فإن هذا القسم مع قلة عدده وضعف مدده ليس بكامل التربية — هذا ان لم نقل انه لا تربية له — لأنه لم يتعلم شيئاً برقي ذهنه عن أفراد قومه وغاية ما تلقى من التربية قشور مارية عن اللب كدرس اللغة الأجنبية ومبادئ قويم البلدان وقواعد من الطبيعة وشيئاً من الحساب وكل ذلك لا يخرج عن درس الاشياء التي يتقاهها تلامذة المدارس الابتدائية في البلاد المتقدمة ولا حظ له من تعلم اللغة العربية • عموماً حتى يعرف أن لديه لغة وافرة المواد كثيرة المصادر لديها من الفاظ موسسات العلوم ما يكفي لتلقيح نهضة جديدة اذا فرغت في قولها الحقائق المكتشفة ، والاخترعات المجددة ، وعلى فرض وجود من درس هذه اللغة فإن معلوماته لم تتجاوز الحلقة الضيقة من التعليم الابتدائي فضلاً عن التنوير والمالي فهل مفرقه لها والحالة هذه تجدي نقمًا ؟ فهذا القسم الذي نطن فيه خيراً ونملق عليه آمالاً هو من العامة ولا شك (وأي) فزع من العامة) وان ضرره أكبر من نفعه • ما ظنك بشاب دخل المدرسة ولا يدري أبواه ما سيتعلمه فيها وما سيكون من أمره تفرج منها متعواً دائماً التأنق في اللبس والمأكل والمشرب وحب الرياضة مع العوانس والأبكار والجلوس في المحلات العمومية للمقامرة والتسلي بالمشروبات الفولية وذلك بلارب يستلزم كثرة الاموال واتساع نطاق المكاتب فان كان غنياً بعثر المال واستنزف الدينار استنزافاً ، وان كان فقيراً أهراق ماء الحياء وعبت بشرفه واستهان بناموسه ووراء دربهات يسدها حاجات تربيته الجديدة الناقصة ؟ ومن يهن عليه اللعب بشرف نفسه فشر فأمته لديه أهون ولا شك

هذا ولا يربز عنك ان هذه المنقذات لجامعة الأمة والمحلات لتناصرها اذا كانت تدفعها يد ماهرة كيد السخلاء فإنها تلم بها من طرق مجهولة كثيرة الشباب وخطرها متوقع لا محالة • وهذه الأخطار الحاققة بهؤلاء القوم الساكنين ليست بنت زمن ولا منشأ سبب بل هي نتيجة اشتركت في ترتيب مقدمتها الأزمان والأسباب وصعب على عاجز مثلي أن يفهم هؤلاء القوم خطر موقفهم مادامت النفس غير قابلة والقلوب واهنة والبصائر مطموسة والحواس مقشوشة ونائرة الجبل قائمه • فنبأ أحاول إصلاح ما فسد من أخلاقهم وتجديد ما اختلوا في من خلاشهم

ما يجدي الإصلاح في قوم يعتقدون ان كل كلمة طيبة هـ مرتقة ، ، وكل كلمة حادة زندقه ، وكل خلق جديد كفر ، وكل سعى الى الأمام ، خطوة من خطوات الشيطان ، ماذا يجدي الإصلاح في قوم يتظرون خروج الدابة وقيام السجمل وظهور المهدي ونزول المسيح وطلوع الشمس من مغربها ونفخة إسرافيل وهذه اشرط الساعة والساعة لا تقوم الا على شر الخلق ؟ ماذا يجدي الإصلاح في قوم خلقوا أشراراً فجاراً فساقاً فضلاً كـتب الله عليهم أن يكونوا عاشرين في الأرض مفسدين في السماء ؟ لا إنشاء دولة وتكوين أمة أهون على نفوس العاينين بالإصلاح من إصلاح أمة من الإسلام عفواً يا مولاي فاني قد أطلت عليك وحنكها على همك وزدتك غمّاً على غمك فلا تلذني فصدري ضاق على اتساعه وحمل هوماً ناءت أمة كاملة بمحملها فكيف يستطيع حملها ذلك الشكل الصنوبري ؟ فهل لأخيك قرب المخرج من هذه الديار ؟ . . .

فان العيش على شوك السبال في منقطع العمران لأهون عليّ من معايشة قومي ، ما تنكر شخص قومه كما تنكرتهم وما ينس ساع لرشد كما ينست قومه لو حاولت ان احصي لك المقلّاء فيهم لا اكنت شتار اليدعّاء أليس هذا من بواعث اليأس ، ودواعي البأس ، ؟ اهل المراءى منه [التار] هذا كتاب رجل كنا نصفه أليم كان يتناهاً كثيراً وصف به نفسه من سعة الصدر . كنا نصفه بأه لو فطرت السموات وانثقت الأرض وخرت الحبال هذا لما بالى ولا اهتم وها هو يشكو هذه الشكوى المرة من حال بلاده . أليس في هذا عبر لمن يعقل ، أليس دالاً على الفرق بين هذه البلاد وغيرها فأين شكر النعمة من التمس عليهم وأين الاعتبار بالبلاء من حل بهم ، وقد ختم الكتاب بأن الرأي الوحيد في تحريك أذهان قومه نشر المجلات والجرائد الناقصة والكتب المفيدة فبح الله مقاصده وحياله من المصطفين الأخيار من يشد عضده

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِلَهِيِّ

الدولة المليية والحرب

تستمد الدولة المليية للحرب لأن الفتنة في بلادها لا تزال تزداد وقد كنا في خوف عظيم من روسيا حتى أعطتنا الجوائب الأوروبية بعض الاطمئنان من جهة

روسيا نفسها ومن جهة الدول العظمى . أما روسيا فقد قررت ترك منشوريا بسبب المسر المالي والمسرلا بفهم نارا للحرب مختاراً لاسيا اذا كان خصمه من أقرانه في ميادين الكفاح . وأما أوروبا فإننا نرى انكطراً تقرب من فرنسا وفرنسا تتقبل تقربها بقبول حسن ولا نرى سبباً لزيارة ملك الانكليز للجمهورية الفرنسية الا إقناعها بعدم إعانة روسيا على حرب تركيا بل عدم اعازتها على الحرب لما في ذلك من الخطر العظيم على أوروبا كلها . اما الحركات العسكرية التي يجريها روسيا فليست اكبر مما يستاد في أيام السلم من الاستعداد والتبرين والله في غيبه شؤون

فاذا كان استمرار بشاة مكذوبة على بفهم وتماديهم في ثورتهم انكالا على البغار والصرب فلا خطر على الدولة من ذلك وهي قادرة على تدويرهم وان لم تستفد من ذلك شيئاً لما علمناه من تعصب أوروبا عليها واتفاق الدول الكبرى على منع المسلمين من الانتفاع من التصاري او التسلط عليهم ولو بحق . والناس يوجدون خيفة من تألب الالبانيين وخروجهم اعدم الرضى بمطالب أوروبا وروسيا والنمسا تأجّن على الدولة بوجود كبهم واخضاعهم دون المكذوبين لأنهم مسلمون . ولعل حكمة مولانا السلطان تكفي الدولة مغيبهم بالتي هي أحسن

﴿ ثورة مراکش ﴾

لا يزال أمر الحارج على سلطان مراکش في استفحال وقد طمع في الملك وتجراً على خطاب بعض الدول بالاعتراف بكونه السلطان الرسمي لمراكش ويقال انه سيزحف على قاس وهذه عواقب الجهل والاهمال . وسننشر في جزء تالشرط الصاح بين صاحب مراکش ولويس السادس عشر ملك فرنسا ليطلع من لم يقرأ التاريخ ان عهد مراکش بالعمة والقوة غير بعيد

﴿ فرنسا والجزائر ﴾

كنا كتبنا مقالة عنوانها (فرنسا والاسلام) نصحنا فيها لهذه الدولة العظيمة بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسنى لتملك قلوبهم وتؤمن غائلهم . ونحن نعلم ان فرنسا لم تكن مرتاحة الى تلك المعاملة القاسية التي كانت تعامل به مسلمي الجزائر ولكنها كانت ترى انها هي الطريقة المعنية وانه يجوز أن يظهر لها خير منها . وفي هذه الايام قد زار الجزائر رئيس الجمهورية وبشر الاهلين بأن هذه الزيارة مبدأ معاملة جديدة مرضية وبالف في استهالة القلوب وطلب الائتلاف ولولا المزم على حسن الفعل لما

صدر عنه مثل هذا القول وما جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿ المدرسة القضائية في السودان ﴾

علمنا ان حكومة السودان قد قررت إنشاء مدرسة لتخريج القضاة الشرعيين واشترطت في تلامذتها ان يكونوا قبل الدخول فيها معروفين بالاستمسك بالدين مخلقا وعمالا وان يكونوا عارفين ما يجب معرفته من المقائد الاسلامية والمبادئ وصاحبي للام بأحكام المعاملات • ومدة الدراسة أربع سنين والعلوم التي تعلم فيها هي الخط الاملاء الحساب الهندسة تقويم البلدان التجويد والتوحيد والمنطق والحديث والتفسير والفقه وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والإينشاء وتاريخ الاسلام والآداب الدينية وحكمة التشريع والعمرينات القضائية والتوقيعات ونظام المحاكم ومما يدرس فيها كتاب احياء العلوم وكتاب حجة الله البالغة

واننا نتخلى لو يبادر أولياء الامر في مصر الى مثل هذا العمل الذي كنا اقترحناه على مشيخة الازهر من نحو أربع سنين فان داء المحاكم الشرعية في مصر لا يمكن برءه الابترية القضاة تربية تؤهلهم للقيام بأعباءه كما صرح به الموردي كرومر في تقريره وكما يعلمه كل عاقل بصير • وهذه الدولة المليئة لها مدرسة مخصوصة لتخريج القضاة (مكتب الثواب) وهي غير مدرسة الحقوق • فالواجب على أولى الامر في مصر العمل بما كنا اقترحناه من انتخاب طائفة من نابي الازهر يعلمون فيه التعليم القضائي ليكون قضاة فان كان هناك مانع من تعصب المشيخة فالتعين إنشاء مدرسة مخصوصة لذلك واننا لتتسم من حكومة السودان أنها ستحيي الاسلام في تلك الاقطار وتقيم أحكامه فإن هي فعلت فلا شك أنها تملك جميع ما يلزم مستقلا من الممالك السودانية لأن المسلمين في تلك الاقطار شديدو التمسك بدينهم والتمسب له كأهل الجزائر فاذا قيديا به سلسوا للاقياد ، والأصروا على العدوان والعداء • وان لدينا نبأ من تقرير قاضي قضاة السودان عن المحاكم الشرعية يبشر بدير حسن وعاقبة حميدة ونية للحكومة سليمة وسننشره في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾

ضاق هذا الجزء عن باب الترفيض ومنه تمه الكلام في انتقاد رسالة الشيخ محمد مجتبت ولدينا انتقاد على عبارة في التفسير وموعدنا في ذلك الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

ببشر الحكمة من بشاره ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي جبراً كبيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منيراً » كهار الدلاريق)

(مصر يوم الأربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ - ٣ مايو (نيسان) سنة ١٩٠٣)

عن النبا العظيم ﷺ

آثار جديدة . هدم دين أو دينين . ملك أم الله . مذهب جديد في النصرانية .
قيصران ام نبيان . خطوة من اوربا . وثبة الى الاسلام . ظهور آية من آيات القرآن .
حيا الله التاريخ والمؤرخين فكم كشنا من خفايا الاكوان ، وأظهرنا
من خبايا الازمان ، وكم أضل الجمل بالتاريخ من إمام كبير ، وعالم نحرير ،
فانحرف عن سبيل ، وأخطأ محجة تأويل ، فقد كان مثل الامام فخر
الدين الرازي يتوهم ان التوراة منقولة بالتواتر ويحيل لذلك ان يكون وقع

في ألفاظها التحريف والتبديل ويصرف الآيات الواردة في ذلك الى التحريف المعنوي وسبقة الى هذا الرأي مثل الحافظ البخاري قياسا على نقل المسلمين لكتابتهم . وما كان ينبغي لأمثال هؤلاء أن يضسوا الأقيسة النظرية ، حيث يجب ان تكون البراهين اليقينية ، ولذلك خالفهم الاكثرون . وإنما لنسمع في كل يوم ناعقا من دعاة النصرانية يصيح محتجا على عوام المسلمين بقول فلان وفلان من علمائهم إن التوراة التي بين الايدي سالمة من التحريف اللفظي محفوظة من التبديل . وكيف قبل قول أحدي أمر عندنا فيه الحكم العدل ، والقول الفصل ، وهو كتاب الله تعالى .

ولسان الوجود أفصح منسر لكتاب الله تعالى
كان علما المسلمين يحكمون على التوراة والانجيل ولا يطعمون عليهم ، فلما اطعموا سددوا وقاربوا ولكن لم يتجلب حكم القرآن الا بعلم علماء أوروبا وبجهم عن . ثار الاولين ، ووقفهم على تاريخ الأقدمين ،

بين هؤلاء العلماء ان كلام التوراة في الخليفة مخالف لما أثبتته العلم في مسائل كثيرة فقام أهل التأويل يقولون ان العلم غير الدين وإن كتب الدين اذا تكلمت عن الخليفة فانما تتكلم بما هو معروف عند الناس لانه ليس من غرضها بيان حقائق الموجودات وإنما غرضها إصلاح القلوب وهذا الكلام صحيح ولكنه ليس عذرا مقبولا عند العلماء عن ذكر أمور مخافة للواقع لا حاجة اليها في اصلاح القلوب . واذا سكتوا لهم على هذا فبأي تأويل يدفعون ما أظوره الاكتشافات الاثرية من مخافة تاريخ التوراة للأثار التي حفظها بطن الارض للامم : أم كيف يدفعون تلك القوارع التي تظهر من علماء الالمان قارعة بعد قارعة وبها

استبان ان التوراة مقتبسة من البابليين بعد السبي حتى شرائعها وأحكامها كتب بعض هؤلاء العلماء كتابا حديثا أودعه جداول أحصي فيها ما وقف عليه من الكلمات البابلية في كتب العهد القديم التي يطلق على مجموعها لفظ التوراة وبين أن تلك الكلمات التي مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى (عليه السلام) واستنتج من مباحثه ان هذه الكتب ألفت بعد ان سبي البابليون بني اسرائيل بأزمنة مختلفة. ولعل هذا الكتاب النفيس ينقل الى العربية في زمن قريب فان اعتداء دعاة البروتستانت قد أعد النفوس للعناية بمثل هذه الكتب فكانوا نافعين للاسلام والمسلمين ، خلافا لما يتوهم بعض الغافلين ،

بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخص من هذا وهو أنه وجد في الآثار التي اكتشفت من عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة (حموربي) او (ملكى صادق) منقوشة على عمود من صم الصفا (الصوان) فاذا هي متفقة مع شريعة التوراة في اكثر الأحكام. فيجزم الباحثون بأن الاسرائيليين قد اقتبسوا شريعتهم التي يسونها التوراة من هذه الشريعة أيام كانوا في أسر البابليين . وكانت النتيجة عند هؤلاء العلماء ان موسى لم يكن نبيا وشريعة قومه لم تكن وحيا !! اشتبه عليهم الباطل بالحق والحق بالباطل واننا نجلي الحقيقة في هذا المقال بما هو لب الباب ، والعجب العجيب ،

(حموربي او ملكى صادق) يقول علماء ألمانيا الأعلام كثيرهم ان حموربي هذا هو اسرافل المذكور في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين في قصة لا تنطبق تماما على الاكتشافات الحديثة وهو هو (ملكى صادق)

لأن معنى هذه الكلمة العبرانية « ملك البر او ملك السلام » وهو يأتى نفسه بهذا اللقب فى شريعته المذكورة آتانا . ومما جاء فى الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان ملكى صادق هذا تبارك على ابراهيم (عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام) وان ابراهيم أعطاه العشور . قال بعد ذكر محاربة ابراهيم لكدر لعومر وله ترجاته الأسرى ومنهم لوط أخوه : « ١٧ فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك ١٨ وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله البلي ١٩ وباركه وقال : مبارك إبرام من الله العلي ملك السموات والارض ٢٠ ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداك فى يدك : فأعطاه عشرا من كل شيء » وقال بولس زعيم الديانة النصرانية المعروفة بهذا الدرد فى آخر الفصل السادس وأول الفصل السابع من الرسالة الى العبرانيين ما نصه : « ١٩ حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائرا على رتبة ملكى صادق رئيس كهنه الى الأبد ١ لأن ملكى صادق هذا ملك شاليم كاهن الله العلي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه ٢ الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء . المترجم أولا ملك البر ثم أيضا ملك شاليم أي ملك السلام ٣ بأدب بادام بالاسب . لا بداية أبدا ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهنا الى الأبد . ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشرا أيضا من رأس الثنائم »

هذا هو ملكى صادق بشهادة العهدين العتيق والجديد ناذ كان الله — تبارك وتعالى — يحل فى الاجسام كما يقول النصارى فن أجدر بهذا الحلول من ملكى

صادق وهو يمتاز على المسيح بكونه من غير أم ولا أب وكونه بلا بداية ولا نهاية وهو الذي بارك إبراهيم أبا الأنبياء وهو واضع الشرائع التي اقتبست منها التوراة. والنتيجة انه بشهادة الـ١٢٠٠٠ الذين آمنوا من إبراهيم وموسى وعيسى وان شئت فقل ان بواسطته عن البشرية، ورضاه بأخص صفات الألوهية، والتاريخ يشهد أنه وثني أذليت هذه الكتب أيضا كتبا وثنية»

(هذه التوراة) لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد فقدت. ثم وجد عندهم غيرها وقد شتم وجد غيره. والخبار عندهم في ذلك معما وطرقا مشتبهة الاعلام، حالكة الظلام، جاء في الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الأيام الثاني: « ١٤ وعند إخراجهم النضة المدخلة الى بيت الرب وجد (حلقيا) الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى ١٥ فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر الى شافان ١٦ فجاء شافان بالسفر الى الملك « الخ. وفي دائرة المعارف انهم ادعوا ان هذا السفر الذي وجدته حلقيا هو الذي كتبه موسى (قال) ولا دلائل لوم على ذلك. وأقول ان ادعاء شخص بمثل هذه الدعوى لا يوثق به فانه مهما كان عادلا لا يزيد خبره عن كونه مضمون الصدق محتمل الكذب

ثم ان هذه النسخة التي وجدوها قد فقدت أيضا والمعتمد عليه عندهم أخيرا هو ما كتبه عزرا كما فصلناه من قبل في الجلد الرابع من المنار ففي الفصل السابع من سفر عزرا ما نصه: « وبعد هذه الامور في ملك أرطخشستا ملك نارس عزرا بن سرايا بن عزريا بن حاتيا ٢ بن شلوم

ابن صادق بن أخيطوب ٣ بن أمريا بن عزريا بن مريوث ٤ بن زرحيا
ابن عزري بن يقي ٥ ابن أبيشوع بن فينجاس بن العازار بن هرون الكاهن
الراس ٦ عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى
التي أعطاه الرب إليه إسرائيل . وأعطاه الملك حسب يد الرب إليه عليه
كل سؤاله - الى ان قال - « ٨ وجاء الى أورشليم في الشهر الخامس في
السنة السابعة للملك ٩ لانه في الشهر الاول ابتداء يصعد من بابل وفي
أول الشهر الخامس جاء الى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه ١٠ لأن
عزرا هيا قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة
وقضاء » وذكر بعد هذا صورة الكتاب الذي كتبه هذا الملك لعزرا
الكاهن بالاذن لبني إسرائيل بالعودة الى أورشليم معه من شاء منهم
وفيه مائنه : « ٢٥ أما انت يا عزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع
حكما وقضاة يقضون لجميع الشعب - الى ان قال - ١٦ وكل من لا يعمل
شريعة إلهك وشريعة الملك فليقص عليه عاجلا إما بالموت » الخ
بهذه العبارة يستدلون على ان عزرا كتب التوراة بعد فقدتها وهو
لا يدل على زعمهم وأنى له ان يكتب التوراة كما أنزلت وقد مضت القرون
عليها وهي مفقودة ولم ينقل ان أحدا حفظها كما يحفظ المسلمون القرآن
في صدورهم . نعم لا يمكن ان أمة تؤتي شريعة وتعمل بها وتساو بأحكامها
ثم تنساها بالترك كلها بحيث لا تحفظ منها شيئا بل الحقول ان العمل من
أسباب الحفظ فالإسرائيليون وان طال عليهم أمد السبي وحكوا زمنا
طويلا بغير شريعتهم لا بد أن يكون أهل الفهم والبصيرة منهم قد ظلوا
يذكرون كثيرا من تلك الأحكام الالهية فلما رجعهم ارتحشتا ملك بابل

وأذن لهم بالعودة الى بلادهم وأمر كاهنهم عزرا بأن يضع لهم قضاة وحكاما يعمدون بشريعة الإلهم وشريعة الملك كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجدت هذه التوراة زيجاً من الشريعتين كما تبين بالاكتشافات الجديدة . وكتب العهد المتيق التي يسعون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام قد كتبت بعده بزمان طويل كما بيناه في الجزء التاسع عشر من المجلد الرابع ومن ذلك ما جاء في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثية الاشتراع ونصه : « ٢٤ فمنذ ما كمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب الى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضموه بجانب تابوت عهد الرب » الخ

ومنه ذكر وفاة موسى في النص في الاخير من هذا السفر المناسب اليه وقول كاتبه بعد ذلك « ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » ثم قوله « ولم يتم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى » وهاتان الجملتان تدلان على ان هذه التوراة قد كتبت بعد موت موسى واندراس قبره بزمان طويل وقد ذكرنا في ذلك الجزء ان علماء بروستانت لم يسعوا الا الاعتراف بفقد توراة موسى وان صاحب كتاب (خلاصة الادلة السنية ، على صدق أصول الديانة المسيحية) صرح بفقدائها وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة ملك منساوأمون وانه قال بعد ذلك « والامر مستحيل ان تبق نسخة موسى الأصلية في الوجود الى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب

بمختصر الهيكل . وربما كان ذلك سبب حديث كان جاريا بين اليهود على ان الكتب المقدسة فقدت وان عزرا الكتب الذي كان نبيا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصاح غلطها وبذلك عادت الى منزلها الأصلية » هذا نص عبارته بالحرف . وقد علمت ان ليس في سفر عزرا ذكر نسخ ولا كتب وانما قصارى ما يفهم منه ان الملك البابلي أمره بتعيين حكام لاسرائيل يحكمون بما يعرف من شريعة إلهه وشريعة الملك

ونتيجة ماتقدم كله ان أسرار التوراة الحاضرة نسبا تؤيد لاكتشافات الحديثة وانه ثبت بمجموع الأمرين ان التوراة الحاضرة ليست توراة موسى وانما فيها شيء منها لاستحالة ان تكون نسبت كلها وذلك كاف في هدم الديانة اليهودية والديانة المسيحية المبنية على كتبها

(زلزال النعمرانية في أوربا) أنس النصارى واليهود بما في كتبهم من الدلائل على عدم الثقة بنقل التوراة والانجيل وكابروا أنفسهم وأناس بدعوى تواترها مع ان شرط التواتر ان ينتهي سند الرواة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى من جاء بالكتاب كأن ينتهي تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذي لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به هل هو من البابليين أم هو مزيج مما حفظ عن أجداده وانتبس عن ساداته البابليين . ولكن القيامة اليوم قائمة في أوربا لاكتشاف شريعة هموربي (ملكي صادق) وبيان انها توافق هذه التوراة في أحكامها وتخالفها بعض المخالفة في تاريخها لأنهم لم يروا مجالا في هذا للدكابة

والمواربة . وقد حكم العلماء بأن ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) هو الذي جعل نسخة هذه الشريعة من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها وأن موسى (عليه الصلاة والسلام) قد اقتبس منها كل ماآه يصلح لسياسة بني اسرائيل كما اقتبس بعض ذلك من الشريعة المصرية التي تربى في بيت ملكها وبذلك تكون هذه الشريعة التي ينتخر اليهود والنصارى بأنها إلهية مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه)

خطب العلامة اللاهوتي الأثري (دليتش) أحد أعضاء (جمعية الشرق) في هذا الموضوع خطبة مطولة في برلين حضرها قيصر الألمان والقيصرة وجماهير العلماء والكبراء وقال في خطبته على رؤس الاشهاد إن شرائع التوراة منقولة عن الشرائع البابلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المنروس في القطرة وذلك أنه ختم الخطابة بقوله : إننا نضع أيدينا على قلوبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر عنها :

قرع هذا العالم النصرانية بهذه القارعة في ذلك الملاء العظيم تترزلات هي ولم تزلزلك مكاتته من نفوس القوم وان كان فيهم من استاء منه لأن تقاليد الدين مطبوعة في وجدانه فهو يأانس بانطباعها ، ويتألم لانتزاعها ، أولأن السياسة تقضي بالمحافظة على الدين وان زلزل العقل ، وزعزع النقل ، فقد نقلت الجرائد أنه بعد خطابه جلس الى القيصر والقيصرة يحادثهما ويحادثانه بكل طلاقة وقبول . وقد عجب بعض الناس أن رأوا غليوم الثاني الذي أقام أوروبا وأقعد هائم دعها الى محاربة الصين ساعا أن

أهانت بعض دعاة الدين يلاطف عالمالاهوتيا أثريا بعد ان قضى على هذا الدين القضاء المبرم . ولا عجب فان الدين عند هذا القيصر وأمثاله من آلات السياسة ولا يصح ان تكون السياسة عدوة للعلم الذي هو أقوى آلامها

المذهب الجديد : بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب مرة أخرى ثم أعمل رأيه في المسألة فلاح لذهنه الوتاد ان يضع للنصرانية مذهباً جديداً يستبقي به كونها آلة سياسية تنفع بها أوروبا في مقاومة الشرق ويقطع به لسان العلم عن الحاجة والمجادلة فكتب الى صديقه الاميرال (هولمن) كتاباً يقول فيه ما ترجمه باختصار قليل جداً :

« ان الاستاذ دليتش دخل مع القيصرة والوكيل العام (درياندر) في بحث استمر عدة ساعات وما كنت أنا الا من السامعين . ومن سوء الحظ ان الاستاذ انتقل من البحث التاريخي في المسائل الدستورية الى مسائل دينية لا محل لها فلبحث مصغياً حتى اذا ما انتهى الى الخوض في العهد الجديد عرفت رأيه فانه قال في مخلصنا أقوالاً شاذة مفاضة لما أرى وأعتقد . ذلك أنه لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى ان ليس في التوراة شيء من الوحي والنبوة عن يسوع بأنه المسيح

« فربما يفني الاستاذ دليتش المؤرخ الأثري في الاستاذ دليتش اللاهوتي فيبقى هذا اللاهوتي مثلاً بما فيه من النور والظلام معاً . وإنني أنصح له بأن يخطو في هذه السبيل خطوة بعد خطوة لا تبدأ بجانب الثاني والحذر وأن يختص بهذه الآراء الدينية رصفاء اللاهوتيين

ويودعها كتبهم وأن يكفينا الخارجين عن هذه الدائرة مثلنا مؤنة البحث في هذه المسائل ولا سيما (جمعية الشرق) التي لم تنشأ لتكون ندوة للبحث في جميع الآراء وإنما نبعث الأرض (١) ونقرأ ما كتب على الآثار المستخرجة منها لمساعدة العلم والتاريخ لا لتأييد الآراء الدينية أو تفنيدها. وبإيت دليش لم يتجاوز في هذا العام الحد الذي وقف عنده في العام الماضي وهو الاستدلال بما تستخرجه جمعيتنا من الآثار الشرقية على ما كان للمدينة البابلية القديمة من التأثير في مدينة الاسرائيليين لنعرف العادات والأخلاق والشرائع التي أخذوها من البابليين ونرى هل يوجد فيها ما يتركب البابليين مما تصفهم به التوراة من الأوصاف التي لا شك في كونها شنيعة وغير عادلة. هذا هو حد شوطه الاول وكان غرضه منه كبيرا يجب علينا ان نشكره له ولكنه من سوء الحظ قد تجاوزه في هذه المرة

« ولو أنه شرح المسألة وترك للسامعين استخراج النتائج الدينية منها لئلا خطبته استعصت جميع السامعين ولكنه طفق يناقش في مسألة الوحي فأنكرها بالجملة والتفصيل ثم ظن أنه قادر على إثبات كون أصلها بشريا محضاً فارتكب خطأ عظيماً بما دمر على النفس (٢) في باطنها وعبت بهيكلها المقدس في غير واحد من سامعيه الذين مختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم. وسواء كان مخطئاً أو مصيباً في الواقع ونفس

(١) بمثل الشيء استخراجيه فكشفه وبمزمناً ما فيه وهو استخراج نحو المدفون والحي وإظهار ما لمعرفة حقيقته ومنه قوله تعالى (واذا القبور بعثت) (٢) دمر دخل بدون استئذان وما مصدرية

الامر فانه قد نكس في نفوس كثيرين أقدس الصور والاعتقادات المتدسة عندهم وزلزل أساس إيمانهم ان لم تقل إنه نفسه في اليم نسفا . وهذا عمل لا يجسر عليه الا أصحاب القرائح الماتية والقول الكبيرة

(أقيصران أم نيلان) « أما الوحي فهو في اعتقادي الذي كشفتمك به أنت وغيرك من قبل نوعان أحدهما تاريخي وهو مستمر لا ينقطع وثانيهما ديني خاص وكان تمهيدا لمجيء المسيح . أما الوحي الأول فهو أن الله يظور دائما في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته فانه تضح في الانسان من روحه أعني منحه شيئا من ذاته (٣) إذ أعطاه تضا حية وهو يراقب نمو الجنس البشري بناية الاب ليحسن أحواله فيظفر تارة في رجل عظيم هنا وتارة في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهنا أو ملكا وسواء كان بين الوثنيين أو اليهود أو النصراني (٤) وقده كان (مهورني) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وإبراهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وقت والامبراطور غليوم الكبير فان الله اختار هؤلاء ورآهم أهلا لأن يعملوا بحسب إرادته أعمالا عناية دائمة خدعة لأمتهم سواء كان ذلك العمل روحانيا أو عالميا . وكثيرا ما كان جدي يقول إنه لم يكن الا آلة بيد الله . ولا شك في أن ظهور الله تعالى في الاشخاص يكون على حسب استعداد أمتهم ودرجتها في الحضارة ولا يزال يظهر هذا الظهور حتى في عصرنا هذا (كأنه

(٣) يتوهم أهل الحلول مثل هذا وهو منشأ وثنيهم وذات الله تعالى لا تجزأ وإيما هي عناية بمنصه من شاء من عباده (٤) انظر كيف لم يعد المسلمين أمة منفردة وما كان ذلك جهلا ولكنه التصب

يومي الى انه ظهر فيه الآن كما ذور في جده من قبل)

« أما النوع الثاني من الوحي وهو الديني الروحاني اخلالض فقد
ابتدا من زمن إبراهيم يبطء وحكمة ولولاه لقضي على النوع البشري .
وقد نما وتسلسل نسل إبراهيم على الاعتقاد باله واحد وقد حفظته عناية
الله تعالى بحفظه هذا الايمان حتى ختم هذا الوحي وانتهى بظهور المسيح
الذي كان أعظم مظهر لله تعالى في هذا العالم . ذلك ان الله ظهر يومئذ في
شخص الابن بصورة بشرية (تعالى الله عن هذه الوثنية) وهو مخلصنا
الذي علانا حماسه ويدعوننا الى اتباعه واننا لنشعر بناره تأجج في احشائنا ،
وبرحمته تمزيئا . وانتا بتابع وصاياه نفتحم كل شيء لانبالي بالتعصب ولا
بالازدراء ولا بالحزن ولا بالفقر ولا بالموت لانتا واثقون بالنصر لسماعنا منه
الوحي الالهي الذي يصدق دائما

« هذا هو رأي في المسألة بان (الكلمة) عندنا ممشر البروتستنت
بمنزلة كل شيء وذلك بفضل (لوثر) علينا . وكان على (دليتش) أن لا ينسى
ما كان يعلمنا إياه لوثرنا العظيم وهو : « يجب عليكم ان تبقوا على الكلمة »
« ومن البديهي عندي أن التوراة تحتوي على عدة فصول تاريخية
رهي من البشر لا من وحي الله . ومن ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله
أعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل . فأنني أعتقد انه لا يمكن
اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الا اعتبارا شعريا رمزيا لان موسى
قد نقل تلك الشرائع عن شرائع أقدم منها على الارجح وربما كان أصلها
مأخوذا من شرائع (حموربي) ويوشك ان يجد المؤرخ اتصالا بين
شرائع حموربي صاحب إبراهيم الخليل وبين شرائع بني اسرائيل باللفظ

والنحوى وذلك لا يمنع قطعيا من الاعتقاد بوحى الله موسى وظهوره لبني إسرائيل بواسطته . وإنني استنتج مما تقدم ما يأتي
«١» إنني أومن بالله واحد «٢» إننا معاشر الرجال نحتاج في معرفة هذا الاله الى شيء يمثل إرادته وأولادنا أشد احتياجا منا الى ذلك «٣»
ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة التي وصلتنا بالقييد . وإذا فسدت الاكتشافات الأثرية بعض رواياتها وذهبت بشيء من رونق تاريخ الشعب المختار — شعب اسرائيل — فلا ضير في ذلك لأن روح التوراة يبقى سليما مهما طرأ على ظاهرها من الاعتلال والاختلال وهذا الروح هو الله وأعماله .

« إن الدين لم يكن من محدثات العلم فيختلف باختلاف العلم والتاريخ وإنما هو فيضان من قلب الانسان ووجدانه بما له من الصلة بالله . هذا وإنني مع الشكر والثناء أظن دائما صديقتك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

(المنار) هذا هو كتاب العظيم الألمان وهو على ما فيه من التمويه والمواربة والتعارض والتناقض والميل مع ريج السياسة يدل على فهم ثاقب وفكرة وقادة وينبئ عن بعد غور . ومجمل ما يقال فيه إنه مذهب جديد أو دين جديد . ويظن ان هذا القيصر يعتقد أو يدعي بأن الله «جل وعلا» قد ظهر فيه كما ظهر في جده غليوم الاول فكانا نبين أرسل أحدهما لتكون الوحدة الألمانية وثانيهما لحفظ مجدها وإطلاع كوكب سمدها . وقد غمط حق من كان أحق منه ومن جده بهذا الظهور الالهي المدعى

وهو البرنس بسمرك الذي كان آلة في يد الله وكان جده «غليوم الاول»
آلة ييده . ولئن غمط حق بسمرك فقد غمط حق من هو أعظم منه
ومن ابراهيم وموسى وعيسى وهو «محمد» عليه وتلى جميع الانبياء
الصلاة والسلام فهو الذي جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى
أعمالا لم يسبق ما يقاربهما لغيره ولن يلحقه بما يقاربهما غيره فشريعتاه أعدل
من شريعة التوراة ولا يمكن ان يوجد اكتشاف يظهر أنها مستفادة من
شريعة أخرى والوحدة التي كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة
من الوحدة التي كونها بسمرك وغليوم الاول لأن تفرق قبائل العرب
وشعوبها كان أشد ولم يكن عندهم من العلوم والمعارف والمدينة التي تقرب
بعضهم من بعض مثلاً كان عند الولايات الجرمانية . ثم ان الوحدة
العربية قد استتعت من الفتوحات ونشر العلم والمدينة في الممالك ما لم يكن
مثله أو ما يقاربه للوحدة الألمانية على أن تبرز هذه الامة في العلوم غير
مجهول ولكن الفرق بين الالامتين أن ظهور هذه كان في عصر العلوم
والاكتشافات والاختراعات وظهور تلك كان في بداءة وجاهلية
وأمة أمية . نأيهما كان بالأسباب العادية ، وأيهما كان بمحض
العناية الالهية ، ؟؟

(الحكم العدل في الكلام . وخطوة أوربا وأوتيتها الى الاسلام) : في كتاب
القيصر أفلاذ من الذهب النضار ، وفيه كثير من الحصاص وقطع الاخبار ،
وند كاد يصل بكائه الى الحق ولكن بقي دونه حجاب نكشته بيد
بيان نتائج كتابه وهي :

(١) ان للعالم إلها واحداً يدبره بقدرته ، ويخص بعض العباد

بمزيد معونته ،

(٧) ان البشر في حاجة شديدة الى معرفة الله تعالى بأن يكون بينهم

وبينه عهد وصلة ليعرفوا بذلك ما يريد بهم وما يرضاه منهم

(٣) ان الله تعالى قد وهب البشر هذه الحاجة بالوحي الديني

(٤) ان حقيقة الوحي هي ظهور الله تعالى في البشر بأن ينسخ فيهم

من روجه أى يعطيهم شيئاً من ذاته وهو قسدين ديني محض وغير ديني محض

هذه أربع نتائج عامة كلها مستفادة من كلامه وهي صحيحة الا

الاخيرة منها فانه قارب فيها الحق ولكنه لم يصل اليه . والصواب ان

فاطر السموات والارض لا تتجزأ ذاته وان البشر - وان كانوا مكرمين

ومفضلين على كثير من المخلوقات - لا يخرجون عن كونهم جنداً صغيراً

من جنوده التي لا تحصى . فليس من العقل ولا من الحكمة أن نفتر

بأنفسنا حتى نحصر الذات الالهية في أفراد منا دون هذا العالم الكبير

الذي تعد أرضنا كتلة صغيرة منه وجميع ما فيها من الأحياء كالذرات

الصغيرة التي تراها تعيش في كتلة من هذه الارض

ولكن هذا العالم العظيم الذي يدهش الواقفين على بعض أسرار

بنظامه وإحكامه لم يكن هذا النظام العام فيه يتعلل هذه الاجسام التي نعرفها

بمحواسنا ولكن الله تعالى بث فيه عالماً روحانياً غير منظور جعله علة لوجود

الاحكام والنظام . وقد لحقت عقول البشر هذا العالم في طور وتتيهم فسدوه

عالم الآلهة وزعموا أن لكل أمر عام إلهاً خاصاً يدبره . ولكن الانبياء

سموه عالم الملائكة . وقولهم هو الحق لانهم عرفوا ذلك بالوحي .

والوحي عبارة عن اتصال روح النبي بروح من هذه الارواح واستادته
نوعاً من العلم منه

الروح الذي يفيض العلم على الانبياء يسمى بلسان الدين الروح
الامين وروح القدس وعبر عن اتصاله بروح النبي لانه العلم بالفظ النزول
قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » وقال « وكذلك أوحينا إليك
روحاً من أمرنا » وأما العلم الذي يستفيدونه من هذا الوحي فأهمه
معرفة الله تعالى على الوجه الصحيح ومعرفة الحياة الآخرة وبلي ذلك
بيان الاعمال النسبية والبدنية التي تؤيد هذا الاعتقاد وتقويه وترقي
النفس الانسانية . والفرق بين علم الانبياء الذي يسمى وحياً وبين علم
هو ميروس وشارلمان ولوتر وشكسبير وبسرك وغايوم الاول وغايوم
الثاني وأمثالهم أن علم الانبياء لم يكن مكتسباً وإنما كان يقع لهم بواسطة
الروح الذي ينزل على قلوبهم وأن موضوعه ما ذكرنا من أمر الايمان
وحفظ الصلة بين العبد وربّه . وأما علم أولئك الملوك والشعراء فقد كان
كسبياً وموضوعه ليس متعينا فهو خيالات وتصورات وحكايات
وسياسات منها الحق والباطل ، ومنها الحالي والماضي ، ولا معنى للقول
بأن كل نابغ في شيء من الاشياء يسمى نبياً وعلمه وعمله وحياً الا اذا
أردنا ان نجعل الوحي أمراً عادياً كما يقول الذين أنكروا الوحي في أوربا
استوطقتهم بالكتب المنسوبة للانبياء . والقيصر أرق عقلأ أن يقول
بذلك وما قلناه قريب من قوله ولعله لو وقف عليه لقال به

وأما النتائج الجزئية في كلامه فهي :

(١) ان الوحي الديني الروحاني المحض قد بدئ بآبراهيم وانجى بالمسيح

- (٧) ان ظهور الله فى المسيح كان أعظم ظهور له فى هذا العالم
 (٨) ان اتباع وصاياه كافية لاقتحام كل شيء ثقة بالنصر
 (٩) ان ما فى التوراة من التاريخ والشرائع والاحكام بشرى مستناد
 من البشر وليس وحيا من الله ولا يمنع ذلك كون موسى نبيا
 (١٠) انه ليس عندنا شيء نأخذة عبدا بيننا وبين الله تعالى نعرف به
 مراده بنا وما يرضاه لنا الا هذه التوراة . وان ما فيها من الكذب على
 الله تعالى بنسبة الشرائع اليه ومن الكذب فى التاريخ المقدس لا يحول
 دون ذلك !!!

وهذه النتائج كلها غير صحيحة فان التوحيد قد عرف عند الائم
 قبل إبراهيم وبعث قبله أنبياء دعوا الى مثل مادعا اليه هو والانبياء من
 ذريته ولكنهم انقضوا وغت آثارهم ، وإن ظهور الله - عنايته ووحيه -
 فى المسيح كان دون ظهوره فى موسى فانه كان متبعا شراعيته مع إصلاح
 قليل ولذلك قال « ما جئت لانقض الناموس » وان ظهوره فى محمد كان
 أعظم من ظهوره فى إبراهيم وموسى والمسيح فمن دونهم من البشر لانه
 هو الذى صدق عليه وحده القول المأثور عن المسيح عليه السلام :

« ١٢ إن لي أمورا كثيرة أيضا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون
 ان تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى
 جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور
 آتية ١٤ ذاك يجدنني لانه يأخذ مما لي ويخبركم » (١٦ يو)

فقد صرح بأن الناس لم يكونوا مستعدين فى ذلك العصر لمعرفة
 كل الحقائق الدينية . وقد علم محمد الناس جميع الحق فى العقائد المبينة

على البرهان والعبادات المؤثرة في الروح والاخلاق المبنية على الاعتدال
والاحكام المبنية على العدل . وأسس ديننا هو وان ضعف زعماءه أرسخ
الاديان وأقواها ، وشريعة هي وان قل أنصارها عدل الشرائع واعلاها ،
وأمة كانت باتباعه أعز الأمم وأنماها ، نعم انها الآن مريضة ولكنها
ستبل إبلالا ، وتعود لها السيادة الاولى ان شاء الله تعالى ،

هذه اشارة الى بطلان النتيجة الاولى والثانية . وأما الثالثة فبطلانها
أظهر لان هذا القيصر وأمه أبعد الناس عن وصايا المسيح التي
تدور على الزهد المطلق والذل وترك الانتصار للنفس ولو اتبعوا وصايا
الانجيل لضربتهم فرنسا عن الخلد الايمن (الازراس) فأداروا لها الخلد
اليسر (اللورين)

وأما الرابعة فقد جمعت بين النقيضين وهما كون موسى يدعي أن
شريعته وحي من الله وما هي بوحى من الله وإنما نقلوها عن شرائع الأمم
الوثنية وكونه مع ذلك نبيا موحى اليه من الله !! ولا ندري ماهو هذا
الوحي المهم اذا لم تكن الشريعة وحيًا ؛ ثم لا ندري ماهو الدليل على
هذا الوحي . هذا رأي يمكن ان يقبل في حيز السياسة لا في حيز الدين ،
ويمكن ان يقال بالالسان ، ولا يمكن ان يستقر في الجنان ،

ومن العجائب أن البابا وافق على رأي قيصر الانسان في كون شريعة اتورا
وتاريخها من وضع البشر لامن وحي الله كما جاء في بعض الصحف . ولكن
ماذا يصنع البابا اذا لم يجد منفذا لدفع الشبهة ولا طريقة لحل الاشكال ؟
ماذا يصنع وقد أقمه بذلك العلم والاكتشافات التي لا يكاد يخفى عليه شيء منها
وهو في الدرجة العليا علما وعقلا وسياسة ؛ لعله لا يوجد في الارض من هو

أحرص من البابا ومن غليوم الثاني على المحافظة على التوراة وتقديسها ولا من هو مثلهما علما وعقلا وقد أياهما حل هذا الاشكال مع طول باعها وسعة اطلاعها وكثرة أتباعها من العلماء والحكماء .

(آية جديدة للقرآن) وإن تعجب فأعجب العجائب أن القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا قد نطق بما أثبتته العلم وأيدته الاكتشافات في هذا العصر وحل هذا الاشكال حلا لا بد ان يرجع اليه جميع العلماء في وقت قريب . وهذه معجزة ظاهرة ، أو نبوة باهرة - كما يقولون - ولا غرو فالقرآن لا تنتهي عجائبه ، ولا تنفى غرائبه ، وهو حجة الله على العالمين ، منذ أنزل الى يوم الدين ،

حكيم القرآن بأن نبي اسرائيل نسوا حظا من الوحي الذي ذكرهم الله تعالى به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام وحفظوا حظا آخر وقع فيه شيء من التحريف والكذب . قال تعالى (في سورة آل عمران ٢٢) : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » وقال (في سورة النساء ٤٣) « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله نصيرا ٤٤ » من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » الخ وقال بعد آيات « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » (آية ٤٩) وقال تعالى (في سورة المائدة ١٤) بعد ذكر أخذ المشاق على نبي

اسرائيل : « فبما تقضهم ميثاقهم لعناهم وجمالنا قلوبهم قاسية يحرفون الحكم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ذاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين »

وهذا الحكم هو المعقول وإنما ظهر صدقه وكونه معقولا في هذا العصر فصح قول المسلمين في القرآن « لاتنضي عجائبه ، ولا تنهاى غرائب » فياله من معجزة تقيض بالمعجزات الكبيرة ، وباله آية بينة تطوي على آيات كثيرة ، أنى لأمي نبت في أرض جاهلية ، وترى في أمة أمية ، أن يحكم على شريعة كانت أم الشرائع ، وتاريخ أمة كانت أشرف الأمم ، حكما لم يعرف عن علماء الشرائع والقوانين ، ولا عن مدوني القصص والتواريخ ، فيجز في المنفصل ، ويقول القول الفصل ، ويأتي بكلمتين ثنتين لا تبلغ مساحتهما في الكتابة سطرًا واحدا - « نسوا حظا مما ذكروا به » أوتوا نصيبا من الكتاب - تتخض الأيام والسنون ، وتمر الأجيال والقرون ، ثم لا تظهر حقيقة تأويلهما الا بعد أن تنبت دفائن الارضين ، وتستخرج منها آثار الغابرين ، ليتم قول الكتاب أيضا « ولتعلن نبأه بعد حين » وقوله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » أفلا يتأملون في قوله للنبي الامي الذي أنزل عليه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطون » فالام الشك والارتباب ، وقد ظهرت آياته لاولي الالباب ، :

بهذا الحل يتبرأ موسى عليه السلام من شبهة الكذب على الله تعالى

وتبرأ شرففه من شبهة الاقتباس من الشرائع البشرية لأن هذه الشريعة لو كانت موجودة بالنص الذي كتبه موسى عن الوحي الالهي لظهر الفرق بينها وبين شريعة (مهوربي) وتبين ان المشابهة بينهما قليلة لاتصلح شبهة على اقتباس المتأخرة من المتقدمة . على أن التوافق بين الشرائع فى بعض المسائل أمر طبيعي سواء كانت سماوية أو بشرية أو بعضها سماوي وبعضها بشري لان الوفاق فى الطباع وحال الاجتماع يقضي بالوفاق فى الاحكام . وما زالت تتوارد خواطر العلماء والشعراء على بعد الدار ، واختلاف الأعصار ، واذا كنا لا نرى دليلاً أو أمارة على أن أحدهما أخذ عن الآخر فلا يجوز لنا ان نحكم بهذا الأخذ . والدليل على ان التوراة الحاضرة قد اقتبس بعضها من البابليين واضح مما فى سفر عزرا ومما أظهرته الاكتشافات . ويدل سفر عزرا وغيره أيضاً على ما يقضى به العقل من عدم نسيان بني اسرائيل شريعة الرب بالمرّة فتعين ان يكون الحاضر مزيجاً . فقد اتفق فى المسألة العقل ونقل كتب العهد العتيق والتاريخ والآثار على تصديق القرآن فى حكمه على بني اسرائيل وشريعتهم

فعلى عظيم الألمان ومقدس الكاثوليك (البابا) ان يرجعا الى حكم الله تعالى فى المسألة فهو أفضل من حكمهما الذي يزيل ثقة جميع النصارى بالوحي وكتبه ويجعلهم إباحيين مفسدين للعمران . وليعلم الزعيمان العظيمان ان دين الله تعالى واحد وأن تلك الأديان قد نسي بعضها ونسخ الباقي لان الله تعالى أراد ان يعطي البشر ما هو اكمل منها كما قال « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلاً ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » فعليهما ان يتركا التعصب لقوهما وان يكونا زعيمين للبشر كافة لا للامان

والكاثوليك أو النصارى خاصة وذلك بأن يأخذوا بجوهر الدين الخالص الذي بينه القرآن وهو الكتاب المحفوظ الذي لا ريب فيه الذي جاء بالحق وصدق المرسلين . وإذا تأملناه باخلاص فلا شك ان نور الحق يشرق عليهما كما أشرق على كثير من أهل العلم في أوربا

جاء في كتاب (ديانات الامم وعقائدهم) للاستاذ لينزما خلاصته: « ان دين الاسلام دين يوافق الناس كافة ويجمعهم أمة واحدة وإنني أومل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد (عليه الصلاة والسلام) لان دينه الدين القويم المبين » (راجع هـ الصفحة ٢٩٢ - ٣٠٠ من هذا الكتاب المطبوع في لندن سنة ١٩٠١) ومثل هذا القول أقوال كثيرة .

وقد بينا في مقالة (مسير الانام ، ومصير الاسلام) بعض المبشرات التي تدل على خطوات أوروبا الى الاسلام من حيث تدري ولا تدري واننا نعد هذا الاكتشاف الجديد الذي أيد القرآن وما قاله عظيم الالمان وجبر أخبار الرومان فيه خطوة من تلك الخطوات ، بل وثبة من الوثبات ، والعاقبة للمتقين ، والله ولي المؤمنين ،

❦ الكرامات والحوارق ❦

(المقالة العاشرة فيما ينبغي عليه التعويل)

(المسألة الرابعة عشرة) استدل منكرو الكرامات من المعتزلة وبعض علماء السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني والحلي ومن على رأيهم بسبع حجج على نفي الجواز وتقدم بسطها وما قالوه في الجواب عن بعضها في المقالة الثالثة (٤٤٩ - ٢) واستدل المثبتون بأربع حجج كما ذكر السبكي في الطبقات الكبرى وهي ترجع الى شيء واحد هو أنها وقعت بالنقل كما يعلم من بعض قصص القرآن والآثار المروية عن

الصحابة . وتقدم في المقالة الرابعة بيان أن تلك القصص لادليل فيها يصلح حجة في هذا المقام الا على ما يسمونه الالهام وما في معناه من مكالة للملائكة وكان ذلك لأمر موسى وأم عيسى عليهما السلام (راجع ٤٨٩ - ٢) وفي المقالة الخامسة والسادسة أنه لم يثبت بسند صحيح من الكرامات المأثورة عن المصدر الاول الا مثل ذلك الالهام أيضاً واستجابة الدعاء والبركة في الطعام (راجع ٥٤٥ - ٢ و ٦٥٧ - ٢)

(المسألة الخامسة عشرة) إن ما نقل عن الصحابة (عليهم الرضوان) من هذه الكرامات ما صح سند منه وما لم يصح يعدّ على الانامل لقلة وصار المسلمون كلبا بعد الزمان . وقلّ العلم وكثر الفسوق والعصيان . يكثر فيهم القول بهذه الكرامات حتى أنهم يعدون لبعض الشيوخ المتأخرين . ما يكاد يتجاوز عقد المئين . وهم متفقون على أن الصحابة أفضل من بعدهم من الاولياء . بلا قيد ولا استثناء . وقد أجاب بعضهم عن هذا بأن المسلمين كانوا في عصر الصحابة وما يقاربه أقوى ايماناً فلم يكونوا محتاجين الى كرامات وخوارق تقوي ايمانهم . وهذا الجواب مبني على قاعدتهم التي ذكرها السبكي وغيره وهي أنه لا يجوز اظهار الكرامة الا عند ضرورة شديدة كقوة ايمان شاك . وصواب القول في الجواب ان أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين كانوا لقوة ايمانهم ويقينهم لا يكذبون ولا يتخادعون اناس بالوهم ولذلك لم يدعوا هذه الحوارق التي ربما كانوا أخرج اليها ممن بعدهم لاقامة الحجة على المشركين والكافرين الذين كانوا مشغولين بدعوتهم ومجاهدتهم . ولكنهم لرسوخهم في معرفة مقاصد الاسلام كانوا يكتفون بالحجج المعقولة ولا يعتمدون على شيء من الحوارق الكونية التي يضل فيها الفهم ، ولا يهتدي فيها الوهم . وهذه المسألة كنا وعدنا ببيانها في المقالة السادسة

(المسألة السادسة عشرة) ان ما يصح ان يسمى كرامة من هذه الغرائب التي تظهر على أيدي اناس هو ما كان ثمرة لارتقاء الروح وصناء النفس بل هذا هو معنى ما ذكره في كتب العقائد كما تقدم في المسألة الثامنة . واذا كان الامر كذلك فالواجب ان تبقى هذه الثمرة معلقة بهذه الشجرة أي يجب ان لا تتجاوز هذه الخصوصية أهلها الخواص . فاذا تجاوزتهم لم يبق الا يعرف منشأها كانت قطة له وضارة به ولذلك قال

كبار الصوفية والمتكلمين المثبتين للكرامات بوجوب إخفاؤها لأنها فتنة للناس وضارة بهم ومن مبالغتهم في ذلك القول المأثور عن الشيخ أحمد الرفاعي : ان الولي يستر من البرامة كما تستر المرأة من دم الحيض :

(المسألة السابعة عشرة) أكبر ضرر وأعظم فتنة في فشو الاعتقاد بالكرامات بين العامة وكونها عند الصالحين صناعة من الصناعات . أنها زلزلت قاعدة العقائد الكبرى وهي توحيد الله تعالى وأوتعت الناس في ضروب من الشرك الأصغر والأكبر . وليس زلزال التوحيد محصوراً في اعتقاد تعدد الخالقين للسموات والارض المشتركين في الابدان والتكوين وإنما الشرك في التماس المنافع أو دفع المضرات من غير الله تعالى وبواسطة غير سنه التي أقام بها نظام الكون وجعل الاتفاغ بها عاماً لجميع خلقه . بل ورد في الاحاديث تسمية الرياء في العبادة شركاً فكيف لا يكون دعاء غير الله تعالى شركاً . روى أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال « اني تخوفت على أمتي الشرك أمانهم لا يبدون صنأ ولا شمساً ولا قرأ ولا حجرأ ولكنهم يراؤن بأعمالهم » وإنما سمي الرياء شركاً لان المرأئي يطلب منفعة من المرأئي والمنافع لا تطلب الا من الله تعالى ومن الطرق والاسباب التي سنأ لها . والغرض من العبادة طبع ملكة الاعتماد على الله تعالى في القلب لتقوية التوحيد فاذا لوحظ بها الناس وفعلت رياءهم فقد قطعت طريق التوحيد ودلت على عدم تمكنه من النفس . فإياك بمن يعتمد على غير الله تعالى ابتداءً ومحجاً بآيته وبين الله يزعم انه يقربه اليه لئلا ولو كان الشرك عبارة عن تعدد الخالقين لما كان فيه ما هو أخفى من ديب النمل . روى ابن أبي شيبه في المصنف وأحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل » فقالوا : كيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله : قال قولوا « اللهم انا نعوذ بك ان نشارك بك شيئاً نعلمه ونستفرك لما لا نعلمه » وروى غيرهم عن غيره أحاديث بمعناه منها حديث ابن عباس عند الحكيم الترمذي « الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل على الصفا »

إذا عدت عينك عما تشاهد كل يوم من العامة لاسيا في أضرحة الصالحين ونا
سمعتك عما تسمع منهم من دعاء غير الله ؛ والاستغاثة والاستعانة بغير الله ؛ وطلب
الحوائج ورد البلاء من غير الله ؛ والتباس الصدقات « على قبول فلان وفلانة » من
دون الله ، وقلت كما قال بعض علماء الأزهر : إن هؤلاء العامة لا يعقلون التوحيد
وإن الامام محمدا صاحب أبي خيفة قال في عامة زمنه وهم خير منهم « لو كانوا
عيدي لأعقبتهم وأسقطت حق الولاء » : — فهل تمدو عينك عما ترى في الكتب
المنتشرة كالتشاور الجهل من العبارات الشركية التي تقشعر منه جلود الموحدين
كقولهم في كتاب ترياق المحيين وكتاب طبقات الوتري وغيرها من كتب الرفاعية
« إن عبد الرحيم الرفاعي كان يميت ويحيي ويفقر ويغني ويسعد ويشقي » وقولهم إن
أحد الرفاعي وصل الى مرتبة صارت السموات السبع في رجليه كالخلخال . ولهم في
هذين وغيرهما أقوال أخرى يتبرأ منها حتى دين بولس ودين بوذا . وقد ذكرنا في
المسألة الثامنة كلهم التي يجعلون إرادة الله تعالى فيها تابعة لأرادتهم . وإنك لتجد من
حملة العمام من يصح مثل هذه الأقوال ويحرف كلام القرآن عن مواضعه
للتوفيق بينه وبينها

وإذا بحثت عن سبب هذا الغلو كله تجده الاعتقاد بالكرامات بغير قيد ولا حد
ولا حساب . قالوا : يجوز إظهار الكرامة لتقوية الايمان ؛ ولكننا نرى إظهارها كان
أكبر جناية على أساس الايمان . وأما هؤلاء العامة الذين قوي إيمانهم بأصحاب
القبور المشرفة (خلافاً لتهي الشارع عن تشريفها) فلم يعلموا بشيء من هذه
الكرامات لما كان إظهارهم وتسليمهم بالدين ينقص ذرة لأن الدين عندهم تقليدي
في أحكامه وفروعه وجداني فطري في أصله

(المسألة الثامنة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بالكرامات ، إباحة الموبقات
ومحريم الواجبات ، وذلك أنه استقر عند العامة وأكثر الذين يعدون من الخاصة
أنه لا يجوز الإنكار على الأولياء — وما الأولياء عندهم الا من تطهر على أيديهم
المعجائب والحوار — لأن العصية التي تشاهد منهم لا بد أن تكون صورة لاحتقاة
ولذلك يجب تأويلها . فإذا رايت واحداً يشرب الخمر فاعتقد أنها اتلفت عينها كرامة

له فصارت لنا أو عسلا أو شرابا آخر من الأشربة المباحة وإذا رأيته يترك الصلاة فاعتقد أنه يصلي بمكة أخذنا من قول السيد البدوي في الرد على الذين اتهموه بذلك : وفي طسدتنا قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا أنني أصلي بمكة أصلي صلاة الجنس في البيت دائما مع السادة الأقطاب أهل الطريقة ولهم في هذه التأويلات حكايات غريبة يسخر العقلاء من بعض المستفيض منها كزعمهم أن بعضهم رؤي يأتي الفاحشة ثم تبين أن سفينة كانت خرقت في البحر وأشرفت على الفرق فبادر ذلك الولي الى سد الخرق بما كان منه !!

(المسألة التاسعة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بهذه الكرامات عدم ثقة جماهير المعتقدين بها بالمقل وقضاياه ، ونظام الكون وسنته ، فهم دائما أسرى الاوهام ، وعييد الحيلالات والأحلام . فضمفت بذلك المدارك ، وانقلبت في التصور الحقائق ، وصار معظم الناس يخضع للدجالين ، ويؤمن بالمشعوذين والعرافين ، ومن أنكر عليهم شيئا من ذلك اتهموه بالفلسفة . ورموه بفساد العقيدة ، فالعرافة والكهانة عندهم إيمان ، والحكمة (الفلسفة) كفر أو عصيان . والله تعالى يذكر في كتابه أنه بعث رسوله ليحل الناس الحكمة وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » ويقول نبيه فيما علمنا من الحكمة « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة . وروى أحمد ومسلم في صحيحه عن بعض أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوما » نعم أنهم لا يسمون هؤلاء المخبرين عما وقع وعما يتوقع كهانا وعرافين لما كان من الخلط في النسبة . والعبرة بالحقائق لا بالأسماء فإذا كان العراف يخرج عن كونه عرافا بتسميته وليا مكاشنا فالخر تخرج عن كونها خرا بتسمية بعض أصنافها كونيكا أو شمبانية . ومثل هذا يقال في تسميتهم الاستعانة بغير الله توسلا وما أشبه ذلك .

وإن وراء الخوضوع للدجالين والعرافين الذين يدعون الكرامات مفساد لا يكتفه كنهها ولا تحصى أنواعها وأفرادها فمن الناس من يبذل لهم المال ، ومنهم من يحكمهم في النساء والعيال . وانا نعرف أشخاصا من هؤلاء الدجالين قد اشتهر ان

النساء يتجردن لهم فيكتبون من طلاسهم وحرونهم على بطونهم مايزعمون أنه يرفع
 لحبل العاقر أو يحجب البيض منهن الى زوجها أو غيره من تهوى . ومنهم من يخلو
 بالنساء متى شاء من ليل او نهار برضى ازواجهن الذين يعقصدون ان هؤلاء من
 المقربين عند الله تعالى فلا يمكن ان تقع منهم الفاحشة . فالرجل يكون ديوانا وصاحب
 الكرامة فاجرا أو قوادا وكل ذلك ببركة الاعتقاد بالخوارق والكرامات ولولاها لم
 كان شيء من ذلك بهذه الصور

(المسألة المشرونة) من مضرات الاعتقاد بهذه الكرامات ترك مجموع الأمة
 الاهتمام بأمورها العامة اعتقادا بأن هذه الأمور قد وكأها الله تعالى الى رجال القرب
 فلا يجري في الأمة شيء الا ماقرروه في الديوان الأعلى . وما قرروه قضاء لا مرد
 له الا ان يكون بتصرفهم . وفي كتب الصوفية كلام كثير عن هذا الديوان ومجلسه
 ورياسته وأعضائه وانتمهم واعمالهم . وقد كان من أسباب خضوع بعض البلاد
 الاسلامية المعروفة عن أهلها الشجاعة والألفة للأجانب قول بعض المعتقدين من أهل
 الطريق انه علم من أهل الله أن الله قد ساطع الجانب على تلك البلاد عقوبة لها
 ويقولون أن أهل الشام رغبوا الى ولي كبير كان عندهم ان يدفع عنهم غارة
 تيمورلنك فوجد الحضر على مقدمة جيشه فقال : انت معه : فقال : نعم انا
 وربك : فناموا ان مقاومته عبث لأنها محاربة لله تعالى !!!

وقد اشيع في أثر الاحتلال الانكليزي في هذه البلاد ان بعض الصالحين استفتا
 بأهل البيت وبالسيد البدوي لاجراهم فكشف عنه الحجاب فأرآهم مقيدين بسلاسل
 وقيل له انهم حاولوا اخراجهم فقيدوا لان الله تعالى أراد هذا الاحتلال !!!
 أمثال هذه الحكايات تسري في الأمة سريان الاوبئة . تظهر الحكاية اليوم في بلدة
 فيسبها في اليوم التالي أهالي مئة بلدة ولا يمر أسبوع الا وترأها تد عمت الديار .
 وجابت الاقطار . وقل الاول للآخر . إنها منقولة بالآثار .

(المسألة الحادية والمشرونة) من مضار الاعتقاد بهذه الكرامات انها حجاب
 دون العلوم الكونية في نظر الدماء وذلك أنهم يرون الذين يأخذون بهذه العلوم
 يحقرون الدجاجة الذين يدعون هذه الكرامات ويحتقرون الذين يخضعون لهم

ويعتقدون بهم فينسبون ذلك الى العلم ويمدونه من ثماره وهو شر الثمار عندهم ويعتقون العلم ومنهم من يجعله يريد الكفر لاجل ذلك وكفى بذلك ضرراً لاسيما في هذا الزمن الذي بنيت فيه السيادة والسلطة على العلم

(المسألة الثانية والعشرون) من مضار الاعتقاد بالكرامات على الوجه المعروف ومشايعة العلماء لاعامة على جميع مظاهرها وما يتعلق بها ولهجوم بحكاياتها واحترامهم لدعائها وأدعيائها انها نزلت منزلة العائذ الدينية والقواعد الاساسية للدين وصار غير الراسخ في العلم يعتقد ان منكر هذه الحكايات فيها كافر وكانت نتيجة هذا ان الذين تعلموا على الطريقة الاوربية وعقلوا فعملوا ان هذه الحكايات إما دجل وشعوذة ، وإما اكاذيب مانفة . صاروا يشكون في الدين من اصله لاعتقادهم التليدي ان الدين مبني عليها وما يني على الناسد فهو فاسد . وقد صرح غير واحد من علماء الاجتماع وطبائع الملل بأن العقبة الكبرى في طريق الايمان لهذا العهد هي عقيدة ككون الحوارق اصل الدين الاساسي . وقد تقدم في المسألة الحادية عشرة ان ذلك غير صحيح حتى في اديان الشعوب المنحطة التي كانت تمهداً للدين الارتقاء (الاسلام) فكيف تكون اصلاً له

(المسألة الثالثة والعشرون) لانعرف شعباً من الشعوب دخل في الاسلام بسبب هذه الكرامات واذا كان وجد في الناس مرتابون ازال ريبهم مشاهدة الكرامات فلا نظن انهم يبلغون عشر دشار الذين فسدت عقائدهم بسبب جعل هذه الفرائب من الدين . واذا فرضنا التساوي فلنا ان نقول : مصلحة بمفسدة : وتبقى مفاسد أخرى ليس بازائها مصالح وقد ذكرنا أهمها آنفاً فتكون النتيجة ان إثم هذا الاعتقاد أكبر من نفعه

(المسألة الرابعة والعشرون) ان الذي ينبغي ان يعوّن عليه هو تحكيم قاعدة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وتعاليم الامة عدم الثقة بهذه الحوارق وعدم تصديق المتعجلين لها والمبالاة بهم . فان كانوا من أولياء الله وأصفياؤه فحسبهم غناية الله بهم وكذاياته لهم فن كان ولياً لله فالله ولي له ومن لم يكنف بولاية الله تعالى عن التعرض للناس فهو ولي الشيطان

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي

وإذا كان لهؤلاء الاصفاء مزايا روحانية أكرمهم الله تعالى بها فالواجب كما قال أئمتهم أن لا يفشوا سر الربوبية وعلى غيرهم من المسلمين أن يعتقد فيهم ذلك فينكر خلافه وههنا ترجع الى مذهب جمهور أهل السنة فنقول ان الكرامة جائزة ولكن لا يجب على أحد ان يعتقد بكرامة معينة لأحد معين . وهذا المذهب موافق لقاعدة كتمان الكرامة . ونتيجته ان هذه الحكايات التي ثبتت لأشخاص معينين ككرامات الانبياء لها لا يوثق بها ولا يعول عليها والصواب ان تقاس على أمثالها عند أهل الملل الأخرى فان سنة الله فيهم وفيها واحدة . فان صحت عنده رواية شيء منها بمصادقته الذي أشرنا إليه في المقالة السابقة فليعرضه على وجوه التأويل في المقالات اللاحقة .

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(دعوى صلب المسيح)

تكلمنا في الجزء الماضي عن تمويه محرر مجلة البروتستانت على بعض عوام المسلمين في هذه المسألة . وأقوى ما ينادون به انه لا يعقل ان رجلاً مشهوراً كالسيح يشبه على اليهود وشرطة الرومان فلا يميزونه من غيره . وقامنا ان نذكر ان في الانجيل عبارات كثيرة تدل على ان الاشتباه حصل بالذئب . وقد كتب اليانا من السويس كاتب في ذلك فراينا ان نقل عبارته بنصها وهي :

« قد اطاعت على ما جاء في النار رداً على بشار السلام في مسألة صلب المسيح . ولما كنت قد كتبت على المجلة المرسلة اليّ من نقولاً كتابة في هذا الشأن وردتها اليه رأيت ان اطلع حضراتكم على مضمون ما كتبت فاطلكت تجد فيه ما يناسب النار وان كان ما كتبه موجزاً فلي النار الايضاح والمراجعة والتفصيل

قلت عند قوله « قال المفسرون ان الله القى شبهه الخ » : ان المفسرين قسما قسم يفسر من طريق الايمان على سنة المسيحية وهم الذين نقات قولهم وقسم يفسر من طريق العلم والعقل على سنة الاسلام وقد فسروا هذه الآية بما لا يبعد عما ورد في اتاحيدكم التي تقرؤها ولا تنهمونها — ورد في الانجيل ان المسيح قال لتلاميذه انكم ستذكرونني قبل ان يصيح اليك الخ (انكرت الذي لم اعرفه) وورد ايضاً

فيه ان المسيح خرج من البستان فوجد اعداءه فقال لهم من تطلبون فقالوا نطلب المسيح فقال هو انا ذا فقالوا انما انت بستاني ولست بالمسيح. وهكذا كانوا كلوا وجدوه انكروه وخاتمهم ابصارهم في رؤيته وعمي عليهم واشتبه منظره (وخيانة النظر نابتة قطعاً) فلما اعيتهم الحيل استأجروا يهوذا الاسخريوطي بثلاثين درهماً ليدلهم عليه لئلا يمكنه منه فلا يشتبه عليهم وهذا في الانجيل ايضاً فهذه الحيرة المفضية الى استئجار دليل يدل عليه مع ملاحظة انه ربي في وسطهم وكانوا يحبون بفصاحته وحكمته كما هو وارد في الانجيل ايضاً تدل بأجلى بيان واوضحه على انهم كانوا في شك منه وكان يشبه لهم بغيره فكلما اجتمعوا عليه اشتبه عليهم وعمي في نظرهم وخاتمهم ابصارهم وظنوه غيره وما حصل لهم حصل لدليهم «يهوذا» وقد ورد في الانجيل انهم حينما ساقوه للصليب كانوا يستحلفونه هل انت المسيح فكان يقول هوذا فنه يعلم انهم كانوا لم يزالوا في شكهم حتى بعد الاستئجار ووجود المرشد والدليل فلما اعياهم الامر عمدوا الى من ظنهم انه هو المسيح والمسيح في السحابة البيضاء مع موسى كما في الانجيل ايضاً ثم صلبوا ذلك الرجل الذي كانوا يستحلفونه وغلب على ظنهم انه هو المسيح فهل كل هذا كان لظهور المسيح واضحاً لهم او لأنهم كلما طلبوه شبه لهم والقي شبه غيره عليه وعمي عليهم وخاتمهم ابصارهم فعمدوا الى يهوذا واستأجروه ليدلهم عليه فما كان بأمثل منهم في ذلك وادتهم خاتمة المذاهب الى اخذ من غلب على ظنهم انه هو وصلبوه وما هو منه بشيء بل المسيح ساخر منهم ضاحك عليهم يقول انا المسيح فيقولون لست هو حتى قتلوا غيره وصلبوه وهو محجوب عن انظارهم مشتبه عليهم قد شبه لهم بالبستاني مرة وبغيره اخرى وبذلك نجاه الله من كيدهم فما نالوه بسوء «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لني شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن» المبني على ارشاد يهوذا المشكوك فيه كما علمت من نص الانجيل «وما قتلوه يقيناً»

هل فهمت يا حضرة المبشر الآبة وكيف كانت عبارات الانجيل حجة للاسلام لاعليه فقرؤا الانجيل وافهموها فقد وسع الله لكم على يد البروتستانت ولا تكونوا كالذي يحمل اسفارا اهـ

أركان الدين الصحيح

ضاق هذا الجزء، عن رد شهادات انتصارى على القرآن وغير ذلك مما كنا وعدنا به لطول مقالة (اتباء العظيم) أكثر مما كنا نتوقع. وتصدر الجزء الخامس من المجلة البروتستانتية قبل صدور هذا النثر نراينا فيها بذء في أركان الدين الصحيح يقول فيه الكتاب الذي ينتمي الى المسيح مانصه :

« ان المذهب الذي يجب على كل فرد ان يختاره لنفسه هو أكثر المذاهب مشابهة لروح الآلهة وأقربها لغاياتهم » الى آخر ماقله وكرر فيه لفظ (الآلهة) ثم فسر هذا المذهب بقوله « ذلك المذهب الذي ينادي أن يقوم أجدادكم تلك صفات الله . وأن يقوم بركوا لا عنكم تلك صفات الله . وأن يقوم أحسنوا الى من أساء اليكم تلك صفات الله — ذلك المذهب إنسا هو مذهب إلهي بلا مرء » ثم ذكر أن المذهب اذا قال لتابعيه جاهدوا في سبيل الله ودافعوا عن أنفسكم في سبيل الله يكون بريئا من الله والله بريئا منه لأن البرزة الآلهية لا تأمر بالقتال مهما كان الغرض شريفا . وأجاب عن أمر التوراة بني إسرائيل « بإبادة بعض الأمم الجاورين لهم » بأنه « كن أصرا وقيما لازما لتوصل الى المسيحية ديانة السلام والمحبة »

ثم ذكر اعتراض اناس على هذا المذهب بكون محبة الأعداء وترك المدافعة عن النفس مستحيل واعتبر أن هذا صحيح بالنسبة الى ما عرف البشر الآن وقال ان ما عرفهم سترتقي في المستقبل الى فهمه

فانص هذا الدين الالهي (١) انه يوجد آلهة متعددة وأن اخلاقهم متفقة على محبة أعدائهم . ولذلك ان أعدائهم هم الذين لا يؤمنون بهم ولا معنى لمحبتهم الاعدم مؤاخنتهم على الكفر فلتنتيجة ان هذا الدين دين إبادة ومبجل لنفسه ولغيره . و (٢) انه يأمر بمحبة الأعداء وترك المدافعة وذلك مستحيل بحسب ماوصلت اليه ما عرف البشر الى القرن العشرين من ظهوره ونتيجة هذا انه لم يتبعه احد حتى الآن . و (٣) ان هذا المذهب يخالف قول المسيح « وهذه هي الحياة الحقيقية ان يفرقك انت الاله الحقيقي وحدك . ويسوع المسيح الذي ارسلته » (يوحنا ١٧) وقوله « لا تظنوا اني جئت لأتني سلاما على الأرض ما جئت لأتني سلاما بل سينا فاني جئت لأفرق الاناس ضد ابيه والابن ضد امها والكهنة ضد حماها . واعدا اناس ان اهل بيته » (متى ١٠ — ٣٤ و ٣٥) وقوله « جئت لأتني

نار اعلی الارض» (لوقا ١٣ — ٩٤) وقوله «ان كان احداً أتى الي ولا يبتض اياه وامه وامرأته واولاده واخوته واخواته حتى نفسه ايضاً فلا يدر ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤ — ٢٦) وقوله «اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عنهم ذنوبهم الى هنا وانجحهم فندامي» (لوقا ١٩ — ٢٧) وامثال ذلك. فأبي الدين دين المسيح عليه السلام :

اِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(قتل بني اسرائيل انفسهم وبعضهم بعد موتهم)

جاءنا من حضرة المحامي الشهير صاحب الامضاء ما يأتي
راينا فيما اوردتموه بأحد اعداد المجلة في تفسير قوله تعالى (فتربوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) الى قوله جل شأنه (ثم يشنكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ان سيدنا موسى دعا من يرجع الى الرب من توبته فأخبره بعضهم بأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً فذبحوا وتل منهم نحو ثلاثة آلاف — وان البعث بعد الموت عبارة عن كثرة نسايم والبركة في احسانهم تدريساً لهم عن قتل آبائهم) على اننا لو اعدنا التأمل نرى ان الامر والارصاد لاوبة لا يستند قتل نفوس التائبين وكذلك البعث بعد الموت لا يكون دهاء زيادة للناس

وحينئذ يكون الأقرب هو ان تثل النفوس مناء إيمانها عن الفساد والمعصية بسيف التوبة والتدم ليحبها الله بعد هذا الموت العنوي الى عالم الصلاح والتقوى ---
وان البعث هنا معناه الوصول الى الحقيقة بعد ذلك السلال الذي ماتت عنه عواضهم فأرجو لك ايها الصديق الفاضل إتمام النظر في ما وضعته وارشادي الى الحقيقة ودمتم

اسماعيل عاصم

(المنار) تقدم في تفسير الآيات ان سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى الذي عوقبوا عليه بالصاعقة كان في وائمة مستقلة غير وائمة أخذ السجل التي عوقبوا عليها بالقتل وقوله تعالى «ثم بعثناكم من بعد موتكم» وارد على غير الذين تلو انفسهم بالتوبة فاذا اعتبر الخطاب لمجموع الأمة فلا فصل فهي التي قتلت وهي التي صعدت وهي التي بعثت وهذا ما عاياه الاستاذ الامام في إسناد الله تعالى اعمال سائق بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام

الى بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النزيل وعليه لا إشكال في إسناد « بنناكم » الى الذين ماتوا بالصاعقة او غيرها ولا بعد في تفسير هذا البعث بعد الموت بكنزة النسل لاسيما مع ملاحظة ان الحاطبين بهذا كله هم اليهود الذين كانوا معاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم اما قتل بعضهم بعضاً في التوبة فهو انتقوله في كتبهم المقدسة والذي يترأفونه خلفاً عن سلف وبه قال جماهير المفسرين . وذهب النقاضي عبد الجبار من المعتزلة الى ان القتل ههنا مجاز وما كان الله ليكلف الناس بالقتل لان التكليف لمصلحة العبد ولا مضاعفة في القتل ان يقتل ووجه الآية توجيهاً مقبولا في اللغة واساليبها وهو نحو ما في السؤال . وذهب غيره من المفسرين الى ان القتل لم يحصل بالفعل وان كان يجوز التكليف به .

قال الآلوسي : ومن الناس من جوز ذلك الا انه استبعد وقوعه فقال « معني اقتلوا ذلوا » ومن ذلك قوله :

ان التي عايطني نشرتها قتلت قتلت فهاها لم تقتل

ولولا ان الروايات على خلاف ذلك لقلت به تفسيراً : وتقل عن قتادة انه قرأ « فأقبلوا انفسكم » والمعني ان انفسكم قد تورطت في عذاب الله تعالى بهذا الفعل العظيم الذي تعاطيتموه وقد هلكت فأقبلوها بالتوبة والترام الطاعة وازيلوا آثار تلك المعاصي باظهار الطاعات » اهـ

وقال في تفسير قوله تعالى « ثم بنناكم من بعد موتكم » بعد ما اورد القول المشهور : ومن الناس من قل كان هذا الموت غشياً وهموداً لاموت حقيقة كما في قوله تعالى « وبأني الموت من كل مكان وما هو بميت » ومنهم من حمل الموت على الجهل مجازاً كما في قوله تعالى « او من كان ميتاً فأحييناه » وقد شاع ذلك نرا ونظماً ومنه قوله :

اخو العلم حي خالد بعد موته واوصاله تحت التراب رميم

وذوالجل ميت وهو ما من على النرى يظن من الاحياء وهو عديم

ومعني البعث على هذا التعليم اي تم علمناكم بعد موتكم : اهـ فاورد في السؤال مقبول وحيه ولم اذكره في تفسير الآيات لاني لم اتذكر ان الاستاذ الامام اورد على انه باكان ليفعل مثل هذه الوجود المقولة ولعلي نسيت وسبحان من لا ينسى

يقضي الحكمة من يشاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون أقوال
فيؤمنوا حسنة أو نكث الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الخميس ١٦ صفر سنة ١٣٢١ - ١٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٣)

استدراك آخر

ذكرنا في هامش صفحة ١٢٣ أننا لا تذكر في أي موضع من التوراة ذكر ذلك الحكم الذي أشار إليه الأستاذ الامام في تفسير الآية ثم ذكرنا أنه في أول الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع وضعه :

« اذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إهلك لتملكها واتما في الخسل لا يعلم من قتله ٢ يخرج شيوخك وقضاةك وقيسوا الى المدن التي حول القتل ٣ فالمدينة القربى من القتل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجبة من البقر فيجرحون عليها ثم يجر بالير ٤ ويحرقون شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يجرث فيه ولم يزرع ويكسرون عتق العجلة في الوادي ٥ ثم يقدم الكهنة بنو لاوي لأنه اياهم اختار الرب إهلك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ٦ ويفصل جميع شيوخ تلك المدينة القربى من القتل أيديهم على انعجة المكسورة العنق في الوادي ٧ ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعينا لم تبصر ٨ تغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يارب ولا تجعل دم بري في وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم الله » اهـ وقد ذكر معنى ذلك الأستاذ الامام في الدرس ولكن جاءت عباراته غير كافية لتوضيحها بهذا الاستدراك

- الإنجيل الصحيح -

(مقدمة كتاب الفيلسوف توستوي الروسي الذي سماه « الإنجيل »)
 (تمهيد) : يتفق دعاة النصرانية فينا دائما : إن القرآن شهد بأن
 الإنجيل كتاب الله المنزل على المسيح وأنه حق ناذا لم تكن هذه الاناجيل
 الاربعة التي في أيدينا هي كتاب المسيح نأين هو كتابه ؟ : وقد سبق لنا
 في المنار الجواب عن هذا السؤال وبيان أن انجيل المسيح في اعتقاد
 المسلمين هو مجذوع المواءم والحكم والأحكام التي جاء بها المسيح وغاها
 بني إسرائيل مع تصديقه للتوراة وأن ذلك لم يحفظ كله وإنما حفظ منه
 شيء ونسيت أشياء كما قال تعالى في أهله « ومن الذين قالوا إنا نصارى
 أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » وما كانوا يعترفون بهذا ولكن
 الله عرف نبيه الامي به فعلم الناس ما لم يكونوا يعادون
 كانت تعاليم الدين محبوسة في هذه الامة عند الرؤساء ولكن ما أحدثه
 البروتستنت من حرية البحث فيه وما كتبه مؤرخو أوروبا الاحرار في
 التاريخ العام قد أظهرنا لنا تفسير قول الله في الانجيل فكان ذلك من دلائل
 نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه ضرب من ضروب إعجاز
 القرآن وآية من آياته البينات . فان التواريخ الكنسية وغير الكنسية
 أظهرت لنا أن أتباع المسيح في زمنه كانوا من العوام الجاهلين وأنهم
 مزقوا من بعده في الأرض كل ممزق وكانوا مضطهدين من اليهود
 والرومان جميعا حتى قضت السياسة على الملاك قسطنطين بالدخول في
 النصرانية واتخاذ عهبة جديدة منها . فلما صار لهذه الديانة سلطة طفت
 تنشئ الحجاج وتجمع الآثار الدينية فظفر عندها أناجيل كثيرة تحكم فيها

الرؤساء كما شأوا وأقروا منها أربعة وحكموا ببطلان ماعداها . وإن كانت هذه الأربعة الا تواريخ للمسيح فيها بعض كلامه المأثور عنه منقولاً عن آحاد لا يجزم العقل بصحة روايتهم كلها ولا يكذبها كلها فالذي يمكن الوثوق به في الجملة ان فيها حظاً من كلام المسيح وبقي حظ آخر هو الذي نسوه . وليس فيها كلمة تدل على أن أحد مؤلفيها يدعي أنه جمع فأوعى كل ما قاله المسيح . بل كانت آخر جملة في الرابع منها قول يوحنا مؤلفه « وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسمع الكتب المكتوبة » اهـ

وإننا بغض الطرف عن الغلو في العبارة نقول إن الأفعال الكثيرة المرادة لا بد ان تكون مصحوبة بأقوال وتعاليم تركت كتابتها كما تركت كتابة الأفعال . ولعلنا في جزء آخر نورد بعض أقوال مؤرخي أوربا في ذلك . ونقول الآن إن القول المطلة من أسر تقاليد الكنيسة قداهتدت الى ما حكم به الاسلام في الجملة . ومن اكبر هذه العقول عقل الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير فقد ألف كتاباً أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى إنجيل واحد وحذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والحواري الكونية وان كان بعضه صحيحاً . وإننا ننشر في المنار مقدمة كتابه هذا

معربة عن الفرنسية لتكون عبرة للعقلاء وان كنا لانسلم بكل ما فيها تسليماً ذكر في أول المقدمة ان كتابه هذا (واسمه الأناجيل) ملخص من سفر له كبير مؤلف من أربعة أقسام - أحدها في تاريخ حياته هو وارتقائه في الفكر الذي أعانته على معرفة الحق والصواب في التعاليم المسيحية كما يعتقد الآن . وثانيها في خلاصة المذهب المسيحي المعروف عند

الكنائس لخصه مما يؤثر عن الحوارين والجامع وجمهور القسيسين وأضاف إليه شرحا « يوضح نساد تلك التعاليم الكنائسية ». وثالثها في خلاصة الانجيل الاربعة وجعلها إنجيلا واحدا يحتوي على التعاليم المسيحية الصحيحة بحسب ما وصل إليه اجتهاده . ورابعها خلاصة عامة للمعنى الحقيقي الذي تدل عليه التعاليم النصرانية وللأسباب التي أوجدها والتتائج التي تستلزمها . (قال) : وهذا الكتاب الذي أنشره الآن ثلثي رؤس الاسكندرية هو خلاصة القسم الثالث : ثم قال :

« ولقد حاولت في القسم الثالث من مؤلتي الكبير الذي سبقت إليه الإشارة ان أترجم وأنشر الانجيل الاربعة جملة جملة لأغفل منها سطرًا واحدًا ولكن رأيت من الواجب ان أتعد في هذه الخلاصة حذف كل العبارات التي ترتبط بهذه الموضوعات . وهي : (الحمل بالمسيح وميلاد القديس يوحنا المعمدان وسجنه وقطع رقبته وميلاد المسيح ونسبه وهروبه الى مصر والمعجزات التي حصلت في كائنا وكذا نوحوم والعزائم لاجراج الجن من أجساد الناس والسير على سطح البحر ولعن شجرة التين والقيامة وكل ما يشير الى النبوات التي جاء مصداقها في حياة المسيح)

« طويت كشفا عن هذه العبارات لانها لا تحتوي على شيء مما يتعلق بالتعاليم المسيحية وانما لها علاقة ببيان الحوادث التي حصلت قبل تصدر المسيح للتعليم وفي اثنا ما وبعده فليس فيها دائمة في ايضاح حقيقة التعاليم التي جاء بها المسيح بل يسوغ لنا ان نقول انها موجهة للتشويش في فهمها والارتباك في إدراكها ومهما كانت الوسيلة في ترتيب المعاني على هذه

الموضوعات فانها لا تغير تعاليم المسيح نقضا ولا اثباتا وانما النرض منها إقتناع الذين لا يعتمدون بألوهية عيسى المسيح ولذلك لم يكن فيها أثر فائدة لرجل لا تؤثر حكايات الخوارق والعجائب في إقناعه فضلا عن كون في نفس تعاليم المسيح الدلائل الكافية على ثبوت ألوهيته

(ثم قال) : « وأقول بوجه العموم فيما يتعلق بمخالفة ترجمتي في بعض المواضع للنص الرسمي المعتقد في الكنيسة ان القارىء لا ينبغي له أن ينسى أنه من الخطأ الفاحش والكذب الصراح ان يقال ان الاناجيل الاربعة هي كتب مقدسة في جميع آياتها وفي جميع مقاطع كلماتها وانما مقدسة بحيث يحرم تبديل شيء منها فلا يصح للقارىء ان ينسى ان عيسى لم يؤلف كتابا قط كما فعل أفلاطون وفيلون ومارك أوريل وانه لم يلق تعاليمه مثل سقراط على رجال من أهل العلم والادب وانما عرضها على قوم من الجهال قد خشنت طباعهم كان يصادفهم في طريقه . وانما جاء بعد مماته بزمان يقارب المئة عام رجال أدركوا مكانة كلماته فخطر ببالهم ان يدونوها بالكتابة . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان مثل هذه المدونات كانت كثيرة وقد ضاع معظمها وان منها ما كان ممشوا بالخطأ والغلط وان النصارى قد استخدموا كل هذه المدونات في أول الأمر حتى اختاروا منها مع توالي الأيام ما ظنوا انهم أقرب للسكدة وللصواب وان الكنائس حينما اختارت أحسن الاناجيل بين مئات الألوف من المصنفات التي جادت بها قرائح المشتغلين بالعلم في أوائل النصرانية وقعت فيما يقوله المثل الروسي « لا يخلو القضيبي من المقد » فأخذت عقدا كثيرا من هذه المجامع وان الغلط في الاناجيل القانونية هو بقدر الغلط في الاناجيل

المهمة لا اعتبارها محلا للشك والارتياب وان هذه الاناجيل المتروكة
تتضمن على أشياء جميلة قد تعادل ما تضمنته الاناجيل الرسمية
« لا ينبغي للقارئ ان ينسى ان تعاليم المسيح هي المقدسة وان
ذلك التقديس لا يتعدى الى عبارات مسطورة وكلمات مرفوعة وان اعتبار
بعض الكتب مقدسة لا يكفي في إحاطة التقديس بكل ما جاء فيها الى آخر
سطر منها . فليس الآن في عالم المدنية من يجهل أعمال النقد التاريخي منذ
مئة عام سوى جهول الناس في بلادنا الروسية فانهم لا يزالون يعتقدون
بهذا الرأي الساذج وهو ان أناجيل متى ومرقس وبولس قد كتبت كما
هي الآن وان المؤلفين المنسوبة اليهم قد كتب كل واحد منهم ما كتبه
على حدة دفعة واحدة

« لا ينبغي للقارئ ان ينسى ان هذا الرأي المبني على الجهل بالمباحث
العلمية انما تعادل تيمته اليوم قول أسلافنا في القرن الماضي ان الشمس
تدور حول الارض . ولا ينبغي للقارئ ان ينسى ان الاناجيل الجملة
المنسوبة في بعضها انما هي ثمرة المباحث الطويلة ونتيجة سلسلة من أعمال
الحذف والزيادة وانما أثر من آثار ما أوحاه الخيال على آلاف من الرجال
وانما ليست بنتيجة ما نطق به الروح القدس على لسان الانجيليين كما يزعمون .
ولا ينبغي للقارئ ان ينسى ان الاناجيل بشكائها الحاضر لا تتضمن ألبنة
شهادة الحوارين وتلامذة عيسى مباشرة وان القول بذلك من الخرافات
التي لا تصبر على محك الانتقاد فضلا عن عدم بناءها على أدنى أساس سوى
رغبة تنوس أبواب التقوى والورع في ان تكون كذلك . فقد توالى
القرون والناس يدنون الاناجيل ويهذبون موضوعاتها ، ويتوسعون في

عباراتها ، وشرحون أقوالها ، فإن أقدم النسخ التي وصلت إلينا قد تمت كتابتها في القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها الى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك من الاشارات التي تستعمل لايضاح الكلمات وبيان الجمل ولذلك دعت الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس الى تنسيدها بطرائق متخالفة من كل الوجوه وصارت نسخ هذه الاناجيل تقارب الخمسين ألفا .

« بل يجب على القارئ ان يستحضر في ذهنه كل هاتيك الاعتبارات حتى لايعول على هذا الرأي السائد فيما بيننا وهو ان الاناجيل وصلت إلينا صادرة مباشرة عن الروح القدس بشكلها الحاضر ويجب عليه أيضا أن يسلم معنا بأنه ليس من المحرم علينا ان نحذف من الاناجيل العبارات التي لافائدة فيها وان نستعين ببعض معانيها على بيان معاني البعض الآخر بل ان الحرام كل الحرام والكفر كل الكفر هو عدم التجاسر على فعل ذلك وان نعتقد بتقدس بعض العبارات ، وطائفة من الكلمات ، بحيث نرى انه لايجوز مساسها على الاطلاق

« هذا وانني أسأل القارئ الكريم ان يتذكر أنني اذا كنت لأعتبر الاناجيل كتباً مقدسة قد نزلت علينا من السماء مباشرة بوحى من الروح القدس الذي جعلنا لنا عبداً ووصية فاني لأذهب أيضا الى ان هذه الاناجيل ليست الا آثاراً تاريخية تدل على حالة التأليف في المعلوم الدينية بل انني مصدق بما حوته من التصور الديني والتاريخي ولكنني اتصورها بطريقة أخرى ولذلك أرجو من القارئ الكريم الذي يعم نظره في ترجمتي بان لا يترك نفسه في أثناء تلاوته تسير في

طريق الضلال من حيث الوجبة الدينية أو من حيث الوجبة التاريخية
التي أقر عليها أرباب الآداب وعنوانها في هذه الأيام فليست أذهب
إلى واحدة منهما دون الأخرى فكلاهما في نظري سواء . لا جرم إنه
يستحيل علي أن أعتبر النصرانية وحيا لا يشوبه شيء أو مظهرا مجردا من
مظاهر التاريخ في هذا الوجود ولكنني أذهب إلى أن النصرانية هي
النحلة الوحيدة التي تجعل معنى لهذه الحياة ولم يدفعني اللاهوت ولا
التاريخ إلى اعتناق النصرانية ولكن الأسباب التي حملتني على قبول هذا
المذهب هي ما يأتي :

أناجيل المسيح

— تمة تقرير رسالة الشيخ محمد مجتهد —

قال المؤلف بعد ما تقدم : ومن هذا القليل بلا شبهة الاجتماع للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنها جامع الخير ومفتاح البركات باجماع المسلمين :

أقول إن الصلاة على النبي والدعاء له مشروع ولكن لم يقل أحد من السلف
ومن ينظر إلى قوله من الحلف بمشروعية الاجتماع لها وكونها شعارا دينيا بين له
وقت مخصوص وصيغ مخصوصة واجتماع مخصوص . وإذا كان الشعار لا يثبت الإبرار
كما تقدم على المصلين أن يتحاشوا ذلك ولا يصلوا ويدعوا مجتمعين وفرداى متحاشين
ذلك شعارا . ولا صفي لهذا الاجتماع الذي ذكره . فالذين يعتقد بهم الاجتماع لم ينقل عنهم هذا
القول « أنها جامع الخير ومفتاح البركات » وإن أراد أنهم قالوا ما هو بمعناه قلنا إن معناه
غير محدود معين وما ذلك الذي قالوه بمعناه ومن الذي نقله بالاجماع ؟ . الذي يقوله كل
مسلم إنما مشروعة وكل مشروع خير نافع ومفيد وبهذا التدرج كفاية

(بدع المواسم) ثم قال : ومن هذا القليل الاجتماع لقراءة وسباع نحو قصة المعراج
وفضائل ليلة النصف من شعبان ويلة القدر في لياليها المشهورة لأن الأولى سيرة النبي

واحاديثه الصحيحة والثانية والثالثة آيات قرآنية واحاديث نبوية جاءت في فضل اليلة
وبيان معاني ذلك مما يرغب في العمل الصالح :

ونقول : الاجتماع لهذه القصص صار له كيفية مخصوصة ووقت مخصوص ويكون في
المساجد ويقضي نفقات كثيرة تؤخذ من أوقاف المسلمين بغير حق فيكثرون فيه إضاءة
القناديل والشموع في المساجد والمنائر وتدار في بعض المساجد أنداح الشراب الحلو
على الحاضرين وقد تكون هذه الافداح من الذهب أو النفضة وذلك حيث يكون
الامراء ومن يتبعهم من الحكام والعلماء . وبعض القصص التي تقرأ فيها تشمل
على الاحاديث المكذوبة والواهية لاسيا قصة المولد التي تدخل في كلامه بمقتضى كلمة
« نحو » . ثم ان هذا الشعار المتبدع يستتبع بدعا أخرى كاجتماع أهل اللهو الباطل
المصبوغ بصبغة الدين بطبوعهم ومزاميرهم في المسجد يعزفون ويغنون ويصنفون
ويهزأون باسماء الله تعالى اذ يذكرونها في لهوهم هذا ويجتمع عليهم في بعض المساجد
(كمسجد القلمسة) الفوغاء والافرنج نساء ورجالا فيكونون في نظر هؤلاء سخرية
وآية على ان دين الاسلام دين الجانين والحقى (حاشاء)

هذا بعض وصف هذه الاجتماعات التي جعلت شعائر إسلامية تقام في بيوت الله
تعالى ومن يقرأ رسالة المؤلف لاينهم منها الاكون هذا الاجتماع المعروف مشروعا
في الاسلام ومن القرائن ان الناس يرون العلماء يحضرون هذه الاحتمالات . نعم إنه
قال في جملة أخرى : لايجوز التكلف في تغيير الصوت في الذكر والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم كما يفعلها العوام فيمنع : ثم قال : وكذا يمنع كل منكر وكل شيء
اشتمل عليه مجلس الذكر والحير دون نفس الذكر واشير : وهذا القول يشبه ان
يكون احتراسا من الاتقاد فان الاجتماعات التي ذكرها معظمها بدع ومنكرات حتى
صار الأقرب ان يؤمر بتكريم ذكر الله ان يكون فيها احتراماً له فان هذه
الاجتماعات قد تكونت هكذا من المنكرات فلا سبل الى إجازتها وجعلها مشروعة
واعتبار المنكرات عرضا لاحقاها يخلص بالانكار دونها . وهذه الآيات وتفسيرها
والأحاديث وشرحها تقرأ في مجالس العلم ولايخطر في بال أحد أن يقول إنها منكرة .
بل قول ان مجالس العلم في نحو الازهر لا تخلو من منكر في الغالب ولكن ذلك هو

المنكر العارض والأصل في المجلس والاجتماع إفادة العلم واستفادته

...

(بدع الجناز) : وقد أحسن المصنف عقيب ذلك في الحزم بحظر ما يكون في الجناز من « رفع اصوات المشيعين للجنازة بنحو قرآن أو ذكر أو قصيدة بردة أو يمائية » وعده ذلك من البدع المذمومة وعلل ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم تركه مع قيام المقتضي لفعاله قال « فيكون تركه سنة وفعاله بدعة مذمومة » كما هو الحكم في مثله بل نقل حديثا رواه أبو داود مرفوعا وهو « لا تتبع الجناز بصوت ولا نار » ثم ذكر ان بعض المؤرخين جوز رفع الصوت بالذكر « مخالفة لاهل الكتاب لأنهم يمشون في الجناز ساكتين » ... رد عليه هذا القول بوجوب احدها اتباع النص النهائي عنه والثاني ان العلة متنوعة فان اهل الكتاب يرفضون اصواتهم في الجناز لهذا العهد . ونزيد عليه ان هذه العادات سرت الى المسلمين منهم . ثم قال مانصه : « وأما ما يفعله في زماننا امام الجناز من الأغاني ورفع الصوت بالبردة واليمائية على الوجه الذي يفعله في هذا الزمان والمشي بالمباخر فلا يقول بمجوازه احد » ثم بين ان عرف الناس لا يعتبر في هذا الزمان كما صرح به فقهاؤهم

اقول قد احسن في القول بحظر هذه البدع . ومثل هذا الذي ذكره في كونه مبتدعا مذموما ما تقدم الكلام فيه من الاجتماع لقصة المراج ولية النصف ولية القدر ولية المولد . وأما العرف المحكم شرعا فلا معنى لاشتراط كونه جرى في عهد الصحابة وإلحاقه بالاجماع كما قل واتما هو العرف الذي يجري في المعاملات الدنيوية ويتواطأ الناس عليه لموافقة لمصالحهم وهو لا يخالف نص الكتاب والسنة ولا يتعلق بالأمور الدينية المحضة

...

(لاعتبره بسكوت العلماء على المنكر) وأحسن أيضا كل الاحسان في قوله بعد

ابطال عرنهم فيما ذكر : « وكذا ما تمارفوه من التثني — أي بدع السلاطين — والترضي وغير ذلك وقت الخطبة فان كل ذلك ممنوع اتفاقا ثابت من منعه أو أمر بمنعه كما ان ثعل نبيء مما علم أنه بدعة مذمومة شرعا في بعض المواضع التي يكون

بها العلماء ، كالجامع الأزهر مع سكوتهم عليه لا يصح دليلا على الحل لان الممول عليه في الاحكام الشرعية هو ما ذكرنا من الأدلة الأربعة : فليتأمل قول هذا العالم الأزهرى أولئك العوام الذين يحتجون على المنار في إنكار بدع الموالد والمساكين بأن العلماء يشاهدونها ولا ينكرونها بل يقرون الناس عليها . وهذا آخر ما اردنا كتابته في تقریظ هذه الرسالة الوجيزة انتقادا واستحسانا وذلك غناية منا بمؤلفها فإكل من كتب يبالي بكلامه

(مختصر جامع بيان العلم وفضله . وما ينبغي في روايته وحمله)

كنا نسمع بكتاب العلم لحافظ المغرب الامام أبي عمر يوسف بن عبد البر وزى انقل عنه في كتب الحديث والأثر ننشئ ان نراه وتنفى لو يطبع . وقد أعطانا الله ماتمى إذ أظفر الشيخ أحمد عمر الحمصاني البيروتي الأزهرى المعروف بحسن اختيار الكتب بنسخة من هذا الكتاب ووقفه لاختصارها وطبعها . وما كان اختصاره الا حذف الاسانيد والمكرره وقد ذيله بهوامش نسر بها القريب من السكم . ونوّه بمض الفوائد والحكم . وجعل في آخره فهرساً للأعلام ذكر فيه جميع أسماء الصحابة والعلماء الذين جاء ذكرهم فيه مبنياً مواضعها من الصفحات والاسطر . وقد بلغت صفحات الكتاب ٣٣٢ وهو بشكل المنار وطبع بحروف كحرونة الصغيرة ولا أحد قولاً أقرظه به بعد شهرته وبعد صيت مؤلفه الا ان أتخف القراء بمض فوائده وسيكون ذلك في غير هذا الجزء . ولكنني أعجل بالصيغة لأهل العلم الاسلامي ومحبيه بأن يقرأوا هذا الكتاب ويقتنوه . وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مؤلفه بالأزهر ومن ادارة مجلة المنار ومن جميع المكتبات الشهيرة في مصر وغيرها (اغاثة الالهيان ، في مصايد الشيطان . وطريق الهجرتين ، وباب السعادتين)

كتابان جليلان للامام الحجة شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلى المعروف بابن قيم الجوزية موضوعهما انتهى عن البدع والحرمان والكلام في الأخلاق والآداب الدينية والمواعظ والرقاق والاعتصام بالكتاب والسنة . ومثل هذا الامام الحافظ هو الجدير بالتأليف في ذلك فقد كان هو وشيخه بل شيخ الاسلام وعلم الأعلام

أحمد ابن تيمية أعلم أهل الأرض بالكتاب والسنة . وعندي أنه لا يستغني أحد يطلب علم الدين عن الاطلاع على كتبها وإن هذين الكتابين يصلحان لإفادة العوام وإن كان لا يستغني عنها الخواص . وقد طبع الثاني منها في هامش الأول وبلغت صفحات المجلد الذي جمعها ٤٢٣ من القطع الكامل وهو يطلب من مطبعة ومكتبة الحاجي بمصر (غنية المؤدين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم)

كتاب حديث الوضع والطبع ألفه الشيخ عبد العزيز شاويش أحد مفتي نظارة المعارف العمومية بدأ بمقدمة في تاريخ التربية وجاء فيه بفصول في تلم النفس وفصول في التربية على اختلاف ضرورها وفصول في أساليب التعليم ونظام المدارس وفي هذه الفصول فوائد ومسائل لا تكاد توجد في كتاب عربي لأنها مقبوسة من علوم العرب — وقد تربى المؤلف في أحسن مدرسة لهم وهي مدرسة دار العلوم بمصر — ومن علوم الأفرنج — وقد تخرج في مدرسة من أحسن مدارس الإنكليز — وقد تصفحنا صفحات من الكتاب فاستحسننا وضعه . ورجونا أنه . ولم ننتقد فيه شيئاً يضع لذلك الوضع . أو يحول دون هذا المنفع . وإنما هي كلمات نبت عن مواضعها . وقضايا لا تؤخذ على إطلاقها .

أما الكلمات فبعضها من تحريف الطبع وبعضها من استعمال المدارس ككلمة تخته فإنها فارسية . أما الحشبة وتعريبها تحت وهو وعاء تصان فيه الثياب وسرير من خشب أو غير ذلك في عرش السلاطان واستعمال المؤلف في اللوح الذي يكتب عليه . وإنما هو ضرب من ضروب التجوز أو التوسع في الكلام نحو التمدية والتقديم والتأخير كقوله « كفي لهم علم واحد » وقوله في ابتداء كلام « كانت تعلم اليهود القراءة » يريد كانت اليهود تعلم . ونحو ذلك من الجمل التي تنكر بعضها البلاغة وإن عرفها التحق ومثلها كثير في كلام المعاصرين من الكتاب والمؤلفين الذين يغفر لهم ما لا يغفر لملهم من التربية والتعليم مثل صديقنا مؤلف كتاب « غنية المؤدين »

وأما القضايا التي ينبغي إطلاقها فنل ما حكاه في أول الكتاب عن التربية عند اليهود وعند العرب . فقد ذكر أن التربية كانت عند الإسرائيليين إلى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد منزلة دنيئة قال « فربو الطفل وليس في قلبه شيء غير الله وجلاله » وهذه نتيجة فيها مبالغة عظيمة ولا بد أن

يكون المؤلف قلمها عن كتاب أوربي يطري اليهود والتاريخ يدل على أنهم لم يكونوا في عصر من الأعصار آخذين بروح الدين مثل هذه العناية. ومثل ما حكاه عن طريق التعليم عند العرب فإنه انما ذكر رأي ابن خلدون في ذلك ولم يذكر ما كان عليه العرب في نفس الأمر

ومثل هذا لا ينبغي كون الكتاب لا نظير له في بابيه وأنه ينبغي للمعلمين والمربين الاستعانة به والاستفادة منه. وبالنسبة أهل الأزهر يقرأونه ويطلعون على ما كتبه واحد كان منهم ثم تعلم بعد علومهم ما لم يتعلموا. وقد قال بعض افاضل المشتغلين بتعليم فن التربية والتعليم في تقرير هذا الكتاب كلمة ينبغي ان تكون فصل الخطاب وهي : إنني كنت اذا اردت إلقاء الدرس في هذا الفن لا اجد ما أقول الا بعد بحث واستقصاء : وجهد وعناء ، فلما طبع هذا الكتاب نظرت فيه فأصبت في كل فصل من فصوله ما ينبغي ان يلقى في الدرس الذي بحث ذلك الفصل في مسائله مع زيادات لا يستغنى عنها ، ولا بد للمعلم منها : ، والكتاب يطلب من مكتبة المؤيد ومكتبة الشعب بمصر (المتحل - للإمام أبي منصور الثعالبي)

الثعالبي من أئمة اللغة والأدب المعروفين وله الكتب النافعة فيهما ومنها هذا الكتاب الذي أودعه مفردات ومقاطع من مختار الشعر في ضروب الكلام وشجونه مما يحسن إيراده في الرسائل والنصول الأدبية والأخلاقية والاجتماعية. ولقد كان سرّاً مضمراً في خاطر الدهر حتى واهت نسخة منه لشيخ أحمد أبي علي أمين مكتبة البلدية في الاسكندرية وهو من أهل العلم والأدب وعشاق فنون نأذاعه بما حرص على نشرها بالبيع بعد عناء في تصحيحها وتعليق شرح وجيز عليها جعله كالمطراز على مطارف بعض الصحائف .

(المتحل . في تراجم شعراء المتحل) كتاب لطيف لشرح المتحل وخامه رتب فيه أسماء الشعراء الذين ألف المتحل من مختار كلامهم على حروف المعجم وذكر سيرهم مختصرة مفيدة فكانت صفحات الكتابين ٣٦٠ ، والكتاب طلبة المتأدبين وقد طبع على ورق جيد وضبط ما يستحق التفتيح من كذا بالشكل وثمن النسخة منه ٢٠ قرشاً صحيحاً وأجر البريد قرشان وهو يغلب من طابعه ومن إدارة مجلة المنار بمصر .
واننا نذكر نموذجاً منه ونبدأ باب الامثال والحكم والآداب

(قال امرؤ القيس بن حجر الكندي)

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقية الرجل
لقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنمة بالأياب
فأنك لم ينخر عليك كفاخر ضعيف ولم يفلبك مثل مغلب
وجرح النسان كجرح اليد
(وقال طرفة بن العبد)

كفى واعظاً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتقتدي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرن بالقرن يهدي
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يعتب أهله وقام جنة الشر للشر فاقعد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ياراقد الليل مسرور بأوله إن الحوادث تدير قن أسحار
كأنهم أروغ من تعب ما شبه الآلة بالبارحة
لنا يوم ولكروا ن يوم تطير البائسات ولا نظير
وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
(وقال الأفعوه الأودي واسمه صلاح بن عمرو)

تهدي الأمور بأهل الرأي ماصلحت وإن تولت فبالأشرار تنقاد
واليت لا يبتغي إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكين بلغوا الأمر الذي كادوا (١)
(وقال محمد بن منذر)

يا عجباً من حاله كيف لا يخطئ فيناصرة بالصواب
(وقال أبو نواس)

كفى حزناً أن الجواد مقتر عليه ولا معروف عند بحيل
وأوبة مشتاق بشير دراهم إلى قومه من أعظم الحدثنان

(١) المنار — كاد الأمر حاول طلبه

(وقال محمود الوراق)

وإذا غلا شيء علي تركته فيكون أرحم من ما يكون إذا غلا
ولم أر بعد الدين خيراً من أني ولم أر بعد الكفر شرّاً من أني

(وقال علي بن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل حياة وأفضل أخلاق الرجال اتفضل
ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عاراً أن يزول انتجمل

(وقال أبو تمام)

ومن لم يسلم لنوائب أصبحت خلاقه طراً عليه نوابها
وقال أبو الطيب المتنبي

أهم بشيء والديالي كأنما تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الحلال في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد
إنما لني زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

(وقال آخر)

فيا نفس صبراً إنما عفة الفتى إذا عفّ عن لذاته وهو قادر
دع الوطن المألوف رابك أهله وعدّ عن الأهل الذين تكاثر
فأهلك من أصفى وعيشك ما صنا وإن نزلت دار وقلت عشائر
وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفور وافر
وهل تحجب الشمس المنيرة ضوءها ويستر نور البدر والبدر زاهر

(وقال آخر)

وكنّت إذا خاصمت خصماً كيت على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غابت عليّ وقالوا قم فانك ظالم
ولما التقينا لجلجت في حديثها ومن آية الكثر الحديث المملج

ان الامير هو الذي يضحى أميراً بمد عزله

ان زال سلطان الولا ية فهو في سلطان فضله

شعار الفتى ذم الزمان الذي أتى ومن شأنه مدح الزمان الذي مضى

(مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر)

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أنندي زيدان منشئ مجلة الهلال الشهيرة وهو خاض بترجم رجال العلم والأدب والشعر ومنهم كتاب الجرائد وطريقة المؤلف في التأليف وذوقه في تحرير التاريخ مما لا يحتاج الى تنويه . ولا يكاد يوجد قارئ بالعربية الا ويحب ان يطلع فيه على ترجمة فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني وغيره من رجال العلم والأدب كالدكتور فاندك والسيد أحمد خان وبطرس البستاني والشيخ أحمد اقلي فارس وكل بك نامق ومحمود باشا الفلكي وأمثالهم . نعم قد انتقد عليه انه ذكر بعض الادباء الذين لا يعدون من رجال النهضة والذين يوجد لهم نفاذ وأمثال كثيرون . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً

(ديوان الرافعي)

لم ينس القراء اننا نشرنا مقدمة هذا الديوان في الجزء الأول وقد تم طبع الديوان مذيلاً بشرح وجيز اشقيق اتناظم محمد كامل اقلي الرافعي . ومن أراد ان يعرف مكانة هذا الديوان في دواوين الشعر والأدب فلينظر ماقرظه به فرسان هذا الميدان كحمود باشا سامي البارودي والشيخ عبد المحسن البغدادي وحافظ اقلي ابراهيم وغيرهم وإننا نشر تقريرنا هذا الاخير لاختصاره قال :

تدقراً نظيمكم فقرأنا	حكمة كحلة وشعراً فنيا
وتلونا تيركم نشهدنا	كاتباً بارع اليراع سريراً
خاطر يسبق العيون الى انقلد	ب ويطوي منازل البرق طيا
ومعان كأنها الروح في اله	يف تهب النفوس همز الجيا
من بنات الحار يصبو انبها	تاج كسرى وتشتها الثريا
ليه يارافعي أحسنت حتى	لاأرى محسناً يجنبك شيا
أنت والله ككاتب بدوي	ان عددناك شاعراً بدويا

ولا غرو فهذا الشاعر في بدايته تدفق كثيراً من شيوخ الشعراء في نهايتهم فتحتى لو يقبل الناس على ديوانه تنشطاً للأدب واهله
(ورقة الآس) هي القصة الاربعة عشرة من قصص (مسامرات الشعب) الشهيرة

كتبها احمد بك شوقي شاعر الامير وقد قرأتها فأنيتها احسن ما قرأت من هذه القصص عارة واسلوباً وتأثيراً حتى كدت اقول انها هي القصة الأولى والاخيرة من هذه المسامرات. وقد صدر بعدها قصة مصارع الشهوات وقصة الفتاة اليابانية وهي الاخيرة ومؤلفها حسن افندي رياض وقد نظرت في التي قبلها فلم اجدواثلها وربما كان ختامها مسكاً

جرائد ومجلات جديدة

(المغرب) جريدة سياسية اقتصادية علمية ادبية تصدر في مدينة الجزائر باللغة العربية مرتين في الاسبوع صاحب امتيازها موسيو بيير فونطانا وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات في الجزائر و١٥ في غيرها وهي على قبح ورقها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بمضاحيل العالم وشؤون الاجتماع فتعني لها دوام الاعتدال والقصد والرواج في تلك البلاد

(الافكار) جريدة وطنية اخبارية بحية اسبوعية انشأها في سان باولو بالبرازيل الدكتور سعيد ابو جهره صاحب كتابي (حياتنا التاسية) و (وقاية الشبان) وقيمة الاشتراك فيها ٢٠٠ قرش برازيلي في البرازيل وخشرون فرنكا في سائر الممالك وهي جريدة رجي قائمتها فمسي ان تحقق الرجاء

(النضلة) مجلة ادبية تصدر في مصر آخر كل شهر شمسي لمنشأها سليم افندي العضم وقيمة الاشتراك فيها اربعون قرشا في القطر المصري وثلاثة عشر فرنكا في

غيره وثلاثون قرشا لرجال الدين وطلاب العلم. وقد صدر منها جزآن ثانيهما في شهر ابريل (حب العلوم) مجلة علمية دينية تاريخية انتقادية تصدر برفق مرتين في كل شهر

لمنشأها الشيخ عبد الفتاح جاب. الله (هكذا) وقيمة الاشتراك فيها خمسة عشر قرشا ولطلبة الأزهر واساتذة المدارس عشرة قروش وقد انشئت في اول المحرم من هذه السنة

(الصيحة) جريدة اسبوعية تصدر في طنطا صاحبها محمود افندي الشاذلي وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش (حنيه مصري)

(القاهرة) جريدة تصدر في مصر اصاحبها بشير افندي يوسف قيمة الاشتراك

فيها ثلاثون قرشا وهي تصدر في الشهر مرتين

(انيسية) جريدة اسبوعية تصدر في مصر لصاحبها يوسف افندي كساب وقيمة

الاشتراك فيها ٦٠ قرشا في القطر المصري و٢٥ فرنكا في سائر الاقطار

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَعْلَى

— شرف العرب وفضاهم على الأمم —

صدر الجزء الصادر في هذا الشهر من المقتطف بمقالة في عمران العراق أورد الكاتب فيها ماخص مقالة لجريدة اتيس في شريعة حوربي (وضبطه «مهوراني»)
جاء فيها ان هذا الملك الشارح العظيم الذي يرى العلماء في أوروبا ان معظم التوراة مستمدة من شريعته هو من أسرة عربية الأصل قال «العرب هم الذين وضعوا تلك الشريعة» فحسب العرب نفرا وشرفا أن أقدم شريعة عرفت في الأرض الى هذا المهد هي منهم وآخر شريعة وجدت في الأرض فكانت خاتمة الشرائع الالهية جاءت على أيديهم فمن يفاخرهم في الأرض وهم ساسة الأمم ومهذبوها في القديم والحديث أولئك آباي خبثي بئاهم اذا جمعتا يا جبرير الجامع

نعم انهم قد هضموا أنفسهم منذ قرون فهضمت حقوقهم الأمم حتى صار يافطو المتطفلون على موائد العلم والكتابة بذهمهم والقول بأنهم لاستعداد فيهم للسياسة ولا للحضارة فصدق عليهم قول شاعرهم «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» ولا طريق لتكريم النفس إلا العلم والتهذيب فأما التهذيب فأهل البداوة منهم ارسخ اناس عرقا في اصول الفضائل وهي الشجاعة والشهامة والمروءة والتجدة والسخاء والوفاء والصفوة. وأهل الحضارة منهم اقوى الناس استعدادا له. وأما انهم قائله الذكاء والعقل والعرب اذكي الناس اشددة واكبرهم حلوما ولكن للعالم في كل زمانا طريضا فلا بد للعرب كثيرهم من التوصل الى العلم الدنيوي من الطريق الذي سار عليه الافرنج قبلهم فسادوا واعتزوا وأما علم الدين فهو منهم على طرف النام. فاذا عقل سرائهم هذا فلا يبعد. ن وسيلة لاشراع هذا الطريق. وبالله التوفيق

— البيوت — المحبة الزوجية —

قال تعالى «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن

اليها » وقال « ولرجال عليهن درجة » وهي السيادة فالرجل والمرأة زوجان من نفس واحدة سعادتهما في سكون كل منهما الى الآخر وشقاؤهما في نفور أحدهما من الآخر . هذا السكون فطري في البشر والحيوان وان شئت قلت في الاكوان ولكن البشر أعطوا علما واختياراً في التصرف بالنظرة فتارة يكون تصرفهم جارياً على سننهم ونظامها فيرقها ، وتارة يكون منحرفاً عنه فيفسدها ويدأبها . فكل ما تراه من الشقاء في البيوت فسده فساد التربية وسوء الاختيار . وقد يصحب هذا الفساد شيء من العلم فيمويهه ، وقد يكون مع الجهل فيشوّهه ، وقد يبتغي الجهل الى قلب الطباع ، وتغيير الاوضاع ،

الرجل يسكن الى الاتي سكون فطري لانها أتي وهي تسكن اليه لانه رجل . وللرجولية صفات تدفعها أعمال كلما قويت في الرجل فكان جديراً بزيادة ميل المرأة اليه وللأنوثة صفات تدفعها أعمال كلما قويت في المرأة كنت خليفة بزيادة ميل الرجل اليها . فصنات الرجولية الشجاعة والجدة والسيادة ومن أعمالها الحماية والمدافعة والكنالة ونحو ذلك وصفات الأنوثة اللطف والرفقة والحياء والسمانة ومن أعمالها التربية والخدمة كتربية الاطفال وتمريض المرضى ، ولذلك قلنا في مقالة عندنا لبيان مضار تربية النساء الاستقلالية ان هذه التربية تقرّب المرأة من صفات الرجولية فتفسد فطرتها وتضعف وسطاً بين الاطفال والرجل في نقل الطفل بالتدرج من طفولته وإعداده للرجولية وبذلك يقل ميل الرجل وسكونه اليها لان الرجل لا يسكن هذا النوع من السكون الا الى الاتي من حيث هي أتي تمتاز بصفات مخصوصة تمثل الأنوثة بما يفصلها عن الرجولية

سكون كل من الصنيتين الى الآخر طبيعي لا يزول ولكن الصفات الطبيعية المذكورة تزيد قوة وتحفظه بفسادها وتفسده أو تضعفه بضعفها . وقد صارت الخنوة والزينة من عادة الشبان في المدن التي لا تربية فيها كعصر نصار النساء يمان الى ذلك في الرجال ولو بصرت المرأة التي تحب شاباً مختاراً متورّماً (كثير الزينة والطيب) شاباً شهم الجبان شجاع القلب مفردس الصدر ضخم الكراديس شثن الكفنين سبط لزندين لنفضله على حبيبها الخنث تفضيلاً . « هذا وما فكيف لو » ولو تربت تربية

مجيئة اظهر هذا الليل فيها أقوى فقد جاء في المقتطف المأيد مانصه :

ما تستحسنه المرأة في الرجل

« أنفي هذا الموضوع على كثيرات من نخبة الكتابات الانكليزيات فكتبت سارة بيري تقول: ان المرأة تعجب بشجاعة الرجل واستقلاله وتود أن يكون زوجها متسلطاً عليها ولقد كن ذلك شأنها منذ العصور الغابرة وان كن المعمران الحاضر قد سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق لكن الإعجاب بقوة الرجل لا يزال ديدن المرأة ولذلك تراها تعجب بالجود لانهم يمثلون القوة البدنية وخدمة الدين لان لهم سلطة أدبية ودينية

وكتبت لياس داندن: ان المرأة ضعيفة فتعجب بقوة الرجل سواء كانت جسدية أو عقلية أو أدبية وهي تطلب رجلاً يسود عليها فاذا وجدته خضعت له وتذغرس هذا الحلق في فطرتها ولذلك تصف الرجال بما يتقصها وتعدهم ولا يعبأ انفسها بالوجه الجميل ولا يتفرن منه اذ لم يكن جميلاً لان ليس فيهن ذوق خاص بالجمال كافي الرجل وقد خضت الطبيعة الرجل بحب الجمال وخضت المرأة بالجمال لكي يكون جذاباً له اليها وكذلك خض الرجال بالقوة فصارت قوتهم جذاباً للنساء اليهم. وهن يعجبن بالشجاعة والقوة والصبر على المكاره. هذه هي النضائل التي تود المرأة ان يكون زوجها متصاناً بها وهي لا تسامحه اذا فقد هذه المزايا ولكنها تسامحه اذا فقد غيرها

وكتبت ادلين سرجنت: ان القوة الجسدية تجذب المرأة والقوة العقلية تسعرها والقوة الروحية تسلط عليها وسبب ذلك واضح وهو ضعف المرأة فلا شيء يتولى عن قلبها مثل الاعتماد بان زوجها قوي الارادة أو قوي الذراع

وكتبت سارة دودني: ان المرأة تعجب بقوة الرجل ونظرة واحدة الى رجل قوي تنسينا مئة وجه جميل وخضاب فسيح الا اذا كانت لنا عيون لا تبصر. وأقول بالاختصار ان الشيء الذي تعجب به أكثر من غيره هو القوة والعظمة مع الميل الى الحلم وكتبت ماري كنور ليتن: انه اذا كان في رجل دليل على انه يفعل فعل الحيازة حينما تدعو الحال الى ذلك فهو الذي تعجب به المرأة أكثر من غيره وتفضله على غيره وما من امرأة تعجب بجمال أو تجهه. وليس لجمال المنظر شأن كبير في عيون النساء

وكتبت مس الصابات بنكس: ان الشجاعة والحلم أسمى مناقب الرجال في عيون النساء وكل امرأة تحب ان يكون زوجها سيداً عليها
وكتبت السيدة ميد: ان المرأة تتبع الرجل اذا كان قوياً وتعبد له اذا كان مع
قوته كريم الاخلاق

وكتبت مس ائل هادل: ان كرم الاخلاق خير الصنات التي يتصف بها الرجل
والكتابات خمس عشرة من أشهر كاتبات الانكليز وقد كدن يتقن كلهن على
ان المرأة تفضل الشجاعة على غيرها من أوصاف الرجال « اه

وقد سر القراء بما كتب المقتطف وكتب الينا صاحب الامضاء ما يأتي :

حضرة العلامة المنضال منثي المنار الزاهر

طلعت في الاخبار النامية من مقتطف شهر مايو الجاري سؤال وجهه احد
علماء الانكليز لجماعة النساء عن ماتستحسنه المرأة في الرجل فأجاب عن هذا السؤال
خمس عشرة كاتبة من فضليات نساهن وتد كدن ان يتقن على ان المرأة تفضل
الشجاعة والقوة على غيرها من أوصاف الرجل وقد ذهب بعضهم الى ذكر أوصاف
لا تملو من حقيقة وهو بحث يحق الانكليز ان يقتخرن به إذ طابق ما جاء في كتابنا
الحكيم حكاية عن موسى وابني شعيب عليهما السلام في سورة القصص « قالت إحداها
يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين » ذلك بمدان سألهما موسى عليه السلام
عند المساء عن سبب ذود غنهما « قال ما خطبكما قالتا لانني حتى يصدر الرعاء وأبونا
شيخ كبير ففقي لهما » برفه الصخرة عن فوهة البئر بذراعيه القويين دون انتظار
عجيء الرعاء وهذا مما يدل على ما كان عليه موسى عليه السلام من القوة والشجاعة
ولذلك أعجبت احداها به وارادته زوجها على فقره وعدم معرفتها اصله ونسبه
وهذا مما ثبت لنا ان قرآنا الحكيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها من امر
هذا الصكون العظيم من اخلاق وعادات بني الانسان وما تجري عليه سنن جميع
المخلوقات فسبحان الله العلي العظيم

ومن موجبات الاسف انه يوجد بين ايدينا هذا الكتاب الكريم شاملا لجميع
المطالب ونحن المسلمين في لهو عنه وعن محكم آياته وغيرنا يبحث وينقب عن الحقائق

حتى يجدها ولو اشتغلنا بما في كتابنا لو وجدنا فيه من الفوائد الجليلة المنافع ما به رفع شأننا دنيا واخرى وما كان لاحد ان يسبقنا في مضمار العلوم والمعارف مادامنا عاكفين عليه ولكن هو انكسل والتقليد الأعمى قد ألقيا على بصائرنا غشاوة كثيفة لا يزيلها الا الخوض على التعليم الصحيح دون التنازل الى ما في المجلدات الضخمة بل العمل بمقتضى الحال ومجاراة الامم الراقية بمقول افرادها فاذا نحن جارياتهم في مباحثهم ومطالبهم وبين ايدينا هذا المرشد الصادق فلا شك اننا نصبح على درجة عالية لا يصلها الا من اتبعنا وعمل بمقتضى شريعتنا والسلام

(حسين العقاد)

(الاحتفال بمدرسة الشوربجي في كفر الزيات)

احتفل في يوم الجمعة الماضي بافتتاح مدرسة مصطفى بك الشوربجي التي انشأها في كفر الزيات احتفالاً حضره الجلم التغير من وجهاء العاصمة في مقدمتهم مفتي الديار المصرية وبعض العلماء وعدلي باشا يكتن محافظ مصر وبعض الاعيان ومن أصحاب الجرائد صاحب المؤيد وصاحب الوطن وصاحب الجوائب المصرية وصاحب الرايد المصري وبعض وجهاء الاسكندرية وطنطا وغيرها من مدن القطر. وقد سبق لنا ذكر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة في شعبان الماضي وقد تم بناؤها في نحو ستة اشهر لما للمنتشي حياه الله تعالى من الهمة العالية والعناية الصحيحة في هذا العمل العظيم بدئ الاحتفال بتلاوة آيات شريفة من سورة الفتح وانشاد التلميذات والتلامذة بعض الانشيد والخطب في فضل العلم والتعلم ومنهم حفيدة لصاحب المدرسة نقرأ بمجدها وحق لهم الفخر به

ثم بعد ذلك دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقمت وقلت بعد البسملة والحمدلة والصلاة ما خلاصته

كنت حضرت الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة ودعيت الى الخطابة فقلت كلمة شكر وكلمة ترغيب وقد دعيت الآن لقول كلمة أخرى الا اني اراني في موقف في هذا غيري في موقف في الأول اراني في حاجة الى الاعتذار وما كنت متذراً اعتذر عن ذنب

التقصير قبل ملابسته فأنني أتوقفه لأنه يتنازعني الآن شعوران مأسا على نفسي امرحا — شعور السرور والابتهاج بجماع الكلام العربي المنسجج من التلميذات على حين اننا نرى المجاز لا يصحح قراءة الفاتحة وهذا الشعور قد ابكاني من حيث كان ينبغي ان يضحك في سروراً ولكن الجو الذي نعيش فيه ملوئ بالابكيات فالحبل الممام وفساد الاخلاق والنفقر وتقطع الصلات الاجتماعية كل ذلك يبكي ولكن تكسرت الاتصال على اتصال خفت الميون بعد ما كانت تبكي وصارت لا تجود بالدمع الا في موقف السرور والشعور الباني هو ان في هذا المجلس روحا عالية تقضي العلم والعرفان في هذه البلاد وأنا ممن يستمد منها لذلك اخجل ان اعرض شيئاً من العلم في مجلس تحضره هذه الروح انمالية .

اعود الى ذكر الشعور الأول فأقول انه مبعث عن روح البر والخير التي انشأت هذه المدرسة لافادة العلم وهي روح مصطفى بك الشوربجي ازركية . قد كنت قلت في كلتي الأولى ان إنشاء المدارس افضل من إنشاء المساجد من حيث ان المصلي في المسجد اذا كان جاهلاً تكون عبادته قسدة وذلك ذنب يستحق العذاب وفي المدارس يزاح الجهل وتصح اعمال الدين واعمال الدنيا . واذا كان العلم افضل الاشياء فللمساعدة عليه مساعدة على افضل الأعمال وصاحبها يستحق افضل الثناء والشكر فيجب ان نشكر لهذا الرجل الجليل عمله والله تعالى يشكره ويمجزه عليه افضل الجزاء

ثم انتقلت الى حث الأغنياء على إنشاء المدارس ونشر العلم فأت : لاندري اي فضل واي فائدة للمال اذا كان صاحبه لا ينفق من فضل ماله في هذا السبيل وهي افضل السبل . ثم بينت فساد رأي من يجمع المال لأجل الفوائد الحسية وتلت : لا ارى مثلاً ان يجمع المال ليكثر في الصناديق اظهر نماضير به الامام الفزالي للعرابي الذي يجمع المال مقصوداً لذاته في العمل والكسب إذ قال انه مثله مثل من يبحس القاضي العادل الذي يفضل في الخصومات وينصف المظلوم من الظالم ويترك اناس فوضى يتهايون ويتواثبون . وان الذي يقدر على نشر العلم ثم يقصر فيه اجدر بهذا المثل فان اهل التعدي ومرتكبي الجرائم انما يجتزون السيئات باغواء الجبول وفساد التربية فان المربي العالم بما لفيه عليه من الحقوق لا يسرق ولا يعتدي فأنم جميع

الجرائم التي تقع في انبلاء على عاتق الاغنياء بل عليهم تبعة جميع ما نحن فيه من التأخر في العلم والكسب والشؤون الاجتماعية

وإذا كانوا يجمعون المال لأجل الشرف وارتفاع المكانة فقد زال ذلك الزمان الذي كان يعد فيه التوسع في الانفاق على احتمالات الافراح والمآتم والموالد من الشرف وصارت هذه النفقات متقدمة ومنظورة بعين السخط من العقلاء والفضلاء وأما الانفاق في طريق العلم فقد كان ولا يزال هو الشرف الاعلى وصاحبه هو الحمود عند الله وعند الناس بل هو أفضل الناس إذا قام بحقوق المال مع سائر الحقوق وهو الذي يسمى الفقي الشاكر

يتوهم قوم ان الزهد الذي يستحبه الدين عبارة عن اختيار الفقر وتفضيله والرغبة عن الكسب وهو توهم باطل فان النبي صلى الله عليه وسلم فضل الاخ المكتسب على الاخ المتقطع للعبادة . أزيد على هذا ان الحديث الذي استدل به بعض العلماء على ان الفقير الصابر أفضل من الفقي الشاكر قد استدل به نفسه آخرون على أن الفقي الشاكر أفضل . الحديث هو أن بعض الفقراء شكوا للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبق الاغنياء لهم بالخير والاجر لانهم يصلون ويسومون مثلهم ويتصدقون بفضول أموالهم فأمرهم بالذكر والتسبيح والتحميد فرضوا ثم عادوا وقالوا لهم يفعلون ذلك فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والمتبادر أن الإشارة الى المال الذي يتفق في سبيل الله . وسبيل الله هو كل ما فيه فائدة ومنفعة للناس . وإنما الزهد المحبوب هو ان لا يكون الانسان عبدا للمال وهو زهد النفس

هذا هو الفقي الذي يجمع للانسان بين خيري الدنيا والآخرة . ويظن بعض الناس أن عمل الخير لأجل الشرف والحمدة مذموم في نظر الدين ولا ثواب لصاحبه عند الله تعالى بل هو مؤاخذ كما يؤخذ من كتب الصوفية . إن هذا الظن غير صحيح وما كان الله ليؤاخذ الانسان على شيء أودعه في فطرته وجعله سائقا له الى كماله وهو حب الحمدة الحقة وإنما المذموم عند الله تعالى وعند الناس هو حب الحمدة الباطلة والثناء الكاذب . ما توعده الله الذين يحبون أن يحمدا بما فعلوا وإنما توعده الذين « يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » . كيف بك يا الله تعالى يا باهيا من حب التناء الحقي

ورفعة الذكر وقد امنت بذلك على أفضل العاملين وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى في خطاب خاتم النبيين «ورفعنا لك ذكرك» وقال تعالى في كل من إبراهيم وموسى وهرون وغيرهم من الأنبياء «وتركنا عليه في الآخرين» أي تركنا عليه التناء الحسن

حب الحمدة الحق لا ينافي كون العمل الصالح لوجه الله تعالى بل هو معنى من معانيه . إننا لن نبلغ نفع الله فننفعه ولن نبلغ ضرره فنضره كما ورد وإنما كلفنا بعمل الخير لأجلنا لا لأجله . فاتباء وجه الله في العمل هو إرادة المنفعة الباقية به فإن لكل شيء في هذه الدنيا وجهين — وجهها إلى الحفظ الجزئية الفانية ووجهها إلى المنافع الكلية الباقية وهذا هو وجه الله تعالى والذي يرضيه ويثيب عليه . والتناء عليه حق « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

إذا عرف الناس للعامل المحسن فضله : وشكروا له عمله . يكون ذلك باعثاً لهم إلى المباراة والمسابقة في ميادين الأعمال النافعة . وإن تقدم الأمم وارتقاءها على قدر مبارات أفرادها في الأعمال النافعة ومساقتها في ميادينها ، وإذا كان المولك والأمراء هم الذين يحفلون بما يكون من أفراد رعائهم ويقدرون المحسنين قدرهم فلا تسلب عن مبالغ تأثير ذلك في تقدم الأمة وارتقاءها . أذكر أن السلطان ملكشاه السلجوقي قد احتفل بعالم نبغ في عصره لأذكر اسمه الآن وكان من عادتهم أن يقودوا في موكب الاحتفال الخيل المسوَّمة أمام المحتفل به وعليها الميَّار الموثقة . وكان من عناية السلطان أن يمشي في الموكب مشياً ووضع على عاتقه وظهره ميثرة من الميَّار التي توضع على الخيل فلامه وزيره نظام الملك في نفسه على هذه المبالغة في التواضع وسأله عن السر في ذلك فقال له سأحييك عن هذا السؤال بعد بضع سنين فلم تمر السنين المميَّنة إلا وقد نبغ في تلك البلاد عدد عظيم من العلماء الأعلام فقال السلطان للوزير هذا هو جواب سؤالك

قلت : وأجدر أمراء المسلمين بالعناية بأمر العلم في هذا العصر أمير هذه البلاد فإنه أعرفهم بقيمة العلم لأنه قد تربى في المدارس العالية وأخذ من العلوم حظاً لا تعرف أمراً مسلماً يساهم فيه . فإذا هو أظهر رضاه واعتباطه بمثل هذا العمل الجليل فلا

نلت ان نرى الأغنياء والوجهاء يتبارون في مثله : (قلت هذا وأمامي مندوب من الامير يحمل الوسام العتافي من الدرجة الثالثة لمصطفى بك الشوريجي كما يأتي)
ثم بعد ختم الكلام بالحث والترغيب دعي الى الخطابة ابراهيم بك الهلباوي فقام واعتذر بمثل ما اعتذرت به وزاد عذراً ثالثاً وهو أنه لم يكن يتوقع الخطابة ثم قال إنه يوافق الخطيب الأول في قوله الا أنه لا يرى حوله الا مايسر من الاقبال على العلم وافتتاح المدارس وذكر حال البلاد قبل ثلاثين سنة وما كانت عليه من الرغبة عن العلم والتعليم لاسيا تعليم البنات وقال إن الأهالي كانوا يعتقدون ان تعليم العلوم اذا لم يكن مضموما بلسان الدين فانه ليس محموداً وان حال العلماء كان يقوي هذا الاعتقاد فيهم وان من تحوّل الحال أن صرنا نرى كبار العلماء تؤسس المدارس وتحضر احتفالها وان أكثرهم يرسلون أولادهم الى المدارس لاسبسي الطرايش والسراويل الضيقة كسائر أبناء العصر الجديد . وخص بالذكر مفتي الديار المصرية ركن العلم الركبن ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي تدير عدة مدارس منتظمة لتعليم أولاد الفقراء . وذكر مدارس جمعية المساعي المشكورة وما كان من الصعوبة في تأسيسها . وكذلك مدارس جمعية العروة الوثقى . واستطرد من ذكر الجمعيات الى الثناء على صاحب الاحتفال مصطفى بك الشوريجي وقال انه صار فينا الفرد يعمل عمل الجمعية فكذلك الرجل الفاضل الذي وجه عنايته الى تأسيس المدارس المتعددة

ثم قام بعده جندي افندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن القراء خطيباً وقال في فاتحة كلامه ان الخطيبين السابقين اعتذرا بما اعتذرا به عن التقصير الذي تقتضيه مهابة روح العلم الحاضرة وانه أجدر بالاعتذار لولا أن جراه اعتقاده بحلم العلماء وإغضائهم ثم قال ان الخطيبين تكلموا في فضل العلم والحث عليه وانه اختار ان يحمل معظم كلامه في مكارم الأخلاق فان العلم لا يفيد بدون مكارم الاخلاق شيئاً وأظن في ذلك ماشاء وأثنى على المحتفل بما هو أهله

ثم رغب مدير الاحتفال الى الاستاذ الامام بأن يشرف الآذان بدرر كلمة ويحيي العقول بسقود الجواهر من حكمه ، فقام واقفاً ولم يقف اضطرب الجمع

وطفقوا يستربون حتى كادوا يكونون عليه ليدا . ولما تكلم امتدت الاعناق . وشخصت الأبصار ، وأصاحت الآذان ، وخشعت الاصوات ، وأسر المازفون بالموسيقى بالكف عن عزفهم . ولكن الأستاذ كان لسوء الحظ قد عرض له شبه بحة منته من رفع الصوت والاسترسال في الكلام حتى ترك لها الدرس في الجامع الأزهر فلم يطل القول كما كان يجب هو ويجب اناس وسأوى في الاعتذار الخطباء الذين اعتذروا بمباهته وإجلاله عن الاسترسال في القول والاجادة في الخطابة

اعتذر بما ذكر وقال ان هذا المذر كاد يمنعه حضور الاحتفال بالمرة كما منعه الاجابة الى حضور الاحتفال التأسيسي ولكنه تحمل المشمة للترغيب والتشيط في إنشاء بيوت العلم ورؤية هذا الرجل الموفق للخير المسوق اليه بوازع الفطرة السليمة (قال) : انني من زمن بعيد كنت أشتهي ان أرى الخير الفطري البسيط في الانسان وما كنت أظفر به . رأيت كثيراً من الاخيار ولكنني كنت أرى الخير فيهم مركباً من الاستعداد الطبيعي والتأديب الصناعي لا بسيطاً ساذجاً حتى اذا رأيت اليوم هذا الرجل مصطفى الشوريجي رأيت جمال الفطرة الانسانية في بساطتها وسذاجتها . رأيت هذا الرجل مسوقاً الى عمل الخير بسائق حب الخير لا يتغي به حمداً ولا شكراً إلا وجه الله ومرضاته وانني أراه مدفوعاً الى مثل هذا الاحتفال . ولولا ذلك لم يكن يخطر له ببال ، على انني موافق على مقال الخطيب الأول في حب المحمدة الحقة ولكن هذه مرتبة أخرى لاتكاد توجد الا في الفطرة السليمة

ورق هذا الرجل مالا فاهتدى الى إنفاقه في أفضل وجوهه ووضعه في أشرف مواضعه ونيس هذا بالأمر الصغير فقد قال علماء الاقتصاد ان الدراية والعناية التي يحتاج اليها في انفاق المال تزيدان عما يحتاج اليه في جمعه عشرة اضعاف . فقلما يحسن انفاق المال من لم يعلم هذا العلم في المدارس العالية . ولكننا نرى اكثر الذين قفلوا في المدارس وتوسعوا في درس علم الاقتصاد السياسي من أهل بلادنا هم أشد الناس إسرافاً في المال وتبذيراً له وقلما يضمون منه شيئاً في موضعه ونرى هذا الرجل العامي البحت الذي تربى في الفيتان والمزارع لاني المدارس فلم يسمع بهذا العلم قد وفق الى عمل العلماء الراسخين فيه ثم قام يعلم المعلمين بحاله كيف ينفقون . ويعلم غير المعلمين بما

ينتهي لهم من المدارس كيف يعملون .

ثم قال : أما العلم وفضله والترغيب في نشره فقد تكلم فيه الخطباء وأنا موافق لهم فيما قالوا ولا خلاف بينهم في الواقع فان الأول تأسف لتأخرنا في العلم بالنسبة الى ما نحن في أشد الحاجة اليه واعتبار ان ما عندنا لا يقع أدنى موقع من حاجتنا . والثاني أظهر السرور والاستبشار من حالنا العلمية بالنسبة الى ما كنا فيه ولا شك انه يوجد فينا حركة نحمد الله عليها (اي ان الخطيب الأول نظر الى الحال مع المستقبل والخطيب الثاني نظر الى الحال مع الماضي وهذا هو الواقع منا حقيقة) وأما الثالث فقد تكلم عن مكارم الاخلاق وكون العلم لا يفيد بدونها شيئاً . ولا شك ان مكارم الاخلاق من لوازم العلم الصحيح الذي مدحه الخطباء ، وممدحه جميع العقلاء . فانهم يعنون بالعلم ما كان ملكة في النفس . والملكة من مادة الملك فمعناها ان يكون الصلح مالكا للنفس مصرفا لها في شؤونها . ولا معنى لمكارم الأخلاق الا ان تكون ارادة الانسان تابعة للعلم الصحيح بوجود المصالح والمنافع . فالعلم ومكارم الاخلاق متلازمان لا يفك أحدهما عن الآخر . ومن أطلق العلم على غير هذا المعنى الذي قلته وقال إنه لا تأثير له في الأعمال ولا في النفس فهو متجاوز أي منتقل عن الحقيقة الى تقيضها وان شئت قلت انه كاذب ولم ينهم معنى العلم . ثم ذكر الاستاذ ان الجبابر الحديوي قد أرسل مندوبا من قبله لحضور هذا الاحتفال بعبارة بصاحبه وان غايته يمثل هذا الأمر لها . من التأثير في الناس ما يساوي عبادة أمة كاملة به (قال) وسيكون كلامه هو خاتمة الكلام . وعند ذلك نهض المندوب وقام الناس وذكر ان مولاه أرسله ليحضر هذا الاحتفال ويبلغ صاحبه مصطفى بك الشوريجي انه سرور ومقبوط بهذه الخدمة الجليلة للبلاد ويقبله الوسام الثماني من الدرجة الثالثة وكان الوسام في يده ومصطفى بك الشوريجي واقف فأعطاه إياه فأخذته ووضعها في جيبه . ولو قلده إياه تقليداً لكان أجمل وأكمل . والمزية في هذا الوسام من وجه واحد وهو ان الامير أرسله مع مندوب من قبله حضر الاحتفال باسمه فكان كما قال الناس بمثابة حضور الأمير بنفسه ولولا ذلك لما كان له كبير شأن فان الرتب والوسامات في مصر صارت أكثر ابتذالا منها في الاستانة . ثم ختم الاحتفال

بقراءة آيات من الكتاب العزيز وكان ذلك قبيل الظاهر ثم نصبت بعده المواعيد فتعدى
الجموع وانصرفوا حامدين شاكرين.

(الإصلاح الشرعي في السودان المصري)

يتشئ الإصلاح في السودان كتشئ البرء في السقم ومن فضل الله تعالى على
هذه البلاد ان كان الشيخ محمد شاكر هو قاضي القضاة فيها وحسبك انه موضع
إعجاب اللورد كرومر فن دونه من رجال السياسة والادارة والقضاء الانكليز الذين
قلما يشهدون لشرقي في هذا الزمن ولا شك عندي ان رضاء اللورد كرومر
وحاكم السودان العام من هذا الرجل وثناءها عليه والناية باجابة اقتراحاته وتنفيذ
مشروعاته ولو بالتدريج من دلائل حسن النية في عمران السودان وإقامة الشرع
الاسلامي فيه إقامة لانظير لها في بلاد إسلامية في عصرنا هذا

ذكرنا في الجزء الثاني ان الحكومة السودانية قررت إنشاء مدرسة قضائية
لتخرج القضاة الشرعيين وما ذلك الا مشروع من مشروعات قاضي القضاة ثم إننا
علمنا بما وصل إلينا من أبناء تفريراته التي رفعها الى الحكومة آراء سديدة في
إصلاح المحاكم بجميع فروعها وأعمالها الادارية والشرعية والمالية ولم يكتف بهذا
حقى اقترح على الحكومة نشر العلم الاسلامي وعمار المساجد واقامة الشمار الدينية
وقال ان البلاد السودانية الآن في حاجة الى بناء خمسين مسجداً وان للحكومة ان
تستعين على بناءها بديوان الاوقاف العمومية في مصر واقترح تعيين رواتب العلماء
الذين تفلتوا من الفتنة السودانية وإعانة تلاميذهم المشتغلين بطلب العلوم الدينية لتنفخ
في الأمة روح الميل الى العلوم الحقيقية وليكون من هؤلاء التلامذة طائفة تصالح في
المستقبل للوعظ والارشاد وتعليم العامة وقال في بيان فوائد ذلك مامناده :

ان من يتبع الحوادث المشؤمة الماضية ويسندھا الى عللها وأسبابها الحقيقية يعلم
ان مشارھا الاكبر خلط التعاليم الدينية بالثلميس على العامة والشعوذة والدجل وإيهام
البسطاء بذلك ان أولئك الدجالين المحتالين أولياء الله وان اتباعهم واجب وطاعتهم
مفروضة فملى الحكومة ان تستأصل جرائم هذه الحرافات باتعلم الاسلامي

الصحيح الذي يطرأ القول منها تطهيراً :

ومن الإصلاح الذي سبق إليه محاكم السودان ونرجو ان تلحقها فيه محاكم مصر الطلاق على الغائب والمصر فقد كانت المحكمة الكبرى نشرت في سائر المحاكم منشوراً تأذنهم فيه بالحكم في ذلك على مذهب الامام مالك (رضي الله عنه) وقد جاء في تقرير لقاضي القضاة بيان فائدة هذا الحكم وهو إنقاذ النساء الضعيفات اللاتي يتركن أزواجهن بلا نفقة ولا عائل حتى ياجأن الى خدمة دينية أو تكف الناس أو ما هو شر من ذلك وهو الكسب بأعراضهن . وفيه ان القضاة قد طلقوا على الغائبين والمصرين في مئة قضية أو أكثر ولكن بعضهم لجبهه وغباهته لم يخرج في الامر كما يجب فطلقوا في وقائع يعرف فيها مكان الزوج ويسهل على الحكومة إخباره (إعلانه) بالمحاكمة . وذكر ان مثل هذا الخطأ كثير في كل فروع القضايا لجهل القضاة ووعد بأن سيتبع المنشور الاول بمنشور آخر يعلم القضاة فيه الغرض من هذا الطلاق ليسهل عليهم الوقوف عند حدود الحق فيه

وقال في مقدمة التقرير الذي قدمه الى المحاكم العام وطلب فيه تعميم المحاكم مأمثاله : إنني أوجه نظر سعادتكم أولاً الى أن القضاء عند الأمم الحية لا يمد من موارد الكسب كغيره من مصالح الحكومة التي يقصد أن يكون ريعها أكثر مما يتفق فيها وإنما هو من المصالح الكالية الضرورية لأنه عبارة عن إقامة العدل في الأمة ولولا اعتبارات خاصة لما ساع الحكومة أن تضرب على إقامة العدل في الرعية ضريبة تحت ستار الرسوم القضائية . فوظيفة المحاكم الحقيقية هي إقامة العدل وفصل الخصومات لاجابة الاموال وتحصيل الضرائب . ثم قال : وانه ليسرني ان سعادتكم أول من نظر الى القضاء بين الرعية والتمنية ولا أزال أكرر بمزيد السرور تلك الكلمة التي سمعها من سعادتكم وهي : « ان الدين الاسلامي غير مقام في البلاد بسبب قلة الدوائر القضائية » ثم اقترح تعميم المحاكم . وربما عدنا الى الكلام في ذلك بعد حين

تقرير المثار

كتب الينا محسن الملك سيد مهدي خان ناظم مدرسة العلوم في عيكده وأحد أركان النهضة الاسلامية في الهند كتاباً ذكر فيه المثار بما يقتضيه الحب وتنظره عين الرضى فقال ماضيه : « قرأنا خاتمة المثار لاسنة الخامسة فبرحة وامتنان لامزيد علمنا . وقد سرنا

معلمنا من ان النار الاسلامي قد ازداد شهرة وقبولا في جميع انحاء الكرة الارضية ، وصار موضع ثقة العلماء والفضلاء في البلاد العجمية والعربية . ولا غرو ، فاننا قطع قطعاً ان مجلتكم هي المجلة الوحيدة التي تخدم الامة المحمدية والديانة الاسلامية بمجد ونشاط ، وعزم وثبات . وعقل وتدبر ، وان مقالاتها الطائفة الرنانة باللفة حد الإعجاز ما كتب مثلها على ما نعلم عربي ولا عجمي . ولا يستطيع كاتب هندي ان يصف المجلة حق وصفها مهما أوتي من النصاحة وحسن البيان . فقاية ما نتول : جزاكم الله خير الجزاء . ومن قال ذلك فند أبلغ بالدعاء ، وبلغ غاية الثناء .

« لاشك ان النار في هذه السنة قد نما نمواً عجبياً وانتشر انتشاراً غريباً في البلاد المصرية . غير ان شهرته وانتشاره في البلاد الهندية لا يقل عن شهرته وانتشاره في مصر . فان مئات من مقالاته الحكمية والاسلامية نقلناها في لغتنا الهندية ونشرناها في جريدتنا الاسبوعية (على كده انبثوت كرت) ثم تناقلتها الجرائد الاسلامية فقرأها الوف من قرائنا وقراء سائر الجرائد . وحازت رضى العلماء والفضلاء في المدارس والجوامع والمساجد . ومن غريب لاتفاق ان مترجم مقالاتكم لجريدتنا هو أيضاً سمي "حضر تكم اسمه رشيد أحمد الانصاري وهو من محرري جريدتنا ومن مشاهير الكتاب والمترجمين المجيدين في الهند .

« يسرنا ان الحرية التي حلت في ربوع مصر بواسطة الاحتلال لاشك انكم نعرفون قيمتها . وتقدرونها حق قدرها . لاتصاركم على المباحث الدينية الاسلامية والمقالات العلمية والنضال الاخلاقية . واجتنابكم المسائل السياسية . واتنا نجزم جزماً ان هذه الخطة التي رسمتموها للنار هي اسلم له وأضمن للوصول الى الغرض المقصود وأوفق وأفيد للمسلمين من الخطة التي سار عليها بعض كتاب الجرائد المصرية . الاسلام يأمرنا بالمسالة والمجاملة وحسن التقصد مهما كانت الظروف والاحوال . فلا ينبغي اسلم ان يكون عليه سلطان "اعفريت الوطنية الكاذبة" وينبذ بها أوامر دينه ومصالح أمته وملته وراء ظهره . وفق المسلمين لما يحب ويرضى . »

(تذييل) لم نأشر في هذا الجزء شيئاً من الكراهات وشبهات المسيحيين لانه صدره صدقاه



قُتِرَ عَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

المعراج

١٣١٥

يُخَوِّفُنِي الْحِكْمَةُ مِنْ بِنَاءٍ وَمِنْ يُّوتِرُ
الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة ربيع الاول سنة ١٣٢١ — ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقائد من الأُمالي الدينية ﴾ (*) -

١ : الدرس ٣٧ في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

(المسألة ١٠٣) حكمة ظهور الاسلام في العرب : نذكر هنا كلمة من مقالة (إعادة مجد الاسلام) التي كتبناها في الجزء الرابع من المجلد الثالث وهي : « كان العالم الانساني قبل ظهور الاسلام في غمرة من الشقاء والتعاسة وظلمات من الفتن وفساد الأخلاق وتداعي أركان المدينة السابقة وصدمع بنياتها فأراد الحي القيوم ان يحيي هذا النوع حياة طيبة وقيم بناء مدنيته على أساس من الحكمة ليثبت ويبقى الى ما شاء الله تعالى ويبلغ به الانسان كماله المستمد هوله في أصل الفطرة القويعة فأظهر له جل ثناؤه الاسلام في الأمة العربية فجماعته وطافت به العالم المستمد لقبوله بما سبق له من المدنية فما كان الا كدمع البصر أو هو أقرب ، حتى عم نوره المشرق والمغرب ، ودخل الانسان في طور جديد وأقام أركان مدنيته على أسس جديدة ثابتة لا تزعزع ولا تتزلزل مادامت الارض أرضا والسماء سماء . وكيف تتزلزل نواميس الفطرة أو تزول سنن الخليفة وقد أخبر مبدعها الحكيم الخبير بأنها محفوظة من التبديل والتحويل »

« لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاصلاح على سائر الامم ؟

اختارها وهو أعلم لأسباب ووجوه

(٢) نشر الدرس السادس والثلاثون في الكراسة ٤٢ من المجلد الخامس (ص ٣٣٦) وشغلنا بعد ذلك بمقالات الاسلام والتصرية وأم القرى مع التفسير عن تابع مقالات العقائد . وكان ذلك الدرس في نبوة خاتم النبيين والحاجة الى عمومها والاستعداد العام لها ووعدنا فيه ببيان حكمة كونه من العرب وبيان ارتقاء الدين من كلام الامام وهذا الثاني قد ذكرنا في غير الأُمالي فلا نعيد

« (أحدها) أنها كانت وسطا بين الأمم التي سبقت لها المدينة والبلاد التي أقيم فيها من قبل بناء الحضارة وهي بلاد مصر وسوريا والجزيرة والعراق وفارس حيث كان التمدن الكلداني والاشوري والبابلي والفارسي والفينيقي والمصري واليوناني والروماني فيسهل عليها عليها بذلك ان ترمي بذور المدينة في الارض القابلة وتلقي مبادئ الإصلاح في النفوس المستعدة

(ثانيها) أنها كانت - ولا مدينة لها سابقة (مروقة) - اشد استعدادا من تلك الأمم التي سبقت لها المدينة لمبدأ الإصلاح الاسلامي الجديد ووضع اساسه الاول وهو استقلال الارادة واستقلال الفكر والرأي لانه لم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد فتفنى إرادتها في إرادتهم ، وتتلاشى آراء افرادها في آرائهم ، فلا يرجع اليهم أحد قولاً ، ولا يملك لنفسه من دونهم ضراً ولا نقضاً ، وأما تلك الأمم فقد كان المرؤسون فيها ذائنين في رؤساء الدين والدنيا حتى لم يبق لهم إرادة ولا فكر ولا رأي الا ما ينفذ إرادة الرؤساء ويمثل أفكارهم وآراءهم (ومن هنا تفهم حكمة ظهور الاسلام بمظهر السيادة وعناية خلقائه بالفتح والاستيلاء وهي ازالة ذلك السلطان القاشم والاستبداد القاهر ليكون الناس أحراراً فيما يمتقدون ولهم بعد ذلك الخيار في الاسلام وعدمه إذ « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وزال المانع من طريق الإدراك والفهم)

« (ثالثها) أن رقة الوجدان وقوة الفهم والإدراك كانتا بالتين فيها درجة الكمال بمجرد سلامة الفطرة . وأمة هذا شأنها تكون أقبل الأمم

لدين الفطرة الذي جاء يخاطب العقل والوجدان مما يعجو من الكون
أثر التقليد الاعمى ويطمس رسومه ، وتكون أسرع انفعالا بالماثرات ،
وأشد تمسكاً بالمعتقدات ،

« (رابعا) أنه كان عندها من عزة النفس وشدة البأس وكمال
الشجاعة والحرية الشخصية وما يتبع هذا من الفضائل ما يحملها على حفظ
ماتقتهمة حقا والاستماتة في المدافعة عنه على حين أمات نفوس الامم
الآخري وذهب بارادتها متواتر عليها من الظلم والاضطهاد أحقاباً طويلة
حتى سهل عليها مشايعة الظالمين على خذل الحق وتأيد الباطل كما هو واقع
في غير أهل البادية من المسلمين لهذا العهد . وهذا الوجه يقرب في المعنى
من الوجه الثاني

« (خامسها) أنه لم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون
فيه على وحي سماوي وعلى سلف من الانبياء أو الحكماء والربانيين فيدافع
ما جاء به الاسلام أو يزاحمه . وإنما كان عندهم الشرك في العبادة الذي
يسهل إبطاله بالبرهان ، على وجه يقبله العقل وينزع له الوجدان ، اذا وجد
استقلال الفكر والرأي وكذلك كان » اهـ

وزيد الآن سببا سادسا هو السبب الاظهر ، والوجه الانور ،
ونذكره على النسق السابق فنقول

(سادسها) كون العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ولم تمارس
الاحكام السياسية والمدنية والقضائية . وبيان هذا من وجيهين - أحدهما
ما فهم من الاسباب السابقة وهو وجوب كون الاصلاح الجديد الذي
احتاجته الامم كلها غير مشوب بشيء من أمشاج الاديان والمذنيات

السابقة لازمة الاديان قد انطمست وجوهها وتلك المدينيات قد انقلبت الى ترف مفسد وبهيمة محضة . فلو ظهر الاصلاح في أهلها لصددهم عنه ما هم فيه ولضاع الزمن الطويل في مكافحة الجديد للقديم وكانت الانوام قد تقيدت بما هي فيه حتى لا طريق لخروجها منه الا قارعة من دونهم تحل بهم فتزلزل ما هم فيه زلزالا .

كانت تلك الامم تقيم بناء مدينتها على اركان الدين والعلم والسياسة المنتظمة وأحكامها وهذه هي أركان السعادة البشرية في هذه الحياة ولكنها اساءت استعمالها فلهجها هجير الشقاوة فكانت من تلك الاركان في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، بل كان كل ما حل بها من الشقاء هو من دخان ذلك الظل الذي ذهب بكل نور ، والاديان كانت قد انقلبت وثنية تفضل العقول ، وتذل النفوس ، والعلوم كانت وسائل الترف ، وذرائع السرف ، والاحكام كانت سوط البغي والنزو ، وسيف القهر والعلو ، فكانت جميع آلات الرقي ، آلات للتدلي والهوي ،

وكانت العرب في ابان ذلك خلوا من كل ذلك ولكنها كانت على جهلها وفساد أخلاقها ترتقي في بداوتها ارتقاء فطريا ، وتستعد لقبول الهداية استمدادا طبيعيا ، حتى اذا جاءها العلم والاصلاح كانت كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتسكننا

(والوجه الثاني) وهو اوجه الوجوه وأظور الاسباب والحكم ظهور الآيات الكبرى والحجة العظمى - ظهور العلم الأعلى ، والتعليم الاجلي ، على يد أمي نشأ في الاميين ، وتربي بين الجاهلين ، ولونشأ في أمة من تلك الامم قليل انه عالم نقح العلوم وهذبها ، وحرر الشرائع وشذبها ،

وحكيم نظر في تاريخ البشر ، فاستخرج منها الحكم والعبر ، « وما كنت
تألو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون »

(م ١٠٤) حال اني صلى الله عليه وسلم ودعوته: لم يكتب الكتابيون في هذا المقام
مثلاً كتبه في رسالته الاستاذ الامام ذلك أنه بين ما كانت عليه الامم
قبل البعثة من الفساد والشرور ثم قال :

« أفلم يكن من رحمة الله بأولئك الاقوام أن يؤدبهم برجل منهم
يوحي اليه رسالته . ويعنجه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن منه من
كشف تلك الفهم ، التي أضلت رؤس جميع الامم ؟ نعم كان ذلك والله
الامر من قبل ومن بعد

« في الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول عام الفيل (٦٠٠) ابريل سنة
٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام) ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم القرشي بمكة . ولد يتيمًا توفي والده قبل ان يولد ولم يترك له من
المال الا خمسة جمال وبعض ناعج (١) وجارية ويروى أقل من ذلك
وفي السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضا فاحتضنه جده عبد المطلب
وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله من بعده عمه أبو طالب وكان
شهما كريما غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله . وكان
صلى الله عليه وسلم من بني عمه وصبية قومه كاحدهم على ما به من يتم
فقد فيه الابوين معا وفقرا لم يسلم منه الكافل والمكول ولم يتم تلى
تربية مهذب ، ولم يكن بتثقيفه مؤدب ، بين اتراب من نبت الجاهلية ،
وعشراء من حلفاء الوثنية ، وأولياء من عبدة الالهة ، وأقرباء من خفدة

(١) قيل خمس وقيل تسع

الأصنام ، غير انه مع ذلك كان يتم ويتكامل بدنا وعقلا ونفسيه وأدبا حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريمان شبابه بالأهين . أدب الهني لم تجر المادة بأن ترين به قوس الايتام من الفقراء خصوصا مع فقر القوام . فاكتمل صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون ، رفيعا والناس منحطون ، موحدا وهم وثنيون ، سلما وهم شاذبون ، (١) صحيح الاعتقاد وهم واهمون ، مطبوعا على الخير وهم به جاهلون ، وعن سيده عادلون ،

« من السنن المعروفة ان يتيم فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخاطبه لاسيما ان كان من ذوي قرابته وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينفه ، ولا عضد اذا عزم يؤيده . فلو جرى الامر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم . وأخذ بمذاهبهم . الى أن يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون الفسك والنظر مجال ، فيرجع الى مخالفتهم ، اذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم ، كما فعل القليل من كانوا على عهد (٢) ولكن الامر لم يجر على سنته بل انضخت اليه الوثنية من مبدإ عمره ، فاجلته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليفة ، وما جاء في الكتاب من قوله « ووجدك ضالا فهدى » لا يفهم منه انه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد أو على غير السبيل القويم ، قبل الخلق العظيم ، حاش لله ان ذلك لهو الافك المين . وانما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الاخلاص ، فيما يرجون للناس من الاخلاص ، وطلب السبيل

(١) استشهد له قصة اختلاف القبائل ايم يضع الحجر الاسود في موضه يوم بناء السكبة وكادوا يقتلون لولا ان أصلح بينهم بما أراضهم جميعا (٢) كامية ابن أبي الصلت وعمر بن قنيل

الى ما هدوا اليه من انقاذ الهالكين، وارشاد الضالين ، وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته ،

« وجد شيئا من المال يسد حاجته - وقد كان له في الاستزادة منه ما يرفقه مميسته - بما عمل للخديجة رضي الله عنها في تجارتها وبما اختارته بعد ذلك زوجها وكان فيما يجتنيه من ثمرة عمله غناء له وعون على بلوغه ما كان عليه اعظام قومه . لكن لم ترقه الدنيا ولم تفره زخارفها ، ولم يسلك ما كان يسلكه مثله في الوصول الى ما ترغبه الانفس من نعيمها ، بل كلما تقدم به السن زادت فيه الرغبة عما كان عليه الناس كافة ونما فيه حب الاقتراد والافطاع الى الفكر والمراقبة والتحنث بتاجدة الله تعالى والتوسل اليه في طاب المخرج من همه الاعظام في تخليص قومه ونجاة العالم من الشر الذي تولاه ، الى أن اقتنع له الحجاب عن عالم كان يحته اليه الالهام الالهي ، وتجلي عليه النور القدسي ، وهبط عليه الوحي من المقام العالي ، في تفصيل ليس هذا موضعه

« لم يكن من آبائه ملك فيطالب بما سب من ما كره وكانت توس قومه في انصراف تام عن طاب مناصب السلطان ، وفي فناة بما وجدوه من شرف النسبة الى المكان ، دلّ عليهما ما فعل جده عبد المطاب عند زحف ابرهة الحبشي على ديارهم . جاء الحبشي لينتقم من العرب بهدم معبدهم العام ، ويقتلهم الحرام ، ومنتجع حجيجهم ومستوى العلية من آلوتهم ، ومنتهى حجة القرشيين في مفاخرتهم لبني قومهم ، وتقدم بعض جنده فاستاق عددا من الابل فيها لعبد المطاب مئتا بهير وخرج عبد المطاب

في بعض قریش لمقابلة الملك فاستدناه وسأله حاجته فقال: هي أن ترد إليّ مئتي بعير أصبتها لي: فلامه الملك على المطالب الخثير، وقت الخطب الخطير، فأجابه: أنا رب الأبل أما البيت فله رب يحميه: هذا غاية ما ينتهي إليه الاستسلام وعبد المطالب في مكانه من الرئاسة على قریش فأين من تلك المكانة محمد صلى الله عليه وسلم في حاله من الفقر ومقامه في الوسط من طبقات أهله حتى ينتجع ملكاً أو يطلب سلطاناً؛ لا مال لا جاه لا جند لأعوان لا سليقة في الشعر لا براعة في الكتاب، لا شهرة في الخطاب، لا شيء كان عنده مما يكسب المكانة في نفوس العامة، أو يرقى به إلى مقام ما بين الخاصة،

«ما هذا الذي رفع نفسه فوق النفوس، ما الذي أعلّى رأسه على الرؤس، ما الذي سما بهمه على الهم، حتى انتدب لإرشاد الأمم. وكلماتهم كشف النعم بل وإحياء الرمم؟؛ ما كان ذلك إلا ما ألقى الله في روعه من حاجة العالم إلى مقوم لما زاع من عقائدهم، ومصلح لما فسد من أخلاقهم وعوائدهم، ما كان ذلك إلا وجدانه ريج العناية الإلهية ينصره في عمله، ويمده في الانتهاء إلى أمله، قبل بلوغ أجله، ما هو إلا الوحي الإلهي يسمى نوره بين يديه فيضي له السبيل، ويكفيه مؤنة الدليل، ما هو إلا الوعد الساوي، فام لديه مقام القائد والجندي، أرايت كيف نهض وحيداً فريداً يدعو الناس كافة إلى التوحيد، والاعتقاد بالهي المجيد والكل ما بين وثنية مفرقة ودهرية وزندقة.

«نادى في الوثنيين بترك أوثانهم ونبتذ معبوداتهم وفي المشبهين بالمنفسين في الخلط بين اللاهوت الأقدس وبين الجسائيات بالتطهر من

تشبيههم وفي الثانية بأفراد الله واحد بالتصرف في الالكوان ورد كل شيء في الوجود إليه هاهب بالطييين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة فيتنورا سر الوجود الذي قامت به صاحب بدوي الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة في الاستكانة الى سلطان معبود واحد هو فاطر السموات والارض والقباض على ارواحهم في هياكل أجسادهم تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الاعلى فيبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة أكبرهم الى الله كنسبة أصغر المفتقين بهم وطالبهم بالنزول عما انتهوا له لأقسامهم من المكنانات الربانية ، الى أدنى سلم من العبودية ، والاشترك مع كل ذي نفس انسانية في الاستعانة برب واحد يستوي جميع الخلق في النسبة اليه لا يتفاوتون الا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة * وخز بوعظه عبيد العادات وأسراء التقليد ليعتقوا ارواحهم مما استعبدوا له ، ويحلوا أغلالهم التي أخذت بأيديهم عن العمل ، وقطعهم دون الامل * مال على قراء الكتب السماوية والقائمين على ماودعته من الشرائع الالهية فبكت الواقفين عند حروفها بنبأوتهم وشدد التكبير على المحرفين لها الصارفين لانفاظها الى غير ما قصد من وحيها اتباعا لشهواتهم ودعاهم الى فهمها ، والتحقق بسر علمها ، حتى يكونوا على نور من ربهم * ولقت كل انسان الى ما أودع فيه من المواهب الالهية ودعا الناس اجمعين ذكورا وإناثا عامة وسادات الى عرفان أنفسهم وأنهم من نوع خصه الله بالعقل وميزه بالتفكر وشرفه بهما وبمحورية الارادة فيما يرشده اليه عقله وفكره وأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الالكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الاعتدال

والوقوف عند حدود الشريعة المأدلة والفضيلة الكاملة. وأقدرهم بذلك على أن يصلوا الى معرفة خالقهم بمقولاتهم وأفكارهم بدون واسطة أحد الا من خصهم الله بوحيه. وقد وكل اليهم معرفتهم بالدليل كما كان الشأن في معرفتهم لمبدع الكائنات أجمع. والحاجة الى أولئك المصطفين انما هي في معرفة الصفات التي أذن الله أن تعلم منه وليست في الاعتقاد بوجوده. وقرر أن لاسطان لا حد من البشر على آخر منه الا مارسمة الشريعة وفرضه المدل ثم الانسان بعد ذلك يذهب بارادته الى ما سخرت له بمقتضى القطرة * دعا الانسان الى معرفة أنه جسم وروح وأنه بذلك من عالمين متخالفين وان كانا متميزين وأنه مطالب بخدمتهما جميعا وإيفاء كل منهما ما قررت له الحكمة الالهية من الحق * دعا الناس كآفة الى الاستعداد في هذه الحياة لما سيلاقون في الحياة الاخرى وبين لهم أن خير زاد يتزوده المامل هو الاخلاص لله في العبادة والاخلاص للعباد في المدل والنصيحة والارشاد

* * *

«قام بهذه الدعوة العظيم وحده ولا حول له ولا قوة - كل هذا كان منه والناس أحياء مائلوا وإن كان خسران الدنيا وحرمان الآخرة. أعداء ماجهوا وان كان رعد العيش وعز السيادة ومنتهى السعادة. كل هذا والقوم حو اليه أعداء أنفسهم وعبيد شهواتهم لا يفقهون دعوته. ولا يعقلون رسالته. عقدت أهداب بصائر العامة منهم بأهواء الخاصة. وحجبت عقول الخاصة بفرور العزة عن النظر في دعوى فقير امي مثله لا يرون فيه ما يرفعه الى نصيحتهم والتطاول الى مقاماتهم الرفيعة بالالوم والتعنيف

« لكنه في فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة ويناضهم بالدليل
ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وينبهم للعب ويحوظهم مع ذلك
بالموعظة الحسنة كأنما هو سلطان قاهر في حكمه عادل في أمره ونهيه
أوآب حكيم في تربية ابنائه شديد الحرص على مصالحهم رؤف بهم في
شدته رحيم في سلطته

« ماهذه القوة في ذلك الضعف : ماهذا السلطان في مظنة العجز ؟
ماهذا العلم في تلك الامية : ماهذا الرشاد في غمرات الجاهلية ؟ إن هو
إلا خطاب الجبروت الاعلى . قارعة القدرة العظمى . نداء العناية العليا . ذلك
خطاب الله القادر على كل شيء الذي وسع كل شيء رحمة وعلما * ذلك
نداء أمر الله الصادع يقرع الأذان ويشق الحجب ويمزق الغلاف وينفذ
الى القلوب على لسان من اختاره لينطق به واختصه به وهو أضعف
ثومه ليقم من هذا الاختصاص برهانا عليه بعيدا عن الظنة . بريئا من
التهمة لا يئانه على غير المعتاد بين خلقه

« أي برهان على النبوة أعظم من هذا : أمي قام يدعو الكتائب
الى فهم ما يكتبون وما يقرؤون بعيد عن مدارس العلم ساح بالعلماء
ليمحضوا ما كانوا يملكون في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد المرفاء *
ناشي بين الواهمين هب لتقوم توج الحكماء * غريب في أقرب
الشوب الى سذاجة الطبيعة . وابعدها عن فهم نظام الخليقة . والنظر في
سننه البديعة . أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة . ويخطط للمادة طرقا
لن يهلك سالكها . ولن يخلص تاركها .

« ماهذا الخطاب المفعم ؟ ما ذلك الدليل الملجم ؟ أقول » ماهذا

بشرا ان هذا الا ملك كريم» ؛ لالا أقول ذلك ولكن أقول كما أمره الله
أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحى اليه : نبي صدق
الانبياء ولكن لم يأت في الافتناع برسائه بما يهيج الابصار أو يحير
الحواس أو يدهش المشاعر ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له
واختص العقل بالخطاب ، وحاكم اليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة
الكلام وسطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الذي
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » اهـ

الكرامات والحوارق

تممة المقالة المباشرة

(المسألة الخامسة والعشرون) ذكر الشيخ الأكبر في فتوحاته أن الكرامة
على قسمين كرامة حسية كالشي على الماء وكرامة معنوية وهي اتوفيق لسكمال
المحافظة على حدود الشريعة ظاهراً وباطناً وما ينشأ عن ذلك من العلوم والمعارف
الالهية . وذكر ان الأكبر لا يحنلون بالكرامات الحسية وأن اعظم كرامة عندهم
العلم بالله تعالى والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولاي شيء
وضعت حتى يكون الانسان من امره على بصيرة من حيث كان فلا يجهل من نفسه
ولا من حركاته شيئاً . بل قال : إن الكرامة ليست الا العلم اما المعنوية فظاهر
ان العلم بها هو ثمرتها واما الحسية فانه يشترط ان تكون تعريف الهي وهو عين العلم ؛
ونقول ان هذه الكرامة المعنوية لا ينكرها احد وكلها نفع وليس فيها ضرر
ولا خداع فان العلم نور لا ظلمة فيه . والولي المحمدي لا يلبق به التمهيل على غير
هذه الكرامة فان آية نبيه الكبرى معنوية والكرامة قبس من نور المعجزة كما يقولون
(المسألة السادسة والعشرون) ذكر الشيخ الأكبر في فتوحاته ايضاً أن
الحوارق التي تحصل على ايدي الصالحين تدعى كون فيها مكر خفي واستدراج .
وشروط صحة كونها كرامة اكرم الله بها العبد لامكراً به ولا استدراج له ان

تكون ناتجة عن استقامة أو نتيجة لاستقامة وان تكون بتعريف الهى . هذا ما اشترطه شيخ الصوفية الأكبر وهو مخالف لما فى كتب علماء الظاهر من كون الكرامة هي الامر الحارق للعادة الذي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح . ولو اعتبر بهذا وما قبله الذين يعدون المصادقات النهرية كرامات وان ظهرت على أيدي المستورين او الفاسقين لكفوا من غلوائهم .

(المسألة السابعة والعشرون) ان الكرامة فى عرف العامة هي الفصل الذي يميز طائفة من اناس يسمونهم الاولياء . والولي فى اللغة الناصر والمتولي للأمر وقد نهى الله المؤمنين ان يتخذوا من دونه أولياء وقال « الله ولي الذين آمنوا » وأولياء الله هم أنصار دينه والذين لهم كل الاتباع المعبر عنه بالقوى فكل مؤمن بقي ولي . وليس عمل الغرائب ولا صدور الحوارق دليلا على التقوى ولا على الولاية . قال تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفى الباب السادس والثمانين بعد المئة من الفتوحات المكية ان تارك الكرامات هو المتحقق بتخاذ الحق وكيلاله امتثالا لقوله تعالى « فاتخذوه وكلاء »

(المسألة الثامنة والعشرون) يستدل العامة على ثبوت وقوع الكرامات للأولياء بقوله تعالى « لهم ما يشاؤون عند ربهم » وهي جراءة على محريف القرآن فاشية فيهم وإنما الآية فى أهل الجنة فى الجنة وقد اختزلوا منها هذه الجملة فكان استدلالهم بها على ان الاولياء يعطيهم الله فى الدنيا ما يشاؤون من الحوارق كاستدلال بعض المتلاعنين على تحريم الصلاة بقوله تعالى « يأبى الذين آمنوا الا قربوا الصلاة » وترك القيد وهو قوله « وأنتم سكارى » . واكثر الذين رأيناهم يستدلون على الكرامة بما ذكر جاهلون بما عدا تلك الكلمة من الآية ولهذا نكتبها لهم بتمامها وهي « ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » ثم قال بعدها « ذلك الذى يشير الله عباده » الخ فانت تراها بشارة للمؤمنين السامعين بما سيكون لهم من الجزاء فى الآخرة فهي كقوله تعالى بعد ذكر الجنة ودخول المتقين فيها « لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد » فإين ذلك من حديث الحوارق فى الدنيا ؟

(المسألة التاسعة والششرون) أن الاعتقاد بالكرامة ليس من أصول الإيمان التي يكلف المؤمن باعتمادها كما تقدم وإنما ذكروها في كتب الدين لما تقدم من الاستدلال على وقوعها بالكتاب في قصة أم موسى وأم عيسى عليهما السلام . وقد علم من المقالة الرابعة أن قصارى ما يدل عليه الكتاب هو الإلهام الصحيح للأولى وتمثل الملك الروح الثانية ومكالمها وذلك من مقدمات نبوة ولديهما كحبل مريم بنفخ الروح فيها . فقل هذا لا يقاس عليه لأنه آية لم تأت على قياس لأن زمن النبوة قد انقطع فلم يبق إلا تحكيم العلم في مسألة الخوارق فما اثبتته فهو الثابت وما فاه فهو المنفي وما توقف فيه فالوقف حتم إلى أن يتجلى فيه شيء

(المسألة الثلاثون) لنا أن نجعل الدين ميئاً للمسلم في البحث عن الخوارق التي تحقق وقوعها وذلك أن الدين علمنا أن وراء العالم المحسوس عالماً غيبياً لا نستقل الحواس بأدراكه . ومن حكم الدين في الأخبار بهذا توجيه همه الإنسان إلى شيء أرقى من هذه المحسوسات التي تشاركه فيها البهائم والحشرات حتى لا يقف باستعداد غير المحدود عند هذه الحدود القهرية . وإن للعالم الغيبي اتصالاً بعالم الشهادة المحسوس ومنه أرواحنا التي بها نحيا ونذكر

وهذه المسألة تنفصاً في تحليل كثير من الوقائع التي تسمى خوارق وهي خوارق عادات حقيقة ولكنها ليست خوارق للسنن الإلهية فإذا لم تظهر لها سنة حسية جليلة : فإن لها سنة منوية خفية . وهذه التعليلات والتأويلات الآتية من قبيل تحليل علماء المادة كثير آمن الظواهر الطبيعية بالأمير الذي يسندون إليه الآثار : وإن لم تدركه الأبصار . بل هي أظهر منها . وأما نجعل هذه المسألة آخر المسائل التي نجلي بها مبحث الخوارق والكرامات . فلمن هذا أنه ليس في الدين دليل على وقوع الخوارق لصير الأنبياء إلا في وقائع متصلة بهم ومتعلقة بظهورهم وأن الممول عليه فيها وراء ذلك هو العلم والاختبار . وسترى أنواع الخوارق في المقالات التالية وحكم العلم والاختبار فيها

(المقالة الحادية عشرة في أنواع الكرامات وضروب التأويل)

مارأيت أحداً توسع في الكلام على الكرامات كالتاج السبكي في الطبقات الكبرى ولذلك جعلنا كلامنا في المقالات الأولى معه . وقد تكلم في أنواع الكرامات وقال : ان بعض المتأخرين عدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها : ثم ذكر خمسة وعشرين نوعاً لا تخلو من تكرار وتداخل ثم قال : وأظن أن أنواع كراماتهم تبلغ المئة : وقد زدت عليه في خاتمة كتاب (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والاحدية) أنواعاً مشهورة عنهم . وإنما نسرد هذه الأنواع المشهورة ونحصر القول فيها . ونشير إلى وجود التأويل التي تفتريها . فقول :

(النوع الأول إحياء الموتى)

ذكر السبكي في حكايات في إحياء نحو دابة ودجاجة وطفل صغير وقع من سطح فسات ثم قال : لا ثبت عندي ان ولياً حي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ماسار عظماء ربما ثم عاش بعدما حي زماناً كثيراً . هذا القدر لم يبلغنا ولا أعتقد وقوع واحد من الأولياء ولا شك في وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام فقل هذا يكون معجزة ولا تنتهي إليه الكرامة فيجوز ان يحيى نبي قبل اختتام النبوة بإحياء أم انقضت قبله بدهور ثم إذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزماناً . ولا اعتقد الآن أن ولياً يحيى نبياً الشافعي وأبا حنيفة حياة بيقين . معاً زماناً طويلاً كما عمراً قبل الوفاة ولا زماناً قصيراً يخاطبنا فيه الأحياء كما خاطبهم قبل الوفاة : أه كلامه

أقول اذا كان يعرف بأن الشيخ عبد القادر الحلي أحياناً الدجاجة بعد أن ذلها مطبوخة فلماذا يستنكر على مثله إحياء الشافعي وإبي حنيفة وبماذا يفرق بين الأحياءين ؟ ان كان الكلام في الجواز وعدمه فهو حكم عقلي لا يختلف باختلاف الأشخاص وان كان الكلام في الوقوع فهو يتوقف على المشاهدة أو السماع من المعصوم أو الثقل بالتواتر الصحيح عن أحدهما ولا شيء من ذلك بثابت الا ما حكى الله تعالى من قول عيسى عليه السلام « وأحيي الموتى بأذن الله » ولم يقل انه أحياء ميتاً أو

أمواتاً مضى على موتهم الزمن من الطويل حتى صاروا ربما بآلة ثم عاشوا بين الناس وحدثهم بما كان من أمرهم بعد الموت . ولو فعل هذا لما بقي أحد إلا وآمن به . ولنا نريد أن عدم النص والتصریح بأنه أحياء الموتى بالفعل يقتضي أنه لم تقع منه إحياء حقيقي بالفعل أو أن المراد بالموتى موتى الجهل والكفر وبالإحياء الهداية إلى الإيمان والحق كما قال المأولون وإنما نريد أن السبكي لا يجد نصاً يؤيد به دعواه وأنه متحكم وإن كان مصيباً في قوله وفقاً للقسري : أن السكرامة لا تباع مبلغ المعجزة : ويظهر أن الميزان الذي يزن به هذه الأحكام هو عظمة الأشخاص أو الأصناف في نفسه فلما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الناس قدراً أعطاهم إحياء العظام الريميم وكون من يحيونه يعيش الزمن الطويل وأعطى الأولياء إذ كانوا دونهم إحياء الطيور والأطفال !! كان للنصاري غرام بنقل الآيات والخوارق والأمر الغريب إذا اشتهر بين الناس لا ينسى وإن كان سنده وأهيا أو موضوعاً ولم ينقل القوم عن المسيح أنه أحيى العظام الريميم بل روى لوقا في آخر الفصل الثامن من إنجيله أن ابنة رئيس المجمع ماتت وأن المسيح قال « لا تبكوا لم تمت لكنها نائمة ٥٣ » فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت ٥٤ فاخرج المجمع خارجاً وأسك بيدها ونادى قائلاً : يا صديقة قومي : فرجعت روحها وقامت في الحال » اه وروى يوحنا في الفصل الحادي عشر من إنجيله قصة إحياء (عازر) أخي مريم ومرثا وكان المسيح يحبه ويحبهما وكان مريضاً فآخبر المسيح تلاميذه بأنه نام وأنه يريد إيقاظه ويعني أنه مات فجاء معهم من أورشليم إلى قرية بيت عينا حيث كان عازر واختاه وكان قد مات ووضع في مغارة منذ أربعة أيام فجاءها وأمر برفع الحجر ورفع هو عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب أشكرتك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا أجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني : ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هب خارجاً فخرج الميت الحي

هذا ماروود وهو على انقطاع استاده إيس في نبي مما قال السبكي . أما حكاية البنت فيحتمل أنها كانت في نوم حقيقي كما هو ظاهر قوله . وأما الحكاية الثانية فلنا معسر المؤمنين نسلم بها إذا صح نقلها بالتواتر وإن كان ملاحظة النصارى

قالوا فيها باحتمال المواطأة بين المسيح ولعازر على ما كان (نفوذ الله من كفرهم) وباحتمال أن يكون ذلك من قبيل النوم الطويل فقد ثبت أن من الناس من ينام عدة أسابيع أو عدة أشهر ثم يستيقظ بسبب أو بدون سبب ، ولولا ما ثبت في القرآن من نبوة المسيح وتأيد الله تعالى له بإحياء الموتي لكان التأويل متينا فليس عندنا نقل متواتر يثبت به

هذا وإننا خرجنا عن الموضوع بإدخال المعجزة في البحث ، والذي نقوله في هذا النوع من حيث عدّه في الكرامات إنه لم يثبت والأصل عدمه . وإن ما ماوردته السبكي من الحكايات ينطبق على القاعدة التي قررناها في طبقاته وهي عدم جواز إظهار الكرامة إلا لأمر عظيم يضطر إليها حتى إنه استحل تطبيق ماوردته من الكرامات المأثورة عليها . وكان ينبغي له أن يطبقها على قاعدته الأخرى وهي عدم بلوغ الكرامة مبالغ المعجزة فيقول إن إحياء الموتي لا يكون من الكرامات . ولا عبرة بتلك التفصص والحكايات.

هذا وإن المشعوذين في أوروبا وغيرهم يخيلون للناس أنهم يذبجون الإنسان فينبون رأسه عن جسده ثم يحيونه . ويطمع العلماء بأن يرتقي العلم بالناس إلى مستوى يهتدون فيه إلى إعادة الحياة لمن تفارقه بعد زمن قريب . ومنهم طائفة من الروحانيين تشغل بالبحث عن طريق مناجاة أرواح الموتي ، ولا يبعد أن يحيى يوم يظهر لهم فيه أن ما روي من إحياء سيدنا عيسى لابن ولعازر . وإحياء سيدنا محمد لابن جابر . قد كان بسنة إلهية خفية . وهو إمداد الأرواح القوية العلوية بالأرواح الضعيفة السفلية . حتى تعود بذن الله إلى التصرف بالجسد ، إذا لم يطل على مفارقتها الأمد . وقد سبق الاماع إلى أن آيات الأنبياء عليهم السلام إذا كانت جارية على سنن الهيبة روحانية يكون ذلك أليق بكمال الله عز وجل بما إذا كانت بمحض القدرة لما فيه من اتفاق القدرة مع النظام والحكمة وذلك كمال في القدرة لانقصاص فيها

(النوع الثاني تكليم الموتي ورؤية الارواح)

قال السبتي هو أكثر من النوع الذي قبله وروي مثله عن أبي سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه ثم عن الشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنه وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الامام الودولست اسمه :

وقلت في كتاب (الحكمة الشرعية) عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ما حكاه عن نفسه في القنوجات المسكية (باب ٣١١) وهذا نصه : « ولقد كنت انقطع في القبور مدة مفردة بنفسي فبلغني ان شيخنا يوسف بن يخلف الكرمي قال : ان فلانا ... وساني ... ترك مجالسة الاحياء وراح يجالس الموتي : فبعثت اليه وقلت : لو جئتني لرأيت من اجالس : فصلي الضحى واقبل اليّ وحده مامعه احد فطلب علي فوجدني بين القبور قاعدة مطرقا وانا اتكلم على من حضرني من الارواح فجلس الى جاني بادب قليلا قليلا فنظرت اليه فرايته قد تغير لونه وضاق نفسه وكان لا يقدر يرفع راسه من الثقل الذي نزل عليه وانا انظر اليه واتبسم فلا يقدر ان يتبسم لمسا هو فيه من الكرب فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه اليّ فقبل بين عيني فقلت له : يا استاذ من يجالس الموتي انا او انت ؟ قال : لا والله بل انا اجالس الموتي والله لو تمادى عليّ الحال فطست : وانصرف وتركني فكان يقول : من اراد ان يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان : » اهـ

وأقول الآن ان مثل هذه الحكاية متقولة عن الصوفية بكثرة وهو من خوارق العادات المألوفة المعروفة ولكنه ليس خارجا عن السنن الالهية ، ولا خارجا للتواميس السكونية . ولا علاقة له بالامور الدنيوية ، وإنما الروح الانساني مستعد في أصل الفطرة لادراك عاله ولكنه يشغل عنه بهالم الجسد الذي يكون كل شغله به من أول النشأة وهذا الاستعداد يكون قويا في بعض الناس فاذا اهتدى من يكون قويا فيه الى استعماله يزداد قوة حتى يتمكن من رؤية الارواح المجردة اي التي تفارق الاجساد ويقوى على خطاها وللأفرنج في هذه السنين عناية بهذا الامر واشتغال به كبير ، ويروى عنهم في استحضار الارواح ومكاملة الموتي أضعاف ما روى عن الصوفية من الوقائع ولكنهم مع ذلك لم يبلغوا فيه مبلغ الصوفية فيما اظن ولا يبعد ان يسبقوهم

في يوم من الأيام لأن جد هؤلاء الأفرنج ومشاربهم على الأعمال التي يهتدون إلى طريقها من الغرابة يمكن

هذا ما يقال في التأويل لمن صحت عنده الروايات عن الأولين والآخرين . ومن الناس من يقول إن كل ما يروى في هذا المقام غير حقيقي وإنما هو من ضروب الشعوذة والسيما . يخيلون فيه للناس ما لا حقيقة له في الواقع . وقد ذكر الصوفية أن بعض هذه المشاهد الروحية يكون في عالم الخيال . وبعضها يكون في عالم المثال وقد اطلنا هذا البحث في كتاب (الحكمة الشرعية) فكتبنا فيه ٣٥ صفحة ، ومنه : قال حجة الاسلام الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه المتقذ من الضلالة في التاء على الصوفية « حتى أنهم في يقظهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد » وفي المواهب اللدنية للقسطاني أن الغزالي قال في تفسير حديث « من رأى في المنام فقد رأى حقاً » وحديث « من رأى في المنام فسيراني في اليقظة » : ليس معنى قوله « فقد رأى » أنه رأى جسمي وبدني وإنما المراد أنه رأى مثلاً صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه . وكذلك قوله « فسيراني في اليقظة » ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني (قال) والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رأى من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق : فلم بهذا أن الغزالي يريد برؤية الأرواح رؤية مثل متخيلة لها . ولكنه قال في المتقذ بعد ما تقدم : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الناطق :

وذكر الثمراني في كتابه اليواقيت والجواهر جماعة كانوا يرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة منهم الشيخ قاسم المغربي ، ونقل عن الشيخ قاسم المذكور أنه قال : وأكثر ما تفتح رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم ترقى إلى رؤية البصر (قال) وأبست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرؤية بعضنا حضاً وإنما هي جملة خيالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من بهمة باشره : اه ففهم أن الإنسان لا يزال يفكر في الميت الذي توجه إليه نفسه

ويتصل في إخطاره على قلبه حتى يتخيل أنه يراه وأنه معه لأنه يغيب عن عالم الحس ويستغرق في عالم الخيال

وذكر النشارفي في ميزانه عن شيخه علي الخواص أن الأئمة المجتهدين كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويسألونه عن الأحكام المشككة . ولو كانت هذه الرؤية حقيقة مطردة لما اختلفوا إذ لا يمكن أن يحسمهم بأجوبة مختلفة في المسألة الواحدة ولما توقعوا في بعض المسائل ، فإن صح قوله فهي الجمعية الخيالية وهي لا تزيد الإنسان على ما في نفسه . على أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه ادعى ذلك .

وفي الذهب الأبرز (ص ٤٤ و ٤٥ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٩٣) أن ابن المبارك سأل الشيخ عبد العزيز الدباغ عن استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم في ذهن المؤمن هل هي من عالم الروح أو من عالم المثال أو من عالم الخيال قال : « فاجاب رضي الله عنه بأن ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله فمن توجه بفكره إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقعت صورته في ذهنه فإن كان من يعلم صورته السكرية لكونه صاحبيا أو من العلماء الذين عنوا بالبحث عنهم حصلوها فلها تقع في فكره على ما هي عليه في الخارج . وإن كان من غير هذين فإنه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خلقه وخلقه فقد توافق الصورة التي في فكره ما في الخارج وقد تخالفه والحاضر في النسكر هو صورة ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاصورة روحه عليه الصلاة والسلام فإن الذي شاهده الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ولا يجول النسكر الا فيما يعلمه الشخص ويعرفه . فقولكم : هل هو من عالم الروح ؟ ان أردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح اي من روح المتفكر وإن أردتم به الحاضر أي فهل الحاضر في أفكارنا روحه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقد سبق أنه ليس إياها . وأما المحادثة والمشكلة اذا حصلت لهذا المتفكر فإن كانت ذاته طاهرة وتجهها روحه ولم تحجب عنه أسرارها وكانت معه كالتخليل مع خليله فالمحادثة معصومة وهي حق وإن كانت الذات على العكس فالامر على العكس والله الموفق » اه وما ذكره أخيرا من الحكم في المحادثة والمشكلة فيه غموض ولا أقول هنا كما قلت في (الحكمة

الشرعية: إن فيه وقفة ظاهرة:

ثم قال ابن المبارك إنه ذكر لشيخه رجلاً من الصالحين كان يذكر الله مع جماعة من أصحابه فما كان من أحدهم إلا أن تبدل لونه وتغير حاله وبدل جلسته فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال «واعلموا أن فيكم رسول الله» (قال) فقلت للشيخ هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل مشاهدة فتح أو مشاهدة فكر؟ فقال: مشاهدة فكر لا مشاهدة فتح ومشاهدة الفكر وإن كانت دون مشاهدة الفتح إلا أنها لا تقع إلا لأهل الإيمان الخالص والمحبة الصادقة والنية الصادقة. وبالجملة فهي لا تقع إلا لمن كمل تعلقه بالله صلى الله عليه وسلم. ولم واحد تقع له هذه المشاهدة فيظنها مشاهدة فتح وإنما هي مشاهدة فكر. وهذا القسم الذي تقع له هذه المشاهدة وهو غير مفتوح عليه إذا قيس مع عامة المؤمنين كانوا بالنسبة إليه كالعدم ويكون إيمانهم بالنسبة إليه كلاً شياً والله أعلم:

قال ابن المبارك: وما يؤيد هذه المشاهدة الفكرية وإنما تقع لغير المقترح عليه كونها تقع لمن كملت محبته في شخص وإن كان غير النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد أخبرني بعض الجزائريين أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً وأنه لم يزل شخصه في فكره حتى إن عقله وجوارحه كلها دمه فكان هذا دأبه ليلاً ونهاراً إلى أن خرج ذات يوم إلى باب الفتوح أحد أبواب (قاس) حرسها الله تعالى لشراء الغنم على عادة الجزائريين ففكر في أمر ولده الميت فبينما هو يحول فكره إذ رآه عياناً وهو قدم إليه حتى وقف إلى جنبه. قل فكلمته وقلت له: يا ولدي خذ هذه الشاة اشاة اشتريتها حتى أشتري أخرى: وقد حصلت غنية قليلة عن حسي فلما سمعني من كان قريباً أنكم مع الولد قفوا: مع من تنكلم أنت؟ فلما كلموني رجعت إلى حسي وغاب الولد عن بصري فلا يدري ما حصل في باطني من الوجد عليه إلا الله تبارك وتعالى: أنه

وقلت بعد إيراده هذا في (الحكمة الشرعية): وظاهر أن هذا الرجل قد انضمت صورة ولده في خياله واشتغاله به وضعف شأن المحسوس الذي هو آخذ به بالنسبة إليه عاب عن حسه وتلاشى تحت قوة سلطان خياله فتمثلت له صورة ولده المعبود عفة في خياله بشراً سواً محدثه وهمه بأنه يراه حقيقة مخاطبه بما خاطبه به حتى إذا

تنبه بتنبه آخر لم ير شيئاً . وهذه الرؤية من قيل الأحلام المتأمية . وقد رأيت امرأة محبولة تخاطب الأموات وتخبر عن حالهم عند ما يمرون في خيالها : هذا فلان يقول كذا هذا فلان يقول كذا : وكثيراً ما تكون التنبية عن الحس للمشاق باستحواذ الخيالات والأوهام عليهم حتى إن أحدهم لفرط شغفه واشتغال فكره بمشوقه يمثل له خياله فيتوهم أنه موجود أمامه حقيقة فيقابل به بما يليق به من الآداب . ويرفع إلى أعقاب جناحه ما شاء من الكتاب ، وفي ذلك قال قائمهم :

يمثلك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالاً كأنك حاضر

ومنه الحكاية عن عاشقة تقول :

فليس نوما خفض رأسي إنما أسجد للطف الذي قدسنا . فأنني استرته توها
فزادني ورق لي ترحا . لما رأى في الحفن فعل السهد
وقال لي بالله ما أضناكي . قد كلت عنك نظر الإدراك . ناصي بحفني فاقصدي مناكي
كياتريه أنت أوراكي . فليس لي بضردا من جهدي
ومثل هذا في كلامهم كثير وفيه قال : الجنون قنون . وكل حزب بما لديهم فرحون .

(النتيجة)

ان ما نقل عن كثير من عباد المسلمين والنصارى وغيرهم من رؤية الأنبياء والأولياء
والرؤساء الروحين صحيح فان حال الأشخاص في الرأين والاثناقين في بعض الوقائع ليس فيها
شائبة الكذب . ولكن هذا ليس من الحوارق الحقيقية ولا تلك المشاهدات دليل على
ان صاحبها على الحق . وإنما هو تأثير الحب والشغف وكثرة الفكر والتخيل في الشيء
مع تأثر الوجدان به يصف الحواس . ويهوي الوسواس ، فيصيب صاحبه عن حاله .
ويحضر مع خياله . ومن الناس من كان يستعين على إثارة رواكد الخيال بما يضعف
الحواس والنقل من المحدثات كالخمشة المروفة فقد كان أول من استعملها الباطنية
والتصوفة ولذلك كانت تسمى حشيشة الفقراء . كان شيوخهم يشغلون فكر المريد
ببعض الاموات المتقدمين أو بلجنة مثلاً ويساؤونه شيئاً من الحشيشة فتخدّر حواسه
فيتجسم ما في خياله من الصورة التي كان وجهه الشيخ اليها فتتمثل له في صورة يديده .
وما كان المريدون يعلمون بأن لما تناولوه من الحشيشة تأثيراً فيها وأوهانها كانوا

يصدقون أنه تصرف روح الشيخ في عوالم الملكوت وإدناء بعض مافيا من عالم الملك وأنت ترى ان هذا الذي قلناه في تفسير رؤية الأرواح ومكالمتها مأخوذ من كلام كبار الصوفية ولم نفتحره افتحاراً . وانني اعترف بان ماقله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيه هو كرامة من كراماته المعنوية فانه كان رجلاً أميناً وقح الله عليه بالعارف العالية وأكرمه بحل كثير من المشكلات الفلسفية كهذه المسألة والمشكلات الدينية أيضاً على انني لاسلم بكل ملاقل عنه ولا أقول انه معصوم أو محفوظ من الخطأ . وما قاله في إيمان من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية فكرية خيالية لاينافي ماقلناه آفاً من كون هذه المشاهدات لا تدل على حقيقة اعتقاد صاحبها . فصاحب الإيمان الصحيح في الاصل تجعل إيمانه إيماناً وجدانياً فيكون أقوى من إيمان غيره . وكذلك صاحب الاعتقاد الباطل فهي تقوي في نفس صاحبها ماهو فيها حقاً كان أو باطلاً كما فعلت بإيمان الذين تمتل لهم السيدة مريم عليها السلام وهم يعتقدون آمراً لم الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - فثبت بهذا ان هذا النوع ليس من الخوارق في شيء

ورأيت ان كلام الصوفية الذي حلّ الاشكال يشير او يصرح بان وراء هذه المشاهدات الخيالية والمكالمات الوهمية شيئاً آخر أعلى منه وهو إدراك الأرواح إدراكاً صحيحاً والاستفادة منها استفادة حقيقية لم يكن يعلمها المرء من قبل . وهذا شيء لا يمكن ان يعرفه الا من ذاقه وهو جائز وان لنا من الثقة بصدق بعض المخبرين به اكثر مما لاهل هذا العصر من الثقة باهل أوروبا إذ يصدقونهم بكل شيء غريب يقطعون بثبوته وان لم يعرف دليلهم هؤلاء المصدقون

واذا ثبت هذا النوع لبعض الاولياء والاضفياء لاستعداد فيهم قواه استعماله وسمي كرامة لهم فلا ينبغي ان نتقد انه جاء مخالفاً للسنن الالهية في الخلق ولا أن تصدق أحداً من الناس بخصوصه يدعيه لانه مما لا يمكن إثباته بشئ من ذاقه ومن ادعى مالا يمكن إثباته فهو أحق او محذور لا يبالى به . وهذا الذي قررناه حجاب دون اغترار العامة ببعض الدجالين وهو غرضنا الاول من كل ما كتبناه في الخوارق والكرامات

في س ٩ ص ١٦٤ « كلام » والصواب « كلام الله » وفي س ٩ ص ١٦٧ (رؤساء) والصواب « عن رؤساء » فليصحح

القسم العمومي

(اليهود والماسونية . وحدث الوطنية)

(اليهود) : لا يوجد شعب في الدنيا كعرب إسرائيل في تسكته بالرأفة المالية .
والصية الأجنبية . فهم يحبون ويحاولون أن يحولوا جميع منافع الشعوب الذين يعيشون
معهم اليهم . ولولا أنهم يعتقدون أن دينهم خمس بهم لا يجب عليهم الدعوة اليه حاولوا
إرجاع جميع الأديان أنه بالهمة التي يحاولون بها تحويل قوى الشعوب كلها
الى منفعة بني إسرائيل . وكل هذا - لولا غلو فيه - من الفضائل التي يحمدها
صاحبها عليها . ولكن الغلو في حب الذات كانه صير فيه كلاهما من الأمور الضارة
بصاحبها . لهذا نرى هذا الشعب مضطهدا من جميع الشعوب والامم لا يتسع له صدر
الاصدار المسلمين . ألم تر ان الذين تطردوهم الممالك ونحروهم من أرضها لا يجدون
في الغالب ماعداً الا بلاد الدولة العلية حتى بلاد فلسطين التي يطمعون أن يستولوا بها
ويحدثوا فيها ملكا جديدا

(الماسونية) : جمعية سياسية سرية تكونت في أوروبا - لاغنى عن ذكرهم من قديمها
- لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والامراء ورؤساء المدن من البابوات
والقسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والخبرة
وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها منقوعة
من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأندوها الى بقعة الهيكل
المقدس هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى . وقد قامت هذه الجمعية
بمسلمها على احسن وجه ولم يمد لها الآن عمل في تلك البلاد . واذا كان منشؤها
والمنشأة لهم من غير المسلمين كان فيها أمور متعددة تخالف الاسلام وكان الداخل
فيها عرضة لمخالفة دينه الا ان يكون غاف متعمدا

ثم ان الافرنج عند ما تغلبوا في الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل
مشاركاته في حكمه فهو يحش انفعال جميع المسلمين للسيطرة كل من يحاول السيادة
عليهم استعانوا بالماسونية على اضاف هذا المزاج وتوصلوا الى بعض كبراء المسلمين
وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم ويهودها فادخلوا جماعة

منهم وبقي أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة اليه . لا ان الشعب المصري سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون في هذه الجمعية من اهله . على ان اهلهما يتصلون من الاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال

والهاجر السيد جمال الدين حكيم الشرق وموقفه الى هذه البلاد رأى من استبداد اسماعيل باشا الخديو الاسبق ما يزيد على ما كان في أوروبا من الاستبداد ورأى ان الجمعية الماسونية تجرّ هذه البلاد الى أوروبا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالحبوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها وراء الستار فيحسب الصياد أنها هي التي تاهب بنفسها وكذلك كانت مصر العتوة في أيدي الاوربيين . فاراد السيد رحمه الله أن يرثي فيها رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته مالا يمكن التصريح به الا في جملة سرية قد دخل في الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فحول بهم قوة للمصريين وصار رئيس محفلهم ولكنه كان غالبا في مضادة الانسكاز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر وقد صرح به كتابة فقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ولم يكن للماسونية عمل في مصر لمصر الا في تلك المدة ثم ان الماسونية صارت في مصر آلة لبعض زعمائها في جلب المنافع ثم كثر فيها الفوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الاسنة بالطن فيها وليس هذا مما يعيننا الآن

* * *

(حدث الوطنية) : شاب يعرف قراء المثار أنه يلغظ بالوطنية على غير هدى وان له جريدة انشأها لتعظيم شخصه باسم الوطنية واللاتقام لشخصه بكل اسم . يمت كل من ليس مصري الاصل لاجل مصر ويمت من المصريين الاصلاء من ليس مسلما لاجل المسلمين ويمت كل مصالح المسلمين لاجل شخصه فهو لنفسه علة الغل ، في كل قول له وعمل . واليك هذا الشاهد العادل

منقي الديار المصرية مصريّ الموطن ويشغل في مصر أكبر الوظائف الدينية ورأس جمعية خيرية ليس لها ثانية لخدمة مسلمي مصر وهو في علوم الدين والدنيا وفي كبر العقل وقوة الارادة منخر المسلمين ومفرعهم يرجعون اليه في الدفاع عن

دينهم وفي قضاء حوائجهم ويرون أكبر خدمة قام بها الاسلام تفسير القرآن الشريف على طريقة روحية صهرانية تظهر أن القرآن الحكيم ينبوع السعادة الدينية والمدنية في كل عصر ولكن هذا الرجل خلق من طينة الجذ فهو لا يقيم وزنا للأحداث المتفجحين فيزله من منزلة المدم لا يحترمهم ولا يحقرهم . وحدث الوطنية يجب أن يدهن له كل عظيم فهو لا يجب مفتي الديار المصرية . وكان ينبغي أن يامله بالمثل لا يعظمه ولا يتناول ويتسلق ويتعالى لنمص حقه ، فإذا لم يستطع صبرا فليتنظر له هفوة يفسر له التليس بها على العامة بأنها تضر بالوطن الذي يدعى حبه . أو الاسلام الذي يتألف حزبه . ولكن من الناس من يبلغ من نفسه مبلغا لا يصل أحد إليه الا بخذلان من الله !!!

انظر الفرص التي ينتهز مثلها حدث الوطنية - كان مفتي الاسلام في جماعة من « كبار الوطن العزيز » قد ركبوا مركبة مما اعدته الحكومة للمدعوين لحضور احتفال خزان اسوان فاول احد الخدمة من الافرنج إنزالهم منها ليركب فيها نساء من قومه فاتهره المفتي فماد خائبا . وما علم بذلك زعيم الوطنية بزعمه بادر الى ارسال رسالة برقية الى جريدته جبل عنواها (اهانة المفتي) وحكى القصة على غير وجهها فهذه هي « الوطنية الحققة » التي يتفجح بها - يتفخر بان خادما اجنبا اهان اكبر رجال « الوطن المحبوب » وما اهانهم ولكنه يتفخر بما يتفخر ويفتخر

وان تعجب فأعجب مما قصصناه من فرصة هذا الوطني التي اغتتمها للخدمة لوطن ما قصه الآن من فرصة هذا المسلم التي اغتتمها للخدمة الاسلام . بل لتأييد بعض ماسون اليهود في الاحتجاج على تفسير القرآن

ان نبذة التفسير التي نشرناها في الجزء الثاني من متار هذه السنة هي مأخوذة من الدرس الذي ألقاه المفتي في ٦ ذي القعدة سنة ١٣١٧ اي منذ ثلاث سنين وشهور وقد نقلها عنا جريدة الرائد العربي التي قامت تندد في هذه السنة بسيئات اليهود حتى انهم حاكموا صاحبها وحكم عليه بشدة علم بها ان الحكومة اتصرت لهم وما كانوا مهضومين ولا مظلومين . توهم بعضهم ان مفتي الديار المصرية صاحب التفوذين الديني والادبي كتب الآن يساعد تلك الجريدة بقلمه للمؤثر فوجلوا ووجهوا ولجأوا الى جمعيتهم للماسونية وكتبوا بقلم الطيش والعجلة احتجاجا باسم الماسونية على مفتي الديار المصرية الذي يفسر القرآن العزيز في الأزهر باسم الله الرحمن الرحيم وطلبوا إيفاده عند

حده . وارسلوا نسخا من احتجاجهم الى امير البلاد والى اللورد كرومر والى رئيس
النظار والى جميع الجرائد اليومية فلم يحفل احدا باحتجاج هذا المحفل الارئيس الماسونية العام
في هذه الديار (عطو قتلوا) ادريس بك راغب فانه كتب محتجاً على الاحتجاج بهذا المحفل انه
خالف قانون الجمعية

ولكن حدث الوطنية نثر صورة الاحتجاج في جريدته وقام بتصرف لثمة عثرها بعض
يهود الماسون على مفتي الاسلام من حيث هو مفسر للقرآن وسؤال اليه ورور ان ذلك انتقام
من المفتي فاما كان الزيادة في إجلاله وتعظيمه — حضر رئيس ذلك المحفل الماسوني من
الاسكندرية مخصوصاً لزيارة المفتي في الأزهر والاعتذار له ثم كتب هذا الرئيس رسالة
تشرها في الجرائد المشهورة في ذلك اثني فيها بما اثني . وزاره في الأزهر أيضاً الرئيس الأعظم
للمحافل الأفريقية ادريس بك راغب . وكتب بعض ادباء اليهود في الجرائد بين خطا
الاحتجاج ونشره واثني على المفتي بما اثني . وكتب الجرائد المستبصرة مقالات في ذلك باقلام كتابها
واقلام غيرهم من الضلاء سفهوا فيها منشور الاحتجاج والجريدة التي نشرته وفي مقدمة
هذه الجرائد المؤيد والأهرام والمقطم واليراميد . ولو لان كان جميع الكتاتين متفقين على
الاعتذار عن المحتجين بسوء الفهم والاعتراف بان مفتي الديار المصرية لهذا العهد هو روح
الوقا والوئام . ودعاة الاتحاد والائتام . وانه لا يرضيه ان يهضم حق فرد من الافراد ولا
طائفة من الطوائف لان الشريعة التي هو احدائمها قضت بالعدل والمساواة حتى كان خافوا لها
الراشدون يساوون آحاد اليهود با كبر كبرائهم — لولا هذا لأحدث ذلك المنشور ثورة
فكرية قامة على اليهود سيئة القبة وكان إثم ذلك على من كتب المنشور بسوء الفهم .
ومن نشره بسوء القصد -

« ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » واي شيء أسوأ ممن ارضى نفسه واغضب اليه ود
الذين اتصروهم بما كذبوهم فيه من الفتنة واغضب المسلمين لانه اتصروهم عليهم في امر
ديني محض واغضب الله تعالى لانه اتصرو لافراد من اليهود على كتابه العزيز واراد ان
يساعدهم على إهراق من بينه للناس عند حده وما هو الا منه من بينه للناس وقض ميثاق الله
الذي اخذه على العلماء « لئيبته للناس ولا يكتمونه »

وهنا نكتة لطيفة وهي ان اليهود قد كتبوا ما كتبوا مضرين بالحرية التي في
مصر الآن كما صرحوا بذلك في منشورهم وحدث الوطنية يتبعج دائماً بذم هذه
الحرية لان متبعا الاحتلال الانكليزي فهل كانت هذه الحرية جديرة بالقتل والذم من

حيث رفعت أُنْهَال الظلم عن كاهل الأمة المصرية وصارت جديرة بالرضى والمدح من حيث يراد بهامنع تفسير القرآن من الجامع الأزهر؟ كلا ان تلك الحرية ما كانت مذمومة عنده من جهة الأحكام إلا لأنه لم يذكر أن يكون فيها حاكما مدارت ممدوحة عند الاستعانة بها على منع كتاب الله إلا لأن مفسره لا يدهن له ولا يستبره زعيما لئلا يظن قُبْتُ بهذا ان حدث الوطنية لا يخدم الأشخاص مباشرة واسم الوطنية والاسلام . إنما يذكر ان اذا صلحا للاستخدام .

فلم مما تقدم انه لم يكن من مصلحة اليهود ان يطرُقوا هذا الباب - دعوى تحامل المسلمين عليهم وكرههم لهم - لتلايقح فيعجزوا عن إغلاقه هم والحرية التي استجدوا بها وهي المون عليهم ما لم يخالف أحد القانون في اعتدائه . المسلمون أقرب الناس الى مسالمتهم بما يرشد اليه الاسلام والتاريخ شاهد عدل في الماضي والحاضر ولكن أهل هذه البلاد يؤثر فيهم القول والوهم فاذا صدقوا ان منقذ الاسلام قد برى قلمه لتليل منهم يعتقدون أنهم خطر كبير على المسلمين او المصريين . ومن يقدر على إزالة اعتقاد العامة بعد رسوخه ؟ قدر بعض الاحداث على تحريك أضعان المصريين على السوريين بكلمات هذاويا فكان من أثرها ان الآلاف من الناس يعتقدون ان السوري بلاء على مصر على ان السوريين موافقون لهم في اللغة والجنسية العثمانية ومنهم من هم على دينهم وليس لهم امتياز يثقل عليهم كامتياز الاجانب ثم إنهم أقل الشعوب التي هاجرت الى هذه البلاد كسبا فاليهود والارمن واليونان وجميع الشعوب الأوروبية تفوقهم ثروة ومن هؤلاء من افسدوا البلاد بالخنزير والفجور ولا ترى مع هذا حريصة مصرية تذكر أحدا منهم بما تذكر به السوريين بما لا يرضي . والسوريون هم الذين خدموا العلم والآداب خدمة لم يدركهم بها المصريون الى الآن . نعم ان فيهم بعض السفهاء وقاسدي الآداب والجنسية . وأي شعب ليس فيه الصالح والطالح والمصلح والمفسد ؟ فاذا كان اولئك الاحداث قد أثروا هذا التأثير بمهونة الاستعداد للشر فسا باللك بهذا الامام الكبير . كان من حظ اليهود أنهم طرُقوا الباب فلم يفتح لأن المفتي وجميع من يتصل به من حملة الأقلام لا يحبون فتحه ولو فتح لما اغت عن اليهود الماسونية شيئا . اما كون الماسونية خرجت في هذه المسئلة عن حدها فلا نزاع فيه بعد ما علمنا من احتجاج استاذها الاعظم على كاتبي النشور . وكل خطي قد رجع عن خطاه الا حدثت الوطنية فلم انه هو الذي كان سي قصد دون اليهود وغيرهم .

يُوفَى الحُكْمَةَ مِنْ بِنَاءٍ وَمِنْ يُونِ
الحُكْمَةَ فَقَدْ أَوْفَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُ الْأَوَّلُ الْأَلْبَابِ

المجلد

١٣١٥

فَقُتِرَ عَادِي الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ حَسَنَةً أَوْ لُتْكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ
اللَّهُ وَأَوْثَقَهُمْ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢١ — ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣)

❦ باب العقائد من الامالي الدينية ❦

الدرس ٣٧ — آية الله الكبرى — القرآن

نبدأ هذا البحث الجليل بآية الله العظمى عياض في الشفاء من وجوه الإعجاز وبعد ذلك نذكر منه أقوى منها أو أوضح قال رحمه الله تعالى:
(نصل في إعجاز القرآن)

« نعم وقتنا لله وإني أن كتاب الله العزيز منطوق على وجود من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه —

١٥٥ (أولاً) حسن تأليفه والتمام كله وفصاحته ووجود إيجازه وبلاغته الخارقة مدد العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وقرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما يخص به غيرهم من الأمم . وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان . ومن فضل الخطاب ما يفيد الألباب . جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة . وفيهم عزيزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب . ويدلون به إلى كل سبب . فيخطبون بديها في المنامات وشديد الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والضرب . ويمدحون ومدحون . ويتوسلون ويتوصلون . ويرفعون ويضمون . فيأتون من ذلك بالبحر الخلال . ويطلقون من أوصافهم أجمل من سمط الأمال . فيخدعون الألباب . ويذلون الضماب . ويذهبون الأحن . ويهيجون الأدمن . ويجرّون الحيان . ويسطون يد الجعد البنان . ويصرون انانص كاملا . ويتركون أنية خاملا . منهم البدوي ذو اللانظ الجبرل . واقول الفصل . والكلام الفخيم . والطبع الجوهري . والمنزع القوي . ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة . واللفاظ الناصحة . والكلمات الجماعمة . والطبع الهل . والتصرف في القول . القليل الكتلة . الكثير الروق الرقيق

الحاشية ، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة الباتمة . والقوة الدائمة : والتندج التناج :
 والمهج الناهج ، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم . قد
 جوارقونها ، واستبطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلموا صرحا
 بلوغ اسبابها . فقالوا في الخطير والمهين . وقتلوا في الفث والسجين ، وتناولوا في
 القتل والكثرة ، وتساجلوا في النظم والنثر . فراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
 « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . احكمت آياته ، وفصلت
 كلماته ، وهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافر إعجازه
 وإعجازه . وتظاهرت حقيقته ومجازته ، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه . وحوث
 كل اللسان حوامه وبدائمه . واعتدل مع إعجازه حسن نظمه . وانطبق على كثرة
 فوائده مختار لفظه . وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة
 رجالا : وأكثر في السجع والكثرة رجالا ، وأوسع في الغريب والاثرة مقالا : باغتهم التي
 بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون : صارخا بهم في كل حين : ومقرعاً لهم بما
 وعشرين عاماً على رسو الملاحمين : « أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
 من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
 فأتوا بسورة من مثله » الى قوله « وان تظلموا » و « قل لئن اجتمعت الانس والجن
 على ان يأتوا بمثل هذا القرآن » الآية (١) و « قل فأتوا بشعر سور مثله مفتريات »
 وذلك ان المفترى أسهل . ووضع الباطل والمخلوق على الاختيار أقرب . واللفظ اذا
 تبع المعنى الصحيح كان أصعب . ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما
 يريد . وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد :

« فمزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد تنقيح : ويوبخهم غاية التوبيخ : ويسفه
 أحلامهم : ويحط أعلامهم : ويشتت نظامهم : ويذم آلهتهم وآباءهم . ويستعجز أراضهم وديارهم
 وأموالهم (٢) وهم في كل هذا ناكسون عن معارضته : محججون عن ثمانيته : ويخادعون

(١) تنميا « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٢) أي يضل ذلك بهم
 بعد ما فعلوا أشد منه به . ومن تبعه من القتل والثني والتبجيل حتى انه لم يبداهم بعدوان
 وانما كان مدافعا حتى أظفره الله تعالى

أنفسهم بالتشبيب بالكذب ، والاغراء بالانثراء وقولهم : ان هذا الاسحر يؤثر
وسحر مستمر وانك انثراء وأساطير الاولين : والمباهنة والرضى بالنيئة كقولهم
: قلوبنا غاف : و(١) في أسكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن يتنا ويتك
حجاب : ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون : والادعاء مع العجز
بقولهم : لو نشاء لآتينا مثل هذا : وقد قال لهم الله « ولئن فعلوا » فما فعلوا ولا
قدروا . ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كسليمه كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم الله
الأنفوس من فصيح كلامهم ، والا فلم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نطق فصاحتهم ،
ولا جنس بلاغتهم . بل ولوا عنه مدبرين وأبو مفضين من بين مهتد وبين مقنون .
ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمر بالعدل
والإحسان » الآية قال : والله ان له لخلابة . وان عليه لطلاوة . وان أسفله لمقدق . وان
أعلاه لمشر . ما يقول هذا بشر : وذكر أبو عبيد ان أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر » فجدد وقال : سجدت لفصاحته : وسمع آخر رجلا يقرأ « فلما استيسوا
منه خالصوا نجيا » فقال : أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام : وحكي
ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو قائم على رأسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها . وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملت ما فاذا قد
جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله « ومن
يطع الله ورسوله ويحسني الله ويثقه » الآية . وحكي الاصمعي أنه سمع كلاما جارية
فقال لها : فمالك الله ما أفصحك ! فقالت : أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
« وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه » الآية (٢) فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين
وخبرين وشارحين :

« فهذا نوع من اعجازة منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح
من القوانين . وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به مملوم ضرورية .

(١) أي « وقالوا قلوبنا في أسكنة » الح (٣) تنمها « فاذا خفت عليه فألقه في البحر »
ولا تخافي ولا تحزني إنما رادوه اليه وجعلوه من المرسلين .

وكونه صلى الله عليه وسلم متحدثاً به معلوم ضرورية . وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورية . وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورية للمؤمنين بالفصاحة ووجوه البلاغة . وسبيل من ليس في أهائها علم ذلك بمعجز المتكبرين من أهائها عند معارضته واعترايف المتدين باعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى « والكمفي التفاض حيوة » وقوله « ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » وقوله « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وقوله « وقيل يا أرض ابعي مالك ويساء أفاعي » الآية وقوله « فكلأ أخذنا بذيئهم من أرضنا عليه خاصباً » الآية وأشباعها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينه في إنباز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلماتها وإن تحت كل نقطة منها جلا كثيرة وفصولا حجة وعلوما زواجر ملكت اللووين من بعض ما يستفيد منها . وكثرت المقالات في المستبطنات عنها

« ثم هو في سرد القصص الطوال وإخبار القرون السوالف التي يضرب في عادة التفصيح عندها الكلام ويذهب ماء البيان ، آية لتأمله من ريب الكلام بوجه بعض والتام سرده وتناصف وجوهه كقصص يوسف على طولها . ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها حتى تسكد كل واحدة تسمى في البيان صاحبها . وتناصف في الحسن وجه مقابليها ، ولا تفور لتفوس في ترديدها . ولا مباداة لمادها .

فصل

م ١٠٦ (الوجه الثاني من اعجازه) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب تختلف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع آيها وانتهت فواصل كلماته اليه . ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد من بعده شيء منه . بل حازت فيه عقولهم ، وتذهلت دونه أحلامهم . ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم . من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر . ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوائد ابن المغيرة قرأ عليه القرآن رق شفاعه أبو جهل منكراً غيبه قال : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا . وفي خبره الآخر حين

جميع قريشاً عند حضور الموسم وقال : ان وفود العرب ترد فأجمعو فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً: فقالوا « نقول كاهن » قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمنته ولا سجمه ، قالوا « مجنون » قال وما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته ، قالوا فنقول « شاعر » قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه وما هو بشاعر . قالوا فنقول « ساحر » قال وما هو بساحر ولا نفته ولا عقده ، قالوا فنانقول : قال وما أنتم بقائلين في هذا شيئاً الا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول « انه ساحر » فانه سحر يفرقه بين المرء وابنة (١) والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته : ففرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأُنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيداً » الآيات

« وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قومي قد علمتم اني لم أترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة : وقال النضر بن الحرث نخوه . وفي حديث إسلام أبي ذرٍّ وودع أخاه أنساً فقال : والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذرٍّ بنجر اني صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس . قال يقولون شاعر . كاهن . ساحر . لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت على أشراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي (٢) انه شعر وانه صادق وانهم الكاذبون »

« والاعجاز في هذا الصحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الاعجاز وبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها . مبين لفصاحتها وكلامها . والى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين . وذهب بعض المقنذى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب وأتى على ذلك بقول تمجع الاسماع . وتفر منه القلوب . والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة قطعاً . ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهدف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه »

(١) في نسخة « وانيه » (٢) اهل الصواب (يدعي)

«وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول : انه ما جمع في قوة جزائته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإعجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وان، من باب الخوارق الممتعة عن إقدار الخالق عليها كاحياء الموتى وقلت العصا وتسييح الحصا : وذهب الشيخ أبو الحسن الى أنه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه . ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فنعهم الله هذا وعجزهم عنه . وقال به جماعة من اصحابه . وعلى الطريقين فيعجز العرب عنه ثابت : واقامة الحجبة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع : وهو أبلغ في التمجيز : وأخرى بالتقريع : والاحتجاج بمجىء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم، وهو ابهر آية . واقع دلالة . وعلى كل حال فما أتوا في ذلك فقال . بل صبروا على الجلاء والقتل . وتجرعوا كاسات الصغار والذن . وكانوا من شموخ الافئدة وإبانة الضمير بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً . ولا يرضونه الا اضطراراً . والا فاعلموا رضة لو كانت من قدرهم . والشغل بها أهون عليهم . واسرع بالتجريح وقطع العذر وإخفاف الخصم لديهم . وهم ممن لهم قدرة على الكلام . وقدوة في المرونة بجميع الانام . وما منهم الا من جهده جهده : واستنفد ما عنده . في إخفا ظهوره . وإطفاء نوره . فساجلوا في ذلك خبيثة من بنات شفاهم : ولا أتوا بنظفة من معين مياهم . مع طول الامد وكثرة العدد . وتظاهر الوالد وما ولد . بل ألبسوا فما لبسوا . ومنعوا فاقطعوا : فهذان النوعان من إعجازه

فصل

م ٢٠٧ : (الوجه الثالث من الاعجاز) ما تطوى عليه من الاخبار الغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيفلون » وقوله « ليظهرن على الدين كله » وقوله « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » الآية وقوله « اذا جاء نصر الله والفتح » الى آخرها . فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كتبها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض

ومكن فيها دينهم وملسكم لياها من اقصى المشارق الى اقصى المغرب كما قال صلى الله عليه وسلم « زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك امتي مازوي لي لي منها » وقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فكان كذلك . لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحد والمعطلة لاسيما انقراطية فأججوا كيدهم وحولهم وقوتهم الى اليوم نيفاً على خمس مئة عام فاقدروا على إطفاء شيء من نوره . ولا تغير كلمة من كلامه : ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه : والحمد لله . ومنه قوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » الآية وقوله « هو الذي أرسل رسوله بالهدى » الآية « لن يضركم الأذى وان يقاتلوكم » الآية فكان كل ذلك . وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم وحلفهم وتقريرهم بذلك كقوله « ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول » . وقوله « يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك » الآية . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » الآية وقوله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه — الى قوله — في الدين » وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر « راذ يمدكم الله إحدى الطائفتين انما لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » ومنه قوله تعالى « إنا كفيناك المستهزئين » ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أخصاه بأن الله كفاه لياهم وكان المستهزؤون نفراً بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهل كوا . وقوله « والله يصمك من الناس » فكان كذلك على كثرة من رام ضربه وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل

١٠٨٨ (الوجه الرابع) ما نبأ به من أخبار القرون السالفة . والأعم البائدة . والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه . وبأنى به على نفسه ، فيعرف العالم بذلك بصحته وصدقه . وان مثله لم ينله بتعليم . وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب . ولا اشتغل بمدرسة ولا مثافهة . ولم يضب عنهم ، ولا جهل حاله أحد منهم . وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه صلى الله

عليه وسلم عن هذا فيزل عليه من القرآن ما تلو عليهم منه ذكرا . كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وأخوته وأصحاب الكهف وذوي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها . ولم يدروا على تكذيب ما ذكر منها : بل ادعوا لذلك من موقوف آمن بما سبق له من خير : ومن شقي معاند خاسد . ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم : وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم : وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتغيبهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم : ومستودعات سيرهم : وإعلامه لهم بكتوبهم وأعمالهم : ومضامين كتبهم : مثل سؤالهم عن الروح وذوي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجب وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأبناء ومن غيبات حضرات أحوال لهم فخرمت عليهم بينهم : وقوله ذلك « مثابهم في التوراة برهانهم في الإنجيل » وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوتى الله من ذلك أنه أنكر ذلك لو كذب بل أكثرهم صرح بصحة نبوته : وصدق مقامه : واعترف بفضله وحسنه بإذ : كأهل نجران وابن صوريا وإبني الخطب وغيرهم . ومن باهت في ذلك بعض المباحثه : ودعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة : دعى إلى إقامة حجة : وكشف دعوته : ففيل له « قل فأثروا بالتوراة فاثلوها إن كنتم صادقين — إلى قوله — الظالمون » فقرر ووج : ودعا إلى احضار ممكن غير متبع : فمن معترف بما جحد : ومتواتر يلقي على فضيخته من كتابه يده : ولم يؤثر أنه واحداً منهم أظهر بخلاف قوله من كتبه : ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه : قال الله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويدعو عن كثير » الآية (التبار) . بقي لقول القاضي في شأنه بقية تذكر في الدرس التالي

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(طعنهم في القرآن العزيز)

قل للذين يرون الجذوع في عيونهم ويميون الكحل (بتشريك) في عيون
اناس : اذا كان كتاب دينكم لم يكتب في عهد نبيكم واذا كان الذين كتبوا تاريخه
من بعده بأزمنة مختلفة يروون عنه روايات مختلفة لاسند لها بالمرء واذا كانت مجامعكم
قد تحكمت بذلك المكتوب بأهوائها وأهواء الرؤساء السياسيين فخذت ماشاءت
وشاؤوا أو أبت ماشاءت وشاؤوا وتحت ماشاءت وشاؤوا أو أتم تقبلون ذلك وتعدونه أصلاً للدين
فبالكم لا تخجلون من الكلام في كتاب لم يوجد في العالم الى اليوم كتاب مثله قل
عن صاحبه بالتواتر الصحيح حفظاً وكتابة ورواية ودراية وأداء وهو القرآن العزيز الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

نرى العالم الشهير والفيلسوف الكبير يؤلف كتاباً في عاصمة من عواصم أوروبا
فقطيع منه مئات الألوف من النسخ ويثق اناس باسناده الى صاحبه وإنما يكون صاحبه
أعطاه الى صاحب مطبعة أو ملزم طبع في خلوته فأخذ وطبعه فيكون رواية واحد
عن المؤلف . وقد كان الصحابة لا يقبلون رواية الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في شيء من القرآن وان كان في نواحيهم علماً وعدالة وحفظاً ودراية . وبعد هذا
كأنه تكلمون في قل القرآن وجهه ولا تخجلون من أنتم من اناس . ولا تعلمون
ان هذا يزيد المؤمنين إيماناً بكتابهم وبخلاف عن كتابكم وهذه هي النضيحة الكبرى .
نشرت مجلة البروتستانت المصرية في الجزء الرابع من المجلد الثالث نبذة في الطعن
بالقرآن قلها عن كتاب لم يقال ان لشيوخ إبراهيم اليازجي يدا في تصحيحه أو تأليفه
أو ترجمته والزيادة فيه وهو غدهم أقوى طعن في الاسلام على ما فيه من الكذب والسخافة
والتحريف . وإنما نستعصي شبهاته ونبين بطلانها قال الكاتب :

« زعم أهل السنة والجماعة متابعة لنبيهم أن القرآن كلام الله نفسه نفظاً ومعنى
وأنه معجز في النصاحة والبالغة إلا أن ذلك باطل ولنا على بطلانه أدلة متعددة » ثم طفق يسرد
تلك الأدلة واتخذ كرهاً ونحيب عنها بالاختصار اكتفاء بما نكتبه في دروس الامالي .
وقد بدأ بالطعن في طريقة كتاب وجهه نذكر أموراً تأتي عليها واحداً واحداً نقول

(الشبهة الاولى على جمع القرآن وحفظه)

اعلم أولاً ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يلقي ما ينزل عليه من الوحي الى المؤمنين فيحفظه الجمل الغفير من الرجال والنساء ويأمر بكتابه فيكتبه الكتوبون . وقد حفظ القرآن كله جماعة من الصحابة وقرأوه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا أنهم لم يحجموه في مصحف واحد الا على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك ان عمر رضي الله تعالى عنه أشار على أبي بكر بحجمه في مصحف يأخذ عنه الناس لما خشي ان يستحرج القتل بالقرآن في قتال الردة فيقل عدد من يلقي الناس القرآن فجمعوا ما كان كتبه الكتوبون وهم يعرفونه لثلاث شع شيء من اللفظ باستقلال فرد أو أفراد منهم باملأته . وكانوا يعرفون ما يوجد عند كل واحد من أولئك الكتاتين حتى الآية والآيتين من السورة . يقولون ان آية كذا عند فلان فاطلبوها منه فيطلبونها وان كانوا حافظين لها زيادة في الثبت ومنماً لسا عساه يحدث بعد من إبراز منافي آية أو سورة فيها زيادة أو نقص يشكك به الناس . ومع هذا كله كانوا يطلبون من يأتي بشيء منه بالشهود يشهدون أنه كتبه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ورد في كل هذا الذي ذكرناه روايات مستندة وبها نذكرها معزوة الى مخرجها بعد . اذا علمت هذا فاسمع مقالته ذلك الكاتب انصرتني في الاستدلال على طعنه بجمع القرآن وحفظه

(الدليل الاول) حديث « رحم الله فلاناً لقد أذكركني كذا وكذا آية كنت اسقطهن » وروى « أنسبن » عزاه الى الشفاء وهو فيه غير مسند ولا مخرج . والذي أعرفه أن هذا الاسقاط أو النسيان كان في الصلاة وربما تمدد وهو أنه كان يقرأ سورة فلا يتجها فيسأله بهض الصحابة عن ذلك فيقول نحوه . وقد يكون الاسقاط عمداً إذ ليس بواجب على من بدأ بسورة في الصلاة أو غير الصلاة أن يتجها . فاذا ترك من السورة آية أو آيات عمداً للاختصار أو لاختبار حفظ السامعين أو نسياناً لمثل هذه الحكمة أو لما يرض البشري عادة فاي حرج في ذلك وتلك الآيات قد بلغت وحفظت في الصدور والسطور ؟ وأي دليل في ذلك على ترك شيء من القرآن الذي بلغه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظه عنه الجماهير في الصدور والمصاحف ؟

نعم ان نسيان التبليغ غير جائز على الانبياء عليهم السلام ولكن مثل هذا النسيان الذي يعرض احيانا لما هو محفوظ ومقرر لا يخل بالتبليغ . وقد اطال القاضي في الشفاء القول في تقرير عصمة الانبياء من النسيان في التبليغ وفي حفظ القرآن وعدم ضياع كلمة او حرف منه ولكن طلاب الباطن يعمون عن الحق ويأخذون بأقل شبهة على تقرير باطلهم

(الدليل الثاني) قال « وكذلك ثبت ان الصحابة حذفوا من القرآن كل ما رآوا المصلحة في حذفه » وعزا هذا الى مقدمة الشاطبية والشاطبية قصيدة في القراءات ليس فيها شيء من هذا البهتان . ومن علم ان افسق المسلمين لا يتجرأ على حذف حرف من القرآن لاعتقاده ان متعمد ذلك يخرج من الدين ، ويعد من شرار الكافرين . يتيسر له ان يعرف مكان هذه الفرية

روى مسدد عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال « اي سماء تظلني واي ارض تلاني اذا قلت في كتاب الله مالا اسمع » وروى نحوه البيهقي عنه وروى مثل ذلك عن علي عليه السلام وكرم الله وجهه . ونحن نعلم من التاريخ انه لم يعرف في الناس اشد ايمانا من الصحابة لاسيما السابقين الاولين فهؤلاء اصحاب موسى لم تكن عنهم مشاهدة آياته عن الميل الى الوثنية . واعناته في قبول الشريعة السجادية ، حتى انهم اتخذوا العجل بأيديهم وعبدوه وهو حي يناجي الله تعالى . وهؤلاء اصحاب عيسى عليه السلام تشهد عليهم انجيلهم بأنهم خانوه في وقت الضيق حتى انه طرد اصحابهم واغصهم وسماهم شيطانا . واما اصحاب محمد عليه السلام فقد عرضوا انفسهم للقتل ورضوا بالنفي والذل . ولم يزحزحهم ذلك شبرا عنه . فكيف يصدق مع هذا قوله كافر بدينهم يحجيء في آخر الزمان ويدعي انهم حذفوا ما شاؤا من القرآن ولا يئنه له ولا برهان !!!

ولقد نعلم ان الذي ذكره بأن يفترى هذه الفرية هو ما رواه الكثيرون من ان الصحابة قد تحاموا ان يكتبوا في المصاحف ما ليس قرآنا كاسماء السور وكلمة (آمين) في آخر الفاتحة وكلمة « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » في اولها وكالتفسير المأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . روى ابن ابي شيبة عن عامر الشعبي

قال كتب رجل مصحفاً وكتب عند كل آية تفسيرها فدعا به عمر فقرضه بالمقرضين :
 وأما فلولوا هذا خشية أن يشبه بعض التفسير بالقرآن على بعض الناس ، وقد كان
 هذا التشديد سبباً في قلة ماروي صحيحاً من التفسير . فهذا معنى حديثهم ما رأوا
 المصلحة في حذفه من القرآن إن صح أن أحداً عبر بمثل هذا التعبير . وقد نقل الكتاب
 عن عبد المسيح الكندي أن علياً (عليه السلام) حذف من القرآن آية المنة وكان
 يضرب من يقرأها وإن عائشة (رضي الله عنها) كانت تشنع عليه به وقالت : إنه بدل
 القرآن وحرفه . وأن من كان يرويه أبي بن كعب وهو قوله « اللهم انستعنتك
 ونستغفرك » الخ الوتر : ونقول إن عبد المسيح لم يقن الأكذوبة الأولى ولم يقدر
 على تمويهها كما موه غيرها من باطله فإن أتباع علي وآل بيته (الشيعة) هم الذين
 يقولون بالمنة دون سائر المسلمين ولو كان علي هو المشدد في منعهما وعائشة هي المثبتة لها
 لما كانوا إلا بعد الناس عنها . وأن الآية التي يستدلون بها على المنعة هي قوله تعالى « فاستعتم
 به من قاتلهم أجورهم فريضة » وهي لم تحذف ولكن يروى أن أبا كان يزيد فيها « أن
 اجل مسمى » ولم يثبت هذا بالثواتر فعد من قيل التفسير وهو مثبت في كتب التفسير
 والحديث لم يقط ولو تواتر لأثبت في المصحف وكان نصاً في المسألة . وأما صبغة
 القنوت التي أولها « اللهم انستعنتك » فقد روي عن أبي أنه كان يعدها قرآناً وكان
 هذا جاء من قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طافي الصلاة . ولكن سائر الصحابة
 علموا منه عليه السلام أنها ليست بقرآن وهي لم تسقط ولم تحذف بل هي موجودة
 يحفظها الصبيان ويقرأها في الصلاة الملايين من الناس

(الدليل الثالث) قال « أن كثيراً من آيات القرآن لم يكن لها من قيسد سوى
 تحفظ الصحابة لها وكان بعضهم قد قتلوا في مغازي محمد وحروب خلفاء الأولين
 وذهب معهم ما كانوا يحفظونه من قبل أن يوعز أبو بكر أن زيد بن ثابت يجمعه
 فلذلك لم يستطع زيد أن يجمع سوى ما كان يحفظه الأحياء » ونقول إن هذه دعوى
 باطلة أقامها مقام الدليل على دعوى أخرى وهي متباينة بنفسها صحتها من كلام
 الصبيان فإن خلفاء محمد عليه الصلاة والسلام هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والأول
 منهم هو الذي جمع في أول خلافة القرآن في مصحف واحد وصحاح مكرور كونه

في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومحفوظا لكثيرين ممن قتلوا في يوم اليمامة
وممن كانوا في المدينة وفي غيرها من البلاد ولم يخرجوا الى تلك الحرب . روى ابن
أبي شيبة عن محمد بن كعب القرظي قال : جمع القرآن في زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمسة نفر من الانصار - معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب
وأبو الدرداء وأبو أيوب : وروى ابن سعد ويعقوب ابن سفيان والطبراني والحاكم
عن الشعبي مرسلا أن من جمعه من الانصار أيضا زيد بن ثابت وسعيد ابن عبيد
وأبو زيد : وأكثر هؤلاء قد عاشوا بعده وبعد جمع أبي بكر وكتابة عثمان زمناً
طويلاً . وقد وجه عمر ثلاثة منهم الى بلاد الشام يعلمون الناس القرآن كما سنفضله
بعد . وروى هؤلاء أيضاً ان يجمع بن جارية كان قد أخذها الاسوريتين أو ثلاثاً . وانما
يعتون بالجمع بالجمع بالنسبة . وأما الحفظ فأهلهم كثيرون جداً . وانما قالوا ان أبا بكر
جمعه يشون بين اللوحين وقد كان جمع من ذكرنا من الانصار ومن لم نذكر من
المهاجرين في مصحف منشرة . وقد روى ابن الانباري في المصاحف من عدة طرق ان
الذين قتلوا من قراء القرآن يوم اليمامة أربعمائة رجل . فهل يجد انتصارى عندهم رواية
عن واحد فقط حفظ إنجيل المسيح كله أو أكثره أو ما هودون ذلك ؟ ؟

(الدليل الرابع) قال «أماما كان مكتوباً منه على العظام وغيرها فانه كان مكتوباً
بلا نظام ولا ضبط وقد ضاع بعضها وهذا ما حدا العلماء الى الزعم بأن فيه آيات قد
نسخت حرفاً لا حكام وهو من غريب المزاعم» ونقول ان هذه دعوى مفتراة أيضاً
وقد علم كذبها مما تقدم . ويأيت شعري هل اطاع هذا النصراني على تلك العظام
وغیرها فراها بغير نظام ؟ وهل كان عدها في أيدي كتاب الوحي في زمنه ثم عدها
في زمن أبي بكر فوجدتها قد نقصت ؟ وهل يفقه ان ضياع بعضها لا يضر مع تعدد
السكاكين والحافظين الا اذا ثبت ان سورة أو آية بخصوصها قد أضاعها كل من كتبها
ومن حفظها : وأنى ثبت هذا ؟؟ روي بأسانيد صحيحة ان المكتوب وافق المحفوظ
ولم يفقدوا منه شيئاً الا آية آخر التوبة وجدوها مكتوبة عند واحد فقط على انها كانت
محفوظة مكررة في الصلاة . وأما النسخ الذي قاله فقد أنكره قوم ومن أنبه لم يعلمه بما ذكر

(الدليل الخامس) قال « وما قام الحجاج بنصرة بنى أمية لم يبق مصحفاً الا
جمعه واستقط منه أشياء كثيرة كانت قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه وكتب

سنة مصاحف جديدة بتأليف مآرأده ووجه بها الى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة وهي القرآن المتداول اليوم . ثم زعم انه أتاف سائر المصاحف ترفلاً الى بني أمية حتى لا يبقى في القرآن ما يسوءهم . ونقول لنا نتخذ مثل هذا الكذب فرصة لتعليم الناس ما كان من عناية هذه الامة بحفظ كتابها ولولا ذلك لكان من اللغو الكلام مع من لا يستحي من الكذب . ان الحجاج يمكن حاكماً عاماً له سلطان على جميع البلاد الاسلامية فيحاول جمع القرآن منها وتبديله على حين يعتقد أهلها ان التصريف بحرف واحد منه كفر صريح . ولو فرضنا انه كان حاكماً عاماً فهل كان يستطيع ان يجمع المصاحف التي لا عدد لها ولا يمكن ان يعرف مواضعها ؟ ولو فرضنا انه قدر فهل يقدر على محو من الصدور كما يحو من السطور ؟ لقد حفظ القرآن الالوف وانتشروا في الارض قبل مائات بين أمة فلماذا لم يوجد الى اليوم حافظ يخالف حافظاً في هذا المصحف المروي بالثواتر من كل وجه كما قدمنا . حفظه أولئك الالوف باعث الايمان واليقين ورغبة في الاجر الذي كتب الله تعالى لحفظة القرآن وحملة كما ورد في الاحديث الصحيحة . ثم ان الخلفاء كانوا فوق هذا يرغبون الناس في الحفظ . روى أبو عبيد عن سعد بن إبراهيم ان عمر كتب الى بعض عماله ان أعط الناس على تعلم القرآن . فكتب اليه : انك كتبت ان أعط الناس على تعلم القرآن فقلعه من ليست له رغبة الارغبة الجند : فكتب اليه ان أعط الناس على المودة والصحابة . وروى البيهقي عن علي قال : من ولد في الاسلام فقرأ القرآن فله في بيت المال في كل سنة مئتا دينار إن أخذها في الدنيا والأخذها في الآخرة : وروى أيضاً عن سالم بن أبي الجعد أن علياً فرض لمن قرأ القرآن ألفين الفين : أرأيت هذا الترغيب في الاجر الدنيوي فوق الاجر عند الله تعالى هل يبقى معه أحد لا يحفظ القرآن الا القليل النادر : وكتب عمر اني عملي في بعض البلاد يسأله عن عدد من يحفظ القرآن عنده فأجاب انهم ثلثمائة . وقد نسيت اسم البلد . وأرأيت أناس العدد . فإذا كان العاقل يتصور ان يقع مع هذه العناية التي أشرنا اليها تحريف أو تصحيف أو نقص أو زيادة فبأي كتاب أو بأي شيء يمكن ان يشق . ومثل هذه العناية لم تنفق ولن تنفق . (الدليل الخامس) أو القرية الخامسة -- وهي كالتابعة -- قوله : ان الخلفاء تصرفوا قُبلاً

دعوه كتاب الله تصرف المالك في ملكه وذكروا في الهاشمي ان ابن عباس أنكروا كون
المعوذتين من القرآن . ثم ختم لغوه بذكر القرآن دما شعريا بأنه مبتور لا نظام له ولا
تأنيف ولا معنى يتسق : فاما دعواه في الخلفاء فلا أرى الا ان النصارى واليهود
والمجوس والذين أشركوا يستخرون منها . وأما زعمه ان ابن عباس أنكروا كون المعوذتين
منه فهو كذب وإثارة وي هذا عن ابن مسعود وحده ولكن الجمل الغفير من الصحابة وروواها
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأنا فندم رواية ابن مسعود لها لا ينفي التواتر
عن غيره كما رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان . وأما مقاله
في النظم والتأنيف فانا بعد الثقة بأن سيكون سخرية لكل من شم رائحة البلاغة
العربية نجيل القارئ على ما تقدم نقله عن القاضي عياض وتمثل بقول شاعرنا الحكيم
إذا وصف الطائي بالخل ماطر وغير قسا بالفهاة باقل
وقال انتهى للشمس انت خنية وقال الدجى للصبح لو نك حائل
فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدتي ان دهرك هازل
(للكلام بقية)

(أي الفريقتين المتعصبين المسلمون أم النصارى)

نشرت إحدى الجرائد السورية التي تصدر في نيويورك مقالة في اخلاق (الالبان)
وعوائدهم جاء فيها ما نصه :

« ومن أشد متاعس البائتان وجود الارثاوط من النصارى والمسلمين في أرض
واحدة تجمع بينهم لغة واحدة ووطن واحد ونسب يرجع الى أصل واحد وهم مع
ذلك متعصبون على بعضهم بعضا متطرفون في التعصب الديني . وأولئك المتعصبون
من المسلمين هم نصارى من الأصل قبلوا عن النصرانية ودخلوا في دين محمد فظلموا
عنهم بذلك الانتقال رداء الذين المسيحي وتعمدوا بقيص القساوة التركية . وذلك لان
الديانة التي اعتنقوها حديثا هي ديانة قامت بالسيف مبنية على أساس الجهاد ولا ثبوت
لها الا بالقوة القاهرة . ومن الغريب أننا نرى أشد المسلمين تعصبا وقساوة هم
المتحدرون من سلالة نصرانية فمن أشد الاكراد ضراوة وهمجية وتعصبا بين إخوانهم

الأكراد القائلين على حدود بلاد النجف هم الاولى تحذروا من نسل نصارى الارمن وأضرى مسلمي البلغار المقيمين في حبال رودوب هم المتحدرون من نسل النصارى وكذلك نرى ان مسلمي القراطين والسرب وأهل البشناق من التتاساين من عيال نصرانية أشد مسلمي تلك البلاد تعصبا وشرا « اه بحروفه

(المنار) من عجائب تأثير التقليد أنه يحفل نتيجة الدليل الموجبة سالبة والسالبة موجبة ويجمع لصاحبه بين التقيضين فيستدل على إقبال الليل بطولع الشمس وعلى إقبال النهار بظروبها . شاع بين الناس ان دين الاسلام قام بالسيف وهي قضية بدئية البطلان فان الداعي الى هذا الدين قام يدعو اليه وحده ولا سيف معه ولو كان معه سيف لكان من المحال ان يقاب به سيوف الممالين الذين جاء لدعوتهم الى دينه ثم انه بعد ثلاث عشرة سنة من بئس هاجر مستخفيا من بلده وليس معه الا رجل واحد وذلك لانه كان على خطر من قومه ولولا حفظ الله وغاية لقتلوه هو وتلك الفئة القليلة التي آمنت به وهربت من مكة مهاجرة الى الحبشة لثبابة ارواحها . ثم انه لما صار له في مهاجرة أتباع يتيسر لهم المدافعة كانوا يدايمون المشركين ولم يمتدوا عليهم في قتال قط اتباعا لقوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ولا سعة في هذا الرد لتطويل في شيء سبق التناول فيه ونرجو ان نوضحه بعد اتم الايضاح وانما نقول ان الناس قد بعضهم بعضا في تلك القضية الكاذبة حتى المسلمين كما قلده بعضهم بعضا في ان الدين المسيحي انتشر بالدعوة مع ان التاريخ يشهد انه لم ينتشر لاسيا في أوروبا الا بالقوة القاهرة . كان من تأثير هذا التقليد ان تشاهد القسوة وشدة التعصب في النصارى اخفاف ماهي في المسلمين حتى ان الجنس الواحد يوجد فيه المريق في الاسلام والحديث المهد به فيكون اثافي أشد تعصبا من الاول ويلاحظ هذا أهل البحث والدكاء ويثبتونه بالكتابة ثم يقرنون به القول بأن شدة التعصب قد لا يست نفوس هؤلاء الداخلين في الاسلام بتأثير الاسلام وكونه دين قسوة وجهاد !!! ألم يكن الاقرب الى الانصاف ان يقال ان هؤلاء المرتقبين الى الاسلام عن النصرانية قد حملوا ما كان عندهم من شدة التعصب في دينهم القديم الى دينهم الجديد وبذلك امتازوا في التعصب على الاسلام فيه فدينهم ورثوا

وكتبها ولا داعي لاعتقاد محتها بل يجب ان تكون الثقة في الموثوق به وهو القرآن المجيد . واذا بالاول وان دعوة موسى كانت للتوحيد قلنا هل كان موسى يحل مايجب اعتقاده في مولاه الذي أرسله واصطفاه من بني اسرائيل المصطفين على العالمين أو كان يكذب على قومه فيدعوهم الى ان الله واحد فقط وهو يعلم انه ثلاثة في واحد أو واحد في ثلاثة أقانيم أو كان يستعمل التورية في أساس الرسالة إذ يعرف الله أصل كل دين وأساس كل رسالة وشريعة سماوية : . سيقولون : انه كان يعلم انه واحد في ثلاثة (أي يعلم التثليث) ولكن لم يؤمر تبليغه لأن الشرائع تأتي على قدر العقول : ولكن نقول لهؤلاء ان اليهود في تاريخ البشر هو مياهم الى الوثنية واتعدد وهؤلاء قدماء المصريين ووارثوهم اليونانيون وبعدهم الرومانيون الذين بنيت دولتهم بانقراض دولة اليونان كان تعدد الآلهة فيها وبقاياها أخذوا حده . ولعل سر التثليث جاء من هنا . فلو أتى موسى قومه ودعاهم على قدر العقول لكان الأليق به ان يدعوهم الى التثليث ويقول تعدد الالهة نوعا مخصصا وقد كان ظهوره في مدة مجد المصريين وتعدد الالهة عندهم أشهر من ان يذكر فيها قول لا يتوله عاقل . وان قالوا : ان قضية التثليث غير معتولة فيجب الايمان بها اتباعا للوحي : نقول فلم يدع اليها موسى والانبياء وهي لا يشترط فيها العقل ولا الاستعداد . والتثليث ان التثليث ليس بمحدث ولاقديم وكل ما كان كذلك فهو باطل فالتثليث باطل لأنه لو كان حذنا للزم التغير في ذات الله وهو باطل فالتثليث ليس بمحدث ولو كان قديما لقال به موسى عليه السلام والانبياء ولكنهم لم يقولوا فهو ليس بقديم . ولا يعقل ان موسى عليه السلام كان جاهلا أو كاذبا أو موريا في أصل الدعوة . والمادة قول انه لم يكن تثليث ثبت ما تقدم من نفيه

من ان

(الأنجيل الصحيح)

(انبهة الثانية من مقدمة كتاب الانجيل لافيلاسوف تولستوي)

قال : لما قضيت الخمسين من عمري سألت نفسي وسألت الحسكة الذي عرقهم عن كوني الخاس وعن معنى حياتي . فكان الجواب انني عبارة عن ذرات اجتمعت بعضها وان حياتي خلو من المعنى بل انها رديئة . فداخاني اليأس من هذا الجواب وكاد يحمني على الانتحار والسكنى ذكرت حالتي في عهد الطولية حينما كان الايمان

راسخاً في نابي وكان للحياة معنى عندي ثم نظرت فرأيت جمهور اناس حولي راضين بالامان ولم يعطهم المال فيجرهم الى الفساد فلذلك يعيشون عيشة حقيقية مملوءة بالمانى . فساكن بمعد ذلك كله أني بدأت ارتاب في الجواب الذي اوجت به الى حكمتي وحكمة امشالي وعادوت انتظر كرتة اخرى عساني ادرك الجواب الذي يجيب به النصرانية اولئك القوم الذين كنت اراهم عائشين عيشة حقيقية

فطفقت حينئذ ادرس النصرانية كما كنت اراها في حياة الناس وشرعت في مقابلة هذه النصرانية الممول بها ، على الاصول المنبثقة عنها . وهذه الاصول انما هي الانجيل وقد وجدت فيها هذا المعنى الذي يسمح للناس ان يعيشوا عيشة حقيقية . ولكنني رأيت فيما آلت اليه النصرانية في هذه الايام كما يرى الناظر في التبعوع . رايت ماء صافيا مشوباً بالاكدار والادوال وهذه الشوائب هي التي حالت بيني وبين رؤية صفاء هذا الماء الى الآن . رايت حينئذ انني خلطت بين سمو العقيدة النصرانية وبين العقيدة العبرانية والعقيدة الكنائسية وان كلتا هاتين العقيدتين اجنبتان عنها بل مخالفتان لها . ففهرت بما يجده الرجل الذي يعطونه كيسا من التراب ولكنه بعد الكد والكسح والتمب والنصب يعثر فيه على بضعة لآلى تلو قيمتها الوصف والتقدير فقتل هذا الانسان لا يرى انه قد اذنب في نقوره من التراب وكذلك الذين جمعوا تلك الآلى مع بقية ماحوام الكيس وحفظوه بما فيه من ثمين ومبتذل ليسوا ايضا بمنزلة بل يستحقون الاجلال في محل الاكرام والاجلال . ثم هو يتساءل بعد ذلك عما يجب عليه فعله بهذه الدراري الغالية التي وجدها مختلطة بالادوال والرمال . وهذا لعمري موقف حرج . ولقد لبثت فيه الى ان ادركت في احد الايام ان هذه الاحجار الكريمة لم تكن دائما مختلطة بما يشوبها من الاكدار وأنه يتسنى تخليصها منها وتميزها عنها

لم يكن لي علم بما هي الثور وكان يحظر ببالي ان هذه الحياة ليس فيها أدنى حقيقة على الاطلاق ولكنني لما ادركت ان الثور وحده هو حياة اناس طفقت ابحت عن مطالع الثور وقد عثرت عليها في الانجيل بالرغم مما ادخلته الكنائس فيها من شوائب التوفيق والتطبيق فلما وصلت الى هذه المشرق التي ينبعث عنها انور انبروت

من شدة ضيائها ثم وجدت فيها بعد ذلك الجواب السديد عن المسائل التي كانت تخالج فؤادي . يتعاقب بمعنى حياتي وحياة سائر الناس وقد ألفت هذا الجواب مطابقاً من كل الوجوه والجواب الذي نالته الامم الاخرى بل هو في نظري يزيد عليه زيادة عظيمة ولقد كنت أبحث عن ماهية الحياة وعن حل مسائلها لاعتن مسألة اللاهوتية أو تاريخية ولذلك لم يكن معنى العلم بالوهبة المسيح من عدمها ولا معرفة الجهة التي ينبعث منها الروح القدس كما انه لم يكن يعني العلم بالذي كتب الانجيل ولا بوقت تسطيرها ولا بما اذا كانت هذه الاسطورة أو تلك الاسئلة صادرة عن المسيح نفسه ام لا . وانما الامر المهم عندي هو ذلك النور الذي أرسل شعاعه على الناس منذ الف وثمان مئة عام والذي استضاءت به ولا أزال استضي به أيضاً . أما الاسم الذي يليق بمطلع هذا النور والعناصر التي يتألف منها وموجده فشكل هذه أمور لم يكن لها نصيب من عنايتي على الاطلاق

ثم أخذت أنظر الى هذا النور وأراقب وأدرس كل ما يستضي به فكنت كلما تقدمت في هذا السبيل تتضح لي زيادة انبراق المتعاطم على التوالي بين الحق والكذب وفي مبادئ عملي كان الشك لا يزال عالماً بنفسه وكنت احاول فتونا من التأويلات الدعائية ولكنني كلما واليت البحث كانت الحقيقة تراءى لي في ثوبها التامع الجميل وكان مثلي حينئذ كمن يجمع قطع التمثال المتكسر فانه في أول الامر يتشكل ويسأل نفسه هل هذه القطعة مما يجب وضعه في الساق أو في الذراع ولكنه متى تسنى له إعادة الساق تامة كاملة يتحقق ان تلك القطعة ليست من الساق في شيء ومتى وجد في الذراع نقصاً تنطبق عليه تلك القطعة تمام الانطباق فانه لا يتردد لحظة واحدة في تعيين المكان الذي كان مخصصاً في أول الامر لهذه القطعة من التمثال . فكنت كلما تقدمت في عملي يزداد هذا الشعور تمكناً في نفسي . واذا لم يكن الجنبون قد استولوا على عقلي فلا شك ان القارئ يجد في نفسه أيضاً مثل هذا الوجدان حينما يقرأ ترجيح الكثرة للانجيل فان كل نظرية من نظراتي مشفوعة بالدليل القوي وبمقارنة النصوص المختلفة ببعضها وبانطباقها تمام الانطباق على الفكرة الاساسية التي بني عليها تعليم المسيح

وربما ساغ لي الوقوف عند هذا الحد واختتام المقدمة بمساؤرده الى الآن اذا كانت الانجيل من الكتب التي عثر عليها الباحثون حديثا او كانت التعاليم المسيحية لم تصادفها على الدوام منذ الف وثمان مئة عام سلسلة متوالية من الابطال في التأويل . ولكي يفهم الناس في هذه الايام حقيقة دين المسيح كما كان يدركها هو نفسه أرى من الواجب التنبيه على الاسباب الجوهرية التي أوجبت تلك التأويلات الفاسدة وتلك التصورات الكاذبة التي جرّتها على أثرها . ان السبب الاصلي لهذه التأويلات الباطلة التي يصعب علينا معها اليوم العثور على حقيقة دين المسيح هو ان هذا الدين قد اختلط بمفالات وطقوس الفارسيين وبما جاء في العهد القديم من الآراء والمذاهب وكان ذلك منذ أيام بولس الذي لم يدرك قط حقيقة دين المسيح (١) والذي لم تحط على باله أيضاً بصيغتها التي عرفها الناس بها من بعده على مقتضى انجيل متى فقد جرت العادة على اعتبار بولس كرسول الوثنيين وكالرسول القائم بالاحتجاج (البروتستانت) ولقد كان كذلك في الواقع ونفس الامر ولكن فيما يتعلق بالصيغ الحارجية فقط كالحتان وغيره . بل هو الذي أدخل في النصرانية تعاليم اليهود وسننهم بضمه العهد القديم الى العهد الجديد وقد كانت هذه التعاليم المشوبة بسنن اليهود السبب الاساسي في تشويه العقيدة المسيحية وتأويلها على غير وجه الحق

فمن عصر بولس كان ابتداء ذلك التلمود المسيحي الذي هو اليوم عبارة عن تعاليم الكنيسة ومن ذلك الوقت أصبح دين المسيح لا يمتسب واحدأ وكاملا وإلهيا بل مجرد حلقة من حلقات سلسلة الوحي العظيمة التي تبدئ من يوم الخليقة وتمتد حتى تصل الى الكنيسة في أيامنا هذه

وبني على هذا التأويل الباطل تسمية المسيح بالاله ولكن الاعتراف بألوهية المسيح لا يلزم (كما يظهر) على تعليق أدنى أهمية على كفته الالهية أكثر من اهتمامه بكلمات التوراة والمزامير وأعمال الرسل ورسائلهم والرؤيا بل بقرارات المجامع وكتابات الآباء (٢)

(١) المنار : هذا هو ما كنا نفتقده وصريحاً به مرارا وقد سبق ان سمينا الديانة النصرانية المعروفة بالديانة البولسية . ولاغرو فالذين يطلبون الحق كثيراً ماتلاقى أفكارهم وما أفة الحق الاتقليد (٢) كذا جاءت هذه الجملة في الترجمة فلتظفر

وهذا التأويل الباطل لا يسوغ مع تصور العقيدة المسيحية الا اذا كانت موافقة لكل ما جاء به الوحي قبل المسيح وبعده بحيث يكون الفرض من هذا التأويل هو التوفيق قدر الامكان بين كتب مختلفة يناقض بعضها بعضاً مثل اتورا والمزامير والاناجيل والرسائل والاعمال وسائر الكتب المعتمدة مقدسة

ومن البديهي انه اذا كان المبدأ بهذه الصفة لا يجوز لانسان ان يطمع في إدراك تعليم المسيح كما ينبغي . وهذا المبدأ الفاسد هو الذي أوجب تعدد الآراء واختلافها الكثير في حقيقة معنى الاناجيل . اذ لا يخفى أنه يمكن حدوث عدد غير محدود من أمثال هذه التأويلات التي لا يقصد منها البحث عن الحقيقة بل توفيق التقضين اللذين لا يتفقان وهما العهد القديم والعهد الجديد . وفي الحقيقة ان هذه التفسيرات لا تدخل تحت حصر ولأجل اظهار هذه التفسيرات في مظهر يشابه الحقيقة اضطر أصحابها الى الالتجاء الى وسائل خاطئة مثل الخوارق ونزول الروح القدس عليهم ونحو ذلك

وقد اجتهد كل واحد منهم ولا يزال يجتهد في التوفيق على ما يراه ثم ترى كلا منهم يدعي بان توفيقه هو آخر وحي صادر عن الروح القدس . مثال ذلك ما جاء في رسائل بولس وفي قرارات المجامع التي تبتدئ بهذه العبارة (قد وافقنا ووافق الروح القدس) ومثال ذلك أيضاً الاوامر الصادرة عن الباباوات وعن المجامع المقدسة للارثوذكسيين وتعاليم الاربوسيين والبولسيين وكل هؤلاء المفسرين الكاذبين في دعوى بيان فكر المسيح . فكلهم يلتجئون الى هذه الرسائل الشاذة المستنكرة لتأييد صحة ما يذهبون اليه من التوفيق فهم يجزمون بان هذا التوفيق ليس من نتائج أفكارهم الشخصية وانما هو شهادة صادرة عن الروح القدس مباشرة

ولسنا نحاول البحث والتقيب في هذه الديانات المتنوعة التي يزعم أصحاب كل واحدة منها انها هي الحق دون سواها ولكننا نقول باننا نرى مع ذلك انها كلها تبتدئ بتقديس الكتب الكثيرة التي تضمنها العهد القديم والعهد الجديد وانما توجب نفسها على نفسها حدوث عقبة لا نزول في فهم الدين المسيحي الحقيقي ويترب على ذلك حتماً تعدد الشيع المتناقضة تعددا لا يدخل تحت حصر

ولكن هذا التعدد الذي لا يتناهي انما نشأ عن التزام القوم التوفيق بين عدد

عظيم من آثار الوحي المتعدد فان تفسير مذهب الشخص الواحد الذي يعتبرونه كاله
لا يمكن ان يستوجب اختلاف التحل والشيع مطلقا إذ لا يصح القول بتفسير التعليم
الذي جاء به إله قد نزل على الارض ويكون هذا التفسير بطرق مختلفة فاذا كان الله
نزل على الارض لانه الحق للناس فأقل ما كان يصنعه انه يبين لهم هذا الحق
بطريقة يفهمها الجميع بلا التباس ولا اشتباه فاذا لم يكن قد صنع هذا فذلك دليل على
انه لم يكن إلها . واذا كانت الحقائق الربانية هي بحيث لم يقدر الاله نفسه على إبرازها
في صورة يدركها الناس فمن الطبيعي ان الناس لا يتمكنون أيضا من الوصول الى هذا الغرض
ومن جهة أخرى نقول اذا كان المسيح ليس هو الله وإنما هو من عظماء
الرجال ونوابهم فان تعليمه لا يترتب عليه أيضا كثرة الشيع المتناقضة لان مذهب
الرجل العظيم لا يكون عظيما الا لسكونه أوضح بصفة صريحة واضحة ما قاله غيره بطريقة
مبهمة بعيدة عن الادراك . وكل ما كان غير مفهوم في خطاب الرجل العظيم لا يمكن
ان يكون عظيما فان مذهب الرجل العظيم ينبغي أن يجمع الناس كلهم على حقيقة
واحدة يشتركون فيها على السواء وإنما التأويل الذي يزعم صاحبه انه صادر عن
وحي من الروح القدس وان فيه الحق وحده هو الذي يثير البغضاء في النفوس ويوجب
اختلاف الشيع والمذاهب . ولا عبرة بما يقوله أصحاب بعض المذاهب من أنهم لا يحكمون
بالضلال على من يخالفهم وانهم لا يودون لهم سوء وليس في أنفسهم حفيظة عليهم فان
ذلك مما لا يمكن ان يكون له نصيب من الحقيقة فتد عهد اريوس لم يوجد مذهب واحد
ولده غير الرغبة في معارضة المذهب الذي يناقضه . وأقبح درجات النور والجنون
ان يقال بان هذه العقيدة هي صادرة عن الوحي ومقتبسة من الروح القدس . ومن
منتهى النور ان يقول الانسان بان ما يصدر عنه من الآراء إنما هو من قول الله
نفسه على لسانه . ولا أرى اكذب من ذلك الذي يحسب مثل هذا الانسان بقوله :
« كلا ان الله لم يتكلم بلسانك بل بلساني وانه يقول ما يناقض ما نسبته اليه على خطئ
مستقيم » . وهذه لعمرى طريقة الجامع كلها والكسائس بلا استثناء والشيع على
اختلاف مقالاتها وآرائها وهذا هو الذي أوجب ويوجب الشرور في العالم باسم الدين .
هذا هو العيب الخارجي العظيم والشيع كنهاتالم من عيب آخر داخلي يمنعها أن تكون

لها صبغة واضحة مضمونة معينة

وهذا الغيب يتولد من قيام هذه الشيع باثبات تأويلاتها الفاسدة والقول بأنها منتهى ما جاء به الوحي عن الروح القدس وهي مع ذلك لاتعنى بيان جوهر هذا الوحي ولا مصادره بطريقة صريحة حاسمة لكل جدال مع أنها تدعي بأنها تلقته عن الروح القدس وأنها متممة لهذا الروح وهي تسمى هذه التأويلات بالدين المسيحي فالأؤمنون الذين يسلمون بصدور الوحي عن الروح القدس انما يسلمون في الحقيقة ونفس الامر ثلاث حيزات للوحي ومثلهم في ذلك مثل المسلمين فانهم يعتقدون بالوحي الى موسى وعيسى ومحمد، والمؤمنون من المسيحيين يعتقدون بالوحي الى موسى واليسع والروح القدس . ولكن الديانة الاسلامية تقول بان محمداً هو آخر الانبياء وأنه وحده قد فسر بطريقة نهائية الوحي الذي جاء به موسى وعيسى وقد توجهما باضافة الوحي الذي تلقاه . أما حالة الكنائس المسيحية فهي على تقيض ذلك بالمرّة فانها بدلا من ان تسمي دينها باسم الوحي الاخير الصادر لها أعني «دين الروح القدس» فانها تقول وتؤكد بان دينها هو دين اليسع وأنه مبني على تعليم اليسع بحيث انها في الحقيقة ونفس الامر تقدم لنا تعاليمها الخاصة بها وتزعم انها تؤيدها باسم اليسع وبشهادته (لها بقية)

باب الانتقاد على المنار

(الباب وقرّة العين)

يرى بعض الفضلاء أن من حقوق قراء المنار علينا اذا نحن نشرنا شيئا من كلام غيرنا ان نتقدم ما راه فيه متقدماً في اللفظ أو الفحوى سواء كان ذلك مرسلنا اليها أو منقولاً من الكتب أو الجرائد والمجلات . ولم نر أحدا التزم مثل هذا ونظن ان أكثر الناس لا يقول به الا في موضوع يتهدد صاحب المجلة الى إثباته فيجئ في الكلام المنقول ما يشفيه فيأبني له حينئذ ان يحتج لرأيه ولكن لا يجب عليه ان يصل كل ما ينشره لغيره بمقال يتقدمه فيه مطلقاً اذ هو وجد ما يصح ان يتقدم

وما يتقدم علينا بالنسبة لسكوته على ما جاء في ذلك المكتوب المنشور في الجزء الثاني من ذكر الباب وقرّة العين في الثابنين الذين يمدوا أحدهم بألف . قال اشتد ان الباب رجل مبتدع دجال

لم يأت بشيء يرفعه الى مصاف الثابتين وأما قرّة العين فهي "بني" أباحت نفسها للناس
وفتنتهم بجمالها وقد عاقبتها الحكومة الايرانية بأن ربطتها في أذنان الخيل فعدت بها
حتى صرقتها كل عمزق

ونحن نوافق المتقدم ونظن أن عذر الكاتب عدم الوقوف على كل ما يبرهن أمثاله فإن
هذا إيراني وذلك مغربي يسمع أن الباب أنشأ مذهباته فيه خفاق كثير وإن قرّة الدين
كانت من دعاة مذهبه وكانت عالمة خطيبة مؤثرة وهذا هو ما كنا نسمعه قبل الاختبار
وتسام الاطلاع . ولا أقول أن الكاتب يستند بصحة مذهب الباب بل أنا اعتدائه
لا يشك في بطلانه . ومن قدر على إنشاء مذهب باطل يتبعه فيه ناس كثيرون فهو نابغ
في استمداده النظري ولكنه وجه استمداده الى الباطل ولو وجهه الى الحق لفتح
نفسا عظيما لأن قوة استمداده تؤيد بقوة الحق

ونريد هنا ما كنا قلناه من قبل وهو أن البابية أو البهائية لم يأتوا بمذهب جديد في
الاسلام وإنما أحدثوا ديناً جديداً كالصراية سواء وإن أتباعهم ليسوا من الكثرة كما
يدعون . وإنما هم قوم يوهمون ويوهون .

(الطلاق على الغائب والمعسر في السودان)

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامي
اطاعت في المنار الاخير على مدحكم خطبة قاضي قضاء السودان وما أدخله من
الاصلاح في المحاكم الشرعية وغيرها فكنت أشرككم في الشكر له حتى انتهيت الى
عبارة استوقفت نظري فكنت محتاجاً لشرحها منكم باجلى بيان وهي قولكم «ومن
الاصلاح الذي سبق اليه محاكم السودان ونرجوان تلحقها فيه محاكم مصر والطلاق
على الغائب والمعسر فقد كانت المحكمة الكبرى نشرت في سائر المحاكم منشوراً تأذنها
فيه بالحكم في ذلك على مذهب الامام مالك » ولقد أردت فهم هذه الجملة على وجه
الوضوح فلم أتمكن وذلك لأن قاضي قضاء السودان مأذون من قاضي مصر النائب
عن الامام في الحكم على مذهبه فيه حينئذ ملزم بأن يحكم ويأمر بالحكم على مذهب
الامام وأيضاً كثير من هؤلاء المتضادين هو خفي المذهب فيكون مضطراً لأن يحكم
(٣٠ - المنار)

على غير مذهبه ومن المقرر في الفقه انه اذا قضى القاضي بفسخ مذهب الامام وقد اشترط عليه ان يحكم به يكون حكمه لاغيا وهو معزولا من منصبه وكذلك اذا حكم غير المجتهد بفسخ مذهب يكون ايضا حكمه لاغيا . فكيف يكون حكم هؤلاء القضاة وهم مأذونون من قاضي مصر النائب عن الامام وفيهم من هو خفي المذهب وليسوا بمجتهدين ؟ : الرجاء توضيح هذه المسألة ليكون لكم الفضل وعظيم الاجر

كتبه احمد علي ضيف بالازهر

(المنار) ان ماقاله الفقهاء من اشتراط كون القاضي الذي ينفذ حكمه منصوبا من قبل الامام أو السلطان ليس أمراً تبدياً فرضه الله تعالى علينا في كتابه أو على لسان رسوله ليعبده به وإنما هو أمر لابد منه لاجل وحدة الاحكام وتنفيذها والسلطان أو الامام عندهم هو من ينفذ الاحكام الشرعية فاذا كان عاجزا عن ذلك بالنقل فهو ليس بسلطان ولا إمام . وأنتم تعلمون ان السلطان الذي نصب قاضي القضاة في مصر لا يقدر على تنفيذ الاحكام الشرعية في السودان بالنقل وأنتم تعرفون الذي يقدر على ذلك . وإنما للسلطان العثماني حق الحكم في السودان بالتبعية لمصر والانتكيز قد احتلوا مصر باذنه لمنع النفع التي كانت فيها فلا يصح لهم ان يتغلبوا على جزء من أملاكها باسم الفتح لأن يدهم على البلاد أمانة . وهذه مسألة سياسية تتبعها رسوم معروفة فاذا لم تقل ان الاحكام في السودان كلاحكام في الهند فقل انها تشبه الاحكام في الجزائر أو تونس التي تعتبرها الدولة العلية من بلادها الى الآن أو في كريد الحق انه ليس للمسلمين الآن امام قادر على تنفيذ الاحكام الشرعية في بلادهم كلها حتى البلاد التي ليس فيها أعلام أجنبية فهذه مصر تحكم محاكمها الشرعية ببعض الاحكام فلا تنفذ والحديد وقاضي مصر نائباً السلطان صاحب السيادة (الاسمية الرسمية) على مصر يعلمان ذلك . ولأجل هذا نرى بعض المعتدين بصحة قول الحنفية انه يشترط في صلاة الجمعة ان تكون في بلاد تنفذ فيها الاحكام الشرعية لا يصلون الجمعة في بلاد مصر ولكنهم يصلون الظاهر . وكان الواجب على كل المعتدين بهذا المذهب ان يسعوا في تنفيذ الاحكام الشرعية في مصر كحكم قاضي (أبي كبير) وغيره بالحق زوجات الداخلين في الاسلام من القبط بازواجهم وان لا يصلوا الجمعة حتى يتم لهم ذلك

نرى السائل قد اضطرنا الى ذكر أمور يجهاها الاكثرون ، ويستكرها
المفرورون ، وانما ذكرناها لندكره أين هو وأين السودان من السلطان . وانما
نرجع بعد هذا الى الحجة انيضاء التامعة وهي ان جميع أئمة المسلمين قد اشترطوا
ان يكون القاضي مجتهدا يحكم بما يرى فيه المصلحة ولم يقل بجواز كونه مقلدا الا
بعض المقلدين الذين لا يفتد باقوالهم ونذكر هنا ما كتبناه في مقدمة طبع (تقرير مفتي
الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية) وهو

(الامر الثالث) ان تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات
الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر لاسيما الاحكام التي هي من خصائص
الحاكم الشرعية يكون سهل العبارة لاخلاف فيه كما عملت الدولة العلية في مجلة الاحكام
العديلة . ولا يكون هذا الكتاب واقفا بالغرض واقبالا لمصالح الا اذا أخذت الاحكام
من جميع المذاهب الاسلامية المتبعة ليكون اختلافهم رحمة الأمة . ولا يلزم من
هذا التفتيق الذي يقول الجمهور بطلانه كما لا يخفى . وقد أشير في صفحتي ٣٨ و ٤٠
من التقرير الى عدم التقيد بالمذهب الحنفي وتوهم بعض الناس ان هذا يمس حقوق
مولانا الخليفة وان الاحكام بغير مذهب الحنفية لا تصح ولا تنفذ لهذا ونحجب عنه بأمور
(١) جاء في كتاب الاحكام السلطانية مانصه « فلو شرط المولي وهو حنفي أو
شافعي على من ولاء القضاء ان لا يحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على
ضربين أحدهما ان يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان
موافقا لمذهب المولي أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجمله شرطاً فيها وأخرجه
مخرج الامر أو مخرج التهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه
الله على وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه التهي كانت الولاية صحيحة
والشرط فاسداً سواء تضمن أمراً أو نهياً ويجوز ان يحكم بما أداه اليه اجتهاده سواء
وافق شرطه أو خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا
يجوز ولا يكون قدحا ان جهل لكن لا يصح مع الجهل ان يكون موليا لا وائياً فان
اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه
الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط

فاسد وقال أهل المراق تصح الولاية ويطل الشرط « اه المراد منه »
 (٧) لا يعدل عن مذهب الحنفية الا في الاحكام التي لا تنطبق على مصلحة الناس
 في هذا العصر اذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالة ضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة
 وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس اليه الحاجة أو يضطر اليه
 يصير متفقاً عليه اه المراد هنا ومنه يعلم الجواب والاجتهاد يحوز أعلى التراجع

— ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ —

باب الاسئلة والاجوبة

(الاجتهاد والتقليد)

(س) . غ . بالازهر : طالعت في مجلتكم العمراء (م ٤) بحث الوحدة
 الاسلامية والاجتهاد والتقليد والرجوع الى بساطة الدين الأولى بأخذ الاحكام
 الدينية من الكتاب والسنة الثنين من تمسك بهما نجاح ومن حاد عنها هلاك . وقد
 عثرت على كتاب كشف الغمة للشيخ الشمراني فاذا هو كتاب في الحديث مرتب
 كترتيب كتب الفقه ذكر فيه أدلة الأئمة كلهم ولا يعصب لمذهب من المذاهب واذا
 تناقض حديثان صحيحان من جهة التخفيف ، الشديد حمل أحدهما على الرخصة
 والآخر على العزيمة ولا يحكم بانسخ حديث الاجتهاد آخر معبرح بنسخ الأول
 كقولاه عليه الصلاة والسلام " كنت نرى نبيكم عن الاتياد في الأسقية فالتبدوا في كل
 وعاء ولا تسموا مسكراً " فهل أحاديث هذا الكتاب صحيحة تعتمد عليه في العمل ؟
 واذا عرض لنا حكم لا نجد فيه ولا في غيره من كتب السنة الصحيحة كالكتاب
 السنة ومسايد الأئمة الاربعة فهل يجوز لنا أن نأخذ هذا الحكم من مذهب أي
 إمام غلب على طنائحه قوله اه يجب علينا ان نجهدنا لأخذ ذلك الحكم أفيدوا تزجروا ؟

(ج) هذا الكتاب أحسن ما كتب الشمراني والظاهر فيه قليل جداً وليست
 أحاديثه كلها صحيحة ولا حسنة بل فيها ما لا يصح الاستدلال به . وأحسن منه في هذا
 الباب كتاب (نيل الأوطار . شرح منتقى الأخبار) فان مؤلفه لامام الشوكاني يخرج
 أحاديث المتن ويأتي بما قاله أهل الجرح والتمثيل في أسانيدها وبإسقاط لأئمة منها
 فهو أفضل كتاب يهدي الى فهم السنة في أحكام المباديات والمعاملات . أما

ما يمرض للإنسان من المسائل التي لا ذكر لها في الكتاب والمعروف من السنة فالواجب عدم البحث عنها عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » وإنما يتأتى هذا في أحكام العبادات خاصة التي تمت على عهدده صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله تعالى في ذلك قوله « اليوم أكملت لكم دينكم » فالعبادات لا اجتهاد فيها ولا استنباط الا الاجتهاد في التمييز بين الصحيح وغيره من الأخبار وفي تحصيل ملكة المروية لفهم ذلك. والاجتهاد الحقيقي إنما يكون في الأحكام الدنيوية التي يتنازع فيها الناس ولا تنازع في عبادة الله تعالى . وعندنا من يعرف الحق في هذه باقتداره على الاستنباط يعمل به . ومن لم يعرفه أو عرفه وكان له خصم لا يقبل حكمه فالواجب عليه رده إلى أولي الأمر قال تعالى « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . وأما السؤال عن الأخذ بقول من يفتي على الظن بحجة قوله ففيه ان غلبة الظن لا تأتي الا من الاطلاع على الدليل والوقوف على وجه ترجيحه على مخالفته ان كان هناك مخالف وهذا لا نزاع فيه وصاحبه لا يسمى مقلداً

مآثم عاشوراء (س ٢) ر . ع . بمصر : كنا نتوقع منكم ان تكتبوا في شهر المحرم شيئاً في انتقاد ما يفعله إخواننا الشيعة من المنكرات في عاشوراء كضرب رؤوسهم بالسلاح حتى تسيل منها الدماء على وجوههم وشياهم وما يتبع ذلك مما هو مشاهد . وليس النار خالصاً بأهل السنة حتى تنتقدوا كل المنكرات الغاشية فيهم وقد كانوا إخوانهم من أهل الشيعة وإنما هو منار عام فان كنتم تهابون لهم وجهاً يسوغ ما يفعلون فتفضلوا باعلامنا به .

(ج) لقد صدق السائل في حكمه بأن المنار عام وقد جاءنا بعد ورود هذا السؤال كتاب من بعض الفضلاء في تبرير يقول فيه ان الأمة الاسلامية أحوج إلى مثل هذا المنار منها إلى سائر المعارف وأنه ينبغي ان يكتب فيه ما يرشد أهل إيران والهند ولا يصح ان يكون خطابه مع أهل مصر خاصة . ونقول ان مباحث المنار تنها عامة الا ما يتعلق ببعض المسائل الجزئية وأحوال المسلمين فيها متشابهة فالمبرة فيها عامة . وما منا ان نتمكن في شؤون البلاد الاسلامية البعيدة الاقله الزعروف على تفصيلها

وتأثيرها وزد على ذلك قلة القراء في البلاد الإيرانية على ان قليلهم لا يقال له قليل
لأنهم من كبار العلماء والأصمراء أصحاب النفوذ الروحي والاجتماعي . أما ما يفعلونه
في عاشوراء من ضرب أنفسهم وجرحها بالسيف فهو منكر تشعر منه الخلود
ويجمل المسلمان في نظر الاجانب كالوحوش أو المجانين على أنه لا فائدة فيه مطلقاً .
نعم كان يتصور ان يفيد لو كان لأولئك الذين قاتلوا آل البيت عليهم السلام عصبية
بوجود تشوكة نافذة وهم على ظلمهم وهضمهم لأن مثل هذه الاعمال تحي في النفوس
شعور العداوة والانتقام وتوطنها على سفك دماء أولئك الأعداء ولكن أولئك الظالمين
قد خضعت شوكتهم ، وذهب سلطانهم ، بل يحي اسمهم من لوح الوجود حتى لا نكاد
نرى من يتدب اليهم . فكان ينبغي الاكتفاء في علاء وراء هذا ما كنا ارتأيناه في
المولد النبوي والمولد الحسيني وهو ان يخضب الخطباء في سيرة صاحب المولد وما كان
عليه من الحقائق العظيمة وما وفقه الله تعالى له من العدل النافع مع توجيه النفوس للتأسي
والاقتداء به . فاذا كنا لسنا في حاجة الى الانتقام . واذا كنا قد قمنا بواجبنا
الحسام ، واذا كنا مهتدين في كل أرض لان ديننا الاسلام . واذا كنا - كما نعلم - على
خطر لا ينبغي منه الا الاتحاد والائتام . واذا كان هذا الاتحاد متهذراً من جهة
وحدة السلطة والاحكام ، ألا يجب علينا أن نلتصم من جهة الوحدة الدينية في
العقائد المتفق عليها . والاخلاق التي لاخلاف فيها . والأخوة التي دعانا القرآن اليها . :
أفلا ينبغي ان نتخذ هذه المواسم مذكرات بأفضل ما كان من سلفنا ، وأنفع ما كان
من أئمتنا ، ونجتهد في ان نجعل شعورنا واحداً حتى يصدق علينا قول نبينا صلى الله
عليه وآله وسلم : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا
اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » : رواه الشيخان عن الثعلباني
ابن بشير وفي رواية عنه لمسلم « المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى
كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله »

حبس النساء بالجوع والعري : (٣) ١ . ع . بالازهر : يذكر بعض الناس
حديثاً أوله « أجيءوا المرأة » ويظهر انه غير صحيح وان استشهد به بعض من كتب
في النساء فالرجو بيان ذلك :

(ج) جاء في آخر كتاب النكاح من كتاب (الآلئ) المصنوعة ، في الأحاديث الموضوعية (الحافظ السيوطي مانصه

(ابن عدي) حدثنا محمد بن داود بن دينار حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعدان ابن عبيدة حدثنا عبيد الله بن عبد الله القتيبي عن انس مرفوعاً « أحيوا النساء حيواتهن مضر وأعروهن عراً غير مبرح لأنهن إذا سمنن واكتسبن فليس شيء أحب إليهن من الخروج وإن هن أصابهن طرف من المري والجوع فليس شيء أحب إليهن من البيوت وليس شيء خيرا لهن من البيوت » لا يصح . الشك في عنده منكراً قال ابن عدي : وسعدان مجهول وشيخنا محمد بن داود يكذب : وقال الشوكاني في فوائده : لأصل له وكذا « أعروا النساء يلزم من الحبال » لأصل له . وكذا « استعينوا على النساء بالري » :

أقول ومثل هذه الأحاديث المفتراة حديث « لا تسكنوهن القرف ولا تملوهن الكتابة وعاموهن الغزلة وسورة الثور » رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً وفي أسناده محمد بن إبراهيم النشامي كان يضع الحديث . وقد أخرجه الحاكم من غير طريقة وقال : انه صحيح الإسناد : - وما أسرع الحاكم في الحكم بالصحيح - وتعبه الحافظ ابن حجر في أطرافه فقال : ان في أسناد الحاكم عبد الوهاب بن الفضال وهو متروك :

الاعتداء بالخالف وطهارة الكلب (س ٥) السيد محمد طه في بربر : ما قولكم دام فضلكم في رجل شافعي المذهب اقتدى بامام مالكي توشاً بماء دون القاتين ولعن فيه كلب فهل هذه القدوة صحيحة ؟ وما حكم هذا الماء المتنجس بدم الكلب ؟ (ج) ان المسائل الاجتهادية يندر فيها كل مجتهد بما يراه ولا يجوز ان يكون اختلاف الرأي سبباً في التفريق بين المسلمين فان كنت تصور ان الامام الشافعي يحرم الاعتداء بشيخه الامام مالك فحرم أنت الاعتداء بمن يتبع مالكا اتباعاً للشافعي . ومعاذ الله ان يظن مسلم ذلك في الأئمة بعد قول الله تعالى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » نعم ان الفقهاء في هذه المسألة قولين مصححين أحدهما الذي قلنا والثاني ان القدوة غير صحيحة ورجحه بعض المتأخرين ساعدهم الله تعالى والحق

ماقاتناه . وأما الماء الذي ولغ فيه كتب فقد ذهب الشافعي الى نجاسته لما ورد من الأمر بفعل الاناء وتزيبه وغيره يقول بان الأمر بالنسل سبع مرات مع التزيب ليس لأجل النجاسة إذ المقصود من غسل النجاسة أزالتها وليس للولوغ تأثير متوقف إزالته على التسبيح والتزيب ومال بعضهم الى أن الأمر تعبدى وذهب بعض الصوفية الى أن له سببا معنويا وهو أن شراب سوره يقى القلب . ولا يبعد أن يكون السبب هو اتوقفي من داء الكلب القتال : ومهما كان السبب فلا يجب على المسلم أكثر مما ورد في الحديث لأنه إذا لم يظهر السبب يكون الأمر تعبديا لا يقاس عليه وإن ظهر السبب وقتنا عنده لا تتعداه

أجرة التعبدية (س ٥) ومنه : إذا كان الحاكم مستوليا على البحر أو النهر وأذن للناس بالعبور على المراكب ونحوها من ناحية الى أخرى وجعل على أصحاب المراكب ضريبة فهل يجوز للمسلم أن يتخذ له مركبا يعبر الناس عليه واليهائم بالأجرة : (ج) نعم

باب الأخبار من القسم العمومي

(مأثرة لامنشاوي)

أحد باشا المنشاوي من أكبر المصريين ثروة ووجاهة وقد وجه في هذه الأيام نفسه الى التبرع وحبس الأراضي على معاهد العلم فأوقف على مدرسة محمد علي الصناعية مئتي فدان واشترط أن تسلم اليها بعد إنشائها بالفعل . وأوقف ثمانين فدانا على طلال العلم في الجامع الأحدي بضطاً وتبرع بالقسم السنلي من دار له فسيحة في طخال لمدرسة جمعية الخيرية الإسلامية فيها . ويقال أنه عازم على إنشاء مدرسة للبنات في القسم العلوي ويأجبا لو أنفذ هذا وعهد بإدارتها الى الجمعية الخيرية . بل يتحدثون عنه بما هو أعظم من هذا - يتحدثون عنه بأنه عازم على إنشاء مدرسة كلية وهذا هو العمل العظيم الذي نحلم به في الليل ونتمناه في النهار ونرى أن سعادة هذا القطر متوقفة عليه وإن الأمة الإسلامية بمجموعها لم تستعد في مصر لقيام به تمام الاستعداد . فإذا وفق الله هذا المثرى الكبير لانفاذه لنا أن نسميه محيي مصر وعظيمها وصاحب الفصل الأكبر عايتها

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٩ آية الله الكبرى - القرآن)

فصل (*)

(م ١٠٩) « هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ، ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بمعجزات قوم في قصايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود « قل إن كانت لكم الآبار الآخرة عند الله خالصة » الآية قال أبو إسحاق الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال « قمنوا الموت » وأعلمهم أنهم إن قمنوه أبداً فلم يمنه واحد منهم: وعن النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا يقوله رجل منكم إلا خص بريقه » يعني يموت مكانه . فصرّفهم الله عن تمنيه وحزّهم ليظهر صدق رسوله وحجة ما وحي إليه إذ لم يمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرم لو قدروا ~~ويعجز~~ الله فضل ما يريد . فظهرت بذلك معجزته ، وبانت حقيقته ، قال أبو محمد ~~الأمالي~~ : من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك يمينه يقدم عليه ، ولا يحجب إليه ، وهذا موجود : شاهد إن أراد أن يمنحه منهم : وكذلك آية الباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة مجران وأبوا الإسلام فانزل الله تعالى عليه آية الباهلة بقوله « فمن حاجك فيه الآية فاستمعوا منها ورضا بأداء الجزية وذلك أن (العاقب) عظيمهم قال لهم: قد علمتم أنه نبي وأنه مالا عن قومنا نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم : ومثله قوله « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » إلى قوله « فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا » فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان (١) وهذه الآية أدخل في باب الأخيار عن النبي ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

(م ١١٠) « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعجزهم عند تلاوته لقوة حله وإنافة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستقلون

(-) تمة كلام القاضي عياض في الشفا (١) لعل الأصل: فكان كما قال:

سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويزيدون انقطاعه لسكراهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة ليل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى «تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» وقال «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل» الآية وبدل على أن هذا شيء خاص به أنه يستري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مرّ بداري فوقف يبكي فقلت له : ثم بكيت ؟ قال : للشجا والتظلم : وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر . فحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون» إلى قوله «المصيطرون» كاد قلبي أنه يطير للإسلام : وفي رواية ذلك أول ما قرأ الإسلام في قلبي . وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيجاه به من خلاف تومعه فلا عليهم حم فصلت إلى قوله «صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فأدركت عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى أتى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذرو لهم وقال : والله لقد كلفني بكلام والله ما سمعت أذنائي بمثله قط فسادريت ما أقول له : وقد حكى عن غير واحد من راء معارضته أنه اعترت روعته وهيبته كف بها عن ذلك فحكى أن ابن أبي عمير طاب ذاك وراجه وشرع فيه فربص يقرأ «وقل يا أرض ابعثي ما لك» فرجع ففحا ماعل وقال : أشهد أن هذا لا يمارض وما هو من كلام البشر : وكان من أنصح أهل وقته . وكان يحيى بن حكم الغزال بايع الاندلس في زمنه فحكى أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثاله ، وينسج بزعمه على منوالها ، (قال) فاعترت خشيته ورقة ، حملته على التوبة والانابة ،

فصل

(م ١١١) « ومن وجوه إعجازه الممدودة ~~مكونه~~ آية باقية لا تعدم ما بنيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقال « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » الآية . وسائر معجزات الانبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها . والقرآن العزيز الباهرة آياته ، الظاهرة ومعجزاته . على ما كان عليه اليوم مدة خمس مئة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله الى وقتنا هذا حجة قاهرة . ومبارضة متممة . والاعصار كلها طافحة بأهل البيان . حملة علم اللسان . وأئمة البلاغة . وفرسان الكلام وجها بذرة البراعة ، والمأمجد فيهم كثير . والمعادي للشرع عديد . فسامهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته . ولا ألف كلين في مناقضته . ولا تدبر فيه على مطعن صحيح . ولا تدح التكلف من فنه في ذلك الأزندة صحيح ، بل المأثور عن كل من رام ذلك انناؤه في المعجز يديه ، وانكوص على عقبيه .

فصل

(م ١١٢) « وقد عدد جماعة من الأئمة ومقادي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يملأه : وسامعة لا يعجزه ، بل الأكاب على تلاوته يزيد حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، لا يزال غضا طريا ، وغيره من الكلام ولو بالغ في الحسن والبلاغة مبلغه بل مع التردد ، ويعادى اذا أعيد ، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته في الأزمات . وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجيبون تلك اللحن تنشيطهم على قرائتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخاف على كثرة الرد ، ولا تنفخ فيه غيره ، ولا تنفي عجائبه . هو الفصل : ليس بالهزل . ولا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، هو الذي لم تنته الجن حين سمعن أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجيبا » يهدي الى الرشده » (م ١١٣) « ومنها جملة ما لم يعرفه العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم . ولم قبل نبوته خاصة بمزقتها ، ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم . ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم . فجمع فيه من بيان علم الشرائع . وانبيه على طرق الجمع

لعتلية، والرد على فرق الأمم ببراہین قوية. وأدلة بيّنة سهلة الاطّاع . موجزة للمقاصد .
 رام المتخذون بعد أن ينصبوا أدلة مناهي فلم يقدرُوا عليها . كقوله تعالى « أو ايس
 الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » و« قل يحيا الذي أنشأها
 أوّل مرة » و« لو كان فيها آلهة الا الله افسدنا » - الى ما حواه من علوم السير ،
 وأنباء الامم ، والمواعظ والحكم . وأخبار الدار الآخرة . ومحاسن الآداب والشيم .
 قال الله جلّ اسمه « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ونزلنا عليك الكتاب تبياناً
 لكل شيء » ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » وقال صلى الله عليه
 وسلم : « إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلاً مضرّ وبافيه نبأكم
 وخبر ما كان قبلكم . ونبأ ما بعدكم . وحكم ما بينكم . لا يخافه طول الرد . ولا تنفي
 عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل . من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن خضع
 به قلنج . ومن قسم به أقسط . ومن عمل به أجر . ومن تمسك به هدى الى صراط
 مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله . ومن حكم بغيره قصمه الله . هو
 الذكر الحكيم . والتور المبين . والصراط المستقيم . وحبل الله المتين . والشفاء النافع .
 عصمة لمن تمسك به ، ونجاة ابن اتبعه . لا يموت فيقوم ، ولا يزيع فيستعب . ولا
 تنفي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد » ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه « ولا
 يخالف ولا يتشأن » (١) فيه نبأ الاولين والآخرين » وفي الحديث قال الله تعالى
 لحمد صلى الله عليه وسلم « إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا
 صما ، وقلوبا غافا ، فيها يتابع العلم ، وفهم الحكمة . وربيع القلوب » - وعن كعب
 عليكم بالقرآن فإنه فهم المقول . ونور الحكمة . : وقال تعالى « إن هذا القرآن
 يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » وقال « هاديا للناس وهدي »
 الآية فجمع فيه مع حازة المناظر وجوامع كله أضاعاف ما في الكتب قبله التي ألناها
 على الضعف منه مرات .

(م ١١٤) «ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه

(١) الذار : تشاؤوا بتاغضوا ولا يظهر هنا والذي أعرفه في الرواية (يتشأن)

من تشان الجلد اذا ايس وتشنج أي انه يبقى على جدته وبها ته وروقه دائماً

وإعجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعدته ووعيده . فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة .

(م ١١٥) «ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعمد ولم يكن في حيز المتنور لأن المنظوم أسهل على النفوس . وأوعى للقلوب . وأسمع في الأذان . وأحلى على الأفهام . قلنا سألناه أميل . والاهواء إليه أسرع .

(م ١١٦) «ومنها تيسره تعالى حفظه لمعلمية . وتقريره على متحفظيه . قال الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر » وسائر الأتم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم . والقرآن ميسر حفظه للعلماء في أقرب مدة (١)

(م ١١٧) «ومنها مشاكلة بعض أجزائه بمضاه حسن اختلاف أنواعه واتتام أقسامها . وحسن اختصاص من قصة إلى أخرى . والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه . وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من قوائمه دون خلل يخال فصوله . والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته . ولانت جزالته . وقل رونقه . وتقلقت أنماطه . فأمل أول (ص) وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريرهم باهلاك التبرون من قباهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وتمجيهم بما أنى به . والخبر عن اجتماع ملامهم على انكفر . وما ظهر من الحسد في كلامهم . وتمجيهم وتوهمهم . ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة . وتكذيب الأمم قباهم . وإهلاك الله لهم . ووعيد هؤلاء مثل مصابهم . وتصير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم . وتسايته بكل ما تقدم ذكره . ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام . وأحسن نظام . ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرناه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة لم نذكرها إذا كثرتها داخل في باب بلاغته . فلانجب أن يدركنا مفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة . وكذلك كثير مما قدما ذكره عنهم يمد في خواصه وفضائله لإعجازه . وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليتمد عليها وما بسدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنضوي والله ولي التوفيق . اه كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى

(١) الإعجاز في إلهام السامعين حفظه حتى حفظ به الدين وهذا لم يعمد في العالمين

❦ باب شبهات النصارى وحجج المسلمين ❦

(الشبهة الثانية على القرآن زعمهم التعارض في كلامه)

استشهد ذلك الكتاب على سخافته هذه بأمر تأتي عليها واحدة واحدة ونين

الصواب كما فعلنا في الشبهة الأولى

(الشاهد الاول) زعم ان وجود الآيات المتشابهات فيه يتنافي كونه ميثاقا . وهذا دليل على انه لم يفهم معنى المتشابهات ولا معنى البيان . فهذا المسيح عليه السلام يزعم المتتد أنه إله وقد كان الكثير من كلامه مع تلاميذه وهم الراسخون في دينه غير مفهوم لهم فقول يرى هذا دليلا على عجز مقام الاوهية عن البيان . أم يستدل بالشيء في مكان ويترك الاستدلال به في مكان : ولم ينقل عن الراسخين من الصحابة شيء من الاشتباه في القرآن كما ينقل النصارى عن تلاميذ المسيح (رضي الله عن الجميع) . المتشابهات في القرآن آيات تشابت وجود دلالتها على معانيها القرينة والبينة حتى ليشقى الاخحاب ان يزيغ تأويلها بالباطل وصرها الى غير الصواب . وهذا امر لا مندوحة عنه لانه ضروري في ذاته وذلك ان أهم مبيحي : بالوحي هو العلم بالله تعالى وبعلم الفيصل لترفع بذلك مدارك العقول وعلوهم النفوس . ومن المعلوم ان الناس وضعوا ألفاظ اللغات لما يعرفون من المعاني في هذا العالم فيتمين على من يريد اخبارهم بشيء مما لا يعرفون ان يستعين بهن الالفاظ من موضوعات لما يعرفون . وينصب القرائن لمنع الاشتباه . ولا شك ان انتهاء الناس تختلف في فهم القرائن وان الذي يريد الفتنة يسهل عليه ان يتبع ما يشاء من القول لأن له معنى يدل على ما وضع له في الأصل ومعنى آخر تناوله بالكناية أو الاستمارة وغيرها من ضروب التجوز وهو المراد فيجمله على غير المراد ويحمل به الناس . فذا أطلق النبي على الله تعالى لفظ الأب في مقام بيان الرحمة والمنة حمله أهل النزيع على الأبوة الحقيقية وقالوا انه أبوه الذي ولده ويصرفون من يشتونهم عن القرائن العقلية التي تحيل الابوة الحقيقية على الله تعالى والقرائن القولية التي تضاق لفظ الأب على غير النبي كقول المسيح عليه السلام ان صبح الثقل - : « نبي ذاهب لي أبي وأركم » : وكذلك يقال في لفظ الابن اذا أطلقه النبي على نفسه بحمله أهل النزيع على النبوة الحقيقية مع قيام القرائن العقلية

والانظية على إحاطته كسابقه. ومن ذلك اطلاقه على صانعي السلام ، فيما يثقلونه عن المسيح عليه السلام ،

وإذا أراد المتعرض أن يعرف الفرق بين بيان القرآن وبيان الإنجيل وبين أتباعهما فليتنظر الى أثر التشابهات في الأمتين يجد أن قومه (النصارى) كلهم قد اتبعوا ما تشابه مما حفظوا من كتابهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وأن المسلمين قد اتبعوا المحكم وردوا التشابه الى مجموعا بين العقل والقل والفرقا منهم لبقا له وزن كالباطنية والخمسة (الشاهد الثاني) زعم أن قوله تعالى في سورة الاعراف : «إن الله لا يأمر بالفحشاء» وقوله عز وجل في سورة الأنعام « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » يناقضان قوله جل شأنه « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » قال : لانه أثبت فيها الأمر بالفسق وهو أمر بالفحشاء ، واهلاك أهل قرية لأن مترفيهم فسقوا فيها كما أمروا عظم :

لأقول إن صاحب هذا القول سيئ الفهم الى هذه الدرجة ولكنني أرجح أنه متعمد للتخريف فإن من له أدنى شمة من فهم اللغة والعقل لا يستعجز أن يعتمد الى قول سيد في عبده : إني أمرت عبدي فخرج عن طاعتي فعاقبته : فيفسره بأنه أمره بالخروج عن طاعته فخرج فعاقبه على الامتثال . الفسوق في اللغة الخروج عن الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها وفسقت القارة عن حجرها : والفسوق عن أمر الله هو الخروج عنه وعدم امتثاله . أما حذف معمول « أمرنا » فهو ما تقتضيه البلاغة هنا لأن المقام مقام بيان جزاء الفسوق عن أمر الله تعالى أي كان لا بيان ضروب التكليفات الشرعية. وما يأمر الله تعالى به معروف بالاجال. ولا يخطر على بال عاقل أن يتدبر أحد هذا الممول بتقيض ما تنفي به الضرورة فيقول أن الله قال إنه أمر هؤلاء الناس ولم يقل بماذا أمرهم وقول نحن أنه أمرهم بالفسوق !! هذا غير معقول في نفسه ثم إن العبارة متافية بذاتها فإن الفسوق يقتضي أن يكون هناك شيء يفسق عنه فإذا كان الأمر متعلقا بالفسوق نفسه يكون أمراً بلا شيء . مثاله أن تقول لرجل : أسرتك بأن تخرج : ولم يكن في شيء يخرج عنه حين أمرته لاحصي كيت ولا مضوي كعمل . فإن قيل : إن الأمر في الآية ينصرف الى الفسوق عما هم فيه مما يختص بهم في الجملة :

قوله ان ما كانوا فيه هو الترف فيكون معنى قوله في الآية « ففسقوا فيها » انهم خرجوا من الترف ورجعوا الى التصدق . وهذا نفى ما تدل عليه الآية بانبداهة وهو ان الاستمرار على الترف بعد الأمر بما جرت عادة الله تعالى ان يزل وحيه به من الأمر بالتصدق والاعتدال ، في الاخلاق والاعمال . هو الذي يكون سبب التدمير . وينتهي بالأمر الى شر مصير .

هذا الذي قلناه متبادر اذا تعمّل لأي عامي في لغته يتيسر له ان يفهمه بلا توقّف وليس هو من التشابهات التي تنتهي بها الفتنة بالتأويل والتحريف . ونلايات وراء هذا معان عالية ، وفيها معارف سامية ، هي أرفع من أن يدركها ذلك الطرف الحسير ، أو يتناول اليها ذلك الفهم القصير ، ذلك ان آية الانعام وآية الاسراء تهديان الى أنفع سنن الله في نظام نوع الانسان ونواميس الاجتماع البشري . تدل آية الانعام على أن الأمم لا تهلك بمجرد التلبس بظلم تكون عليه مادام أهلها غافلين عما يجب عليهم الاخذ به من ضده لا يندبرهم به متدنرو ولا يدعوههم الى الحق داع . فاذا جاء النذير وقذف بحجته على باطلهم وبسده على ظلمهم يدمنه فاذا فاذا هو زاهق واذا بالامة في عداد الهالكين . وفي آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » والمراد بالشرك الظلم كما روي من حديث ابن مسعود مرفوعاً عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي في تفسير قوله تعالى في سورة الانعام « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » يعني ان الأمم لا تهلك وان كانت مشركة بالله تعالى مادامت مصلحة في أعمالها وأحكامها . ويتطابق هذا قوله تعالى « واذا أردنا ان نهلك قرية » الآية . فهذه الآيات تعلمنا ان سعادة الأمم أو شقاءها في هذه الحياة إنما هو نتيجة سيرتها في أعمالها لان السعادة هبة إلهية على مالا يعلم سره . والشقاوة قهمة إلهية على ما جهل أمره . وتعلمنا أيضاً ان الباطل إنما يطول أمدّه وتبطل قبحته في الإهلاك اذا لم يكن هناك حق يصادمه . ومن هنا أخذ الأستاذ الامام كتبه الحكيمه : إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه : ومن هنا نفهم السر في استيلاء الافرنج على الأمم الشرقية وهو أنهم مصلحون في أعمالهم . وقد أوضحنا هذه المسائل من قبل في مقالات متعددة وحسبنا هذا في الرد على شبهة المحرفين (الشاهد الثالث) زعم ان قوله تعالى في فرعون « فأغرقناه ومن معه جميعاً »

يناقض قوله عز وجل فيه «فاليوم نتجيك بيدك لتكون ابن خالفك آية» وقد شنع هنا على المسلمين أنهم أوتوا الآية وهو يزعم أنه نجا ببدنه وروحه وإن كانت الآية ناطقة بأن بدنه هو الذي نجو. ومحل الشبهة عنده في لفظ «نتجيك» فإن ظهور الجثة بعد الموت بالفرق لا يسمى تنجية وفاته أن هذا التمييز للتهكم على حد «فبشرهم بذاب أليم» ومن تتبع ضروب التجوز في كلام البناء وحاول حملها على الحقيقة - وهي لا تصح عليها - يمكنه أن يمتد بأن أكثر الكلام البليغ كذب. على أن الذي نجو من الفرق يطلق عليه اسم الفريق فلو فرضنا أن الله تعالى نجى فرعون من الفرق الذي ألم به وقومها كان قوله «أعزناه» مناقضاً لقوله «نتجيك» فقد يفرق إنسان إنساناً ويريه خطر الملاك ثم يتناشيه ويخيه ولكن هذا ليس مراداً هنا

الحكمة في ظهور بدن فرعون موسى بعد الفرق ظاهرة فإنه استبعد الناس وادعى الألوهية بما موه على الجاهلين بسحره. ولو لم يظهر ببدنه لادعى القرورون فيه ما يدعي عبدة الحاكم الميدي إلى اليوم من أنه قد عرج إلى عالم أعلى. وارتقى إلى مقام أسفى - فهذا هو معنى قوله تعالى «فاليوم نتجيك بيدك لتكون ابن خالفك آية» ولو نجا بروحه وبدنه لما كان في ذلك آية على انتقام الله منه فكفره بدينه وإيدائه لقومه (للكلام بقية)

الكرامات والحوارق

(المقالة الثالثة عشرة في أنواع الحوارق وضروب التأويل)

(النوع الثالث انقلاق البحر وجفافه والشي على الماء)

قال السبكي: وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد: وأقول ياليت لنا من هذا الكثير الذي يدعيه وأتمه واحدة منقولة بالتواتر الصحيح المستوفي الشروط التي يذكرها السبكي في جمع الجوامع الذي ألفه لكه الأفهام. لا نتراعى أحكامه في مثل هذا المقام. وفي خاتمة الفتاوى لابن حجر الهيتمي قال: في الرسالة عن بعضهم كنا في مركب فأت رجل منا فأخذنا في جهازه فلما أردنا أن نلقيه في البحر جف حفرتنا له قبراً ودفعه فارتفع الماء والمركب وسرنا.

وكل ما في الباب حكايات عن مثل هذا البض المجهول وأصحاب المركب المجهولين. ولو حكمنا فيها أصول المسلمين لنعدناها من الموضوعات أو الروايات ، وإن رويت على أنها من المعجزات . لا قطعاً أسانيداً ، وجهالة روايتها . وأضف الى ذلك هنا شبهة الهوى . ومخالفة شروطهم في السكرامة . فقد علمت ما قاله السبكي من اشتراط الضرورة والخفاء وأين هما مما نحن فيه . ثم ان قبول هذه الحكايات يليق بأهل دين لا سند لهم في أصوله ولا في فروعه وإنما هي الثقة العمياء بأن روح القدس حل في رؤسائهم وقد يسهم فعملوا المعجائب ووجب قبول كل ما يؤثر عنهم وإن تناقضت قضاياءه ، واستحال مغزاه .

إذا ثبت انفلاق البحر ثبوتاً قطعياً فلا شك انه يكون من الخوارق التي تعذر تأويلها وتعليلها. وأما المشي على الماء فيحصل التليس والتأويل بحسب الاشخاص والمواقع والأزمنة ففي بعض البلاد يجمد الماء النهر أشد البرد مدة ثم يسيل ويقال ان الأفرنج اخترعوا أحذية يشون بها على الماء . بل الذي يقول عليه حقيقة في تعليل المشي على الماء إذا فرضنا انه ثبت ثبوتاً قطعياً لا يحتمل التأويل هو غلبة الروحانية التي يخف معها الجسد خفة عجيبة على نحو ما يحكونه عن المتقين باستحضار الأرواح في أوروبا فإن لهم في ذلك حكايات تقرب من بعض حكايات الصوفية . على ان هؤلاء إنما يوجهون نفوسهم الى الأرواح يكلمونها ويرونها ولم يعنوا بأن يكونوا هم روحانيين كما يفعل الصوفية في رياضاتهم . ثم ان من الناس من لا يصدق ما يقل عن هؤلاء وعن أولئك ومن الناس من يصدق لأن تشابه الحوادث وتصور الملة العامة لها يقربها من العقل . وما نبغي إثبات ما ينقل ولا نفيه وإنما نبغي إتيان من يصدق ثقته بالثائقين . أو من يشاهد شيئاً من أعمال الحاضرين . بأن ذلك غير خارج عن سنن الله تعالى في الخلق وأنه ليس من الخوارق الحقيقية وإنما هو من الخوارق الإضافية أي التي تعد خوارق بالإضافة الى من لا يعرف طريقها كالأعمال الصناعية التي لا يبرفها إلا بعض الناس . أرايت اذا تعلم بعض الناس التخاطب (بتلغراف ماركوني) الذي يكون التخاطب به بدون واسطة الأسلاك وذهبوا الى بلد أو مملكة وجعلوا يتخاطبون به على اليمسد الشاسع ألا يعد ذلك الناس منهم أكبر الخوارق ؟

وقد ذكرنا أن الواسطة الذي يحضر الروح يخفف وزنه مدة حضور الروح إلى نصف ما كان ومن كان بهذه الخفة يثني على الماء بسهولة . وسيأتي أن بعضهم كان يطير في الهواء وقل مثل هذا أيضاً عن بعض الفلاسفة . وسنوسع القول في الأمور لروحية في موضع آخر

﴿ النوع الرابع انقلاب الأعيان ﴾

قال السبكي : حكى أن الشيخ عيسى الحنّاء أُرسل إليه شخص مستهزئاً بإناءين تمثّلين خمرًا فصب أحدهما في الآخر وقال « بسم الله كلّوا » فإذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه (قال) وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكايات :

أقول لا يوجد نوع من الأنواع يأتي فيه التليس وانسودة مثل هذا النوع ولذلك ترى أكثر أعمال المشعوذين منه وهو على ضربين أحدهما الخفة والمهارة في إختفاء شيء وإحضار غيره . وثانيهما الاستمالة بالأعمال السكياوية . فن غرائبهم في الضرب الأول أن أحدهم يأخذ ماء من البحر في كوب ويصطبه آخر فيشربه فإذا هو شراب سكري . والحيلة فيه أن يكون تحت إبط المشمود أو الدجال (مدعي الولاية) إناء من الجلد أو الكاوتشك له أنبوبة دقيقة تصل إلى يده فإذا غمس الكوب في البحر يوصم الراي أنه ملاء مأموماً فلا يوصف فيه الشراب من الانبوبة بلطف . وقد أخبرني بعض الناس أن رجلاً من المستعدين تناول كوباً من زيت البترول وسقاه فإذا هو ماء فيه سخونة وما جاءت السخونة إلا من حرارة إبطه حيث كان الماء

ومن الضرب الثاني أن بعض الدجالّة القساق الذين يمجّدون الناس باتّحال الكرامات أخذ أمام بعض العامة كوباً زجاجياً فيه شيء من الخمر فوضه على فيه فإذا هو في أعينهم لبن أبيض . والحيلة فيه أن الخمر التي كانت فيه هي من النوع الذي يسمونه (عرقي الزبيب) ولونها كالماء حتى إذا مزجت بالماء أبيضت وصار لونها كلون اللبن المذروب وقد كان الماء في قف الدجال فجّه في الكأس بلطف . ولو أردنا أن نملأ المنار بمثل هذه الوقائع التي تستغرب قبل كشف الستار عن وجه التليس فيها لقلنا . فقل أمثالها إذا صحت عنده فهناك ما يمنع من التصديق بتمته لا احتمال دخول القش والتليس فيه على الخافقين . وأنت ترى أن هذا النوع كان من أبواب الفسق والدجل والشعوذة والحيل ،

﴿النوع الخامس إنزواء الأرض أو طيها﴾

قال السبكي : حكوا ان بعض الاولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق الى زيارة الحرم فأدخل رأسه في حبيبه ثم أخرجه وهو في الحرم (قال) والتندر المشترك من الحكايات في هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الامباخت : أقول ان السبكي تحمس هنا فرجع الى كتابه (جمع الجوامع) وقلده حجبته في الاستدلال فرمى ان الحكايات في انزواء الأرض متواترة تواترا معنويا أي ان كثرتها تدل على أن لها أصلا وان كانت كل حكاية منها لم تثبت بخصوصها . وسئل ما فيه . وأعلم أنهم لا يقصدون إنزواء الأرض وطيا ان أطرافها تجتمع وتطوى كالثوب وانما يمتنون بذلك قطع المسافة في زمن قصير وهو مجاز صحيح واستعمله الشعراء وغيرهم قال :

وكنّت اذا ما جئت ليلي أزورها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بيدها

وما ذكره السبكي من حكاية وليّ جامع طرسوس ليس من هذا النوع وانما تلك زيارة خيالية أو روحانية لانه لم يكن فيها مسير وانما قبع ذلك الولي في مكانه كالقنفذ قرأى نفسه في الحرم . كما يرى ذلك في الحلم . فاذا كان مثل صاحب جمع الجوامع قد اشبه عليه الامر فمد في هذا النوع ما ليس منه فكيف تنق بساتر التافين لهذه الحكايات وهم في المادة الغالبة من جملة الامام . واذا لم تكن الوقائع صحيحة بلارة فكيف يتألف من غير الصحيح دليل صحيح فنقول ان في مجموع الحكايات تواترا معنويا ؟

ثم إن في أنباء قطع المسافات البعيدة في الزمن القريب مواضع للتليس والإيهام فان الحكايات في ذلك تؤثر عن السامعين المجردين وأكثر هؤلاء خفاف سراع أهون سيرهم الوحيف فاذا صر أحدهم بمكان ثم روي في مكان آخر لا يكتفي الزمن بل يلوغ بإداني السير المتداد يتناقل الناس هذا ويعدونه كرامة ويبالغون فيه ويهللون وينتشر الخبر لفرام الناس به بل مثله . وعلى هذا النحو تكثر هذه الاخبار حتى يدعي مثل انتاج السبكي أنها كرامة متواترة تواترا معنويا . ويدعي من لا يفهم مثله معنى التواتر أنها متواترة تواترا حقيقيا ، وينسى هؤلاء أنه يوجد في البوادي من يسابق غتاق الخيل وعشار النياق فيسبقها ، والناس يعلمون ان هذا النوع من المماول التي هدمت الدين فان

كثيراً من الدجالين الذين يدعون الولاية يتركون الصلاة ويمضون أنهم لا يصلون إلا في حرم مكة فيصدقهم الجاهلون المخدوعون

هذه إشارة الى طريق التأويل والتليس التي تقل معها الثقة بالنقل . وأما التعليل بعد الاختبار الصحيح والثقة التامة بأن انساناً اتقل بحجمه من قطر الى آخر في زمن قصير لا يكفي لبلوغه إياه وان كان أسرع من العناق السبق : والحياذل القرح ، فهو ان يقال ان ذلك المتقل من الروحانيين الذين تحمل أرواحهم أبدانهم قمر بها صر النسيم وذلك داخل في السنن الروحية . وربما تكون في يوم من الأيام مشهورة جليلة . فيعذر من كان في غير هذه الاوقات . ينظمها في سمط الخوارق والكرامات ، ويظهر فضل الدين ان علم الناس بأن الروح والنفس ، لها وجود مستقل وسنن غير سنن الحس .

الإنجيل الصحيح

(البذة الثالثة من مقدمة كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوي)

على هذا المتوال جرت تلك الديانات الصادرة عن الروح القدس وكل واحدة منها تؤكد لنا ان حتام الوحي ونسخ الديانات السابقة بطريقة حاسمة قاطعة مما تقضي بهما كتابة الرسول بولس أو قرارات بعض المجامع أو أوامر الباباوات أو الإلهام الشخصي لبعض الناس وكلها تحاول بلا طائل الاستناد في آخر الأمر على الوحي الهابط على آباء الكنيسة أو على (الكاتشرزم) الذي ألفه لوثير أو فيلاريوس وتأين أن تصون نحلها باسم أولئك المتبدين لدعائهم وتعاند في القول بأن المسيح هو الذي أوحى اليهم بهذه التعاليم وتصر على ذلك اصراً لو صدقنا فيه لذهبنا معها الى ان المسيح نفسه هو الذي أوحى الى أصحابها بأنه فقدى بني الانسان بعد سقوطهم بسبب خطيئة آدم وان الله يتألف من ثلاثة أشخاص وان الروح القدس هيض على الحواريين وان المسيح باليد (في تناول الاسرار) نقله الى القسيسين وان تقديس الارواح سبع صرات مما لا بد منه للحياة المسيحية وغير ذلك . وهم يحملونا على الظن بأن هذه الامور كلها من تعاليم المسيح . على اننا اذا بحثنا في تعاليم المسيح لأجد فيها اقل إشارة

إليها ولا إلى بعضها . لاجرم ان الكنائس التي تقول بهذه الاشياء ينبغي لها ان تجهز بانها من تعاليم الروح القدس وليست من تعليم المسيح فانما المسيحيون هم الذين يعتبرون الوحي الأخير الذي جاء به المسيح كما هو وارد في الانجيل طبقا لما قاله المسيح: ان يكون لكم أستاذ غري (١)

ربما ظن بعض الناس ان هذه المسألة ليست بذات بال واثم من الامور التي لا تستحق البحث فيها ولكن مما لامرأ فيه ان القوم قد أهملوا النظر إليها بعين الاعتبار الى تومنا هذا، وبدلا من بذل نهاية المجهود في ترقية تعليم المسيح من شوا رب علاقته الصناعية بالهد القديم التي لا ترى ما يزيكها ويؤيدها، وتصفيتها من تلك الاضافات التي ألصقتها به الاهواء باسم الروح القدس، لا يزال القوم حتى يومنا هذا يوجهون همتهم كلها الى تقوية هذه الروابط التي لأصل لها . ومن غرائب المشاهدات أننا نرى الاتفاق سائداً في هذه المسألة بين الخصمين المتعادين وأعني بهما المتحزبين للكنائس وأرباب الافكار الحرة من أصحاب التارخ

فاما أحزاب الكنائس الذين يقولون بان المسيح هو ثاني شخص في التالوت فلا يريدون ان يفهموا تعنيمة الا تطبيقه على الوحي الموضوع على لسان ثالث التالوة (أي الروح القدس الذي نطق بلسان الرساء) كما هو وارد بالهد القديم وفي أوامر المجامع وقرارات آباء الكنيسة . وتراهم يتنادون ويبشرون بأمر هي منتهى الحماقة ويؤكدون مع ذلك بأنها من دين المسيح . وأما الآخرون أي أولئك الذين يمتهمون من اعتبار المسيح إلها فهم أيضاً يدركون عتيدته لا كما أتى هو نفسه بها ولكن على الوجه الذي صورها فيه بولس وغيره من المفسرين، فأولئك العاماء مع اعتبارهم ان المسيح فسرذا من أفراد البشر لا إلها يحرمونه من الحق الطبيعي الذي لكل واحد من الناس ألا وهو أن يكون مسؤولا عن أقواله فقط وغير مؤاخذ بما يقوله عنه غيره .

وحينما حاولوا إضاح تعليم المسيح نسبوا إليه أفكارا لم تخطر قط على باله وهو في قيد

المنار : الخطاب خاص بتلاميذه الذين تنقل الكنائس عنهم ان تلقوا تعليما آخر من الروح القدس ولهم ان يردوا على الفيلسوف بأن الروح القدس ليس غيره لانه على اصطلاحهم عنه لأن كل واحد من الاقاييم الثلاثة عين الآخرين

الحياة . فان القائمين بهذا المذهب وفي مقدمتهم رنان المحبوب عند الجمهور لم يروا وجها لإجهااد أنفسهم في التمييز بين ما قال به المسيح وبين ما نسب اليه مفسرو كلامه زورا وبهتانا ولم يدعوا زيادتهم على الكنائس في الاهتمام بالتمعق في فهم تعليم المسيح الصحيح انساقوا الى البحث في حوادث حياته وفي الحوادث التاريخية التي وقعت في عصره امرقة أسباب تفوذه وشيوع أفكاره

على ان هذا البحث هو كما يظهر آخر خطأ يجوز للمؤرخين ارتكابه فان المسألة لتي كان عليهم السعي في حلها هي ما يأتي :

منذ ثمانى عشرة مئة من السنين كان رجل فقير يعيش في بعض الجهات وكان يصدر عنه بعض الأقوال فاضطهده الناس وشنقوه ثم نسيه العالم كله كما نسي آلافاً من الحوادث المماثلة لأمره فلم يذكره أحد من العالمين ولكن يظهر ان بعضهم بقيت في ذاكرته كلات هذا الانسان فاعادها على مسمع من ثان فالثالث ومازالت آخذة في الشيوع والانتشار حتى ان ألوف الألوف من الناس سواء فيهم العقلاء والمجانين والمالون والجاهلون اعتقدوا اعتقاد مطلقاً بأنه هو الله وحده (١) وهذانم غرائب مظاهر الكون فكيف يكون تفسير ذلك ؟

قالت الكنائس ان هذا الرجل أي المسيح هو الله حقيقة والامر واضح في هذه الحال لا يحتاج الى بيان ، ولكنه اذا لم يكن هذا الانسان هو الله فكيف تفسر اعتبار الناس له إلهادون سواء ؟

أما علماء المذاهب التاريخية فقد عنوا عناية بالغة بجمع الخصائص المتعلقة بحياة ذلك الانسان (وهم في الحقيقة لم يجمعوا منها ولا واحدة سوى ما وجدوه في

(١) التار : ان الناس لم يقولوا هو الله لاجل الكلمات التي يقولونها عنه فقد نقل أحسن منها عن سليمان ولم يقولوا إنه إله ومنهم من لم يقل إنه نبي . وإنما ذلك بولس وأمثاله قالوا هذا القول وادعوا ان روح القدس يجلي عليهم والخوارق تؤيدهم فصدقهم الناس لاستحواذ الوثنية عليهم وشاع ذلك . والفيلسوف ينكر عليهم إملاء روح القدس ويوجد خوارقهم ولكن إعجابه بكلمات المسيح عليه السلام ، أنسته أكبر سيئاتهم فوقع في الاوهام .

الانجيل وفي تاريخ (فلافيوس يوسيفوس) ولم ينفطوا الى انهم لو توصلوا الى الوقوف على هذه الخصائص كلها، ووقفوا الى اعادة حياة المسيح تامة باصغر تفاصيلها، بحيث عرفوا ماأكله في يوم كذا ويوم كذا وعرفوا في أي منزل أمضى تلك الليلة - لكان هذا السؤال الجوهرى يبقئ قائما ولا جواب عليه وهو : لماذا كان لعيسى لانيهه هذا التأثير في الناس أجمعين : (١) الجواب المطلوب لا يأتي من العلم بالطريقة التي ولد بها عيسى أو كانت تربيته على مقتضاها أو غير ذلك ولا يستنبط من العلم بالحوادث التي وقعت في رومية في ذلك العصر وكانت داعية الأمم الى الاعتقاد بالخرافات والاضاليل ونحو ذلك . وانما ينال الجواب بالبحث في أمر واحد وهو معرفة التعليم الذي جاء به المسيح علما مؤكدا يقينيا ومعرفة كنه هذا التعليم الذي حمل كثيرا من الناس على جعل الرجل فوق سائر الناس واعتباره إلها منذ ثمانى عشرة مئة من الاعوام الباحث الذي يريد حل هذه المعضلة يجب عليه قبل كل شيء أن يجتهد في إدراك تعليم المسيح وأعني به تعليمه الصحيح دون تلك التفسيرات العامة الشاذة التي ذهب اليها بعض الناس . وهو أمر أهمله الباحثون الى الآن . فان علماء التاريخ من أهل النصرانية فرحون بما ذهبوا اليه من أن المسيح ليس هو الله ولذلك تراهم لا ينفكون يسردون الدلائل على انه لم يكن فيه شيء من الالهية ولكن لا يفكرون في أمر بسيط لا يصبغ ان يغيب عن الأذهان . وهو ان الاحتجاج على كون المسيح واحدا من الناس مجردا من كصفات الالهية يزيد المسألة غموضا وبمدا عن الافهام . (٢) مثال ذلك صاحبنا رنان أو الموسيو (هافيت) فقد لاحظ بسذاجة لطيفة ان المسيح

(١) المنار : إنه لم يكن للمسيح تأثير في الناس أجمعين كما زعم وان المعتقدين

ببؤا أكثر من المعتقدين بالمسيح على الوجه المعروف عند النصارى

(٢) قضى الله ان تكون السخافة حليفة لكل من يتكلم في الدين من غير

طريق الاسلام . وان ارتقى بعلمه الى درجة الفلاسفة العظيم . فهذه المسألة محلولة

بمثل قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ » فالمسيح بشر كسائر الناس إلا أنه

امتاز بأن الله تعالى أوحى اليه . والوحي لا يرتقى بالوحي اليه الى مقام الالهة ولا يعطيه

شبهة منها على أنها ليست متشعبة بل هي الوحدة الحقيقية

لم يكن فيه قط شيء (مسيحي) أما الموسيقي سوري فقد أظهر مائليس فوته شيء من الابتهاج والارتياح حينما ذهب الى أن المسيح « كان رجلا بغير تقيف وانه كان من ذوي العقول الساذجة »

ليس الأمر الجوهري هو إثبات عدم الوهية للمسيح ولا ان تعليمه ليس إلهيا ولا إيراد الدلائل على ان المسيح لم يكن كاثوليكيًا وانما هو فهم عناصر هذا التعليم الذي ظهر للناس في أسنى المظاهر وأجلاها وأعلاها وأعلاها حتى قالوا ولا يزالون يقولون بان الرجل الذي قل به إنما هو الله . هذا هو الامر الذي حاولت البحث فيه والذي نجحت في الوصول اليه والوقوف عليه وذلك بالنسبة الى شخصي على الأقل . وهو ما أريد ابلاغه إلى إخواني

يخيل اليّ ان القارئ لهذا الكتاب انما هو فرد من ذلك المجتمع العظيم الذي يتألف منه فريق التمدنين الذين تهذبوا ودرجوا على الاعتقاد بقول احدى الكنائس ومنعوا أنفسهم على الدوام من الجهر بالانفصال عنها مع ما ثبت لهم من مناقضة تلك العقائد لما أرشدتهم اليه عقولهم . وأوحت به ضمائرهم . سواء كان ذلك منبأ على صياغة باقية من الحب والاحترام لتلك التعاليم المسيحية أو لاعتبارهم العنصرية كما خرافة فهم لا يرتبطون بها الا في الظاهر . اذا كانت هذه حلة القارئ فلي أرجو ان يعمل بالنكس السائر « ألق بالحلقة في النار اذا حارت مبادئك » ولكنني أرجو ان يعل أولي ان يتفكر ان الذي قرأ منه طبعه وسمعه وظهر له بتظهر الحرافات ليس هو التعليم الصادر عن المسيح وانه من العظم والخذلة المسيح بالحافات التي علقها الناس بعصده على تعليمه . وغرضي الوحيد انما هو تحديد تعاليم المسيح في شكله الخاص به كما وصل اننا أي بواسطة الأقوال والأفعال التي بلغنا بطريق التواتر انما أقوال المسيح وأفعاله (١) . ومن كان من القراء من انصف الذي سبق لي وصفه فان

« ١ » المنار : ان أقوال الفيلسوف السابقة في هذه المقدمة تنفي هذا التواتر فانه قال ان أقوال المسيح لم تنقل في عهد برمتها بالكتابة ولا بالحفظ وانما كان يحفظ بعضها الواحد فيلقه الى ثان ثم يشهر بعد زمن . وإنما تحقق التواتر بنقل العدد الكثير عن المسيح نفسه وقتل مثاهم عنهم طبقة بعد طبقة بلا انقطاع

كتابي يريه ان انصيرية ليست مزيجاً من الأمور المالية والأمور المبتذلة وانما ليست من الخرافات بل انها عبارة عن التعليم بما وراء الطبيعة الذي توصلت اليه الانسانية الى الآن بطريقة أخلاقية تهذيبية وطيدة الأركان ، ثابتة البنيان ، صافية من الشوائب ، مكتملة من كل جانب ، وانما التعليم الذي ترتكز عليه بغير ادراك جميع مظاهر الانسانية العالية في السياسة والعلم والشعر والفلسفة

أما اذا كان القارئ من تلك الفرقة القليلة التي لا تزال في كل يوم آخذة في الاضمحلال وأعني بها أولئك المتحمدين الذين مالبثوا مرتبطين بتعاليم الكنيسة وقبلون الدين لراحتهم الداخلية لا لغرض خارجي فاني أرجو هذا القارئ ان يسائل نفسه عن أعز الأمور لديه : أراحته أم الحقيقة . فان اختار الراحة سأله ان يتقل هذا الكتاب وأما اذا خرج الى الحقيقة فاني أسأله ان يعتبر تعاليم المسيح المبسوط في هذا الكتاب يناقض كل ما علمه آياه الناس وانه بإزاء هذا التعاليم في موقف السلم بإزاء النصرانية . فليس عليه بعد ذلك ان تكون العقيدة المشروحة في هذا الكتاب توافق عقيدته أو تخالفها بل ان يعلم أيهما أكثر المطابقا على عقله وقليه . أعقيدة ~~كنيسة~~ أم عقيدة المسيح المحضة ؟ وعليه بعد ذلك ان يختار لنفسه أحد الأمرين - الرضى بقبول العقيدة الجديدة أو البقاء على عقيدة كنيسته

وأما اذا كان القارئ من أولئك الذين يذهبون الى احترام عقيدة إحدى الكنائس والتسليم بها في الظاهر لاصحة هذه العقيدة ولكن بالنظر الى اعتبار المنافع التي يجودونها فيها فهذا القارئ يجب عليه ان يقول لنفسه بانه ليس من المهينين « بكسر الماء » بل من المهينين « بفتحها » مهما كان عدد الذين يغالطونه في الرأي ومهما كانت سطوتهم ومهما كانت تجان الملوك معهم ، وشهادات الأكابر منهم مصدقة لما بين أيديهم : وليس يكون ذلك القارئ من الذي تقع عليهم التهمة أمامي بل أمام المسيح . وينبغي لهذا القارئ ان يقول لنفسه انه ان يطلب « بفتح اللام » بأي برهان مما يمكنه الايمان به من الدلائل فقد جاء بها السابقون عليه زمان طويل وانه لو أتى بألف حجة على براءته لما كان الا في موقف يضطره الى تركية نفسه

نعم انه يبقى عليه ان يزكي نفسه أولاً من وصمة الكفر والتدينس الذين ارتكبه

بجمل عقيدة المسيح الذي هو الله (تعالى الله عن هذا الزعم) كعقيدة اسدراس والجامع وثاوفيلكتس وافرغاه كل قواه العقلية لتبديل كلمات الله حتى يجعلها موافقة لكلمات البشر. ثم يجب علينا أن يزكي نفسه ثانيا من «التجديف» الذي ارتكبه بجمل كل ما في قلبه من الحرافات على «حساب» المسيح الذي هو الله (سبحان الله). ثم يبقى عليه في آخر الامر أن يزكي نفسه أيضا من الحياة التي ارتكها بإخفاة عن الناس دين الله الذي جاء الى الدنيا ليأتي لنا بالخلص والسلام؛ وبدسه دين الروح القدس بدل هذا الدين وحرمانه ألوف الألوف من الناس من الخلاص الذي جاء به المسيح لأجل الناس وبإيجاده الخلاف في الشيع والمقالات وبحكم بعضها على بعض وغير ذلك من ألوف الشناعات التي يسترها بالاسم المقدس اسم المسيح

لذلك أقول ليس للقراء الذين من هذا الفريق ألا ان يختاروا احد أمرين - إما ان يتوبوا بخضوع وخشوع توبة نصوحا ورجعوا عن أكاذيبهم. وإما ان يضطهدوا ذلك الذي جاء ليقتي عليهم التهمة بما كسبوه من السيئات التي لايزالون سبباني وقوعها اذا لم يعدوا عن أكاذيبهم فليس لهم سوى أمر واحد هو اضطهادي أو هو هذا هو ما أتظره بنشر كتابي هذا. وأني لأتظربفرح عظيم لا يخالجه سوى مكنون الخوف من ضمني لأني فرد من بني الانسان. اه

(المنار) لقد أظهرت لنا هذا المقدمة قوة كاتبة في أعلى درجاتها كما أظهرت لتواضعه في أسئل دركه. أما قوته فهي انه أدرك بذنه الوقاد، وعقله المطلق من أسر التقليد والاستعداد. أن إنجيل المسيح لم ينقل قنالا صحيحا ولم يحفظ كله وأن الأهواء تلاعبت أيضاً بتفسير ما نقلت فأفدت ما بقي فيه من ذم الإصلاح والحق وأن أشد الناس عينا في تعليم المسيح بواسر زعيم النصرانية - الخ ماقرات في المقدمة

وأما ضعفه فهو أنه نظر في سن الكبر وطور الزهد واليأس الى تلك المواعظ التي قارع بها المسيح مترفي اليهود ومتطعيمهم وتأمل في غلو النصراني في المسيح وادعاء الألوهية بما غراء بواسر ومن دخل فيه من الوثنيين فرأى في المواعظ قوة الهية (وهي قوة الوحي) ورأى الناس قتلوا بالمسيح فاستدل بذلك على أنه هو الله تعالى الله عن ذلك هذا وقد وقع في ص ٨ ص ٢٢٩ لنظ الفارسيانيين وصوابه «الفريسيين» وفي ص ٢١ ص ٢٢٩ حجة «لا يلزم» (كما يظهر) على تعليق «وصوابها» «لا يلزمه» (كما يظهر) تمايق

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) صخرة بيت المقدس - السيد احمد منصور الباز بطوخ القراموص :
 ما رأي سيادتكم في الصخرة الموجودة بين المقدس هل هي مرفوعة في الهواء كما
 يزعم بعضهم وهل رفعها كان معجزة للتبي ؟ ترجوكم إظهار الحقيقة ورفع اللبس
 (ج) اننا قد زرنا المسجد الأقصى ورأينا الصخرة وعرفنا منشأ الشبهة في أقاويل
 الناس فيها على أنها ليست مرفوعة في الهواء . ذلك ان الداخل في الحرم يرى في
 محضه الفسح بناء مرتعها يصعد اليه بالسلام و سطح هذا البناء الواسع مرصوف بالبلاط
 وفيه قباب أعظمها وأكبرها وأكثرها زخرفاً قبة الصخرة وبالقرب منها قبة يسمونها
 قبة المراح يقولون ان النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم عرج منها . والصخرة موضوعة
 في قبتها وقد جعلت سقفا لغارة صناعية تحتها باب ينزل اليه بسلم قصير . فهم يقولون
 ان الصخرة كانت في الهواء حيث هي الآن وان الناس بنوا تحتها هذا البناء ووصلوه
 بها . وشبهتهم ان الصخرة مرتفعة عن أرض الحرم التي هي الآن سطح الحرم الاصلي
 الذي تحت الأرض . وقاتهم أن رفع الصخرة من أرض الحرم الذي في الأرض أو
 سطحه الذي هو محض المسجد لهذا المهد متيسر للانسان ويوجد له نظائر في مباني
 النابرين والحاضرين

«س ٢» حجارة الوقود بحجوار الكلم - ومنه : هل في الحجارة التي بحجوار سيدنا موسى
 معجزة له اذ تكون وقودا في تلك الأرض واذا قلت منها تكون كسائر الحجارة لا تشمل ؟
 «ج» انه لا يوجد في الدنيا حجارة تشمل فتكون وقودا الاسبب طبيعي ولا
 معنى لهذه المعجزة الآن واثناس متهمون جميعا بنقل الثرائب فيجب التحري اتمام
 فيما يقولون منها فن تحرى علم ومن لم يتحرر وهم ،
 (س ٣) شهورش قاضي الجن - السيد حسن السليحي بمصر : يزعمون أنه كان لجن
 قاض يقال له شهورش وأنه كان يتلقى العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس لشيوخ
 الباجوري ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه على مرأى من الناس ومسمع .
 وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين منكر ومصدق فأبى الصدق ان يرجع الا
 بشوى دينية وهي ما تنتظره من الثنا الانور :

« ج » ان الجن من العوالم النبية واسمهم يدل على خفائهم واستارهم وقد قال الله في ابليس وهو من الجن : « إنه براكم هو وقيله من حيث لا ترونهم » وقد نقل عن الامام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم حتى قيل انه أفق بكفره هذه الآية . وقد اختلفت النقل عن الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فروي عن ابن مسعود انه رآهم وروي عن ابن عباس انه لم يرههم وأنه لو رآهم لما قال الله تعالى « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن » وقال بعض العلماء ان ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة بينهما . وأدعى بعضهم ان رؤيتهم تكون كرامة للأولياء وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم ان الجن يظهرون ويسألون العلماء على مرأى من الناس ومسمع . وان للناس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب ما يكاد يصل بهم الى حد الجنون . والله يعلم انهم لكاذبون (س ٥) الدليل على وجود الجن - بكبر بن سباه بالجزائر : هل يوجد دليل

عقلي على وجود الجن ؟

(ج) ن وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحس أو بالهجر الصادق فإنا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها . أما العقل فإنه يدتنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فاندريك أن في هذا الكون عوالم لا نعرفها لأنها لا تدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا ما لا ندركه الآن . الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . وإننا نرى الاعتقاد بوجودهم فاشياً في جميع الأمم والشعوب الهمجية والممدنة الوثنية والموحدة والملحدة . وإننا نجد من نوع الجن هذه الاحياء الصغيرة التي لا ترى الا بالتطارات المكبرة فالانفاز اللغوي (جن) يتناولها وفي الحديث القائل بأن الطاعون من وخر الجن ما يدل على ذلك والله أعلم

(س ٤) الإيمان بخاتم النبيين - عبد الحميد اقدسي حبيب نبينا الزقازيقي : هل

يكون ايمان المسلم صحيحاً اذا اعتقد ان رحمة الله تعالى لاتسع من لا يؤمن بنبوة محمد

صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك وقد قال تعالى « ان الله لا يفر أن يشرك به
ويفر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ورحمتي وسعت كل شيء »

(ج) ان رحمة الله تعالى وسعت كل شيء حتى المشركين فانهم انما يمشون برحمته
ويؤمنون بفضلها ومن رحمته بالطلين أن أرسل اليهم خاتم النبيين يعلمهم الكتاب
والحكمة ويرزقهم . ولا توجد طريقة لترقية الروح وتركها تازكية تستوجب بها
الرحمة الخاصة في الآخرة الا شريسته وملكته ولذلك قال عز وجل بعد بيان ان رحمة
وسعت كل شيء « فمأكنتها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون »
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجذبونهم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
ياهمم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية . فن بلغت دعوة هذا النبي الكريم على
وجهها وأعرض عنها فلا يتدبأ بها . ولكن اذا بلغت على غير وجهها أو نظر باخلاص
وبحث فلم يظهر له صدقها فهو مذكور وقد قدم بسط هذا المعنى في المار غير مرة

(س) ترجمة القرآن - رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الشرعية
في أوقا (الروسية) : نشكر لكم بالامز يد علي ما كتبتم في المار جوابا عن سؤالي
في مسألة حدوث العالم فانا طالعتنا مع الأحابيب والعلماء الكرام بمزيد الشوق وعجينا
من سعة اطلاعتكم ونجركم في الفنون ثم اني أعرض على حضرتكم سؤالا آخر
وهو . هل يجوز ترجمة القرآن الشريف الى اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية
وغيرهما ؟ ونسمع ان بعض علماء الهند نقله الى لغة الأوردو فهل ذلك صحيح وما
سكم الشريعة في ذلك ؟ نرجو من حضرتكم الجواب في أحد أعداد المار لتكون
النائدة عامة لنا ولغيرنا :

(ج) ان هذا القرآن عربي « ولو أنزلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
أعجمي وعربي » ومن مقاصد الاسلام العالية جمع البشر على دين واحد ولغة واحدة
لتكامل وحدتهم . وتحقق أخوتهم . وقد بينا هذه الحكمة من قبل ولا سبيل اليها
الا بتخميم بقائه عربيا . وان بقائه عربيا داخل في معنى حفظ الله له . فترجمته غير
جائزة وغير متيسرة فانه معجز في بلاغته وتأديته للمعاني ولن يستطيع ان يترجمه
الا من يصل اليه درجة الانجاز في اللغة التي يحاول نقله اليها ويكون مع هذا في فهم

الاساليب العربية منقطع القرن ، وفي فهم الاسلام ومعرفة حقائقه آية في العالمين ، كلا انني موقن بأن ترجمة القرآن مستحيلة وانه لا يوجد في البشر من يستطيع ان ينقله الى لغة أخرى بحيث يفهم قارئ الترجمة كل ما يمكن أن يفهم من القرآن العربي المين . وان من أكبر الجرائم والحجاية على الدين ان يحاول المسلمون هذا الامر فيكون عند التركي قرآن تركي وعند الفارسي قرآن فارسي وهلم جرا . وقد عثر بعض العلماء فقال بجواز القراءة بالفارسية لمن عجز عن العربية ولكن طبيعة الاسلام لفظت هذا القول وتركته كالشيء الفا ولم يعمل به أحد من المسلمين مع احترام قائله لأنه لم يكن سيء القصد . ولو أخذ الناس بهذا القول لما انتشرت اللغة العربية في الاقطار الإسلامية ولصدم الاسلام صدمة أرجعت الى جزيرة العرب وحبسته فيها

أقول هذا على تقدير ان المراد من السؤال ترجمة القرآن وحسبان الترجمة قرآنا باعتبار أن العبرة بالماضي كما قال بعض العلماء والاكتفاء بذلك . وأما اذا ترجم شيء من القرآن بقصد جماله وسيلة للدعوة الى الاسلام فلا بأس بذلك لاسيما اذا كان من تراد دعوتهم كالأفرنج الذين يبحثون عن أصول الاديان ولا يكتفون بعرض آراء علمائها عليهم لانهم يعتقدون ان علماء كل دين تصرفوا فيه باجتهادهم أو بأهوائهم . ومن يترجم القرآن بعضه أو كله لهذا الغرض فعليه أن يبين في مقدمة الترجمة أنه نقل الى لغة كذا ما فهمه هو من القرآن ان كان يعتمد على فهمه أو ما فهمه فلان المفسر ويذكر من اعتمد على تفسيره . واذا اعتمد على غير واحد من المفسرين فليذكر أسماءهم واذا أشار في هامش الترجمة الى عزو كل قول الى قائله فذلك أفضل وأكمل

وحسب المسلمين من الأعجميين تقصيرا في حق القرآن ان فسروه بلغاتهم وكان الواجب عليهم ان يجتهدوا في تعميم اللغة العربية ويفهموه بالعارة العربية التي أنزل بها . ولولا الصدمات السياسية التي صدمت الاسلام لظل أهل فارس ومن يجاورهم الى هذا الزمن ينطقون بالعربية كما كانوا في القرون الأولى للإسلام بل لكانت بلاد الهند والافغان والترك وجزء عظيم من بلاد الصين كبلاد سوريا ومصر لهذا العهد ولحسبنا في ذلك للإسلام سياج من الرحدة لا يحرق . واذا لم يسع المصلحون في تلك البلاد وأمثالها بتعميم اللغة العربية فإمامهم بمصلحين ولا عاملين للإسلام ، وليعلموا

ان اعتصامهم بالجنسية اللغوية لا يمتهم من ابتلاع أوربا لهم في يوم من الأيام ،
أما ترجمة أحد علماء الهند القرآن بلسان الأوردو فلم نسمع به ونرجو من قراء
المنار في الهند إعلامنا بالحقيقة

— القسم العمومي —

﴿ نظام الحب والبغض ﴾

- (رسالة في علم النفس وفلسفة الاخلاق للعالم العامل ع . ز .)
- (تمهيد) (١) ان للشرور أسباباً معظمها ناتج من أوهام باطلة . فيجب إحياء
الحقائق وإزهاق الأوهام .
- (٢) ان للأوهام أسباباً معظمها ناشئ من الجهل — البسيط والمركب — فيفرض
تنوير الأذهان بقدر العلم وان كان قليلا .
- (٣) ان للجهل أسباباً معظمها أت من قلة القراءة والكتابة الصحيحتين . فيلزم
النهي في تكثير القراء الذين يفقهون مايكتب — كتابة صحيحة — والكتاب الذين
يعرفون كيف يكتبون
- (٤) ان قلة القراءة والكتابة — الصحيحتين — أسباباً معظمها صادر عن رداءة
أصول التعليم ، فيتعلم الدلالة على الأصول النافعة وتمويد الناس عليها .
- (٥) ان لرداءة أصول التعلم أسباباً جلها من التقايد الأعمى وإهمال التفكير .
- فلا بد من التبصيح والتناصح بالتفكير .
- (٦) ان لتقليد الأعمى أسباباً أكثرها ناتج عن اختلال شئون النفوس في حياها وبغضها
فيتمتعين وصف علاجات تشفي من هذا الاختلال ولو قليلا .

هذه الفرائض المشروحة لا يشك في وجوبها عاقل ولكن من هم المكلفون بها؟
أتم يعلماء النفس مكلفون بهذه الفرائض . ومنذ كلفت نفسي ان تشرف بالدخول
في زمركم طفقت أطالع صفحات كتاب الوجود بين البصيرة وأفيد النتائج في دفتر
الذاكرة . فهذا ماشعني اليوم على أن أشارككم في أعمالكم . ومن أجل هذه
المشاركة حررت فصولا لتأدية بعض هذه الفرائض أكثرتها فيها من التوضيح

وأقلت الفضول وتوخيت أسهل العبارات وأجل الإشارات وراعت فيها فهم الصغير (من حيث القراءة لامن حيث السن) والكبير ، ووهم الجليل والحقير ، وعدلت عن قيل زيد وعيد واستمسكت بما أرسل الله لأبصارنا وبصائرنا من الأمثال .

واليكم يا قراء المنار الزاهر أقدم هديتي هذه (نظام الحب والبغض) بمساعدة منثته العلامة المرشد أعلى الله مناره ، وأيده بغياته ،

قطبان في الانسان عليهما تدور أحوال نفسه هما الحب والبغض . فهل يمكن إدخالهما تحت أحكام نظام ؟ (الجواب)

في هاتين القوتين المتنافرتين تكلم الأنبياء والمرسلون . والحكماء المتبعون ، والعلماء المعلمون ، والشعراء الواصفون . والادباء المحاضرون ؛ وبماتقارب الناس وتبعدوا ؛ وتحاربوا وتحاربوا ، واجتمعوا وتفرقوا ؛ وتعاونوا وتحاذلوا ؛ ومن أجلهما طفوا واعتدلوا ؛ وأنصفوا وجاروا ؛

تكلم اناس كلهم في الحب والبغض ولكن اختلفت الاصطلاحات ؛ وتوعدت المقاصد ؛ واختلفت المشارب ؛ فعددت الاسماء ؛ وكثرت الكلمات ؛ وتوقفت المعارضات والمجادلات ؛

فكلام اناس فيهما الدائر على ما يجب ان يجب وما يجب ان يبغض يلوح ويصرح بأنه من الممكن إدخال هذين المؤثرين تحت حكم « نظام »

وعلى هذا نكون نحن سالمين من الخطأ في تصويرنا عن علم النفس واخلاقيها بنظام الحب والبغض . بل نكون قد أصبنا عبارة هي أوضح من اخواتها في الدلالة على هذا العلم النفيس المفيد .

هذا - أي امكان دخول الحب والبغض تحت نظام - رأي طوائف العالم على اختلافهم ؛ به تشهد الأديان والسقول ، وله تؤيد المشاهدة والتجربة . ولآخرين قليلين رأي آخر هو عدم الامكان

وسرى الذين يخالفون بياناً شافياً في هذا المقال . وسندكر في المواقفون .

- حُبُّ ما هو الحب وما هو البض -

ان حياة الانسان (كسائر الحيوانات) نظاماً عرف بعد وجوده ولم يعرف
 متبداً وجوده . وقد عرف ان هذا النظام شبيه بنظام ملكة كثيرة الاجزاء بعض
 أفرادها مهم جداً خلوصه منه يوجب خللاً كبيراً فيها . وبعضها من قبيل الخدم والأعوان
 لا يوجب خلوصه منه خللاً يذكر . وقد احتاج اناس من قديم الزمان لأجل التعريف
 بمروفتهم الى تسمية الاشياء باسماء يتواضعون عليها . فلما اتى يشيع عرفها بين الناس
 قصير أسماؤها من قبيل مفردات ائمة التي يتكلمون بها بمعنى ان استعمالها العام
 لغناها المشهور يجعل معناها اللغوي المشهور عاماً . وأما التي لا يشيع عرفها إلا بين
 العلماء منهم قصير أسماؤها من قبيل مفردات العلوم التي يداولونها . بمعنى ان استعمالها
 الخاص يجعل معناها المقصود عند العلماء خاصاً . مثاله (١) كلمة « المبتدا » معناها العام
 « الأول » ومعناها الخاص عند علماء النحو الكلمة المستند اليها حكم من الاحكام . ومثاله
 (٢) كلمة « المجاز » معناها العام « الممر » ومعناها الخاص عند علماء البيان العدول في
 كلمة عن معناها الأصلي والجزاء التي يتكون منها نظام الحياة قد سمي كل منها باسم
 وجري على كل منها الاستعمال العام أما مجموع ما به نظام الحياة فسموه القدماء من أهل
 لغتنا « النفس » لكن هذه الكلمة لدلائها عن مدلول عظيم شأنه قد اتخذها العلماء
 لمعنى غير الذي يفقه منها الصامة من الناس . ومن ثمة كانت جديرة ان نقول انها
 « كلمة علمية » بمعنى ان لها معنى خاصاً عند العلماء بخلافها وأحوالها .

« والحب والبض » من هذا القبيل . أي لهما في اعتبار العامة كلمتان من جهة
 ما هو مشهور للمعنى من مفردات لغتهم . وفي اعتبار العلماء - علماء النفس - هما
 كلمتان مدلولاهما تحت النظر والبحث يتساوون فيما ينظم عن تعريفهما .

على انه يجب ان نوضح بأن العلماء من حيث الجملة كثيراً ما يعرفون المروفت
 ويوضحون الواضحات . وكثيراً ما ينتج من كثرة كلياتهم واصطلاحاتهم في توضيح
 الواضحات إبهامات يشغلون بها اذهان القارئ على غير جدوى . هذه حقيقة يجب
 ان لا تغافل عنها . وان لا تغفل ذكرها . وهي تفرض علينا ان لا نقدهم في كل
 أبحاثهم وان لا نشاركونهم في الكلمات التي ابتدعوها في أكثر المواضع التي لا يجب
 توسيع مسافة الفرق بينهم وبين العامة .

ولكن لهذا الأمر مستثبات هي التي تفتح لحسن الظن ببناتهم باباً كبيراً . وهذان الحرفان اللذان نحن بصددهما من مستثبات هذا الأمر . فكلتا نحب ونبض ولكن في الحقيقة ما كل واحدنا يعرف ماهو الحب وماهو البض . ومن ثمة اختلفت تعاريفهما أيضاً بلسان العلم

والتعريف الموافق هو ان الحب اعتقاد خير راجع أو مناسب للنفس المحبة من الجهة المحبوبة (٠) والنبض ضده فهو اعتقاد شر . الى آخر التعريف . وبهذا التعريف يمكننا غاية السهولة ان نعرف العادة ونحب عن هذا السؤال : « لما ذا نحب ونبض » وهذا التعريف الحقيقي هو الذي سهل لنا الحكم بأن دخولهما تحت حكم « نظام » يمكن لأن هذا الاعتقاد قديكون صوابا وقد يكون خطأ شأن كل اعتقاد . فكما أمكن بواسطة العلم ارجاع كثير من الناس عن خطأهم في أشياء كثيرة يمكن ارجاع معتقد الخير والملائمة أو الشر والمباينة في جهة من الجهات عن ذلك الاعتقاد فيما المرء يجب اذا هو يفيض . واذا سلمنا التعسر احياناً لا تهول بالتمسذر . وسيوضح هذا أمثلة كثيرة

حب الذات

وعلى حسب التعريف السابق للحب وضده . وعلى حسب التعامل المتقدم (لما ذا نحب - لما ذا نبض) يظهر ان الانسان لا يجب غيره الا لأجل ذاته فهو بهذا الحب لم يخرج عن حب ذاته الا بحسب الصورة فقط . فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل عليه ؟ وهل محبة الذات أمر نافع أم أمر ضار ؟
نعم ان الانسان لا يجب غيره الا لأجل ذاته . وهذه الحقيقة دقيقة جداً يدركها بعض بالبداهة ولا يدركها البض الا بالإيضاح . ونحن نجعل الكلام ونذكر رؤوس المباحث التي تتعلق بأذيالها . ونشرحها قضية قضية موجزين : (١) الانسان يجب ذاته (٢) حب الذات في أصله طبيعي نافع . « ٣ » ذات غيرنا كذاتنا فلا بد من حد (٠) المثار : اذ ان النفس قسبان فكل واحدنا والاول والحب من الثاني وكذلك البض فالحب شعور وجداني بأمر يلائم النفس لانه خير لها في نظرها والخير هو النافع والليدني وانفع يعرف بانفكره والذى تعرف بالوجدان فهو وجدان الحب . ولول لأخيه أو كإيها

في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود . (٤) إذا تجاوزنا الحدود في حب الذات صار ضاراً . (٥) إذا لم نحب غيرنا لا تقدر ان تهف عند الحدود (٦) إذا لم نحب ذاتنا ، لا تقدر ان نحب غيرنا . (٧) بغض الذات مرض . (٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور . (٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة ، « للكلام بقية »

أنا نكتب القرآن

كتابة القرآن بالحروف الانكليزية

كتب بعض المسلمين في الترنفال الى جريدة في مصر ثلاثة أسئلة لتعرضها على بعض علماء الازهر فعرضها على الشيخ محمد نجيب فأجاب عنها ونشرت الجريدة اجوبته . أحد الاسئلة عن التزوج بأخت الرضيعة وجوابه معروف وهو انه لا يحرم على الرجل الامن رضعت هي وإياه من امرأة وأما أخت الرضيعة فلا تحرم . والسؤال الثاني يتعلق بالاعتداء بالخناف وبيننا الراجح فيه عندنا في آخر الجزء الماضي وأن نفي المسألة قولين مصححين ولكن الشيخ ذكر ان الاصح خلاف ما رجحناه وهو المذكور في كتب الفقه وهم أسرى تلك الكتب .

وأما السؤال المهم فهو ما جعلناه عنواناً لهذه البذرة وقد أجاب عنه الشيخ بهجواب نقله عن تلك الجريدة مع السؤال ثم نين رأينا فيه وهو :

« سؤال - ما قولكم علماء الاسلام ومصايح الظلام أدام الله وجودكم هل يجوز كتابة القرآن الكريم بالحروف الانكليزية والافرنسية مع ان الحروف الانكليزية ناقصة عن الحروف العربية ومعلوم ان القرآن الكريم أنزل على لسان قريش فالانكليزي مثلا اذا أراد ان يكتب مصر بالانكليزية قرأ « مسر » أو أحمد تكتب « أهمد » ويكتب « شيك » بمعنى شيخ لاسيا واخواننا المسلمون في مصر يعرفون اللغة الانكليزية وغيرها والبعض من المسلمين في جنوبي افريقية في جدال عنيف منهم من يجوز ومنهم من يقول غير جائز . أفيدونا ولكم الاجر والثواب من الله تعالى

« جواب — اعلم ان القرآن هو النظم أي اللفظ الدال على المعنى لانه الموصوف بالانزال والاعجاز وغير ذلك من الاوصاف التي لا تكون الا لفظ . وأما المعنى وحده فليس بقرآن حقيقة . وقيل ان القرآن حقيقة هو المعنى ويطلق على اللفظ مجازاً . والحق هو الاول وعينه فلا يجوز قراءة القرآن بغير العربية لقادر عليها وتجوز القراءة والكتابة بغير العربية للماجز عنها بشرط ان لا يخلط اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي النهاية والدرية ان أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب فكانوا يقرأون ما كتب في الصلاة حتى لا نت ألسنتهم . وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه . وفي (الذريعة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية) ما يؤخذ منه حرمة كتابة القرآن بالفارسية الا ان يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته . ويحرم مسه لغير الطاهر اتفاقاً . وفي كتب المالكية ان ما كتب بغير العربية ليس بقرآن بل يعتبر تفسيراً له . وفي الاتقان للسيوطي عن الزركشي انه لم يركب له ان يكتب بالفارسية في كتابة القرآن بانقلم الاعجمي وانه يحمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرأ بالعربية والا قرب المنع كما تحرم قراءته بغير العربية ولقولهم لقل أحد اللسانين والعرب لا تعرف قلماً غير العربي وقد قال تعالى « بلسان عربي مبين »

« نلخص من ذلك ان انتصوص عند الحفية جواز القراءة والكتابة بغير العربية للماجز عنها بالشروط المار ذكرها وان الاحوط ان يكتب بالعربية ثم يكتب تفسير كل حرف وترجمته بغيرها كالانكليزية اهـ

(المار) : عندنا مسألتان إحداهما ترجمة القرآن الى لغة أعجمية أي التعبير عن معانيه بألفاظ أعجمية يفهمها الأعجمي دون العربي وهذه هي التي سألتنا عنها الفاضل الروسي وشرنا السؤال والجواب في هذا الجزء . والثانية كتابة القرآن العربي بحروف غير عربية وهذه هي التي يسأل عنها السائل الترسفالي . وقد رأى القراء أن جواب الجيب عنها مضطرب والتقول التي تقام مضطربة لذلك رأينا أن نقابه ونحرر القول في المسألة تحريراً

المقصود من الكتابة أداء الكلام بالقراءة فإذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها لا تفني غناء الحروف العربية لتقصها كحروف اللغة الانكليزية فلا شك أنه يمتنع كتابة القرآن بها لما فيها من تحريف كله ومن رضي بتغيير كلام القرآن اختياراً فهو كافر. وإذا كان الأعجمي الداخل في الاسلام لا يستقيم لسانه بلنظ محمد فينطق بها (مهمد) وبلنظ خاتم النبيين فيقول (كلم النبيين) فالواجب ان يجرب بتجربتين لسانه حتى يستقيم وإذا كتبنا له أمثال هذه الكلمات بحروف لغته فقرأها كما ذكر فلن يستقيم لسانه طول عمره. ولو أجاز المسلمون هذا للرومان والفرس والقطب والبربر والافرنج وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام لعلمة العجز لكان لنا اليوم أنواع من القرآن كثيرة ولكن كل شعب من المسلمين لا يفهم قرآن الشعب الآخر

وإذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها مما تأدى بها القراءة على وجهها من غير تحريف ولا تبديل كحروف اللغة الفارسية مثلاً ففي المسألة تفصيل والذي نقطع به أن الكتابة بخطها لا تكون إخلالاً بأصل الدين ولا تلعاباً به وإن هو خالف الخط العربي فالفرق بين الخط العربي المعروف والخط الكوفي أبعد من الفرق بين الخطين العربي والفارسي ونرى علماء المذاهب متفقين على هذه الخطوط كلها ولكنهم يتدونها عربية. وإذا قيل إنها مختلفة اختلافاً لا يكفي لتعلم أحدها أن يقرأ الآخر كالكوفي والفارسي: نقول: قصارى ما يدل عليه ذلك أن كل خط جدير بشرطه ولكن عندنا ما يدل على أنه ينبغي الإلتحاق على خط واحد. فهم المسلمون هذا من روح الاسلام فكانوا متحدين في كل عصر على كتابة القرآن بخط واحد يتبع فيه رسم المصحف الإمام لا يتعدى إلا إلى زيادة في التحسين والإتقان. ذلك من آيات حفظ الله له وهو عندي واجب فإن القرآن هو الصلة العامة بين المسلمين. والعروة الوثقى التي يمسك بها جميع المؤمنين. ومن التفريط فيه أن يفد المسلم القاري على مصر قدما من الصين فلا يستطيع القراءة في مصاحفها وكذا يقال في سائر الشعوب. وتصريح كثير من الأئمة بأن خط المصحف توقيفي وأنه لا يجوز التصرف فيه يؤيد مذهبه.

ولتأمل ان يقول: ان في هذا الرأي تشبيهاً على رسم القرآن. ونجرب مرة

الدعوة الى الاسلام . وإنما نرى النصارى قد ترجوا أن أحياهم الى كل لغة ، وكتبوها بكل قلم ، حتى إنهم ترجوا بعضها بلغة البرابرة . فسالوا المسلمين بضيقون ، وغيرهم يتوسعون . ؟ ولنا ان نقول في الجواب : إننا جوزنا ترجمة القرآن لأجل الدعوة عند الحاجة الى ذلك . ولا شك ان الترجمة تكتب باللغة التي هي بها ، ولكن المسلم الذي يقرأ القرآن بالعربية لا يحتاج الى حركاته بحروف أعجمية الا في حالة واحدة وهي تسهيل تعليم العربية على أهل اللسان الأعجمي الذين يدخلون في الاسلام وهم قارئون كاتبون بحروفهم وليس من جنس الحروف العربية

وإذا وجد للاسلام دعاة يعملون بمجد ونظام كالدعاة من النصارى فلمهم ان يصلوا بقواعد الضرورات ككونها تبيح المحظورات وكونها تتقدر بتدريها . فإذا رأوا أنه لا ذريعة الى نشر القرآن واللغة العربية الا بكتابة الكلام العربي بحروف لغة القوم الذين يدعونهم الى الاسلام ويدخلونهم فيه فليكتبوه به ماداموا في حاجة اليه ثم ليجتهدوا في تعليم من يحسن إسلامهم الخط العربي بعد ذلك ليقبوا رابطتهم بسائر المسلمين وكما يستبر هذا القائل بترجمة القوم لكتبهم فليعتبر بحرص الأمم الحية منهم على لغاتهم وخطوطهم . اللغة الانكليزية أكثر اللغات شذوذاً في كلها وخطها ونرى أهلها يحاولون ان يجعلوها لغة جميع العالمين وهم يبنلون في ذلك النية النظمية والاموال الكثيرة فقال لنا لا تعتبر بهذا ؟؟

وفي جواب الشيخ محمد بن محمد بن مباحث ليس من غرضنا الإحفاء فيها ونكتفي بأن نقول إن ما يصح ان ينظر فيه من نقوله هو ما ذكره عن السلف فأمر سلمان أن أريد به انه كتب لهم ترجمة الفاتحة بلغة الفرس فكيف يكون ذلك وسيلة للين ألسنتهم ، وهم لم يتربوا الا بألفهم . وإن أريد به أنه كتبها بالخط الفارسي فالخط الفارسي قريب من العربي ولا دخل له أيضاً بالين الألسنة . والصواب أن الأثر غير صحيح . وأما الحسن البصري الذي ذكره فما هو الحسن التابعي المشهور . وكيف أنه أحد الفرس الخفية ولا حجة في قوله فكيف يحتج بعمله . على ان فيه ما في الذي قبله وهو أن القراءة بالفارسية لا يبين بها اللسان للعربية الا ان يقال كان يقرأ الترجمة حتى تمرن لسانه على العربية . ومما زاد في حجة كلامنا فيها

باب التقریظ

(كتاب البؤساء)

هو أشهر ما كتبه شاعر فرنسا الحكيم . وأديبها العظيم ، « فيكتور هيجو » وهو هو الكتاب الذي رفع به ذكره ، وعلا في عالم المدنية قدره ، حتى صارت فرنسا تفاخر به العالمين . وتختفل لشيخوخته ولوفاته احتفالات لا يعهد مثلها للملوك والسلاطين ، وقد نقلت جميع الأمم الحية هذا الكتاب الى لغاتها وهمّ به بعض المشتغلين بالتعريب فما أطافوه وكأنهم هابوا بلاغته في لغته لانه في الذورة المليها مما كتبت بالفرنسية حتى أقدم عليها محمد حافظ افندي ابراهيم المشهور برسوخ العرق في العربية وآدابها وطول الباع في التقييح والتحرير . والاجادة في المنظوم والمنثور . فشرع فيه وساغ في تعريب الجزء الاول منه اثني عشر شهراً . كما قال في المقدمة — وهو نحو ١٥٠ صفحة . وقد قدّم الكتاب الى الاستاذ الامام . وحكيم الاسلام . فشكر له الاستاذ ذلك بكتاب يبلغ نستفي بنشره عن الكلام في مكانة التعريب من البلاغة : ومجمله من النائدة . ونبدأ بما كتبه حافظ افندي في أول النسخة المطبوعة وهو :

الى الاستاذ الامام

انك موئل البائس . ومرجع اليائس . وهذا الكتاب أيدك الله قد ألمّ بعيش البائسين . وحياة اليائسين — وضعه صاحبه تذكرة لولادة الامور وسناء كتاب البؤساء وجعله يتنا هذه الكلمة الجامعة وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل)

وقد غنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب . وتصرفت فيه بعض التصرف . واختصرت بعض الاختصار . ورأيت أن أرفعه الى مقامك الاسنى . ورأيك الاعلى . لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث — أوها التين باسمك والتشرف بالانتماء اليك — وثانيها ارتياح النفس وسرور اليراع برفع ذلك الكتاب الى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام — وثالثها امتداد الصلة بين الحكمة العربية والحكمة الشرقية باهداء ما وضعه حكيم المغرب الى حكيم المشرق

فايتقدم سيدي الى ثناء بقبوله والله المسؤول أن يحفظه الدنيا والدين . وان يساعدي على اتمام تعريبه لتقارئه . اهـ

فأجابه الأستاذ الإمام : هذا التقريظ وهو :

لو كان بي ان أشكرك لظن بانفت في تحمينه . أو أحمذك لرأي لك فينا ابدعت
في تزيينه . لكن تقلمي مطمع ان يدنو من الوفاء بما يوجه حثك . ويجري في الشكر
الى الغاية مما يطلبه فضلك . لكنك لم تقف بعرفك عندنا . بل عممت به من حوثنا
وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت الى أهل اللغة العربية . عذراء من بنات الحكمة الغربية . سحرت قومها .
وملكت فيهم يومها . ولا تزال تدبه منهم خامداً . وتهز فيهم جامداً . بل لانتك تحيي
من قلوبهم ما ماتته القسوة . وتقوم من نفوسهم ما عوزت فيه الاسوة . حكمة أفاضها
الله على رجل منهم فهدى الى التفاطها رجلاً منا فجردها من ثوبها الغريب . وكساها
حلة من نسج الاديب . وجلاها لتناظر . وجلاها لمطالب . بعد ما صلح من خلقها . وزان
من معارفها . حتى ظهرت بحية الى القلوب . شقة الى مؤاسة البصائر . تهش للفهم وتبش
للحظف الذوق . وتسابق الفكر الى مواطن العلم . فلا يكاد يلحظها الوهم الا وهي من
النفس في مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوق العجز بأعظمهم
عند مبتدأ الطريق . ووصل منهم فريق الى ما يحب من مقصده . ولكنه لم يكن . بأن
يميد الى اللغة العربية ما فندت من أساليبها . ويرد اليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة
التأليف وحسن الصياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه . أما أنت فقد وفيت من
ذلك ما لا غاية لمريد بعده . ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتاسخ
لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طينيات الأرواح فظهرت لك اليوم في صورة
أبدع . ومعنى أنفع . وأملك قد سنت بطريقك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله
بعد ظهور كتابك . ويحياها الزمان الى أبناء ما يستقبل منه . فتكون قد أحسنت الى
الأبناء . كما جات في الصبح مع الآباء . وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من العجمة
سوى ما هو في الاسم . أسماء الأماكن والأشخاص . والأسماء المعاني والأجناس . ومثلي
من يعرف قدر الاحسان اذا عم . ويعني مكان المعروف اذا شمل . ويمثل في رايه
يقول الحكيم العربي :

ولو لي حبت الحسد فرداً
لما أحيت بالحمد افراداً
فلا هضات نبي ولا يارضي
سحائب ليس تشظم البلاداً

فأعجز قلبي عن الشكر لك وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالوفاء
تقول ان الذي وصل سبيلك سر صاحب الكتاب ووقف بك على دقائق من
معانيه اشتراكك معه في البؤس. ونزولك منزله من سوء الحال. وربما كان فيما تقول
شيء من الحقيقة. فان كان البؤس قد هبط على صاحبه تلك الحكمة ثم كان سبباً في
امتيازك من بين المترفين تلك النعمة. سألت الله ان يزيد وفرك من هذا البؤس حتى
يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ وان يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم
والسلام (محمد عبده)

وقد طبع الكتاب بمطبعة التمدن على نفقة صاحب السعادة احمد حشمت باشا
مدير الدقيلية وهي أريحية لا يعرفها أهل العربية في أنفسهم الا ما كان أيام سلطنةهم
وثمن النسخة من الكتاب عشرة قروش أميريه وأجرة البريد قرش واحد وهو
يطلب من ادارة المؤيد ومن مطبعة التمدن بمصر فنبحث أهل العلم والادب على اقتنائه
ونقدمهم بنشر نموذج منه

(إعانة سكة الحديد الحجازية)

تذكر أننا ذاكرنا صاحب الدولة مختار باشا النازي في مسألة إعانة هذه السكة
عند مبدأها فجمعها فقال كان من رأيي ان يفرض على كل مسلم مبلغ قليل في كل سنة
من سني العمل فيكون ذلك مع الموارد الأخرى المخصصة لتفقات السكة ريعاً ثابتاً
مقدراً ويمكن معه تقدير الاعمال ولا ينزل على أحد من الناس. وكانت استحسنات
هذا الرأي وقد ظهروا لنا الآن أن مولانا السلطان لم يكن غافلاً عنه ولكنه أطلق غنان
الإعانة أولاً ليظهر كرم المسلمين في أول نشأة العمل ثم رجع الى هذا الآن فأصدر
أمره بتعيين مبلغ آتاه خمسة قروش على كل مسلم - وأي مسلم يسرع عليه دفع خمسة
قروش في السنة؟ ويسرنا ان مسلمي مصر قد اندفعوا الى تأليف اللجان وجمع
الإعانات ونرجو ان يسبقوا غيرهم في هذا المقصد. وان كره لهم ذلك « انتحاب
السعادة » النظار. فإن كراهتهم لأثر لها في جانب منفعة ولا دفع مضرة » ورضوان
من الله أكبر » ولنعلموا أنهم أكثر مسلمي الارض رخاء وهاهنا وسعة الا ان يكون
في الصين من يفضاهم في ذلك من حيث لا ندري. ثم أنهم قد ذاقوا مرارة صدمهم
عن بيت الله وإقامة القببات في وجوه مردي الحج اليه ولا يدرون ما هو غناب لهم
في المستقبل فلماذا يادروا الى تسهيل سبيل بيت الله وأجرهم على الله وهو لا يضع أجراً للمحسنين

فمن عادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

بوتني الحكمة من بناء ومن يؤمن
الحكمة يهدى أو يضيء خيرا كثيرا
بذكر الأسماء

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى ومنازاة كمنار الطريق)

(مصر - الاحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ - ١٢ يوليو تموز سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة الرابعة عشرة في أنواع الحوارق وضروب التأويل والتعليل)

التنوع السادس كلام الجمادات والحيوانات

قال السبكي : ولا شك فيه وفي كثرته ومنه ما حكى أن ابراهيم ابن أدهم جلس في طريق المقدس تحت شجرة رمان فقال له « يا أبا اسحق أكرهني بأن تأكل مني شيئا » قالت ذلك ثلاثا وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضا فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت في العام مرتين وسميت رمانة العابدين . وقال الشبلي : عقدت ان لا آكل الا من حلال فكنت أدور في البراري فترأيت شجرة تين فددت يدي لاأكل منها فادتني الشجرة « أحفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فاني يهودي » فكففت يدي : هذه حكايات السبكي التي بنى عليها نفي الشك في هذا النوع وان لم تنفق مع أصله وشروطه ولم ترو بطرق صحيحة وأساليب معروفة . واذا صح ان ابن أدهم والشبلي قد قالا ما نقل عنهما في ذلك فلا أقرب أنهما كانا يعيان القول بأسان لحال فحمله بعض الناقبين على لسان المقال حبا في الإغراب او غلوا في تعظيم الصالحين على ان من الصوفية من يقول بأن صفة الحياة سارية في جميع المخلوقات حتى الاحجار والمعادن ويمروون قوله تعالى « وان من شيء الا يسبح بحمده » على ظاهره فيقولون

انه تسبيح حقيقي قولي لاسان حال ودلالة أثر على مؤثر . والقضية ممكنة في ذاتها ولا يبعد ان يكون لكل صنف من المخلوقات حياة تليق به بل هذا هو اللائق بالإبداع الالهي وانتظام العالم ولكن البعيد ان يكون الجماد والنبات . علمين بسائر الشئون وناطقين بجميع اللغات . فيكلمان هذا باسائه . ويفصحان لذلك عن بعض شأنه . وأبعد من هذا البعيد ان لا يكون ذلك الكلام المزعوم سنة عامة بأن يكون خروجاً عن السنن الالهية لتحقيق لاین أدھم شھوته . ولشبهي عزيمته ، ومنل هذه الحارقة مما تقل عن عباد التصاري (كاسبريدون المعجاني) وحكاياتهم فيها شبيهة بحكاياتنا وكل حزب بما لديهم فرحون

النوع السابع إبراء العلال

أشار السبكي في الكلام على هذا النوع الى حكاية الرجل الذي لقيه السري السطفي بعض الجبال يرى الزنى والعميان والمرضى ، والى ماروي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني من انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم باذن الله : فقام ممافى لاعامة به . أقول وقد ذكر الشيخ علي القاري هذه الحكاية مفصلة في كتابه (نزهة الخاطر القادر . في مناقب السيد عبد القادر) وأوردتها في كتاب (الحكمة الشرعية) وفتيت من بعدها بحكاية أخرى لصاحب هذا الكتاب . وامثال هذه الحكايات كثير عن الصالحين جدا ولا شك عندي في ان الكثير منها صحيح لاشبهه فيه . وينقل مثله أيضاً عن رجال الدين المعتقدين من النصاري والوثنيين وقد وقع على يدي شيء من ذلك في بعض الأمراض العادية ، وليس في ذلك شذوذ عن السنن الطبيعية .

ان الوهم يضل في شفاء الأمراض العصبية مالا يفعل العلاج ، ولا يوجد منار لاهم أقوى من اعتقاد المعتقدين بالسلطة الروحانية والقوى الغيبية يؤتاها بعض رجال الدين . ويكفي في توثيق عري هذا الاعتقاد في المستعدين له ما ينقل اليهم بلسان زيد وعمر . وهند ودعد . من الحكايات الغريبة ، والوقائع العجيبة ، واذا رأي أحدهم بعينه واقعة منها أو بعض واقعة أو شبهة على واقعة كأن يرى نلانا الذي كان مريضاً قد شفي بعد رقية رقي بها . أو تيممة علمت عليه . فهناك الجزم بأن كون الشيخ فلان يشفي المرض بالسحر . ويرى العلال بالبركة . من النضاي اليقينية الاولى . لا يتسرب اليه الشك . ولا يحوّم حوله الريب . وان من ينكره فهو مريض الاعتقاد ، أو من أهل الجحود والايحاد ،

عرف هذا الأطباء والعقلاء فاستعانوا بالأيهام على معالجة الأمراض العصبية فنجحوا نجاحاً عظيماً وهم يفتنون في تصوير الوهم بالصور المناسبة لحال المرضى في اعتقادهم بل يخلعون لهم اعتقادات بعض الأشخاص أو يعض الأدوية ويألفون في تعظيم شأنها حتى يشغلوا خيال المريض بها ثم يساطونها على مرضه . وانك لترى حكماً من الحكماء يدعو إلى منزله دجالاً من الدجاجلة الذين يدعون التصرف في الحان والباطلة على العقاريات الذين يحسون الأناسي — يدعو له ليعالج بآيها ماته الدجالية امرأة عنده مصابة بمرض عصبي مما يسميه الأطباء (الهستيريا) بعد أن يعجز عنها الأطباء . ويحب فيها كل دواء . فتشفي برؤية بوزة ، وشم بخوره وسماع رقيقته ، ويعترف له ذلك الحكيم بأنه يفعل بكلماته وعزائمه . ملا يفعل الطبيب بأدوية ومراحمه . أقول إن هذا الحكيم يعتقد بحقيقة هذه الحرافات ، ويدين بأن ذلك الدجال من أهل الحوارق والكرامات ، أم أقول أنه ساط الوهم على الوهم . كما يدفع في الجدل الرأي الفاسد بالدليل الناسد ، وأنه يرى المريض في عصبه كماريض في عقله . ذلك يتأثر بأوهام الدجل . وهذا يقتنع بمخالفات الجدل ؟

الأمراض العصبية التي تعمل فيها الأوهام ضروب مختلفة منها بعض فنون الجنون ومنها مقدماته . ومن المصايين بها من يعتقد بالشیطان يخاطب روح الإنسان ويعتقد بأن لبعض الناس ساطاناً على الشياطين بطريقة صناعية كلبدعة الدمية التي يسمونها (الزار) : وهي منبع المآثم والأوزار ، أو بطريقة روحانية كبركات الشيوخ وورقاهم وعزائهم . وتجد الذين ينتحلون هذا الأمر بسلوك كل من الطارئين يعيشون في مثل هذه البلاد بأكل أموال الناس بالباطل فكثيراً ما يوهمون من يرونه مستهداً لهذه الأمراض من النساء والرجال بأنه مصاب بها وما هو بمصاب فيؤثر قولهم في نفسه فيمرض ويحكمهم في نفسه يعالجونها كيف شاؤوا . بل يحكمهم في حاله ونسرنه أحياناً وكثيراً ما يزيدون الداء إعضالاً بحمقهم وسوء سلوكهم

جاءني جريدة المؤيد وأنا أكتب في هذا النوع فرأيت في رسالة الاسكندرية منها كلاماً في انتشار وباء الزار في تلك المدينة وفعاله في النفوس والأعراض ما لم يفعل الطاعون في الأجسام . وفي الأموال والعروض ما لم يفعل القمار والمدمام . وقد رأيت أن أنقل ما كتب الكاتب بنصه فأفراه تحت عنوان بدعة الزار

﴿ مضار بدعة الزار ﴾

«أصدرت محافظة نهرنا في الأسبوع الماضي أمراً إلى أقسام المدينة بمراقبة النسوة المشتغلات بالزار لأن جمعياتهن كثرت برواج خزعبلاتهن فألحقن بربات البيوت أضراراً أدبية ومادية لا يحسن التغاضي عنها وعهدت المحافظة أمر تجسس هذه المحرمات إلى مشايخ الحارات ظناً منها أنها تستفيد من دقة مراقبتهم وتضرب بواسطة نفوذهم على أيدي أولئك النساء الشريرات

«أما نحن فنقول إن أوامر نظارة الداخلية الصادرة من عشرينين وسيف والمصدق عليها من مجلس علماء الأزهر الشريف واقفائه بحريم استعمال بدعة الزار الشيعة لم تكن في حاجة إلى أوامر جديدة وهمة حديثة ليقال معها إن حكومتنا اليوم التفتت إلى ضرر ثلاثيه ونظارت إلى محرم نلاحقته بعدلها بل يجب أن تصرح بأنها أغضت زمناً واجب مقدس ثم تنهت إلى نظام موضوع من أجله فهت الآن لتلافي الشر ووقاية هاته الميالات وثروتها وآدابها من نتائج الكثرة التي منها الاملاق والجنون والطلاق والمروق عن جادة الاستقامة والمذاب وغير ذلك من الأضرار الظاهرة التي لا تحتاج إلى استطلاع وفلسفة

«أما الاملاق والجنون فيكفي أن نشير اليهما بمحادثة امرأة أشقت على ابنتها المصابة بمرض عصبي (هستيريا) فاجأت إلى الزار فصارت تبذل لمن مطالبين الكثرة من ذهب وطلسم وغم ودجاج حتى احتاجت إلى المسال فباعت كلها الوحيد الذي يستظلون به ويأجأون إليه وكانت النتيجة جنون الفتاة وموت أمها غماً وقهراً لأن ألباب الزار وأوهامه من شأنها أن تثير العواطف وتنبه الاعصاب إلى ما كمن من الداء فيظهر بشدة حينئذ ويصبح على التوالي ملكة لا يرضيها غير هذه الاعمال الخيالية النفسانية فبدلاً من تسكين لأمجبه يزداد شراً على شر ويكون من نتائج الجنون وكفى بالنقر مذهباً للرشاد ومضيقاً للمعقول

«وكم من زوج طاق عرسه لتبذيرها وبذرها طاعته في سبيل هذا الزار الذي استحكم فصار عادة بين النساء وموضع افتخار بعضهن وقليل من العقل والروية يكتفي لبذل الرجل زوجته أن واثت معاندته والعمل على اساءته وهي لا تدري انه البر الرؤف

يراني منها عن الانتماس في حمأة هذه الاوضاع بل تظن به الشح والوسواس والكفر
والسكراهة الى غير ذلك من الظنون السخيمة التي تررعها نساء الزار في رؤوس
لبسيطات من هؤلاء الامهات والفتيات فيقطن على راحتن ومستقباهن اعضاء مبرما
بالتفرقة والحراب وكفى بهذه التساليج المحزنة داعياً الى الفئات الحكومة ومطاردتها
للمشتغلات بهذه الدنيا والرزايا

«أما المروق عن جادة الاستقامة والعفاف فهذا كثير فان تقهر مانات الزار فنونا
وحيلاً ينثر منها ابليس ويستعبد بسلمها مذنب بالله لانها فوق قدرته لوأبناها في هذه
المعالة وقليلها يكفي للإشارة الى سوء الحال وشرب المال

«حكي ان امرأة تشقها سفيه ذنيء فاحتمل للوصول اليها كثيراً حتى لجأ الى ذاء
الزار فلعبن دورهن مع المرأة حتى أترن عليها بأنها مملوسة بروح شريرة مما يهين
عنه (بأن عليها شيخ) وعند ما يمكنها بهذه الخزعبلات ان لها ان شيخك يحب شابا
صفته كذا وكذا الخ الخ . ولا سيد لسكون هذا القادر الا باجتماعهما وما زلن بها
حتى رضيت بالشاب فكان من اجتماعهما ما كان من سكون لواعج النفس بطرد حركة
الشيخين . . . وكثيراً ما يجمع النسوة الشريرات مدبرات الزار الرجال بالنساء
ويمدن سبل الدنيا والموبقات على أشكال وضروب لا يلدق يانها وبذلك تقوض
أسس المحبة الزوجية فتكون العواقب أشد وخامة على الذرية التي لم تبجن ما جناه
الابوان من جهلها وتساهلها

«والغاية من رساتي هذه اني أريد افهام الحكومة ان تكليفها مشايخ الحارات بمراقبة
المشتغلات بالزار ومنازل طلابهن ومريدين لاخير فيه ولا فائدة لانها تفتح لهؤلاء
المشايخ المراقبين باب رزق وسيع فانهم يسمون الآن باحثين منقنين على من يحجي بالي
الزار وأيامه ليستفيدوا أتاوة الصمت والتناضي وهو ربح حسن بفضل الارباح المائدة
هائمهم من الخافر والفضانات وغيرها . . . وبذلك يزيد الزارات اشاراً وضرراً اه بنصه
(المزار) ان مارآه الكاتب في مشايخ الحارات صحيح فانهم قوم لاخلق لهم . وإذا
كان وجهها الناس والذين يظن فيهم العقل والأدب والدين يتخذون للنساء المتحلات
لبدعة الزار الضارة ويستمدون فقهها فماذا عسى يتفكر من مشايخ الحارات وأكثرهم

من التحوت والنفوغا الذين يشترون بالآداب والأعراض ثمنا قليلا ولو جعلت الحكومة ان يدها على ذلك جعلوا ولو قليلا لما خفي عليها شيء ولتيسر لها أن تستحصل هذه البدعة الضارة استقصالا

ومن الصجائب ان الرجال يسمعون بآذاتهم ويقصرون بالنسبهم ويشاهدون بأعينهم مفسد الزار وفكك بالأموال والأعراض وإفساده للأخلاق والمقائد وهم مع ذلك يسمعون لسانهم بعمله وبحضوره فأني شرف وأي فخوة بقي عندهؤلاء الرجال السفهاء الاحلام المنيق الإيادة ؟ والله لو صلح الرجال لمفسد النساء والله ما أفسد النساء الا الرجال فلعن الله من لا غير له ، ولعن الله من لا خيرة له ، ولعن الله من لا شرف له ،

لكل قوم نصيب من الوهم يليق بمحلم واعتقادهم وقد ألمنا الى بعض شأن الذين يعتقدون بالارواح الخيرة والشريرة وأما الماديون والروحيون الذين يعتقدون ان الارواح أمور غيبية لاساطانها الا في أبدانها التي تحيا بها وأن لجميع الامراض أدوية يعرفها من يعرفها ويحبها من يحبها (كما ورد في الحديث) فان للوهم منافذ أخرى النفوس المصابين بالامراض العصبية منهم كالاتقاد ببراعة الأطباء واكتشافاتهم واختراعاتهم ، وبأخبار الذين شفوا بمعالجاتهم ، وان كثيرا من أطباء أوروبا وأمريكا يعالجون امثال هؤلاء المرضى بالادوية الوهمية . حكي ان امرأة منهم أعزل داؤها ، وعز شفاؤها ، فجاء بعض الأطباء الذين كانوا يعالجونها وقال : ان كل تلك الادوية التي كانت تداوى بها من المسكنات وان لم يبق الا علاج سام خطر هو الشافي قطعا ولكن لا يمكنني ان أعطيها منه الا بشروط منها أن لاتزيد عن المقدار الذي أعينه نقطة من السائل ولا مقدار ذرة من الجامد ومنها ان تأخذه في المواقيت المعينة لاتتقدم دقيقة ولا تأخر دقيقة ومنها أن نكتب كتابا ونسجها في الحكمة بأنها لاتبعة علي ولا مطالبة اذا هي ماتت مسمومة لأنني لا آمن من مخالفتها في المواقيت او المقادير : وقد تردد أهل المريضة في قبول الشروط ولكنها هي قبلت بها لان المرض كان متعبا المتنام والراحة فما زالت تلج عليهم حتى قبلوا وكان شفاؤها في ذلك الدواء ، ولم يكن الا الدقيق والسكر والماء .

عرف الناس تأثير قوة الاعتقاد الوهمي فضربوا لها المثل «لو اعتقد أحدكم بحجر لغمه» ويظن بعض العامة ان هذا حديث لأنه مؤد لا معنى العام بمبارة وحيزة وبذلك امتازت الاحاديث النبوية.

ثم ان الجهل بأمور الدين والدنيا ممّا فسرّه لأهل هذا العصر بغير معناه وان شئت قلت بنقيضه فهم يزعمون ان فيا يعتقد — وإن حجراً — تماماً حقيقياً ثابتاً له لا ينفك عنه ، فهم يتسبحون ببعض الاحجار ، ويتعلقون ببعض الاشجار ، ويتبركون بمياه بعض الآبار ، ويعتقدون ان فيها خواص تشفي الامراض ، وتقضي الخواارج والأغراض ، ثم إنهم يلصقون ذلك بالدين ورجالته ، ويعودونه من دلائل صدقه وآياته ، ويفعل أهل كل ملة عن مشاركة أهل الملل الأخرى لهم فيما يدعون ، واستدلّاهم بمثل ما يستدلون ،

كتبنا غير مرة في مفاسد الاعتقاد ببسذه الجمادات والاشجار كعمود الرخام في المسجد الحسيني وباب المتولي وشجرة الخفي ونعل الكلشن وغير ذلك ، ولم ينس قراء المنار بل أهل مصر كلهم ما كان منذ سنتين ونصف في المسجد الحسيني من الجلبة والضوضاء في آخر الدرس الذي كنا نلقيه هناك اذ نهينا الناس عن التمسح بالعمود الذي يسمونه عمود السيد استشفاء به وطلباً للبركات منه فاحتج علينا بعضهم بالمثل الذي جعله الجهل حديثاً نبوياً ولما يئنا لهم معنى المثل وكونه غير حديث وأنه لو كان حديثاً وكان معناه زعموا لكان حجة على نفع عبادة الاصنام قبل ذلك الجماهير وكان في الصفوف البعيدة من حاضري الدرس من لم يفهم القول فطفقوا يتساءلون: ماذا قال في الحديث ماذا قال في الحديث : فاجاب بعض الذين وعوا القول بالصواب ودس بعض المرجفين أقوالاً كانت مثار اللفظ والضوضاء كقولهم انه أنكر حديث رسول الله (بمعنى كذبه) وقولهم انه قال ان سيدنا الحسين سم لا ينجع ولا يضر وأمثال ذلك

أليست هذه الفتن والبدع والعقائد الفاسدة المفسدة للعقول والارواح ناشئة كلها عن الاعتقاد بهذا النوع من الخوارق الوهمية التي دخلت في الدين من تلك الاقوال التي أثبتّها مثل الناج السيكي من غير بينة ولا بيان ، ولا حجة ولا برهان ، الا زعم فلان ودعوى فلان ؟ بلى

هذا وجه من وجوه تعليل ما نقل في هذا النوع وهو مقول مقبول وعليه أكثر العقلاء . وبقي وجه آخر يقول به بعض الناس في بعض الوقائع - ونعني بالناس أهل العلم والبحث - وهو تأثير النفس في النفس ويظهر عنه الصوفية بتأثير الهمة ويشبهونه لغير المساحين حتى الوثنيين وهو ثابت عند حكماء اليونان والعرب وغيرهم وحكي ابن خلدون وقائعه منه .

معمود عند جميع الناس رؤية أشخاص يرفعون قطارا (مصريا) عن الأرض وقل من رأى بعينه أشخاصا يرفعون عدة قناطير فاذا قيل لهؤلاء ان قيصر روسيا السابق كان يأخذ كرتين من الحديد كل منهما عدة قناطير ويقذفهما في الجو واحدة بعد أخرى ثم يلقى كل واحدة بيد قاذفا إياها في الجو ويعيد ذلك المرة بعد المرة زمنا طويلا - يسكر أكثر المعروفين بالعقل والروية هذه الرواية لان في الناس المولع بانكار الغرائب التي لا يمهّد مثلها كما ان منهم المولع بنقل الغرائب التي لا يمهّد لها نظير . ويهّد جميع الناس ان يروا حزينا فتؤثر فيهم حالته حتى يمتعضوا وربما بكى فأبكي ويهّد قليل من الناس من تأثير بعض الوعاظ مانو جل له القلوب وتذرف منه العيون ويحمل كثيرا من الناس على الرجوع عن حال الى حال ، وعلى الخروج من المقار والمال ، وليس هذا تأثير الكلام خاصة وإنما العمدة فيه على تأثير النفس . وقد كان بعض الوعاظ الصالحين يخط فتوب قوم ويكي ناس ويموت آخرون فقليل له ان فلانا أفصح منك في التذكير لسانا ، وأوضح بيانا ، فما بال كلامه لا يؤثر ، ولا يستيب ولا يستمبر ، فقال : ليست النائحة الشكلى كالنائحة المستأجرة : يريد ان التأثير بالخال ، لا بزخرف القول ، - واذا قلت لهؤلاء الناس ان في الناس أفرادا لهم قوة نفسية ، وهمة روحانية ، اذا وجهوها الى نفس أخرى فانها تؤثر فيها التأثير الذي يريدونه متى صح التوجه ينفضون رؤوسهم ويسكر أكثر أهل البحث والروية هذه الرواية . واذا دام أهل العلم في انفرج على بحثهم في الامور الروحية فان هذه المسألة ثبتت عندهم بالتجربة التامة . وكما يكون هذا التأثير في شفاء المرضى يكون في إحداث الامراض ولبعض الناس في كل أمة استعداد قوي له اذا استعملوه زاد قوة وتأثيراً

﴿شبهات النصارى وجميع المسلمين﴾

(نخبة الكلام في الشبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعارض أن ما في سورة المؤمن من أن موسى أرسل إلى فرعون وهامان وقارون يدل على أن قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص « أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »

وتقول في الجواب أن كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا أنه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فقتل عن ابن عباس وغيره أنه كان ابن خالته وقيل غير ذلك مما لا ينبغي ولم يفهم أحد من العرب ولا من بعدهم من أهل اللغة ما فهم هذا النص في آخر الزمان قال تعالى في سورة القصص أن رجلاً اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاعياً بطراً بماله فبغى على قومه بني إسرائيل فأندروه عاقبة البغي ونصحوا له بأن يقتني بالله الدار الآخرة إلى ما يتبع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاعياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب . وقال في سورة المؤمن أنه أرسل موسى إلى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين إلى أن قارون هذا كان مصرياً وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض إلى أنه قارون الإسرائيلي وإلكنه ذكره مع فرعون ووزير هامان لأنه كان رئيساً باغياً مثلهما وهؤلاء الرؤساء الطغاة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإلما أرسل الله تعالى موسى لهداية بني إسرائيل كما علم من النص ومن الواقع . ولما كان بنو إسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتداء موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإلتيانهم الشريعة

لأدليل بل لا شبهة على التساقط في قول من القولين - أي مانع يمنع أن يكون هناك قارونان في زمن واحد أو زمنين مختلفين فإن قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصح له أو دعاه إلى شيء بل جاء فيها أن قومه هم الذين نصحوا له « إذ قال له قومه لا تفرح » إلى آخر الآيات فيجوز بل يقرب أنه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع أن يتخذ فرعون لنفسه رجلاً إسرائيلياً باغياً فسق عن عقائده قومه وصار

لأبيه إلا بيع مصالحهم بما ينفع شخصه وبجمله عوناً له على الأسريثيين وبحكمه فيهم لأنه أعلم بدخائهم. وأدري بمقتاتهم. أليس من المهود في كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواماً غير قومهم بأفراد من أولئك الأذرام يبيعون مصالح قومهم لأحكام الأجانب بالسال والجاه لأشخاصهم فلماذا يستنكر أن يضطلع فرعون لنفسه طامعاً من الأسريثيين يكون واسطاً بينهم وبينهم فيما يريد من ضرور الاستبداد والاستعباد؟ ثم إذا فرضنا أنه لم يكن عاملاً فرعون ولا واسطاً له وإنما كان أغني في إسرائيل وأقوامهم ساطناً وأخذهم شوكة كابتدأ به سورة القصص أفليس هذا مسوغاً لذكره مع فرعون وهامان وقداستين بينهما. وجري على طريقتهما؟ بل وليكن الذي يتناقض في القرآن، لا يظفر إلا بمثل هذا الخذلان.

(الشاهد الخامس) زعم أن قوله تعالى في موسى «فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اتلوا آيات الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم» يناقض قوله تعالى «أذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أذنيه في الثابوت فأذنيه في اليم» فإن هذا التذنب لم يكن إلا هروباً من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الأطفال قبل بعثته.

ونقول في الجواب أولاً أن هذه الآية لم تعال بهذا التعليل وإنما ذكرت غائراً المقصودة منها بل هي وهي قوله تعالى «يأخذهم عدو لي وعدو له» أي أن الغاية من قذفه في اليم أن يأخذ فرعون ويربسه فيكون من أمره بعد ذلك ما يكون. وثانياً أن الأمر بقتل الأبناء أولاً لا ينافي إعادته ثانياً لأجل التأكيد والتشديد عند وجود مقتضي.

ومثال هذا حاضر بين أيدينا - نظار الحكومة المصرية كانوا هموا بجميع المستخدمين في الحكومة أن يحرموا ماله إلا عناته - كة لحديد الحجازية وأيساء عدو الجاهلين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا النهي لأن مناسبة توجه الناس إلى الأمانة بمدمار الساطن بمطالبة الناس من كافة أمانة اختيارية أقالها خمسة قروش على الشخص وأكثرها غير محدود. وقد

ذكرت الخرافة ذلك فهل يقدح في أن النهي الثاني يناقض النهي الأول؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتل أبناء بني إسرائيل ليقبل نسائهم فلما ظهر موسى ودعاه إلى اتباعه وإلى إرسال بني إسرائيل معه أكد الأمر الأول وأعاد الأمر بما هو أشد منه وهو أن يقتل الأبناء جهوراً. هذا الأمر - وانقضى لذلك لا يناقضه فإن تناقضاً أن تكون إحدى التفتين موجبة

والأخرى سالبة كقول يوحنا في الفصل الخامس من أنجيله حكاية عن المسيح عليه السلام «٣١ أن كنت أشهد نفسي فليست شهادتي حقاً» مع قوله في الفصل ذاته

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لثقتي فشهداتي حق » أرأيت أيها القارئ المتصف لو كان يوجد في القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء المجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الأمر بمعنى الأمر تناقضا ويسمون اختلاف النقيضين في الإيجاب والسلب توافقا يدل على الألوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعارض ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والناصري والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فاهم أجبرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » مناقضان لقوله تعالى « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فان يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها الذي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان اتهموا فاعادوا ولا على الظالمين »

ونقول في الجواب ان المعارض بعض المذخر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وان كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالعربية (الشيخ ابراهيم اليازجي) فان هؤلاء يخلطون في كتاب الله لمعارضوا لا يفهموا ولوا تفهموا لفهموا على ان منهم من يفهم ويكابر نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يمتد.

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين في فهم بعضها وجهان فأما الآية الاولى فعنها ان كل أمة من الأمم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد ايمانها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن الناجين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يمارض كون الدين اختياريا لا إكراه فيه ولا الزام ولا يمارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بتال الطائفة الباغية حتى تفي الى أمر الله وأما الآية الثانية فعنها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد في الايمان من الغي في الكفر

وأما الآية الثالثة فعنها ان الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يضل الله تعالى ديناً غير ذلك في الآخرة ولم يكن معنى من الاسلام الذي دعي اليه الناس في القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مساعدين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والتصيرية وانما معناه الدين الذي روحه اسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادات والطاعة كما قال « فقات أسلمت وجهي لله ومن

اتبعني » وقال « أياكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وقال « ووصى به إبراهيم بنه
ويقوب يابني » أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فعلم من هذه الآيات وأما
لها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من
قبل ابراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لم يمت ذكرهم ولم يقطع التوحيد
من ذريته . وهذا المعنى مطابق لمعنى الآية الاولى . مطابقة تامة .

وأما الآية الرابعة الآمرة بمجاهد الكفار والمنافقين فليس فيها كلمة توجي إلى ان الجهاد
لاجل الإكراه على الدين وكيف والمنافقون كانوا تنبسين بالدين في الظاهر وكان النبي يعلمهم
معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى الحاجة البرهان
فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذلك الجهد في مقاومة شيء . ولذلك أمرنا بمجاهد
أنفسنا في بذل الجهد في مقاومة شهواتها . ويصح ان يكون الامر بمجاهد الكافرين والمنافقين معا
بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية نزلت في مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع
اليهود والمنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها هدد الله المنافقين بقوله
« لكن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجئون في المدينة لغربك بهم ثم
لأجباورونك فيها الا قليلا »

ثم ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأبين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم
في أنفسهم وأهلهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة والآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات
نزول الآية السيف وهي قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون (بفتح الاء) بأنهم ظلموا » (بضم الظاء) وإن
الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع
الله الناس بعضهم بعضا لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولا ينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين ان كنناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأمروا بال معروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور . » ولا تنس قوله تعالى
« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تتمدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
لله » فهي مطابقة لهذه الآيات والمعنى الذي قلناه في حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا
هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتونكم عن دينكم ليردوكم الى دينهم ان

استطاعوا حتى تزول هذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصاً لله لا يكره عليه أحد ولا يفتن عنه أحد أي ليتفي الاكرام بالانزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمانة لتظهر الحجة وهذا هو معنى الآيات لا يقبل تأويلاً وهي ملتزمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم الماترض ان قوله تعالى «حكاية عن المسيح» والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً» مناقض لقوله «وما قلوبهم وما سمعوه» - الى قوله «بل رفعه الله اليه» والجواب ان الله تعالى ذكر في آية أخرى ان الرفع يكون بعد الموت وهي قوله «يا عيسى إني متوفيك ورافقتك الي» ففي القتل والصاب لا يستلزم نفي الموت بل يجري عرف اللفة على ان لا يبر بلوفاة والموت عن القتل والصاب بل ممن يموت حتف أنفه . وهذا وما قبله تبين ان شواهد الماترض على تعارض القرآن وتناقضه ظاهرة البطلان ويعد ان يكون مثل ذلك المؤلف (الانكليزي) والمصحح (الشامي) والناتل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وانما هم سيئوا التصديحيون ان يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام النسيوية الى ذلك الدين الذي يضم الشاكن والملاحدين ، ويؤلف منهم عصية لمقاومة المسلمين ،

القسم العمومي

﴿نظام الحب والبغض - تابع ويتبع﴾

(١) الإنسان يحب ذاته - قضية يؤيدها الحس وبها تامل كل اعماله وكل محبته ومن محبته لذاته تحمله الأتاعب العظيمة والآلام الشديدة في العاجل لأمله ان تبقى ذاته وتنال خيراً في الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع - هذه الحبة تنحاق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف النافع والضار ، والدليل على ذلك انه منذ يبدأ ان يعرف النافع والضار من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضته قبل سواها . وهل يقدر أحدان يعال محبة الطفل لمرضته ذوي غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشيء الطبيعي أمر غير محبة الإنسان ذاته بحسب الحيلة؟ ولا ريب في ان هذا

الذي الطبيعي نافع لازم . أما كونه لازماً فقد يدلنا عليه كونه طبيعياً لأنه من المحرب عند قراء سنن الوجود ان الشيء متى كان وجوده لازماً من اللوازم العامة كان طبيعياً وأما كونه نافعاً فلأنه الأساس الأعظم في حفظ الشخص وبقاء النوع . وستأتون على تفصيل هذا الاجال مرات كثيرة . ومن المحرب المحقق ان محبة المرء ذاته تمه فيهِ على التدريج منذ طفولته الى ان تكمل رجولته . ونفعها ينمو على هذا الوجه وأعظم آثارها شيان طبيعيان متضادان تنشأ عنهما آثار متضادة أيضاً . هما شهوة تجذب ، وغضب يدفع .

(٣) ذات غيرنا كذاتنا ، فلا بد من حد في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود - قل أن نجد قضية مستغنية في ذاتها عن قيود وشروط فقولنا « محبة الذات نافعة » قضية لاتسلم من الجرح الا اذا ساعدناها بشرط وقيدناها بقيد . وهذا الشرط مشروح بكلمة « ذات غيرنا كذاتنا » وتوضيحه اننا اذا لم نضع لذاتنا حدا لايضع غيرنا لذاته حدا . فما نطلبه لذاتنا يطلبه غيرنا لذاته . ويظهر من هذا ان محبة الذات لاتكون نافعة الا اذا كانت تابعة لنظام وواقفة عند حد . وينتج ذلك ما ترى :

(٤) اذا تجاوزنا الحدود في حب الذات صار ضاراً . كيف لا وجميع مانسبها ضروراً انما منشأها مجاوزة الحدود في محبة الذات لأنه لامعنى للشر الا الاعتداء على الحقوق . وهل هذا الاعتداء شيء غير مجاوزة الحدود ؟ ولا فرق بين ان تكون أنت المستدي على غيرك لأجل ذاتك . وان تكون يستدي عليك غيرك لأجل ذاته فالأول شر لانك لاتسلم فيه من جزء ما وقد يكون الجزاء طبيعياً كجزء الشره . والثاني شر لانك قتدت حقك لأجل شره غيرك فيه .

الصناعة بديهة كاملة اتفقها حكميم عالم قد جعل لكل شيء سنة ، ناموساً ، طبيعة خاصة . نظاماً (قل ماشئت ان تقول وسم ماأردت ان تسعي ، لاتناقش باحثاً في لفظ يؤدي الى معنى يؤديه لفظك أو قريباً منه) منزع مايتبقي لنفس بما تنفر منه ، وعامها السبل في الوصول الى المبتغى ، وجعل للسبل حدوداً عن يمين وشمال . فمن تعدى الحدود . فانه المقصود . وربما وقع في المكروه . ومن لم يتعدها فاز ونجا . وتم له الرضى . « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

(٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر أن نقف عند الحدود . - اذا كان لكل داء دواء فلا علاج لداء الشرور الا « محبة الناس محبة تابعة لنظام . وهذا العلاج لايتخلف نفعه

أي انه متى استعمل ينفع . فحين نستطيع ان نقول ان هذا العلاج يستأصل الداء لمن استعمله ولكن لا نستطيع ان نقول إنه يعم استعماله وتستأصل الشرور كلها . وليس هذا مستحيلا عقلا ولكن التجربة تجعلنا لانطمع فيه على انسا اذا لم نرج ان تستأصل الشرور نرجو ان نخف ونجتهد في ان نعلم الناس محبة الناس . كذلك كان الناس من قبل فهدى العلم بعضاً بعضاً ، كما أضل الجهل بعضاً بعضاً ، ولا يزال العلم يجاهد الجهل الى ان يصره الملك القدوس السلام ، على أيدي رجاله الاعلام ،

٦٥ « اذا لم نحب ذاتنا لا نقدر ان نحب غيرنا - من لطف العناية الأزلية ان كان استعمال هذا العلاج سهلا اذ ثبت في الفطرة ان من لوازم محبة الذات محبة الغير . فلا جناح علينا أن كان حب غيرنا لأجل ذاتنا لأن هذا هو العلاج في محبة الغير وهذا الثاني هو العلاج في تخفيف داء الشرور . ولكن الجناح علينا اذا لم تتبع نظاما في محبة الذات ومحبة الغير . وهنالك الشر .

٦٧ « بغض الذات مرض . - يظهر مما تقدم ان محبة الذات تفعين أحدهما يرجع الى الذات والآخر يرجع الى الغير . وينتج ان لبغض الذات ضررين أحدهما للذات والآخر للغير . واذا ثبت هذا فلا شك في ان بغض الذات مرض مشوه للفطرة السليمة . وشأن لصاحبه يؤديه الى نوع ردي من أنواع الرذائل وانهم كير من الآثام التي يناقش عليها المجتمع .

مبغض ذاته بالطبع يبغض غيره ، وتكثر حيرته ، يعترض على الصانع الحكيم في صنعه . وعلى الانسان العليم في علمه ، عاطل معطل ، طائش مطيش ، غر مغرر ، مخبول مخبل ، نائم على الأحياء ، متأفف من الحياة ، جان على الاجتماع ، قليل الرغبة ، قليل الرهبة ، قليل الحياء ، قليل المروءة . قليل الغيرة . عديم الهمة . عديم النشاط ، عديم الفلاح ، عديم السعادة . . وان شئت ان تعرف مبغضي ذواتهم فأولئك هم مخالفو الفطرة التي فطرت عليها النفوس ، وأذعن لحكمتها العقول . أقول هذا ولا أزيدكم شرحا لقدحوا زند ذكائكم ، وتعلموا من أشرنا اليهم بصفاتهم متى رأيتموها في انسان . وزيدوا عليهم طوائف المستعبدین

هذا وقد نسأل ويقال لنا: لماذا نرى بعض الحكماء قد يوصون ببغض الذات .

ويأمرون بمبادلة الذات المشروعة وإظهار الآلام ؟ فالجواب :

(٨) قد يكون هذا المرض نافماً اذا سلمت به النفوس من الشرور كما اذا كان اسهوا لا يملك ان يتزوج ويريد ان يستعمل قوة باهه في غير ما خاف لآجله كوطء بيممة أو دبر أو استمناء بيد أو تسلط على عرض فيه حق الغير يؤمر في هذه الحالات ان يجوع نفسه لتضعف قوة باهه فان فسدت تجوع نفسه ببغض ذاته وسميت ههنا البغض المتعمد لحكمة صرنا قلنا ان هذا المرض لمثل هذه النفس نافع * وربما هتت الأجساد بالعلل * وان سميت هذا التجوع حية أو علاجاً فلا اشكال . وكما اذا كان يكثر التقود الكثيرة لا يتاجر بها ولا ينفق منها على نفسه يؤمر ان ينفقها على غيره ولو انتقر لان حاله قبل الاتفاق على غيره هي عين حال الفقراء فالفقير بعد الاتفاق قد تسلم به نفسه من شر عظيم مؤلف من الجهل وبغض الغير وهو كثر تلك الحجارة التي لا معنى لها الا المبادلة وتسهيل معاملات الناس . وكما اذا كان كثير الاعتداء على النفوس يقتلها ويؤذيها يؤمر بالتوبة وتسليم النفس للقصاص . وهل من معنى لتسليم النفس للقصاص غير بغض الذات ؟ وليس يرتاب أحد بان من كان كثير الاعتداء على النفوس اذا مرض ببغض الذات الى درجة يسلم بها نفسه للقصاص كان مرضه نافماً له ولغيره . وأمثلة هذا كثيرة قدسوا على ما ذكرتم ما يظهر لكم .

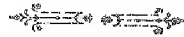
(تنبيه مهم) اذا قلنا : ان الله أحب الينا من أنفسنا يجب علينا ان نفهم معنى هذا الكلام حتى نكون على بينة وصدق عما نقول والا كان كلاماً يراد به تركية النفس بمجرد إيراد حروفه . وسيأتي نحو من تفسير هذا الكلام أو تفسيره ولكن أحببت ههنا ان أبادر الى كلمة واحدة من تفسيره قد نفني الاذكاء . وما هذه المبادرة لا لان هذه الكلمة من علائق الصدق : ان معنى محبة الله اتباع الحدود ودور رعاية حقوق الغير وبذل وسع النفس في هذا الشأن وكل فروعه . وليس من بغض الذات تجريحها الصبر في هذه السبيل الحميدة الباقية بها أسنى المقامات وأسمى السعادات . بل هو من محبتها فاذا أحببت مملكتك أكثر من محبتك لنفسك لا تكون أبغضت ذاتك بل أحببتها حباً جملاً تحب كل ما رقيها ويصاح شأنها حباً شديداً .

(٩) في كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سامم كانت السعادة . هذه المسئلة

كنتيجة لما تقدم وكفاية لما يأتي لأن كل علوم الناس وأعمالهم وأقوالهم مقصود بها تحصيل السعادة التي هي فائدة هذه الحياة عند الفاتنين بوجود السعادة. وعلم النفس في انفرادها واجتماعها هو السلم الوحيد الذي يهدي الحائر في هذه الماهية. وعندنا ان السعادة موجودة ممكن تحصيلها ومن السعادة اعتقاد وجودها وهذا المبحث المهم يحتاج فضل بيان أما ههنا فاكفي بتقرير هذه القاعدة لتحفظ في الذهن وتوجه النفس الى شرحها وهي : « متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة » لان سعادة النفس في أحوال ثلاث - تصورها وطلبها وفوزها - فتي كان التصور صافيا سليما قويًا التذنت النفس وانيمت للطالب ومتى كان الطلب مشروعًا نظاميًا التذنت النفس وأشرفت على الفوز فان فازت فذاك هو وان لم تفز فسعادتها انما لم تقصر في الطلب على ان الطلب في نفسه لذيق وفي الاكثر يفيد فائدة ما يجب تبتيه النفس اذا جدت ومبتت.

وقل من جد في أمر يحاوله ولازم الصبر الآفاق بالظفر

هذا والفكر السليم هو الذي يميز بين الخير والشر والرفع والضرر. (ع. ز).



هو تحريم الخنزير ونجاسة الكلب

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أتيت بهذه المقالة راجيا نشرها في مجلتكم الفراء حتى تتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفي تحريمها لحم الخنزير معتمدا فبا أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لا يبقى عند أحد ريب في صحة ما أتت به هذه الشريعة الفراء والعمل بموجبها فانها أحكم من أن تضع حكما عبثا وأجل من أن تسن قانونا لافائدة للناس فيه ومهما خفي سببه في بادئ الأمر فلا بد أن تحبلى فائدته عاجلا أو آجلا فأقول :

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجملها ثلاثة قبل أن أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يفسر على أحد فهم ما أقول .

(الاول ومقدمته) قد يو جد في أمعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل ان يخلو منها أحد

ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها مضر وعظيم ومنها مضر وحقيق ومن هذه الأنواع ما يسمى بالديدان الشريطية . أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لأن لها صلة بموضوعنا وأشير الى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تنينا سولام) وهي كلمة يونانية ومعناها الشريط الواحد منها الواضع بهذا الاسم لظنه انه لا يوجد منها في الامعاء الا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحيانا اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام الى عشرة وهي مقسمة الى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الاقسام الخلفية توجد أعضاء التناسل فتجد ان كل قسم منها فيه أعضاء الذكر والانثى فإذا تمت هذه الاعضاء وظيفتها وتكونت البويضات في داخل الرحم امتحت الاعضاء الا الرحم فبقى البويضات محفوظة فيه فإذا سقطت هذه الاقسام المشتملة على البويضات من دبر الانسان وقت التخلي كما يحصل كثيرا من كان مصابا بها ووصات هذه البويضات الى معدة الخنزير أثناء تقممه القاذورات وأكلها ذاب قشرها بواسطة المصير المعدي وخرجت الاجنة فتقرب النشاء المخاطي للمعدة وتصل الى أوعية الدم الذي يحماها الى المضلات وغيرها وهناك تنتقل الى طور جديد تصل به الى تمام نموها وهذا الطور هو ان تكون هذه الاجنة حويصلات صغيرة واحدة قدر حجم الحبة في داخل اللحم وبعد ذلك يبرز في داخل هذه الحويصلات هنتا مخروطية الشكل كل هنة منها رأس لدودة جديدة فإذا أكل انسان هذا اللحم خرجت هذه الروس من حويصلاتها وعلقت بالنشاء المخاطي للامعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة تامة النمو وتسبب من وجودها في الامعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها منصف أو اسهال أو قيء وربما صار نفسه كربه الرائحة ويصاب بالإقيها (فقد شهوة الطعام) أو انهم الشديد وتديصاب بالآلام في رأسه أو دوار أو اغما ويثعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أذكاره وأحيانا تنابه نوبات صرعية وتشنجات عصبية قوية. وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الاقسام تديتلف وهو في الامعاء فيخرج البويضات مع البراز فإذا أصابت ملابس أو يده أو غير ذلك ووصات الى معدته أتناأكله أذاب المصير المعدي تشورها وخرجت الاجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه في الخنزير فتكون الحويصلات المذكورة سابقا في أعضائه، وكثيرا ما تصيب عنه قتلها

أو بعض أجزاء مخه ففسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل في بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن إصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى فتعمل فيها ماعملته في العين والمخ ويصير الإنسان منبعاً لعدوى غيره فإذا صانح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ما عملته في الأول . وكثيراً ما يتخلى أهل الأرياف وغيرهم في المزارع أو في مياه الشرب فتقتل بسبب ذلك الحويصلات الى أناس كثيرين ولولا الخنزير لما أصاب الإنسان شيء من ذلك فانهما لا توجد في حيوان يؤكل سوى الخنزير وقد توجد في الكلب أيضاً والقرد

واعلم أنه لا توجد دودة تتم طور الحويصلات في الإنسان سوى هذه وأخرى نذكرها فيما بعد وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٦٠ ستجrad نحو نصف ساعة على الأقل اذ كانت توجد في داخل لحم الخنزير وهو موصل ردي للحرارة فإذا غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته ١٠٠ فلا تصير درجة ما في داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ الا بعد زمن ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصير ١٠٠ ولهذا نجد أن كثيراً من الأوروبيين صابوناً وذلك لصعوبة قتلها بالحرارة وكما ازداد الانضاج للثقة يقتلها عسر هضم اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان اختيار أخف الضررين هو الواجب عند الاحتياج الى ارتكاب أحدهما ولا يتخلو لحم من مضار وجب ان نختار ما هو أخف أذى . قلت ذلك لان الحيوانات الاخرى لما كولة كالضأن أو غيره لا تتخلو من ديدان أخرى شريطية كالسابقه من ذلك دودة (تينا ساجينا) التي توجد حويصلاتها في البهايم التي تؤكل ولكن هناك فرقاً بين هذه وتلك لأن الحويصلات في هذه اذا وصلت الى معدة الإنسان وتكونت منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الإنسان البويضات ثانياً ان تكون طور الحويصلات فيه مطلقاً . لأنه لا يعمل ذلك الادودة الخنزير وبذلك يكون الإنسان مطمئناً على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسة ولا يكون منبعاً لعدوى غيره وذلك لأن هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الإنسان حتى تتم طور الحويصلات فيه وبعد ذلك تنتقل منه الى الإنسان فتكون في امعائه الدودة التامة البالغة النمو وفي الحقيقة ان أعظم الاخطار هو تكون الحويصلات في أعضاء الإنسان الرئيسة وأما

في الامعاء فربما لا ينشأ عنه شيء مضر به وإذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالتقي والاسهال والصداع فإزالة الدودة بكثير من الادوية سهل جدا ولكن ازلتها وهي في طور الحويصلات من الملح وغيره عسير بل مستحيل، وبإيت هذا هو ضرر الخنزير الوحيد بل هناك مضار أخرى فاسمع الغرائب الآتية

(الثاني) كثيرا ما يأكل الخنزير الفيران الميتة التي كثيرا ما تكون عضلاتها محلا لأجنة دودة تسمى (تريكيئا اسبارالس) أي الشجرة الحلزونية لانها دقيقة جدا وملتوية على شكل حلزوني فاذا وصل هذا اللحم الى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلافها ففكر وبعد ذلك تزوج ذكورها وإناثها فلد ديدانا صغيرة كثيرة وهذه تقب أغشية الامعاء المخاطية وتصل الى عضلات الخنزير فاذا أكلها انسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ لحرارة كافية لا ماتت في أمعائه الى ان تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصا عضلات التنفس وكذلك القلب وحينئذ يصاب بمرض شديد فترتفع حرارته ويكثر اسهال وقئ وتلبس جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها وبصير لها مؤلما فلا يمكن ان يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصعب عليه أن يتنفس لالتهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه وحركات تنفسه بطيئة جدا حتى يموت. وهذه الاعراض لا يمكن علاجها مطلقا إذ لا يمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحضرها فيها. وهذا المرض كثيرا ما يحصل في البلاد الأوروبية بسبب أكل هذا اللحم المشتموم ولا ينسب عنه أكل لحم سواء كان ضأن وغيره لانها لا تأكل الفيران الميتة الا اذا ألت في غذائها أو وقع فيه بالافتاق وأكلته بالتبع له فحينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جدا والنادر لاحكم له بخلاف الخنزير فان حبه للفيران الميتة يوقه في ذلك صرارا عديدة ولعل هذا السبب أيضا هو أحد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لانها عرضة للإصابة بهذا المرض كثيرا

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضما بإتفاق وذلك لان أليافه العضلية محاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المدي فلا تسهل عليه هضم المواد انزلاية للعضلات فتقب المدة ويصر الهضم ويحس الانسان بقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الأكل التي والتهييجت الأمعاء وانطلق البطن بالاسهال فن لم يتمود أكله تعب منه

كثيراً ومن تموده وكان قوي المعدة كان الاولى له صرف قوتها في الاغذية الجيدة
الثامنة وان لم يكن قوي المعدة ناله من شر هذا اللحم ما يستحق
والخلاصة ان من ابتعد عن أكله آمن من الاصابة بالدودة الوحيدة أو حويصلاتها
ولم يكون سبباً في عدوى غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعر الحلزونية الذي
ربما فاق الحلي التيفودية فانه من اصابه لا يرجى شفاؤه ولا بد من موته وحفظ معدته
من التلب وعسر الهضم وأسباب التقي والاسهال وضمف تغذية الجسم الى غير ذلك
من المضار التي سبق شرحها . أما اللحوم الاخرى فانها أسهل هضماً ولا يتسبب
عنه عادة مرض الشعر الحلزونية ولا حويصلات في أعضائه الرئيسة يتلفها وان نشأ عنه
دودة شريطية فعلاجها سهل ولا تحدث أعراضاً مهمة . فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين
يجب ان نقول : لا تأكلوا لحم الخنزير فانه رجس وكلوا غيره مما أيسر شعراً :

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسم معاً فأتى بما ينفعنا
في دنيانا وآخرتنا وأفسنا وأبداننا ولم يترك ضاراً لأحدهما الا ونه عليه تصريحاً أو
إجمالاً على حسب شيوعه وعدمه بين الناس فلو ترك التكلم في المأكولات ونحوها لما
كان مرشداً للانام في جميع أحوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلاً لاضى
زمن طويل حتى يتهدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتدت
اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلاً ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا
الخاصة فقط ويمضي الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على
ترك ما اعتادته وعهدت اللذة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة به تخضع له
في أقرب وقت تخضع له العامة كما تحترمه الخاصة ويصل في نفوس الجميع ما لا يعمل
قول الخطباء ولا نصيح النصحاء ولذلك تجدان شرب الخمر في أوروبا شائع بين سائر
الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لا يمتنعون عنه لا بقول خطيب ولا بقول عالم فكيف
خطيب الخطباء ونصيح العلماء ولكن أين من يسمع . فلو لم يكن للدين التأثير الاقوى
في أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب في الشرب وسبقوهم في تربية الخنزير وأكله ولولا أنهم
أخذوا يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل خنزير الا نادراً وما سمعت بمرض
نما ينشأ عنهما فيهم . فأي انسان يمكنه الآن ان يترض على الدين ويقول «ماله يتكلم في
المأكول والمشروب» وفاته انه لم يأت الا لاصلاح النام في كل ما يمكن اصلاحه فلم
يتكلم في العقائد فقط بل في المعاملات أيضاً وكما أمر باصلاح القلب وطهارته أمر بحفظ

صحة الجسم ونظامه فأنعم به من دين جمع فأوعى وأحكم به من صراط سوي مستقيم
 بني علينا أن تسلكم في نجاسة الكلب : لأقول ان السبب في ذلك هو انه عرضة
 للإصابة بداء للكلب فان هذا الداء لا يصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرّة
 والبقرة والحصان وغيرها وهى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فانه متى أصيب
 به شلّ سريماً عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه في هذه الحالة لا يهدي بل لا بد
 من العض ودخول لعابه في جلد الانسان فلماذا يعتبر الكلب نجساً في جميع أحواله
 ولا تعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب في ذلك ما يأتي : في أمعاء أكثر الكلاب
 دودة شريطية صغيرة جداً طولها ٤ مليمترات تسمى (تينيا ايكينو كوكس) فاذا
 رأت الكلب خرجت البويضات بكثرة في الروث فيلصق كثير منها بالشعر الذي بالقرب
 من دبره فاذا أراد الكلب أن ينظف نفسه بلسانه كما هي عادته تلوث لسانه وفيه بها
 وانتشرت في بقية شعره بواسطة لسانه أو غيره وهذا ما يحصل في كل نوبة وبشكراره
 يصير جميع سطح جسمه ملوثاً بهذه البويضات كما شوهد ذلك بالنظارات المكبرة

فاذا ولغ الكلب في إماء أو شرب ماء أو قبله انسان كما يفعل الأفرنج أو لمس جسمه
 بيده أو بلباسه عقلت بعض هذه البويضات بتلك الأشياء وسوها الى فيه أثناء
 أكله أو شربه فتصل الى معدته وتخرج منها الاجنة فتنبثق جذير المعدة وتصل الى
 أوعية الدم فتصل الى أعضاء الجسم الرئيسية وغيرها وهناك تتم طور الحويصلات ولكن
 هذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياسا وهي تصيب الكبد كثيرا وأحيانا تصيب
 الاعضاء الأخرى كالخ والكبد والقلب والرئة ووجود هذه الاكياس يحدث اعراضاً عديدة
 فياصيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقياً بضغطها على الوريد الباب أو يرقانا وقد يتسبب
 السائل الذي في قلب الكيس ويولد خراجاً في الكبد وربما اتسع هذا الخراج في تجويف
 البريتون فينشأ عنه التهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه واذا اتسع في تجويف
 البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب الى غير ذلك من المضار واذا حصل هذا الكيس
 في المخ نشأ عنه صداع شديد وقي متوال وفقد شعور واحساس وتشنجات وشلل بعض
 الاعضاء على حسب موضعه من المخ واذا أصاب القلب ربما كان سبباً في تمزقه فيموت
 الشخص في الحال

كل ما تقدم ليس تخيلات شعربة ولا بصورات وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء
 أوروبا في بلادهم وعلموا سببها بالحق والمشاهدة ونصحوا الناس بالابتعاد عن

الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يعتقد عندهم فيهاهم؟ هذا ولما كان تمييز
الكلب المصاب بهذه الدودة من غيره عسير جدا لانه يحتاج الى زمن وبحث دقيق بالنظر
المكبر الذي لا يعرف استعماله الا قليل من الناس كان اعتبار الشارع إيادنجبا هو عين
الحكمة والصواب فتباعد الناس عنه وتأمّن من شره فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا
لنا في جميع أمورنا وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح للناس ان الدين
عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد)

م . ت . ص

أحد طلبة الطب بمصر

أنا على البركة

باب التقريظ

ميزان الافكار

كتاب في مهمات القوانين المنطقية وضعه أحد افندي الهادي المقصودي أحد علماء
قران (روسيا) بأسلوب جديد في اللغة العربية ، وترتيب وتبويب لم يمهّد في كتبها
المنطقية ، وأدخل فيه فوائد ومساائل ليست من هذا الفن ولكنها تتصل بنسبه ، وتدلي
بسيه ، وترغب فيه الباحثين ، وتزيد نشاط المشتغلين ، فقد أصبح المنطق في العلوم
العربية ، شبيها بالأعضاء الأثرية ، تقرأ مسائله . وتعمل في العمل تعاريفه ودلائله .
لان العلوم المعقّية التي وضع لها . قد انطوى بسائلها وتقلص ظاهها ، بدأ المؤلف كتابه
بتمهيد عنوانه (علم الروح وعلم المنطق) وبين بعده فائدته للمنطق وكونه فطريافي الانسان
ووجه الحاجة الى تسميته وذكر أشهر عامّة القدماء من اليونان والعرب والمتأخرين
من الافرنج ، ثم تكلم في مقدمة الكتاب عن الوجود والعدم والتواجب والمتع والممكن
والجوهر والعرض وقولات الاعراض والناصر والمواليد والحواس الفاهرة والباطنة
والعلم وتحصيله بالتفكر والاستدلال ثم انتقل الى الدلالات ، وبحث الالفاظ ثم الى
سائر المباحث وجاء فيها بضرر وبمن التقسيم والبحث غير مبهودة الا في كتب الافرنج
فالكتاب جامع بين المنطق القديم والمنطق الحديث
وقد طبع المؤلف كتابه وحمله ذكرى لروور عشرين سنة على خدمة اسمايل

بك الفصوري محرر جريدة ترجمان في بلدة (بانجه سراي) الروسية. فثنى على المؤانف ونهى رصيفنا الكامل إسماعيل بك بلسان المنار (كما هتفاه بلسان البرق) على خذته للمسلمين بحريته ومطبوعاته وبما وفق له من إنشاء المدارس حتى كان ركن النهضة الإسلامية، في بلاد القريم بل في البلاد الروسية، ونسأل الله تعالى أن يكثر في المسلمين من أمثاله

﴿ القصائد الهاشميات ﴾

الكميت بن يزيد الاسدي الكوفي أحد الشعراء والأدباء الأولين ولد سنة ٩٠ ومات سنة ست وعشرين ومئة وأحسن شعره القصائد الهاشميات التي سارت بها الركبان وقد عني في هذه الأيام الشيخ محمد شاكر الحياط النابلسي أحد مجاوري الأزهر المجدين بطبعها بعد ما صححها على أمام أهل الأدب في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشقيطي ومن سوء الحظ ان عانت المطبعة في ذلك التصحيح فأفسدت فيه ماشاء ولكنه عاد فأصلح بعض غلط الطبع بالقلم فجاءه الله خير الجزاء. أما الذي طبعه على نفقته فهو الشيخ محمد توفيق الحياط النابلسي أحد المجاورين المجتهدين فنشكر للطابع والمصحح عنايتهم بهذا الأثر النافع واليتيم ما يعيدان طبعه مصححاً ونحث طلاب آداب العربية على حفظ هذه القصائد أو كثرة قراءتها

﴿ هناك وهنا ﴾

كان أحمد حافظ اقدي عوض كتب في جريدة المؤيد بضع مقالات عنوانها (هناك وهنا) شرح فيها « تاريخ استيلاء » انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلاقة مسلمي الهند ونهضتهم الأخيرة بالطوائف الأخرى » ومن ذلك الكلام في المجاعات وفي التجارة وفي الثغقات الحربية والتعليم. وقد طبعت هذه المقالات على حديثها بمطبعة الشعب فبلغت ٧٦ صفحة من الققطع الصغير وهي جديرة بالمداخلة

﴿ القول السديد » في حرب الدولة العلية مع اليونان ﴾

كتاب جديد ألفه على بك شاكر نجمل المرحوم محمد شاكر بإشاق الفريق الطوحي صفحاته زهاء مئتين وهو مزين برسوم التواد والمواقع الحربية ولم توفق المطبعة شيء منه ولكننا نظن ان الروح التي تجول فيه هي تعظيم شأن الدولة العلية وتوجيه القلوب الى حبها لأننا نرى المؤانف مغرماً بدولته لا محلاً دائماً بحاسنها وماح. ولأننا السامعان

عبد الحميد أيد الله دولته ووفقه لخدمة الاسلام . وثمن الكتاب ٣٠ قرشاً بحجماً
 الى الجود قمنه لهم ٢٠ قرشاً وهو يطلب من مطبعة الموسوعات بمصر
 هذا ما كنا كنبناه جزء مضى ولم تيسر نشره الا في هذا الجزء ثم رأينا في بعض
 الجرائد ان المؤلف جعل الثمن ٢٠ قرشاً لجميع الناس ووعده بمجمله إمامة لسلك الجديد
 الحجازية فصار يطلب لذاته والإعانة مما وكفى بذلك ترغياً
 (الف ليلة وليلة) أتمت مطبعة الهلال الجزء الثالث من هذا الكتاب مزينا
 كتابه بالصور والرسوم ، منزها عن الفحش والمجون ، وصفحاته ٢١٦ وثمنه ١٠
 قروش وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر
 (كتاب الخدمة المدرسية) في تسهيل قواعد العربية (ألف هذا الكتاب جرجس
 اقدي الحوي المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس
 الشام وطبع هناك وقد سلك فيه مسلك السهولة وأكثر فيه من الأمثلة فعسى ان
 يلتفت اليه نظار المدارس ويختاروه للتعليم في مدارسهم اذا رأوه امثلاً من الكتب
 التي فيها وأسهل

(ارتياح الفكرة) من جهة الكثرة (كاتب وضعه احمد افندي رفعت في الفيوم
 أيام وباء الهیضة من العام الماضي وطبعه بعد ذلك وعبارة الكتاب أقرب الى العامة
 وإننا لم نقرأه ولكننا نذكر المسائل التي يبحث فيها بعبارته لعل أحداً يريد ان يعرف
 رأيها في أولي عذرنا القراء في حكمنا على عبارته قال: قد جئت بالبحث والايضاح عن السبعة
 أوجه التي بهم كل إنسان الوقوف على حقيقتها وهي

«أولاً - هل يوجد كلاً حقيقة كما يقولون البعض بالاثبات والبعض بالنفي . ثانياً -
 هل ينفع فيها العلاج واستشارة الأطباء لتدارك تلفاء ام لا . ثالثاً - هل الاحتياطات
 الصحية في ذلك مما يجب مراعاته والأخذ به ام طرحه ظهرياً . رابعاً - هل مسألة
 الإصابة بالعدوى صحيح أم غير صحيح ، خامساً - هل سير رجال الصحة في عمل الاحتياطات
 موافق للشرع الشريف أو مخالف له . سادساً - هل ما يشاع من وجود من يقصدون
 تعمد وضع أشياء مسممة للناس في الاطعمة والمياه حق أم باطل لأصل له . سابعاً -
 هل أصدق بقولي ان الكلرا الثانية الآتي بيانها هي أشد وطأ وأعاباً ثقلاً على الناس
 أم لا » اهـ بحروفه وصفحات الكتاب ٧٢ ويطلب من أكثر المكتبات الشهيرة

(مسامرات الشعب) صدرت القصة السابعة عشرة واسمها (اليتيم) ومؤلفها حافظ اقدي عوض وقد كان طبها الطبعة الاولى من نحو خمس سنين وقرأناها فحمدنا التأثير، وابتعدا التفسير في التحرير، وصدرت القصة الثامنة عشرة واسمها (شهداء الآباء) ومؤلفها مصطفى اقدي ابراهيم وهي تمثل سوء عاقبة ما عليه أولاد الاغنياء في مصر من فساد الاخلاق واتباع الشهوات. وقلنا ان نذكر من قبل قصة (الفتاة اليابانية) وهي قصة موضوعها مفيد قرأناه بارتياح ووددنا لو يطالعها تلامذة اندارس المصرية عسى ان يميزوا بين التعليم الحلي وتعليم المحاكاة التقليدية ومؤلفها حسن اقدي رياض وهي القصة السادسة عشرة من المسامرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الاحتفال بمدرستها في القاهرة

احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية في يوم الاربعاء الاسبق بمدرستها في القاهرة احتفالاً رأسه مفتي الديار المصرية وحضره كبار العلماء والوجهاء وفي مقدمتهم شيخ الازهر ومدير الاوقاف. وقد كان الاحتفال على نحو الاحتفالات السابقة حسناً ونظاماً وموضع إعجاب بما امتاز به تلامذة الجمعية على سائر التطمين من أمنائهم ولا يحفظون شيئاً بدون فهم ولذلك كان رئيس الجمعية والاحتفال يناقش التلامذة في كل ما يسألون عنه فيحسنون الجواب، ولما أراد الرئيس توزيع الجائزة التي باسم المرحوم علي باشا مبارك ذكر من خدمته للمعارف ثلاثة أمور عظيمة أحدها تجميع المدارس في المديرية وثانيها ابطال الضرب من المدارس وكان الضرب فيها مفروضاً رسمياً فالتأديب فيها كان «بالكرامح» كتأديب المذنبين والمجرمين في شريعة محمد علي باشا وقوانينه. وقد قال الاستاذ الرئيس في هذا المقام كلمة جليلة وهي :

ان علي باشا مبارك ابطال بمنع ضرب التلامذة التورية بالالهة والقسوة وجعل التعليم مقروناً بكرامة النفس وهي قوام التربية فان المراقبة على الذنب بالالهة والقسوة لا تؤدب النفس لأنها تمنع الاخلاق النسيمة ولكنها لا تجمعوها بل تزيد ما وقعها فتكون

كلمة حتى اذا تسنى لها الظهور تظهر في أفصح الصور . وأما الذي يحمى الاخلاق
الذميمة فهو الاقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم عن
الشوائب وتألف من كل ما ينافي الشرف

وأما الامر الثالث فهو إنشاء مدرسة دار العلوم التي تسمى الآن مدرسة للمسلمين
الانصارية (قال) ان تلامذة هذه المدرسة يؤخذون من طلاب العلم في الأزهر
فيضمون الى العلوم الازهرية جملة صالحة من العلوم الكونية التي تقرأ في المدارس .
وقد تخرج في هذه المدرسة كثيرون خدموا المعارف في معبر خدمة نافعا ففهم معلوم
العربية في جميع مدارس الحكومة وبعض المدارس الأخرى ومنهم المشتغلون في
المعارف بالتحقيق في المدارس والكتاتيب وهم محافظون على زيهم المصري زي أهل
العلم الديني ولهذا المحافظة تأثير عظيم في التربية والتعليم

وبعد ذلك وزعت المكافأة السنوية التي يتبرع بها الشيخ عبد الرحيم الدرداني
لتلاميذ من تلامذة مدرسة الجمعية في القاهرة وهي ألف قرش . ثم انقض القوم
بفتح الاحتفال دأبين للمدرسة بزيادة التبرع ولا جمعية يلوغ السكك

بسم المحسن المصري العظيم - منشأوي باشا

ذكرنا في جزء مضى ان صاحب السعادة احمد باشا المنشأوي الشهير بجمع بنة
فدان من أطيانه لمدرسة الصنائع التي تنشأ جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية .
وقد كتب رئيس الاكتاب لإعانة المدرسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا
كتاب شكر الى هذا المحسن العظيم وأرسلت الجمعية طائفة من أعضائها الى داره في
القرشية يشكرون له بأنفسهم هذا الاحسان . ولما كان الشكر مدعاة المزيد هزته
أريحية الكرم بفتح بوقف ثلاث مئة فدان على هذه الجمعية الخيرية فكتب اليه رياض
باشا كتاب شكر آخر ترغيباً في الاحسان وإسعاداً على التبرع فيه وهو :

سأدتلو أقدم أحمد منشأوي باشا حضر تلري
سلام وثناء عليك يا من عرفت كيف تصرف الأموال وكيف تخدم الاوطان وكيف
تقدم البلاد . اني كثيراً ما تمنيت الخير وكثيراً ما حبيت فيه وكثيراً ما ناديت بالامة
المصرية الى جمع الاموال لتأسيس المدارس العلمية والصناعية وبعدها أو شك اليأس ان يستوني

عليّ رأيك أيها الشهم الكريم وقتة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فعملك هذا جدد في الآمل وحبيني في الأمة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجهاني اعتقد بأن اغنياء الأمة سيقفون بك في هذا العمل الجليل الذي كنت به تعلم . ينبغي على الاغنياء نحو وطنهم وكتب اسماءك من آيات الشكر ما تستحقه من الله والأمة . ثم جاني كتاب من سعادتك يبتني بك أيها البار بوطنك وقت ثلاث مئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء بك ادهشني إعجاباً بمرحلتك العالية وحسن عاطفتك للاخير نحو أمك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وستشكر كالاخيال المستقبل على فضلك هذا كما شكرتك الأمة بأسرها . وأهلاً بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . نسأل الله ان يمد في أجلك لاهياء بلادك وتكون قدوة حسنة لعبرك والسلام عليك أيها الفضال

(رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

فحق علينا ان نفتر الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني يقتخر المصريون بكمه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياءهم في هذه القرون يتحلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويذلون القناطير المقنطرة في الاسراف والحيلة والتمتع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتصف الأمة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . واننا لننظر من محسننا العظيم نفحة من هذه التفحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الإسلامية ولعله يجبا لها إنشاء المدرسة الكلية التي لا تحقق أمينها الا بكمه وجوده ومما لوجب به الجرائد في هذه الايام ان حسنتنا العظيم تبرع بأثني ليرة عثمانية لإعانة لسكة الحديد الحجازية وبخمس مئة ليرة أخرى باسم مريته فجزاء الله أفضل الجزاء بمئه وكرمه

﴿ جمعية الفضائل الإسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي القيرة المالية في الفيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خسة . ونس في الشهر على ان يشترعوا بما يجتمع في كل شهر نسخاً من النثر وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويدزعوها على الناس . وهؤلاء انفر الكرام محمد مرزي و ابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسن ناصر وعبد الجواد حسن و ابراهيم الصعيدي لحياهم الله ونفاهم

﴿ قراء الصحف المنشورة ﴾

يقراً هذه الصحف التي تسمى الجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاحباب الصحف الرائجة المشهورة أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة مطالاً ووفاء . وقد علمنا بالاختيار ان لكل صنف خلقاً ولأهل كل قطر خلقاً فسامو بلاد روسيا أحسن خلقاً الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك أوراقاً مالية بقيمتها وأوراقاً مطبوعاً عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن أربجاً الأرسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قديلاً وبليهم أهل جزيرة العرب . واهم معاملتهم وأكثرهم مطالاً وإهمالاً مسلموا الهند وبليهم أهل الجزائر فان كثيراً من المشتركين في هذين القطرين يقرأ المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل إلى صاحبها شيئاً . ومن العجب أن السلاسل العربية في كل بلاد يتدبرونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وسنغافور هم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير ، وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الأفراد في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا ان نحكم على أهل تلك البلاد ان القراء فيهم قليلون وأصابعهم في النصاب مجهول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طوبل يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وان لم يطالب ولا أعرف احداً منهم الى اليوم طوبل فطل حتى لا يرجونه الا ان الوكيل طلب منع المنار عن نفر قليل لأن الحق لا يخرج منهم الا نكداً وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لا يزال يشتغل بالتحصيل ، فان قيل ان علي بن زين الذي كان وكيلاً للمنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمان كتب أرسلتموها اليه بطلبه كتقارير مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكيمة وما طلכם في ذلك عدة سنين : نقول اننا لانزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب الينا يحذرننا منه فلم نحفل بذلك والذي نتحققه انه ما طل ولا نقول انه لازمة ولا أمانة الا اذا كتب اليه الوكيل الذي كفناه بمحاسبته ومطالبته : انه لا يدفع مختاراً : أو تقاضا في المحكمة . هذا وان الوكيل هناك يشكو من غناه التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم احتباره الناس في حرصهم على المال هذا إيماء الى ما كان من اختيارنا فاذا أردنا ان نعال ذلك بتأثير الحكومات

بأن نقول ان الامة التي اظلمت بحكومتها تتعلم الظلم والامه التي تحكم بالعدل تجري على العدل - فأننا التعديل وان كان له وجه وجيه إذ يصيب علينا ان نفضل حكومة روسيا على حكومة الهند . والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسيخت وانطبعت . ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كمية الحكم في اخلاقها . ولكن أخلاق الامم تتطبع في الزمن الطويل ولا تغير الا في الزمن الطويل ولذلك لا يصح الحكم على أخلاق الامة بمجال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين يفضل الاستبداد والاستبداد في نفوسهم عدة قرون لا يتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لاسيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجنون وخلاعة . ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجاننا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمانهم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجتهدون فيها ويجهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين . وأهل الهند كانوا اذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية فاشقة مع تضيق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها القصر الزمن وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بدائيتهم في ظلمات من القوضى والجهل لا يصرون ولا يصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وانما هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونس عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرةهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أرادت منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكم الطغاة من المسلمين اذ لا يقل الحديد الا الحديد . والبلاد الثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها في الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من المايطين والخائنين والهاضمين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نراهم وجود أمثالهم في سواها . في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاسناف . كما يرى الرأون بين الاشخاص . وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاء وأسماهم تضام . علماء الدين أو قضاة الشرع أو القضاة عامة لانهم هم الذين يمدون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بآثار الله في الحقوق

ومضراته لانها ممثلة كل يوم أمام أعينهم في أقبح صورها وأشكالها ليس هذا الحسين بصحيح ولعل انقاري لا يتوقع ان أقول ان أحسن الناس وطاء وأظهرهم ذمة المهندسون . ولعل السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانهاهي العلوم التي ليس فيها أوهام ولاظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاصحى

أما المطل فهو على أشده في أهل البطالة ثم في كتاب الدواوين وغيرها لان أكثرهم لا هم له من حيبته الا أن يكون له رزق مضمون يتمتع به وان كان قليلا أعني أنهم لا تهتمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد عالية وانما يذكرون لفظ الملة أو الوطن حكاية للالفاظ التي تكثر في الجرائد ومن يشترك في الجرائد منهم قلما يشترك تشبها بالوجهاء والرؤساء . هذا كلامنا في الاكثرين ومنهم أفراد من أبواب البيوت التي لها سلف في حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سداجة الفلاحين الفطرية التي لم يطع عليها طوفان فساد ما يسمونه (التمدن) فاولئك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عوناً للصحيفة التي يمتدنون نفقها وقيل ما هم

ومن المجيب ان يكثر المطل والي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء وأعاونهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة من يدافعون بحصل الجريدة من شهر الى شهر حتى تصير هذه الشهور سنين فابالأك من دونهم ؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يعللها الوجهاء منهم على ان تكون هدية ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن ينقص من قيمة الاشتراك المئنة شيئا لتصف فانه دونه ويالج في ذلك إلحاحا ثم انهم يد ذلك لا يتبرهون عن المطل والتسويق ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وهضمها بالمرة كما يفعل بعض كتاب الدواوين وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء العمد يحبون الجرائد ويكرهون المجلات سيحبون الجرائد لما يتوقعون من مدحها بإهم ودفعها عنهم فيما يهيمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة . ويكرهون المجلات لانهم لا يتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب العلم والادب وقد امتدأ أكثرهم على الظلم وهضم الحقوق حتى ان الاستاد الامام يضرب

المثل في الدرس بلادتهم. وليس هذا الحكم عاما فاني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثه. وإنما قلت ماقلت في السمع عن سماع لاعن اختبار فان المشتركين منهم في التمارقليون وانني شاكر لهم لاشاك منهم ولا استتي الى اثنين لأذكرها بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن النار ولذلك تجرأ على هضم حقه

ومن الناس من يحنال على قراءة الصحف المنشرة بالانتداب لخدمتها بالمكاتبه أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عايننا من هؤلاء المحتالين ماغاي غيرنا ولم يبق لاحد يعرف النار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لا تقبل التطفلين ولكننا تلقى في كل حين كتابا بمن يصفون أنفسهم بالثيرة على العلم والدين، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين، وبعد إطرأنا وإطراء أنفسهم يطلبون ان يكونوا وكلاء. وقد اجنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحشهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا يخادعوننا في أول الامر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة ثمرة السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري الأخذ من المشترك أم لا. وقد كان لنا من أرحى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان جانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عوناً للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لئتمرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا نتنظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عليه ان ينبه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حولة على البريد فسكت ولم يجر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطالبه فلم يرسل الينا مالا، ولم يرجع الينا قولاً، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتبنا له طالبه فادعى ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لأنه مشترك فيها!! ثم طلبنا لاشتراك جديد... فكتبنا اليه: إنك كنت وكلاء على مشترك واحد قلما صار هو وكلاء صرتما وكليين على لاشيء. وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونحنى ان يصير في آخر السنة وكلاء فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشيء ثم تجد هذا في كل عام... وما يدرينا اننا اذا أطلعنا هذا الوكيل يصبر خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء. يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء. !!!

﴿ نحن واليازمي ﴾

الشيخ إبراهيم اليازجي في الطبقة الاولى من أدياء نصارى بلاد الشام وقد اشتهر
بالناية والبحث في اللغة العربية وانتقاد ما يكتب بها وان قومه ليجلون قدره ، ولكننا
كنا نراهم على غفرهم به يشكون من عجزه وصلفه ، ويألمون من غروره وتنفجه ،
ويقولون ان هذه الحلال حلت دون ارتفاعه بعلمه وارتفاع الناس به ، وانما يحمله على
أن يمهص العلماء والفضلاء الذين لا يدانيهم في علمهم (كنششي المقتطف) لما قد يقع في كلامهم
أحياناً من كلمة دخيلة او عامية ، أو عبارة تخالف بعض قواعد العربية ، على أن كلامه
لا يسلم من مثل ذلك ولكنه لا نصرافه بكل همة الى التقيح يقل في كلامه الفاظ
والشدوذ ، والقوم شغل بالعلوم يأخذ من همهم حظاً هو أشرف ما تصرف اليه الهمم ،
ومما سمعناه عنه في بلاد الشام وفي هذه البلاد ان غروره بنفسه في فهم اللغة جراه
على الطعن في القرآن العظيم الذي خضعت له أعناق البلقاء ، وسجدت له جباه القاصحاء ،
أبلم كانت البلاغة في أوج سلطانها . والنصاحة في ريمان شبابها . فكان لهذا الرجل
في خيالاته صورة منترعة من سيرته للمسموعة غير جميلة لذلك لم توجه النفس الى طالب
معرفة لأننا من قوم يفضلون الاخلاق الكريمة على العلوم العقلية والكونية ، به الفنون
الثقوية . ثم ان كلامنا يشغل بالصحافة ولكن ليس بيننا وبينه مبادلة فلا نحن نطلع
على مجلته ولا هو يطلع على مجلتنا الا أن يكون ذلك مصادفة واتفاقاً

ثم كان في العام الماضي ان جمعية الكتاب المصرية ضمت في بعض جلساتها فرأينا صورة أجهل
من تلك الصورة الخيالية رأينا لطافة ودماثة وأدياً كدنا نكذب به كل ماسمعتنا لا يرضى لولا
ان هذا اللقاء لا يصح ان يسمى احتقاراً يحكم به على الاخلاق . على أن اعتقادنا فيه حسن
ورحبنا ان في قول الناس فيه مبالغة حتى اتفق لنا ما كشف الستار من حيث لا نختسب

رأى القراء أننا حين شرعنا في رد شبهات النصارى على القرآن . قلنا ان المجلة
البروتستنتية نقلت هذه الشبهات من كتاب لهم « يقال ان للشيخ ابراهيم اليازجي يدا
في تصحيحه أو تأليفه أو الزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في القرآن » معتقدين
صدق الذين قالوا لنا ذلك لئلا يصاحب تلك المجلة وغيره ان آخر سهم في كنانهم طائش
وان ما ارتضاه أعلمهم باللغة وعدده طائفا في القرآن ليس بأمثل مما يهذي به اجهلهم فهو دليل

على سو، قصده والأفلى جهله، ولكنني حفظت لليازجي حق ذلك الاجتماع القليل فأوردت الرواية بصيغة المجهول التي تشمر بالشك (قال) ثم انني لم أكن راضيا عن نفسي تمام الرضى بما نشرته وأنا أشبه بالعضطر مني المختار لأن مدافعة المشاغبين الذين يطمنون في الدين من الفروض الإسلامية الكفائية إذا لم يقيمها أحد يكون جميع المسلمين العارفين عاصين لله تعالى. وقد لقيت بعد أيام من صدور المنار صاحب لي والشيخ إبراهيم فأخبرني بأنه استاء مما كتبت وأنكر ما نسب إليه. فقلت له إن أحب شيء إليّ أن أجد سنداً لآلان برائه وحسي في ذلك ما نقلت أنت عنه وأنني سأبرئه في أول جزء يصدر من المنار. فقال لا تعجل حتى ترى ما يكتب فإن الذي أطلعه على المنار أغراه بالرد عليه والاغلاظ له ثم جئني صاحب آخر بمسا كنهه فإذا هو قد أعاد لي تلك الصورة التي صورها الناقلون الأولون

أكبر الرصيف أمر تلك الكلمة (ذال...) إكبار أحتق مثلها لقاري كلامه بصورة جبل عظيم يريد أن ينفض على العالم فتفض معه الماقل والصياصي، وتثيب لهولة التواصي. وعدها من « الفوضى القلمية في هذا القطر وانقطاع كل عقال فيه حتى أصبح كل شيء مباحا وصار الكاتب إذا محس في صدره خاطر متخرس (كذا) أو مر بسمه قول مرهف لا يلبث أن ينشره بغير تثبت ولا فحص يشوش به الأفكار ويحمله، صدرأ للقليل والقال « - كأنه يرى أن ما كتبه أصحاب الجرائد الأسبوعية في الأثة الاعلام، وفي كبار الامراء والحكام، لا يذكر في جانب تلك الكلمة في مقامه ولا فصل به الحرية الى حال الفوضى القلمية وكأنه يتوهم أن أبناء الملتين الكبيرتين (الاسلامية وانصرانية) ينتظرون سماع اسمه ونقل كلمة عنه حتى إذا ما قيل ان الشيخ إبراهيم قال كذا تضطرب الأفكار، وتجيئ الصدور، وتستمر نيران الجبال، وتكون كلمة موضوع القيل والقال، ولكن الكلمة قد قيلت ولم يحفل بها أحد. وأما المنار فإنا رد عليه كما رد من قبل على ما كتبه ذلك القبطي الذي لا يعرف اسمه الا مكتوبا على غلاف تلك المجلة فلا هو من العلماء ولا من الكتاب ولكن من المشاغبين. الذين ينشرون شبهات المشككين،

وقال بعد نقل الكلمة أنه وقف يقرب الطرف في هذا الكلام ويقتل آياته وأحلامه الماضية ليتذكر عهد اشتغاله بالمناقشات الدينية. ثم استدل من الكلمة على شدة حرمانا على إصافي التهمة به وعلى أنه مأخوذ بها إما من جهة التأليب أو من ناحية التصحيح أو من جانب الزيادة. ثم قال اننا بنينا هذا الحرم وهذا الحكم بالأخذ على شهادة

» یقال « وہی شہادۃ ما نزل اللہ بہا من سلطان . وکتب ماشاء اللہ من العلم والحدیث
 واحمري ان استنباط هذه المعاني كلها من كلمة « یقال » ثم ادعا انها هي نفسها
 انما جعلت شاهدا على المستنبطات ثم الاعتراف بانها شهادة لا تدل على شيء من ذلك . كل ذلك
 يناسب فهم ذلك المنتقد على القرآن الذي عمد الى الآيات انتسابا الواردة في تأييد حقيقة
 واحدة جعلها متعارضة متناقضة . سبحان الله : اننا لم نكتب عنك يا علامة اللفظ الا
 تلك الكلمة « یقال ... » فاذا كانت لا تدل على ثبوت شيء فمن أين استنبطت كل هذه
 المعاني ؟ لعلك استنبطتها من الطريقة التي فسرت بها القرآن هو اك ، فسبحان من أعطاك ،
 أو من القرن على مجادلة الجزويت ، فله أنت والله مأوئيت ،

ثم قال اننا كنا نستطيع ان نستنبط ذلك منه مشافهة وانه كان يعتقد الى الساعة
 اني علم فيها بالكلمة اننا من أصدقائه — وان لم تثبت مع التعصب صداقة — وان ذلك
 كان يكفينا إغناات النفس في الاستخبار والاستطلاع أو كد الخيلة في الحدس والتكهن (كذا)
 ما أثبت هذه الاقوال بتلك في الحطال والمسلطة . أیظن الرصيف الغروي ان تلك
 الكلمة ديقا لم تأت الا من إغناات النفس في سؤال الكثير من الناس : هل
 كان لليازجي يد في كتاب كذا أم لا ؟ أو من كد الخيلة في التكهن ؟ ان هذا الظن من
 أعجب وحی الفرور . وأعجب منه أن یظن رجل مثله شایخ في اختبار الناس أن فلانا
 صديقه وهو لم یخبره في شيء وإنما رآه مرتين أو ثلاثا ولم یحدث معه الا بعض دقائق .
 أما قوله بأنه كان ينبغي لنا الاستنبات منه فهو صواب ولكنه مخفف بفروره إذ كلنا
 ان نحیثه وهو یعلم أننا لانعلم في أي ناحية من مصر یقیم وان أوقنا لاتسمع اما بزيارة
 جميع أصدقائنا الذين يزوروننا فضلا عن إضاعة الأوقات في السؤال عن غیرهم ، ولعمري
 الحق انه لو خطر فی بالنا ذلك عند الكتابة لكتبنا اليه وان كان الوقت قصيرا وانما لو
 كتب بعد ذلك رقعة یرى بها نفسه لبادرنا الى تبرئته ولكن هذا الفیظ الذي استولى
 علیه حتى كتب ما كتب مما كنا نجعله عنه يدل على ان ما قيل عنه صحیح وإن بالغ في
 تزیه نفسه عن المناقشة في الاديان فان الانسان لا یأثم بل هذا الاثم الا اذا كان ما قيل فيه حقا
 أما الصداقة فتؤكد له القول بأنه قدما يوجد في بلاد سوريا ومصر من له أصدقاؤه
 یخاص لهم ویحاضون له مثلنا . وان أصدقاؤنا من فضلاء البصارى یعرفون حرصنا الحق في
 على الوفاق بین المال وان مداومتا ما یقریه أو یؤمّم به القسیسون والمبشرون وأعوانهم
 على الاسلام ، مما یعیننا على السعوة الى الوفاق والوئام ،

فبشر عادي الذين يستحقون القول
فيتمون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولي الألباب

المعراج

بشر الحكمة من بناء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً
منكر الأول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاحد غرة جادى الاولى سنة ١٣٢١ — ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣)

الخوارق والكرامات

المقالة الخامسة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل

(التتويج المضاطيعي — بقية بحث ابراء العال)

قلنا ان من وجوه التعليل في ابراء العال تأثير النفس الذي يعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة وقد كان هذا فاشيا فيهم لانهم كانوا يعرفون تربية الهمة النفسية أي تربية الارادة والعزيمة. وقلنا لانهم لم يكونوا يقصرون هذا على أنفسهم بل كانوا يعرفون بوقوعه للوثنيين كالهند وغيرهم وانما سرى هذا الى المسلمين من الهند. ونقول الآن ان هذا التأثير قد ظهر في هذا العصر — عصر الصناعات والعلوم الطيعة — بشكل صناعي يعبرون عنه بالتتويج المضاطيعي الذي شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت فيه الدعاوي ومن أغر بها ان المتوهم اذا سأل المتوهم عن شيء من الامور الغيبية التي لم يسبق له بها علم يجيبه عنه لأن روحه بقيتها عن الحس تطلع على ما وراءه. ومنه ان المتوهم اذا قال للمتوهم إنك قد برئت من عاتك وشفيت من مرضك — وهو مريض — فانه يبرأ حالاً. واذا قال له ان الجو بارد ينتابه البرد حالاً ويقف في وان كان الحر شديداً وكذلك اذا قال له ان الحر شديد في إن البرد القارس فانه يسرع اليه العرق بما يجرد من الحر.

ومن العلماء من ينكر هذه الدعاوي ويمد متحليها من المشعوذين . والمحققون من الاطباء والعلماء يقولون ان الذي ثبت بهذا التتويج شيء واحد وهو تأثير النفس

في النفس وحكم الإرادة القوية على الإرادة الضعيفة وهذا هو الذي كان معروفاً عند القدماء من الصوفية وغيرهم على ما علمت من الجزء الماضي . وقد جاءنا بعد صدوره العدد ٢٢ من جريدة (الافكار) التي يصدرها في سان باولو البرازيل (أمريكا الجنوبية) الدكتور سعيد أبو حمرة رأينا فيه مقالة في ذلك رأينا ان تنشرها هنا لما نعلم من تشوف أكثر القراء الى الوقوف على آراء العلماء المحققين في هذه المسألة قال بعد العنوان : انصه :

« كانت امامنا مجلة نيويورك الطبية عدد ١٨ نيسان الماضي وبها مقالة بديعة عن التبويم المغناطيسي تتضمن أحدث الآراء وادق المعاني عن مشكلة هامة شغلت عقول العلماء والأطباء مدة طويلة والأورد علينا سؤال من صديق عزيز علينا يسألنا ابداء رأينا في استعمال التبويم طبياً في إحدى الحالات المرضية فأخبرنا اذ ذاك تلخيص هذه المقالة حياً بإفادة القراء وهي خطاب لاشهر طبيب أمريكي «الدكتور هاورد» القاه امام عمدة مدرسة الاطباء والجراحين في مدينة بلتي مور . وهالك لقواه مع بعض التصرف والاختصار :

« أيها السادة . كثر الدجالون القائلون الآن باستعمال التبويم المغناطيسي في كل الامراض تقريباً وكثر الناس الذين لسوء الحظ يصدقون بأقوالهم المزخرفة وبراهينهم السطحية السفسطية حتى صار صبيان الازقة عندنا يقولون «المغنطيس الحيواني والهستيريا والمغنطيس» وهلم جرا . واننا لسوء الحظ نقول ان بعض هؤلاء الدجالين هم أطباء قانونيون مثلنا . ولكنهم يستعملون هذا السلاح الخاد بدون معرفة ولا تمييز حتى صرت أود من كل قلمي ان تخفي المعرفة عن التبويم فاني أرى اضرارها أكثر من مناضها في يدي هؤلاء المشعوذين والسحرة

« واني لأخفي عليكم رأي شاركو شيخ الأطباء الحاليين في كل العالم من هذا القليل اعني قوله لي في وسط مكتبه وعلى مسمع من عشرات من أطباء الارض يقصدون باريس سنوياً للاستفادة من شاركو ذلك البحر الزاخر قال لي ان التبويم والهستيريا فرعان لاسل واحد . أي ان المريض المهترئ يقبل التبويم والذي يقبل التبويم يكون مهترئاً أو ضعيف العقل ولارادة العكس بالعكس . وهذا هو عين الواقع أيها الرفقاء .

وعلى هذا قد صادق الذكارة برنهان وليبول في أوروبا وانا في أمركا بعد احداث
عديدة حسية في المستشفيات هنا وفي مكثي الخاص أيضاً . ولما كان هذا الخطاب
لاجل الحقائق لاجل تقديم الاراء فاني انتقل بقة الى التجارب الحسية امامكم
لإقناعكم بصحة قول شاركو وقولي . انظروا هذه الدجاجة على الطاولة امامي هائي
الآن أنومها (فتومها فدت ساقها وذبات جفنها ونامت منطعياً حلاً) بإشارة
صغيرة . وعلى الطرف الآخر انظروا هذه الحمامة . هاقدمات أيضاً . والآن تقدمي
يامس ... (ونادى سيدة كهامة عزباء مصابة بمرض تطيب عنده) فترون أنها السادة
الرسناء ان كلمة صغيرة الى مس ... تجعلها تحت تسلط ارادتي ... ناهي . أقول لك
أنت الآن نائمة . لا تشعري . لا تتظري . لا تسمعي ... فهي قد نامت هذه السيدة مثل
الدجاجة والحمامة حالا . ولكنكم اذا أتيتم بشاركو وكل ألبا الارض وعلماء هافانهم
لايقدر ان ينوموني . (ضحك واستحسن)

وهذا يأتي بنا طبعاً الى هذا السؤال المهم وهو : من هم الناس الذين ينمون وما
هي ماهية التويم ؟ فمن الاول أحيب ان الناس الذين ينمون هم كل الذين يشكون
من ضعف في مراكز العقل والارادة . وهؤلاء كثار العدد خلاف ماتصورون .
وعلى ما أظن اتم ٣٠ بالمائة في العالم المتمدن واكثر من نصف الناس في غيره .
ولكن أنواع التويم هي ثمانية مختلفة . فاني اذا نومت زيدا أو قالت لا لا تشعري بالأم فانه لا يشعر
واذ ذلك فاقدر ان أعمل عملية جراحية صغيرة عليه وهو كأنه تحت البنج . ولكني اذا
فعلت ذلك مع عمرو لا أنجح بل أنجح اذا قلت مثلاً أنك لا تسمع أو لا تبصر أو لا تبرد
مع ان الماء الخارج يسقط على بدنه العاري . أما عن الثاني اي ماهية التويم فأقول
بالاختصار انها غير معروفة تماماً . سوى ان المضمون هو حكم ارادة قوية على
ارادة ضعيفة بظهور كبير . وعلى هذا القياس تقدر ان تقول ان من يستوي على عقول
الناس وأمالهم وأفكارهم ليس سوى منوم وما تناس الذين يقادون له الآ مصابون
بنوع من أنواع الضعف العقلي (أو الدماغى) حتى أصبحوا عرضة لأن ينوموا
بالتويم المنطائبي ولو بظهور بسيط وبهيئة دارجة عادية تماماً يماق عليها الناس كبراهمة .
ولهذا السبب لا تنجبوا اذا قالت لكم ان نصف العالم عرضة للتويم المنطائبي بأحد

أنواعه هذا إذا لم أقل نصف المتدنين (استغراب وهمس في الحضور)
 «استعماله طيباً : أمادأرة استعماله السامي فضيحة لكهما مفيدة للغاية في يد منوم شريف
 عفيف عالم . ومضرة للغاية أيضاً في يد المحتال محب المال الدجال الساحر الغاشم الكافر .
 ورأي شاركو في استعمال التتوييم هو : — يحسن (أي لا يجب) بنا أن نستعمله في
 أمرين فقط وهما (١) عند وجوب تحقيق أو تشخيص أمراض الدماغ والعصب للتمييز
 بين الأمراض العقلية منها وبين أمراض مادة الدماغ ذاتها أي للتمييز بين الأمراض
 الوظيفية والأمراض الآلية . مثلاً إذا جن زيد فيجب علينا تحقيق سبب الجنون هل
 هو ناتج عن خلل في إحدى وظائف الدماغ أم عن مرض أصاب الدماغ ذاته كزيف
 أو احتقان أو ضغط عظم حجمه مكسورة وهلم جرا . و (٢) عند تخفيف الآلام ومعالجة
 الأرق أو قلة النوم التي تضللك الجسم وتسبب له الضعف الشديد والتعرض للجنون بأحد
 أنواعه . وعلى هذا فاستعملوه في آلام الحصى الروماتيزمية (داء المفاصل الحاد) . في الأرق
 المستديم . في الأمراض العصبية التي تأتي بالآلم الشديد ليلاً . في بعض أنواع الفالج وما شيه
 من الحالات . أما في الهستيريا وهو المرض الذي يكثر به احتيال الدجالين فاستعملوه نادراً وبحذر
 تام . أي أنه يحسن بنا أن نستعمله في الهستيريا إذا كانت المهترة أو المهستر متلاًجداً من
 ارتجاف الأعضاء أو تفاقمها أو انكماشها أو شللها أو التوقف عن عمل وظائفها الطبيعية
 كحبس البول أو الامتناع عن الأكل والشرب والنوم وما شاكل ذلك من العوارض
 التي إذا دامت مع العلل تؤذيه وتأتي له بأمراض ثانوية مضنكة . ولا بأس من استعماله
 في حالات السكر إذا كان السكران عرضة لأن يضر ذاته أو غيره وكذلك في حالات المانيا
 (نوع من الجنون) الحاد أو اللانحولي التي تجعل المصاب عرضة للانتحار . وفي كل هذه الظروف
 فليكن استعماله بحذر تام وباعتدال لحد الإمساك . انتهى باختصار وتصرف اه
 (المنار) نكتفي بهذا البحث في هذا الجزء وسنعود في الأجزاء الآتية الى الكلام
 في بقية أنواع الخوارق وتعاينها المعقول إن شاء الله تعالى . وقد قلنا عبارة الاقتدار
 بحروفها وفيها من التقدير واللغة والأسلوب ما يعذرنا القراء على عدم التمرض له

﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾

(البذة الثالثة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد التاسع على تناقض القرآن بزعمهم) قوله تعالى في سورة الانعام
 « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَسْتَحْمِلُوا الْعِلَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا شُرَكِيْنَ
 انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » مع قوله
 تعالى في سورة النساء « يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَوَّاءُ الرُّسُلِ أَوْ سَوى
 بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا » والجواب عنه من وجهين أحدهما أن
 لفظ (يوم) له إطلاقان إلتحاق بمعنى مدة بياض النهار أو مجموع ليل ونهار وإطلاق بمعنى
 الوقت مطلقاً وإذا أُضيف الى حادثة وقعت أو قدر وقوعها في المستقبل يراد به الإلتحاق
 الثاني ومنه أيام العرب المشهورة لا يريدون باليوم منها بياض نهار ولا مجموع نهار وليل
 وإنما يريدون الوقت وان كان ساعة واحدة أو أياماً طويلة بحسب الإلتحاق الاول.
 ومنه أيضاً ما عبر عنه في القرآن الكريم بكلمة يومئذ أو يوم يكون كذا كقوله « ويوم
 نحشرهم جميعاً » وقوله « يومئذ يود الذين كفروا » الخ ومثلهما كثير جداً لاسيما في
 سياق الكلام على الآخرة التي ليس فيها أيام تتعاقب مع الليالي فهي « يوم » في كل آية
 وقت يحدده الفعل الذي تملق هو به في الآية أو المضاف اليه كيوم الحسرة
 اذا تمهد هذا فاعلم ان الآيتين اللتين زعم النصارى تناقضهما تبدان بأمرين يكونان
 في يومين أي وقتين مختلفين أحدهما حشر المشركين وسؤالهم عن الشرك وقد أخبر
 انهم يومئذ ينكرون كما في آية الانعام وتأتيها إتيان الله بعد ذلك الإنكار بالشهادة
 يشهدون عليهم وفي ذلك الوقت (أو اليوم) يضطرون الى الاعتراف فيمتدقون ولا
 يكتُمون كما في آية النساء وقد حذف المعترض الآية التي قبل قوله تعالى « يومئذ يود الذين
 كفروا » الخ وهي التي تدل على أن عدم الكتمان إنما يكون بعد شهادة الشهداء وهي قوله عز وجل
 « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا »
 ومجموع الآيات يمثل لنا محاكمته في الحساب الاخروي ينكر فيها الخصم جريمته أولاً

ثم يضطر الى الاعتراف بعد شهادة الشهداء وإقامة البينة كما يعمد في الدنيا. والحكمة في هذا ردع العصاة وتذارهم عقبة الفضيحة في تلك المحاكمة التي لا يظلم فيها أحد. فالآيات متوافقة متطابقة وما أظن ان ذلك « العلامة اللغوي » الذي حرّر الاعتراض يجهل ذلك وإنما هو متكابر ومشاغب

هذا هو الوجه الأول في الجواب وأما الوجه الثاني فهو ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن الواو في قوله « ولا يكتُمون الله حديثاً » أو الحال وليست أو العطف قُدرل على عدم الكتان ومعنى الآية « حيثُذ ان أولئك الكافرين الماصين تأخذهم الرهبة ويحيط بهم الوجه فلا تجرأون على الكذب على الله تعالى وإنكار ما كان منهم بل يودون ان يكونوا تراباً قسوى بهم الارض ولا يكتُمون الله حديثاً يعلمون انه محيط به وانه لا يعزب عن علمه كما تقول: أود أن أقول ولا أعشك: أي انني استحب الموت وأفضله على عشك. وبهذا التفسير تكون هذه الآية بمعنى الأولى وهو لا يباهي النظم ولا ينهذ الاعراب ولا ترفضه البلاغة والفصاحة وما هو بتأويل ولا انحراف عن السبيل ، ولو شاء المحيب ان يكثر من الوجوه لفعل فانه يشترط في تحقق التناقض الاتحاد في الموضوع والمحمول والزمان والمكان ، الى آخر ما يسمونه الوحدات الثمان ، فكما ان الجواب الاول أبان عدم التناقض لعدم الاتفاق في الزمان (والجواب الثاني نفى الخلاف بالمرّة) فلنا ان نجيب جواباً ثالثاً باختلاف الموضوع فنقول ان التناقض غير متحقق لاختلاف القضيتين في الموضوع فان إحداها تحكي عن المشركين والاخرى عن الذين كفروا وعصوا الرسول وتشمل الموحدين الذين لم يشركوا ولكن كان كفرهم برفض الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام كما تشمل الذين آمنوا برسائه ، ولكن عصوه في هدايته ، وهذه آيات القرآن تصف اليهود بالكفردون الشرك . ثم ان لنا ان نجيب جواباً رابعاً بجمع التناقض لاختلاف المكان فان ليوم القيامة موافق كما ورد فيجتهل ان ينكر المشركون والكافرون جميعاً في بعضها ويعترفوا في بعض آخر والجواب الاول هو العمدة ويليه في القوة الثاني

(الشاهد العاشر) قوله تعالى في سورة فصلت « قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (الى قوله) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٌ ثُمَّ اسْتَوَى
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالأَرْضِ أَتَيْنِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْنِ أَتَيْنِي
طَائِعِينَ * فَغَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ «زعم المعارض ان هذا الكلام فيه
أمرين أحدهما انه خلق الارض والسموات في ثمانية أيام والآخر انه خلق السماء بعد
الارض لاقبالها لكن الاول منقوض في بيوتهم راضع من القرآن بما معناه انه جازمها
وما بينهما في ستة أيام لافي ثمانية والثاني منقوض بقوله في سورة التباركات «الْأَرْضُ
أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فُسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ آيَاتَهَا وَأَخْرَجَ
ضَحَاهَا وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» ونقول في الجواب عن الامر الاول ان من
المستعمل الشائع عند العرب أن يقال مثلاً سرت من القاهرة الى طنطا في يومين وإلى
الاسكندرية في أربعة أيام ويراد في يومين آخرين كأننا مع ما قبلها من أربعة أيام ولذلك
لم يتوقف أحد من الصحابة في فهم الآية ولم ير مفسروهم كابن عباس وغيره ان هذه
الآية تحتاج الى بيان وإنما اختلف في إعرابها وإعراب أمثالها الحاجة قد مر بعضهم مضاف
مخدوفاً للقرينة فقال المنهني «في ستة أربعة أيام» كما قدروا في مثل «واسأل القرية»
«كلمة (أهل) أي أسأل أهل القرية وذهب الرغزبيري الى ان الجار والمجرور خبر
مبتدأ مخدوف يفيد ان العمل او السفر كان في أربعة أيام على طريق التذكير
ولما كان المعارض مطالعاً على هذا ومقتضياً بحسنه في تليه لم ير سبباً لاصرف الوجوه
عنه الاشم قائله بتسميه ذلك تأولاً من عبث الولدان وقد رين له انصبيه ان يقول
انه لو صح هذا «لزم منه ان يقول بعد ذلك عن السموات فغضاهن سبع سموات
في ستة أيام لا في يومين كما قال» واحتج على ذلك بزعمه فقال ان موضع التذكير في
الكلام لا أوله وقد تنجأه ان الآية التي تنطق بخلق الارض قد تمت وجمعت التسمية
في آخرها وأن الكلام في خلق السموات جاء في آية أخرى ابتدأت بهم التي تستعمل
في التراخي في الزمن أو في رتبة العمل ونوعه بصرف النظر عن رتبة كفي بقوله «هو
الذي خافكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها» وهكذا شأن أهل القبلة واليه
والتعصب الدميم

وأما الأمر الثاني فقد أخذ المعترض من اختلاف المفسرين في خالق السموات والأرض
أيهما سبق لاختلاف فهمهم في الآيتين . وله بعض المذر - وهو ينظر بعين السخط
والنقد - إذا أنسر شيئا خلافاً أو شبهة خلاف فتثبت بها وصرف ذهنه عن الجمع بينهما
بما جمع به المفسرون . وانني أقول ان جميع المفسرين قد قصر وافي تفسير أمثال هذه الآيات
التي تسكلم في أمور المبدأ والمعاد وغير ذلك من الأمور الغيبية ولهم المذر فان هذه
الأمور لم تذكر في الكتب المنزلة لشرح حقائقها وبيان كنهها بالتفصيل ولا لبيان
تاريخها وإنما يذكر الخالق والتكوين للاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته وتوجيه
الانظار الى الاعتبار بما في المخلوقات والمكونات من العلوم والحكم ووجوه المنافع .
وقد أجاز بعض علماء اللاهوت من النصارى أن يجيء في الكتب المقدسة من العبر
والدلائل الصحيحة ما يبنى على اعتقاد لامم الخطاطبة بها وان خالف الحقيقة لأن شرح
الحقائق الكونية ليس من موضوع الدين وإنما موضوعه الهداية الى الايمان بالله واليوم
الآخر والعمل الصالح وإنما أجازوه لانه كثير في كتبهم

ومن عجائب القرآن وضروب إمحازه انه يصوغ الحقائق في قوالب العبر فتري
العبرة بادية يستفيد منها العوام والخواص والحقائق كامنة فيها يستخرج منها أصحاب
التفريح والعلوم ما ينتهي اليه استمدادهم في كل زمن بحسب ارتقاء العقول وتقدم
العلوم فيه . كان الناس يتلون في آيات التكوين منذ ثلاثة عشر قرناً فيمتدون بدلائلها
ويعملون ببرها ولا يرون فيها شيئاً خالفاً للحقائق الكونية التي كشفها العلم . ثم
ارتقى العلم الكوني في آخر هذا المدة وقرر أهله أشياء في أمور الخالق والتكوين تؤيد
القرآن من حيث لا ينامون . قلوا ان السموات والأرض قد خلقتا من مادة تشبه
الضباب سماها بعضهم سديم كانت مادة واحدة فانفطرت أو انفتقت فكان منها أجسام
كروية الشكل انفصل منها كرات أخرى . وتدسقت الإشارة الى ذلك في القرآن بمثل
قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان » وقوله « أولم ير الذين كفروا أن
السموات والأرض كانتا رتقاً رتقاً ففتقناهما » وقوله « تناظر السموات والأرض »
وقد ان هذه الأرض لم تتحقق هكذا ابتداء . إنما خلقت أطواراً فكانت تاريخية
ثم مائة ثم يابسة ليس فيها نبات ولا حيوان ثم صار فيها الحيوان والنبات وما حدثت

هذه الاطوار الا بالتدرج الطويل كل طور في زمن يليق به . وهذا التفصيل الذي قاله يفسر الاحال في قوله عز وجل « قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » والمعنى ان أصل التكوين تم في زمنين (ولا تنس ما تقدم شرحه من استعمال كلمة يوم في مطلق الزمان) ولا يأتي ذلك ان تكون في أحدها كرة نارية وفي الثاني مائة . ثم قال انه يارك فيها وقدر فيها الاقوات حتى صارت ساحلة للسكنى وارتفاق الاحياء في يومين تمة أربعة أيام وذلك صريح أو كالصريح في طور اليابسة التي ظهرت في الماء وطرور الاحياء التي ظهرت في اليابسة . ثم انتقل بعد هذا البيان الى ذكر خلق السماء فذكر أنها كانت دخاناً وأنه خلقها في يومين أي في زمنين كل منهما تم فيه طور خاص فكان خالق السماء وتكوينها كخلق الارض . ولم يخبرنا بما قدر فيها بعد ذلك ولا بعدد الازمنة التي تدل على عدد الاطوار لان العبرة والاستدلال المتصويدين من ذكر التكوين لا يبان الا فيها للانسان فيه علم ما وان لنا علما باوجود السموات والارض فذكر لنا خلقهما وعلما بما في الارض من الاقوات والحيرات فذكر لنا خلق ذلك

فانت ترى انه لا يراد بالايام التي خلقت فيها السموات والارض أزمان متعاقبة بينهما ولا غير متعاقبة وإنما يراد بها الاشارة الى الاطوار ومن شأن الاطوار ان تتعاقب في كل شيء بحسبه « وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا » فلو فرضنا ان الزمن الذي خلقت فيها الارض هما الزمانان اللذان خلقت فيهما السماء بعينهما كما أن الطورين متحدان لما لزم من ذلك شيء يعترض به على التمييز ، اذ ليس المراد ببيان التقديم والتأخير ، ومن هنا تعلم ان قوله بعد ذكر خلق الارض « ثم استوى الى السماء » لم يقصد به الترتيب في الزمن بل الترتيب في الذكر كأنه قال اننا سقنا لكم هذه الآية من آيات قدرتنا وحكمته ثم اننا نسوق لكم آية أخرى . واستعمال (ثم) في الترتيب المذكري كثير في القرآن وفي كلام العرب والمولدين

وأما قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء في سورة النازعات « والارض بعد ذلك دحاه » فلا يدل على أن خلق الارض كان بعد خلق السماء ولا قبله إذ ليس معنى الدحو الخلق والتكوين وإنما معناه تمهيدها للسكنى في نهاية الطور الرابع ولذلك وصل كلمة (دحاه) بتفسيرها فقال « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَأَصْبَحَ أَرْضًا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » ولا شك ان هذا كله كان بعد خلق السماء ووجود اليابلى والتمار الذي عر عنه قوله « واغطش

ليها وأخرج ضحاها » فظهر أنه لا تناقض ولا تنافي ولا تخالف بين آيات (فصلت) وآية النازعات . ونم وجود أخرى ذكرها المفسرون تنطبق على اللفظة وانما ذكرنا ما هو الراجح عندنا بحسب ما وصل اليه علمنا وفوق كل ذي علم عليم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض - تابع ويتبع

ما هو الخير والشر ؟

هاتان الكلمتان (الخير والشر) وما رادفهما يرد ذكرهما كثيراً في العلم الباحث عن أحوال النفس ومعاملاتها بل عليهما مدار هذا العلم في أواصره ونواحيه لأن الإنسان في محبة طالب خير وفي بغضه هارب من شر . وهذا هو ديدن الإنسان مدة حياته . وكل واحد يعتقد في الجهة التي يطالبها الخير لنفسه وفي الجهة التي يهرب منها الشر (اللهم الأمبغضي ذواتهم) وكل واحد ينسب للخير ويتقضى من الشر . ولكن هل كل واحد يعرف ما هو الخير وما هو الشر وهل كل من اعتقد في جهة من الجهتين الخير أو الشر مصيب ؟ لو كان كل واحد عارفاً بهما لكان كل واحد مصيباً في طلبه وهره ولو كان كل واحد مصيباً لتضاءل الشر وتبارك الخير .

هذه القضايا مسلمة وبنا عليها نسأل ونقال لنا : من ذا الذي يتولى للناس تعريف هاتين الكلمتين ؟ فنقول هم الباحثون في أحوال النفس . فنسأل مرة أخرى ويقال لنا : من هم أولئك الباحثون ؟ هل هم إلا أناس أمثالنا ؟ وفي هذا السؤال رائحة الإيحاء والاستكاف فيجب أن يكون في الجواب رائحة الرفق والأناة فنقول : الباحثون في علم انفس أناس أمثال غيرهم من حيث الصور الجسدية وكذلك الباحثون في كل علم . ولكن لكل امرئ في هذه الحياة عمل تتفق له فيه اجادة لاتتفق لغيره سيما ان كان ذلك العمل ليس من أبواب ذلك العمل . مثاله الشاعر هو رجل وأنت يأبها الفسلاح رجل فمما أنت عاجز عما يعلمه ويعمله هو ؟ أليس لاينك لم تعان الشعر ؟ (بل) واني أشيرك بأنه هو عاجز أيضاً عما تعلمه وعمله أنت لانه لم يمان ما عاينته . كذلك قولوا لـ : ما أنت هو عاجز عما يعلمه ويعمله الخياط والنسائي عاجز عما يعلمه الاول .

وكذلكم قولوا في أبواب العلوم والصنائع كلها . ويومئذ لا يصعب عليكم ان تقولوا ان الذي يمانية علماء النفس من التفكير والتذكر والختيار الاحوال وتجربة الامور ربما لا يتفق لغيرهم ان يمانوه . فاذا كانوا أمثالهم من جهة صورة الجسد لا يزعم ان يكونوا أمثالهم من جهة صورة الفكر . ولعمركم ان ابن خلدون والفرازي لا يحصى مشاهبهما في الخلقة ولكن مشاهبهما ومقاربتهما في صفتيهما يمدون على الاصابع وربما لا يبلغون عدد اصابع الكفين .

فاذا علم السائل هذا وروى عليه ان يعرف له علماء النفس (في افرادها واجتماعها) الخير والشر فليصنع الى ما اقتبسناه منهم بفكر فاضل من توهم والتقليد وليأمله بعقله المستفاد لا بعقله المستعار .

« الخير هو استعمال الانسان ما خلق الله له من القوى والاستعدادات في خلائق لاجله استعمالاً مشروعاً (أى تابعا لشرع) يراعى فيه حق الغير » . والشر ضد أى عدم الاستعمال مطلقا أو الاستعمال في غير ما خلقت لاجله والاستعمال الذي ليس بتابع لشرع . هذا التعريف واف جامع لكن التعاريف في الحقيقة لا يستغنى بها الناس عن الشروح والايضاحات والأمثلة (اللهم الا اذكي الادكياء) فكلها انما تسطر ان يكون قاعدة وأصلا للشروح ولتحفظ عبارتها الجامعة بعد ان يحيط الناس خيرا بنسبها من الايضاحات والأمثلة .

ان الله جل ثناؤه قد خلق في الانسان قوى واستعدادات بعضها نصيبها مباشرة المحسوسات وبعضها نصيبها ملاحظة المعقولات فكل ما يصنع فيه الانسان قواه ويناله ياتذ به وكل ما يتذ به الانسان خير الا لذة تؤدي الى الجأؤ . ولا يغضب فيها حق الغير . وكل ما يمنع الانسان عن استعمال القوى فهو شر .

(مثال أول) أنت اذا أكلت فمتناه (١) لك تمكث من ان تأكل وهو دليل عدم مرضك وعدم حرمانك من حصول الطعام . و (٢) لك استعدادات القوة الخلقية لاجل الأكل لحكمة حياتك وهو دليل محبة ذلك لئلا تلوم نفسك لم تحي . ودليل انك وافقت الفطرة التي فطر الله عليها . و (٣) لك تلذذت في أكلك وهو دليل سلامة حواسك . وكل هذه الاشياء لاشك في كونها خيرا . أما اذا أكلت فوق

انفسع منك سوف تألم إما عاجلاً وإما آجلاً . وقد عطلت في هذا الأسكل القوة التي تستطيع بها ان تأكل . وتلك لذتك فيها بعد . وخالفت الأدب . وكل هذه مشر . وكذلك اذا تصدبت في أكلك على حق الغير كأن غصبت الذي أكلته من غيرك فإن هذا يؤدي الى ان يشاجرك عليه وقد يقوى عليك بقوته أو القوة المؤلفة لحفظ الحقوق (قوة الحكومات) واذا قوى عليك فقد ينصب منك ما تحتاج اليه وقد يعمل فيك أعمالاً تنمك عن الالتذاذ بالأكل . وكذلك اذا استعملت القوة في غير ما خلقت لاجله كما اذا أكلت سماً أو تراباً . أو لم تستعملها البتة كبعض الذين يعملون ذلك ويجوعون أياماً كثيرة عمداً . فكل هذه المذكورات شر .

(مثال ثان) وأنت اذا واقمت فمناه (١) انك تمكنت من الوقاع ولم ينمك مانع . و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة فيك لاجل الوقاع لحكمة بقاء النوع . و (٣) انك واقمت الفطرة . و (٤) انك أحيت غيرك و (٥) انك تلذذت . وكل هذه المذكورات دليل سلامة حواسك وسلامة فطرتك وسلامة عقلك ودليل أمنك من الموانع الضيقة كالوانع الذاتية . وكلها خير اذا كان وقاعك نايماً لنظام . أما اذا أفرطت في الوقاع افراطاً يبطل القوة أو استعملت القوة في غير ما خلقت لاجله كأن واقمت بيسعة أو دبرا أو أهملت الوقاع المشروع من غير مانع . فإن هذا الاشياء عين الشر .

(مثال ثالث) وأنت اذا اكتسبت فضاء (١) انك حصلت ما تقي به الحر والبرد و (٢) انه أحبك الغير اذ عمل لك ما تلبس وأحيت الغير اذ سرت عن غيبه ما ربما يكره ان يراه و (٣) انك أحيت ذاتك اذ وقيتها أو زيتها . وهكذا هذه خير . أما اذا لبست ما لا عدل فيه كلبس ما لا يلائم عملك كديباج وأنت تسمي في الطين أو قنب غليخ وأنت حاكم أو رازر وتلبس شيء يابق بالاناث دون الرجال وكالتزين بشيء يحتاجه الناس للمبادلة أشد الاحتياج . أو أبهضت ذاتك فلم تلبس او لبست ما لا يلائم عملك أو لبست ما لا يلائم الزمان كلبس أخف الثياب في أشد الايام برداً وبالعكس . فكل هذه وما أشبهها من الاشياء التي لا عدل فيها شر .

(مثال رابع) وأنت اذا أويت الى ميت وبث في أمان فضاء (١) انك نلت حاجة لا يملو فيها عليك الملوك الا بالزخرفه و (٢) انك نلت من فوائد اشتراكك مع الهيئة

الجمعة لأنك ما وجدت هذا الميت الا بفضل اجتماعهم ولا وجدت هذا الأمان الا بفضل التكافل المشروط طبعاً ووضعاً وشرعاً ولولا ما ذكرنا لما كان ميتك أفضل من جحر الوحش ولا كنت بأمن من حمام بين مقور، ولا آنس من حي بين موتى القبور، فقدّر هذا الخبير بنظره لتعلم فضل غيرك على ذاك وتعلم ان لذاتك فضلاً على غيرك به استوجبت فضله عليك . وتعلم من هذا ان الأمر تكافؤ وتكافل . لا قول ولا فضل . وان الفضل كله لله وحده . وان الخبرات لا تمدوا طرفه دين ولكننا نأفلون بنجالب الشر على أنفسنا بأنفسنا حينئذ ما الى جهالات سبقت ونحن لها متوارثون الى ان يأذن الله بقضيمها رويداً رويداً .

أما اذا استوحشت نفسك ونشبت بالوحوش في مساكنها ومعاشها فغناه انك أهملت الاستعداد الذي فيك وخالفت الفطرة وابضت ذلك فلا شك بأن هذه الحالة من الشر .

(مثال خامس) وأنت اذا تفكرت في خواص المحسوسات ومجائب المقولات فانت يومئذ آخيز العظم يوم تتجف فكرك علماً وعلمك عملاً وعلمك فضاءً وعمياً وشرفاً ونوع عظيماً . بربكم قولوا لنا اذا استثنينا من هذا النوع أولي الاباب من الانبياء وذوي الافكار من الحكماء والمخترين والمعلمين فأيّة مزية تبقى في الباقيين وأي شرف لهم ؟ أولئك هم فئات أبواب الخير ومصادر الشرف الاعلى لهذا النوع . أما من أساء استعمال التفكير كأن تفكر بالمردوان وأساليبه فهو الشرير العظيم . ومثله أو قريب منه من أهل الفكر لأنه يصعب علينا ان نقرق بين عامل بالشر وحامل عليه لانه تفكر وبين واقع في الشر ومحول عليه لانه لم يفكر . نسأل الله السلامة لأفكارنا من ان نهملها ومن ان نصلها في باطل ومن ان نعميها بالقاييد .

هذا ويرى القارئ اننا تساهلنا أو سهلنا الصابة وتنازلنا بالتجمل الى أمور ليس ادراكها بالصعب فربما ظن اننا نكتب كتاباً لقراءة المبتدئين . وهذا الظن قد ينشأ من أمرين الاول الاسلوب الذي التزمناه لزيادة التوضيح وعدلنا به عن سرد الكلام والثاني استصدار هذه الأمور التي مثلنا بها . ولما كان الواقع يكبر هذه الأمور التي سبقتها فنضار حقائقها بحال سهل المأخذ وجب ان نزيدها تبياناً ونزيد الخبر والشر ترميزاً :

ان الانسان هذا المخلوق العظيم ، صاحب العقل الثبير ، صاحب الرأي والتدبير ، صاحب السلطان على مخلوقات الارض ، والاشراف على مصنوعات السماء ، صاحب التقدين والاجتماع ، صاحب الابداع والاختراع ، صاحب التطق المفيد ، والعزم الشديد ، صاحب العورة التامة ، والروح العالية ، صاحب المآثر والآثار ، كاشف الخواص والاسرار ، هذا الساند بالمبر المتنازع به لم يخرج في كل منايه التي عهدناها وغيرها مما يعجز القلم عن تصويرها تصويراً شريعاً خيالياً أو خفياً عن كونه حيواناً محتاجاً كالحوانات الى طعام وشراب ومأوى مسوقاً من طبيعة خلقته الى الوقوع ومعالجة ألم الباء . فهب اننا سمينا قطب هذا الوجود ، وصفوة السر من كل موجود ، وهب اننا رفعا علومه فوق الشمس مقاماً وضياء . وأحلنا فضائله فوق التصور درجة واستقصاء ، ونوهنا بمنزلة عند خلقه ، وعظمتنا الاعتبار للطبيعي من خلقه ، أفنستطيع ان نقول انه مقدس عن المظلم والمأوى والمتكبح ، بسد ما حبرناه دهوراً دهارير ، وبلوانه فذا وفي العير والتفير . هل علمنا منه غير كونه هلوفاً . اذا مسه الخير بما يغذوه ويكسوه كان نوعاً ، واذا مسه الشر من جوع وعري كان جزواً . هل عهدنا به الا القتال من طمع أفراده وجهم الاستئثار ؟

هذا هو الانسان الذي يعرفون ملحيه وما اتم عن حاضره بغافلين . هذا هو المخلوق الذي فطره خلقه محتاجاً ويسر له ما يحتاج اليه وخلق فيه سائفاً يسوقه نحوه وجذباً يجذبه ودافماً يدفع ما يرى استغناء عنه . أفنسمي هذا التركيب الذي ركه الصانع شراً . أم عمل المخلوق بحسب التركيب . أم تسر الحاجة التي لا بد منها . أم اللذة الطبيعية في نيل هذه الحاجة ؟ واذا لم تكن هذه شراً فهل بقي الا الخير ؟ سيقول قائلون ان هذا الاحتياج لا يدفعه الانسان عن نفسه بتحصيل الحاجة الا بكد ونصب وقصارى الامر في حصول الحاجة انها تسكن ألمها تقدم الحصول فهب اننا سمينا تلك الامور خيراً أفليس الشر قبلها وبمدها .

هذا كلام له وجه ظاهر ولكن ههنا اعتقادان في حياة الانسان احدهما ان الانسان يستفيد منها والاخر انه لا يستفيد فإن كان السائل ممن يعتقدون استفادة الانسان من الحياة فجوهاً له ان الالم السابق الذي يسكنه نيل الحاجة وتعبه بهذا النبل اللذة ليس

شراً بل هو لتعرف به اللذة ويشمر بها ولو كانت دائماً أحسن بها المرء وهذا كسبق
 المدم على الوجود والجهل على العلم والضعف في الطاولية على القوة في الرجولية ونظائر
 ما ذكرنا . على انه اذا سمينا تلك الآلام وما يتبناها من لزوم التكبد والنصب والمجاهدة
 شروراً فلا ضير فيها اذا كانت الخيرات تدفعها وتبونها ويدلنا على ذلك استمذاب الحياة
 مع كل المراتب التي تصادف في سبيلها وما ذللك الا لان الخيرات لا يطول احتجابها كاشعش
 اذا حجبها الدجى واستأنف النهار يشرق بضائها . وان كان السائل ممن لا يقولون باستفادة
 الانسان من الحياة فجوابنا له : اذا كانت الحياة من أصاها حملاً ثقيلًا والاحوال فيها
 متضادة ومتعاقبة يعقب الضد فيها الضد فهما صادفنا التضاد الذي ترتاح به زهدنا من
 الازمان كان جديراً بنا ان نفضله على ضده الذي يتعبنا . وهذا هو معنى الخير والشر
 اللذان هما ضدان . على انك يا منكر الاستفادة من الحياة يشم منك رائحة اتباع الحيات
 الفاسدة ويتفرس فيك انك مبغض أو متبغض ذاتك . ويتوقع بك كل شر فدي عني ذلك .
 ان هذا الانسان البديع خلقه الخالق عبثاً وانه خلق لامر عظيم . وانه
 سائر الى كمال بديع . وانه شاء أو أبي يحيا في هذه الدار محباً للحياة . ويكذب فيها غير ماله
 من الكذب . وان الصانع خلق له ما في الارض جميعاً . وقسم بين أفراده الاعمال . وخص كل
 عامل بما يناسب عمله من طعام ولباس وسكن . وأعان كل عامل على عمله . وعلمه ما لم يعلم . واتحفه
 بهذا الفكر المعجيب . الذي به امتياز العالم . فانقسم الانسان بحسب جسده وفكره بين
 جهتين تتعاور عليه فيهما الخيرات والشرور التي جعلها الصانع مترجحة بعضها . وجعل للجسد
 من الخيرات لذات المطاعم والمشارب والمناكح والمسكن . وللنفس من الخيرات لذات الادراك
 والادوار البعيدة والاختراعات المعجبية . والتأثيرات المنعوية الغريبة . وجعل الخيرات متبصرة .
 ولكن تجاوز الحدود الذي يوفر الشرور . وتجاوز الحدود أكثر ما ينشأ من قلة التفكير
 وعدم العلم بنظام الحب والبغض أي بأحوال النفوس في انفرادها واجتماعها . ومن أحب
 ذاته حق المحبة هيأت ان يظلمها . ومن أراد ان لا يظلم نفسه فليحارب من لا يظلمون
 غيرهم وليحارب من يظلمون . فليحارب عايناً ان يبيع الحياة وهي أغلى شيء في جهاد
 الذين يظلمون غيرهم لئلا نحيا لا نظلم ولا نظلم . أو يحيا بناؤنا من بعدنا على هذه الشائنة . لئلا
 نحيا علمين أن ذوات غيرنا كذاتنا فتأخذ منا وتدع لهم . اللهم . لئلا نحيا متعاونين فنحن كنا

أخوة، سواء بالحياة والممات، سواء بالحاجة للاكل والشرب والتمتع، سواء بالتكلم
والتفكير اللذين يميزاننا عن المعجماء، سواء بالفرح والام إذا فرنا أو حزننا، سواء بالحروف
والرجاء في يومنا وغدنا.

ونحن سواء بالتفكير والفناء بتحصيل ما نحتاج في كل عمل
تري أعجزنا أن نسلم بعضنا لنسلم من عدواننا والقلقل
تري أعجزنا أن نعا فرذاً لا ونهجر أو هاماً رمتنا بأجل
اللهم الهمننا رشدنا وأعنا في استنار الخيرات الموهوبة لاوكرنا إنك فيض الخير،
وأنت المستغني وحده عن الغير — قيمة — (ع ز)

أنا على البشرية

نموذج من دلائل الإعجاز (*)

تتأثر كتب الامام عبد الله الجرجاني واضع فنون البلاغة (رحمه الله تعالى)
على سائر الكتب التي ألفت من بعده بعدة مزايا منها أن عبارتها بليغة، وأسلوبها
رشيق، ومنها تصوير المعاني شخصاً تاماً سوية، حتى كأن المقولات ملموسة مرئية،
ومنها كثرة إيراد الشواهد والأمثلة على الوجه الذي اختاره الأوروبيون ومقلدوهم
في كتب التعليم لهذا العهد، وأما نورد هنا نموذجاً من كتاب دلائل الإعجاز في علم
المعاني وذلك من حيث انتهينا في الطبع بمطبعنا (الكراس والمزمرة ٤٤)، بين رحمه الله
في فصول متعددة فساد رأي الذين ذهبوا إلى أن الفصاحة والبلاغة صفة للفظ دون
النظم والأسلوب باعتبار تصوير المعنى ثم ختم ذلك بفصل في الموازنة بين المذهبين فقال:

فصل

قد بلغنا في مداواة الناس من دائهم وعلاج التصاد الذي عرض في
في أرائهم كل مبلغ، وانتهينا إلى كل غاية، وأخذنا بهم عن الجاهل التي

(*) ان هذا النموذج نموذج للطبع أيضاً فالكتاب يطبع بهذه الحروف

كانوا يتصفون فيها الى السنن الاحب ، وثقلناهم عن الاجن المطروق
الى النمر الذي يشفي غليل الشارب ، ولم ندع لباطلهم عرقا ينبض الا
كوبناه ، ولا للخلاف لسانا ينطق الا آخر سناء . ولم تترك غطاء كان
على بصر ذي عقل الا حمرناه ، فيا أيها السامع لما قلناه ، والنظر فيما
كتبناه ، والمتصفح لما دوناه ، ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة
في أن تكون في أمرك على بصيرة ، ونظرت نظرا قام العناية في أن
يورد ويصدر عن معرفة ، وتصفح تصفح من اذا مارس باباً من العلم
لم يثمه الا أن يكون على ذروة السنام ، ويضرب بالملى من السهام ، فقد
هديت لصالتك ، وفتح لك الطريق الى بغيته ، وهي لك الاداة التي
التي بها تبلغ ، وأوتيت الآلة التي معها تصل ، فخذ لنفسك بالتي هي املاً
ليديك ، وأعود بالخط عليك ، ووازن بين حالك الآن ، وقد تنهت من
من رقتك ، وأقمت من غفلاتك . وصرت تعلم - اذا أنت خضت في أمر
اللفظ والنظم - معنى ما تذكر ، وتعلم كيف تورد وتصدر . وبينها (١)
وأنت من أمرها في عماية ، وخابط خبط عشواء . قصاراك أن تكرر الفاذا
لا تعرف لشيء منها تفسيراً ، وضروب كلام للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم
فيها لم تستطع لها تبييناً . فانك تراك تطيل التعجب من غفلاتك ، وتكثر
الاعتذار الى عقلك ، من الذي كنت عليه طول مدتلك ، ونسأل الله
تعالى أن يجعل كل مانأته ، ونقصه وننتجيه . لوجه خالص ، والى رضاه
عز وجل مؤدياً ، واثوابه مقتضياً ، ولزلي عنده موجبا . بته وفضله ورحمته
(ثم عقد فصلاً لكشف شبهة الذين جعلوا النصيحة والبلاغة للالفاظ فقال :)

(١) قوله « وبينها » عطف على قوله « بين حالك الآن »

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه لما كان اللفظ الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في المروق ، ويسد مزاج البدن ، وجب ان يتوخى دأبا فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه من تعهده بما يزيد في منته ، ويقيه على صمته ، ويؤمنه التمسك في علته ، وقد علمنا ان أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن الماتني ان تختلف عليها الصور ، وتحدث فيها خواص وهزايا من بعد أن لا تكون ، فانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتدل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو أعرب في صنعة خاتم وعمل شتفٍ وغيرهما من أصناف الحلي . فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستهوهم ، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات ، وادأهم الى التعلق بالجهالات ، وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة وضموها لا قسمهم أساساً وبنيوا على قاعدة ، فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لا حد الكلامين فضيلة لا تكون لآخر ثم كان النرض من احدهما هو النرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وأن لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى التناقض وان يكون معناها متغيرا وغير متغير مما . ولما أقرروا هذا في قوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الاوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه : الى سائر ما ذكرناه قبل فخطبوا انهم لم يوجبوا اللفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان وأجرايس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ

وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويمنون
الذي عناه الجاحظ حيث قال : وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني
مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي وانما
الشعر صياغة (١) وضرب من التصوير : وما يمتونه اذا قالوا : انه يأخذ
الحديث فيشغفه ويقرطه ، ويأخذ المعنى خرزة فيرده جوهرة ، وعباءة
فيجمله ديباجة ، ويأخذه عاطلا فيرده حاليا ، : وليس كون هذا مرادهم
بحيث كان ينبغي أن يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه ولكن اذا
تعاطى الشيء غير أهله ، وتولى الامر غير البصير به ، أعضل الداء ، واشتد
البلاء ، ولولم يكن من الدليل على أنهم لم يتناولوا اللفظ التفضيلية وهم يريدونه
نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي
له لكان فيه الكناية . وذلك ان الالفاظ أدلة على المعاني وليس للدليل
أن يعلمك الشيء على ما يكون عليه نأما أن يسير الشيء بالدليل على صفة لم
يكن عليها فالأيقوم في عقل ، ولا يتصور في وهم ،

(ثم ذكر الأخذ بالسرقة وتبين ان الفاضل يكون بالأسلوب لا بالالفاظ ثم أورد ثلاثة أمثلة فقال)
ثم ان أردت مثالا في ذلك فان من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت
أبي نُحَيْلَةَ وذلك ان أبا نُحَيْلَةَ قال في مَسْلَمَةَ بن عبد الملك :

أمسلم اني يا ابن كل خليفة ويا جيل الدنيا ويا واحد الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقي وما كل من أوأيته صالحا يقضي
وأنبئت لي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكرائبه من بعض (٢)
فسد أبو تمام الى هذا البيت الاخير فقال :

(١) اي كلامنا الآن في انهم الخ مبتدأ وخبر (٢) وفي رواية : ونوهت لي بالبحي

لقد زدت أوصاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجبلاً (١)
ولكن أباد صادفتي جسامها أغرّ فأوفت بي أغرّ مجبلاً
وفي كتاب الشعر والشعراء للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال :
ومن الأمثال القديمة قولهم « حرّاً أخاف على جانبي كجأة لأفراً » يضرب
مثلاً للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يخطئه فأخذ هذا
المعنى بعض الشعراء فقال : (٧)

وحذرت من أمر فرّ بجاني لم ينكني ولقيت مالم أحذر
وقال لييد :

أخشى على أربدا الختوف ولا أرهب نوء السماء والأسد (٣)
قال وأخذه البحر يري فأحسن وطني اقتداراً على العبارة وآتساعاً في المعنى فقال :
لو أنني أوفي التجارب حقها فما أرت لرجوت مأخشاها
وشبه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب (٤) أيضاً أنشد (٥)
لأبراهيم بن المهدي :

يا من لقاب صيغ من صخرة في جسد من لؤلؤه رطب
جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتص من قلبي
ثم قال : قال علي بن هارون أخذه أحمد بن أبي قن معني ولحقاً فقال : (٦)

(١) الإوضح جمع وضع وهو البياض (٧) وقيل في هذا المعنى
رأى الشيء مما يلقى فيها به وما لا ترى مما بقي الله أكثر

(٣) أربد هو أخو لييد قتله الصاعقة بدعاء النبي (ص) وكان مع عامر بن الطفيل يريدان
قتله عليه الصلاة والسلام (٤) يريد كتاب المرزباني (٥) أي المرزباني (٦) قد أكثر
الشعراء تمجاذب هذا المعنى وحسن بعضهم بالإقباس فقال
إلى الله أشكو عشق ظلي منه هف رماني ومالي من بديه خلاص

أدميت باللحظات وجته فاقصنا ظاهره من القلب
قال: ولكنه بقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به: ففي هذا دليل أن
عقلهم لا يمتنع بحسن العبارة مجرد اللفظ ولكن صورة وصفه وخصوصية
تحدث في المعنى وشيئا طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على
كل حال لم يقل في البحري انه أحسن فطنى اقتدارا على العبارة من أجل
حروف * لو اني أوفى التجارب حقها * وكذلك لم يصف ابن أبي من بقاء
العبارة من أجل حروف * أدميت باللحظات وجته *

(ثم عقد فصلا للموازنة بين نظم المعنى المتحد، في الانظ التعدد، فقال)
وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين
فيه قد قالوا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم أنت ترى أحدا الشاعرين
فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق
وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى
وصور. وأبنا بالقسم الاول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلا وفي
الآخر مصورا مصنوعا ويكون ذلك إما لان متأخرا قصر عن متقدم وإما
لان هدي متأخر شيء لم يهتد إليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي:
بش آل ليالي سهرت من طربي شوقا إلى من يبيت يرقدها
مع قول البحري:

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي وَمُرَّةٌ أَحْسَا ضِدَّيْنِ أَسْهَرَهُ لَهَا وَتَنَاهَهُ

جرحت بسني خذه وهو جارح بعينه قلبي والجروح قصاص
وأوردته في مورد الاحتجاج احدي الحسان فقالت
ألاحظا نجر حكم في الحشا ولتظلم بجر حشا في الحدود
جرح بجرح فاجعلوا ذابذا فما الذي أوجب جرح الصدود

وقول البحرى :

وَأَوَّ مَلَكْتُ زَمَانًا ظَلَّ يَجْدُبُنِي قَوْداً لَكَانَ نَدَى كَمَيْكَ مِنْ عَقْلِي (١)

مع قول المتنبي :

وَقَيْدَتْ نَفْسِي فِي ذُرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْداً أَقْبَدَا

وقول المتنبي :

إِذَا أَعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوَاةِ أَعْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا أَلْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْمَحْضُ

مع قول البحرى :

ظَلَلْنَا نَعُودُ الْجُودُ مِنْ وَعْكَكَ الَّذِي وَجَدَتْ وَقَلْنَا أَعْتَلَّ عِضْوُ مِنَ الْمَجْدِ

وقول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدَأًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُتَدَرِّجًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا

مع قول أبي تمام :

أَخْرَجَ عَرَمَاتٍ فَعَلَهُ فَعَلُ مُحْسِنٍ إِنَّمَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرُ مُذْنِبٍ

وقول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَرْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَمَحْتَ حَرْبَ فَإِنَّكَ نَازِلٌ (٢)

مع قول البحرى :

مَاضٍ عَنِّي عَزَامُهُ فِي الْجُودِ أَوْ هَبْ أَشْهُبُ بَابُ يَوْمٍ تَقْدِرُ الْبَيْضُ مَا نَدَمَا (٣)

وقول المتنبي :

وَالَّذِي يَشْهَدُ أَلَوْغَى سَاكِنُ الْخَلَّةِ بِكَ كَأَنَّ الْقَتْلَ فِيهَا ذَمَامُ

(١) أراد من الرماع العزم على الرجوع الى أهله (٢) انفتح الحرب هاجت بعد

سكون ويقال انفتح المداوة بماء (٣) ظاهر انه يريد بالبيض النساء الحسنات وإن تحل هبة

النساء في ذلك اليوم لا بعد شوط وآخر غلبة ينتهي اليها خيال الشاعر

بابا لاون الثالث عشر

هو البابا لاون الثالث عشر - ترجمته

في يوم الاثنين الماضي (٢٠ يوليو) توفي عظيم التصارية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابا رومية عن ثلاث وتسعين سنة قضاها في خدمة مذهب الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربيع قرن في منصب البابوية وقد كان لسياسة من التأثير في عالم التصارية والبلدية ما لم يكن في حساب أحد من العالمين وكاتب هذه السطور يعتقد أنه كان عقل رجال أوروبا وأعلامهم كبا في السياسة. واننا نذكر من ترجمته ما فيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المنار فلا تقل أيها المسلم ما لهذه المجلة الإسلامية ، ولزعماء التصارية ،

الكاثوليك أكثر فرق التصارى عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرئاسة الدينية والدنيوية والمجلة وكاعتقاد بعض الفرق الإسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم أنه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال ياقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق : « وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابية وليس فوق البابية فوق في القدر والملوك دونه ويقيمونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولا يقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب قويم البلدان عن أهل بيزة « وليس لهم ملك وانما مرجعهم الى الباب خليفة التصارى » وقال عن رومية : « وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة التصارى المسمى بالباب » وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرئاسة وصاحبها بإيضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوروبا ان البابوية أو التصارية مقبسة من الاسلام

جاسي لاون الثالث عشر على كرسي هذه الخلافة (سنة ١٧٢٨ م) وأوربا بعضها وقصصها

وعلموها وصانعهما ومدنيتهما ، معادية للكنائليك أشد من معاداتها للإسلام لأنها تمتد
ان الكنائليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والصكبد
والرئيتين فهي تفتأ تفلك به حتى تبديه فالكثلكة خطر في الباطن تحارب خوفا وحذراً
من شرها وأما الاسلام فهو عدو على البعد يحارب طمعا في أرضه ودياره . ولكن البابا
لاون الثالث عشر حول سياسته ودهائه ذلك العداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف
والاحتقار الى اجلال واعتبار ، والفضل في ذلك لحسن الانتخاب والاختيار ، اذ لو كان
هذا المنصب وراثيا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد ليون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بتي) في ٢ مارش سنة ١٨١٠م في بلدة
كارينزو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة الجزويت ببلدة فيتر بوجارومية
سنة ١٨٢٤م وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة وعني أولاً بالعلوم
الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بأدب اللغة اللاتينية حتى عد من الكتاب البهاء
والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأقنصها ومنح لقب دكتور في
الفلسفة . ثم وجه عنايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة العالية فيه من مدرسة
رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قساً وناظراً عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيساً
لأساقفة دمياط ثم وكيلاً للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فاقام في تلك البلاد ثلاث سنين
منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات
عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيساً لأساقفة بروكسل وقد لبث في منصب الاسقفية ٣٢ سنة كان
فيها حسن السلوك يستتيب اللصوص والبغاة المتهدين حتى خلت منهم السجون التي كانت
ممتلئة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٤ صار كردينا ومديراً في الفاتيكان والكنيسة
الرومانية . وفي سنة ١٨٧٨ توفي البابا بيوس التاسع فانتخب خلفائه . وقد ذكرنا هذه
النبذة الوجيزة في تلميذه وتقلبه في الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم
ورؤسائنا حتى لا يهيج أحد من تقدمهم وتأخرنا

إذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العام من أمير وسلطان أو وليّ عهدها
أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام في الاستانة وشيخ الأزهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لا بد منها للأمة التي يرأسونها وما هي الاعمال والمناصب التي قبلوا فيها فظهر استعدادهم لخدمة الأمة فرشحوا لها بسببها؛ فإذا يكون جواب هذا السائل؟ لعل الأكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا أن نقبل رياستهم من غير سؤال عن استعدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن يتحدث بشيء من ذلك فهو عدو للأمة والدين، وقتة لجميع المسلمين، وذلك أن الأمة في طور النضف لا يرضيها الا ان يسدح منها كل شيء وذلك أنها تنهر بفقد مقومات السعادة بالعمل فتحب أن تتحدع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضع ويتنزع ليظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدينية سلبها الملوك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولو تسقى لهم في أي يوم من الايام إرجاعها لوجدوا في الفانيكان رجالا يديرونها أحسن مما يديرها ملك إيطاليا وحكومته في جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن رجال الدين عندهم يعلمون كل شيء. أرايتك هؤلاء الذين يمدحون رجال الدين في الاسلام اذا قيل لهم — وهم يشكون من خروج الاحكام عن الشرع الا ما يسمونه الامور الشخصية ومحاكمها على خطر — تعالوا فأديروا أعمال الحكمة الكلية من إدارية ومالية وحربية وقضائية وسياسية (خارجية) وغير ذلك أيجدون في الأزهر من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك في الفانيكان؟ أنى وهم الى اليوم يتنازعون بينهم هل علم تقويم البلدان يطلع على اطالط طريق الدين أم لا؛ الجمهور على أنه يقطع وأنه ينبغي ان لا يقرأ في الأزهر. وهل الحساب العملي والهندسة العملية يفسدان العقل حتى يعصف استعداد لعلوم الدنية أم لا؛ الجمهور على أنه يفسد العقل وينبغي أن لا يدرس في الأزهر كما صرح بذلك الشيخ (ثابت بن منصور) والشيخ محمد راضي البحر اوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيد ثم أنى يجدون في الأزهر من يحسن عملا ما وليس فيه من بعد العمل ما الا انقضاء الشرعي وهؤلاء انقضاء ائسارجون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستحيث العدالة بلسان المظلومين المظلومين بأن يتنذها الله منهم ويرون أنهم يقتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

ولقد كان رجال الكاثوليك في يوم مضى مثل رجال الأزهر يعدون كل علوم

العمران حجابا دون الدين حتى كأن الدين آلة الحراب والدمار وكان أكثر عابثهم على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم ياثبوا ان علموا على ان بقاء الدين محال ما لم تحل علوم العمران نصيرزله فكفوا على العلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها نظما وإحكاما وعلماءهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . فبقى يمدد قرونا الى ههنا وهم أحق به من كل أحد أنت يا رب المسئول بتوفيق اللاهوتي واليك وحدك المشتكى قلنا ان لاون الثالث عشر قد ولي البابوية والاختار محمدة بها من كل جانب فقد كان في عهد سلفه بيوس التاسع ما كان من الثورات والاضطراب حتى نشر على عهده في باريس (إعلان) في تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية لإبطالية لا يكون فيها بابا ولا دين بالمرء . وأصاب البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان انحط من شؤم السلطة البابوية . وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تضمد ، وإمرة سرية على خلع البابا وإقامة حكومة عسكرية في البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثر فيها الهرج وعجزت الحكومة عن ضبط النظام اذا كانت المدينة غاصة بجماهير المسلحين من الالهيين ثم فتح مجانس الشوري فطلب لإطاعة الاعمال الادارية بالموام (يطلق لفظ الموام في مقابل لفظ الاكيروس في اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرد اليسوعيين (الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب التائر يؤيد طلب المجلس ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده في رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الأرض وقل احترام البابا في البلاد الاجنبية حتى ما كان يحيد نصيرا ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تتناقم يوما بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من حبه الإصلاح واردة الخير للشعب . الأمر يد عليه ولم يتم ذلك من قوة الحزب الجمهوري شيئا . ولقد بلغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخريه في فينا بعد أن كان لامرذ لا امره ولا معقب حكمه . وحدث في هذه السنة من لاهداث ما زعزع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح . ومن ذلك اتفاق

الذهب والحرس المدني والصاكر المنظمة والحيش الروماني على محاصرة الكويرنال وقتل أبين أسرار البابا وإكراهه بعد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجمعه كالاسير في قصره . تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متكرراً بيشة قسطن الى غايتا ثم اشتعلت نيران الفتن والثورات في جميع البلاد اتابله كما أشرنا له آنفاً حتى خسر سلطه في تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوك لاون الثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من العظة والاعتبار ،

﴿ الخديو وجمعية المسلمين في لوندرة ﴾

زار عزيز مصر في هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فلقي من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحساب . وقد ازاد سمع وفلك العاصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي في باريس السيد علي البلجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بلدان الوفد ورحب فيه بالعزيز وذكر مقصداً الجمية وسميها في ترقية المسلمين والتأليف بين شعوبهم ووصف الامير بتأييد السلم واقترح بالازهر وذكر ما سمع من عود الحركة العلمية اليه بعد سكوتها . فأجاب الامير بأنه قد سمره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي « ان الاسلام دين اشتراكى بأمر بالمساواة بين الفقي والفقيير ، والكبير والصغير » ثم ذكر استيائه من قلة عدد المجاورين الهنديين في الازهر وأنه يرجو ان يزيدوا في مستقبل الأيام . ثم ذكر الحرج والحجاج وقال انه يحب ان يسهل الحرج على مساهي كل الاقطار لانه من أركان الدين فإذا همل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهال دين قومهم بمقدمه ٣٠ مليون من الناس »

وعندنا ان اجتماع أمراءنا برجال هذه الجميات مفيد جداً للمسلمين . وعلى ان يتسبر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيته الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية يسمون المسلم السوري في مصر دخيلاً . واما اقبال الهندو خير هم على الازهر فهو موقوف على ترقية التعليم فيه وذلك بيد الامير ووقف الله تعالى . والا فانا لا نأمن ان ينفر المصريون منه بعد حين الاغارة من العسكرية ، أو طاحز أعين الكسب فيتحذله نكبة ،

﴿ لا تمليم ﴾

تألم مما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق النار سنتين أو ثلاثاً كان يمد ويمطل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لأنه كاتب وأديب ولم نعرف عن غيره أن نعرف الأديب أو خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليلة يحس كؤوس المدام ، ويسدد البنا سهام الملأم ، ويجرح سواره «الأديب» على أتباع سنة صاحب اللواء ، في معاداة الذين يسميهم السخلاء ، بأن ينفروا عن النار وصاحبه لأنه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف فضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الأصناف على بعض . وقال إن هذا يمد شتاً للمصريين .

ولم يد هذه المناسبة ما كنا كتبناه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في النار من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى أنه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل النار ليس لها وكلاء الأفي بلدين أو ثلاثة بلاد . ولم نكتب ما كتبناه تألمنا منهم ولكن عظة وذكرى ولما نحن المنصرون اذقروا السنة بهم السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء . نعم إن فيهم من يمطل ولكن لا يكاد يوجد جديهم من بهضم الأسمعة هظ نحن منهم في شك وعسى أن يصالح الله حالهم

﴿ جريدة المناظر - إيطاليا ﴾

سبق إن نوهنا بهذه الجريدة التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) نوم أقدى لكي السوري وسبق أن اقتضينا بنهضة السوريين المهاجرين إلى أمريكا في الآداب لأجلها قلنا كنا معجبين بحرية هذه الجريدة وإنصافها وشدة غير منشئها على قومه وجه لجنه ولوطنه وحسن اختياره فيما يكتب وتوجيه التفع فيه . ومن دلائل طفولية الشعوب الشرقية - حاشا اليابان - أن يضطر صاحب هذه الجريدة انفاقه إلى إيطاليا بعد جهاد بضع سنتين . أقول الحق ولا أستحي من رصفائي الفضلاء: أنه إذا صح الاستدلال بضعوى انكلام ولحنه على قصد التكلم وغرضه فإن صاحب المناظر في مقدمة المتخلصين في قصدهم الذين يقدمون قمع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم . ويظهر إن أكثر قراء العربية هناك يجهلون أقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجبان

الشريف ولا هم لهم من الجرائد الا ان يثلثوا بمدح أنفسهم أو ذم أعدائهم
 كتب . حب المناظر نشرة يودع بها الصحافة ووزعها على قراء جريدته . قال في
 أولها « غدا تنضب دمة وتذرف دمة - تنضب دمة هذا القلم ، وتذرف دمة هذا
 الكاتب ، غدا يودع اصحابان بعضهما بعضا لارجوان النقاء حيث اجتمعوا على مكتب
 الصحافة » وأقول ان كل ذى شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا
 الكاتب في ذرف الدموع ولكن ما أقل الذين يشمرون

وقال انه دخل باب الصحافة لثلاثة أغراض - مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة
 حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطهم لئلا يتبعهم الأمة التي
 هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق في دعواه وأحترم أغراضه وأحترمه على البعد
 لأنني أعتقد أنه يريد نفع الناس ولكن أكثر رجالا كالأطفال يحبون من يسعى في نفعهم ،
 لأنهم يسعى في منفعتهم ، ولقد كان يجمل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن
 أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان يقل عن اثار مثل مباحث حمية أم القرى
 ومقالات (الاسلام والتصرانية مع العلم والمدنية) نعم انه نشر ردًا لبعض انكسب على
 الثانية في شيء من التحامل ولكن لأقول انه هو كان متحاملًا

وقال في سبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب تلك الاغراض لا يكون
 موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه مهمل ويقوم حتي يعجز عن النفقة عايبا
 لانه يقصر في مدح الذين يجندون بغير جنديتهم (السورية) وفي ذكر حركات
 المشتركين؟ وتعليقهم في البلاد . وقد اتى ما لم يكن في الحسبان
 وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوريين لا عوض عنها فبسي ان يوجد من أهل
 الثيرة والخدمة من يسعى في إعادتها من حيث يجدون في مساعدتها .

(كتاب دلائل الإعجاز)

نشرنا في هذا الكتاب الجليل في البلاغة بالحروف والهوامش التي نطبعها فيها
 ومنه يرى الفرا أن المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حق الشكل وصارت مستعدة لطبع
 الكتب وغيرها . اما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبر ووحسن ورقة وطبعه وسيكون
 منه بعد تمام الطبع عشرين قرشاً

﴿ كريمة جمع إعانة سكة حديد الحجاز ﴾

أخبرنا شاهد عدل أن أحد مختاري القرى في سوريا جمع من كل رجل من قريته ريالاً للإعانة ولكنه لم يدفع مما جمعه إلا نحو ثلثه فإذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضاً ويرسل إلى الولاية ثلثه وكان الولي يفعل هكذا فيما يرسله إلى الاستانة فإن الذي يبقى الاستانة نحو الخمس حتى كُن المال غنمة لا يصل إلى بيت المال منه الا خمسة . والسبب في وقوع هذه الحيلة من مثل ذلك المختار الذي لازمة له ولا أمانة هو عدم نشر كل ما يدفعه الناس هناك في الجرائد وعدم طبع وصولات سلسلة الاعداد بحاسب بها الجامعون للإعانة . فحسب أن تنبه الحكومة النهائية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر باصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية في كل ولاية يبين فيها كل ما يدفعه الناس وترسل كل صحيفة إلى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الإعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً إلا بوصولات محتومة سلسلة الاعداد

هذا وقد كثر الذين يجمعون الإعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوثق بأمانته فيجب على كل أحد أن يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الا في يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي في الغربية

السبع والخمسين

وَالْبَقَاءُ لِلْيَدِّ وَالْعِجَابُ

﴿ عود الى سرد الاحاديث الموضوعة ﴾

منقب الصديق : - (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بكر ألا أبشرك قال : بلى فذاك أبي وأمي : قال «ان الله عز وجل يجلي للخلألق يوم القيامة عامة ويخجل لك خاصة» رواه الخطيب عن انس مرفوعاً وقال لأصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر « أعطاك الله الرضوان الاكبر » فقال بعض القوم يا رسول الله وما الرضوان الاكبر ؟ قال «يجلي الله في الآخرة عباد المؤمنين عامة ويخجل لأبي بكر خاصة » رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعاً وفي إسناد محمد بن خالد

الخطي وهو كذاب ، ولا يتركك ذكر الحاكم له في مستدركه فكم في المستدرك من الاحاديث الموضوعية والواهي

(٢) حديث ان ابا بكر قال لاني صلى الله عليه وآله وسلم : اني كنت في الصف الاول فكبرت وكبرت فاستفتح بالمحمد فقرأتها فوسوس الى شيء من العهود فخرجت الى باب المسجد فاذا انا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراك : فالتفت فاذا انا بتدس من ذهب مملوء ماء ابيض من التاج وأعذب من الشهد وألين من الزبد عايه منديل أخضر مكتوب عليه : لا إله الا الله ، الصديق أبو بكر : فأخذت المنديل فوضعت على منكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدس ولحقتك وأنت في ربيع الركعة الاولى فتممت صلاتي ممك بارسل الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبشر يا أبا بكر الذي وضأت للصلاة جبريل والذي متلك ميكائيل والذي مسك ركبتي حقي لحقت للصلاة إسرافيل » هو موضوع ومحمد بن زياد المذكور في اسناده كذاب وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه ذكر الممثل والمنديل والكل كذب موضوع

ونقول ياليت عزرائيل انتقم من واضع هذا الحديث لانه لم يجعل له حظاً في هذه الخدمة فأخذ روحه الخيثة قبل ان تمسك أكاذيبه الى الناس . وان الممارس للسنة الفقية في الدين ليعرف فيه الكذب وان لم يطلع على تقلنا عن المحدثين في وضعه وكذب مخترعه ولكن جهلة العامة يفتنون به وينظمونه في سلك الكرامات والحوارق (٣) حديث ان الله لما خلق الارواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الارواح فجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصرآ في الجنة من درة بيضاء الخ رواه الخطيب عن عائشة مرفوعا وقال لا يثبت وقد اتهم به هرون بن أحمد العلاف المعروف بالقطان . وقد جزم الذهبي في ترجمته من الميزان بان هذا باطل . وفي مناه أحاديث نترك ذكرها فتنفس عليه

(٤) حديث ان يهوديا قال لأبي بكر : والذي بعث موسى وكله تكلميا اني أحبك : فلم يرفع أبو بكر له رأسا لهاونا به فهبط جبريل وقال « يا محمد ان العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك قل لليهودي الذي قال لأبي بكر : اني أحبك : ان الله قد أحاد عنه في النار خاتين - لا توضع الانكال في عنقه ولا الأغلال في عنقه لجه أبا بكر » الخ

رواه ابن عدي عن أنس مرفوعاً وهو موضوع في إسناده وضاعان .

(٥) حديث «ان الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له وتلقوا ما أوطيتموه ترشدوا» رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً وهو موضوع الاحتجاج به على الشيعة بل كل هذه الأحاديث قد وضعت لمل هذا الترض فقد كانت سوق الرواية راجحة في أيام الفتن والخلاف فوضع الكذابون من كل قوم من الأحاديث ما شاءوا ينصرون بها مذهبهم فما كان أشأم تلك المذاهب على الاسلام !!!

(٦) حديث بينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جبريل اذ مر أبو بكر فقال « هذا أبو بكر » قال « أنمرته يا جبريل » قال « نعم إنه لي في السماء أشهر منه في الارض وان الملائكة لتسميه حلیم قريش وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك » رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً وفي إسناده اسماعيل ابن محمد بن يوسف كذاب . وذكر له صاحب (الآلئ المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) طرفاً أخرى فيها وضاع . وقال الذهبي : إسناده مظلم : وتمعبه ابن حجر في لسان الميزان بأن رجاله مرفوقون بالثقة وليس فيهم من ينظر في حاله الا الممل بن الوليد وقد ذكره ابن حبان في الثقات . قال في القوائد المجموعة مستدكا على ابن حجر : بل في إسناده اسمعيل بن محمد وهو كذاب وقد قال الحاكم انه يروي الموضوعات . فلينظر القارئ كيف يشبهه في مثل هذا الحديث الحافظ ابن حجر وينسى اسمعيل الذي حكم عليه بالوضع الحاكم على تساهله ووقوعه في رواية الموضوعات بحسن ظنه

﴿ اليوت - منكراتها وعاداتها ﴾

تهتك النساء : تبتدع نساء المسلمين في مصر كل يوم زياً جديداً من أزياء الخلاعة والتهتك فلم يكنفن عند الخروج باظهار بعض الرأس ومعظم الوجه وصفحتي المنق والنجس حتى جلبن في هذه الايام أكمامهن قصيرة واسعة فهن يمشين في الاسواق وسواعهن بارزة من وراء معاصمهن المطلقة بالاسورة فلم يبق من الزينة شيء الا وقد أبديته حتى وقعن في مخالفة نص القرآن الذي لاخلاف فيه وهن مع هذا كله مصدودات من أهل الحجاب . فآين أهل البقرة ؟ آين أهل الصيانة ؟ آين الذين ملأوا أرض مصر صراخاً وعويلاً أن قال قاسم بك أمين ينبغي أن تربي المرأة وتعلمها ثم تأذن لها بعد ذلك بأن تخط

هذا التدبيل عن أفتها لتستشقي الهواء التي تم لتستر مع ذلك رأسها ونحرها وصفحتي عنقها وسائر بدنها ؟ أليس ما قاله أهون بشرطه وبغير شرط عما عليه نساء أولئك الصائحين اتناجين الذين ينكرون الكلام ، ولا ينكرون الموهبات العملية التي يشاهدونها في كل آن ، ؟

﴿الخدم في البيوت﴾

يعلم كل مقيم في مصر ان الناس يسيحون للخدم من الرجال الخلوّة بالنساء في جميع الحالات فالخادم يساعد سيده في المطبخ حاسرة عن رأسها وذراعيها كاشفة عن صدرها وساقها ، ومنهن من تلبس في حال غسل الثياب الا خلاق أنمزقة فيبدو منها ما لم يكن يبدو . ويصعد معها الى السطح يساعدوها على نشر الثياب وهي في مثل ما ذكرنا من ثياب البذلة ويدخل معها في بيت الدواجن لاطعامها ورعاية أغناق الباب عليهما لتلاطير الحمام أو يفر الارب . ورب البيت يعرف كل هذا ولا يبالي به ولا يتأثم منه وان كان في خادمه من الثياب والفتاء ما ليس فيه ! وليس هذا المتكر مما تدعو اليه ضرورة المعيشة بل لاحاجة اليه ولو كان محتاجا اليه لكافأت المراتع التي تمنع منه أولى بالترجيح من الحاجة التي تدعو اليه لائن درء المفسد مقدم على جلب الصالح في نظر الشرع والعقل معاً

وانما لتجب من أمر هؤلاء الرجال الذين نفذوا الشرع آداباً وأحكامه وحرهوا غمرة العقل من البصيرة والاحتياط كيف أفندت عليهم عادات البلد السوءى وجدان الفجرة فسمعوا هؤلاء الخدم - الذين هم أصل سيلا من الأنعام بمنيت طينتهم وسوء تربيتهم - ان يمازجوا نساءهم في الخلوات والجلوات ، والذين لم يسمح بهنا لاطفالهم في جميع الحالات ، اذا أمر تعالى بأن يستأذنوا في بعض الاوقات بإبائهم الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبايعوا الحلم منكم ثلاث مرات - من قبل صلوة الفجر وحين تضيئون نياكم من الظهيرة ومن بعد صلوة الصلوة ثلاث عورات لكم - فاذا كان الله لا يسمح لأولادكم ان يروا النساء في الاوقات التي هي مظنة التساهل في السر لتلا يتشش في ذهن الرائد من رؤية المورات ما يشتغل به خياله . وتسوء في الآداب حاله ، فكيف تسمعون هؤلاء الرجال الاشرار ، بما لا يسمح بالاطفال الصغار !!

﴿ الفقيون في البيوت ﴾

يطاق أهل هذه البلاد على حائظ ألفاظ القرآن لفظ (فقي) وبمجمونه على (فقها) وان كانوا في السالب لا يكادون يفقهون حديثاً وما ذكرناه في العنوان من الجمع هو أولى من جهتي اللفظ والمعنى معاً . ومن المبادئ الضاربة في هذه البلاد - وان صغت بصفة الدين - أن أكثر البيوت يبين لها فقيون يحيونها في -اعة من ليل أو نهار فيقرءون شيئاً من القرآن حيث يكون النساء وينصرفون . وانهم ليسخولون بالنساء كثيراً والحلوة محرمه بإجماع المساكين سواء كان الرجل والمرأة به -يرين أو أميين أو أحدهما أعمى فقط . وقد سمعنا من أهل التقد والبصرة حكايات كثيرة في مفاسد هذه الحلوات بل حدثنا غير واحد من أهل التقد بأن من هؤلاء الفقهاء في يتوسل بكلام رب العالمين ، الى الصلة بين المشوقات والعائنين ، فكان هؤلاء الغلمان يكاثرون صنف المبصرين الذين يقدونهم بعمل من جنس عملهم فكل صنف يساعد الآخر على ملا وصول اليه بدونه ، ويقوده في المسالك التي يحتاج فيها الى قيادته .

وليت شعري ماذا يريد الذي يبين فقياً أعمى براً لأصراؤه في بيته ملا تفهمه ولا تفقه ؟ أريد تقوية دينها بقراء ذلك المأجور ؟ كيف وهو لم يلقها عقيدة المساكين ، ولم يرضها بشيء من أخلاق الدين ، ولم يعلماها الصلاة بالقول ، ولم يبرنها على آدابها بالعمل ، ولم يذكرها يوماً من الايام بالدار الآخرة ، ولم يمجدها في ليلة من الليالي بالحباب والعتاب ، فأني فائدة لها في سماع نعمات ذلك الرجل المأجور الذي يتفق بما لا يسمع الادعاء ونداء ؟ نعم ان هؤلاء الفقهاء لا كسب لهم وان أكثرهم يستحق للمصدقين تصديق عليهم فلا يحمل صدقته أجرا لهم عن التني بكتاب الله في بيته والوقوف على عورات اهله وان أمن قننتهم فكيف به إذا لم يأمنها

فان قيل : ان المساكين يحسنون الظن بحملة القرآن وأنت تحملهم على إساءة الظن بهم : أقول روى أحمد وأبو داود والترمذي (ومعه) والنسائي وابن حبان من حديث أم سلمة قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان أصر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجبا منه » قلنا : يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال « أفعميان »

أنها السمتا تبصرانه وقد علل المحققون النبي بأن الاعمي قليل العناية بالستر . فإذا كان هذا قول النبي لازواجه اللواتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيراً في شأن ابن أم مكتوم الذي عاتب الله النبي في الاعراض عنه لدعوة سادات قريش وقال في شأنه «وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهي» فإذا تقولون أنهم في عيمان مصر دار الفسق في هذا الزمن الذي نشأ فيه الفجور وفار التور . فافقهوا والله أيها المسامون . وطهروا بيوتكم واستعنوا بذلك على تربية أولادكم ، والأهاليكم وأهلكم بلادكم ، وأقبح من خلوة الفقيين بالنساء في البيوت ، خلوتهم بهن في (أحواش) القبور ، فإن هذه الخلوة أتم من تلك لأن البيوت لا تخلو في الغالب من الأولاد والخدم فالخلوة الصحيحة فيها متعصرة على أن في الخلوة من المفسد ما فيها . وإن الشافع لجميع ما يكون في المقابر من البدع والتكرات استجباب زيارة القبور أو الإذن فيها لأجل الاعتبار بالموت . فيستباح لأجل هذا الاستجباب من المحرمات ما يستباح ويعد كله قرينة إلى الله تعالى وإن كان كله فساداً لا شيء من العبرة والعظة فيه . هذا وإن الأحاديث الصحيحة تدبر على أن الإذن بزيارة القبور بعد النهي عنه خاص بالرجال ولقد لعن صلى الله عليه وسلم زائرات القبور . هذا ما تصح به لأخواننا المسامين . وإن سماه ذلك «الكتاب الأدب» سماه للمصريين . فإن النهي عن التكرار فريضة «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»

*(طلب الزواج بلسان الصحف) *

رأينا في بعض المجلات والخرائط عادة جديدة قلدها المصريون فيها الأوروبيين وهي طلب الزواج بلسان الصحف . يكتب الفتى شيئاً في ترجمة نفسه . وورد معاشه ثم يذكر الصفات والتموت والحالات التي يجيها فيمن يريد الزواج بها ثم رأينا أكثرهم يطلب أن ترسل إليه صورتها الشمسية (الفوتوغرافية) وطلب بعضهم أن يأذن له أبواها أو غيرها من أوليائها برؤيتها في حضرته وهذا طلب شرعي ولا بأس به إذا كان أهل الفتاة راضين . من أخلاق من يخطب إليهم وواقعين بأنه ينمى أذنه إن يذكر ذلك أذلم ثم الاتفاق على الزواج . وأما طلاب الصور فلا شك أنهم من النابتة المتزوجة الذين لا يخطر في بالهم أدب الدين ولا أحكامه ولو تفكروا في ذلك لعلموا أن تصوير الفتيات يتوقف على بروزهن المصور سافرات حاضرات كما هي العادة . ولا يتوهم أن أحداً يطلب صورة امرأة ملفوفة في ملاءتها متبرقة لا يظهر منها إلا الحدق . سبحان مقلب القلوب والابصار قد صار شبان المسلمين يشترطون فيمن يريدون التزوج بها أن تكون من تبرز أمام المصورين ، وكانوا يشارون على النساء من الأهل والأقربين .

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيتقون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خير كثير وما
نذكر الأول الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى و«مأرا» كنار الطريق)

(مصر - الاثنين ١٦ جادى الأولى سنة ١٣٢١ - ١٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة السادسة عشرة فى أنواع الحوارق وضروب التمليل والتأويل)

(النوع الثامن طاعة الحيوانات والجمادات)

استشهد السبكي للأول بحكاية الأسد مع أبي سعيد ابن أبي الخير الميهدي ومع
إبراهيم الحواص من قبله وللتاني بحكاية الشيخ عز الدين بن عبد السلام مع الفرنج .

(٤٧ - المنار)

فأما حكاية الاسد فلا أعرفها وأما حكاية الرمح فهي كما في ترجمة الشيخ عز الدين (رحمه الله تعالى) من طبقات السبكي ان الفرنج وصلوا الى المنصورة في المراكب واستظهروا على المسلمين فنادى الشيخ بأعلى صوته : يارب خذهم : عدة مرار فمادت الرمح على مراكب الفرنج وكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الفرنج وصرخ من بين المسلمين صارخ : الحمد لله الذي أراننا في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا سخر الله تعالى له الرمح

أخذ السبكي من هاتين الحكايتين ان الحيوانات والجمادات تطيع الاولياء وتمثل أمرهم وانما الطاعة عمل بارادة واختيار يقصد به امتثال أمر المنافع فهو يعني هذا على قول بعض الصوفية ان للجمادات حياة وإدراكا ولولا ذلك لسمى ما كان من الرمح تسخييرا من الله تعالى كما قال ذلك الصارخ . وتسخير الله الرمح لا يستلزم ان يكون بقدرة لاحكمة معها ولا نظام بل ذلك محال على الحكيم العليم وانما يكون ذلك بتوفيق الله تعالى بين أسباب هبوب الرمح وأسباب خروج الفرنج كأن يكونوا خرجوا في وقت سبقته أو قارته حرارة شديدة في هذا الاقليم فاشتدت حرارة الهواء فصعد الى الحار منه بمدده وخفته الى الجو فتحرك الهواء لأجل الموازنة فكان عاصفة أغرقت البلك بمن فيها من الفرنج . ووافق ذلك قول الشيخ تلك الكلمة فعد الحادث كرامة له لأن الله ألهمه ذلك القول في ذلك الوقت . يعلم كثيرون من القراء ان البارجة (فيكتوريا) أعظم بوارج الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط قد غرقت عند دخول الاسطول ميناء طرابلس الشام منذ بضع سنين أو أكثر . وقد أفق عند ذلك أن رجلا من الظرفاء في طرابلس كان مع جماعة في متجره التل من تلك المدينة يتفرج على الاسطول فقال اذا تصرف لكم بهذا الاسطول فأغرقتم بعض بوارجه أنشدهون لي بالولاية والكرامة ؟ قالوا كيف لا وأنت أهل للتصرف ؟ فقال ما مناه انه تصرف ولم يمس الا قليل من الوقت حتى رأوا كأن الاسطول قد نهض بارجة نشكوا في ذلك حتى علموه اليقين . ولو كان ذلك الرجل وسخ الثياب كثير الهذر والدعوى بحيث يعتقد العامة فيه الولاية والبركة لسارت الركبان بأن غرق البارجة كان كرامة له وأما طاعة الحيوانات فالحكايات فيها كثيرة عند جميع الأمم لما يقع من الحوادث

التي بعدها المقتدون بولاية شخص كرامة له ولو وقعت بينهما لغيره من لا يرونها أهلاً للكرامة لما عدوها الاصادفة لا تتعدى حدود المعتاد فان الحيوانات لا تعرف لحركاتها في اقبالها وادبارها وهجومها على الشيء وانصرافها عنه أسباب مطردة . وقد وقع لكثير من جواب الآفاق ان يصادفوا السباع في بعض الفيا في مقابلة عليهم ثم لا تلبث ان تنصرف عنهم بغير سبب يعرف . وعدم العلم بالسبب لا يفي بوجود السبب فربما تذكر السبع في الساعة التي انصرف فيها شيئاً حمله على الانصراف عن كان يقصده كان شم رائحة أو سمع صوتاً من الجهة التي فيها أنسابه تخاف عليها عدوان عاد . وقد اتفق لفصيلة من المساكر المصرية في السودان ان سارت في ليلة مقمرة فاعترضهم الاسد في الطريق فذعروا وحاروا لا يدرون ما يصنعون ولكن الاسد لم يلبث أن زار وعدا كالسهم وسمعوا في أثناء ذلك عواء كثيراً فعلم بعضهم بما سبق له من الاختبار أن عرجلة من الضباع هجمت على لبوة ذلك الاسد من شدة الخوف ففهم بذلك الاسد فذهب لتصرتها

قد علم مما ذكرناه في المسائل ان الحكايات التي يتناقلها الناس لاثقة بها فها الا نك المدين ومنها جعل ما هو مستحيل خارقاً للعادة ومنها ما يضاف الى غير سببه ويمل بغير علته . ولو شئنا لذكرنا من هذا النوع حكايات كهذه الحكايات أسندها غير المسلمين الى من يعتقدون لهم الكرامة وعمل الدجائب . واذا جاءنا السبكي أو غيره بحكاية منقولة بالتواتر لاحتعل التأويل فأننا نجزم بأنها خارقة وما كان ينبغي لثقة في العلم ان يقول ان هبوب الريح وإغراقها للمراكب من خوارق العادات وما زال الناس في كل زمان يشاهدون مثل ذلك بأعينهم في جميع البحار والأنهار التي تجري فيها السفن . وكلمة الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى لا تحمل المعتاد خارقاً للعادة . فان قال : ان الكرامة لا يشترط أن تكون خارقة للعادة ومخالفة للسنة النكونية وان توفيق الله تعالى بين حوادث الطبيعة ومصلحة المؤمنين عند دعاه بعض الصالحين أو بشارته يصح أن يسمى كرامة لذلك البعد الصالح : فلا منازع له في قوله ، ولا معارض له في حكمه ، لأن التسام بهذا لا يفسد عقول العامة فيحول دون الاعتقاد بحكمة الله واطراد سنته ، ولا يفرهم بالأشخاص فيطلبوا الشيء بغير سببه ومن غير معدنه ، وما تريد بالبحث

في الخوارق إلا المدافعة عن هذا الاعتقاد والحرص على إزالة هذا الغرور

﴿ النوعان التاسع والعاشر طي الزمان ونشره ﴾

قال السبكي : وفي تقرير هذين القسمين عسر على الافهام ، وتسليمه ، لاهله أولى

بدين الايمان ، والحكايات فيما كثيرة :

أقول يريدون بطي الزمان ان تمضي الايام الكثيرة على المرء ولا يشعر بمرورها فيمر الشهر عليه كأنه يوم أو بعض يوم . ويننون بنشر الزمان ان تكون الساعة الواحدة كالسنين الطويلة . ومن الحكايات التي استجيا السبكي من سردها ان بعضهم أحدث وهو في المسجد الجامع يوم الجمعة والامام يخطب فوضع بعضهم عليه عباءته وقال اذهب فتوضأ فذهب الى مكة فتوضأ ثم عاد والامام يخطب ومنهم من رأى نفسه في مثل هذه الحالة في بلاد فكث فيها عدة سنين وتزوج ورزق بأولاد ثم عاد فرأى الناس في مجلسهم الذي فارقههم فيه ، وهم يزعمون ان مثل هذا واقع حقيقة لا تخيلاً ولذلك قال ان في تقريره عسراً ، وأى الخوارق قرر فكانت قرية من الفهم ، سهلة القبول في نظر العقل ، ؟ وبأية قرر ما عنده ، ولم يذكر « دين الايمان » فيما لم يرد في كتاب ولا سنة ، وما أرى عنده الا التسليم والتقليد ،

وباليت شمري ماهي الفائدة لأمة - التي بشرطها السبكي لاطهار الكرامة - في هذين النوعين . على ان هذا شيء لا يظهر لأنه لا يقع وإنما ادعي ادعاء بلاينة ولا برهان ، فكيف جازلهم ادعاؤه وأمر الكرامة مبني - كما قال - على الكتمان ،

قالوا وأكثروا فإذا كان العقل والدين يقضيان بأن لا يصدق المرء بكل ما يسمع وان عليه ان يثبت في الاخبار التي تسند الى الحس ويستشهد فيها الناس فكيف يسلم الماقل بما هو غريب عن العقل والمادة ولا حجة على قول مدعيه ان النفس دعواه فتقوله هو الدليل وهو المدلول . رأى الدجالون ان الناس يسمون لمدي الولاية بالظاهر بالصراح كل ما يقول فطفاة قوا يدعون كل ما يخطر ببالهم وقد كان العلماء يفتنون أفواهلهم فصاروا في مقدمة الخاضعين لهم المسلمين بكل ما يقولون . فان كان في أهل الصدق من قال بطي الزمان ونشر الزمان فلا نظره يعني به ان ذلك قد وقع حقيقة في عالم الحس وانما يعنون به والله أعلم - ما يكون لهم من الاحوال

التي يسمون فيها عن الحس ويطيرون في جو الخيال ، ويجولون في عالم الخيال ، فيكونون أبقاطا وكأنهم في منام ، فأما طي الزمان ففنية قامة وأما نشره فروهي وأحلام ، وقد يسمى القوم التصوّر تطوّرا ، والأحوال النفسية ، عوالم غيبية ، وإذا صح أن الأرواح تجرد قبل الموت كما يقولون ، وتكون في عالم وسط بين عالم الملك وعالم الملكوت ، فمن الخفاقة أن يحدث الناس كافة بشيء يفوق إدراكهم ، ويملو على أفهامهم ، وليس فيه من الفائدة إلا أنه فتنة لهم ، ولو لم يدخلوه في الدين لكانت الفتنة أهون بل لكان فيه فائدة للخواص لأنهم يجتهدون في كشف حقيقة هذا الامر فان كانت هناك عوالم حقيقية ، طريقها الرياضة الروحانية ، يسلكون إليها طريقها ، ويدخلون عليها من بابها ، ولكنهم الآن يقولون ان هذا من خوارق العادات ، وأنه لا يكون إلا بالخصائص والغمائيات ، وهذا السبكي أحد علماء الاصول يقول فوق ذلك انه يملو الافهام ، وان التسليم به أولى في دين الإيمان وشريعة الاسلام ، والعامية من ورثته تستخذي لدعي هذه الكرامات ، وتنظم تعظيمهم في سلك العبادات ، وتطلب منهم ما لا يطلب الا من الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(الزرد والشطرنج ونحوهما)

(س ١) الزرد — الشيخ أحمد محمد الالائي بطوخ القراموص : ماهو الزرد وتاريخه ومخترعه وما سبب اختراعه وما حكم الشارع فيه وما حكمه ذلك . واذا كان الشارع حرمه فهل قال أحد من الأئمة الاربعة أو غيرهم بحله اذا خلا عن الرهن ؟ وكذا ترجو الاجابة على هذا النحو على الشطرنج والضمنة والكتشينة وهي أوراق مزروقة بالصور وما هي القاعدة الفاصلة بين الحل والحزمة وما حكمها :

(ج) الزرد هو ما يسمونه اليوم (الطاولة) وهذا ينفي عن وصفه ووصف الماعب به على أننا رأيناه ولكن لا نعرف كيفية اللعب به وهو من وضع الفرس ويقول صاحب القاموس المحيط وغيره ان واضعه أردشير بن بابك أحد ملوكهم قال : ولهذا يقال له الزردشير : وأردشير هذا هو مؤسس الدولة الساسانية في الفرس التي هي الطبقة الرياضة من

ملوكهم وذلك في سنة ٢٢٦ م وقبل موته توج ابنه سابور وولاه واحتمار هو الغزلة ومات من سنته وهي ٢٤٠ م ويظن أنه اخترع الزرد في تلك الغزلة لتلهي به وان كان مشغولا بالمادة في بيوت النيران فإنه هو الذي أرجع في تلك المدة مذهب زرادشت المجوسي الى الفرس . وفي شرح القاموس ان سبب تسمية أردشير هو ان شير اسم الاسد وقد قتل ان الاسد شمه وهو طفل ولم يأكله . وقال الماوردي : قيل انه وضعه على البروج الاثني عشر والكواكب السبعة لان بيوته اثنا عشر كالبروج وقطه من جانبي القصر سبع كالكواكب السبعة فعدل به الى تدوير الكواكب والبروج : وقال البيضاوي في شرح المصاييح : يقال أول من وضعه سابور بن أردشير ثاني ملوك الساسان ولأجله يقال له الزردشير وشبه رقبته بالأرض وقسمها أربعة أقسام تشبها بالفصول الأربعة :

أما حكم الشارع في الزرد بخصوصه فالخلف قد روى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي موسى مرفوعا « من لب بالزرد فقد عصي الله ورسوله » ومن حديث بريدة « من لب بالزردشير فكأنما غس يده في لحم الخنزير ودمه » وأما الحكمة في ذلك فهي أنه كالأثر لام يقول فيه على ترك الأسباب والاعتماد على الخلق والبخت فهو عبث يخشى ضرره ولا يرجي منه نفع . قال النووي في شرح مسلم عند الكلام على الحديث وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللب بالزرد . وقال أبو اسحق المروزي يكره ولا يحرم . قيل وسبب تحريمه ان وضعه على هيئة الفلك بصورة شمس وقر وتأثيرات مختلفة تحدث عند اقترانات أوضاعه ليدل بذلك على أن أفضية الامور كلها مقدره بقضاء الله ليس للكسب فيها مدخل ولهذا ينظر اللاعب ما يقضي له به . وقد اختلف فقهاء الشافعية في درجة حظره فذهب الاكثرون الى أنه من الكبائر ترد الشهادة بالمرء الواحدة منه وقبل هو من الصفات وقال بعضهم بكرهته لقول الشافعي في المختصر : وأكره اللب بالزرد للخبير : وردوه بأنه كثيرا ما يقول مثل هذا في المحرمات واحتساب الثقل عن الام . وقيل الموفق الخليلي في منتهى الاجماع على تحريم اللب به وكان الذين قالوا بالكراهة لم يستدوا بهذا الثقل وعندي ان تحقق الاجماع في غير الامور العملية المتواترة كهشة

الصلاة وعددها عزير . ولكن اقل ما في قل الموفق أنه لم يقل أحد من الأئمة المشهورين بحجة

الشرطي . وأما الشرطي فهو معروف . والمشهور في كتب التاريخ والأدب ان واضع أحد حكماء الهند القدماء وزعم بعض الافرنج ان اليونانيين هم الذين وضعوه في أثناء حرب ترواده الشهيرة . وأما سبب وضعه فقد قالوا فيه ان الحكيم صيصه ابن داهر الهندي رأى ان ملك زمانه في مستند للخير والعدل في الرعية ولكن بطاقته قد حيوا اليه اللهو واللعب والتصرف والخيالة وصرفوه في حظوظهم وأهوائهم ورأى ان الملوك يتقل عليهم سماع النصيح الصريح فأحسن الحيلة في اصال النصيحة الى الملك في صورة اللعب باختراع الشرطي الذي مباد على ان بقاء الملك بقاء الرعية وانه في نفسه ليس بشيء وهو بهم كل شيء . ولما اخترعه وعلم به الملك استقدمه ليعلمه اللعب به فكان يلعبه ويشرح له في ضروب اللعب ما يمثل له حاله وما يتوقع من أخطارها ففهم النصيحة وعمل بها فحسن الحال .

ويقال أنه أراد ان يكافئه ففسال له تمن علي واقترح فاقترح ان يوضع في بيت من بيوت الشرطي حجة قع واحدة وتضاعف في البيت الذي بعده ثم تستمر المضاعفة بان يضاعف في كل بيت مقابلة الى آخر البيوت وعددها ٦٤ ويسطى مجموع ذلك فاحقر الملك هذا المطلب ثم علم ان خزائنه لا تفي به . وقدر على بعضهم بضبط المدد الحاصل من هذه المضاعفة قال ابن السمان الدمشقي ان جملة ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف - ست مرات - وأربع مئة وسبعة واربعون ألف ألف ألف ألف - خمس مرات - وسبع مئة واربعون ألف ألف ألف ألف - أربع مرات - وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف - ثلاث مرات - وسبع مئة وتسعون ألف ألف - مرتين - وخمسة مئة وواحد وخمسون ألف وست مئة وخمسة عشرة . وقد بعضهم ان هذا المدد بملا ١٦٣٨٤ مدينة في كل مدينة ١٠٢٤ بيتا في كل بيت ١٧٤٧٦ ميكالا من القمح كل ٣٢٧٦٨ حجة

أما حكمه فقد اختلف فيه الفقهاء والاهلكثرون على أنه غير محرم أباحه قوم بشرط ان لا يدخل فيه القمار وان لا يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبغي ان

الأكثر من اللعب به وبشيره يسقط المروءة ولا يرضاه السائل لنفسه فهو مكروه
كرهه شديدة . وقد روي في تحريمه أحاديث لا يصح منها شيء بل هي إلى الوضع
أقرب منها إلى الضعف ، ومنها حديث : يامعون من لعب بالشرطي : رواه الديلمي
عن أنس ورواه غيره بزيادة : والنظر إليها كآكل لحم الخنزير : وروى عن حديث
وأثله : أن الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة لا ينظر فيها إلى صاحب
الشاة : يعني الشرطي . ورواه الخرائطي بإفظ آخر ، وروى البيهقي وابن عساكر
عن عمار بن أبي عمار أن علياً عليه السلام مرّ بقوم يامعون بالشرطي فوثب
عليهم فقال « أما والله لغير هذا خلقتم ولولا أن تكون سنة لضربت بهما وجوهكم »
وروى الثاني عنه أنه قال لا تنسل على أهل الردشير والشرطي . وروايته ضيفة . وقد
روى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد - كلاهما من شيوخ البخاري - وابن أبي الدنيا في ذم
الملاهي وابن النذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن علي كرم الله وجهه أنه مرّ بقوم يامعون
بالشرطي فقال « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأنيس أحدكم جراحاً حتى
يطأه خبيرة من أن يمسيها » وفي الزواجر أن ابن عمر (رضي الله عنهما) سئل عن
الشرطي فقال « هي شر من البسر » . وقال الإمام مالك هي كالنرد وروى عن ابن
عباس (رضي الله عنهما) أنه ولي مالا لينم فوجدها في تركة والده اليتيم فأحرقها ولو
كان اللعب بها حلالاً لما جاز إحراقها . وقال النووي في فتاويه : الشرطي حرام عند
أكثر العلماء وكذا عندنا إن قوت به صلاة عن وقفها أو لعب به على عوض فإن اتى
ذلك كره عند الشافعي وحرم عند غيره : قال ابن حجر في الزواجر : فإن قلت ما الفرق
ههنا بين النرد والشرطي ؟ قلت فرقي أئمتنا بأن التعويل في النرد على ما يخرج منه
الكمبان فهو كالزلازل وفي الشرطي على الفكر والتأمل وأنه ينفع في تدبير الحرب
وقد أحيت أن أئمتنا الكلام في النرد والشرطي بما جاء في كتاب الصادق والباقر
فيهما المألفين ، من الفكاهة والحكمة . قال في سياق حكاية

ثم بدا لي فرأيت رجلاً شيخاً يناجي صاحباً مكتهلاً
قد أكثر الخصام والجداً وأعلن الشجار والمقالا
وأنه خراً وكثرة المناخره تدعو إلى الغناد والمشاخره

فكان قول الشيخ قومي المند الحكماء العلماء الد
لهم علوم وحلوم وفطن وحكمة بالغة إذ تمتحن
لو لم يكن من فضلهم إذ يختبر فضل الرجال منصف ويعبر
الا الذي أبدوه في الشطرنج للناس من علم شديد النهج
جسد عظيم لقبوه هزلا يصبر الرأي الافين جزلا
فيه اشارات الى مواعظ نافعة لكل واع حافظ
قد رسموها للهدى مثالا ان الحكيم يضرب الامثالا
يمنون ان الميش في التدبير وائس بالقسمة والتقدير
والمرء للانفال مستطيع محكم يحفظ أو يضيع
وذلك العدل بلا خلاف لو وفق الرجال للانصاف
قال له الكهان وقومي الفرس الحكما ما بذاك لبس
لهم سياسات وتدير حسن كالتشرع عدلا في الفروض والسن
وملكهم معتضد بالحكمة كأنهم قد أبدوا بالمصم
لانصب الاصنام والاونانا ولا نرى الظلم ولا العدوانا
والميش بالرزق وبالتقدير وليس بالرأي ولا التدبير
وقد وضعنا النرد للمثال لو فطنت بصائر الرجال
وما قصدنا بالفصوص الالهيا حاشا لنا لكن قصدنا الادبا
وانما سمى لعبا حياه تخفى به ما فيه من فضيله
وانما يمشقه الرجال لانه لعب حكما يقال
ولو دروا ان المراد الادب بوضعه وصنعه ما لعبوا
فالخفي قد تعلمه ثقيل يأباه الا نفر قليل
وانما أخفيت المصالح ومواقول الشفيق الناصح
ودامت بظاهر اللذات كم راحة تكن في اذنة
كنما ركبت الالحان ووضعت للحكمة الميدان
يظنها الجاهل لهوا ولعب ولو درى بوضعهما مذاطاب

من راحة الروح وبسط النفس وهزها لطبها بالانس
لم يستمع قط الفناء وقر عنه لان الحق ما فيه وطر
قال له الهندي هذي حقي سلكت فيما جتته محمدي
شربنا مثل هذا وضما أول فن في الصلوم اخترعا
وفضله باد بغير مين ما أوضح الصبح لذي عينين
وان برهاني فيه ظاهر والحق لا يدفعه المكابر

أما الضمنة فهي لعبة حديثة فيما أظن وأما الكنتيشنة فهي نوع من اللعب بالورق الذي سماه
الفقهاء الكنتخفة وكلاهما يعلم من القاعدة التي نذكرها لتكون فصل الخطاب وهي

﴿ قاعدة في حكم الملاهي ﴾

ان الملة في تحريم كل حرام هي المضرة في الدين او النفس أو العقل أو المرض
أو المال فلا ضرر فيه لايحرم وماورد في الرد فسيبه الاول أنه شيء بالازلام التي كانوا
يلقونها في الجاعلية لعرفة الحير والشر فان الممول في الرد على البخت الذي يخرج الكعبان
(يأخذ كل لاعب كمين يسمونها الآن الزهر) كما ان الممول في الازلام على البخت
الذي يخرج القداح . وقد حرم الاشتغال بالازلام لما فيها من التفرير بالعقل وبناء
الامور على الوهم وإهمال الفكر والنظر ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرد
لما فيه من معنى الازلام ومن التذكير بها . وأحب لكل مسلم ان يحتنبه وان اقتفت
الملة عنده بأن كان لا يستند بالبخت ولا يبنى حكما الا على سبب صحيح ، احتراماً
للنهي الصريح .

وأما الشرط فمقدّمون انهم لم يكن معروفاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم وذلك من دلائل وضع ماورد فيه مرفوعاً وما الآثار فيها القوي ومنها الضعيف
فن لم يخرج بها فيحكم قاعدة دفع الضرر في كل لعب . وقد قال بعض أئمة الشافعية
ان اللعب الذي فيه حساب وفكر يباح وما لا حساب فيه ولا فكر فهو مكروه أي ان
لم يضر والا فهو حرام . أقول ومن اللعب ما يفيد رياضة البدن وتحريك الدم فيه وينبغي ان
يكون محموداً محبوباً لا مذموماً ولا مكروهاً ، وأي حرج - ليت شعري - على من أنها
بدنه او عقله التبع من شغله فحاول ترويح نفسه أو ترويض جسمه ببعض الالباب التي تمنحه

ولا تضرب غيره ولا تخجل بمروءة ؟ أقول ان ترك مثل هذه الرياضات يضرب أحيانا فاذا ظن
ضرب تركها كان الترك مكروها واذ تحقق الضرر كان الترك حراما . واذ لم يكن في الفعل
ولا في الترك ضرر فالفعل مباح والمحمل بالمروءة كاتكباب اهل الهيئة ورجال العلم والاحكام
على السب في بيوت اللهو (القهاوي) فان ذلك مكروه شرعا وعقلا بلا نزاع والله أعلم
وأحكم وإليه المرجع والمصير

(س ٧) علم الهيئة والقرآن --- ومنه : كيف ينطبق علم الهيئة الجدي من ان هناك عوالم شمسية
لا يحصى عددها سوى خالقها غير عالمنا الشمسي وانها تمتلئ بالخلق على قوله تعالى
« وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جيمانه » وان نينا صلى الله عليه وسلم مرسل
لكافة الخلق وانه سيد الوجود على الاملاق ؟

(ج) السموات هي الاجرام السامية فوقا وهي كثيرة جدا فهنا سبعة كواكب
تابعة لشمسنا وهي نبتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
وهذه الكواكب سارة ولها أقمار تقبها كقمر الارض ومنها شمس لها عوالم تابعة
لها لانهم حقيقة أمورها ولكننا نعرف ان جميع هذه السموات التي فوقا مسخرة
بقدره الله تعالى لنا لتنفع بنورها الذي هو من أسباب الحياة في الارض ونهتدي بها في
ظلمات البر والبحر كما قال في آية أخرى مينة للاجمال في الآية الواردة في السؤال
« وهو الذي سخر لكم لتجروا بها في ظلمات البر والبحر » ويصح ان يكون من
وجوه التسخير وضروب الاتفاع ارتباط بعضها ببعض بالسنة الالهية التي يعبرون بها
بالجاذبية العامة اذ لولا بقاء هذه الجاذبية لاصطدم بعض هذه الاجرام ببعض وخرب
العالم كله كما انه لولا الثور المتبث منها لما عاش حيوان ولا نبات في الأرض . فهي
مسخرة لنا بهذه الاعتبارات

وأما بسطة نينا لجميع المخلوقات في جميع العوالم فلا دليل عليها في عقل ولا عقل اما العقل فلا
معنى عنده لكونه مرسل لقوم يسكنون في كوكب آخر وهو في كوكب الارض وهو
الوجه في السؤال واما النقل فقوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »
اما ذكر العالمين في قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فمراد به من أرسل اليهم
لجميع بين الآتين ولما عهد في تفسير مثل هذا التفسير كقوله تعالى « ان الله اصطفى آدم

ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على الملائكة وأما كونه سيد الوجود فهذا القرب لم يرد في كتاب ولا سنة وإنما ورد في كلام بعض المتأخرين ولكن ورد في الحديث الصحيح «أن سيد ولد آدم» قال الشيخ محيي الدين بن عربي «ملوا هذا الحديث بالاضئاء على غيره من الأنبياء» هذا التفاضل لا يعرف إلا بالنص الصريح عن المصوم لأنه لا ذوق لنا في مقامات الأنبياء . وهو يرد ما قاله بعض المتكلمين من تفضيل خمسة على الجميع وجعل الفضيلة بين خمسة على ترتيب المذكور في هذا البيت :

محمد ابراهيم موسى كلمه فميسى فتوحهم أولو العزم فاعلم
ويمدهذا مجاز فوته تحكما . وقد سبق لنا الاستدلال في انتشار على تفضيله عليه السلام بأدلة مقبولة والحق الذي لا مريبة فيه أن سيد الوجود على الإطلاق هو الله تعالى وحده . ومن غرور الانسان أن يفضل نفسه على جميع خلق الله على جهله بهم والله تعالى يقول في بني آدم «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» وإن هذه الأرض التي يسكنها الانسان إذا نسبت إلى ملك الله الواسع كانت كذرة من جيل أو نقطة من بحر بل كانت أقل من ذلك «وما يعلم جنود ربك إلا هو» والله أعلم واحكم ، والسكوت عما لا يعلم المرعاسم ،

(س ٣) السعدية والرقاعية — الشيخ قاسم محمد غدير بأسبوط : «أقول لكم دام فضلكم فيما فعله طائفتا السعدية والرقاعية من ضرب بعضهم بعضا بالسيف والانساء عليهما من غير أن يصيبهم ضرر هل هذا كرامة لشيخهم أم لا وإن كان الثاني فإوجه عدم الضرر (ج) إن هذه الأضراب من اللب تجرئون عليا ويوجد في أوربا من ولدان والبنات الحسان من فوقهم في ذلك والذكي الفطن لا يخفى عليه من أمرهم شيء إذا هو تأمل . رأيت يعني رجليين رقايعين قابضين على سيف من طرفيه خفيه تلك فوضع يده على السيف مكشوقا يوم الناس أن قتله كله على السيف وهو في الواقع معتمديده على الرجلين بحيث يتمكن من إلقاء الثقل على السيف بقدر الحاجة . ولو كان هذا اللب من الكرامات لكان كرامة لفاعليه لا لشيوخهم و«تلك العصا من هذه العصية»

(س ٤) دخول القرن — ومنه : قرأت في المؤيد للمؤرخ في ٢٦ ربيع الأول لمكانه الإسكندري أنه علم أن شخصا من ذرية سيدي عبد السلام الأسمر بالقرب جاع بمروط واستطاع فلم يعلم فدخل فرأى هناك فيه لحم يشوي فأكله فما هذا ؟

(ج) سترون الجواب في مقالات الكرامات والحواري واعلموا ان رواية الجرائد ليس فيهم شروط الهداية التي يستبرها المحدثون في الرواة الذين تهيد روايتهم الظن فكيف نتمد عليها فيما يطلب فيه اليقين كالذي نحن فيه
(ب) قراءة الفاتحة - ومنه ما حكم قراءة الفاتحة في الاتفاق على امر اهي بمنزلة اليقين
ام لا وما جزاه من لم يعمل بما قرئت الفاتحة لاجله ؟

(ج) جرت عادة الناس في هذه البلاد وفي بلاد غيرها بأن يقرأ التماقدان على شيء الفاتحة بعد إبرام الاتفاق يحملونها علامة على إبرام المقدو الوفاق تهاؤلاً بأن يكون ما اتفقا عليه خيراً ويتم بخير وليس لقراءة الفاتحة حكم خاص في هذا المقام ولا أعرف له أصلاً في الدين ولكن التماقد على شيء يجب الوفاً به ان لم يمنع من ذلك مانع شرعي «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»

الافتتاحية

﴿نموذج من دلائل الإعجاز﴾

(تابع لما في الجزء الماضي من الموازنة)

مع قول البحتري :

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ أَعْجَازُ جَاشٍ مُسَالِمٍ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيٌّ مُحَارِبٍ

وقول أبي تمام :

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ يَغْيَرُ دَلَالِي مِنْ غَيْرِهِ أَبْشَيْتُ وَلَا أَعْلَامُ

مع قول المتنبي :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَنْهَامِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وقول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ لَهُ يُخْتَبَرُ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ

مع قول المتنبي :

أَفَمَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَشُلْ مَعَهَا جَدِّي أَخَصِيْبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بَانُصُ
وقول البحري :

وَأَحَبُّ أَفَاقِ الْإِلَادِ إِلَى قَسِّي أَرْضٌ يَتَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ
مع قول المتنبي :

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ هَاطِبُ
وقول المتنبي :

يَقْرُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالْعَدْلِ مَنْ لَا يُنْعِمُ
مع قول البحري :

لَا دَعِيَ لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةٌ حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ
وقول خالد الكاتب :

رَقَدَتْ وَلَمْ تَرِثِ السَّاهِرِ وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ
مع قول بشار :

لَعَذِيْبُكَ مِنْ كَفَيْكَ فِي كُلِّ أَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وَسَادُ
تَبِيتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ اللَّيْلُ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ
وقول أبي تمام :

تَوَى بِالْمَسْرُوقِينَ لَهُمْ ضَجَاجُ أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْعَمْرَيْنِ (١)
وقول البحري :

تَنَادَرُ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِمًا أَطَاعَ أَهْلَ الْأَمَاصُونَ فِي بَلَدِ أَنْزَبِ (٢)
مع قول مسلم :

(١) الضججاج بالفتح وبالضم كالضجيج وهو صياح الفرع مما يخاف منه (٢) تنادر

الناس أنذر بعضهم بعضا وخوفه النهي

لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى أَذْنِي دِيَارِهِمْ أَلْقَى إِلَيْكَ آلَا تَهْصِي بِأَلْمَقَائِدِ
وقول محمد بن بشير:

أَفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَا دُمْتَ مَشْغُولًا فَلَوْ فَرَّغْتَ لَكُنْتَ لَدَاهُمْ مَبْغُولًا
مع قول أبي علي البصير:

قَتَلَ لِسَعِيدٍ أَسْمَدَ اللَّهِ جَدَّهُ لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْجَبَلُ
فَلَا تَعْتَدِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَاِنَّمَا تُنَاطِ بِكَ الْآمَالُ مَا أَتَّصَلَ الشُّغْلُ
وقول البحتري:

مِنْ غَاذَةٍ مَنِعتُ وَدَمَعُ وَصَلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُدِيتْ لَمَّا لَمْ تَبْدُلْ
مع قول ابن الرومي:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنِّي عُلِقْتُ مَمْنُوعًا مَمْنُوعًا
وقول أبي تمام:

لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ نَفِي سُرِّ الْقَضَاءِ لِي الْعَدْرُ
مع قول البحتري:

إِذَا مُحَاسِنِي آلَاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَدِرُ
وقول أبي تمام: * قَدْ يُقَدِّمُ الْمَعِيرُ مِنْ دُعْرٍ عَلَى الْأَسَدِ *
مع قول البحتري:

فَجَاءَ مَجِيءُ الْمَعِيرِ قَادَتُهُ حَيْرَةٌ إِلَى أَهْرِتِ الشُّدَقَيْنِ تَدْمِي أَظْفِيرُهُ (١)
وقول معن بن أوس:

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تُكَلِّدْ إِلَيْهِ بَوَاجِهُ آخِرِ الدَّهْرِ تَقْبِيلُ
مع قول العباس بن الأحنف:

نَقُلُ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي مِنْ أَمَا كِنِهَا أَخْفُ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ (١)
وقول أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِمَرِيءٍ إِنْ أَصَبَتْهُ بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ آلِهَاطَاءَ يَزِينُ
مع قول أبي تمام :

تُدْعَى عَطَايَاءُ وَقَرَأَ وَهِيَ إِنْ شُهِرَتْ كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَفْقَهُهُ «وَتُنْفَا (٢)
مَا زِلْتُ مُنْتَظَرًا أَعْجُوبَةً عَنَّا حَتَّى رَأَيْتُ سَوَالًا يَجْتَنِي شَرَفًا (٣)
وقول جرير :

بِمَنْ أَاهَوَى ثُمَّ أَرْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْمِهِمْ أَعْدَاءُ وَهَنْ صَدِيقُ
مع قول أبي نواس :

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ
وقول كثير :

إِذَا مَا أَوَدَتْ خُلَّةُ أَنْ تُزِيلَنَا أَيْنَمَا وَفَلْنَا الْحَاجِبِيَّةَ أَوَّلُ (٤)

مع قول أبي تمام :
نَقُلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَاهَوَى مَا أَلْعَبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
وقول المتنبي :

وَعِنْدَ مَنْ آتَوْهُمُ آتَوْاهُ لِصَاحِبِ شَيْبٍ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانَ (٥)
مع قول أبي تمام :

(١) في رواية نفس بدل قلب وتنصرف بدل ينصرف (٢) أي لمن يسأله مبتدئ أو الاحسن جهل
«وَتُنْفَا اسم فاعول صفة للفخار ، كتبه الاستاذ الامام «٣» عتايي مترسة تأتي بالاسب
«٤» يريد بالحاجبية نزلة «٥» يريدان شيئا وأوفى الوري أخوان في القدر إذ لا وفاء عند
أحد و«من» استفهامية.

فَلَا تَحْسَبَا هَذَا لَهَا الْقَدْرُ وَحَدَّهَا سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلِّ ثَانِيَةٍ هِنْدُ
وقول البحتري :

وَلَمْ أَرَفِ رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْدًا فَمَا وَلَّتْ وَرْدًا لِيْلِيلٍ عِنْدَ احْتِفَالِهِ (١)
مع قول المتنبي :

قَوَاصِدُ كَأَفْوَرٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ الْوَقَايَا
وقول المتنبي :

كَأَنَّمَا يُؤَادُّ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ تَعَاذِرُ وَلَا هَرَمٌ

مع قول البحتري :

عَرَبُونَ فِي الْإِفْضَالِ يُؤْتَفُّ النَّدَى لِنَاسِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَفُّ الْعَمْرُ
وقول البحتري :

فَلَا تُهْلِكُنِ بِالسَّيْفِ كُلَّ ثَلَاثِهِ لِيَمْضِي نَارًا لَكَفَّ لَا السَّيْفُ تَقْطَعُ
مع قول المتنبي :

إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ قَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَرْبِلُ اتَّسَاوِيَا
وقول البحتري :

سَامُوكَ مِنْ حَسَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْجَوَادِ وَجَادَ غَيْرُ الْمَفْضِلِ
وَقَبِدْتُ فِينَا مَا بَدَأَتْ سَمَاحَةٌ وَتَكَرَّمَا وَبَدَأَتْ مَا لَمْ تَبْدُلِ (٢)

مع قول أبي تمام :

أَرَى النَّاسَ مَبْتَاحَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَائِمُهُ الْهَثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِجُهُ (٣)

«١» الصري اسم نهر (٢) أراد أنهم من الجسد اخذوا يسامونه في العطاء فبدلوا ولا جود عندهم فكان بذله بديلين بذل السباحة الصادر منه مباشرة وبذل هؤلاء للخلاء الذي صدر عنهم بسببه كتبه الأستاذ الامام (٣) محت لواحجه بمعنى عفت مهائمه أي بايت طريقة الواضحة وواحدة اللواحب لواح

فَمَيَّ كُلَّ نَجْدٍ فِي الْإِسْلَامِ وَعَاثِرٍ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُ
وقول المتنبي:

يَضَاهُ طُطِيمٌ فِيمَا نَحَتْ حُلَّتَهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طَلِبَا
مع قول البحري:

تَبْدُو بِمُطَفَّةٍ مُطْمَعٍ حَتَّى إِذَا شُغِلَ الْحَكَمِيُّ ثَبَتَ بِصَدَقَةِ مُوَيْسَ (١)
وقول المتنبي:

إِذْ كَارُ مِنْكَ تَرَكُ إِذْ كَارِي لَهُ إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرَجِمَا
مع قول أبي تمام:

وَإِذَا الْعَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْأَمْرِ تَقَاضَيْتُهُ بِرُكِّ التَّقَاضِي
وقول أبي تمام:

فَنَصَبْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِدْرٍهَا فَكَأَنَّهَا أَمْ تُحْجَبُ
مع قول قيس بن الخطيم:

فَقَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا مِ الْخَائِقِ الْأَتَكِبَهَا سُدْفُ
وقول المتنبي:

رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رَيْشَهَا الْهَدَى بَشُقُّ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْجُلُودِ
مع قول كثير:

رَمَتْهُ بِسَهْمٍ رَيْشُهُ الْكُحْلُ أَمْ يَجْزُ ظَوَاهِرُ جِلْدِي وَهَوْنِي أَقْنَابُ جَارِحِ (٢)
وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى إلى لبيد:

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
مع قول أبي التماهية:

(١) الصفة المرد من الصدف وهو الأمراض عن النبي (٢) وفي نسخة يصب بدل يجر

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ تُدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيْامُهُ
وَقَوْلُهُ: أَقْلِيلَ زِيَارَتِكَ الْحَبِيبِ بَتَكُونُ كَالْوَبِ اسْتَجْدَهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِثُّهُ أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ

مع قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْعَمَلِ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَأَغْرِبَ تَجَدِّدِ
وَقَوْلُ الْخُرَيْمِيِّ:

زَادَ مَمْرُوقَتَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرٌ
تَتَنَاسَأُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ
مع قول المتنبي :

أَظُنُّ مِنْ فَعْدِكَ أَعْتَدَ أَدَهُمْ أَنَّهُمْ أَعْمَعُوا وَمَا عَلِمُوا
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

أَلَمْ تَرَ الْمَذَوِّبَ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ التَّوَائِلِ وَالْفُضُولِ
مع قول المتنبي :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِمَا أَرَادَ مِنْ يَخْلُومُنَ أَلْسِنُ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفُطْنِ
وَقَوْلُ الْمُنْتَبِي :

تَذَلُّلُ لَهَاوٍ أَخْضَعَ عَلَى اقْتَرَابِ وَالنَّوَى فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ
مع قول بعض المحدثين :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَعْوَى طُيْمَا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تَلْزِمَ النَّفْسَ الْخَضُوعَا

وقول مضر بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَائِلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ أَمْعَجُ

وَأَتَيْتُ بِالْمَوَلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقَدَانُهُ لَمْ يَمَعُ
مع قول المتنبي :

أَمَّا تَغْلَطُ الْيَأْمُ فِي بَأْنِ أَرَى بَيْضًا تَنَائِي أَوْ حَبِيبًا تَقْرُبُ
وقول المتنبي :

مَظْلُومَةٌ أَلْقَدَّ فِي تَشْبِيهِهِ غَضًّا مَظْلُومَةٌ أَلَرِيقُ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا
مع قوله :

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالَمَا بَخْسْنَاكَ حَطَّاءَاتُ أَبْعَى وَأَجْمَلُ
وَنَظَمُ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَيْثِ فِي الْوَعَى لِأَنَّكَ أَحْسَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ

ذكر مائت ترى فيه في كل واحد من اليبتين صنعة وتصورا
وأستاذية على الجملة فن ذلك وهو من النادر قول لبيد :
وَأَكْذَبُ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُرَدِّي بِالْأَمَلِ
مع قول نافع بن قسيط :

وَإِذَا صَدَقَتِ النَّفْسُ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا أَمَلًا وَيَأْمَلُ مَا أَشْتَهَى الْمَكْدُوبُ
وقول رجل من الخوارج أُتِيَ بِهِ الْحِجَاجُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ
قَطْرِ فَقَتَلَهُمْ وَمَنْ عَلَيْهِ لَيْدٌ كَانَتْ عِنْدَهُ وَعَادَ إِلَى قَطْرِ فَقَالَ لَهُ قَطْرِي
عَاوَدَ قِتَالِ عَدُوِّ اللَّهِ الْحِجَاجُ فَأَبَى وَقَالَ :

أَأَقَاتِلُ الْحِجَاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ يَدِي تُقَرُّ بِأَنْعَا مَوْلَانَهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَانَهُ
وَتَحَدَّثَ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِمًا عُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ نَخْلَانَهُ (١)

مع قول أبي تمام:

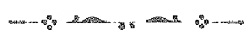
أَسْرِبُ هُجْرَ الْقَوْلِ مِنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوثُهُ عِنْدِي (١)

وقول النابغة:

إِذَا مَا غَدَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَقْنَأَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا اتَّقَى الصَّمَانُ أَوَّلَ غَايِبِ (٢)

مع قول أبي نواس:

وَإِذَا مَجَّ أَلْقْنَا عَلَقًا وَتَرَأَى الْمَوْتُ فِي صُورِهِ
رَاحَ فِي ثَنِيَّتِي مُفَاضَتَهُ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ (٣)
يَتَأَيَّسُ الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ (٤)
المقصود البيت الأخير (له بقية)



(تقرئ: المطبوعات الحديثة)

﴿كيمياء السعادة﴾

رسالة في علم النفس والاخلاق أو التصوف لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي طبع في مطبعة المنار عن نسخة خطية قديمة، وصححها بالمقابلة على نسخة خطية أخرى بدار الكتب المصرية ملزم طبعها الشيخ ابراهيم اسماعيل خاخر احد المجاورين في لاهور وجعل ثمن النسخة الواحدة من الورق الجيد قرشا صحيا ومن ورق متوسط نصف قرش وكفى بمزوها الى حجة الاسلام ترغيبا فيها وهي تطاب من ملزم طبعها ومن ادارة مجلة المنار بمصر وأجرة البريد ما يان

(١) الكلام استفهام انكاري حذف، من «أسرب» همزة الاستفهام (٢) الرواية الجمعان بدل (الصمان) (٣) المفاضة الدرع الواسعة (٤) يتأني — يتجرى ويتربقب والضمير في جزره للطير وجزر الطير وجزر السباع هو اللحم الذي تأكله

(كتاب المؤلؤ المرصوع . فيما لأصل له أو بأصله موضوع)

ألف الحفاظ والمحدثون كتباً كثيرة في الأحاديث الموضوعية التي عزيت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذباً عمداً أو جهلاً محضاً حتى ان المقلد لكل متقدم يظن أنهم لم يدعوا المتأخر مثلاً ، ولم يتركوا له في التأليف مجالاً ، ولكن من يتوجه الى الاستفادة باخلاص قلب يفتح الله عليه ما يفيد به . فهذه الكتب المؤلفة في الموضوعات لا تكاد تجد لها قارئاً واحداً في الألف من طلاب العلم . ونظن ان كتاب « المؤلؤ المرصوع » الذي طبع في هذه الأيام سيكون حظاً عند أهل هذا الزمن أكبر من حظ تلك الكتب لأن مؤلفه هدى بإخلاص ، فجمع فيه كثيراً من الأحاديث الموضوعية التي تدور على ألسنة الناس وفي بعض الكتب ورتبها على حروف المعجم فكانت كتاباً يزيد صفحاً . عن أمته

مؤلف الكتاب الشيخ محمد أبو المحاسن القنوقجي الطرابلسي أحد شيوخنا في الحديث . وكفى بذكر القنوقجي تعريفاً فإنه قد اشتهر بصلاحه في هذه البلاد وغيرها ومريده ويدرؤن بالآلوف رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وقد طبع الكتاب على نفقة الحاج عبيد الله المطار من مريدي المؤلف وصحبه الشيخ محمد كمال الدين القنوقجي الأزهرى نجل المؤلف وطبع في آخره رسالة الحافظ الصناني في الموضوعات . فبحث جميع القراء على مطالعته كيلا يفتروا بما اشتهر من تلك الأحاديث المكتوبة

﴿ ديوان الكاشف ﴾

أحمد افندي الكاشف شاعر قوي السليقة بديد من الصنعة مشهور بما نشر له من القصائد في الجرائد وقد جمع شعره من سنة ١٣١٥ الى سنة ١٣٢٠ وطبعه في ديوان سما ، ديوان الكاشف وصدره بمقدمة في ترجمة نفسه ، بلغت ٣٥ صفحة وبلغ الديوان بها ١٦٠ صفحة . وقد سلك في الترجمة مسلك الحرية فذكر ما يمدح وما يذم وباج بأسرار الخواطر والهواجس . يعلم منها أنه كان موكولاً الى نفسه ، مسترشداً بوجدانه وحسه ، يتلى فيستسلم لدواعي الاحزان . ويتحسس فيسلك مسالك الشجمان ، ويمشق فيستسلم في طاعة الغرام . ولم يصبر على صرامة التأليم ، ولم يسلس قياده لتظار المدارس ، فاكتفى ببعض المبادئ ورضي من ثمرة العلم والأدب بالشعر يوحيه الذوق وتنظمه السليقة . وهو دموي المزاج حادّ يحب للأنحر والملي ويرى ان

الشعر كاف في رقي صاحبه الى ذرى العالي وحسابه في عداد الثاقبين . كتب ما كتب في مقدمته وشعر بأنه جاء فيها ما يستدّر منه فقال في آخرها إن له ثلاثة أعذار المرض وضيق الوقت وفقد التصير . افتتح الديون بعد المقدمة بتقديمه الى الله تعالى فقال :

رب هذا شمري وهذابياني شهدائي بصحة الايمان
لي داع من فطرتي قبل نأ ، لو كانا الى اليقين هذني
من يكن قام بالعقائد قنأ ، ذا فتني استنمت بالبرهان
مسلماً عشت لالاسلام هني وأبي والامير والسلطان
أنا لو كنت نائشاً ومقها بين قوم من عابدى الاوثان
لم أجد غير دين أحد أولى بتابع من سائر الاديان

ثم قدمه الى اتبي بآيات لا تشعر بالتقدم ثم الى أمير المؤمنين ثم الى مصر ثم الى قومه ثم الى الشعراء . وجعل لديوان أبوباي في مدح السلطان ومدح أمير مصر ومدح المظلمة والاخوان . وفي السياسة والتاريخ ومن هذا الباب قصيدة في فتح السودان وقصبة في ذكر الثورة العربية . وفي التربة واتعلم وفي الاخلاق والآداب والحكم والفكاهات . وفي الوطنية وفي الشكوى والعتاب . وفي الخصوصيات والاعراض وفي حوادث الغرام وفي الرائي والتساري وعن نسخة من الديوان عشرة قروش في بلاده مصر ١٥ قرشاً في غيرها من البلاد . نعتي ان يلقى هذا الديوان من اقبال القراء ما قر به عين الناظم

﴿ فتح الأندلس ﴾

« قصة تاريخية غرامية هي الحافة السابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن تاريخ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ووصف أحوالها الادارية والسياسية والدينية وعلاقة بعضها ببعض وبسط عادات القوط والرومان هناك والفرق بين طبقات الناس وقدم طارق بن زياد افتتحها والسبب الذي دعا الى ذلك الى مقتل رودريك ملك القوط في واقعة وادي ايتة سنة ٩٣ هـ » هذا الملخص به الرواية مؤلفها جرجي افندي زيدان وهي كقالب . رغب الناظم في قراءة القصة قبل تقريرها حبا في الثقة الذي لا يجب الا الوثائق بحسن عمله الراغب في تكميله فقرأها بالذة عظيمة وشهدنا له بحسن تصنيف

القصص فان الفاري لا ينتهي من فصل من فصولها الى بشوق باجبه به ويحفزه الى قراءة ما بعده حتى ينتهي بالفصل الاخير

وننقد عليه ان المقصود من القصة بيان تاريخ الاسلام كسوابقها وليس فيها من الا ذكر الفتح نهاية لايجاز . وانتقد غيرنا من نبهاء المسلمين على هذه القصص انها تصور للقارى ان انصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا بسبب ما كان ألم بالامم التي فتحوا بلادها كالرومانيين والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق واختلاف المذاهب الدينية وتفرق الكلمة . ويرى هؤلاء المنتقدون ان هذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله تعالى بهم حل المؤلف عاينها التعصب الديني . ونحن نشكر عليهم هذا الرأي كتابته كما أنكرنا قولنا فان ما ذكره من فساد دين الامم وأخلاقها وتفرق كلمتها هو السبب الاول في قهر أولئك الشراذم من المسلمين لذلك الامم القوية العظيمة السلطان بل لولا ذلك الفساد العام لما أرسل الله تعالى ذلك المصالحح العام كافة للناس بشيرا ونذيرا (صلى الله عليه وسلم) وأيده بنبأته فجمع له كلمة الامم العربية التي لا يعرف لها التاريخ اجتماعا فأدبها وأدب بها على بداوتها أتم العلوم والمدنية ، على ان المؤلف نوه بشجاعة العرب وفضائلهم وعدلهم ولم ينتصهم منه شيئا .

أما عبارة القصة فقد كنت أتوقع أن تكون خيرا مما سبقها فاذا هي كغيرها في السلاسة ولكن فيها كلمات وعبارات عامية لم أر مثلها في كتابتها قبلها لارصيف فجزمت بأنه متمدد ليسهل فهم كتابته على القوام ، وعندى ان سلاسة عبارته كافية في الوصول الى هذا المرام ، وصحة العبارة لا تحول بين المعنى والافهام

﴿ فتاة غسان ﴾

قصة تاريخية غرامية أخرى لجرجي افندي زيدان أيضا كتب على ظهرها بمد ذكر اسمها « تشرح حال الاسلام من أول ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عوائد العرب في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف أخلاقهم وازيادتهم وسائر أحوالهم » أهدانا المؤلف نسخة من الجزء الاول منها طبع ثانية قبل اهداء (فتح الاندلس) فلم ننظر فيه لأر وقتنا بصير وعملنا كثير فلما طالعنا هذه إجابة لطالب المودة سائقنا اللذة الى مطالعة الاخرى فكانت اللذة فيها لا تقل عن اللذة في أختها ، وعبارتها أسلم

من عبارتها ، وقائدها في التاريخ الاسلامي أكبر من فائدها ، وان كانت لم تنسح حال الاسلام كما قال شرحا ، ولم تبسط عوائد العرب وأخلاقهم وسائر أحوالهم بسطاء ، فانه ذكر جملة صالحة من ذلك كان يجهلها السواد الأعظم من القراء لأن أكثرهم من العوام وان تعلم انكثيرون منهم في المدارس الابتدائية فان مدارس مصر لاحظت لها من تاريخ الاسلام . ولذلك كنت أناظر جماعة من أهل العلم يدعون ان قراءة هذه القصص ضارة وأدعي أنا أنها نافعة

يحتاج هؤلاء بأن في هذه القصص أغلطا تاريخية حتى في الامور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله ان أمير العرب على فتح العراق هو « سعد بن مالك » وهو غراب وكان يدعى سعد بن أبي وقاص وان كان اسم أبيه مالكا . ويعمدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقل صحيح كهذا وضعيف فمن الاول قوله ان أبا سفيان حيا هرقل بقوله « أبيت الامن » وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الخميرين للملوك دون المضربين وله ان يحتاج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية . ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل فانه نقلها عن الاغاثي هكذا « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان اثم الاكابر عليك » والرواية الصحيحة في البخاري وغيره « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله (وفي رواية رسول الله) الى الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانتما عليك اثم الاربيين (وفي رواية الاكارين - لا الاكابر - وكلاهما بمعنى الفلاحين يريد رعيته أهل الحرث) ويأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » هذا هو نص الكتاب ولا شك ان المؤلف قصر في اعتياده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير في أهم شيء من موضوع قصته

وذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلها عن الواقدي

وهي ان لفظ (محمد) في السطر الاعلى ولفظ (رسول) في السطر الاوسط وانظروا
الجلالة (الله) في السطر الادنى والمشهور العكس والواقدي يروي الموضوعات وقصته
في فتوح الشام مملوءة بالكذب وهذه المسألة أهون من غيرها

أما ما ذكره مؤلف القصة عن أبي سفيان من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وإنما جمع المؤلف أقوالاً من الكتب
وانفها مع بعض آرائه وأسندها الى أبي سفيان لأنهم يستجيزون ذلك في القصص لأن
المبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية - وإن سمي أهل العربية هذه القصص روايات
كذبا ومينا - والمروفي في الصحيح ان أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل .

ومن المسائل الباطلة التي حكها المؤلف عن أبي سفيان مسألة الفرائق . رآها
في الطبري فظلمها في سلك الحكاية وقال ان أبا سفيان قال ان محمداً ذكر آلهتهم (أي
ببحير) فبنازل عليه ثم رجع عن ذلك (وأبدل هذه الفقرة بفقرة تزيدنا فقرة منه
فقال « ان تلك إنما ألقاها الشيطان على لسانه » ثم ذكر آلهتنا بكل سوء فقال « انها
أسماء سميتوها اسم وآبائكم » الى غير ذلك مما زادنا فقورا وبدا . هذه العبارة
بين الهلاليين منقولة من القصة ببحر وفها وهي توهم ان جملة « ان تلك » الخ مسروبة عن النبي عليه
السلام وذلك غير صحيح وفيها تحريف الآية الكريمة « ان هي الا أسماء سميتوها » الخ
والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في الثقل والاعتقاد على المعنى الذين فهمونه
ويحسبون هذا التساهل هينا حتى في الامور الدينية وهو عند المسلمين عظيم . وقد
نشرنا في المجلد الثالث من اثنار مقالة طويلة للاستاذ الامام يفتد فيها مسألة الفرائق
وبين بطلانها . وللمؤلف المسيحي المنذر في تصديق مسألة ذكرها بعض علماء
المسلمين وسكت عليها فلم يكذبها . وهذه القصة وضعت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فلم تكن معروفة في عهده مؤمن ولا لمشرك

(بشارة ببحيرا الراهب بالنبي صلى الله عليه وسلم وشبهتهم فيه)

ومما أسند المؤلف الى أبي سفيان قوله ان أبا طالب كان يصطحب محمداً في
أسفاره فينزل الديور (كذا) ويحياي الرهبان والعلماء وذكر هنا ان ببحيرا الراهب
أنباء بأمر كثيرة من مستقبل حياته وأوصي به ان يتقي به ويحافظ عليه اليهود .

وقوله ان محمدا كان اذا عاد من سفره يقضي معظم ساعات نهاره في الكعبة يحدث الناس ويجادلهم ويطارحهم ويصحبون لكافة وقوة برهانه (قال) فقد كان على صفر سنه ذكي الفؤاد واسع الاطلاع بما اكتسبه من محادثة عمه ومخالطة الناس في أسفاره مع انه أحمي لا يعرف القراءة : وتقول ان هذا غير صحيح فانه ما كان معروفا بالفصاحة ولا بسعة الاطلاع ولا كان يجادل الناس ولم يقل بالمجادلة جهلاء المسلمين الذين أرادوا ان يعظموه بأكثر مما عظمه الله تعالى به فوضموأ أحاديث واخترعوا حكايات جابت بتقيض المطلوب منها قولهم عنه « أنا أفصح من نطق بالضاد » قال المحدثون انه لأصل له وقال شيخنا الفاوقجي في (اللؤلؤ المصروع) : والمجب من الجلال المحلي ذكره في شرح جمع الجوامع من غير تنبيه وكذا ذكرها الانصاري في شرح المقدمة الجزرية :

أما قصة بحيرا الراهب فقد ذكرها أصحاب السير في البشارات بالتبني صلى الله عليه وآله وسلم ونظموها في سبط الخوارق التي رووا أنها كانت مخفية بها ولكن النصارى نظموها في سلك آخر فزعموا ان بحيرا كان معلما للتبني صلى الله عليه وآله وسلم وعظموا من شأنه ووسعوا دائرة رواية المسلمين في شأنه فأخذ صاحبنا جرحي افندي زيدان خلاصة مما قرأه وسمعه من الفريقين وأودعها قصته هذه (فتاة غسان) ونومها في غيرها وأنا متقدي على من حسن الظن فيه أنه كتب ما يتقدمه وان كان مخطئا فيه أوهت عبارته الماضية ان أبا طالب كان يسافر بابن أخيه قبل النبوة كثيرا فينزل الأديار ويجالس الرهبان والعلماء ... والصواب انه لم يسافر مع عمه الا مرة واحدة وكان ابن تسم وكان سبب خروجه معه تطلقه به وجهه اياه لما كان يعامله به من الكرامة والاحسان وفي هذه المرة رآه الراهب بحيرا وبشر به ولم يره بعدها . وقد سافر مرة ثانية الى الشام في غير الحديجة مع غلامها ميسرة وكان ابن ٢٥ سنة على الأرجح وفي هذه المرة رآه نسطورا الراهب ورأى من علامات النبوة ما أنطقه بأنه هو الذي بشر به المسيح وغيره من الانبياء ولم ير بحيرا في هذه المرة

وقد ذكر المؤلف رأيه في بحيرا في الفصل الثامن من القصة وملخصه (١) ان اسم بحيرا يوحنا عزرا ذلك الى الكندي أي الى ذلك الكتاب الطاعن في الاسلام المنسوب الى رجل على عهد المأمون اسمه اسحق الكندي والكتاب لبعض

ابتأخرين لاشك عندي في ذلك . وفي السيرة الحلبية وغيرها ان اسمه جرجيس وقيل سرجيس . و (٢) ان سلمان الفارسي كان تلميذا له نقل ذلك عن الدثرة ولم يعرف في ترجمة سلمان عند المحدثين . و (٣) انه كان على مذهب آريوس . و (٤) انه كان عالما بالفلك والنجوم والطوابع وسائر علوم تلك الايام و (٥) انه كان حسن الفراسة ولكنهم كانوا يعتقدون انه ساحر . و (٦) انه سافر في آخر عهده الى مكان مجهول في جزيرة العرب ثم علم ان اليهود قتلوه غيلة . و (٧) ان المظنون في سبب ذهابه الى بلاد العرب قصد الحجاز لحادثة جرت معه .

ثم ذكر المؤلف في بيان هذه الحادثة قصة عن لسان راهب كان تلميذا لبحيرا وملخصها ان القوافل القادمة من بلاد العرب كانت تقف عند دير بحيرا بالقرب من مدينة بصرى وكان بحيرا يخرج اليهم ويعلمهم عبادة الله تعالى اذا كانوا وثنيين وانه كان يعتقد ان الله ظهر له في الرؤيا وانبأه بان سيكون واسطة لهداية بني اسماعيل ثم رأى في رؤيا اخرى « ان في جبل المنظر شهما مولده ببرج الثور والزهرة مع قران المشتري وزحل سيهدي ابناء جلده بني اسماعيل الى معرفة الله وان به يقوى أمرهم ويشد أزهرهم وتجتمع كلهم فيذلون أبناء عمهم بني اسحق ويتسلطون عليهم مدة كما اشار اليه دانيال في نبوته وانه يخرج من العرب اثنتا عشرة دولة »

ثم ذكر المؤلف بالسان الراهب ان قافلة جاءتهم من قرينش فشاهد بحيرا فيهم غلاما جيلا علم انه هو الذي بشر به في المنام وأوصى به عمه أن يحذر عليه اليهود (قال) : ثم كانوا كلما صرنا بنا أقاموا عندنا كالعادة :

أقول في هذه الحكاية أغلاط يبنى عليها أحكام فاسدة وهو لم يروها عن أحد وانما استبطنها من قريحته ليصور فيها ما كان يعتقد في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه اقتبس آراءه من ذلك الراهب في التوحيد وغير التوحيد وطفق يستعمل تحقيق بما بشره به وكان يختلف اليه للاستفادة منه ثم ان الراهب بعد ذلك رحل اليه . وحاصل القول ان دين الاسلام بني على ما راف ذلك الراهب وبشارته . ويظهر ان المؤلف رجع عن هذا الرأي الذي يؤخذ من كلامه في بحيرا وصار يعتقد ان النبي عليه السلام لم يكن متصنعا ولا متكفرا بل كان يعتقد في نفسه انه مرسى من الله تعالى .

وفهم هذا الرجوع مما كتبه بعد ذلك في الجزء الاول من تاريخ تمدن الاسلام
 أما الاغلاط المهمة التي جاءت في حكاية المخترعة فأحدها قوله ان كان يعلم العرب
 الذين كانوا ينزلون بجوار الدبر والصواب انه ما كان يخرج اليهم ولا يكلمهم قال في
 السيرة الحلبية « وكانت قریش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام
 صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومته رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى
 الغمامة قد أظلت الشجرة وتهدرت - أي مالت - أغصان الشجرة على رسول الله
 الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها . . . ثم أرسل اليهم قد صنعت لكم طعاما
 باسم قریش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم . فقال
 له رجل منهم - لم أقف على اسم هذا الرجل - : يا بحيرا ان لك اليوم شأنا ما كنت
 تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فساألتك اليوم ؟ فقال صدقت - القصص وفيها
 ان النبي لم يحضر معهم أولا فسألهم عن تخاف لانه لم ير الغمامة على أحد منهم فقالوا له
 ما تخاف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك الاغلام وهو أحدث القوم سنا : فطلبه
 فجاء والغمامة فوقه . فلما كل القوم وتفرقوا قام اليه بحيرا « فقال له : أسألك باللات
 والعزى الا ما أخبرني عما أسألك عنه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألني
 باللات والعزى شيئا فوالله ما أبفض شيئا قط بفضهما : فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرني
 عما أسألك عنه : فقال له : سألني عما بدالك : فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه
 وهيئته وأموره ويخبره فيوافق ما عنده من صفة أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان »
 وذكر أنه أوصى به عمه وليس في رواية من الروايات أنه علمهم في تلك الدعوة
 أو غيرها شيئا أو دعاهم الى توحيد أو غيره

فإنها خير الرؤيا والنظر في التجوّم وقد علمت ان سبب البشارة به في الرواية الماثورة
 هو ما رآه من التعوت والآيات ، وما كان يحفظ من البشارات ، فالرؤيا المتأمية دعوى
 اختراعية ، وبناء البشارة على مرقته بالتجيم حكاية خرافية . فان قالوا انهم لا يسمون بماني
 الرواية الاسلامية من تظليل السحابة والشجرة نقول سواء علينا أرددتم هذا وحده
 أم رددتم الرواية من أسألهما وارحمتونا من ذكر بحيرا الذي عظمتم أسره وهو واحد

من ألوف كانوا يعتقدون بأن نبيا يبعث من آل اسماعيل ، كإشترت التوراة والأنجيل ،
 ثانيا قوله : وأقام الركب عندنا مدة : ورايها قوله : ثم كانوا كالمصر وابتنا أقاموا
 عندنا كالعادة : وكلاهما غير صحيح كما علمت
 وحجة القول أنه لا توجد شبهة ما على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى
 بحيرا غير تلك المرة ولا توجد شبهة ما على أنه استفاد منه علما يذكر ، أو حكما يؤثر ،
 وما ذا عسى يستفيد ابن تسع من مجلس جلسته الى عالم وكيف يصدق عاقل ان ذلك
 الغلام يخزن هذه العلوم زمانا يزيد على ثلاثين سنة ثم يفوضها على الناس بحكمة باهرة
 وسياسة عالية . وكيف يحجز الراهب فيفض العلوم عن هداية رجل واحد كالراهب
 الذي يحكي عنه في القصة وقد رذل ذلك الغلام المستفيض على هداية الشعوب والقبائل وقلب نظام
 العالم بظهوره من الشرك والوثنية والظلم والتهتك في الشهوات ! ! ! ان في ذلك آيات .
 وأما أطنت في قصة بحيرا اظنابا ما كان يتسع له تفریط قصة لانني كنت أسمع من
 رهبان هذا الزمان وبعض عوام النصارى كلاما كثيرا في دعوى تعليمه النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وما كنت أظن ان خواصهم يحفلون بذلك حتى رأيت في هذه القصص
 ما رأيت . ولا أزال اعتقد ان رصينا الفاضل جرجي افندي زيدان ليس له قصدني بحمله
 على كتابة مالا يعتقد وأقول انه لا يجوز لمسلم ان يتق بنير العالم الراسخين من أهل
 الدين في نقل الامور الدينية اذ لا يعرف الصحيح المعتمد عليه غيرهم

بَابُ الْحَبْلَةِ الْإِلَهِيَّةِ

الحسن العظيم منشأوي باشا - أبو الوطن لا الاسكندرية وحدها
 زار صاحب السعادة والفضل أحمد باشا المنشأوي مدارس المروءة الوثقى الخيرية
 في الاسكندرية فتلقاء أعضاء الجمعية الكرام بما يليق مقامه في فضله واحسانه وكانوا
 قد أصروا بأن تزين المدارس حفاوة به فابتدأ بزيارة مدرسة عباس الاول للذكور
 وهناك قدموا له كتابا مصفحا بالذهب ذهبكري شكر على احسانه وعند ختام
 الاحتفال وتلاوة الحبيب والامام عبد وعر البلاء بانه أوقف حياته لتربيتهم ثم زار

مدرسة اسماعيل الاول للبنات ثم مدرسة كوم الشقافة ومدرسة عباس الثاني ومدرسة توفيق الاول والمكتب العباسي ثم مدرسة عباس الاول للبنات فمدرسة ابراهيم الاول وكانت كل مدرسة تقدم له ذكرى تليق بها

وقد هزته الاريحية لما شاهده من حال هذه المدارس والمكاتب وحال التلامذة والتلميذات الذين كانوا يتدفقون بزيارته بشرا وشكرا فأمر بأن تكون كسوة تلامذة المكاتب على نفقته ووعد بأن سيوفد أطيانا ينحصر بها تجهيز بنات الفقراء المتطلعات في هذه المدارس عند زواجهن . وذكرت مدرسة جمعية المعلمين (الشياطين) في الكمرك فوعده بمساعدتها . ثم أمر بصرف راتب شهر لكل واحد من معلمي هذه المدارس فنشر خبر هذه الزيارة وأن كنا نفعل ذكر زيارات الملوك والأمراء الحكيم للمعاهد العامة والخاصة لأن شأن الاسعاد على العلم لا يملوه عندنا شأن وانا لنفتخر بهذا للمحسن العظيم الذي طوق الاسكندرية بفضله واحسانه حتى قال بعض الادباء : يجب ان نكنيه بأبي الاسكندرية . ونحن نتوقع ان يطوق فضله القطر كله بمساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية العامة كما طوق الاسكندرية بمساعدة جمعية المروة الوثقى الخاصة فيكون أبا الوطن كله لا أبا الاسكندرية وحدها دام الله توفيقه . وألهم سائر اغنيائنا ان يسلكوا طريقه ،

* (مدرسة المعلمين الالهامية) *

وفى الله تعالى صاحبة الدولة والدة الجنب الحديوي فألهمها بأن تنشئ مدرسة لتخرج معلمي المدارس الابتدائية وتحملها تذكارا لوالدها (إلهامي باشا) وقد وضع جدول الدروس واتخذ للمدرسة مكان موقت وسدنى لها دار فسيحة في الحليمية على نفقة المنشئة أثابها الله تعالى . وقد عين عابدين افندي خير الله ناظرا لهذه المدرسة أما العلوم التي تقرأ في المدرسة فهي تجويد القرآن الكريم وتفسيره والاحكام والصرف والبلاغة والانشاء قولاً وكتابة والفقه والتوحيد والحساب والهندسة وتقويم البلدان والخط وقبل المدرسة ثلاثين طالبا مجانا بشروط هي معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والصحة وكون السن لا تزيد على ١٢ ولا تقل عن ١٨ سنة العمل المقصود جليل ولكنه لا يتم بالدار الفسيحة والنفقة الواسعة من تكريم الإمارة وإنما يتم باتقاء المعلمين الفضلاء الاكفأ الذين يحسنون التربية أولا والتعلم

ثانياً فإذا لم يكن المعلمون صريين فلا فائدة لهم ولا جدوى . وفق الله ناظر هذه المدرسة لا تلقاء الرجال ، كما وفق منشئها الكريمة لبذل المال ،

« وفاء قراء الصحف ومطالهم »

كتبنا مقالة أخلاقية في وفاء قراء الصحف المنشرة ومطالهم بالنسبة الى البلاد والى الاصناف بنينا الحكم فيها على اختبارنا الخاص فأخذ المتعنف الاغر خلاصتها وقال انها ذكرتنا مثل بحثنا للفيلسوف سبنسر الشهير ظهر له منه أن خدمة الدين أقل وفاء بالحق من غيرهم . ثم ذكر احصاء الاصناف المشتركين في المتعطف والمقطم من حيث الوفاء والمطل كانت نتيجة موافقة لنتيجتنا . ظهر من احصاء المتعطف ان أصحاب الاملاك يتأخر عندهم سبعة في المئة من حقوق الجرائد والمجلات ويتأخر عند العلماء ٩ في المئة وعند التجار ١٥ في المئة وعند المحامين ٢٥ في المئة وعند القضاء ٣٥ في المئة وعند الموظفين ٤٥ ونصفا في المئة . قال الكاتب :

« وهذه النتيجة تتعاقب على نتيجة صاحب المنار الا من حيث العلماء ولعل سبب ذلك أننا جئنا معهم المعلمين . أما موظفو الحكومة فأكثرتهم من المستخدمين الصغار لان المواطنين الكبار ومن الغريب أن يدخل حضرات القضاة والمحامين في باب المثل ولو لم تكن النتيجة التي وصفتنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب المنار لظننا حسداً بنا خطأ »

أما ما ذكره في علة اختلاف الحسايين في العلماء فصحیح لان المعلمين في المدارس يقل فهم الساطلون وقد قلنا هذا فلا خلاف . أما المحامون فقد نسبنا ان نذكرهم في تلك المقالة وهم أحد وفاء من انضاعة وان كنا نسلم انضاعة يبرهون منهم . ونحن لاننكرو الا من المحامين الشرعيين فان أكثرتهم يعملون وأما المحامون في المحاكم الاهلية فكلهم يؤدون حق المنار ويقول فيهم من يخرج منه الحق شكاً ومن يحجب ما وقع لنا مع انضاعة الاهليين ان أحدهم اجتمع عنده اشتراك ثلاث سنين فطالب منا ان نعطيه ثلاث مجلدات من المنار فنمروا نعطيه وصدولا بما يطالب منه من غير ان يدفع قرشا واحدا واحتج بأنه يتساه به بعض الاجراء . فياحرم من من يتأذى عند مثله .

(نفيه) ضاق هذا الجزء عن شهادت النصارى ونتمه ترجمة البابا



يقضي الحكمة من بيناء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيستمعون أجله أولئك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢١ — ٢٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والخوارق

(المقالة السابعة عشر في أنواع الخوارق وضروب التمليل والتأويل)

النوع الحادي عشر استجابة الدعاء

قال السبكي : وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة : أقول هذه مسألة من أكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المذاهب الاسلامية ويذكرونها في العقائد والمشهور أن أهل السنة يقولون بنفع الدعاء والمعتزلة ينكرونها . قال الاثافي الجوهرية :
وعندنا ان الدعاء ينفع كما من القرآن وعدا يسمع

وقد تقدم في مقالات الكرامات الاولى ان جمهور أهل السنة يقولون بجواز وقوع الكرامة والخوارق والمعتزلة ينكرون ذلك . وقد عدا السبكي وغيره استجابة الدعاء من الكرامات والخوارق ويلزم من ذلك أن يكون الخلاف في الدعاء فرع الخلاف في الكرامات ولكنك تراهم يخصصونه بالذكر ويعدونه مسألة مستقلة ويرون الخلاف فيه أقوى ويشهدون فيه على المعتزلة ما لا يشهدونه في مسألة الكرامات . ولقد انقضت المعتزلة وذهبت كتبهم ولكن المسائل التي اختلفوا فيها مع الاشعية لازال الكثير منها حيا يقول فيه بقولهم كثير من الناس فحمد الله ان جعل أئمة الفريقتين أرقى عقلا ودينا من ان يكفر بعضهم بعضا فلو كفر أبو الحسن الاشعري وكبار أصحابه منكري نفع الدعاء وجواز الكرامات أو وقوعها لرأيت المسلمين اليوم في شقاق شر من ذلك الشقاق

ولا تمتنع أهل العلم والدين من الصلاة على موتى أكثر المتعلمين من أبناء هذا العصر، على أن الباحثين في هذه المسائل لا يسلّمون من تكفير خلافة المقلّدين ولكنه تكفير باللسان لا يهدو الشتم ولا يتجاوز الشائعين، وإذا مات المرعي بالكفر صلوا عليه ودفنوه بين المسلمين، ثم إنه شتم قلما يقع من المطّلعين على المذاهب والمالين بما يؤثر عن العلماء من الخلاف

الحق أقول أن الخلاف في الدعاء أقوى من الخلاف في الكرامات فإن مسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعها ولا يوجد في الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها ولا على مطالبة الناس بالإيمان بها، وأما الدعاء فهو مطلوب بلا خلاف والآيات والأحاديث الصحيحة التي يذكر فيها كثرة جداء، ويمجّني جعلهم محل الخلاف في نفع الدعاء لا في استجابته خاصة وأنه لم يقل أحد من أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتماً ولا أن الأصل أو الأكثر أنه يستجاب ولكنهم قالوا إن الدعاء ينفع سواء استجيب أم لم يستجب وهذا القول حق كما سنينا، ولو كانوا يرون أن الدعاء يستجاب من كل داع تحققت فيه الشروط التي ذكروها لما كان لديهم استجابة الدعاء من الكرامات والحوارق، وفي

وردت آيات في الدعاء ولكن يراد بها في الأكثر العبادات ومن غير الأكثر مجرد الطاب كقوله تعالى حكاية عن بنت شبيب «ان أبي يدعوك ليجزبك أجر ماسقت لنا» وأقرب الآيات إلى ما نحن فيه من دعاء الله تعالى وطلب الحاجة منه توقفاً للاستجابة بقضائها قوله تعالى «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» وقريب منها قوله عز وجل «وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» ولكن ورد في الصحيح تفسير الدعاء في الأولى بالعبادة، روى أحمد وأبو بكر ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم من حديث الثعلبان بن بشير عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» وفسرت الاستجابة على هذا بقبول العبادة، ومن العلماء من فسر الدعاء في الآية بطاب الحاجات والاستجابة بقضائها، وفسرت الآية الثانية بمثل ما فسرت به الأولى من الوجهين، وقد علم أن الآيتين

ليستا نصا في موضع الخلاف فيحججهما على المنزلة ومن على رأيهم من أجل هذا العصر ولهذا لم يكفروا من قال بأن الدعاء لا تأثير له في قضاء الحاجات وإنما عدوه مخالفنا لسنة لما ورد في الدعاء من الأحاديث الصحيحة

ورد في الصحيح أن لكل نبي دعوة مستجابة وقد قال العلماء أن المراد أنها مستجابة قطعا وما عداها من دعوات الأنبياء فهو محتمل للاجابة واهمها أي أن الحديث لا يفهم منه أن الله لا يستجيب لنبي إلا دعوة واحدة • وورد الأمر بالدعاء وعدم الاستعجال بالاستجابة • وترى العلماء متفقين على أن الاستجابة تكون بأحدى ثلاث وردت في الحديث - إما أن تعجل له دعوته وإما أن تدخر له في الآخرة وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها وللحديث طرق بعضها ضعيف وبعضها قد صحح الحاكم إسناده ولم يروه من أصحاب الصحاح والسنن إلا الترمذي وقال : حسن صحيح غريب : والسبكي يحمل الأولى من الثلاث - أن أعطيها الداعي - كرامة وتعريضا للكرامة لا ياباه ولكن ياباه قول من يحمل الكرامة من الخوارق التي تأتي على خلاف السنن الإلهية في الخلق • ونحن لانكش في أن كثيرين من الداعين قد استجيب دعاؤهم بأن سخر الله لهم من الأسباب ما لم يكن في أيديهم تسخيرهم ولم يكن يخطر لهم على بال كيف يجابون وقد وقع لنا مثل ذلك وحمدنا الله عليه ولكننا لا نقول إلا أنه جاء موافقا لسنة الله تعالى في الأسباب والمسببات على ما فيه من العناية الخفية والتوفيق الإلهي وقد اشترطوا في الدعاء شروطا منها أن لا يدعو بمحال عقلا ولا شرعا ولا عادة وإذا كان الدعاء بالمحال في العادة ممنوعا وغير جدير بالإجابة لأنه من إساءة الأدب مع الله تعالى كأن الداعي يقول اللهم اطل حكمتك في نظام خليفتك وبدل سنك في خلقك لأجلي - فكيف يتحقق في الدعاء أمر خرق العادة ؟ هذا تناف بين أقوالهم

وعندي أن الدعاء على قسمين اضطرابي واختياري فاما الاضطرابي فهو الانسجاء إلى القوة الغيبية عند تقطع الأسباب بالإنسان وسد منافذ الرجاء بالسمي • وكل مؤمن بقوة غيبية يرى نفسه ملتجئة إليها عند اشتداد البأس ، والخطر المشرف بهما على اليأس : ف يدعو صاحب اقوة المايا ويستغيث به وعند ذلك تنفج في وجهه

أبواب الرجاء ؛ وتنزل عليه السكينة بعد الاضطراب ؛ وهذه فائدة كبرى للدعاء تلوها فوائدها أظهرها أن اليأس ينقطع عن السعي فإذا استند به الضيق فرمى بجمع نفسه اتجاراً بيده ولذلك يكثر الاتجار في قوم لا يؤمنون ، فالرجاء الذي يحدثه الاتجاه بالدعاء يمطي المضطر قوة جديدة ويهديه الى طرق جديدة يسلكها في إعادة السعي حتى يخجو من الخطر : أو يبلغ بعض الوطر ؛ ويتول الاستاذ الامام : قلما وله قلب المؤمن الى الله تعالى ذاعياً مخاضاً في حال اضطرابية كهذه الا وأجاب الله دعاء : وهذا الفرع من الدعاء هو ميزان الايمان ومقياس التوحيد الخالص فان الله تعالى جعل أعمال الانسان في الاسباب والنسيات فالؤمن الكامل يذكر الله عند كل سبب ويردد ايمانا بزيادة العلم بالاسباب ثنائياً فيها من الحكمة والنظام العجيب ؛ والغافلون تجهيم الاسباب عن رؤية حكمة واضعها وان كانوا مؤمنين حتى تكون الشدائد هي التي تذكرهم مما تقطع من الاسباب التي يعرفونها فيرجعوا الى من بيده ملكوت كل شيء وواضح كل سبب فيدعوه باخلاص « فاذا ركبوا في الغلث دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » وفي آية أخرى « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر منهم مقتصد وما يجرؤن على ان ينكروا » وانما كان الدعاء في حالة الاضطراب معياراً للايمان لأن من يستمد بقوة غيبية وراء الاسباب لغير الله تعالى فهو ياجأ اليها في تلك الحالة بطبعه وينطق لسانه بدعاء صاحبها وندائه . ولا توجد اشارة على الشرك أظهر من هذه الامارة وان استهان بها الذين يدعون في الشدائد فلاناً وفلاناً ويستقيمون بهم من صميم انشدتهم ويولفون اليهم لا يلاحظون أنهم وسطاء بين الله تعالى وبينهم يقربونهم اليه زلفى كما يزعم أهل التأويل لان القلب في مثل تلك الحالة لا يسع شيئاً فمن يدعو فلاناً من المصدقين في وقت الشدة لا يخطر في باله غيره ولا يدعوه الا وهو يعتقد أنه هو الذي يفرج كربته فهو موحد له من دون الله تعالى . واذا وسع قلبه قوتين احدهما مؤثرة في الاخرى تحمها على العمل فتعمل فهو مشرك شركاً ظاهراً لا خفياً .

واذا كان - ليت شمري - هؤلاء الوسطاء المزعومون اسباباً خفية كما يدعي بعض المأولين وجوزنا ان ياجأ اليهم في وقت الضيق ففي أي وقت نوجب على المؤمن ان

يلجأ الى الله تعالى وحده دون سواه ؟ ألا يوجد عند هؤلاء الذين يمتسز دينهم بالوحدانية الخالص حال يجب على العبد ان يتوجه فيها الى الله تعالى وحده لا يكون في قلبه سواه من عبيده الضعفاء « وخلق الانسان ضعيفا » ؟ لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

فلم نعلم نغما شرحناه أن هذا الدعاء أثر من آثار الإيمان بقوة وراء الطبيعة فمن كان يستفد أن مع صاحبها من يحمله على الفعل أو الترك فهو المشترك ، وهذا الأثر الذي ذكرناه هو روح العبادة وأكبر مظاهرها لانه الأثر الطبيعي للإيمان ولذلك فسر الدعاء في القرآن بالعبادة في جميع الموضوعات الدينية وورد في الحديث « الدعاء حج العبادة » رواه الترمذي وتقدم حديث « الدعاء هو العبادة » فكل من يدعى وينادي عنه شدة الحاجة وتصبر الاسباب الكسبية فهو معبود لمن ناداه ودعاه « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »

وأما القسم الثاني من الدعاء وهو الاختياري فإنه من الاعمال التي تزيد في الإيمان وتمده وتدعمه كسائر المبادات المطلوبة في الدين وایس أثرا طيبعا له ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى . اذا قال العبد : اللهم وسع عليّ في الرزق : يتذكر ان سعيه في طلب الرزق من أسبابه التي هدها الله تعالى اليها بالحواس والفعل يتوقف على حفظ قواه وعلى توفيق الله بين سعيه وبين الاحوال والامور الخارجية التي يتوقف عليها النجاح فيزداد إيمانه بهذا الذكر ويزداد نشاطه باعتقاده ان الله يعبئه مرامي سنه في خلقته وأنى اليوت من أبوابها . واذا قال : اللهم اغفر لي : يتذكر انه عرضة للهنوات والخطايا وان الغفران الالهى له طريق بينها الكتاب العزيز بمثل قوله « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فان لم يتذكر الآية فإنه يتذكر مشاها الا اذا كان جاهلا بالدين مكتفيا منه بما يسمعه ممن يمشي بينهم من الجاهلين ، واذا تذكر ان الدين علم البشر ان للذنوب والخطايا آثارا سيئة في النفس وأن غفرها ومحوها انما يكون بالرجوع عن الذنب وعمل طاعة من جنسه تؤثر في انفس ضد أثره فإنه يكون قسريا من العمل الصالح قال تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات » وقال عليه الصلاة والسلام « واتبع السيئة الحنة تمحوها »

أقول هذا تمهيدا لبيان أن هذا النوع من الدعاء هو أحد خصال الإيمان والإيمان كما ورد في الأحاديث الصحيحة قول باللسان واعتقاد بالجنان وجعل بالاركان فهذا الدعاء لا يكون صحيحا الا اذا وافق اللسان فيه القلب والعمل . أعني ان يطلب المؤمن الرزق في الدنيا والمغفرة في الآخرة ونحوهما بتوجه القلب والقيام بالعمل الذي جعله الله وسيلة للرزق وسببا في المغفرة . ويستلزم هذا ما قالوه من عدم جواز طالب الحال أو المحرم شرعا لان الاول ليس له وسيلة تتوجه النفس اليها وتطالب بالعمل منها والثاني لا يطلب من الله تعالى وإنما يطلب بالعمل في حال الغفلة عن الله عز وجل . ومن طلب من الله تعالى شيئا بالتوجه النفسي الصحيح وصدق العزيمة وإعمال الفكر مع الجهد في السعي من الطرق التي سبها الله تعالى والاسباب التي ربط بها المسببات وكان دعاءه باللسان مترجما عن إيمانه بأن المستخر الاسباب والموفق بينها هو الله تعالى فان الله تعالى يستجيب دعاءه ويسهل له الاسباب ويمتعه التوفيق هذا هو الدعاء المطلوب شرعا وقائده في تهذيب النفس وتسييد الفكر وتقوية العزيمة ظاهرة بالبداية ، والوصول به الى المقاصد التي يطلبها الداعي ثابتة بالتجربة وقريبة من المقول . وما أظن المعتزلة ينكرون ذلك وإنما أنكروا فيها أرى فائدة الدعاء انقولي البحث والمحققون من أهل السنة يوافقونهم على هذا لاسيما الصوفية علماء النفس والأخلاق . قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير . وقال الشيخ محيي الدين بن عربي :

بذكر الله تزداد الذنوب وتطمس البصائر والقلوب

وإنما يعني الذكر مع الغفلة فإنه كالاستنزاف بالله تعالى . وورد هذا المعنى في الآثار عن السلف . قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : الاستغفار بلا افلاخ توبة الكذابين : وفي الاحياء عن بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على الدم كان مستنزفا بالله عز وجل وهو لا يعلم : وقال الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى : لا يقول أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنبا وكذا ان لم يفعل ولكن يقل اللهم اغفر لي وتب علي : وجملة انقول ان الدعاء مخ العبادة وروحها وميزان الإيمان وممبار الاخلاص وسلامة التوحيد وان قائده في الدنيا منهورة وان المحرومين منه ظرومانهم من سعادة الإيمان الخالص

عرضة للانتحار ؛ اذا اسنوت عليهم الهوم والا كدار ؛ وأن قادتة في الآخرة أعظم ؛ وان استجابته اذا وجد على حقيقته التي شرحناها كثيرة يعرفها المؤمنون الصادقون ؛ وينكرها الملحدون والشاكون ؛ وان هذه الاستجابة ليست من الخوارق الحقيقية ؛ ولكنهما من التوفيق الإلهي والنهاية الربانية ؛ واذا كان أمر العناية فيها غريبا في صورته غير مهود يصح ان تسمى كرامة . وقد بسطنا هذه المسألة فلم يقتصر البحث فيها على موضوعنا لما نعلم من اشتباه الامر فيها على الذين يحبون ان يهتلوا الذين ويفقهوه ، ومن جهالة المقلدين الذين يسلّمون بكل ما ينفذ عن الميتين وان لم يفهموه ، ورجو أن يقبل كلامنا هذا كل مؤمن بان لا يكون فاعلا مختارا ، وان الناس حياة بعند هذه الحياة ؛ كما نرجو ان يراجعنا من يتوقف في صحة شيء مما كتبناه أو في فقهه وفهمه والله الموفق للصواب

﴿ شبهات النصارى وجميع المسلمين ﴾

(النذرة الخامسة في رد شبهاتهم على القرآن العزيز)

(الشاهد الحادى عشر) قال المعارض ، الذى كتب مالا يمتد : وعدّ في حجة هذه المناقضات مئة وخمسة وعشرين آية مفارقة في ثلاث وستين سورة منه تأمر بالصنع والتولي والاعراض والكف عن لم يكن مسامحا وقد نقضتها كلها آية السيف وهي قوله في سورة اتوبة « فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ نَاتَلَّوْا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَأَقْبِدُوا أَيْمَهُمْ كُفَّ مَرَصِدَ » (قال) وهذا في زعمهم كلام الله يأمرهم في مئة وخمسة وعشرين موضعا من كتابهم بالصنع مخالفهم في الدين ثم يبطل ذلك كله اعتبارا : ثم هذى بعد ذلك بما يمد شملا لاشتباها فمعرض عن ذلك عملا باحدى تلك الآيات التي أشار اليها ونخص الكلام بدفع الشبهة فنقول نعمود بالله من الغلو في التعصب الذي يعمي ويصم ويوقع المرء في مثل الفضيحة التي وقع فيها هذا الكاتب المعارض فقد جمع آيات الفضائل العالية والآداب السامية وجسد المسلمين عليها ولم يجد سبيلا الى الاعتراض عليها الا يزعمه انها منقوضة بآية سيف والتناقض انما يكون في القضايا الخبرية ، لافي الاوامر والنواهي التلبيدية ،

ونحوها من الجمل الانشائية ، وإذا قيل : إنه لا يفي بالتناقض ما هو مقرر في علم المنطق وإنما يفي به أن آية السيف التي ذكرها تنافي تلك الآداب والنضال تقول : أن هذا زعم باطل وكأن قائله شعر بضمنه وتداعيه فدعاه بأكدوبة افتراها من عنده إذ زعم أن الأمر بقتال المشركين كان « اعتباراً » أي ظلماً لا قصاصاً ولا مصادفة عن حق ، وأصل الاعتبار ذبح الهيمة من غير علة وقالوا : اعتبط فلاناً : أي قتله ظلماً لا قصاصاً . يزعم هذا الممتصب أن المسلمين هم الذين اعتدوا على المشركين وحاربوهم ابتداءً وتناسى أن المشركين هم الذين كانوا يرمون النبي صلى عليه الصلاة والسلام بالحجارة ويلقون عليه قرث الكرش وهو يصلي وأخرجوه هو ومن آمن معه من ديارهم وأموالهم وأهلهم وكانوا يوقعون بكل من ظفروا به منهم ، ثم لما كانت بينه وبينهم معاهدة الحديبية غلبهم بكل ما تناسى به تلك الآيات من الحلم والتساهل وهو قوي لا ضعيف حتى رضي بأن يرجع إليهم من يحبسه منهم مسلماً وأن لا يرجعوا من يحبسهم من عنده وبعد ذلك كله كانوا هم الغادرين اتناكبين للعهد وتناسى أيضاً الآية التي قبل الآيتين التي أوردوها وزعم أنها عدت جميع النضال « اعتباراً » وهي قوله عز وجل « إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الدُّشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » وقوله تعالى بعد آيات « وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا إِنَّهُ أَكْفَرُ لَهُمْ لَأَيِّمَانَهُمْ أَعْلَاهُمْ يَتَشَبَّهُونَ * أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ يَخْرَاجُونَ الرُّسُولَ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » فلمترض قد قرأ كل هذه الآيات التي تحيذ بالآية التي ذكرها من أمامها وورائها وعلم أن المشركين هم الذين نكثوا العهد وهم الذين بدأوا المسلمين بالمدوان وهو مع هذا كله يكتب بلا حياء ولا خجل زاعماً أن المسلمين قاتلوهم « اعتباراً »

ثم أنه تناسى الآيات الأخرى التي نهى عن الاعتداء في القتال كقوله تعالى « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » وقوله جل وعز وهو أول ما نزل في الاذن بالجهاد دفاعاً عن الحق والانفس التي تعظم

وتهان لانهما تمسكت به وترك عبادة الاصنام والاولئان وذلك قوله « أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَظِرَ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ » الآيات وفيها من بيان حكمة هذا الاذن بمدافعة أولئك المبتدين من عباد الاصنام أنه لولا هذه المدافعة لهدمت مما بد أهل الكتاب كلهم وأنه يشترط على المؤمنين المأذون لهم بالمدافعة — اذا مكثهم في الارض — أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مواساة للفقراء ونحوهم من المستحقين ويمنعوا المنكرات الضارة ويأمروا بالمعروف . فهل تعد هذه المدافعة لعباد الطجارة الباغين المبتدين هدماً للفضائل وظلماً للعباد ويمتنع أن تكون بوحى من الله تعالى؟ وهل كانت المسوغات لموسى ويوشع وسائر أنبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) حين حاربوا الامم المشركة أظهر من هذه المسوغات ؟ وهل اشترط عليهم كما اشترط الاسلام ان لا يبدؤوا بالعدوان ولا ينفذوا للشرك عهداً وأن يصلحوا في الارض بمشاركة الناس في أموالهم وإزالة التكرات من الارض ؟

جاء في الفصل العشرين من سفر تثية الاشتراع (التوراة) مانصه : ١٠٥
حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصالح ١١ فان أجابتك الى الصالح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبد لك ١٢ وان لم تسلمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ١٣ وإذا دفعها الرب إليك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بمجد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فقتلنها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما !! أليس من العار والفضيحة على من يعتقد أن هذا وحى من الله تعالى ان ينكر تلك الآيات الكريمة الرحيمة التي أذنت بمدافعة المعتدين بقدر الضرورة ؟ أليس من رحمة الله تعالى بباده أن تدفع هذه الاحكام القاسية الآمرة باملاك الامم التي لها حق الجوار حق لا يبق منها امرأة ولا طفل بشرية تحرم قتل النساء والاطفال ورجال الدين وكل من لا يمتدي ولا يقاتل ؟ بلى ولكن انصب هؤلاء الناس ووقاحتهم من المدهشات

علم بما ذكرناه ان الآية التي ذكرها وسماها آية السيف وزعم أنها نقضت جميع انقضاءات التي بنتها الآيات الكثيرة إذ أمرت بقتل المشركين « اعتباراً بقاءاً تقدمها آيات وتلوها آيات تبطل ما زعم . وما هي الا إذن بقتال المشركين الذين نكثوا العهد كما في الآيات التي قبلها وبعدها . وذلك ان المسلمين عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم عهداً فأنكثوا الا بنى ضمرة وفي كنانة فأمر الله تعالى بأن ينبذ لئلا يكون عهدهم ويملأوا أربعة أشهر الى آخر الحرم من الأشهر الحرم فان تابوا والا قتلوا : قال البيضاوي في تفسير الآية ما نصه مع اختصار قليل يتعلق بالالفاظ : « فاذا أنسخ » انقضى « الأشهر الحرم » التي أيسح لئلا يكون ان يسبحوا فيها « فاقولوا للمشركين » لئلا يكون « حيث وجدتموهم » من حل وحرم « وخذوهم » وأسروهم والخذ الانسر « وأحصروهم » واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام « واقعدوا هم كل مرصد » كل عمر ثلاثا تبسطوا في البلاد : اه فابن الامر بقتل جميع المشركين ظلماً وعدواناً كما زعم المعارض

وروى أصحاب الصحاح وأهل السير والتاريخ ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية عهداً كاد يخالفه لاجله المسلمون اساروا من النضاضة عليهم في تساهله مع المشركين وكان أهم ما في العهد ان يضموا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهده وبنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فمالت منها واعانهم قريش بالسلاح حتى تظاهروا عليهم وفي ذلك يقول عمرو الخزازي فيما أنشده يخاطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان قريشاً أخذوك الموعدا * وتعضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي من كداء رسدا وزعموا ان لست أدعوا أحدا * وهم أذل وأقل عددا * هم يتونوا بأخطم هبدا وقتلوننا ركمًا وسجداً

وقد كان هذا القدر سبباً في فتوح مكة وأذنهم قبل ذلك بان لا يطوف بالبيت عريان وان يتم لكل ذي عهد عهده وأرسل أبا بكر ثم علياً الى مكة فقرأ عليهم نحو أربعين آية من صدر سورة (براءة) وفيها الآيات التي تقدم ذكرها . ثم كيف كانت معاملته للمشركين عند ما فتح مدينتهم الدخلى ؟ هل أبادهم كما أمرت التوراة التي يستند بها

المترض النصراني فلم يبق منهم نسمة ثم علمهم بما أرشدته اليه الآيات ١٢٥ الآية بالصنح وحسن المعاملة ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى رايته سعد ابن عباد فباغاه انه قل قبل ان يصلوا الى مكة : اليوم يوم الماحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا : فامر بنزع الراية منه وأعطاها لابنه وقال عليه الصلاة والسلام : « اليوم يوم الرحمة اليوم أعز الله قريشا » ودخل مكة لم يسفك دما وانما كانت ساعة قتال بين خالد بن الوليد وبين الذعر من قريش الذين حاولوا صده فقتل من جيشه اثنتان ومن المشركين أربعة وعشرون . ثم دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكعبة فاجتمع الناس فقال « يا معشر قريش ما تفتنونني فاعل بكم » قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال « اذهبوا فاتمموا الطلعة » أفيرى المترض ان هذه المعاملة مناقضة للرفق والصبر والصنح عن المخالفين في الدين ؟ ان كان يرى ذلك فيلصق لنا معاملة أفضل منها وأرحم

ثم اننا نعود الى آيات الصنح والصبر وحسن المعاملة والرفق والحلم فنقول إنها وردت في ظروف من السياق مختلفة منها تسليية النبي صلوات الله عليه عند ما كان يضيق صدره لإعراض الناس عن الحق وعدم اصفقتهم اليه . ومنها تفتيح جهلهم وبيان ان السكالم في الإعراض عنه لافى مفاتبه بئله . ومنها بيان ان الانبياء عاجزون عن هداية الناس بالفعل وان القادر على ذلك هو الله تعالى الذي وضع السنن على أساس الحكمة والنظام . ومنها بيان ان وظيفة الانبياء البيان وحسن اتباعين وان الايمان لا يكون بالاكراه وانما يكون بالانواع وهذا قريب مما قبله ولكنه غيره . كقوله تعالى « فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله فاصنع عنهم وتل سلام غصوف يعلمون » وقوله « فذكر إنما أنت مذكر لست غايهم بمسيطر » وقوله « وما أنت عليهم بجبار » وقد كانت هذه الآيات تقرر بآيات أخرى تشع بأن الله ينصر رسوله ويجعل العزة والغلبة لحزبه كقوله تعالى في سورة الصافات وهي مكية « ولقد سبقنا لكنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم الغالبون * قول عنهم حتى حين * وأبصرهم فسوف يبصرون * » وانك لتجد من التهديد والوعيد في السور المكية التي نزلت في

زمن الضعف ما لا تجد مثله في السور المدنية التي نزلت في زمن القوة . والمعترض يوهم خلاف ذلك ومأراه الاعتماد للايهام اذ لم يبالغ به الجهل أن يعتقد بما يقول ولكن بالغ به التعصب أن يقول ما لا يعتقد

أما زعمه أن المسلمين لما رأوا التناقض في هذه الآيات زعموا أنها منسوخة فباطل فإن أحكامها ثابتة وكان العمل عليها لم يتقطع بالقتال الذي كان لضرورة وبمقتدار الضرورة مع الرحمة والعدل ورعاية حقوق الانسان بقدر الامكان . وقد علم مما أشرنا اليه من الشواهد ان الآيات الآمرة بالصفيح والتولي عن المشركين لجهلهم على العموم لم يترك العمل بها وأما ما كان متعلقا بالمداخلة والمقاومة فقد كان موقفا كقول تعالى «قول عنهم حتى حين» وقوله «فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره» نعم ان من المؤلفين من زعم أن هذه الآيات منسوخة بآية السيف وقد رد العلماء المحققون هذا القول وأنكروه كما بهلم من كتاب (الاتقان) ومن كتب التفسير

والذي يحمل المؤلفين على أمثال هذه الجهالة هو حب الاعراب وملء الصحائف فإن الرجل يخاطر في باله ان يؤلف كتابا في موضوع ضيق لاتسع مسأله لان تكون كتابا فيدخل فيها ما ليس منها لادنى شبهة . وقد حقق الامام الشوكاني ان الآيات المنسوخة سبع لاتزيد وكان الحافظ السيوطي عددها عشرين . ومن العلماء المحققين من ينكر النسخ في القرآن دون السنة ويفسر الآيات التي قالوا بنسخها تفسيراً يبين به أحكامها . والنسخ في كتب اليهود والنصارى التي يسمون بمجموعها (الكتاب المقدس) كثير جدا وقد عقد له الشيخ رحمه الله في كتاب (اظهار الحق) بابا أورد فيه الشواهد الكثيرة من تلك الكتب .

وربما يستغرب القارئ إحصاء هذا المعترض النصراني لهذه الآيات ويوهم انه قرأ القرآن واستخرج منه ما تقدم . والامر ليس كما يظن وانما استخرج هو وأمثاله جميع مطاعنهم من كتب المسلمين كالاتقان والناسخ والمنسوخ فانك ترى في الاتقان فصلا في مشكل القرآن وموهم التناقض فيه فالحكم يأخذ ما يوهم التناقض من هذه الكتب فيسببه متناقضا ليسر به قومه ويشكك المسلمين ويشفي غليل تعصبهم



أَنَّ عَلَى الْبَرِيَّةِ

﴿ نموذج من دلائل الإعجاز ﴾

(تمة ما سبق من الموازنة الشعرية)

رَأَيْتُ أَبَا نَوَاسٍ يَنْشُدُ قَصِيدَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا * أَيُّهَا الْمَلْتَابُ مِنْ غَفَرِهِ * فَخَسَدَتْهُ
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

يَتَأْنَّى الطَّيْرُ غَدَوْتَهُ ثَقَّةً بِالشَّعْبِ مِنْ جَزَرِهِ

قلت له: ما تركت للنابغة شيئاً حيث يقول : اذا ما غدا بالجيش : البيتين -
فقال : اسكت فلتن كان سبق فإسأت الاتباع : وهذا الكلام من أبي
نواس دليل بين في أن المعنى ينقل من صورة الى صورة : ذاك لانه لو
كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله : فإسأت الاتباع : محالاً
لانه على كل حال لم يتبعه في اللفظ . ثم ان الامر ظاهر لمن نظر في أنه
قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة الى صورة أخرى
وذلك أن ههنا مضمين أحدهما أصل وهو علم الطير بأن الممدوح اذا غزا
جدوا كان الظفر له وكان هو الغالب والآخر فرع وهو طمع الطير في ان
تنسج عليها المطاعم من لحوم القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل الذي هو
علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب فذكره صريحاً وكشف عن وجهه
واعتمد في الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى وانها لذلك تخلق فوته
على دلالة الفحوى . وعكس أبو نواس القصة فذكر الفرع الذي هو طمعها
في لحوم القتلى صريحاً فقال كما ترى * ثقة بالشعب من جزره * وعول في
الاصل الذي هو عليها بأن الظفر يكون للممدوح على الفحوى ودلالة

المدحوى على علمها ان الظفر يكون للممدوح هي في أن قال من جزره
وهي لا تنق بأن شبهها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم ان الظفر يكون له
أف يكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة الى صورة ؟ أرجع الى
النسق ومن ذلك قول أبي القتاھية :

شَيْمٌ فَتَحَتْ مِنَ الْمَدْحِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَقْلِقًا عَلَى الْمَدْحِ

مع قول أبي تمام :

تَطَمَّتْ لَهُ خَرَزُ الْمَدِيحِ مَوَاهِبٌ يَنْقُذْنَ فِي عَقْدِ اللِّسَانِ الْفُجَحِمِ

وقول أبي وجزة :

أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهُنَا وَكُنْتَ لَهُ كَجُجَمِ السُّيُولِ

مع قول منصور النمرى :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ لَجَّيْتُمْ

وقول بشار :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ وَكُرَّةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَقْضَاءِ مَوْدُودِ

مع قول البحترى :

تَعِيبُ أَلْهَانِيَّاتٍ عَلَى شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمْسَعَ بِالْمَعِيبِ

وقول أبي تمام :

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ وَيُكْذِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ

مع قول ابن الرومي :

إِمَامٌ يَطْلُ الْأَمْسُ يُعْمِلُ نَحْوَهُ تَلَقَّتْ مَلْهُوفٌ وَيَشْتَاقُهُ الْغَدُ

لا تنظر الى انه قال : يشتاقه الغد : فأعاد لفظ أبي تمام ولكن انظر الى قوله :

يعمل نحوه تلقت ملهوف : وقول أبي تمام :

لَنْ دُمْتَ الْأَعْدَاءُ سَوْءَ صَبَاحٍ فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذُّنْبُ وَالنَّسْرُ (١)

مع قول المتنبي :

وَأَنْهَيْتَ مِنْهُمْ رَبِيعَ السَّبَّاحِ فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ

وقول أبي تمام :

وَبَّ نَائِي الْأَمَانِي رُوحَهُ أَبَدًا لَصِيقُ رُوحِي وَدَانِ لَيْسَ بِالْذَّائِي

مع قول المتنبي :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى

وقول أبي هنيان :

أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُسِيئًا كُلَّهُ مَالُهُ إِلَّا ابْنٌ يَحْيِي حَسَنَهُ

مع قول المتنبي :

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَنِّي كَانَمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُدْرٌ

وقول علي بن جبلة :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَسَتْ مِنْ قُوَّتِي رَدَّتْهُ فِي عِظَّتِي وَفِي أَذْهَابِي

مع قول ابن المعتز :

وَمَا يَنْقُصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نُهَاهِ وَالْبَسَابِ

وقول بكر بن النطاح :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كِفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَبَهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

مع قول المتنبي :

إِنَّكَ مِنْ مَعَشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ نَقَدَ بَخِلُهُ

وقول البحتري :

(١) أي لا يستطيع الذنب والنسر ان يقضيا حق شكرها لكثرة ما كلاً مما قلب

وَمَنْ ذَا يَكْلُمُ الْبَحْرَ اِنْ بَاتَ زَاخِرًا
يَقِيضُ وَصَوْبَ الْمَرْءِ اِنْ رَاحَ يَهْطِلُ
مع قول المتنبي :

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ
وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ اَوْطَلُ
وقول الكندي :

عَزُّوا وَعَزَّ بَعْزُهُمْ مَنْ جَاوَرُوا
فَهُمُ الذَّرَى وَجَمَاعِمُ الْهَامَاتِ
اِنْ يَطْلُبُوا يَبْرَأَتِهِمْ يُعْطَوْنَ بِهَا
اَوْ يَطْلُبُوا لَا يَدْرُكُوا يَبْرَاتِ
مع قول المتنبي :

تُبَيَّتُ اللَّيَالِي كُلُّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
وَهَنَ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ
وقول أبي تمام :

اِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِمًا
غَدَا الْعَمُومُ بِهِ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ
مع قول المتنبي :

لَهُ مِنْ كَرَمِ الطَّيْعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضٍ
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ
ثم احتج المصنف بهذه الامثلة على ان البلاغة والنصاحة انما تكون بالنظم
والاسلوب دون خفة اللفظ

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

(قصة بقرة بني اسرائيل ليس فيها معجزة)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشى مجلة المنار الفراء دام بقاء
بعد السلام رأيت فيما أوردتموه بالعدد الرابع من المجلة في تفسير قوله تعالى
(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكهم آياته لعلكم تعقلون) تفسير
الاستاذ الاكبر . ولانا الشيخ محمد عبده انه لم يستحسن قول المفسرين الذين قالوا انهم
ضربوا المقتول فمادت اليه الحياة وقال ضربني أخي أو ابن أخي فلان الى آخر ما قاله .
وقال (والآية ليست نصا في جملة فكيف تفصيله والظاهر ان ذلك العمل كان وسيلة

عندهم للفصل في الدماء عند التنازع فيمن القاتل اذا وجد القاتل بين بلدين كما قدمنا
 ليعرف الجاني من غيره فمن غمس يده في الدم وفعل مارسم لذلك في الشريعة يرى
 من الدم ومن لم يمس عليه الجناية ومعنى احياء الموتي على هذا حفظ الدماء الى آخره،
 على هذا ما معنى استنراب بني اسرائيل الامر بذبح البقرة كما تقدم في تفسير الاستاذ
 مع قوله ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء الى آخره وما الثمرة التي
 نتجت من الضرب حتى أمر الله به وما الذي منع الجاني من ان يغمس يده في الدم
 حتى لا تثبت عليه الجناية؟ وقد سكنت الاستاذ الامام عن تفسير قوله تعالى (ويريكم آياته)
 فما مضاه على هذا التأويل فأرجوكم أيها الاستاذ الفاضل ارشادي الى الحقيقة ودمتم
 (لا سكندرية) كاتبه مصطفى محمد الاسكندراني

(المنار) وجه الاستنراب ظاهر فإن الامر بذبح بقرة لاعلاقة له في بادئ الرأي
 بالفصل في قضية قتل تنازع فيه طائفتان حتى كادت إحداها توقع بالأخرى والظاهر
 ان هذه الواقعة كانت هي السبب الأول في اشتراع تلك الطريقة للفصل في الدماء المتنازع
 فيها مثاها وقد أشرنا الى ذلك في تفسير الآيات . وأما الذي يمنع الجاني من وضع
 يده في الدم وتلاوة الدعوات فهو الايمان والاعتقاد الذي يمنع الجاني المؤمن من
 البين الكاذبة فان المؤمن انما يقدم على الجريمة ناسيا أو مغلوبا بانفعال النفس ثم
 يرجع على نفسه باللائمة ويصعب عليه ان يحلف بالله كاذبا . وقد كانت تلك الهيئة
 التي يأتيها بنو اسرائيل من اجتماع الشيوخ الاشراف ووضع أيديهم في الدم وتلاوة
 الدعوات مؤثرة جدا حتى ان الجاني ليضطرب اذا أقدم عليها منكرا للحق وربما
 يظهر عليه الاضطراب ولو كان شاكا في الدين . وكثيرا ما يحتمل القضاة في كل زمان
 بال مؤثرات القولية والفعلية على حمل المجرمين على الاقرار بجرائمهم فيقرون .

وأما تفسير «ويريكم آياته» فهو ظاهر ولا أدري أكان الاستاذ الامام سكت
 عنه أم ذكره ونسيتنا أو ذهبت عنه لظهوره السائل يعلم ان لفظ الآيات يطلق
 على ما ينزله الله تعالى من الاحكام فتوهمه ان معنى (الآيات) في هذا المقام (المعجزات)
 مبني على اعتقاده بأن هناك معجزة ظهرت ومن المصادرة ان يلزم من لم ير ذلك بأن
 يفسر الآيات هذا التفسير . واتناذكره بقرن القرآن مثل هذا التعبير بآيات الاحكام

الشرعية من سورة البقرة نفسها ، قال تعالى بعد ذكر أحكام الصيام « تلك حدود الله فلا تنربوها كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون » وقال بعد بيان تحريم الخمر والميسر « كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون » وقال بعد بيان أحكام النساء في الطلاق وغيره « كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »

﴿ تحرير يوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام ﴾

استاذنا الاجل السيد محمد رشيد رضا صاحب ومحرر مجلة المنار انقرا
أفتتح كتابي هذا بالشكر الذي يجب على كل مسلم انه يقدمه لسيادتك على مالكم من
الايادي البيضاء والمنة الثمنا في منافع المسلمين وتحايص الدين من شوائب المضللين فانه
ينفع بكم البلاد والعباد ويوفي الكل للعمل بما لايكم المفيدة — أما بعد فيأيتها السيد جاء في العدد
الحامس من مجلد هذه السنة ضمن كلام الاستاذ الامام (نفعنا الله به وعلوه) : ان النبي صلى الله
عليه وسلم ولد ليلة الاثنين ١٢ ربيع الاول عام الفيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ ميلادية وقد اطلعت
على رسالة لصاحب السعادة محمود باشا الفندي وضعها باللغة الفرنسية اثبت فيها ان ميلاده عليه
الصلاة والسلام ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ أيضا وأورد على ذلك
أدلة كثيرة استنتج منها ان ليلة الولادة لابد ان تكون ليلة الاثنين ٨ أو ١٠ أو ١٢ ربيع
الاول حسبما جاءت به روايات الأئمة الاعلام

وبعد الحساب الدقيق وجد ان أول الشهر المذكور وقع في ١١ ابريل سنة
٥٧١ م حيث كان الاجتماع الحقيقي للقمر وعليه لا يكون يوم اثنين بين ٨ و ١٢
منه الا يوم ٩ منه وجاء في نهاية عبارته « يتلخص من ذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم ولد ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل م فاحرص على هذا التحقيق »
وأنا مع اعتقادي بان منار المسلمين لا يجب عليه البحث في مثل هذا الموضوع
الا بما تسمح به الظروف لكني آنت منه ان رُشد فيه الى سواء السبيل لذا جئت
بهذا راجيا الاستفادة مما يلزم ان نقتده أو كيف يمكن الجمع بين القولين والسلام

(اسيوط) أحد المشتريين

(١٠ ف . ٠)

(المنار) في تعيين تاريخ مولده عليه السلام أقوال الأرحم جده انما ولد ليلة الاثنين لثمان خلون

من ربيع الأول وأشهرها لاثني عشرة ليلة خلت منه وترجيح الأول هو المعروف عند علماء الحديث والتاريخ قال في السيرة الحلبية « وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية : وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ : وقال القطب القسطلاني : هو اختيار أكثر أهل الحديث أي كالحمددي وشيخه ابن حزم :

وظاهر ان معناه انه ولد في اليوم التاسع من الشهر (لا فرق بين اليه ونهاره) لان التاسع هو الذي يتوالى ثمان التي خلت من الشهر . ولجهل كثير من أهل هذا العصر بأسلوب العرب في التاريخ كقولها في أول الشهر لثمان خلت ونحوه وقولها في أواخره لثمان بقيت من ثلاثا . يظنون ان معنى « ولد لثمان خلت من الشهر » أنه ولد في الثامن منه . ومن آية ترجيح هذه الرواية موافقتها للحساب الذي نقلتموه وقد جمع الأقوال كلها بعضهم فقال : ولد عام الفيل يوم الاثنين (ولا خلاف في هذين) لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول أوليتين خلتا منه أول ثمان أو لشر خلون منه ، أقوال : (خاتمة مجمع بحار الأنوار) وهناك أقوال أخرى ذكرها أهل السير ولا عبرة بها بعد تصحيح النقل بما يوافق الحساب الدقيق الخلاف في تحديد اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام لا يترتب عليه حكم شرعي ولادنيوي ولذلك يتساهل العلماء فيه ويحتفلون مع المحققين بتذكر المولد في الثاني عشر من الشهر وهم يمتقدون ان المولد كان في التاسع على الأرجح فيحتمل أن يكون قد كتب الأستاذ الامام ما كتب تعمدا لهذا التساهل ويحتمل أن يكون قد جري قلمه بالمشهور سهواً . ولا محل للعجب من اشتباه القول المرجوح في هذه المسألة فإذا كان الخلاف في مولد نبينا أيام فاطمة في مولد المسيح بعد السنين كما في كتاب (تقريب القويم) تأليف يعقوب باشا أرئين وكيل المعارف في مصر وفانت باشا باشمهندس الدائرة السنية . وقد عرّب هذا الكتاب محمد أفندي كامل المدرس بالمدرسة الحربية وقرأنا في « المقتطف » الاغر نقلا عنه ما يأتي :

« اذا جعلنا مبدأ جميع الأزمان الماضية من التاريخ المسيحي ١٩ يولييه سنة ٦٢٢ يوليانية نجعلنا كل إشكال فان من المعلوم أن طريقة حساب السنين بالابتداء من ميلاد المسيح وضعت سنة ٥٣٦ بمصر فيونيسيوس أحد قسوس (أي قسوس) بعض الاديرة (أي الأديار) برومة وقد أخطأ في حسابها بمجهول مبدأ التاريخ المسيحي متأخرا بنحو خمس سنوات لانه بموجب حساب

أمهر المؤرخين المؤسس على وثائق التقدم مثل يوسفوس ورديون كسيوس كان ميلاد المسيح في ٢٥ ديسمبر سنة ٦ قبل التاريخ المسيحي وايس ٢٥ ديسمبر سنة ١ قبل التاريخ المذكور كإبنته العوام . وهو خطأ يزول ، لما يترتب على تصحيحه من الارتباك المهل ، اه (المنار) من العبر في هذا التحرير ان ما يشتهر على السنة العوام لقيمة له وان وافقهم الخواص سكوتا وان اتفاق الملايين من العوام على أمر لا يصح دليلا على جملة متواترا فان نقل التواتر لابد أن يكون في كل طبقة من الناقين حتى ينتهي في الطبقة الأولى الى الحق الذي لا شبهة فيه

﴿الرد على شبهات النصارى - ترجمة البابا﴾

حضرة الاستاذ الكامل

ان ما ينشره البر وتست ضد الدين الخفيف وضد القرآن ما كان يدري به أحد من المسلمين لولا ما تنشره تباعا في مناركم في باب شبهات النصارى وحجج المسلمين فان كتاباتهم ومجلاتهم الدينية لا يقرأها الا هم ولم يكن لها مشتركون الا منهم ولا بد ان يكون فرحهم بنشركم خزعلاتهم ولرد عليها أكثر من سرورهم من نشرها في جرائدهم بالله وما مناسبة ذكر ترجمة البابا لاون الثالث عشر في مناركم الاخير هل قصدكم اظهار فضله وورعه ومناقبه للمسلمين الا يكفي في ذلك جرائدهم ؟ هذا كم وهذا الله لما فيه خير المسلمين (الأسكندرية) (عبدالله نصوحى أحد قرائكم)

(المنار) لم يكن هذا الانتقاد جدرا بالنشر لضعفه في كلتا المسألتين ولكننا نشرناه لنطمع كل قارئ للمنار بانتقاد ما يراه فيه منتقدا ولتوقع ان يكون في القراء من ينتقد ما ذكر لاتفاقه مع هذا المنتقد في الرأي . أما الجواب عن الاول فن وجوه (أحدها) اننا نخبز المنتقد بأن المجلة التي نرد عليها ترسل الى شيخ الجامع الازهر وطائفة من كبار شيوخ فتنهم من يردوها ومنهم من يقبلها لعلهم بأن لا يطالبوا بنشرها وترسل الى غيرهم من المسلمين فاذا لم يرد عليها أحدها فنناشرها فيحتجون فيما بينهم ويحتجون على عوام المسلمين الذين يحضرون مجلسهم في المكتبة الانكليزية وغيرها بأن علماء المسلمين قد عجزوا عن دفع تلك الشبه لانها أرسلت اليهم ولو كانوا قادرين على الرد عليها لفعلوا . وهذا باب من أبواب تشكيك العوام في الدين يجب علينا اغلاقه

(ثانيها) ان هذه الشبه منشورة في كتب لهم مطبوعة تباع للمسلمين وغيرهم ويطلع عليها بعض المسلمين في المجلة التي تنقل من الكتب . ومتى أظهر المخالفون الاعتراض على الاسلام فالواجب على المسلمين مدافعتهم وبيان فساد شبههم فاذا لم يفعل ذلك أحد يكون ببيع المسلمين العالمين بذلك عصاة فسادا . على ان هذه المطاعن في أصل الدين فهي من لكفر وامالكم نعرفون حكم من يسكت على ذلك وبقرة وهو قادر على ابطاله

(ثالثها) اتنا ننشر تلك الشبهات مع ردّها بالدلائل الناصحة التي نرى قراء المنار حتى من النصارى مقتنعين بأنّها زالت كل شبهة وكشفت كل غمة فكيف يتوهم المتقد مع هذا ان يفرح المتقدون ببيان جهلهم واظهار بهتانهم ، ان هذا وهم عجيب الايمن لم يقرأ تلك الاجوبة السديدة

(رابعها) ان كثيرين من المسلمين يطالبوننا بالرد على هذه الشبهات وكثيرا ما رد الينا نسخ المجلة البروتستنتية من جهات مختلفة في البريد فنعلم انه لاغرض لمرسلها الا الرد على افواه متى سئل العالم في أمر الدين يحرم عليه الكتمان بلاخلاف

(خامسها) اذا فرضنا ان مايكتبه القوم لا يمدوهم وأنهم هم الذين يقرءونه دون سواهم فاننا نرى من الواجب أن نزيل من امام أعينهم الشبه التي تحجب عنهم محاسن الاسلام وتحملهم على سوء الاعتقاد به وتجعل لهم حجة يحتجون بها على البقاء فيما هم فيه . فان شيوع هذه الشبهات بينهم مانعة من تحقيق بلوغهم دعرة الاسلام على حقيقةها وهي ان تكون الدعوة على وجه يحرك الى النظر والبحث . والدعوة للصحيحة واجبة على المسلمين والجرائد والمجلات خير وسيلة لها . ولازى للمسلمين جريدة بل مجلة تنشر محاسن الاسلام وأصوله واحكامه على وجه يحرك الى النظر ولذلك جعلنا أشرف

مقاصد المنار احياء هذه الفريضة الاسلامية التي ياتم المسلمون كلهم بتركها واني أخبر المتقدم بما كنت أحب أن أكتمه وهو أنه جاني في الاسبوع الذي كتب الي فيه كتاب من أحد المشتركين في (أنشاص الرمل) يقول فيه مرسله انه اجتمع بأحد المتصرين فسأله عن سبب تنصرد فأخرج له الكتاب الذي تنقل عنه المجلة البروتستنتية الطعن في القرآن وقال له ان قراءة هذا الكتاب هي السبب في

ذلك لاضيق المباحث ونحوه من الاسباب التي تخرج بعض جهلة المقلدين عن دينهم أحيانا . وقد سألتني من كتب اليّ بذلك ان أرشده الى كتاب يرد على ذلك الكتاب المضل ليطلع عليه ذلك المتنصر لعله يعود الى هدايه . وانني لأعرف أن أحدا ردت عليه فسا على السائل الا ان يطالع ذلك المتنصر على مقالات النار في الردّ لعله يهتدي بما أظهرناه من جهل مؤلف الكتاب ومن تحريفه وكذبه وسوء فهمه وقصده ويقيم على ما رددناه ماسنذه حتى يتم الرد كله وبالله التوفيق

وأما سؤاله عن سبب ترجمة الباباني النار فجوابه صريح في التبعة التي كتبناها والظاهر أنه رأى الترجمة فأنكرها ولم يقرأها فنزغ اليه ان يقرأها . واتا رأينا الفضلاء في مصر قد سروا بهذه الترجمة سروا عظيما وذهب بعضهم الى أنها من أنفع ما كتب في النار وقال بعضهم: وددنا لو بموت في كل يوم بابا لنسمع موعظة مثل هذه الموعظة: « وما يتذكر الأولو الابواب »

﴿ باب التمر يظ ﴾

(مجلة الاحكام الشرعية) أتمت هذه المجلة سنتها الاولى ودخلت في الثانية وأصدرت فيها أربعة أعداد . وانتهى منشؤها حسن بك حماده بما وفق له من التجاح في عمله وانتشار مجلاته على خصوصية موضوعها وآية هذا التجاح الكبرى ان نظارة الحفانية قد اشتركت في نسخ من المجلة بعدد المحاكم الشرعية في انظر المصري واذنت لصاحب المجلة بأخذ صور الاحكام التي تبحث في المبادي القضائية من كل محكمة مجانا والتزم هونتر الاعلانات الادارية لهذه المحاكم مجانا . وآية أخرى أن بعض كبار رجال القضاء يكتبون في هذه المجلة انتقادات على بعض المرافعات وصور الاحكام نعم انهم يكتبون أسماهم ولكنهم يجهرون بأفكارهم

(عروس النيل) مجلة أدبية اجتماعية عمومية أنشأها في القاهرة سليم افندي قبيعن بدخل كل عدد منها في ٢٤ صفحة يتبعه ذيل اربع صفحات ينشر فيه قصة (البث) للفيلسوف توستوي معربة عن اللغة الروسية . وقد صدر العدد الاول في أول أغسطس مصدرا برسم المرحوم علي باشا رفاعه وتأينه ويتلو ذلك مقدمة المجلة وبمدها مقالة

لمحمد أفندي فاضل الأزهرى موضوعها (الاستلال) بتلوها لفر فكاهى بقمه بنزة
فى سكة حديد الحجاز من ورائها كلمة فى التحمى فبنزة فى مقتل المكيين (ملك المصوب وزوجها)
وبعض المقاطيع الشرعية . وقيمة الاشتراك فى المجلة سبعون قرشا صيحجا فى السنة
(الأوقاف المصرية) مجلة جديدة أسبوعية صاحبها محمد غائب أفندي فطين ويظهر ان
صاحبها اكتفى باسمها فى الدلالة على موضوعها فلم يكتب تحته فى غلافها وصفا يشعر بذلك
وقد التمسنا بيان تحديد الموضوع فى مقدمتها لم نرفها الا فتحة كفواتح (الوقوفات) ندم
الدنيا وتمدح الصبغة ثم قرأنا بعدها (مقدمة لتأخير مقدمة الجريدة) نذكرها بنصها
لما فيها من الدلالة على مكانة المجلة فى التحرير والفكر قال :

« اكتفاء بالحطبة وبناء على طاب حضرات الاصدقاء النبهاء من لا تسفنا الفهم
« ملو » منزلهم لديناهم أرقى منا فكرا ورأيا وعقلا قد أخرجنا درج المقدمة فى
« هذا العدد للعدد الآتى وعذر حضراتهم فى ذلك ان الحطبة بحسب أفكارهم العالية
« كادت بفضل الله تنفى عن الايضاح وان المواد أصبحت دارة الجريدة كثيرة جداء
« بحيث تكفى لاعداد مقبلة فبناء عليه نلتبس ونرجو من حضرات انقراء الكرام
قبول المذكرة والسماحة وعدم الملام والموعود قريب ان شاء الله اه
ثم قرأنا عنوانات المجلة فاذا هي (مقابلة مع سعادة مدير الأوقاف) باغ صاحب المجلة فيها
المدير أنه مستعد لنشر إعلانات الأوقاف مجاناً (مقابلة مع سيدة مصرية) وقيمة الاشتراك فى
المجلة ٧٥ قرشا صيحجا فى السنة

(الانتقام) هي القصة العشر ون من مسامرات الشعب عمر بها احمد حافظ أفندي عوض
عن الانكليزية ولا يست بشي لولا انها مقدمة لقصة أخرى تتصل بها

بألحاحنا إلى

الدولة العلية ومكدونية . ورأي فى الاصلاح

كتبنا فى الجزء الاول والجزء الثانى من هذه السنة نبذتين عن الثورة التى نجمت
فى بلاد مكدونية قتنا فى الاولى إن المسألة عشواء والحكم فيها غامض لان أهل هذه

البلاد وغيرهم من التصارى في بلاد الدولة طامعون بالاستقلال وأوربا عون لهم ولان
غرض روسيا غير معروف وعليه المدار في هذه المسألة. وقتنا في الثانية انما نطمأنا
من جهة روسيا بعض الاطمئنان وبذنا ذلك على ما كان نيل من ترك روسيا لمشورينا
بسبب الحاجة الى المال. وتوطينا من تقرب انكلترا الى فرنسا وزيارة ملك الاولى
لرئيس الثانية ان يتفقا على عدم اسعاد روسيا على حرب تركيا اذا كانت تريد ذلك
وتتمهله بالنورة. وتلما أيضا انه اذا كان اتكالك بغاة مكدونية على البلغار والصرب
فلا خطر على الدولة العلية لانها قادرة على تدويج هاتين بسهولة وان هي لم تستفد من
تدويجها شيئا لنصب أوربا

ثم تحولت الاحوال وظهر لنا من الوقائع ما لم نكن نختسب. ظهر لنا ان روسيا
لا تترك منشوريا وهي أول ثمرة تذكر تلك الملايين التي أنفقها في مد خطوط الحديد
الى الشرق الاقصى ووراءها من المقاصد الاستعمارية والتجارية ما وراءها. ثم علمنا
ان توجيه غناية الروس الكبرى الى تلك البلاد ومناحة اليابان بالماك في ربوعها قد
حرك في نفوس اليابانيين الابهاء والحمية نصاروا يهيجون بمحاربتنا حتى قال قتلاهم: اساق
جاربنا اوربا في كل علم وكل عمل وجاربناها في القوى البرية والبحرية حتى صرنا في مقدمة
دولها العظمى وهي مع ذلك تراندونها ذهابا مع التقاليد الماضية التي تفضل الجنس
الابيض على الجنس الاصفر فلا وسيلة لاقتناع أوربا بمساواة الجنسين الا بمحاربة
روسيا فاطهار شرقنا ببرهان ساطع يخطف ابصارهم المذنية لا يكون الا بهذه الحرب :
وما أرى هذه الهواجس الا من وسوسة الانكليز الذين يعتمدون عليها في اغراء
بعض الشعوب ببعض وكانت أئتم لهم من أساطيلهم التي يفاخرون بها

هذا شاغل كبير لروسيا عن القصد الى حرب الدولة العثمانية فان محاربة الترك
تضطر روسيا الى توجيه جميع قواها الى الشرق الأدنى وهي لا تأمن حينئذ من
اليابان ولكنها اذا وجهت جميع قواها الى الشرق الاقصى لمحاربة اليابان فانها لتخاف
من الترك اعتداء ولا تخشى لانهم أمسوا كما قال الشاعر العربي:

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء احسانا

كان ربك لم يخافك لحشيتة سواهم من جميع الحاق انسانا
فهذا هو السبب فيما ظهر لنا من رغبة روسيا أولا وآخرها في مبادرة الدولة الى
الاصلاح وفي سكوتها عن عقاب قاتل قتلها الاول لأن قاتله من الالبانيين الذين
كانو متمردين على الدولة وفي اكتفائها بعقاب قاتل قتلها الثاني ومن علونه بأشد
العقوبات ونفي والى موناستير الى طراباس الغرب وفي نصحتها للبغار بعدم مساعدة
الأتارين . ولو كانت تريد سوما لو ثبت اليه بما فتح لها من المنافذ وما أشرعت لها
الفتنة من الطرق . ويقال ان بين الساطان والقيصر اتفاقا سريا نذكر موضوعه بعد

يمجب الوافدون على أخبار الثورة من سلوك البغار مع سلوك روسيا فانها يسيران
متدبرين فيما يتراءى لناظرين - روسيا تسمى في إطفاء اثار والبغار تذكها وتحضيها
وتعد البغاة في غيهم حتى ان ضباط عساكرها ينسلون من معسكرهم لادارة الثورة
ادارة عسكرية منتظمة وذلك لا يكون الا بإيعاز من حكومتهم . أليس في هذا السلوك
منار للرب ؟ أيسفل ان تغرش بلغاريا الضعيفة بالاسد التركي الا اذا كانت واقعة بأن
وراءها أسد أو أسودا ؟ اذا لم يكن الاسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها
هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد ؟ الا قرب عندي أن يكون
الخوف اليوم في موضع الرجاء بالامس . فانا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا
الظن بالانكليز حتى توقعنا ان يكون الفرض من زيارة ملككم لفرنسا الاتفاق معها
على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدنا فرنسا على ذلك ولما ترجع
عندنا الآن أن روسيا لا تريد حربا ولا تضمر غدرا انعكس الرأي الاول وظننا السوء
بانكلترا وتوقعنا انها قد انقمت مع فرنسا على التفتيح في نار الثورة واغراء البغار بامدادها
ووعدها بالمساعدة على ضم مكدونية اليها كلها أو بعضها . وهل يتيسر لهما الوفاء
بالوعد اذا لم تكن روسيا والنمسا - متهما ؟ لاحاجة لنا بالبحث في الجواب ولكننا في حاجة
الى التأمل في معاملة أو . باننا وماذا يجب علينا

ان سلوك اوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية
سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية ليونان
فقد جعلت أوربا الدولة البائدة بالاسدوان . المغلوبة في ميدان الطمان ، هي الفائزة

بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدا حاكما على ولاية عظيمة من بلاد الدولة المتصرة (وهي جزيرة كريت) على ان تكون هي الحافظة والحامية لتلك الولاية. وما يدبرنا لهما هم يردون الآن ساخ ولديات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة. وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة ينفذون به من يرونه أولى به حتى لا يبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الروس الاتفاق على الايقاع به.

اننا نرى دول أوروبا عاتية في كل حين باستئلال الدولة في كل حادثة لهم أو امر نطاع ومنها هي تجتنب والدولة راضية وكل ما تجنيه من الظفر في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الامور أو ارجائها وكلما تم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هدف المفرورون مع الفارين: نحن أصحاب السياسة المثلّي والكلمة العلية: فاذا انتهى أجل الارعاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجبين. أو خادعوا أنفسهم مقتدرين.

يقول الاوربيون: ان الذي اذل تركيا وذلها لهم هو ظلمهم ان ليس على دينها من رعيها لاسيا النصارى: ولنا ان نقول ان وجدنا ساما: اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوروبا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها؟ أمن الملقول ان يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم؟ واذا زعمتم انها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المخالف الذي يجد أنصارا أقوياء ينتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير؟ واذا كانت أوروبا تعبت باستئلال الدولة وتفتت عليها في سياستها لداخلية حبا بالعدل بالظالمين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرق القتل فيهم بأيدي النصارى لانهم يهود؟ امس موقفنا مع أوروبا، وقف جدال وحجاج ولكننا موقف قوة وضغط فالقوة تفعل والضغط يفعل

اساذا كنا ضغفاء وعقدنا جيش يشهد له الاعداء بأنه في مقدمة جيوش الامم الحربية بسالة وشجاعة وتدريا؟ يقول قوم ان ضغفنا محصور في قلة المال ونقول ان عند الدولة من الذخائر ما يساعد على كل عمل تريده وعندنا من موارد الثروة ما ان أحسنت استئلاله واستعماله كانت من أغنى الدول. ويقول آخرون ان ضغفنا

محمود في الجبل دون سواء وتقول ان الامة جاهلة ولكن عند الدولة من الرجال من لا يقصمهم شيء من علوم الادارة والسياسة والصواب أن ضممنا كله مدلول لمة واحدة وهي السلطة المطلقة

صاحب الساطة المطلقة أقدر على الاصلاح اذا هو علم وأراد ولكنه قلما يريد ولم نرأمة من الامم صاحب حالها وارتفع شأنها بسرعة كالامة انا بانية التي نهضت بهمة غايلها (البيكادو) على انها هي الامة الوحيدة التي ارتقت بمدكمها رسائر الامم المرتقية إنما نهضت بأنفسها واصبحت حال حكمائها وأوقفهم عن حدودهم .

قد بنا في السنة الاولى أركان الاصلاح التي يجب على الدولة العلية اقامتها بعد بيان أسباب الضعف ومناشئ الخلل من تاريخ الدولة الرسمي (تاريخ جودت باشا) ويعتذر بعض الناس عن السلطان بأن إدارة دول أوروبا في الخارج ومناهضة حزب الترك الاحرار في الداخل لم يدعاه وقتنا يعرفه في اصلاح المملوكة وتقول في الجواب أما حزب الاحرار فالصادقون من أهله تؤمن غائتهم بمجرد التشروع في الاصلاح والمحتالون على لتناصب والرواتب علاجهم الاعراض عنهم وعدم المبالاة بهم هم اقلوا وفعلوا وامادول أوروبا فلا مفر من عدوانها واقتنائها على الدولة وعيها باستقلالها في بلادها الابالفة . فأول عمل يجب على السلطان وجوب انور يا هو الاسراع باصلاح القوة البحرية وزيادة القوة البرية حتى تكون القوتان في المكانة الاولى والاستحي ان اقول انه يجب ان يكون قصده في عمله هذا الى جعل قوة الدولة في البر والبحر كقوة دولة فرنسا سواء . ولا يمكن انقصد الى هذا العمل العظيم الا بعد السماح ببيع تلك الكنوز من ذخائر الملوك الذهبية والجوهرية الاما كان أثرها تاريخيا فيسبب بقاؤه العلم . فاذا أنفب السلطان من بيع تلك المناظر المقتطرة من أو في الذهب وانفضت ومن الجواهر التي لاصناعة فيها يضمن بها التاريخ وكان لا يجد المال لهذا الاصلاح الا ببيعها فان دولته ستفقدتها من يوم من الايام ويكون قد أتى بيها بمنز الدولة لبيعها بذلها وهو انها (لا قدر الله تعالى)

ومن الناس من يزعم ان دول أوروبا لا يمكن السلطان والدولة من زيادة القوة وبلاغها درجة السكال فاذا هي شمريت بأنه يقوي البحرية ويمعم التعليم العسكري

في الولايات فانها لا تمهله ان تقسم بلاده وتبجل بحل عقدة المسألة الشرقية . ونحن نقول : اذا كان من الثابت عند السلطان ان أوروبا لا يمكنه من الاصلاح لانها تريد ان تمتنع بالخلل على عزيق الدولة وتطعمها قطما يسهل عليها البلاء وانها اذا حاولت تقوية دولته لتتمكن من الاستقلال ظاهرا وباطنا فان دولتها تتفق حينئذ على الاقناع بها مرة واحدة قايـم مرجح للرضى بالتقطع إربا إربا على الاستبسال والتعرض لاحدى الحسين حفظ الاستقلال أو موة الإبطال ؟

يقال انه كان من رأي رجل الدولة العظيم فؤاد باشا ان تمنح الدولة العلية جميع ولاياتها النصرانية في أوروبا استقلالاً إدارياً وأنه صرح في وصيته المشهورة بأن هذه الولايات لا بد ان تفصل من جسم الدولة في المستقبل فاذا أعطتها الاستقلال الإداري الثوري باختيارها فانها تقبل مع الشكر والمجد كل ما تشترطه عليها الدولة والا فان كل ولاية منها لا تفصل الا بعد ان تسلك الدولة في سبيلها دماً عزيزة وتفق أموالاً غزيرة فيكون انفصال كل منها ضعفا على ضعف ؛ وقد علمت الدولة صدق هذه الفراسة باليقين، وذاقت مرارتها بالفصل، فما بالها تلدغ من الجحر الواحد مرتين

يجب على الدولة أن تهتم بالاصلاح اهتماما صادقا وان تنشر لواء العدل والمساواة في الحقوق على رءوس جميع رعاياها وان تبدأ بما قلناه من ترقية قوتها البحرية والبرية وتبذل في سبيل ذلك كل رخيص وغال فان علمت ان أوروبا تحاول دون ذلك وانها قادرة على ان تحول وأنه لا يرضيها الآن ما كان يرضيها من قبل كالمعمل بالقانون الاساسي فليس امامها الا سلوك احدى طريقتين لحفظ حياتها المستقبلية

(الطريقة الاولى) ان يحمل ولاياتها كالولايات المتحدة في أمريكا تستقل كل ولاية في ادارتها الداخلية ويكون حكمها منهاولا مجال هنا للخوض في كيفية هذا الاستقلال وشروطه فالدولة والسلطان اعلم منا به وبسعادة البلاد المتمتعة به . نعم ان الحكم المطلق ألد وأشهى ولذلك لم نطلب من السلطان ترك هذه اللذة والتنازل عن هذه الشهوة الا اذا كان غير واثق بدوامهما

(الطريقة الثانية) ان يتفق مع روسيا — اذا رضيت — على أن تعيد اليه بمساعدة فرنسا مصر والسودان وتحالفه محالفة حربية على الاستقلال التام في الولايات التركية

والعربية وان يعطيا في مقابلة ذلك الاستانة وماشاءت من الولايات المسيحية في اوربا ويدها بالمساعدة المنوية على امتلاك الهند ثم يحمل التخت في دمشق الشام ويمتني بعد ذلك ويجدي في عمران البلاد العربية التي اهملها واخرها سافه من السلاطين ويحمل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ويجتهد في استعرا ب الترك اجمعين ويؤلف منهم ومن عرب العراق ونجد والحجاز قوة عسكرية منتظمة ويتم الشرع . فاذا هو فصل ذلك يكون له ملك عظيم وعز منيع ويأمن غائلة الخارجين بدعوى الخلافة . فاذا لم ترض فرنسا باعادة مصر عثمانية محضة فليكتف ببلاد الاناطول والاكراد والعراق وسوريا وبلاد العرب فاذا وقتت دولته لترك الجنسية التركية واتعصب لها واصلحت هذه البلاد وعززتها فان ملكها يكون بها عظيما وتيسر لها بعد ذلك القيام بعمل عظيم واذا بقيت الدولة علي حالها فغير مستقبلها مع أوروبا ان يتزكوا لها بلاد الترك الخالص المسلمين تحكمها باستقلال أو تحت حماية، وشرما (وقاها الله من شرها) ان يحى أثرها بالتدريج حتى لا يبقى لها عين ولا أثر

﴿ البابا لاون الثالث عشر - تمة ترجمته ﴾

ينافي التبذة الاولى التي نشرناها في الجزء التاسع ان الاخطار كانت محدقة بكرسي البابا هندا ما جلس عليه لاون الثالث عشر ووعدا بالاماع الى سلوكه في مقاومتها وما كان من مجاحه فيه فتقول : ان الدول الكاثوليكية التي يدين أكثر رعاياها بالموضوع الى البابا كفرنا والنسا واطاليا كانت عاملة على محو سلطته فبال روسيا الارثوذكسية وانكلترا وألمانيا البروتستانتين لا يمكن من اعدائه الماملات على محو. ومحو طائفته من الارض وقد كان بين أهل مذهبه ومذهبين من الحلاف وسفك الاما ما كان ؟

سلطة انابا رسمية دولية ولادول عنده وكلاء كالسفراء عند الملوك وقد كان أول عمله استمالة الملوك العظام والتوسل اليهم بالرفق بالكاثوليك فتجج في ذلك حتى عاد اليه اعتباره وتيسر لطائفته السير في طرق الترقى في كل مملكة كانوا مهتدين فيها حتى تقدموا قدما ميئا . ولم تبق حكومة لم تسلمه ويسلمها الا ايطاليا التي أزالته ملكه ونزعت سلطته المدنية (أو الزمنية) واستولت على أملاكه وفرضت له مبلغا

عظيما من المال بدلا عنها فلم يقبله، ومن يبيع الملك بالمال؛ ولكنه على استمراره على عداوة الحكومة لم يتصرفي استمالة الشعب الايطالي ومن ذلك أنه بمثوفدا دينيا الى ملك الحبشة يسأله اطلاق الاسرى الذين أسره من جندا ييطاليافي الحرب المعروفة.

سياسته مع الدول الكاثوليكية : قد كان من اساءة فرنسا والنمسا في معاملة بيوس التاسع والايحاء على كرسى ماو مانا اليه في الجزء التاسع وقد استطاع ان يسالهما مع حفظ حقوقه فكان يحث الكاثوليك على الخضوع للحكومة الجمهورية التي اختارتها الامة لنفسها على ان أكثر أعدائها منهم . وكذلك جامل النمسا بقدر الامكان وأحسن في تمزية عاهل النمسا والمجر جوزيف عند وفاته ولي عهده واتجاهه اليه حتى قيل انه لم يرد الزيارة للملك ايطاليا حلفه مصانعة البابا والنمسا لرضاه . وقد كانت الصلات السياسية قطعت بين باجكا والفاينكان فأعاد رابطها حتى صارت حكومة البلاد الى وزارة كاثوليكية . وأما سياسته مع الدول غير الكاثوليكية فهي السياسة المثلى واننا نتوسع

بعض التوسع فيها فقول

سياسته مع ألمانيا : يعرف التاريخ ما كان في ألمانيا من اضهاد الكاثوليك بعد سفك تلك الدماء في التنازع الديني بينهم وبين البروتستنت فان المانيا مهدلوثر مؤسس المذهب الثاني الذي كان مبدأ كل ما كان . وقد كان البرنس بسمارك داهية السياسة يفض الكاثوليك ويناصبهم . فلما ولي المترجم كان أول عمله العناية بمسألة المانيا واستمالها وجمع كلة الكاثوليك فيها فكتب الى عاهل الالمان بتوليته . ثم رأى البرنس بسمارك اتحاد الكاثوليك وارتباطهم بالبابا ورأى نفسه محتاجا اليهم في مقاومة الاشتراكيين في مجلس النواب فلم يردا من استبدال الملاينة بالخاشنة فكتب الى البابا رقبها أطرافه فيه اطراف لم يكن يخطر بالبال وكان من اعتبار المانيا للبابا أن حكمته في الخلاف بينهما وبين أسبانيا على جزائر كارولين فكان من حكمته ودهائه ان تمكن من إرضاء الفريقين معا بما حكم به

نم انه أسس لالمانيا حتى أطمع عاهلها بانيه في إرضائه بأن تكون دولته حامية الكاثوليك في الشرق ولهذا الطمع زاره غليوم الثاني مرتين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٣ ولكنه لم يزل منه هذه الامنية ولم يأس منها . ولولا دهاؤه لسلب فرنسا التي قاومت وقاومت الدين أشد مقاومة هذه النزية - حماية الكاثوليك - وهي أقوى آتيا السياسية في الشرق

ومنحها لمدتها (ألمانيا) ولكنه لم يحب ان يزيد الحرق اناسا دينه وبينها
 سياسته مع انكلترا : لم يكن حظ الكاثوليكية في انكلترا مع الاصلاح بأمثل من
 حظها في ألمانيا فقد اضطهد الكاثوليك في تلك الجزائر وسفكت دماؤهم وسموا اخسفا
 وهوانا في القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وكذلك الثلث
 الاول من القرن التاسع عشر حتى قل عددهم وانطمت رسومهم في تلك البلاد فلم
 يبق من الانكليز على مذهب الكنيسة الرومانية الا نحو ١٦٠ ألفا
 أحسن ليون الثالث عشر التودد للملكة الانكليزية واحتار لرياسة الكنيسة في بلادها
 بعض رجاله الدهاة حتى حسنت الحال وصارت الملكة تتلقى الكرادلة الوافدين عليها
 من قبله بالحفاوة العظيمة بل صاروا يتقدمون في قصرها على رئيس اساقفة (كنتربري)
 رئيس الكنيسة الانكليكانية الرسمي الذي يتوج ملوك الانكليز . وأعطى الكاثوليك
 حرية من الحكومة الانكليزية لم تكن تصل اليها أمانهم فارتقوا ارتقاء مينا وزاد
 عددهم حتى صار البروتستنت يرجعون الى الكاثوليكية حتى طلب بعض قسوسهم رجوع
 الكنيسة الانكليكانية الى رسوم الرومانية فقطع البابا المترجم بأجماع الكنيستين وكتب
 يدعو الى ذلك . ويقول المعارفون انه لو قدر على ترك بعض الرسوم والتقاليد التي
 لا يمكن أن يطبقها أهل مذهب الاصلاح بعد ما تفصوا من عقلمها لم له ما يريد
 أرايت الكاثوليك الذين كانوا في أول القرن التاسع عشر يمدون في انكلترا
 بالآلاف إنهم صاروا يمدون بالملايين فقد جاء في إحصاء سنة ١٨٩١ ان عدد الكاثوليك
 في انكلترا نفسها مليون ونصف وفي إيرلاندة ٩٥٦ و ٥٤٩ و ٣ وفي سكتلندة
 ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦ و ٣٥٦
 علم من ذلك التقويم ان عددهم في البلاد والمستعمرات يزيد على عشرة ملايين ونصف
 وان لهم فيها من كراسي رؤساء الاساقفة ٢٨ ومن كراسي الاساقفة ١٠٥
 ونخص الهند بالذكر فقول ان عدد الكاثوليك في الهند لم يكن يزيد في أوائل
 القرن التاسع عشر على نصف مليون ولم يكن لهم الا ثلاثة اساقفة وقديتين من الاحصاء
 الذي أشرنا اليه ان عددهم صار يزيد على مليونين وان لهم ٣٣ كرسي اساقفة و ٨٠٠
 كاهن أوربي و ٦٥٠ كاهنا هنديا و ٦٠٠ راهبة أوربية و ٢٠٠ راهبة هندية و ٢٠٠

راهب من جمعية الأخوة (فريز) و ٧٠ مدرسة كبرى و ٢٢٠ مدرسة ابتدائية وتلاميذة هذه المدارس مئة ألف وأن لهم مدرسة دينية خاصة (على أن جميع مدارسهم دينية) فيها ستة آلاف تلميذ يكونون كلهم دعاة للدين ورهبانا وقسيسين . وأن لهم أيضا ٩٨ ملجأ لليتام فيها ٥٨٠٠ ولد . وقد زار ملك الانكليز البابا في هذه السنة . ولما مرض مرض الموت كتب اليه بخطه يسأله عن صحته كما كتب اليه عاهل المانيا بخطه

سياسته مع روسيا : الخلاف بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الشرقية التي يحجمها قيصر روسيا وأكثر رعيته من أتباعها قديم كان ولم يكن في الدنيا بروستانت وقد كانت روسيا في سرور عظيم من قيام أوديانهاضة البابا وكنيسته ولم تقصر في اضطهاد كاثوليك بلادها وكانت الصلات السياسية قد تقطعت بين هذه الدولة وبين الفاتيكان في عهد البابا بيوس التاسع فلما جاء بعدهليون الثالث عشر كان أول شيء عمله في تلافى ما سبق أن أرسل كتابا بخط يده الى القيصر يخبره فيه بتوليه ولما كاد التيهلست للقيصر وحاولوا اغتياله سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ فجا من كيدهم كتب اليه البابا يهنئه بذلك فكان لهذه المحاولة من التأثير ما جعل القيصر على التساهل في تمييز الاساقفة للكاثوليك في بلاده وأعيد أسقف ورسو من منفاه في سيرايا . وكتب البابا الى أساقفة بولنديا صرهم بالخضوع لحكام بلادهم وقوانينها وبمحت العوام على ذلك وأرسل سفيرا من قبله لمخضور تويج القيصر الحالي سنة ١٨٩٦

سياسته مع الدولة العلية : ان هذه الدولة تختلف مع البابا في أصل الدين لاني المذهب ولكن التساهل الذي تقضي به طبيعة الاسلام جعل الكاثوليك في بلادها أحسن حالا منهم في جميع البلاد الاوربية أيام ذلك الاضطهاد والتسافل في الدماء وقد قابل البابا السياسي هذه المعاملة الحسنة بالشكر فازدادت المودة بينه وبين السلطان العثماني . وقد أرسل السلطان مندوبا خاصا الى رومية لتهنئة ايون الثالث عشر بمنصبه وقد اجتهد السلطان أيضا بالفصل في الخلاف الذي كان من الارمن الكاثوليك والشقاق الذي كان من الكلدان الكاثوليك فكان البابا يعلن الشكر له على ذلك . ولما احتفل بعيد البابا الكهنوتي (يوبيله الفضي) سنة ١٨٨٧ أرسل السلطان عبد الحميد يهنئه بهدية نفيسة وهي خاتم من جوهرة بقيمة كبيرة الحجم بيضيه الشكل تزينت منها أشعة تمكس

أنوارها علي الزوايا فيخال الناظر اليها انها مجموع أشجار كرمية تترائي فيها ألوان
الطيب التي في قوس السحاب وكانت هذه الجوهره من النفائس المحفوظة في خزان
سلاطين آل عثمان . وقد وضع الخاتم في غلاف من الذهب الوهاج على هيئة تاج ملكي
يعني الخاتم من خلال فروجه

ولما احتفل بعيد الابا الاسقي (يوسيله الذهبي) سنة ١٧٩٢ أهدها السلطان
هدية كانت عنده وعند أهل ملكه أنفس من الاول . وهي الكتابة التي يتولون ان
القديس ابرقيوس أقف هيرا بوليس وتلميذ يوحنا الحبيب نقشها في أواسط القرن
الثاني الميلادي على صفحة اوصى بأن تحجل فوق ضريحه .

ولو أردنا ان نذكر ماخدم به ملكه وأمنه في الصين واليابان والحبشة وفي سائر
البلاد البلاد لخرجنا الى التطويل الذي ليس من موضوعنا ولا من غرضنا لان العبرة
التي نتصدها تم لنا بالقليل الذي يفني عن الكثير . فكيف بنا اذا حاولنا إحصاء
المكاتب والمدارس ، والاديار والكنائس ، والملاجئ والمستشفيات ، والرهبان
والراهبات ، والاطباء والمرضات ، والمبشرين والمريات ، والمعلمين والمعلمات ،
والمتصربين والمتصبرات ،

هل من الحكمة والرأي أن نجعل مايقبله القوم من خدمة دينهم ونشره وان
نكتم مايتفق لنا علمه لانه مما يمدحون عليه؟ هل تقضي علينا الغيرة الدينية بأن نسحي
جهاننا علما، وتقصيرنا تسميرا، وضعفنا قوة، وان نسحي حذقهم بلادة، ونشاطرهم كسلا،
وعلمهم جهولا، وقوتهم ضعفا؟

منزلة ماخلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجي

لاشيء أنفع من معرفة الحقيقة والواقع ولا شيء أضر من الجهل بالحقيقة والواقع
ومن أتهك المرض حتى صار حرضا وأشرف على الهلاك ويئس من روح الله لا يرضيه
الا ان يقش نفسه بالمدح الكاذب ويكابر حسه وعقله فيذم من مناقريه مايراه محمودا .
واننا نبدي هذا القول ونميده ثم اتنا نجد ممن يظلمون عليه من يقول : ان محبنا
الذي ينصح لنا هو من يمدحنا ويمدح رؤساءنا ولو بالباطل وينكر حقوق من يخالفنا
ويذمهم ولو كاذبا . والملة في هذا ان هؤلاء الضعفاء لاغرض لهم من حياتهم الا الالذة .

والحق صراً في ذائقة المبطلين ، والجند مملول عند الهازلين ،

اليكم عنا يا عاشاق اللذة الباطلة ، ومحبي الجاهالة القاتلة ، لينا نكتب لكم وانما نكتب لقوم استمدوا لقبول العلم النافع وهو كما قال الاستاذ الامام « ما عرفك من أنت ممن معك » قال هؤلاء نسوق هذه الترجمة ونقول : أين علماءكم الاعلام ، أين الذين تلقبوا بهم بمشايخ الاسلام ، أين الأمراء الذين اتحلوا لأنفسهم الرياسة الدينية ، وزعموا انهم أولو الأمر الذين يجب طاعتهم على الرعية ، خبرونا ماذا تفعلوا وماذا عملوا حتى استحقوا هذه الرياسة ، وهل كان للامة رأي في اختيارهم لها ، وبماذا خدموا الاسلام فيها ، هل يعرف شيخ الاسلام حدود بلاد المسلمين ، هل وقف على شيء من أحوال شعوبهم في الدنيا والدين ، هل سعى لهم بإنشاء مدرسة كلية أو جزئية ، هل أرسل الى بعض بلادهم بعثة دينية ، هل كشف لهم شبهة اعتقادية ، هل حل لهم مشكلة سياسية ، هل كاتب العلماء في غير بلاده ، هل حاول ان يصل ودادهم بوداده ، هل خطر بباله أن يعد طائفة من العلماء ، للقيام بمثل هذه الاعباء ، ؟

كلان المسلمين ليس لهم جمعيات دينية ولا دنيوية تتعذب لهم شيخنا مستعداً لخدمة الاسلام فقسمة « شيخ الاسلام » ويكون مطالباً من المسلمين وانما اخترع هذا القالب الأمراء الذين استقلوا بالزعامة الدينية والدنيوية فقل عليهم الجمع بين شعار رؤساء الدين وبين التمتع بالشهوات وحضور مجالس اللهو والشرب والرقص فجلوا هذا الشعار لبعض العلماء الرسميين الذين يأخذون شعار العلم والدين من الأمير أو السلطان فالأمير يصل الى مقاصده الدينية بعمامة « شيخ الاسلام » وجبته ويتمتع هو بما شاء بزي السياسة وشيخ الاسلام وسائر أحوال المناصب الدينية من القضاة والمفتين والمدرسين الرسميين والخطباء وأئمة المساجد يعترفون للأمير بالرياسة الدينية الكبرى بما يمنحهم من الرب والرواتب ، والأوسمة والمناصب ، ؟ فلهؤلاء ولخدمة لاسلام والمسلمين ؟ اذا أراد احكام الذي يولي شيخ الاسلام وغيره من المشايخ مناصبهم ويزين صدورهم وأكتادهم وعماهم بالنسيج النفسي بتلاً في أيام الاعياد - ان يكلفهم بعمل ينفع الاسلام فانهم يجتهدون في القيام به ما استطاعوا كما اجتهدوا في

خدمة هؤلاء الحكماء فيما يضر ولا ينفع وأولوا لهم ما أولوا ، حتى غيروا ما غيروا وبدلوا ما بدلوا ، وإذا لم يرد الحاكم لا يريد شيخ الاسلام فان الانسان مادام محروما من الاستقلال يكون تابعا لمن يرى بيده منفعة ومضرته . ولو كان المسلمون هم الذين ينصبون «شيخ الاسلام» كما عهد اليهم ان ينصبوا السلطان والامام ، لكان شيخ الاسلام تابعا لارادتهم ؛ وعاملا بمشاورتهم لمصلحتهم ، وسنكتب نبذة خاصة في كيفية انتخاب البابا ونبين فيها حكم الانتخاب عند المسلمين

(الهضة الربائية في سوريا)

انتشرت الهضة الربائية في سوريا حتى كادت تملأها . ظهرت أولاً في ولاية الشام ثم في ولاية بيروت وأصاب بلاداً من فلسطين وولاية حلب . وأن فتكها في طرابلس الشام وحمص أشد منه في سائر البلاد . وقد بان أن أكثر أهالي طرابلس هلموا وجزعوا وفرّ نحو نهم إلى لبنان قبل انتشار الوباء وأكثر الفارين من النصارى . ومن بقى في البلدة ومبناً فهم فريقان متناضيان في العلم والعمل - الفريق الأول أكثر المسلمين وهم يعتقدون أن الوباء سوط سماوي يصب على بعض الناس بدون سبب لقبول المزاج له أولوقوعه بمن يصاب به وإنما يكون لمحض الإرادة الإلهية الحفية فلا تنفع طرق الوقاية ولا يفيد الاحتياط شيئاً - هذا مبالغهم من العلم وأما عملهم فهو أنهم يأكلون ما ينهى الأطباء عن أكله ويمتنعون عن اتخاذ الأدوية التي تضاد العقوات وتقتل جنة الهضة ونحوها المبر عنها بالميكروبات . والفريق الثاني عقلاء المسلمين وأكثر النصارى أوكلهم وهم يعتقدون أن كل شيء في هذا العالم جار على سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات وأن لكل داء دواء وأن التخمّة وأكل المواد التي يسرع إليها التفسن كالفاكهة والبقول التي لم يحسن إنضاجها بالطبخ من أسباب استعداد البدن لفتك الهضة وأن النظافة والقصد في الأكل وشرب الماء بعد غليه وتبريده من الأسباب التي تحول دون فتك هذا المرض في أمم الآكلين الشاربين فهم يعملون بذلك . وقد علم بالاختبار أن الوباء انما فتك بالفريق الأول دون الثاني « فاعتبروا بأولي الألبصار »

بقي الحكمة من بناء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فمن عبدي الذين يسمعون القول
فيمسحون أذنهم أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كشار الطريق)

(مصر — اثلاثاء ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢١ هـ — سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(النبهة السادسة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد الحادي عشر) قال المعارض : وما يقضي بالعجب أن يناقض القرآن نفسه في القدر الذي هو من الايمان وركن مهم من أركان الاسلام فقال « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » أي من كل أمرٍ قدر في تلك السنة كما عليه جمهور المفسرين . وقال أيضا « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » وهي عندهم ليلة القدر التي تفصل فيها الأقدية ويفرق أي يقدر كل أمر يقع ذلك العام من حياة أو موت أو غير ذلك الى مثلهما من قابل وهذا يترتب عليه أن أمور الخلق تقدر عاما عاما . لكن ذلك منقوض بقوله في سورة الحديد « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » أي الا مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله من قبل أن تخلق وأنت تعلم أن هذا اللوح قد كتبت فيه بزعمهم كل الأمور وقدرت من قبل أن تكون ليلة القدر . وزاد ذلك ايضا فقال « وكل انسان أزنائه طائره في عنقه » أي أزنائه عمله وما قدر له وعليه منذ ميلاده حتى لزمه لزوم الطوق للعنق . ويترتب على هذا أنه قدر على الانسان دفعة كل ما يعمل في عمره لا ما يعمل في عامه فقط وهذا تناقض بين في أركان الايمان لا يصح وقوعه في كتاب جميع ما فيه كلام الله : اه قوله بحجرونة الاكمة (أنفسكم) من الآية الكريمة يدلها بنفسكم فكنتنا الاصل الصحيح .

وتقول في الجواب : إننا كتبنا كل ما كتبه في تقرير هذه الشبهة وحسبه ما كتبه نضيحة ودلالة على سوء القصد وتعمد التمويه ولو قلنا إنه يزعم أن بين تلك الآيات تناقضا

ولم نذكر ما قرر وشرح به ذلك انتقاض لما أفاد القول إلا أنه جاهل لم يفهم تلك الآيات وهذا عار عليه أكبر وخلاف الواقع ، أما كونه خلاف الواقع فهو أنه اطاع على تفسير الآيات وفهمها وأما كونه أكبر عارا فذلك أن الجبل عار عند جميع اناس من أهل ملته وغيرهم ، وإن قومه يمدونه من كبار الكتاب والبلغاء فإذا ظهر لهم أنه لا يفهم هذه الآيات فأنهم يحقرونه وينزعون عنه لباس تلك الخصوصية فيكون عاريا من كل حزية ، وليس في سوء القصد وسلوك سبيل المغالطة في تشكيك عوام المسلمين بدينهم إلا احتقار الغلاء والفضلاء من جميع الطوائف وأهل الانصاف من قومه التصاري خاصة وأما المتصبون منهم مثله فانه ليرضيهم الطعن بالاسلام والمسلمين ، وإن جاء صاحبه بالافك المبين

هذه الشبهة لا تحتاج الى جواب من حيث هي شبهة على القرآن لأن محلها في زعمه ان بعض الآيات نص في أن أمور الخلق تقدر عاما فعاما وبعضها نص في أنها تقدر دفعة واحدة وليس شيء منها كما قال ، فقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » لا يدل على أن أمور الخلق تقدر عاما عاما كزعمهم وهذا ظاهر لا يحتاج الى بيان إذ ليس فيها ذكر للتقدير ولا للسنين والاعوام . وقوله جل وعز « ما أصاب من مصيبة إلاية... ليس نصا في أن أمور المخلوقات تقدر دفعة واحدة كما ادعى وإنما تدل على أن المصائب في الآفاق وفي الأنفس معلومة قبل وقوعها لله تعالى علم الامر المحصي في الكتاب أو هي مكتوبة كتابة تناسب عالم الغيب وتليق به ، وليس فيها ان تلك الكتابة التي ذكرت على سبيل التمثيل أو المجاز أو الحقيقة الغيبية حصلت دفعة واحدة أو بالتدرج أو انها كانت في أول العام ، أو قبل خالق الانام . ولكن العقل والنقل يدلان على أن علم الله تعالى قديم لا تدرج فيه لأن التدرج لا يكون الا في الحوادث وهو يستلزم الجهل فتمين ان يقال ان ما يقع من المصائب وغيرها معلوم لله تعالى في الأزل . فان أريد بالكتابة العلم الالهي فظاهر وإن أريد أن هناك كتابة فلا شك أنها تكون للملائكة الموكلين بالأعمال الذين جعل الله بهم قوام السنن العامة والنواميس السلكية والذين يسميهم المحجوبون قوى ونواميس طبيعية . وعند ذلك يصح أن تكون الكتابة في كل عام ولكن الآية ليست نصا في هذا فلا يمكن الاعتراض

عليها بحال. وكذلك قوله تعالى « وكل انسان أئمناء طائفة في عتقه » ليس نصا في كون أعمال الانسان قدرت عليه دفعة واحدة ولا منافيا لكونها تقدر عليه في كل عام كما هو ظاهر وانما معناه أن الانسان رهين بسمله ومطوق به لا يستطيع ان يتفك من تبعته لماله في التأثير في نفسه فان الاعمال تطيع المسلكات وتكون الاخلاق التي هي صفات النفس فآثارها لازمة للانسان لزوم الطوق للعنق . فابن هذا المعنى الظاهر مما زعمه الممترض وكيف السبيل الى القول بتناقضه مع تلك الآية لو فرضنا أنها نص فيها فسرّها به ؟؟

بقي ان يقال : ان الممترض يبي حكمه على قول المفسرين في ليلة القدر انها الليلة المباركة الموصوفة في سورة الباخ بقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وقد فسر الفسرق بالتقدير وقال جمهورهم بان المراد تقدير أمور العام : ونقول في الجواب (أولا) انه قد علم بما شرحناه ان آية الحديد وآية الاسراء لانتاضان هذا التفسير لان المطلق لا ينافي المقيد ولا يتناقض ولعلماء الاصول في مقابلة المطلق بالمقيد قولان أحدهما أن المطلق يجري على إطلاقه والمقيد يجري على قيده. فلو فرضنا ان معنى الآيات ما ذكرنا كان من مانع لأن يقال ان هناك تقديرا أزليا وهو ما في علم الله الازلي وتقديرا سنويا يحدد في كل عام لحكمة من الحكم ككون الملائكة المديرات للأعمال والشؤون تجري عليه. ولا شك ان الملائكة لا يعلمون كل ما في علم الله تعالى ولا يستطيعون ان يعلموا كل ذلك فالله تعالى يعلمهم بما تقضي حكمته ان يعلموه . واذا صح هذا فيشبهه في عالم الشهادة ان الفلكي يكتب تقويميا للسنة ثم يستخرج منه في كل شهر تقويميا لمرض من الأغراض كسهولة المراجعة مثلا. ومن الناس من كتب تقويميا لألوف من السنين فاذا كتب تقويم أخرى للاعوام عاما عاما أو للشهور شهرا شهرا وقال قائل ان فلانا كتب تقويميا خمسة آلاف عاما ثم قال في سياق آخر انه كتب تقويميا للسنة فهل يقال ان هذين القولين متناقضان ؟ كلا إنما يقول ذلك الجاهل الذي يفهم معنى التناقض وثاني قولي الاصوليين ان المقيد بقيد المطلق كما قالوا في الامر باعتناق القائل رقبة مؤمنة انه يقيد أمر الحائث باليمن باعتناق رقبة لم يقيد بأنها مؤمنة. ومن امثلة ذلك ان يكتب المؤرخ أو صاحب الجريدة ان فلانا صار عالما وألف كتابا نفيسا

ثم يكتب في وقت آخر : ان فلانا قد ألف كتابا في علم البيان : فيحمل هذا على ذلك ويقال انه أراد بالكتاب المطلق كتاب البيان . والامثلة في كل من القوانين كثيرة ومختلفة الترجيح باختلاف الوقائع والاحوال

ثم نقول (ثانيا) انه لا يصح للماقل أن يجمل رأي بعض المفسرين ولا جمهورهم حاكما على الكلام الذين يفسرونه اذا كان يرى ان الكلام لا يدل عليه، وظاهر لكل من يعرف العربية انه لا يوجد في آية من الآيات ما يدل على التقدير السنوي لا ينطوق الآيات ولا يفهمها ولكن جرت عادة المفسرين بأن يذكروا في كل موضوع ما يتعلق به من الآراء أو الاحكام المروية عن السلف وائمة المذاهب مرفوعة أو موقوفة صحيحة أو ضعيفة كما يذكرون آراء النجاة في اعراب الآيات فن يتعلق برأي أو رواية مما يوردونه في التفسير يرى آية أخرى تنافي فيجمل هذا شاهدا على تناقض القرآن نفسه فهو كمن يتعلق برأي من آراء النجاة التي يوردونها يمنع أو يجيز حكما في الاعراب لا ينطبق ذلك الحكم على آية أخرى غير التي أوردوه في اعرابها ثم يقول : ان هذه الآية مخالفة لتلك في الاعراب فهي غلط أو لحن : وما هي بمخالفة الا لرأي ذلك النحوي !

وبعد هذا كله نقول ان (القدر) في قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر » معناه الشرف وهو المتبادر منه وليس معناه التقدير وقد قدم ايضا في القول الاول في تفسيره وذكر الثاني بصفة التبريض (قيل) ومعنى الشرف فيها ظاهر فانها الليلة التي بدئ فيها نزول القرآن فهي شرف للتي عليه الصلاة والسلام ولقومه ولجميع المؤمنين كما قال تعالى في القرآن « وانه لذكر لك ولقومك » أي شرف لكم . وأي شرف أعظم من هذه الهداية الالهية المظمية . وأما قوله تعالى « نزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » فعناه أنهم ينزلون من أجل كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخلق لأن سياق الكلام فيه لافي التكوين

وأما قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة » الى قوله - فيها يفرق كل أمر حكيم » فعناه انه أنزل القرآن في ليلة مباركة والبركة فيها ظاهرة كما ان الشرف فيها ظاهر فهي ليلة القدر خلافا لبعض المفسرين الذين قالوا انها ليلة النصف من شعبان .

وقوله تعالى « فيها بفرق كل أمر حكيم » معناه أنه يفصل فيها وبين كل أمر من أمور الوحي لآمن أمور الخلقسة بدليل أن سياق الكلام في أنزال القرآن وبدليل الآية التي بعدها وهي « أمرا من عندنا أنا كننا مرسلين » فين أن هذه الأمور هي التي تخص بارسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

واعلم أنه قد ورد في تفسير هذه الآية أن الملائكة تكتب فيها الأقدار ولكن هذا ليس منصوبا في الكتاب العزيز ولا في الحديث المتواتر فيكون قطعا والاعتقاد به محتما ولا في الأحاديث المرفوعة الصحيحة الآحادية فيكون ظنيا والاعتقاد به من الاحتياط وإنما ورد عن بعض الذين اشتهروا بالتفسير من السلف ورويت عنهم في الموضوعات والأكاذيب حتى قال الامام أحمد أنه لا يصح في التفسير شيء ، وأقوى ما روي في ذلك ما رواه عبد الرزاق وغيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة . وقد علمت أن المعترض قد سقط بشبهة سواء صح ذلك عن هؤلاء المفسرين أم لم يصح . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هتالك وانقلبوا صاغرين»

باب الأسئلة والاجوبة

(بيان القرآن وبلاغته ومايوهم غير ذلك)

(س ١) الشيخ احمد محمد الالفي بطوخ القراموص : كيف الجمع بين قوله تعالى « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

(ج) راجعوا ما كتبه الاستاذ الامام في الجمع بين الآية الاولى وبين قوله تعالى « قل كل من عند الله » في الصفحة ١٥٧ من مجلد المنار الثالث

(س ٢) ومنه : كيف الجمع بين قوله تعالى في أوائل السور : حم : الر : ن : ق : وقوله

«عربي ميين » وقوله « تلك آيات الكتاب المبين - قرآنا عربيا غير ذي عوج » الخ :

(ج) ان «حم» ونظائر هأسماء للسور على الراجح عند المحققين ودلالة الاسم على

المسمى ينة لاعوج فيها وأتم تعلمون ان الاسماء لا تغفل فلا يقال : لماذا سميت

السورة المعلومه (ن) فان كانت سميت به لذكر الحوت فيها والنون من أسماء الحوت فلماذا

سمي غيرها بأسماء حروف مفردة وصركة لا يعرف لها معنى غير تلك الحروف ؟ لا يقال هذا
لأننا إذا جوزنا أن يقال لقليل في جميع الأسماء ولذلك قالوا : الأسماء لا تملأ : وأما
الذين يقولون بأن تلك الحروف أشارات لمعاني سامية تعلمو أفهام العوام ولا يعرفها إلا
الراسخون من العلماء الربانيين فقولهم هذا إذا صح لا ينافي أسماء السور والقرآن
مبين وظاهر يتيسر لكل من يعرف اللغة العربية مفرداتها وأصاليها أن يفهمه ويهتدي
به ، ومثال هذا في المحسوسات الأهرام فإن جميع المؤرخين والقارئين للتاريخ يعرفون
الغرض منها ثم إن الرياضي منهم يستخرج من مساحة أضلاعها وهيئة أوضاعها مالا
يعرفه غيره ممن عرف مقاديرها والغرض منها ولم يعلم أن تلك الأطوال والمرض
وضعت بالمقادير المخصوصة لتدل على مقاييس البلاد في الزمن الذي بنيت فيه وغير
ذلك فكل ما يمكن استخراجه من القرآن بطريق معقول فلا ينبغي أن يتوقف في
قبوله لأنه لم يهتد إليه إلا بعض الخواص . وأما الذي لا يقبل فهو ما كانت دلالة على
منه غير وضعية ولا عقابية كاستخراج المعاني من هذه الحروف بالعدد الذي يسمونه
حساب الجمل . وهذا المعنى الذي قائم ظاهر عند أهله في العلوم العالية المشروحة في
القرآن وأعني العلوم الإلهية والنبوية فإن آياتها ظاهرة للمعارف باللغة فهي في غاية البيان
وورائها ممان أخرى يعرفها بعض الخواص وهي توافق المعاني الظاهرة وتزيد عليها
بما لا يخالفها ولكنه يصدق عن أفهام العامة . وهذا ضرب من ضروب اعجاز القرآن
لعلنا نوفق لشرحه في وقت آخر ، نعم أن كون القرآن ميثاقا لا يمكن أن يحجام القول
بالتقليد الذي يزعم أهله أن الكتاب والسنة الميثة له لم يفهمهما إلا نفر مانوا ولا يمكن
أن يوجد بعدهم من يفهمهما

(س ٣) ومته : أن كثيرا من المسيحيين لهم القديح المعلن في اللغة والبلاغة ومع
ذلك لم يترف بأعجاز القرآن مع ما فيه من أسرار البلاغة وضروب الأحكام والحكم
وبديع المعاني والبيان مما جعل عرب زمن التنزيل في دهشة منه واعترفوا بأعجازه
ومن كفر فأنكح كفر عن حسد وعناد ومع ذلك ترى هذا المسيحي الأديب الفصيح
متمسكا بالنصرانية فيقول : لا ريب أن المسيح (عليه السلام) إله وإنسان وخالق
ومخلوق وعابد ومعبود ورب وعبد ومخلص ومصلوب وبار وملعون (١) وآب وابن
(١) في التوراة مأمون كلي من يصاب على خشبة وبزعم النصارى أن المسيح تبلى الله لا جلا خلاص الناس

وروح قدس فهو ثلاثة حقيقة وواحد حقيقة : الى غير ذلك من ضروب المتناقضات
فقول لذلك من سبب ؟ ثم هو ينظر الى الكتاب المقدس نظرا مفتحي عليه فيفض الطرف
عن تناقضه واختلافه وانقطاع استناده ومخالفته لصريح العقل ومقبول النقل وفساد
آدابه ثم يفتح عينه لانتقاد القرآن الحكيم فيأثي بالمضحك والمبكي المحزن للانسانية
والفضيلة والعدل والحربة في القول والعمل فهل لذلك من سبب أيضا :

(ج) السبب في هذا وذاك ان من ذكرتم قد اتخذوا الدين جنسية ورابطة احيائية
سياسية فهم يحافظون على العقائد والتقاليد والمادات المالية التي تربطهم بعامه أهل ملهم
اذ لو أهملوها لانحلت جباههم وصاروا بغير أمة وغير ملة . ولم ينظروا في الاسلام
نظرا إنصافا فيفهموه من أصوله لان المسلمين الذين اتخذوا الدين جنسية أيضا قد
طادوهم عداوة لم يأذن بها الاسلام فكانت هذه المعاداة سببا في بحث كل فريق عن
عيوب الآخر فقط لاعن حقيقة ما عنده . وأنتم تعلمون ان البدع والمنكرات الفاشية
في المسلمين كائنية لان تكون حجابا دون محاسن الاسلام حتى تحجب العاقل
النصف ، بله المماند المتعسف ، فالعارفون بفنون البلاغة من النصارى قلما ينظرون
في القرآن نظرا إنصافا ومن نظر ولاح له أنه معجز فان المداوة الجنسية تنميه من
قول الحق لاسيا اذا كان يرى أن كون القرآن معجزا ببلاغته لا يدل على كونه منزلا
من عند الله تعالى وجلهم أو كاهن يرون ذلك . وقد وجد من أهل العلم والانصاف
منهم من صرح بان القرآن قد بلغ حد الاعجاز في بلاغته كالعلم جبر أقدى ضومه
استاذ البلاغة في المدرسة السككية الامر بكائية في بيروت فانه قد صرح بذلك في فاتحة كتابه
(الخواطر الحسان في المعاني والبيان)

هذا - وقد علمنا بالاختبار ان أكثر المتعلمين العقلاء من النصارى لا يتفقون
بالثبوت ولا بشي من الحرفات المعروفة عند قومهم بل منهم المتطرفون الذين لا يعتقدون
الالهة المحسوسات والبدعيات المعقولة . ولو أن المسلمين الذين يمش معهم هؤلاء النصارى
أهل نظر وبرهان ، واطلاع على علوم هذا الزمان ، لأهل تقايد للاموات ، وتسليم
بالحرفات ، وكانوا يعاملونهم بالانصاف ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ، لرأيت كثيرين
منهم دخلوا في الاسلام ، ولرأيت من لم يدخل فيه ، يعترف بفضل ولا بمادية شيء

أرى أننا أحوج إلى حسن معاملةهم والقسط إليهم في هذا العصر منا إلى ذلك المصور السابقة وإن هذا خير لنا ولهم في الدين والدنيا فمضى أن يوجد في عقلاء المسلمين كثير من يسمون في هذه السبيل

(س ٤) محمد أفندي عمر الدمان بمصر : اختلف المفسرون في تفسير آيات القرآن الشريف اختلافات شتى وبين كل واحد لها معنى قلما يتفق مع الآخر وأغلبهم من علماء العربية الممارفين بأسرارها ودقتها فما معنى بلاغة القرآن مع انبهاهم معانيه حتى على الخاصة الذين هم أولى الناس بفهمه وهل بعد كلام بليغا إذا أنبهاهم مناه على سامعه واختلفوا في فهم المراد منه طرائق شتى ؟ أرجوان تقييدوا في مناركهم الواضح جواب هذا السؤال بعبارة يفهم كل القراء معناها ولا يخفى على الخاصة منهم مفزاها، ولكم الفضل :

(ج) نقول قبل كل شيء أن السائل قد غلغل في تقرير الخلاف في فهم الآيات حتى زعم أن الاتفاق بين المفسرين الممارفين بأسرار العربية قليل والصواب أن الخلاف بين المحققين الممارفين هو القليل وأن الأكثر متفق عليه ثم أن الجواب يتجلى في مسائل نذكرها بالاختصار فنقول

(١) أن الفرض من البلاغة أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب وهو الفهم والتأثير وقد بلغ القرآن من نفوس من دعوا به إلى الإسلام مبلغا لم يهدم مثله لكلام آخر عربي ولا عجمي وما ذلك إلا أنهم فهموا معانيه بدلائلها وبراهينها وتأثروا بحكمه ومواعظه حتى تركوا عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي كانوا يفاخرون بها وانشؤا خلقا جديدا وحتى كان المشاغبون المعاندون منهم لم يروا وسيلة للتخلص من تأثيره إلا بالاعراض عن سماعه والنفو والتلط عند تلاوته حتى لا يصل منه شيء إلى نفوسهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله « وَقَالُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْأَمْوَانِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ولم يتقل عن العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن منهم اختلفوا في فهمه كما اختلف من بعدهم وإنما كان الراسخين في العلم كالحلفاء لاسيا رايهم وكان تبادل فهم أعلى من فهم سائر الناس كما فهم ابن عباس من سورة النصر أن النبي عليه الصلاة والسلام قد دنا أجله وأن قوله تعالى « فسبح بحمد ربك واستغفره » نهي له وأقر النبي على ذلك . ولا شك أن سائر الصحابة قد فهموا معنى السورة كما فهمها ابن عباس وهي

على بلاغتها وهذا الفهم الجديد من ابن عباس مزيد في البلاغة ودليل على أن لها مراتب متفاوتة ولا يمكن أن يكون الناس المتفاوتون في فهم كل شيء والعالم به يتفقون في فهم القرآن والعلم به وهو أعلى كلام وأجمعه للمعارف العالية الإلهية والنفسية والشرعية (راجع جواب السؤال الثاني)

(٢) أن علماء اللغة والبلاغة قد اختلفوا في فهم كل كلام بليغ غير القرآن كالمعانيات السبع وغيرها مما يؤثر عن البناء في الجاهلية والإسلام فلو كان اختلاف الأفهام في الكلام ينافي بلاغته لما كان لنا أن نقول أن في الكلام بليغا إلا بعض الجمل البديعية من العامة الجاهلاء كقولهم : أكلت رغيفا وشربت كوزا من الماء : وقد يختلفون في فهم ما عدا البديعي من كلام العامي كما يختلفون في فهم البديعي من كلام العالم بحمله على الكناية أو المجاز . وإذا قرأت القرآن على عامي يعرف العربية ولو بمزوجة بالحق والدخيل وأنشدته قصيدة من شعر امرئ القيس أبانغ شعراء العرب لرأته فهم من القرآن ما لم يفهم من القصيدة وكان للقرآن في نفسه الأثر الذي ليس للقصيدة ما يدانيه ، ومن هنا تعلم أن بيان القرآن محجب ، وإن لكل من يعرف العربية منه نصيب ، ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهم

(٣) أن أكثر ما تهمد من الخلاف في التفسير سببه أن المختلفين لم يحاولوا فهم القرآن بذاته وإنما حاولوا تعليقه على مذاهبهم في النحو والبلاغة والكلام والفقه حتى كأن مذاهبهم هي الأصل الثابت ولا بد من تطبيق القرآن عليه ولو حاولوا فهمه بذاته وأعدوا له مزاولة أساليب اللغة ومعرفة منبها والإطلاع على السنة من غير تقييد بمذهب مخصوص لأن القرآن فوق المذاهب والآراء لكن خيلناهم أقل ووافقهم أكثر ولكن رجوع أحد المختلفين إلى الوافق بعد النظر في دليل الآخر قريبا ، فالتقليد في الدين وفي قوانين اللغة هو منشأ البلاء الأعظم في الخلاف . وله أسباب أخرى مفصلة في كتاب (الانصاف ، في أسباب الخلاف) وهو كتاب نفيس يطالب من إدارة المنار وثمة ٣ قروش وأجرة البريد نصف قرش

فلم مما قتناه أن الخلاف دون مآل السائل وأنه لا ينافي البلاغة قل أو أكثر . ولو كان الخلاف في الكلام هل هو صحيح أو غير صحيح : وهل هو بليغ أو غير بليغ وكان

كل ذي قول يورد الأدلة على تأييد رأيه لكان لاجاهل ان يشك في بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازه وكذلك العلماء العربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق لاجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لاتزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

باب التربية والتعليم

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتربيتن كترية الرجال وإقناعهن بأنهن مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسانن الفطرة التي ينها دين الفطرة في كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والامثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جمل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا من شاهدنا حديثا في هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد مقالات شاكيات من تربية بناتهن تربية جهات همهن محصورا في الزينة واللوع بصرف الاوقات في التزهات حتى صار يقل عليهن مساعدة أمهاتهن في تدبير المنزل . وقد نقل المقطع نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردها هاهنا تأييدا لقولنا وهي

«في انكلترا الآن حرب أقلام نار مجاحها غنى صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنن وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالمداء فان أما منهن رأت من بناتها تقصيرا في قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلا الى عسيان كل أمر تصدره اليهن فهاها طغيانن وتراملهن وضاعت ذروعا من كبح جماحن فاستغاثت بالجرائد وبشت برسالة الى احدي الجرائد المشهورة

بامضاء « أم خاتبة الامل » وهذا نصها بعد الديباجة
 « أريد أن أعلم آراء قراء جريدتكم في هذه المسألة . فان لي ثلاث بنات عمر
 الصغرى منهن ١٧ والكبرى ٢١ وقد تعلمن في مدارس معروفة وأتكنن دروسهن
 ولزمن البيت . وزوجي متقدم منصبا حسنا فلا حاجة بهن الى احتراف حرفة يرتزقن
 منها . ولكن أملي بهن خاب لما يريدين من الميل الى الحرية والاستقلال فبدلا من
 ان يساعدنني ويتفكرن في تراهن لا يتفكرن في غير أنفسهن وملاذهن كالالعب
 الرياضية وغيرها مما هو خارج عن دائرة الاشغال المنزلية ويكرهن البقاء في المنزل ايام
 استقبال الزائرين ورد الزيارات مهيئات ان ذلك من قبيل اضاعه الوقت وهن
 يسخرن باذواقهن ويمدنها اذواقا قديعة ليست حسب الاذواق الحديثة ولا يزلن
 يتعلمن الموسيقى الى الآن فيقتضين نصف النهار في التمرن عليها

« هذا وانني لست أريد مارشنتن في كل شيء ولكني أريد أن أعلم ان كانت بنات
 الناس كذلك وعالم استحسنه فيهن استمتا لهن طلات زقاقية وعبارات الغلو والمبالغة في
 حديثهن . فهل توافقني سائر الامهات على ان هذه هي (مودة) هذا الزمان
 وكأن هذه الرسالة جرات الامهات على ما لم يجترئن عليه قبلها فيعمن بالرسائل تباعا
 الى ادارة الجريدة يشكون أمورا كثيرة يأتيها بناتهن مما يسكرنه عليهن . فذكر بعضنا
 لتفككه قالت احداهن :

« اني اوافق على كل مقالته صاحبة الرسالة الممضاة بامضاء « الام الخاتبة الامل »
 فاننا كنا نينا في « الهوى سوى » وان للبنات حرية زائدة هذه الايام في العمل والكلام
 فاذا قاطعتن انتمن لانفسهن برد جوابات فيها ما فيها من الصلف والوقاحة . وهذا
 اختبار أم أخرى خاب أملها . وقالت غيرها :

« اخشى ان ما نشر به (الأم الخاتبة الامل) يكون مطابقا لشعور الامهات في جميع
 العالم وهو دليل على انحطاط الشعور القديم من نحو العائنة وانتشار « المودة » الجديدة
 وهذا آفة على التهذيب القديم الذي كان أمهاتنا يستقذرنه قوة تأثيره فينا » وقالت أخرى :
 اني أشارك الام الخاتبة الامل في ما تراء وتشعر به وأقول ان تمرد البنات شر متفام
 تشع الامهات بضرره الشديد . فان الامهات حاولن تربية بناتهن على مثل ما رين

عليه أيام كانت الحشمة الحقيقية ناتجة عن رقة الشعور واحترام الآخرين . ولكن تلك الأفكار امست قديمة مبتذلة الآن فبات النبات لا يحترمن امهاتهن ولا يخضعن لهن . بل يفعلن مايردن غير مكترئات لآراء والديهن . فما هي نتيجة ذلك ياترى . وكيف تربى أولئك النبات أولادهن «فى زوجن»

هذا مثال الرسائل التى أرسلها الامهات يسترضن فيها على سلوك بناتهن وواقفهن أخ أرسل رسالة بامضاء «أخ مشمش» قال فيها: ان هذا العصر هو مايسمونه عصر «التقدم» و«تساوى الجنسين» وغير ذلك من الاسماء فكانت نتيجةه «المرأة الجديدة» التى نراها الآن بميوها الكثيرة:

وماكادت هذه الرسائل تنشر حتى استشاطت النبات حنقا وارسلن الرسائل تنزى الى الجريدة المذكورة جوابا على شكاوى الامهات ونصرهن بعض الآباء والامهات كما سيأتى . وهاك أجوبة بعض النبات قالت احداهن بامضاء «أبنة مضطربة» «أنا ابنة مدركة سن الرشد وأحوالى على ماوصفت «الام الخائبة الامل» فى رسالتها ولا شيء يسرنى مثل مساعدة والدي على تدبير المنزل وتخليصها من همومه الكبيرة ولكنها لا تعتمد على «فى عمل من أقل الاعمال لانها تفتقد ان لأحد يحسن عملا الا اذا كانت يدها فيه وهى تراقب عمله . وعليه عدلت عن الاهتمام بتخليصها من غناء الاشغال والاعمال المنزلية لاني وجدت الاهتمام يضيع سدى . فكيف تؤمل الامهات ان تثق بناتهن بهن مادمن لا يثقن بيناتهن وهل يستغرب من النبات الاهتمام بماهو خارج البيت اذا كنا لا يجدن فيه من يهتم بهن ويمطف عليهن»

وكتبت بنت كتابا طويلا بالاصالة عن نفسها واليابة عن اخواتها قالت فيه مالمخصه: «ان معظم بنات هذه الايام يقضين عدة سنوات فى المدارس يلعبن فيها ألعابا مختلفة لترويض أجسادهن وبقى خرجن منها ودخلن البيت ينتظر أمهاتنا منا ان نكون رفيقاتهن وان لانعمل عملا سوى الاهتمام بشؤون المنزل فستان ما بين جلوسنا فى غرفة الاستقبال نسمع انتحاب أمهاتنا وزائراتهن من فساد أمر النبات فى هذا الزمان وحديثهن الدائم عن الخدمة والحادامات وبين التزء على ضفة النهر أو لعب الألعاب الرياضية «ولسنا نقصد أن نكون محبات لأنفسنا ونقضي العمر بالمتع بنعيم هذه الحياة فقط بل

اننا ندخل البوت مشتقات الى مساعدة امهات مستعدات لتعلم الاعمال والاشغال البيتية
ولكننا نريد ان نقوم بالواجب علينا على الطريقة التي نحبها ونهواها . فكل يوم نرى
شيئا جديدا نحب اقتباسه وادخاله الى منزلنا ولكن امهاتنا يارضننا بلامن أن يوافقنا
على أذواقنا قائلات ان العجب لا يوجبنا واننا لانستحسن شيئا في البيت بل نجد عيبا
في كل شيء ونرى منازل الآخرين احسن من منازلنا . مثال ذلك ان أكثر البنات مولعات
بترتيب الازهار التي توضع على مائدة الطعام وفي غرف الاستقبال فيرتبها وينظمنها
على أذواقهن ولكن امهاتهن يستمن فرصة غيابهن ويقمن بين تلك الازهار الجميلة
المتنافسة ازهار آذات الوان لاتوافق الذوق السليم فيضع تعب البنات سدى

«وأكثرنا ينتظر بسرور مجي اليوم الذي نصبح فيه ربات منازل مستقلة فنكثر
هو ، ناولم شاعنا وباتي دورنا لزيارات ورد هافلماذا هذه العجلة الآن »

أما الامهات اللواتي انتصرن لبناتهن فنهن أم كتبت كتاباً بامضاء (أم سرورة
شكورة) قالت فيه «لما قرأت كتاب «الام الحاتبة الامل » حزنتم عليها فقد صرت بي
سوءهم وشقاء من شراسة زوجي ولكن بنتي كانت تهزني وقوتي على احتمال صديقي
وقد عرض كثيرون من الاصدقاء والاقارب ان يأخذوها معهم في أسفارهم لئلا يترده ومشاهدة
هذا العالم اتهموني بحب الذات لاني لا أسمح لها بالابتعاد عني ولكنني اؤكد لكم اني لم
اجبرها على عمل شيء بل تركتها تفعل ما تشاء»

ومن أم كتبت رسالة بامضاء (أم راضية) قالت فيها : «ان لي اربع بنات لا يتأخرن
عن مساعدتي حينما اشاء ولكنني لا اطالب منهن الشيء الكثير لان للشباب مطالب لا يصح
الاعضاء عنها فبعض الامهات يطالبن من بناتهن امورا كثيرة وقلميا يخطر ببالهن ان الانساب
والملاهي لازمة لهن وعندي انه يكفي البنات ان يشتغلن بمجموع الازهار وتنسيقها وترتيبها
ونفض أثاث البيت من الغبار الا اذا اضطرت الحال الى اكثر من ذلك»

أما الاب الذي انتصر لبنات فقد عدل في حكمه ولم يجر قاعترف باهمال البنات وتطرفهن
ولكنه نسب ذلك الى اهمال الامهات حيث قال : لو عرفت الام الحاتبة الامل كيف تعلم بناتها
عمل الواجب عليهن لما احتاجت الى كتابة رسالتها فان البنات يربن هذه الايام ربية
مطلقة من كل قيد وبسطين كل ما تشتهيه نفوسهن . فينكر الوالدون أنفسهم حبايبن

ولكن لا يفهم معنى انكار النفس فيشبهين وقد تعودن طلب كل شيء بالامر والتهي
 كأن لمن حثا شرعا فيه بدلا من ان يطلبنه طامه للمعروف . فاي حق افتاة منها ١٧
 سنة في الاعتراض على شيء من الاشياء انما يجب عليها ان تفعل ما يطلب منها واما الالامب فاذا
 رأى والدون اقل ضرر منها لم يصعب عليهم منع أولادهم من لعبها بالامتناع عن أعطائهم
 الدراهم لشترى لوازمها ويحسن بهم ان يهدوا تلك الالامب الى ذوي السلوك الحسن
 من أولادهم ويسودهم ان يحصلوا عليها بتعهم بدلا من ان يأخذوها ككأنها
 حق طبيعي من حقوقهم : « اه المراد وبقي في المقطع قول لبعض الشعراء اهلنا
 (الشار) يجب أن ترى البنت لتكون زوجة ، ويجب ان تكون زوجة لتكون أما . وهي
 لا تكون زوجة الا اذا أراد الرجل ، ومن مصلحة الرجل ان تكون زوجته أما ، ولا
 تصالح ان تكون أما الا اذا تربت على الاعمال المنزلية وتربية الاطفال . والمدرسة الطبيعية
 التي تربيتها وتعلمها أعمال الامهات هي بيت أبيها الذي تدبر أعماله أمها ، فالبنت التي
 ترى الحرية والاستقلال يبيعان لها ترك البيت وصرف الاوقات في الملاهي والمتنزهات
 ومخالفة والدتها في ما أمرها به بلسان المقال أو بلسان الحال من القيام بالامور المنزلية
 هي كالتمليذ الذي يستريح ان يترك المدرسة اذا شاء ويقيم فيها ما شاء ويعصى ناطرها واستاذتها
 متى شاء . فنقول ان هذا التلميذ يفلح في اتباع هواه فليقل ان تلك البنت تفلح في اتباع هواها
 غلط الا فرنج في محاولة جعل النساء كالرجال في تمام الاستقلال ومغبة غلط الام لا تظهر
 الا بعد زمن طويل وهما وقد نجمت نواجه في قلة النسل وفي اهل النساء والبنات البيوت اها لا
 يفسد شأنها وفي كثرة طاب الطلاق وفي قلة الزوج والاستغناء عنه بانفسق . ومن أعجب أنواع
 هذا الظهور شكوى الامهات من البنات مع شدة حبهن لمن وعنايتهن برغباتهن وراحتهن
 ومع مبالغتهن في إظهار محاسنهن و اخفاء مساويهن . ولا بد ان تحمل هذه المضرات القوم على
 تدارك الامر والاجتهاد في جعل البنت تحت سيطرة امها وأبيها في البيت ليكون ذلك مقدمة
 لسيطرة زوجها عليها من غير ان يقل ذلك عليها
 اما قرأت من مدح بعد الامهات لباتهن فهو موافق لاتقاد الشاكيات من
 الحرية وتمام الاستقلال . هكذا تظهر الحوادث بعد تجارب القرون ان تهذيب القرآن
 وتعليمه فوق كل تهذيب وتعليم ، وما ذلك الا لأنه تغزل من لسان حكيم عالم .

أَنَارُ الْجَبَالِ

— نمودج من دلائل الإعجاز —

قال المصنف في سياق إثبات ان البلاغة والفصاحة للنظم لا للكلام المفردة مانصه:
وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله وإدلالهم به — أبو حية الثُميري:

ان القصائد قد علمن بأنني صَنَعُ اللسان بهن لا أتُحِلُّ (١)
واذا ابتدأت عروض نسج ربيض جعلت تذلل لما أريد وتسهل (٢)
حتى تطاوعني ولو يرتاضها غيري لحاول صمبة لا تقبل

﴿تيم بن مقبل﴾

اذا مت عن ذكر القوافي فان ترى لها قائلا بعدي أطب وأشعرا
وأكثر بيتا سائرا ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أنغر غربيا يمسح الناس وجهه كما تمسح الايدي الاغر المشعرا

﴿عدي بن الرقاع﴾

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كموب قناته حتى يقيم ثقافه منادها (٣)

﴿كعب بن زهير﴾

فن للقوافي شأنها من يحو كها اذا ماتوى كعب وفوز جرول (٤)

(١) يقال ان سرق شعر غيره تحله واتحله (٢) العروض الناقصة التي لم ترض. وعروض الشعر معروف. والريض تشديد الياء المكسورة لاداءة أول ما تراض وهي صعبة يستوي فيه المذكر والمؤنث (٣) المثقف بكسر القاف المشددة مقوم الرماح والثفاف بالكسر آتله الحشمية التي يثقبها والمتاد المائل المنحني. والسناد في البيت الاول عيب القافية قبل الروي (٤) شأنها عابرا وتوى هلك وفوز مات وجرول لقب الخطيب الشاعر الهجاء وجملة شأنها من يحو كها دماء

يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل مايتمثل

﴿بشار﴾

عميت جنبنا والذكاء من العبي خفت عجب الظن للعلم هونلا
وغاص ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ماضيع الناس حصلا
وشمر كنود الروض لاهت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا (١)

﴿وله﴾

زور ملوك عليه أهبة يفر من شعره ومن خطبه (٢)
لله ماراح في جوانحه من لؤلؤ لا ينال عن طلبه
يخرج من فيه للندي كما يخرج ضوء السراج من لهبه (٣)

﴿أبو شريح العمير﴾

فان أهلك فقد أبيت بعدي قوافي تعجب التمثيلنا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا

﴿الفرزدق﴾

بلغن الشمس حين تكون شرقا ومسقط قرنهما من حيث غابا
بكل ثنية وبكل ثدر غرائهن تنسب انتسابا (٤)

(١) أحزن صار في الحزن وهو بالفتح ضد السهل واسهل ضد احزن (٢) الزور الزائر يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره لانه مصدر في الاصل (٣) التدي كالنادي مجلس القوم لاجديت نهارا (٤) الثانية واحدة التنايا وهي الانسان الاربع . وطريق العقبة. والتغر الفم أو الانسان في منابها. وكل فرجة في جبل أو بطن واد وطريق مسلوله نفر. يقول ان قوافيه طافت الحافقين فبلغت مطلع الشمس ومغربها ولم تدع طريقا في عفة أو جبل الاسلكته ، ولا واديا الا هبطته ، فاي مكان اشرفت عليه ، رأيتها فيه تنسب اليه ، أو يقول ان كل قم ينشدها ، وكل نفر يترن بالتمثل بها ، ويريد من الثغر الفم

﴿ ابن ميادة ﴾

فجرنا يناسع الكلام وبحره
فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندف
وشعر سوام كلفة وتلمح
وقال عقاب بن هشام التيمي يرد عليه:

ألا بلغ الرماح نقض مقالة
بها خط الرماح أو كان يمزح
لقد خرق الحمي اليمانيون قلبهم
بحور الكلام تستقي وهي طفع
وهم علموا من بعدهم فتعلموا
وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فلاسابقين الفضل لا يجحدونه
وليس لمسبق عليهم تبجح

﴿ أبو تمام ﴾

كشفت قناع الشعر عن حروجه
وطيرته عن وكره وهو واقع
بهر يراها من يراها بسمه
ويدنو اليها ذو الحجى وهو شامع
يود ودادا أن أعضاء جسده
إذا أنشدت شوقا اليها مسمع

* (وله) *

حذاء تملأ كل أذن حكمة
وبلاغة وتندر كل وريد
كالدر والمرجان ألف نظمه
بالشدر في عنق الفتاة الرود
كشقيقة البرد المنعم وشيه
في أرض مهرة أو بلاد تزيد
يعطي بها البشري الكريم ويرتدي
بردائها في الحفل المشهود
بشري الفنى أبي البنات تتابع
بشراؤه بالفسارس المولود

﴿ وله ﴾

جاءتك من نظم اللسان قلادة
سبطان فيها التؤلؤ المكنون

أحذا كما صنع الضمير يمدده جنر اذا نصب الكلام مدين (١)
أخذ لفظ الصنع من قول أبي حية بأنني * صنع اللسان بمن لا أتجمل *
ونقله الى الضمير وقد جعل حسان أيضا اللسان صنعا وذلك في قوله :
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحًا قَلْبٌ مُوَازِرُهُ فيما أحبَّ لِسَانُ حَائِكٍ صَنَعَ

ولابي تمام

اليك أرحنا عازب الشعر بعد ما تمهل في روض المائي العجائب
غرائب لاف في فنائك أنسها من المجد فهي الآن غير غرائب
ولو كان يفتي الشعر افناء ما قرت حياضك منه في السنين الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحاب منه أعقبت بسحاب

﴿البحري﴾

ألست الموالي فيك نظم قصائد هي الانجم اتادت مع الليل انجما
ثناء كان الروض منه منورا ضحى وكان الوشي منه منمنا

﴿وله﴾

احسن أبا حسن بالشعر اذ جمعت عليك أنجمه بالمدح تنتشر
فقد أتتك القوافي غب فائدة كما تقشع غب الواابل الزهر

﴿وله﴾

اليك القوافي نازعات تواصدا يُسَيِّرُ ضاحي وشيها وينهم (٢)
ومشرقة في النظم ثر يزينا بهاء وحسنا أنها لك تنظم (٣)

﴿وله﴾

(١) أحذا كما عطا كما والجر البئر (٢) يسير - يجعل كوشي السبراموهي ضرب من الحال

(٣) وفي نسخة يزيد هابل يزينا

بمنقوشة نقش الدناير ينتقى لها اللفظ مختاراً كما ينتقى التبر

﴿وله﴾

أيذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدرك ما مقدار حلي ولا عقدي
ويكسد مثلي وهو تاجر سودد يبيع ثمنات المكارم والمجد
سواثر شعر جامع بدد العلى تعلمن من قبلي وأتعبن من بصدي
يصدر فيها صانع متمعل لاحكامها تقدير داود في السرد

﴿وله﴾

لله يسهر في مديحك ليله متمللاً وتنام دون ثوابه
يقظان ينتحل الكلام كأنه جيش لديه يريدان يلقى به
فأثنى به كالسيف رفرق صيقل ما بين قائم سنخه وذبابه (١)
ومن نادرو صنفه للبلاغة قوله:

في نظام من البلاغة ماشك م أمروء انه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخلفه عوده على المستعيد
حجج تخرس الالة بالقفا ظ فرادى كالجوهر الممدود
ومعان لو فصلها القوافي هجنت شعر جرول وليد
حزن مستعمل انكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القرب فادر ك ن به غاية المراد البعيد
كالمداري غدون في الحل الصفة راذا رحن في الخطوط السود

(١) سنخ السيف بالكسر طرف سيلاه والسيلان بالكسر ما يدخل منه في القرب

وذبابه حده الذي يضرب به

بسم الله الرحمن الرحيم

الاختتمال بتدكار عيد الجلوس السلطاني

في يوم الثلاثاء الماضي زينت حديقة الأزبكية احتفالاً بتدكار جلوس مولانا السلطان عبد الحميد خان على عرش السلطنة العثمانية (أيدها الله تعالى) وكان رئيس اللجنة الاحتفال أحمد باننا المنشاوي. وقد أذاعت الجرائد بأن المال الذي يجمع لأجل الاحتفال ينفق منه على الزينة ويصرف ما بقي منه إلى إعانة سكة الحجاز فقبل الناس على البذل وعلى شراء ورق الدخول في الحديقة وتبرع اسكندر افندي فرح صاحب جوقه التمثيل العربي بأن يمثل في الحديقة رواية صلاح الدين مجانا وتبرع كذلك الحاج حسن التوقي الذي تولى إقامة معالم الزينة بنصف الأجرة. لهذا ولقلة العناية بالزينة يرجى ان يكون ما بقي من المال لإعانة السكة عظماء جداً فان الجمعية الخيرية الإسلامية تنفق أضعاف ما أنفقت اللجنة على زينة ما ويبقى لها من الربح زيادة عن ألف ومئتين من الجنيهات في كل عام

الأستاذ الامام في أوروبا

يسافر أكثر أمراء المصريين وكبار الموظفين منهم كل عام إلى أوروبا بمصطافين فيقصون أشهر الصيف هناك في طلو ولرب وتمتع بالذات وخيرهم من يسافر لفرض صحيح كتر وبض جسمه بالاستحمام في الحمامات المعدنية وصعود الجبال أو لاختبار يفيد في صناعته التي بها قوام منافعه الشخصية ولم نسمع عن أحد منهم أنه سافر لاختبار حال التربية والتعليم في تلك البلاد التي أجمع علماؤها وعقلاؤها على أنهم ماسدوا الأمم إلا بالتربية والتعليم - والاستفادة من ذلك لتكميل نفسه والاستعانة على نفع قومه إلا الشيخ محمد عبد مفتي الديار المصرية فإنه قد سافر من قبل غير مرة لتعلم أفصح لغات القوم (الفرنسية) قلمها وأحسنها ووقف بها على أهم معارفهم التي تعينه على ترقية أمته . وقد ولي وجهه في هذه السنة شطر المدارس الكلية التي بتخرج فيها كبار الرجال ليختبر شؤونها حتى اذا حقق الله تعالى له رجاءه بإيجاد مدرسة جامعة في هذه البلاد يكون على بصيرة في كيفية تأسيسها ونظامها كما يرشد اليه قوله تعالى «أفلم يسيرا في

الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » وكما قال الشاعر :

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

وقد سبق له رؤية المدارس الفرنسية العالية وكان في بعض اسفاره قد أخذ إذا من ناظر معارف فرنسابان يزور أي مهندس من معاهد العلم في أي وقت شاء . ولما كانت التربية ونظام التعليم في البلاد الانكليزية مضامين عند علماء هذا الشأن من الفرنسيين على مثلها في سائر الممالك الاوربية سافر في هذه السنة لزيارته أعظم مدارس هذه الدولة العظيمة وأعظمها كلية اكسفورد وكلية كمبردج

وقد ذكرت جرائد لوندرة هذه الزيارة وما كان من احتفال رجال العلم في المدرستين واجلالهما للاستاذ واثنت الجرائد عليه بما هو أهله من العلم الواسع والنقل الكبير واهمة العالية وذكرت غير ذلك من تقلبه في البلاد كزيارته للقياسوف سبنسر أعظم فلاسفة أوربا الاجتماعيين ونزوله ضيفا كريما على المستر وينفرد بلت في قصر (كرايت بارك) . وقالت ان المستر كوكركر نزل قد صحب فضيلته في زيارة مدرسة اكسفورد وأن الاستاذ بويل المؤلف الشهير كان دليله لانه من معلمي التاريخ في تلك المدرسة وقالت انه لما زار مدرسة كمبردج خرج لاستقباله في الحطة طائفة من اساتذتها وان المستر ادوار براون قد دعاه فيها الى طعام النداء ودعا لاجله طائفة من الاساتذة وبعض المستشرقين وكبار المستخدمين وانه تناول طعام العشاء في قاعة المدرسة الكبرى . وذكرت تفصيل الزيارة بما لاحاجة الي بيانها وقد تلخصته الجرائد اليومية المصرية وذكرت ثناء الجرائد الانكليزية على معارف الاستاذ الواسعة

وقد كتب الدكتور ادوارد براون استاذ اللغتين العربية والفارسية في كلية كمبردج رسالة الى جريدة المؤيد ذكر فيها خبر الزيارة بنحو التفصيل الذي جاء في الجرائد الانكليزية ومما جاء في رسالته قوله كما في العدد ٤٤٤٢ من المؤيد :

«واتخذ كان كل من في المدرسة فرحا وسرورا بزيارة هذا الرجل العالم اعظم . وأعجب بعلمه وفضله وسمو آرائه جميع العلماء والعظماء وتمنوا لو أقام بينهم زمنا طويلا . وفي اعتقادي ان فضيلة المفتي قد شرف الشرق وعلماءه في هذه الديار » اه
فالحمد لله الذي جعله فينا من نتمنح به أمام كبار رجال العلم في أوربا الذين يرون الشرق وأهله في ظلمات من الجهل لا يبصرون

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية ان المئتي سافر من انكلترا قاصدا فرنسا ليسافر منها الى تونس والجزائر . وهذا ما كنا نعلمه من هنا قبل سفره . وقد كان عازما على ان ينهي الى بلاد اسبانيا (الاندلس) حيث كانت تلك الدولة العربية التي افاضت العلوم على أوروبا فانتم منها المنصب فأقناها عن آخرها ولا ندري هل بقي من زمن اجازته ما يكفي لذلك أم يعود من تونس الى بلاده التي ظمئت له ارفه ؟ كان الله له وأيده بروحه حيث كان ، ومدنى أجله حتى يرتقي بهذه الامة الى أعلى ما في عالم الامكان .

﴿ مكانة القسطنطينية بمكانها ﴾

لهذه المدينة بموقعها ومكانها امتياز على سائر بقاع الارض وهي أنها ملجأ وحسن بحري طبيعي لا نظير له في بحار الدنيا فطبيعة المكان توجب على صاحبه ان يكون صاحب قوة بحرية لاتساويها قوة كما توجب طبيعة الارض الحصبة على صاحبها ان يكون غنيا بزراعته وصاحب الارض المدنية ان يكون غنيا بتجارته . فاذا أهمل صاحب الارض الحصبة زراعتها واشتغل عنها بشي آخر فان شريعة العمران تقضي بنزعها منه وقاضي الزمان ينقذ حكمها عند حلول الاجل الموافق له . وكذلك كل من قصر في استعمال ما وهبه له طبيعة الوجود

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته كذلك من لا يسوس الملك ينزعه لهذا قلنا في المقالة التي كتبناها في الجزء الحادي عشر إنه يجب على الدولة العلية أن تكون في مقدمة الدول البحرية بان تكون أساطيلها كاساطيل فرنسا وقتنا هذا إذ عجزت عن ذلك فتها لا فائدة لها من هذا الحصن فلتتركه طوعا بفائدة ثلاث تركها بدونها . وإذا هي وقتت لذلك ولو بعد حين من شروعه الذي يجب ان يكون عاجلا فانها بذلك تحفظ مجدها بل تبتدأ فقدت منه حتى تكون في مقدمة دول الارض (ان شاء الله) لان أساطيل كاساطيل فرنسا لها حصن عظيم كبحر مصرمة يسهل ان يكون صاحبها ملك البرين (بري اوربا وآسيا) والبحرين (الابيض والاسود) ويصعب على من له قوة كقوته في البحر ان ينافيها فان صاحب الحصن البحري العظيم يلجأ عند الضيق بأساطيله الى حصنها حتى يأخذ أخته فيخرج مهاجرا ومن لا حصن له لا ملجأ له فهو إما مغلوب وإما غير غالب

﴿ موسيو روا الكاتب العام للدولة التونسية ﴾

جاءنا من تونس أن قد صدر الامر بتثبيت موسيو روافي منصبه السامي بعد ما أشيع بان سينقل من تونس وقد سمرت السابعة التونسية وجميع عقلاء المساجين من تثبيت بل كتب

اليان جميع التولسين قدسوا بذلك ولاغر وفان هذا الرجل قد خص بمنزلة عظيمة وهي القدرة على الجمع بين مصلحة أمة الحامية وبين رضاء الامة المحمية فهو على صدقه في خدمة فرنسا يخدم تونس وأهلها الخدمة التي ترخصهم عنه وعن قومهم وتوافق بين القلوب . ولو ان عند فرنسا كثيرا من مثله في الجزائر لاحتلت بحكمهم المسألة التي يحثون دائما عن طريقة مرضية لخلها وهي كيف يكون كل فريق راضيا من الآخر مرضيا عنده . وقد بينا في مقالة سابقة أنه لا طريقة لتلك الاحسن المعاملة والجمع بين المصالحين وقد باننا ان موسيو روا يسلك هذا المسلك الحميد فهي به تونس وفرنسا جميعا

﴿ البابية في بلاد فارس ﴾

جاء في بعض الجرائد الاوروبية ان المسلمين في بلاد فارس قد احتسوا على طائفة البابية وطفقوا يقتلونهم ويسفكون دماءهم لاجل الخلاف الديني بينهم . وشبهت جريدة التيمس الانكليزية هذا التعصب بتمصب الروسين على اليهود وذكرت من وصف البابية أنهم يهربون في عقائدهم من الاوروبيين وشنت على الحكومة الايرانية لتقصيرها في حمايتهم وتقول ان قياس التيمس البابية على اليهود قياس غير صحيح فان اليهود أصحاب دين قديم تعترف به جميع الامم ولكن التصاري والمسلمين يقولون ان المسيح ومحمد عليهما السلام نسحا بعض احكامهما وأثرا بهضها فيجب عليهم الاخذ بأخره داية جاء بها الوحي . وأما البابية فاتهم قوم ارتدوا عن الاسلام وأحدثوا لانفسهم دينا وضعا مؤلفا من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون في مظاهر انفاق ليتمكنوا من تشكيك أهل كل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرّيا ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل كل دين ولا تناغم بينهم فهم ولكنهم يريدون اصلاحهم . ولقد علمنا من شاين غوين في مصر ان هذا الطائفة أنهم لا يطمعون أحد اعل كتيبهم الاساسية كالبيان للباب والكتاب المسمى بالكتاب الاقدس للبهاء حتى الداخل فيهم جديدا

وكيف تطالب حكومة إيران بأن تطاق الحرية لقوم يثرون وشعب الاهالي بادعائهم الاسلام في الظاهر ودعوة الناس للاعتقاد بالوهمية البهاء وعبادته في الباطن . اذا كانت الحرية الدينية في نظر التيمس محمودة فهل تنكر التيمس ان بعض أفراد الحرية في بعض البلاد تاتي بأعظم المضرات . بماذا تحتاج انكلترا على عدم إطلاق الحرية في بلاد نيجيار ؟ أليست حاجتها أضنف من حجة إيران في عدم إطلاق الحرية لهذه الطائفة التي تشكك المؤام في عقائدهم وتبرأ منهم وتخرج أعضائهم بحيث يخشى ان تقع البلاد في الفتن والثورات

الداخلية ؟ بل ولكن التيمس لم تقل مناقلت حبا في الحرية وانما ارادت تنبيه حكومتها الى ان لها بابا مفتوحا يسهل عليها ان تدخل منه الى ما عساها تحب الدخول فيه
 انما كان للخبر حقيقة فلا أرى الا ان منشأ المشاغبة بين دعاة الدين الجديد وعوام المسلمين كأن يقول البابي للمسلم ان ربك البهاء دفين عكا فيحتمي عليه ويقول كلا بل ربي الله الحي الذي لا يموت ولا يدفن وتنتهي المسكالة بالمسكالة فينتصر قوم هذا لهذا وطائفة ذلك له فكيف ترضى الحكومة بهذا ؟ وكيف تحاول جريدة التيمس ان تطالب الفارسي المتدين باخلاق الانكليزي أو الفرنسي الذي لا يبالي بالدين ؟

ومن هنا علمنا ان فرقا آخر بين اليهود والبابية وهو ان اليهود لا يرضون لتقيد دين آخر ولا لدعوته الى دينهم بخلاف البابية فانهم يسميون على الناس دينهم وليس من مصلحة الحكومة ان تبيح لهم ذلك من جهة السياسة فكيف والدين يوجب عليها منهم من تشكك عوام المسلمين في الاسلام. وقد علمنا بعد كتابة ما مر ان سبب الفتنة ان بعض البابية سبب التي عليه السلام علنا فاقى العلماء بقتله وهاج الناس ولجأ هو الى قنصل روسيا فتمنع من الناس ولكن الحكومة طلبته فسلمه القنصل وشنق وكان ذلك مبدء الفتنة

أما زعم بعض الحرائد الاوربية ان دينهم منتشر وان أتباعه صاروا يمدون بلالين فهو من الكذب الذي ينقل عن البابية أنفسهم قاتا وأينا أحسد دعائهم في مصر يزعم ان منهم ملايين في إيران ولايين في الهند وقد سألتنا بعض الإيرانيين والهنديين عن ذلك فانكروه وقالوا انهم في الهند يزعمون ان أتباعهم في مصر يمدون بالالوف . واننا لم نر ولم نسمع ان أحدا من أهل مصر اتبعهم وانما رأينا شايين من شذوذ الآفاق يدحانهم ويهيجان ببعض هذيانهم ولكنهما ينكران الدخول في دينهم فهما من مناقضهم . لهذا الكذب نرى بعض الناس في شك من عددهم ومن كيفية نشأتهم فيألت أحد القراء الواقفين على تاريخهم من أهل إيران أو غيرهم يكتب لنا مجلدا في تاريخهم من غير تخرج ولا ترجيح كما هو شأن المؤرخ المتصف .

واننا نود ان نكتب مقالات مفصلة في بيان بطلان هذه الديانة ولكننا لانتمد على ذلك الا بعد مطالعة كتابهما اللذين اشرنا اليهما اننا اذا يصح ان نبني الحكم على ما سمعنا منهم لانهم في كل يوم يغيرون ويدلون فيألت أحد القراء في الهند وإيران عن علينا هذين الكتابين

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبتمونا أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

بقرى المحكمة من بناء ومن يؤمن
المحكمة فقد أوتي خير أكبرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة رجب سنة ١٣٢١ — ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة الثامنة عشرة في انواع الحوارق وضروب التأويل والتعليل)

النوع الثاني عشر امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه

لم يذكر السبكي أمثلة لهذا النوع ولو ذكر شيئاً منها لوضح الحق من خلاله
أشد من وضوحه بالبحث فيه من غير ذكر للوقائع التي سماها كرامات وحوارق
عادات، والظاهر أنه يعني بامساك اللسان وانطلاقه أن بعض الناس يحضر مجلس الرجل
الصالح فيريد الكلام فيحصر وتأخذ الحبة لسانه لما يسره من الهمة والاحجال
ثم يزول ذلك بالانس أو المباشطة، وهذا أمر يقع كل يوم من المعتقدين مع الصالحين
ومن الرؤسين مع الرؤساء، ومن افراد الرعايا المهضومين مع الامراء، وما يقع منه

بين رجال الأديان ومن يعتقد رياستهم الروحانية من المقلدين كثير في كل أمة وملة ولكن كل فريق يمد هذا منزلة له وكرامة من كراماته فيجمل حال الآخر اذا العارف بأحوال الملل وشئون الناس لا يفتخر ولا يستسلم للتصاري وأهلها فالآفة الكبرى هي الجهل والجهل سياج الدجالين ولذلك تراهم في كل ملة يبادون السلم وينهون عنه ويزعمون أنه حجاب دون الدين ، ومفسد لمقائد المؤمنين ، ويصدقهم في ذلك الجاهلون ، ويتمصبون لهم على الذين يعلمون والذين يعلمون.

النوع الثالث عشر جذب القلوب النافرة

لم يذكر السبكي لهذا مثالا أيضا وهو نحو الذي سبقه وأضعف منه فان كثيرا من أهل الشهرة ما نالوا شهرتهم الا بجذب القلوب وذلك أن في كل صنف من الناس من له هذه الخاصية فمنهم من يختاب القلوب بمهابته ، ومنهم من يسحر الأبواب ببلاغته ، ومنهم من يستحوذ على النفوس بقوة روحه وتوجيه ارادته ، ومنهم من يجذب بعض البسطاء بزيه وشارته ، وقد رأيت يعني كثيرا من الناس تافسين على رجل من أهل الفضل منكربن عليه تافرين منه مسيئين الاعتقاد به وقد حضروا مجلسه واحدا بعد واحد وما منهم الا وقد انجذب قلبه اليه وامتلا بهية وإعظاما له وصار من المتحمسين له اللاهجين بالتأثر عابيه . والسبب في ذلك ان الثور الأول كان لسوء ظن أحده من سماع كلام الحاسدين ولما شاهدوا الرجل رأوه بالصد مما كانوا سمعوا وأوافضلا كثيرا وعلموا واسعاً وأمارات تنطق بحسن القصد وإخلاص القلب من حيث كانوا يتوهمون خلاف ذلك فتحولت قلوبهم مرة واحدة . فهل نقول ان هذا من باب الحوارق وننظمه في سلك الكرامات والسبب فيه معروف والعلة ظاهرة ؟

حسب الماقل دليلا على فتنه الناس بمسألة الكرامات ان يري العالم الاصولي منهم (كالتاج السبكي) يمد ميل القلب الى شخص بعد النفرة منه كرامة له ، كأن الفتنه قد سحرت النفوس وأفسدت العقول وأعمت الابصار وأصمت السامع وساوت بين العالم والجاهل والذكي والغبى في عدم التمييز بين الممناد وخارق المادة والنفلة عن الوقائع المتشابهة المتماثلة في مثل هذا الامر التي تقع لمن يستقدون كرامتهم ومن يستقدون كفرهم أو ابتداءهم . وفي طبقات السبكي كثير من هذه الوقائع يحكيها هو والمؤرخون

عن زعماء الفتن، ودعاة البدع، ومؤسسي المذاهب الباطلة، والطرق المموجة المتوترة، وما رأيت في التاريخ أشد جذبا للنفوس، وتلعبا بالعقول من رجال طوائف الباطنية فلقد كانوا يضلون بالآلابل ما لا تفعل الحر، ويؤثرون في النفوس ما لا يؤثر عن فعل السحر، فان قال قائل : ان جذب أئمة الكفر وزعماء البدع قلوب بعض أتباعهم أو بعض الضعفاء المستعدين لقبول ضلالتهم هو من باب الاستدراج والاملاء ليسترسلوا في غيهم حتى يأخذهم الله تعالى بالانتقام في الدنيا أو بالموت الذي يسوقهم الى الانتقام في الآخرة . وأما أولياء الله تعالى فانهم يجذبون القلوب الى الحق ويؤثرون فيها تأثير الخير النافع وبهذا كان جذبهم من الكرامة دون جذب غيرهم

ونقول في الجواب اننا نعلم بان ما ذكرتم يصح ان يعد كرامة اذا سلمتم منا بأن الكرامة ليست من الخوارق الحقيقية واتما هي من الخصائص الشريفة الثائرة فإن أمرا يعقل سببه وتسرف علته وقع من جميع أصناف الناس ومن أهل كل ملة ودين لا يصح للماقل ان يجهل من خوارق العادات التي تأتي على غير النظام المهود والسنن المطردة . ولكم بعد ذلك ان تأولوا ما يقع من ذلك للصالحين من أهل الملل الاخرى فانه يوجد في كل أمة الصالح والطالح كالايجي على المتصف الخير

وانما نتم الكلام في هذين النوعين - المهابة التي تمنع الكلام وجذب القلوب - بتي من العبرة بما كان لرؤساء الباطنية من الاحترام الروحي في نفوس اتباعهم ولم يصل الصوفية الصادقون الى مثل ذلك . قال المؤرخون : ان الحسن بن الصباح زعيم الاسماعيلية قد استهوى قلوب أتباعه واستحوذ على نفوسهم حتى كانوا يطيعونه في السر والجهر ولو بما يذهب بأرواحهم ولقد كان من أمره لما أرسل السلطان يطلب منه الطاعة ان دعا قرا من أتباعه وقال لاحدهم اقتل نفسك ففعل بدون توقف ولا تردد وقال لآخر : ارم نفسك من هذا الحصن : فرمى بنفسه ومات ثم التفت الى رسول السلطان وقال له : قل لمولاك هكذا يطيعني سبعون الفا من الرعايا الامناء : فن كان هذا شأنه وهذه منزلته في نفوس أتباعه فكيف تكون مهابته في نفس من يحضر مجلسه وكيف يكون انجذاب القلوب المعتقد بفضله أو المستعدة لقبول تقيده اليه وتوحيها عليه ؟ ؟

الصوفية الذين ينقل عنهم جذب القلوب والتسلط على نفوس المجالسين بالهيبة والوقار كانت سيرتهم على مقربة من سيرة زعماء الباطنية بل هم فرقة منهم وتأثيرهم من نوع تأثيرهم فالمؤرخ لا يكاد يفصل بين هذا وهذا الا بالانتهاء للمذاهب المتنوعة كالاسماعيلية وغيرهم وأما كلامهم في الدين وتفسيرهم للقرآن والحديث فانه متشابه لانهم يقولون فيه أقوالا تنكرها اللغة وأساليبها وتأباه سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وحجة الفريقين فيها واحدة وهي الاطلاع على الحقائق الخفية، والوقوف اسرار الدين الروحانية، وقد سلم الناس لهم بذلك تسليما لاسيما بعد موت العلم بحمل الناس على التقليد وحظر الاخذ بالدليل عليهم فمن لا دليل له يسلم لكل من يعظم الناس أمره . وما رأيت في أمر الذين يسمى صنفهم صنف علماء الدين أعجب من تسليمهم هؤلاء الباطنية الذين يدعون الولاية كل ما يقولونه وان لموافق عقائدهم فهم يسلمون لهم القول المخالف بغير دليل ويحجرون على غيرهم المخالفة بالدليل . وانت تعلم ان معنى علوهم كلها عن الكشف وسبأي الكلام عليه مفسلا في النوع الرابع عشر ولذلك جعلنا هذه المقالة مختصرة حتى تتمكن من جمل الكلام في الكشف في جزو واحد هذا - وقد كنت قرأت في بعض الجرائد ان رجلا دخل على أحد علماء الكهرواية وهو في عمله وبين يديه الآلات والبطاريات فحدث في الكهروائية تأثر بدخوله لم يبق في ذهني ما هو ذلك التأثر الذي شوهد في الآلات فقال العالم للرجل أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فكان التأثر باقباله غير التأثر بادباره اذ كان أحدهما في الكهروائية الايجابية والآخر في السلبية وكان لقربه أشد التأثير. فاذا صحة الرواية فلا بد ان يكون هذا الاكتشاف مقناحا لمعرفة أسرار كثيرة كسر الحب والبغض والتأثير في النفوس فان في كل أحد كهروائية ويظهر انها في بعض الناس أقوى منها في بعض فلا عجب ان كان صاحب الكهروائية القوية يؤثر في صاحب الكهروائية الضعيفة وان يكون لتوجيه الارادة والهمة عملا في قوة التأثير ولا مانع من أن يكون لاختلاف الكهروائية في الشخصين شأن في الحب والبغض فقد يبصر الانسان الجمال البارع في شخص ويمقت به سبب ظاهر مع اعترافه بجماله وقد يشق ولا جمال . ومن الناس افراد يستقبلهم كل أحد وأفراد يحبهم كل من عرفهم ويعبر الناس عن سبب الحب في هؤلاء بالجلابية يقولون فلان

ذو حاذية وفلاحة ذات جاذبية ويصفونهم بحجة لروح وخنة الدم . ومن الناس من يهاجم كل من يحالسهم وإن كان من أقرانهم ولعل للكهربائية أثراً في كل ذلك تظاهرة الأيام ويكشفه العلماء فأين حديث الخوارق الكونية ، من هذه العلل الطبيعية ، ؟ ولا يبولن القارى تأثير الانسان في الآلات الكهربائية فقد ثبت ان للتأثير تأثيراً عجيباً فيها تغيروا الى هذا حين ثبت ان قطا وقف على سلك من أسلاك المسيرة (التليفون) فأبطل عمله . فان قلت انه متأثر فيه الا باتصاله به فكيف يؤثر الانسان في كهربائية لم يتصل بآلاتها ؟ أقول لا يعد ان يقتل التأثير بواسطة كهربائية الجو أو الهواء أو الاثير ونحن في عصر نخطب الناس فيه بالكهربائية من غير واسطة الاسلاك وهو ما يسمونه (تلفراف ماركوني) فهل يليق بأهل هذا العصر ان يقدوا للميتين من بضع مئين من السنين أو أكثر في مزارع غربية عن العتل غير قرية من الشرع ، وقولوا مع ذلك ان عقولهم أرقى من عقولنا ، وعلومهم أغزر من علومنا ، كلا انما يرضى بهذا من احتقر نعمة الله على أهل عصره ، وسجل الحزبي والحسار على نفسه ، فأنكر كرامة الله له ليثبت كرامته لآخرين ، وخسر بجهله الدنيا والآخرة وذلك هو الحسران المين

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾

لما نشرنا تلك المحاورات بين المصلح والمقلد في بحث الاجتهاد والتقليد ووحدة الامة الاسلامية في المجلدين الثالث والرابع من المنار كتب الينا بعض الفضلاء من قراء المنار في البحرين يسألنا : هل اطلعت على كتاب أعلام الموقعين للامام ابن القيم ؟ فأجابه اننا لم نطلع عليه ولكننا رأينا في بعض الكتب نقلاً عنه عرفاً به مكاتبه . فكتب الينا ثانياً ان فيه مناظرة بين مقلد وصاحب دليل كلنا مناظرة التي نشرتموها واننا سنرسل اليكم نسخة منه ولم يأت ان أرسالها وكانت مقالات المحاورات قد تمت . وقد رأينا الآن ان نشر هذه المناظرة أيضاً لأن هذا البحث أهم المباحث والاجتهاد ركن من أركان الاصلاح بل هو أقوى أركانه . ولقد أورد المصنف شبه المقلد كلها سرداً ثم ذكر حجج متبع الدليل الناهضة والناقضة لاقوال المقلد وشبهه واحدة بعد واحدة ولقد ترك شبهات المقلد خشية التكرار وبتدري بالحجج فنقول : قال المؤلف رحمه الله تعالى وتقمنا به :

(قال أصحاب الحجة) عجا لكم معاصر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهل ولا معدودين في زمرة أهل كَيْفَ ابطم مذهبكم يخفى عليكم فما للمقلد وما للاستدلال وأين منصب المقلد من منصب المستدل وهل

ذكرتم من الأدلة الاثبات استمرتعوها من صاحب الحجة فتعجلم بها بين الناس وكنتم في ذلك متبیین بما لم تعطوه ، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤتوه ، وذلك ثوب زور لبستموه ، ومنصب لستم من أهله غصبتموه ، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل قادكم اليه ، وبرهان ذلكم عليه ، فزلم من الاستدلال أقرب منزل ، وكنتم به عن التقليد بمنزل ، أم سلكتم سبيله اتفاقاً وتخميناً من غير دليل ، وليس الى خروجكم من أحد هذين القسمين سبيل ، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم ، والرجوع الى مذهب الحجة منه لازم ، ونحن ان خاضناكم بلسان الحجة قلتم لنا لسنا من أهل هذه السبيل ، وان خاطبناكم بحكم التقليد فلا معنى لما قلتم من الدليل ، والعجب ان كل طائفة من الطوائف وكل أمة من الامم تدعي انها على حق حاشا فرقة التقليد فانهم لا يدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطلين فانهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الاقوال لدليل قادهم اليه ، وبرهان دلهم عليه ، وانما سبيلهم محض التقليد والمقلد لا يعرف الحق من الباطل ، ولا الحالي من العاطل ،

وأنعجب من هذا ان أتهم نهوهم عن تقليدهم فقصوهم وخالفوهم وقالوا نحن على مذاهبيهم وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي بنوا عليه فانهم بنوا على الحجة وتمسكوا عن التقليد وأوصوهم اذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه بخلافهم في ذلك كله وقالوا نحن من أتباعهم ، تلك أمانيتهم وما أتباعهم الا من سلك سبيلهم واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم . وأعجب من هذا أنهم مصرحون في كتبهم ببطان التقليد وتحريمه وانه لا يحل القول به في دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط . وكذلك المقتي يحرم عليه الاقتاء بما لا يعلم بحجته بانفاق الناس والمقلد لا علم له بصحة القول وفساده اذا طريق ذلك مسدودة عليه . ثم كل منهم يعرف من نفسه انه مقلد لتبوعه لا يفارق قوله ويترك له كل ما خلفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره وهذا من أعجب العجائب

(وأيضاً) فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلاً منهم يقلده في جميع أقواله فلم يسقط منها شيئاً وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً ،

ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولا تابعي التابعين فيكتبنا المقلدون رجلا واحدا سلب سلبهم الوحيدة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما حدثت هذه الفتنة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فالقلدون لتبوعهم في جميع مقالوه يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون اذلك صواب أم خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله ما لا يعلم انه لم يكن على شيء.

(وأينما) فنقول لكل من قلده واحدا من الناس دون غيره : ما الذي خص صاحبك ان يكون أولى بالتقليد من غيره ؟ فان قال لانه اعلم أهل عصره وربما فضله على من قبله مع جزمه الباطل أنه لم يجيء بعده اعلم منه . قيل له : وما يدريك . ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك أنه اعلم الأمة في وقته فان هذا انما يعرفه من عرف للمذاهب وادلتها وراجحها ومرجوحها فالأعمى وقد ادراهم . وهذا أيضا باب آخر من القول على الله بلا علم .

ويقال له (ثانيا) فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اعلم من صاحبك بلاشك فهلا قلدهم وتركته بل سعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وطاوس وامثالهم اعلم وافضل بلاشك فلم تركت تقليد الاعلم والافضل الاجمع لادوات الخير والهدى والدين ورغبت عن أقواله ومذاهبه الى من هو دونه . فان قال : لان صاحبي ومن قلده اعلم به مني فتليدي له أوجب على مخالفة قوله لقول من قلده لان وفور علمه ودينه ينشع من مخالفة من هو فوقه واعلم منه الدليل صار اليه هو أولى من قول كل واحد من هؤلاء . قيل له : ومن أين علمت ان الدليل الذي صار اليه صاحبك الذي زعمت أنه صاحبك أولى من الدليل الذي صار اليه من هو اعلم منه وخير منه أو هو نظيره . وقولان مما متاقضان لا يكونان صوابا بل احدهما هو الصواب ومعلوم ان ظفر الاعلم الافضل بالصواب أقرب من ظفر من هو دونه : فان قلت : علمت ذلك بالدليل فهنا اذا فقد انتقلت عن منصب التقليد الى منصب الاستدلال وأبطأت التقليد ثم يقال لك (ثالثا) هذا لا يتعمك شيئا البتة فيما اختلف فيه فان من قلده ومن قلده غيره

قد احتلفا وصار من قلده غيرك الى موافقة أبي بكر وعمر وأولي وابن عباس وأوعاشة وغيرهم دون من قلده فهلا نصحت نفسك وهديت لرشدك وقلت هذا علما كبيرا ومع احداها من ذكر من الصحابة فهو أولى بتقليدي إياه .

ويقال له (رابعاً) إمام بامام ويسلم قول الصحابي فيكون أولى بالتقليد .
ويقال (خامساً) إذا جاز أن يظفر من قلده بعلم خفي على عمر بن الخطاب وعلى علي بن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود ودونهم فأحق وأحق فأجوز وأجوز أن يظفر نظيره ومن بعده بعلم خفي عليه هو فإن النسبة بين من قلده وبين نظيره ومن بعده أقرب بكثير من النسبة بين من قلده وبين الصحابة . والخفاء على من قلده أقرب من الخفاء على الصحابة .

ويقال (سادساً) إذا سوغت لنفسك مخالفة الانضال الاعلم بقول المفضول فهلا سوغت لها مخالفة المفضول لمن هو أعلم منه وهل كان الذي ينبغي وجب الاعكس ما ارتكبت .
ويقال (سابعاً) هل أنت في تقليد امامك واباحة الفروج والدماء والاموال وتقلها عن هي بيده الى غيره موافق لامر الله أو رسوله أو اجماع أئمة أو قول أحد من الصحابة ؟
فان قال : نعم : قال ما بعلم لله ورسوله وجميع العلماء بطلانه وان قال : لا : فقد كفنا مؤثته وشهد على نفسه بشهادة الله ورسوله وأهل العلم عليه .

ويقال (ثامناً) تقليدك لمبتوعك يحرم عليك تقليد قائمه ناهك عن ذلك وقال لا يحل لك ان تقول بقوله حتى تعلم من أين قاله ونهاك عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فان كنت مقلداً له في جميع مذهبه فهذا من مذهبه فهلا اتبعته فيه .

ويقال (تاسعاً) هل انت على بصيرة في أن من قلده أولى بالصواب من سائر من رغب عن قوله من الاولين والآخرين أم است على بصيرة ؟ فان قال : أنا على بصيرة : قال ما بعلم بطلانه . وان قال : لست على بصيرة : وهو الحق قيل له : فما عذرك غدا بين يدي الله حين لا ينفك من قلده بحسنة واحدة ولا يحملك عنك سيئة واحدة اذا حكمت وأقيمت بين خلقه بما لست على بصيرة منه هل هو صواب أم خطأ .

ويقال (حادي عشر) هل تقول اذا أقيمت وحكمت بقول من قلده : ان هذا هو دين الله الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وشرعه لعباده ولادين له سواء أو تقول : ان

دين الله الذي شرعه لعباده خلافاً؟ أو تقول: لا أدري؟ ولا بد لك من قول من هذه الأقوال ولا سبيل لك إلى الأول قطعا فإن دين الله الذي لا دين له سواء ولا تسوغ مخالفته (١) وأقل درجات مخالفته أن يكون من الآمنين والثاني لا تدعيه فليس لك، ملجأ إلا الثالث .
فبالله العجب كيف تستباح الفروج والدماء والأموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها « لا أدري » :

فإن كنت لا تدري فذلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم
ويقال (ثاني عشر) على أي شيء كان الناس قبل أن يولد فلان وفلان وفلان الذين قلدتموهم وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع وليتكم اقتصرتم على ذلك بل جعلتموها أولى بالاتباع من نصوص الشارع؟ أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة؟ فلا بد من أن تقرروا بأنهم كانوا على هدى فيقال لكم فما الذي كان عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله ورسوله وآثار الصحابة على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان أو رأي فلان؟ وإذا كان هذا هو الهدى فإذا بدأ الحق إلا الضلال فأي تؤفكون؟ فإن قالت كل فرقة من المقلدين وكذلك يقولون: صاحبنا هو الذي ثبت على ماضى عليه السلف واقتفى منهاجهم وسلك سبيلهم: قيل لهم: فمن سواء من الأئمة هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمة من عداه فلا بد من واحد من الأمرين؟ فإن قالوا بالثاني فهم أضل سبيلا من الأنام وإن قالوا بالأول فيقال فكيف وقفتم لقبول قول صاحبكم كله ورد قول من هو مثله أو اعلم منه كله فلا يرد لهذا قول ولا يقبل لهذا قول حتى كأن الصواب وقف على صاحبكم والخطأ وقف على من خالفه ولهذا أنتم موكولون بنصرتة في كل مقالته وبالرد على ما خالفه في كل قالة وهذه حال الفرقة الأخرى معكم .

ويقال (ثالث عشر) فمن قلدتموه من الأئمة قد نهوكم عن تقليدكم فأنتم أول مخالف لهم . قال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب أبيل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري: وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: لا يجزى لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وقال أحمد: لا تقلد دينك أحدا :

(١) هكذا الأصل والله سقط شيء هنا كقول « هو كتابه وسنة رسوله »

ويقال (رابع عشر) هل أنتم موقنون بأنكم غدا موقوفون بين يدي الله وتسالون عما قضيت به في دماء عباده وفروجهم وأبشارهم وأموالهم وعما أقيمت به في دينه محرمين ومحللين وموجبين؟ فنقول لهم نحن موقنون بذلك . فيقال لهم : فإذا سألكم من أين قلتم ذلك فإذا جوابكم؟ قلتم: جوابنا أنا حملنا وعمرنا وقضينا بما في كتاب الأصل لمحمد بن الحسن عما رواه عن أبي حنيفة وأبي يوسف من رأي واختيار، وبما في المدونة من رواية سمعون عن ابن القاسم من رأي واختيار، وبما في الأم من رواية الربيع من رأي واختيار، وبما في جوابات غيرهؤلاء من رأي واختيار، وسويناكم اقتصرتم على ذلك أو صدمتم إليه أو سمت همتمكم نحوه بل نزلتم عن ذلك طبقات - فإذا سئلتهم هل فاتهم ذلك عن أمري أو امر رسول الله فإذا يكون جوابكم إذا؟ قلنا أمكنكم حينئذ أن تقولوا: فعلنا ما أمرتنا به وأمرنا به رسولك فزتم وتخلصتم وإن لم يمكنكم ذلك فلا بد أن تقولوا لم تأمرنا بذلك ولا رسولك ولا أنفسنا ولا بد من أحد الجوابين وكان قد .

ويقال (خامس عشر) إذا نزل عيسى بن مريم إماما عدلا وحكما مقسطا فمذهب من يحكم ويرأي من يقضي ومعلوم أنه لا يحكم ولا يقضي إلا بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم التي شرعها الله لعباده فذلك الذي يقضي به الحق وأولى الناس به عيسى ابن مريم هذا الذي أوجب عليكم أن تقضوا به وتفتوا . ولا يحل لأحد أن يقضي ولا يفتي بشيء سواه البتة . قلنا قلتم : نحن وأنتم في هذا السؤال سواء . قيل : أجل ولكن تفتقروا في الجواب فتقول . يا ربنا انك لتسلم أننا لم نجعل أحدا من الناس عيارا على كلامك وكلام رسولك ونزد ما تنازعنا فيه إليه . وتحاكم إلى قوله وتقدم أقواله على كلامك وكلام رسولك وكلام أصحاب رسولك وكان الخلق عندنا أهون أن تقدم كلامهم وآراءهم على وحيتك بل أفتينا بما وجدناه في كتابك وبما وصل إلينا من سنة رسولك وبما أفتى به أصحاب نبيك وإن عدلنا عن ذلك خطأ منا لا عمد . ولم نتخذ من دونك ولا دون رسولك ولا المؤمنين وليجة ، ولم نفرق ديننا ونكث شيئا ، ولم نقطع أمرنا بشتا زبرا، وجعلنا أنفسنا قدوة لنا ووسائل بيننا وبين رسولك في قتلهم ما بلغوه إلينا عن رسولك فاتبعناهم في ذلك وقلدناهم فيه إذا أمرتنا أنت وأمرنا رسولك بأن نسمع منهم ونقبل ما بلغوه عنك وعن رسولك فسمنا لك ولرسولك

وطاعة (١) ، ولم يتخذهم أرباباً تتحاكم إلى أقوالهم ونحاصم بها ونوالي وننادي عليها بل عرضنا أقوالهم على كتابك وستة رسولك فما وافقتهما قبلناه ، وما خالفهما أعرضنا عنه وتركناه ، وإن كانوا أعلم منا بك وبرسولك فمن وافق قوله قول رسولك كان أعلم منهم في تلك المسئلة فهذا جوابنا ، ونحن نناشدكم الله هل أنتم كذلك حتى يمكنكم هذا الجواب بن يدي من لا يبدل القول لديه ، ولا يروج الباطل عليه ، (لها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(س) خطبة الجمعة بالإنجليزية — الشيخ عبد الحق الاعظمي خطيب المسجد ذي التارات في بمبي (الهند) : هل يجوز العدول عن تلاوة خطبة الجمعة باللسان العربي إلى لسان البلد التي تقام فيه الجمعة حتى يتفهم بها العموم ويحصل منها الارشاد المطلوب فإن بتلاوتها بالعربية على أعيانهم لا يفهمون هذه اللغة فوات لفائدتها وهو إيصال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أفهامهم وتمكين آتار الوعظ في قلوبهم وإني في كل اسبوع انشي خطبة وألقيا يوم الجمعة على مئات من المسلمين وبعد الجمعة أسأل المتعلمين منهم الذين مارسوا اللغة العربية هل فهمت ما تلوت على المنبر فيقولون لم نفهم الاكليات قليلة لاتنا وان كنا قرأنا قوانين اللغة العربية وعلومها الا أننا لانفهم ما يقرأ علينا بها اللهم الا اذا نحن قرأناه وتأملناه مايا . فأسف على تعبي في انشاء الخطبة فاردت ان اخاطب فيهم بلغتهم الاوردية مع ذكر اركان الخطبة بالعربية فهل ورد في السنة وآثار السلف ما يمنع من ذلك ويحتم اداءها كلها بالعربية وان لم يفهمها حاضرو الجمعة كلهم أو جلهم وبماذا كان يحضرب أصدر الاول في بلاد الاعاجم التي اقتحوها

(ج) قد ينشأ غير مرة ان معرفة اللغة العربية واجبة على كل مسلم لان فهم الدين واقامة شعائره واداء فرائضه كل ذلك موقوف على فهم هذه اللغة ولا تصح الا بها وخطبة الجمعة من أقلها تأكيذاً وثبوتاً وان كانت من أكبر الشاثر فائدة . وقد كان الذين يدخلون في الاسلام من الاعاجم على عهد الصدر الاول يبادرون الى تعلم اللغة العربية لاجل فهم القرآن والسنة والارتباط بصلة اللغة التي لا تحقق وحدة الامة بدونها

(١) النظر : يجب ان الذي يتخذ من الإنجيل هو ما ينقلوه عن الشارح لا آراؤهم

وكان الصحابة يخطبون الناس باللغة العربية في كل بلاد يفتحونها وما كان يمر الزمن الطويل على بلاد يدخلونها الا وتتحول لغتها الى لغتهم في زمن قصير بتأثير روح الاسلام، لا بالترغيب الدنيوي ولا بقوة الازام. ولو كانوا يرون اقرار من يدخل في دينهم من الامم الاعجمية على لغاتهم لبادروا هم الى تعلم لغات تلك الامم وأقاموا لهم فرائض الدين وعباداتهم وبقي الروماني ورومانيا والفرسي فارسيا وهلم جرا

وان التفريق الذي نراه اليوم في المسلمين باختلاف اللغات هو من سيئات السياسة ومناسدها الكبرى واذا لم ترجع الدولتان العثمانية والارمنية الى السعي في تميم اللغة العربية في مملكتيهما فسيأتي يوم تدمان فيه وانسا لانفد باصلاح في الهند ولا بنيرها من بلاد المسلمين ما لم يجعل ركن التعاليم الاول تعلم العربية وجعلها لغة العلم

لا يصعب عليك ان تجد عند الحنفية وجها لجواز الخطبة باللغة من تخطبهم لاجل حصول المقصود من الخطبة كما جوزوا كون القاضي والمفتي من المذاهب الاخرى خلافا لخصوص المذهب بل المذاهب كلها في اشتراط كونها مجتهدين وكما جوزوا كون القاضي جاهلا وفاسقا وكما جوزوا صلاة الجمعة في الامصار التي ليس فيها حاكم ينفذ الاحكام الشرعية وكما جوزوا امامة من ليس مستوفيا لشروط الامامة وغير ذلك من الاحكام التي جوزوها للضرورة . وليس معنى جواز الشيء للضرورة ان يترك الاصل ويرضى الناس بالضرورة الى ابد الابد وانما معناه ان يأخذوا بالاستعداد لاقامة الحق والرجوع الى الاصل مع الاتيان بالشيء ناقصا وذلك بأن يترخصوا بترك بعض الشروط فيه مع الجد في تحصيلها الى ان تتم الشروط ويستقر كل شيء في نصابه والا كان لنا أن نترك الدين كله أو نحوله عن وجهه تعللا لضرورات التي تحكم فيها الاهواء كانشاء

قلت ان خطبة الجمعة أهون من غيرها لانها غير مجمعة على وجوبها فان من السالف من قال انها مندوبة كخطبة العيد فاذا اقيمت أركانها الاصلية بالعربية وزيد فيها شيء من الوعظ بلغة أخرى لا حاجة لا يخل ذلك بصحة الصلاة ولا بصحة الخطبة ولكنه يدخل في الشائئ الاسلامية تشويها يخشى ان يصير مستمرا .

وليست المصيبة في عدم فهم الخطبة أقوى من المصيبة في عدم فهم الفاتحة وغيرها من السور والآيات التي تقرأ في الصلاة ، اللهم اجز من نصروا لغاتهم على لغة كتابك

حتى حالوا بينه وبين عبادك بما يستحقون فقد صارت صلاة المسلمين تقليدية محضة لا روح فيها كصلاة كثير من أهل المال الأخرى

ويسهل على السائل أن يترجم خطبه النافعة بلغة القوم ويقرأ عليهم الترجمة بمد الصلاة لينتفعوا بها ويتحسروا لعدم فهمهم أصلها العربي في إقامة الشمار الديني لعلهم يرجعون والسائل يعلم أن المسلمين مازالوا يخطبون بالعربية في جميع بلاد الأعاجم لملاحظتهم ما قلناه لم يخاف في هذا سفي ولا شيبي . وقد عد بعض الحنفية الضرورة التي تجبز المدول عدم وجود خطيب يحسن العربية حتى يوجد وقالوا لا بد من السفي في إيجاده . قال شارح الأحياء : « وهل يشترط كون الخطبة كلها بالعربية وجهان الصحيح اشتراطه فان لم يكن فيهم من يحسن العربية خطب بغيرها ويجب عليهم التعليم والأصوات لاجمة لهم » . يعني أن الضرورة لا يجوز أن تحمل مستمرة بل يجب السفي في إزالتها . ونحن نقول يجب عليهم تعلم العربية ليفهموا الخطبة وما هو أهم من الخطبة كالفاتحة وسائر الأذكار والصور فان لم يفعلوا كان عاصين ولا صلاة لهم ولا فراءة لهم وإنما لهم الصور التي لا تؤثر في القالب ولا تركي النفس وما كان كذلك فلا تأثير له في سعادة الآخرة ولا في سعادة الدنيا والله أعلم

(س ٢) حد اللواط — ومنه : ما الحكمة في أن الشارع لم ينص على حد اللواط مع منافاته لأصل الطبيعة وفطاعته عند سائر الأهم من قديم الأزمان وأنا يحدث امراضاً خطيرة حسية وممنوية فيضهف النفوس ويحط الهمم ويهدم مستقبل صاحبه ويسم بميسم الذل والشمار وما باله يشوف في هذا الزمان في كثير من البلدان مع انتشار العلم وكثرة الكتب وتقدم فن الطب واستتارة الأفكار حتى لقد كاد أن يكون منبعه في منابع العلم كالمدارس ونفوسه بين أرق الطبقات كالأولاد الأغنياء وبين المتقطعين للعبادة المترهدين المتنسكين كسكنة التكايا والأديار وغيرها

(ج) ليست الشريعة محصورة في جلود كتب الحنفية فقد ورد في اللواط من التشديد والعقوبة في السنة نحو ماورد في الزنا وورد فيه عن الصحابة القتل والرجم والاحراق بالنار . اما الوارد في القرآن فالمجمل منه يشمل الفاحشيتين والتفصيل جاء في الزنا ومن العلماء من قاله يشمل اللواط . اما كون الجنايا واردة في الفرية بين فهو انه تعالى قال ولا

«وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ» الآية ثم قال «وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا» الآية فثنية الذي لا يجوز ان يراد بها الرجلان اللذان يزنيان لأنها تكون لغوا فمعين ان يراد بها فاعلا اللواط أو الزاني واللواط كما قال مجاهد وأبو مسلم وغيرهما وبه أخذ الشافعي . وهذا الإيذاء مجمل ينته السنة

قال عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » . رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني والحاكم والبيهقي والفضلاء عن ابن عباس . وفي رواية لأحمد عنه « اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط والبيعة والواقع على البيعة ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه » وقال ص : « ارجوا الأعلى والأسفل ارجوها جميعا » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وقال ص : « من عمل قوم لوط فارجوا الفاعل والمفعول به » : الحاكم عن أبي هريرة وروى مثل ذلك عنه الحرطلي في مساوي الاختلاق وابن جرير

هذا بعض ماورد في الأخبار وأما الآثار فقد روى الشافعي وابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور في سننه وابن أبي الدنيا في ذم الملاحى والبيهقي عن يزيد بن قيس أن عليا رجم لوطيا . وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاحى وابن المنذر وابن بشران والبيهقي عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق انه وجد رجلا في بعض ضواحي بلاد العرب يشكج كما تشكج المرأة وان ابا بكر جمع لذلك ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم علي ابن أبي طالب اشدهم يومئذ قولا فقال ان هذا ذنب لم يعمل به أمة من الامم الا أمة واحدة فصنع بها ماقد علمتم أرى ان تحرقوه بالنار : فكتب اليه أبو بكر ان يحرق بالنار . وروى الطبراني عن سالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وزيد بن حسن ان عثمان بن عفان اتى برجل قد خرب بفلام من قریش فقال عثمان : أحسن : قالوا قد تزوج امرأة ولم يدخل بها بعد فقال علي لعثمان لو دخل بها لحل عليه الرحيم فأما اذا لم يدخل بها فاجلده الحد ، فقال أبو أيوب أشهداني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن . فأمر به عثمان فجلد . وهذا الاثر أقوى من الذي قبله وأما أقوال السلف والفقهاء في ذلك فقد جاء في الزواجر من ذلك ما نصه :

« قال البغوي اختلف أهل العلم في حد اللواط فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا

ان كان محصنا يرحم وان لم يكن محصنا يجلد مئة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقادة والتخمي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي ويحكى أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلد مئة وتغريب تام رجلا كان أو امرأة محصنا كان أو غير محصن . وذهب قوم الى ان اللوطي يرحم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروى عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق . وروى حماد بن ابراهيم عن ابراهيم (يعني التخمي) قال لو كان احد يستقيم ان يرحم مرتين لرحم اللوطي . والقول الآخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث . اهـ :

ثم قال صاحب الزواجر : « قال الحافظ المنذري حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك » : ثم ذكر ما كتبه خالد إلى أبي بكر وقد تقدم آنفا

امامنا ورد في وعيد فاعل هذه الفاحشة فكثير وقد شنع ابن حجر على من يأثم من المترفين ، ولعنهم كما لعنهم جميع المؤمنين ، وقد وصفوا من شناعة هذه الجريمة ولكنهم لم يذكروا أعظم مضرة لها ، وأقبح غائلة من غوائلها ، وهي إفساد البيوت قتلما يوجدت للوطي طاهر من الفسق وانما يعن التسوق كباره وصفاره نساءه وأطفاله . ومع هذا كله رأى اناس في هذه المدينة يزنون بالهناات ، ويغلبون حب البنين على البنات ، وهم يصفون انفسهم بأنهم من الادباء والشعراء وتستخدمهم الحكومة ويحترمهم سائر الناس فبها لهذه الاخلاق ، ولطؤلاء الجبناء الذين ليس لهم خلق ،

واما سبب فشوة هذه الفاحشة فيمن ذكرتم فسيبه الترف وتباع خطوات مدنية أوروبا في التمتع بالشهوات واللذات واما فشوة في المدارس ونحوها فسيبه بعد الرجال هناك عن النساء وتمذر الاقضاء اليهن . وليس لهذه المفسدة وأمانها علاج الا التربية الدينية الصحيحة وكاله باقامة الحدود والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(٣) التأمين على المال — ومنه : كيف يجري المسلم عقد السكرتاه (التأمين على المال وغيره) مع الذمي على غير اساس شرعي وكيف يستحل ماله فهل يمكن استخراج أصل شرعي يستأنس به ؟

(ج) قد سألنا هذا السؤال كثير من أهل مصر ومن غير عاوس كتب في ذلك في فرصة

أخرى بعد شرح حقيقة هذه المعاملات

(س ٤) كَيْتَالَارُوش - الحاج أحمد بن عبد الله باحدى محاكم (ستريت ستانمت - سنغافورة) :
ماقولكم سادتي أدام الله النفع بكم للأنام في الله ووالله المرف بكَيْتَالَارُوش هل يجوز التداوي به
أم لا فاني كثير ما سمعت من انه (والله أعلم) بمزيج بعض المسكرات غير اني رأيت كثيرين
مدواو بين استعماله والوقوف على الحقيقة أحييت أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجيا
منكم نشره في أحد أعداد المآثر والجواب عنه بلا أو نعم ليقف عليه كل من يريد
الاستفهام عنه ودمتم وعناية المولى تروا كم :

(ج) نعم يجوز استعماله إن احتاج إليه فإنه ليس مسكرا في نفسه ولا يجب على المريض
البحث عن الادوية التي يصفها له الطبيب ليرف هل فيها جزء من بعض المسكرات أم لا وإذا
عرف أن فيها شيئا من ذلك فلا يحرم عليه استعمالها إذا احتاجه للتداوي وإنما يحرم عليه شرب
المسكر لأنه مسكر. وإنما حرموا القليل من الخمر لأنه يدعو إلى الكثير كما ثبت ذلك نظرا
واستدلالا وتجربة في كل زمان ومكان فشارب القليل لأجل الأذى والنشوة عاص ومته إلى
الفسق بما يحرمه ذلك إلى الاكثار وليس في شرب الدواء الذي فيه جزء من مسكر
لأجل التداوي بالمقدار الذي يعينه الطبيب سكر ولا قصدا إلى السكر ولا خوف من
الوقوع فيه

(س ٥) صلاة مكشوف الرأس — محمد افندي حلمي كاتب سجن حلطا : رجل
شافعي المذهب يصلي مكشوف الرأس مع وجود عمامة وطرايش عنده فهل يجوز ذلك ؟
(ج) لا يشترط لصحة الصلاة من الملابس إلا ما يستر العورة وهي عند الشافعية
ما بين السرة والركبة فصلاة من ذكر صحيحة ولكن الله تعالى أمرنا بالتجمل عند الصلاة
قوله « خذوا زِينَتَكُمْ عند كل مسجد » ومن التجمل والزينة في عرف الاسلام ستر
رأس بالعمامة وقد استبدل بها كثير من المسلمين غيرها كالطربوش فستر الرأس في
الصلاة مطلوب شرعا وتركه مذموم إلا لعذر وهو من شعائر النصارى

(س ٦) تمثل جبريل للنبي ص — ومنه : هل رأى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام
جبريل عيانا وهل كان يجيئه بصورة أحد الصحابة وإذا كان هذا صحيحا فالدليل عليه ؟
(ج) جبريل هو الروح الذي كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وكما جاء في الآيات ما يدل على ان النزول كان ووحايا كالنصير بالنزول على القلب ورد فيها ان النبي رأى جبريل وفي ذلك نزل قوله تعالى « علمه شديد القوى » الى قوله « ولقد رآه نزلة أخرى » ولكنهم قالوا ان هذه رؤية ملكية روحانية أي رآه كما خلقه الله تعالى . وورد في الاحاديث الصحيحة انه يمثل له الملك رجلاً أي كما تمثل لمريم عليها السلام بشراً سوياً . وهذا التمثل أيضاً روحاني والذين يدعون رؤية الارواح من الصوفية وغيرهم يقولون انها تمثل لهم بصورة بشرية . وورد أيضاً انه كان يراه بصورة دحية الكلبي فاما تمثل الملك له بصورة رجل فقد ورد في الصحيح عند الشيخين وغيرها . واما رؤيته بصورة دحية فقد رواه الطبراني عن أنس وإسناده ضعيف

(س٧) المراج والرؤية — هل عرج سيدنا محمد إلى السماء بروحه وجسمه أو بروحه دون جسمه وهل تشرف برؤية الحق جل شأنه عياناً أو بقلبه وإذا كان كذلك فهل يوجد إثبات ؟

(ج) اختلف العلماء فيما ذكرتم لانه لا يوجد دليل قطعي بيمين شيئاً من هذه الوجوه والاقرب الى العقل ان ما روي من ذلك فهو روحاني . وحديث المراج على الخلافه ورد في أحاديث آحادية تفيد الظن ولكن رؤية الحق لم تثبت بحديث مرفوع صحيح وقد سئلت عنها عائشة رضي الله عنها فأنتكرتها كما ورد في الصحيح وقالت « لقد قف شعري » الخ وورد في صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل : هل رأيت ربك فقال « رأيت نورا » وفي رواية « نوراً أرى » أي انه لم ير الا النور او ان النور منع من رؤيته وليس المعنى ان الله تعالى نور « ليس كمثل شيء » وقال الامام الغزالي في الاحياء : الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رأى ربه ليلة المراج : والذين يثبتون الرؤية يروونها موقوفة على ابن عباس في تفسير « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » والمعروف في اللغة ان « الرؤيا » هي ما كان في المنام و « الرؤية » ما كان في اليقظة وعلى كل حال يجب ان تعتقدوا ان الله تعالى منزّه عن صفات المخلوقين فلا يمكن ان تكون رؤيته كرويتهم وان ما ورد يحمل على كمال المعرفة التي تستغرق الروح وكل مداركها والله أعلم

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ - تابع ونبع

(حب الزينة وحب التميز)

ولست من محبي الأمور الفانية ولا المفرورين بها ولكنني أحب ذلك السر الرباني الذي به أتم خواص هذه الأمور مفردة ومركبة . وبه تتصرف فيها على أمثلة لا يبي مجموعها عقل واحد . وأنكم تعلمون أن ذلك السر الرباني الذي أودعناه من أعظم خواصه محبة الجليل .

وحرام على من لم يروا بصائرهم شيئاً من أسرار الصنعة الالهية أن يخوضوا في علم الاخلاق وعلم شرائع الاجتماع .

احفظ لي أيها القاريء هذا الكلام لعلك تذكر وتدبر اذا قاجأتك في مخالفة بعض كتاب هذا العلم .

الحياة لانسان لوازم : هن حاجاته الضرورية . والحيوانات تشاركه بظواهرها . وتوابع : هن حاجاته الكمالية . وليس للحيوانات حظ بأشباهها . ويمكننا باعتبار الاول والثانية ان نقسم حياة الواحدة الى قسمين : حياة الجنسية . وحياة النوعية .

الحياة الجنسية يمكن حصر ما به قوامها . فالغذاء قد يكون من الاعشاب كدأب آكلة الثبات من الانعام وغيرها . وليس هذا مبني على خيال شمري يضل به الزهد فيما تقبله طبيعة الانسان بل هو مجرب محسوس أثبتنا بالفعل قوم أوحى اليهم الوهم ما أوحى من نبذ ما خلقه الله للبشر .

والإرواء قد يكون حجراً كأوجار الوحوش . وقد أتاح الله لنا ان نشاهد بالذات معيشة بني هذا النوع في الفيران ولا أعني بالذين شاهدناهم قوماً من اخوان الوحوش في السيرة والطباع والاقطاع عن الانس . بل هم فئات من زراع هذه البلاد أو لوطاغية وراغية وأولو حرث في بلاد ذات زرع وحب الحصيد .

والكساء قد يستغنى عنه وقد يكون من جلود الصيد أو الانعام . ولدينا قيلة يقال لهم الصليب لم نشاهد من اكسيتهم غير جلود الآرام التي جل غذائهم من لحومها . والوقاع لا يحتاج منه الى أكثر مما في طبيعة النوع من تواضي أنثى وفحل ونحيدنا بها

لهذا الامر يسأقي مافي الفطرة .

وبهذا القدر الذي مثلنا به تحفظ الاشخاص ويبقى التنوع كما حفظت أشخاص السوارح المجاموات وأنواعها .

قلنا ان هذا القدر يمثل لنا الحياة التي يمكن ان يعيش بها الانسان ويتنسل . وهل يمكننا أن نقول بوجود شيء يميز الانسان عن باقي الحيوان في هذا المثال من الحياة ؟ . قد كان يمكننا ان ندعي وجود مميز لو كان له مع هذه الحياة أفكار عالية . وهيات فقد أنبأنا التاريخ ان الانسان كان ممدما من الأفكار العالية يوم كان يعيش مثل هذه المعيشة وكذلك بلونا الذين يحيون هذه الحياة في يومنا فلم نجد لديهم نغلى إدراك ينفون به على الغابرين . بل ان وعد الله حق وان الانسان بمجده ارتقى ولكن كان ذلك منذ طفق الاستعداد النوعي تجلي مظاهره ، وتجلي مناظره ، وان يبرح في رقيه مادامت الغبراء في ازاء الزرقاء . تجلى عليها شمسها ونوניה من لدنها نظاما .

عرفنا لكم الحياة الجنسية بالتجلى وبه أوضحنا قولنا انه يمكن حصر ما به قوامها . أما الحياة النوعية فمن الصعب جعل حد لما يماق بها كما كان من الصعب تحديد الاوهام والافكار التي هي تابعة لها . ولكن يمكن ان نقول ان أكثر الاشياء التي هي من فروع الحياة النوعية تابعة لناموسين عظيمين من طبيعة النفس الانسانية هما (١) حب الزينة و (٢) حب التميز . وتكلم فيهما على الافراد لشدة الملاقة بينهما .

﴿ حب الزينة ﴾

نأخذ من اتمهيد المقدم كلمة نقولها هنا : لو كان الانسان هو الآكل للمواقع لكان من السهل في معرفة ما هو ان نقول « هو آلة من جملة هذه الآلات الكونية لا تتحرك بأصل صنعها » ولكن هنا فصول وقبود كثيرة زائدة على هذين الوصفين لا نريد الآن ذكرها كلها بل ذكر واحد منها وهو كونه « محباً للجميل » . فهذا التقيد وحده يمنعا ان نقول في تعريفه ذلك الكلام ونجملنا تنكر وسما في خصائص هذا المخلوق الكريم ، المصنوع لامر عظيم ،

من تأمل في الانسان وجد الموائم محشورة في ذرات صغيرة من مواقع ادراكه . ووجده حاكفها بأحكام كثيرة وزم ثلها يده . بعض تلك الاحكام له نسب بالحقيقة متصل .

وبعضها له سبب الى طائفت الوهم ممدود .
 أما الذي يتماق بالوظائف الطبيعية لحياته الفكرية من تلك الاشياء المتكررة فهو
 تقسيمه المحسوسات والمختيلات الى قسمين مستحسن محبوب ، ومستقبح مكروه .
 — ماهو الحسن ، ماهو الزين ، ماهو الجليل ؟ —

الحسن والزين والجميل كالحسن والزينة والجمال ، الفاظ متعددة تدل على معنى واحد
 عند رواد اب البيان . وعلى ممان متقاربة عند رواد القشور . وتعدد الالفاظ مع توحد
 المعنى (وهو الذي يسمونه الترادف) لا عيب فيه على لغة لانه كما عند الخليل لكاسية
 واحدة . ولكن بعض المتورعين في حفظ الدلالات اللفوية من طوارق النسيان يجهدون
 ان لا يثبتوا الترادف بادعاء ممان متقاربة أو فروق لا تكاد تذكر في مثل هذه المترادفات
 ولا نيب فمأهم هذا فان له فوائد ولكن نسألهم ان لا يعيروا قولنا بترادف هذه الكلمات
 التي رمنا بتعديدها تفسير بعضها ببعض وبيان ترادف ما اشتقت منه ليم من قولنا
 « حب الزينة » اعلام بحب الجمال الطبيعي كلصناعي وقد حملنا على هذه الايضاحات
 امامه من تقربق الاصطلاح وأهله بين هذه المتحدات تفريقا انفضى الى تشتيت
 الفهوم . وهنا استغفر من هذا الاستطراد الطويل وارأوجه المقام .

نعود الى معرفة حقيقة الحسن الزين الجليل ثم نسأل نفسنا وغيرنا ماهو الحسن ؟
 ماهو الحسن : ماهو الاستحسان : ماهو حب المستحسن : ماذا نستحسن ؟ لماذا نحب
 الحسن ؟ لماذا نخاف بالاستحسان ؟ ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو
 مستحسن فيفرم به ؟ هذه مسائل تحظر في بال كثيرين ولكن قل ان تجد في حجرات
 السرائر مقرا تقيم فيه برهة طويلة ، استدل على ذلك بعدم ثبات ارادتنا ومشربتي
 النوع الاهم الاقايلا من أحكم الحكماء الذين تركت ارواحهم فكانوا بالأسرار من
 العارفين ولا جناح علي ان اعترف بأنني لأملك تلك الماكة التي بها يتيسر الجواب عن
 كل مسألة من هذه الشروحات . ولكي أضن ان هذا لا يكون مانعا من عرض ما استفادته
 افكر من ملاحظاته في علمي الشهادة والقياس . فاشد مساح في هذين العالمين في سبيل
 اكتشاف هاتيك الشؤون .

(١) ماهو الحسن ؟ — نجيب عن السؤال الاول جواباً يفتح كل مقلق امامه

من المسائل فقول :

الحسن ان كان محسوسا فهو مابني بالحاجات ويزيد عليها أمور اتبسط النفس برآها
لتناسبة ما خفية تنفذ في النفس ويظهر للقارئ ان هذه التناسبة بقاءها خفية بقي الكثير
من اسرار الاستحسان في المحسوسات غامضا وستأتي زيادتيان ،
وان كان الحسن غير محسوس فهل هو ما يستحسنه كل عقل لنفسه؟ كلا بل هو
ما تنفي العقول السامية كلها أو جلها على استحسانه ويجب ان نوضح هنا بأنه لا عبرة
بكثرة الذين يستحسنون الشيء تقليداً بل العبرة بكثرة الحكماء الذين يستحسنون الشيء
عن طول تفكير ، واذا وجدناهم مختلفين في شيء وفي جانب كل حزب كثرة فان
لاصحاب العقول من أهل الزمان الذي هم فيه ان يفكر واكبتفكرون ولهم ان يصرحوا
باستحسان ما استحسنوه فليس ثمة اغلال للأفكار . ويحتاج في الاذهان ان حرية الاستحسان
في غير المحسوسات توجب انفراجا واسما بين الافراد . وانه لا يكاد هذا الظن ان يكون
صواباً لولا سببان عظيمان احدهما ان توسع حاجة النوع الى الاجتماع وتوسع حاجاته في
الاجتماع قد ضيقا بالتدرج ذلك الانفراج من قبل ان يتسع انساغا عظيما ، اذ كما تتسع
أشياء من الضيق تضيق أشياء من السعة . الثاني ان المسلم الذي رزقه مجموع النوع
قد قارب بين الأفكار بأنواع خاصة - سيجيء بيانها - وبهذا القارب صار الافراد
الذين لا يحصون جماعات تحصى . ومن المشاهد ان لكل جماعة مستحسنات عامة لا يستكرها
الافراد وان لم تكن حسنة في الحقيقة لانهم مقلدون . واكثر هؤلاء الجماعات يذهبون
الى ان الحسن ما حسنته مذاهبهم الدينية على انه مهما بالغ المبالغون في حبس حرية
الأفكار فلا يسمعون مناقشة الناس اذا بدا لهم ضد ما حسنته المذاهب بل يضطرون
الى المجاملة بضروب من الاصطلاحات معروفة لمن مر بتلك الابواب . وبمثل هذا
كانت ولا تزال تحصل التغيرات في العالم ويجب ان لانكم ان حكماء الناس هم حكماء
الأفكار ولكن قد تصير فترات تضيق فيها الحكمة ويقوم الناس يتحلون لانفسهم هذه
الوظيفة بصيغة أخرى فيحيون ضالين مضلين . وفي هذه الايام يصير غير الحسن حسناً .

يقضي على المسرة في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
هذا والمقام يحتاج الى فضل بيان ولكننا اجلنا اجمالاً فن لم يبع مافي باطنه كفاه

ظاهره الواضح .

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محسوس أو متخيل لا يمكننا تلميل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان الله العامة في استحسان الاشياء هي مناسبة تقدر في النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبة والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (اذها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات من حيث هي - طبيعية في النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة . ونعلم ان هذه المصانع من المميزات العظمى لهذا النوع . ونعلم ان الانسان سيتسامى رقيه مادام يستحسن ويسمى وراء ما يستحسن بهتمام يسوق ، وأمل يقود ، وعزم يعين .

باب التمسك بالتي هي أحسن

— شكوى الامهات من تربية البنات —

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهن في مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى في إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلقات وكونهن لا يحفلن بغير اللهو والزينة والعزف باليانو ونحو ذلك من الترهات ، ولم تصادف هذه الشكوى أقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما شكوى من الامهات إحداهما بامضاء « ابنة قبطية » والثانية بامضاء « ابنة شاكسة » وغوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التعليم لا يفي عن التربية شيئاً وان كان في نفسه نافعا .

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات ، ويحرك سواكن هم البنات ، ونظنا انه اذا ثارت الكنائس ، واهترت الدفائن ، وفار في الجدل التور ، وحصل ما في الصدور ، فانه لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الا ان تقتصر بنت بأنها أصلحت

من بيت أبيها ما كان فاسدا ، ونظمت ما كان محتلا ، أو تتعذر ام بأن بناتها كذلك .
وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون القنب
في ذلك على الآباء والامهات ، فإن الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل
هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبه من السوريات ثم من القبط ،
والسوريات هن أخلاق ورائية وعادات تقليدية ليست للمصريات وإن كانت محجرتن
الى مصر من زمن بعيد وترى بناتهن في مصر وتعلمن في ، وأما نساء القبط وبناتهن
فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقهن في بعضها ، ومسافة الخلف
في التعليمات من الطائفتين أوسع فإن القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس
الرجال في زيارتهن كنساء الأفرنج بلا فرق فلابد أن يكون لذلك أثر في سيرتهن لا يعرف
في المسلمات اللواتي هن أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للتعلم حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد
التعليم فإن من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في
مدارس الجزويت أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الأمريكان
أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الأهلية الإسلامية أو القبطية . ولكل نوع
من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خفا كبيرا في الاخلاق
والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكسار التي
يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية
في البنات . الامة هنالك واحدة والمدارس طريقة واحدة والتربية العامة نظام واحد
فاذا شك بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تصبر شكواهن ميزانا للتربية
في الامة وإن قول ان ما يصدق على هؤلاء ، يصدق على من في طبقتهن فاذا رأيت الشكوى
من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا
استغنى بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فإن القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع
أفراد الامة والشذوذ فيها مطرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين ، والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبران قلم البنات في مصر سطحي كيقولون وانهم عند من ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلون عن مساعدة أمهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن أنهن أرفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت النقية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكن متميزات بمعرفة مالا يعرفه سائر البنات من اتيان اللغات الاجنبية واحسان المزف باليانو والتفنن في بدع الزينة ، ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج ، والاسباب الصحيحة للسعادة والاتباع ،

وأما البيوت التي يحتاج فيها المساعدة البنات والتي يعسر على أمهاتها موافاة رغباتهن الجديدة التي أحدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من قصر البنات في مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدنه الا ان يسهل عليهن اطلاعه على عوراتهن ، ووقوفه على مساوئهن ،

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكتبتان صاحبتا الرسالتين في المقطع بأن الذنب على الوالدين لاعلى البنات فانهما يعلمان بناتهما الانهم مالا يربيهن وحسن الحال في المعيشة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توقفه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي أكثره فيما لا عمل فيه ، إذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل ، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة ، والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فمن لا تربية له لا يسمع علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صورا خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب ،

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تربية البنات المتعلقات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فإذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ، ويزيدها اعراضا عن العمل ، ويبغض اليها عادات أهلها وقومها نافمة كانت أو صارة ، ويوجب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان أعجز الوصول اليهما أباهوا أمهاتها فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب ،

ومقاومته ضربة لازب ،

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلّقات وسوء حال غير المتعلّقات هو - كما قيل - سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة، ولكن أليس من الضروري أن يكون سوء الاخلاق الذميمة ، وقتك العادات الرديئة ، أقل تأثيراً في نفس المتعامّة منه في نفس غيرها ؟ أليست قائدة المسلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع ، والصالح والفساد. أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية. فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف ، وسأوتها في ضعف الارادة ، والخضوع لسلطان العادة ، أليس من المعقول ان يتنازع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غالب فيه مبدأ دخول الاسلح المطلوب ؟؟

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على أكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان أخلاق الناس في كل بلاد نمرقها أرق من أخلاق أهل هذه البلاد كما ان عاداتهم أمثل من عاداتهم، على ان التعليم هنا أكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي نضينا والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا ان أكثر الفساد والفجور لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتخلل في أحشائها الا بالتعليمين فكأنهم لم يتعلموا لاجل العمل الا شرب الخمر ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة البهيمية حاشا نقرأ بعدون على الاناملهم الذين أفادهم العلم وخدمهم من الوف المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية - سواء كانت للحكومة أو للأجانب أو للاهاليين - لم يقصد به الى إصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصريين سعداء أعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الا بمن يفارون على الامّة ويرون سعادتهم بسماعاتها وعزمهم بمنها، ورؤسا الحكومة المصرية ليسوا كذلك، والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك ، ومنشوا المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل أهل البصيرة في مصر وربما نشرحه في مقالة أخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انه لم يقصده اصلاحهن ولا إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمائه بأيديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوام عليها (والمدارس الالهية مقلدة لهذه المدارس تقليداً عمى أصم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزبي بأزياء نسائهم ، واستحسان عادات قومهم وتمظيم شؤونهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طمعة لهم . ومن تراء اتفع تعليمهم من ذكر واثني وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمونة استمداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهى أمام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لا يرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا وترتقي به أمتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذنهمضت بهؤلاء الامة الى إنشاء مدرسة كاية تناط بإدارتها برجال الجمعية الخيرية الذين أثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح الماجل ، والخير الآجل ، والاكنوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون له الا بعد فوات الفرصة ، ووقوع الفسدة ، والامر لله العلى الكبير

اثان على البرية

— (التقرير) —

(ارشاد الاباء * الى طريق تعاليم الف با)

في أيدي الناس ألوف من الكتب المؤلفة في العلوم والفنون ولكن أكثرها متشابه لان بعضها في الغالب منقول من بعض مع احتصار محلى أو غير محلى وزيادة منارة أو ناقصة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمقدم منهم من أحسنه ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقناً أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء واتقنه لا يكون علماً ولا مفيداً للعالم ولا مستفيداً له وإنما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم

من ينظر في ذلك بين البصيرة والاستدلال . ومن نزع عن عتقه ربة التلبد هدي
الى الاستفادة والافادة حتى يصح ان يقال في تأليفه انه له وان فيه علمه وحتى ان
الباحث المجتهد ليفيد في كل موضوع وان كان ما يفهمه الناس بديهيا لاجمال فيه للبحث
. امانا الآن كتاب «ارشاد الابا . الى طريق تعاليم ألف با» الذي وضعه حديثا
الشيخ طاهر الجزائري الشهير واسمه يدل على موضوعه ، فقد سلك فيه صاحبه مسلكا
في الاجتهاد لم يخرج فيه عما قاله أئمة اللغة العربية ولكنه أحسن الاختيار والتصرف
فقرب البعيد ، وبسهل الحزن ، وذلل الصعب الجامع ، حتى أخرج لنا علم الاوائل في أحسن
صورة انتهى اليها رقي الاواخر . فلا يتوهمن أحد من الاسم ان الموضوع بديهي
لا يحتاج المؤلف فيه الى سعة اطلاع ، ولا براعة في الوضع والتأليف ، وان لا ينتفع
بهذا الكتاب ، الا معلم الكتاب ، كلا انه كتاب لا يستغني عنه معلم عربي مهما علمت
منزله في العلم . وان كان كؤلفه في سعة الاطلاع وقوة الفهم ، فان هذا الرجل أعلم
علماء سوريا في العلوم العربية بل هو أوسع من تعرف اضلاعا على مؤلفات المتقدمين
والمتأخرين من أهل هذه اللغة مع تمكنه في علومها . واننا نود ان نطلع عليه جميع
علماء الازهر وجميع معلمي العربية في مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فغنى
ان يتبني لذلك شيخ الازهر ومفتشو العربية في المعارف ونظار سائر المدارس فيأصروا
بنشر هذا الكتاب في مدارسهم

لواردنا ان تنشر ما نطوى مافي الكتاب من مباحث الحروف المفردة والمركبة
ومباحث الطاق والكتابة والتعالم ونورد طائفة من الشواهد والامثلة التي وردت
فيه تهيلا لسبيل التعالم لاطلنا في التقريط ولا سعة هنا للتطويل . وقد طبع الكتاب
في بيروت طبعا حسنا على نفقة الشيخ أحمد طباره محرر جريدة ثمرات الفنون الفراء
ونضبط فيه ما ينبغي ضبطه وصفيحاته ١٤٤ وعين النسخة منه أربعة قروش وهو يطلب
من ادارة المنار ومن مكتبة أمين افندي هندية

(رسالة ألف با) هي رسالة مستخرجة من كتاب (ارشاد الابا) لاجل التعالم
وهي توافق الطرق الحديثة في التعالم على انها مقتبسة من وضع اللغة المتقدمين وصناعاتها
٣٢ وعين النسخة منها نصف قرش صحيح وتطالب من مكتبة هندية أيضا

﴿ تدبير الاطفال ﴾

كتاب حديث في فن تربية الاطفال وتدير أمرهم في الصحة والمرض من تصنيف
الدكتور اسكندر جريدني بك مساعد استاذ الفيسيولوجيا سابقا في كلية مار يون
سمس الطبية في سانت لويس امريكا . ابتدا المؤلف كتابه بفصل في تدبير صحة الحوامل
وأعراض الحمل وحال الولادة ثم تكلم على تدبير الاطفال منذ يولدون فلم يترك شيئا
يجب ان يبحث فيه الاوفاه حقه ولم يقتصر على الكلام في الوقاية من الامراض الجسدية
ومما جلبها بل بحث في تربيتهم النفسية ايضا واطال القول في ثيابهم وغذائهم وخدمتهم .
وكلامه في العلل والامراض التي تطرأ عليهم سهل يفهمه كل متعلم ومتعلمة . وجملة
القول في هذا الكتاب انه نعمة كبيرة على قراء العربية وانه لا يستغني عنه بيت من
اليوت فنبحث جميع المتعلمين على قراءته ونخص الامهات بالحث عليه . وقد طبع طبعا
حسنا في مطبعة الهلال وصفحة ٢٦٨ وثمان النسخة منه ١٢ قرشا صحيحا وأجر البريد
قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ الالفاظ المترادفة ﴾

رسالة للامام أبي الحسن علي بن عيسى الرماثي (رحمه الله تعالى) اعنى بشرحها
وطبعها محمد أفندي محمود الرافعي بعد ان صححها وضبط ألفاظها على الشيخ محمد محمود
الشفيعي امام ائمة في هذا العصر . والمراد بالالفاظ المترادفة فيها الالفاظ التي يجمعها
معنى عام وان كان لكل لفظ منها معنى خاص يفاير الآخر فهي في المفردات نحو كتاب
(الالفاظ الكتابية) لله مداتي في الجمل ولكن فيها من الفوائد ما لا ينفي هو عنه وقد
طبعت بالشكل في مطبعة الموسوعات وتباع في المكتبة الازهرية وثمان النسخة منها
قرش ونصف فنبحث طلاب العلم لاسيما المشتغلين بالكتابة والشعر على اقتنائها ومطالعها

﴿ مراقبي الترجمة ﴾

صدر الكتاب الرابع من مراقبي الترجمة من الانكليزية الى العربية وبالعكس
وهو خاص بلامذة السنة الرابعة في المدارس الابتدائية . ومن فوائد هذا الجزء
انه مشتمل على مسائل الشهادة الابتدائية في الترجمة التي امتحن بها الطلاب في المعارف
من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣ فنشكر لمؤلفه ونشره أبي زيد افندي فايد عمله ولما ساعده

على التأليف عبد الحميد افندي الشريفي ومحمود افندي عثمان عتالة (الثلاثة من المدرسين في مدرسة الناصرية الاميرية) ونحت جميع متاعى الانكليزية على الاتفاغ بكتابهم وبنه قرشان ونصف قرش فقط

﴿ المقامات العشر * لطالبة المصر ﴾

انتخب الشيخ محمد المبارك الجزائري عشر مقامات من مقامات الحرري واختار ان يقرأها طلاب العلم لتكون مادة لهم في اللغة وقد شرحها ليسهل عليهم فهمها فطبعا على نفقة الشيخ أحمد حسن طياره محرر جريدة «ثمرات الفنون» الفراء في بيروت وجعل من النسخة منها ثلاثة قروش ولعل محبي هذه المقامات من طلاب العلم يكتبون بها ويحبون فهم الاستفادة من مفرداتها من غير غناية بأسلوبها، وهي تطالب من مطبعة هندية

﴿ ملكة على عرش القراءة ﴾

اسطورة انكليزية تشرح بعض عادات المصريين الاولين وراعتهم وموضوعها ان فرعون موسى عشق غادة مصرية اسمها تاهوسر كانت عاشقة للشاب الاسرائيلي بويارى مدير الاملاك الخاصة بالاسرة المالكية وكان من كبار الاغنياء وكانت الفتاة من اولاد اكابر الكهان ذات ثروة عظيمة ولم تجد سيلا لتقرب من معشوقها الامغادرة قصرها متكررة بزي فقيرة والدخول في قصره والانتظام في سلك خوادمه لعلها تستميله بما يشاهد من جاهها وكمالها ولكنها السوء حظها علمت بعد ذلك انه عاشق لفتاة من قومه اسمها راحيل على ان الفتاة الاسرائيلية رضيت بأن يجمع خطيبها بينها وبين المصرية اذا هي تركت دين قومها وعبدت مع الاسرائيليين إلهها واحدا وكشفتها بذلك وأخبرتها بأن سيخرجون مع موسى من مصر فرضيت المصرية بالخروج معهم ولكن خادمة راحيل دلت فرعون عليها فأخذها الى قصره وكان يستميلها فلأتميل اليه حتى اذا ظهر موسى عليه السلام يدعوه الى ارسال بني اسرائيل معه صارت تلين له القول ليسمع نصيحها له بعدم التمسك ببني اسرائيل وفي الاسطورة من خبر موسى مع فرعون ما يصح وما لا يصح ومن فوائد هذه القصة العلم بأن بعض الاسرائيليين كانوا مقرين من الفراعنة لاحاسامهم خدعتهم وكانوا أصحاب ثروة واسعة على ما بني به قومهم من الظلم والاضطهاد، ومنها تمايل عشق فرعون لفتاة وتذللها بأن نساءه على جاهن البارع كن يعاملنه

معاملة العبد للمعبود وإن حظ الرجل الطبيعي من المرأة هو أن يكون لها سلطان على قلبه نظير سلطانه على قلبها وإن يعامل كل منهما الآخر معاملة التظليل والتظليل في الشؤون الزوجية وذلك مأعوز فرعون حتى التمس في عشق الفتاة فوجده لولا أنه لم يستطع امتلاك قلبها كما ملكها قلبه . ومن الخطأ فيها نسبة الكذب الى موسى عليه السلام وزعم أن فرعون لم يكن يعرفه قبل بسمته وأنه بسمت وهو شيخ كبير وإن المصا كانت لهرون وكان هو الذي يعمل بها العجائب بأمر موسى عليهما السلام وغير ذلك وهو خطأ ضار . أما ترجمة الرواية فحسنة ومترجها تقولاً اندي رزق الله وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة بمصر وعن النسخة ٨ قروش

بِأَسْمَاءِ الْحَسْبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

﴿ وفاة حسن باشا ناظر البحرية ﴾

تنقل ترجمة هذا الوزير عن جريدة (محمدان) الهندية كآهلتها عن جريدة الاخبار الاسلامية (مسلم كرونيكل) وهي رسالة لمكاتب هذه في لندن مأخوذة من رسالة من الاستانة كتبت في اليوم الثالث لموت الوزير . وقد نشر في بعض الجرائد المصرية ترجمة الرجل على نحو ما في جريدة الدولة الرسمية خالية من كل عبرة وفائدة وذلك ان جرائد المسلمين في مصر تنحو في الاخبار الثمانية منحى جرائد الاستانة وسوريا وهي لا تنكاد تنشر الا ما يوافق الاهواء . ومن هنا استدلل على كون جرائد المسلمين في الهند أرقى حرية من أخواتها في مصر ولعل سبب ذلك ان القارئين صاروا هناك أرق منهم هنا في الحرية اذ يحبون ان يعرفوا الحقيقة لا ان يتلذذوا بالمسح وأن كان كذباً . قال المكاتب ما ترميه :

الرأي العام يجمع على ان قوة الدولة العثمانية الحرية توازن قوة أية دولة من الدول الكبرى ولكن بحرية الدولة صارت من عدة سنين قرحاً في جسمها ومرضاً في بنيتها وقد كانت الى عهد حرب القرم بحيث لا تقل عن قوة فرنسا وروسيا ان لم تكن من أعلى القوى البحرية . لذلك كان مما يشير العجب ان لا يكون لتركياء موقف مع الدول البحرية لهذا العهد . وقد علم قراء (الكرونيكل) من رسائلنا السابقة في هذا الموضوع الاسباب والاحوال

التي هبطت ببحرية الدولة الى هذا الخفيض . وكل هذا المربوط والتأخر ينسب الى رجل واحد استحق لعن الامة التركية - هذا الرجل البفيض هو حسن باشا حسني مات حسن باشا حسني ناظر البحرية العثمانية أول أمس وكان يرجو الناس موته من زمن بعيد وكان موته في قصره بلكوروششمه على ضفة البوسفور وهو في سن الثمانين ولم يعرف في تاريخ البشر من أول الخليقة الى الآن رجل كان أشد بغضا ومقتا الى أمته من هذا الرجل الذي مكث في منصبه هذا نحو ربع قرن . ولي البحرية العثمانية وهي في الدرجة الثانية من قوى البحرية الاوربية وتركها وهي أدنى القوى البحرية في العالم وأضعفها . ولقد تستحوذ الدهشة على الانسان وتلكم الحيرة اذا حاول فهم سبب اهل البحرية من دولة حرية عارفة بمكانة القوى البحرية في هذا العصر . على ان هذا الناظر لم يكن أقل علما من أعظم أسراء البحر في أوروبا بل المشهور عنه أنه كان من أمثل أسراء البحر في الدول البحرية العظمى وأمهرهم وأحدثهم ولكن هذا الرجل الذي كان من أكبر رجال الدولة هو الذي أضعف تلك القوة العظمى عامدا متعمدا وقد وصفته إحدى الجرائد التركية اليوم بأنه أعظم عبيد السلطان أمانة وأشدهم استقامة ولكن أفكارنا وشكل الحكومات الراقية في هذا العصر يحولان دون الاعتقاد بأن الخائن لأمته ودولته ، يكون ناصحا لسلطانة وصادقا في خدمته ، ذلك لان التصح للعاهل والاخلاص في خدمته أمران لازمان لحكومته اذ لا معنى لخدمة الحاكم من حيث هو حاكم الا خدمة الحكومة التي هو رئيسها . وكان فساد طوية حسن باشا وتركه محاسبة نفسه واستفتاء قلبه حال دون التمييز بين الرجل من حيث هو حاكم ومن حيث هو شخص ربما يرجي نفعه ويخشى ضرره . لذلك كان يقضي ليله ونهاره مدة ربع قرن في تجريد السفن الحربية من جميع عديتها التي تكون بها صالحة للحرب . ولا يدري أحد من الناس أين صرفت الاموال العظيمة المخصصة للبحرية في ميزانية الدولة اذ لم يطلب أحد بحسابها بل كان مطلق التصرف وتمتعا بالسلطة التامة في نظارته الى آخر حدودها وكان يولي ويمزل من شاء من غير سؤال ولا مراقبة من أحسد نافذ الرأي . مطاع الامر في نظارته وفي مجلس الوزراء بل وفي قصره بلذ نفسه .

واقدمات موته شذيمة سبغها امراض عاثت في جسمه سنة كاملة كان فيها موضعا لسبعين نوعا

من الاعمال الجراحية وذق فيهم من الآلام مالا يطاق، وكان يجتمعهم وهو يتقلب في غمرات الموت بهذه الكلمة قوية وندما ما جئنا اذ جئت وحدي ولكن كان لي شركاء، او ما هو في مضاهوا سيكون موته عبءا لغيره ممن يدفعون الى الجري على سنته

عين حسن باشا ناظرا للبحرية ولم يكن يملك شيئا حتى ولا دينارا قيم فيه ومات بالامس وهو يكاد يكون أغنى رجل في تركيا وتقدر ثروته المتقولة والثابتة بثمانية ملايين من الجنيهات وكان دخله السنوي مئتي ألف جنيه وكان يشتري كل ما يباع حينما وجدته وإن لم يكن قادرا على كمال الانتفاع به لانه لم يكن يسمح له بالخروج من القسطة المحلية. وقد أقبل الناس هنا (الاستانة) على الجرائد التي نمت بالامس واشتروا منها عددا عظيما وقد أخذتهم روعة من السرور استغرقت شعورهم وطفق يهني بعضهم بعضا بالجهر من القول بكمال الحرية، وكان الفرح عاما في السواحل البحرية فان أتراك الاستانة وسواحل البحر الاسود وبحر صرمه والساحل الشرقي للبحر الايض المتوسط وخليج العجم مولعون جدا بالبحرية فالسفينة المدرعة أبهى في نظرهم من الخيلس العرمرم من الجيش. ولو كانت ترجمة الرجل الرسمية مما يستحق الضاية لنقلتهما من

الجريدة الرسمية بحروفها ذلك أن أعماله قليلة جدا فلا نصيب لها من التطويل كان حسن ولدا لباشا فريق في البحرية ولا ينبغي أن يمتدانه ارتقى بنسبه بل كان انجب التلامذة في المدرسة والمقدم في فرقته ومحبو الكل اساتذة ولما نال الشهادة من المدرسة البحرية التي كانت وقتئذ حديثة النشأة عين ملازما في السفينة المسماة (خداداد) وقام بخدمة الحكومة في البحر المتوسط على سواحل افريقية وسواحل الجبل الاسود وجزيرة كريدو والبحر الاحمر وشهد حرب القريم وأبلى بلاء حسنا في حرب سيستبول وكان بومثد أمير عمارة البحر الاسود في الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد أعجب الناس بنجاحه ومهارته بومثد في إنزال الجنود العثمانية في باطوم ترك حسن باشا اثني عشر ولدا أكثرهم مستخدمون في دار الصناعة (الترسانة) العثمانية. وكان يتكلم بالتركية واليونانية والانكليزية

— فتنه بيروت —

في بيروت رهط من الاشقياء يسفكون الدماء ويهينون الوحش ويسلكون في شروهم مسلك التحم من الديني فيزعمون انهم ينصرون الدين بفسادهم فاذا سمع

للمسلم منهم ان نصرانياً أهان مسلماً أو قتله يفعل كما يفعل النصراني اذا سمع بمثل ذلك
يتقم كل منهما للمنتسب الى دينه وان كان مجهولاً من أي مخالف له وان كان بريئاً ولم
توجد شريعة وضعية فضلاً عن شريعة الهية تأمر بأخذ البري بمجريرة الاثم لأنه يشاركه
في الانتساب الى الدين . وأشهر هؤلاء الاشقياء جان اسمه الياس الحلبي فقد بلغنا عنه
انه اذا غزم على الفتك بمسلم ما يذهب أولاً الى الكنيسة فيسجد للسيدة المذمومة عليها
السلام ويمس صورتها بسلاحه ويطلب منها الاعانة على الفتك باعدائه واعدائها . وما
كان المسلمون من اعدائها فانهم يبرئونها من الدنس ويحكمون بكفر قاذفها . ثم ينطلق
الى تجايتة قريش العيين معتقداً أنه مؤيد بتلك الروح الطاهرة التي هي أبعد الارواح
عن الرضى بهذه العدوان والشر الكبير . ويجهل هذا الشرير وصايا الانجيل بمحبة
الاعداء ولا يجد من يذكره هو وأمثاله بها كالأجد أشرار المسلمين من يذكرهم بوصايا
الكتاب والسنة ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا ظلم أهل الذمة أدبهم بالعدو »
رواه الطبراني عن جابر بن جابر . كانت الدولة دولة العدو . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
: « من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ربح الجنة » الخ رواه احمد والنسائي وقوله
صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية وليس
منا من مات على عصبية : رواه ابو داود عن جابر بن مطعم . وقوله عليه السلام
« العصبية ان تعين قومك على الظلم » رواه البيهقي عن واثلة بن ابان وهذه الاحاديث
بل اننا نسمع ان من وجهاء الطائفتين من يساعد اشقياءها حتى ان الياس الحلبي قد ترتب
له بعض الاغنيا في بيروت وكبار الموظفين في لبنان الرواتب الكافية ولا أحب أن
أذكر أسماءهم . وأعجب من هذا وذلك ان الوالي رشيد بك الذي عهد اليه السلطان
حفظ الامن كان هو الذي يضري بعض الاشقياء ببعض لينتفع من الفربق وكل أهل
بيروت ولبنان يعرفون هذا وقد نوهنا بسوء سيرته في السنة الأولى والسنة الثانية من
النار وقلنا ان السماء والارض تستجبران من ظلمه ولكن من يسمع لنا اذا كانت
الاستانة لم تسمع من المتظلمين من رعيته شكواهم عليه فقد علمنا ان طائفة من أهل
بيروت شكوه بالبرق الى السلطان وقد كان علم فسبقهم وأرسل اليه يقول ان طائفة من
من شعبة الترك الاحرار قيد أعينهم الحيل في تتبعي حركاتهم وسكناتهم فلاردوا ان

يتظاهروا مني الى مولاي بأمر تجرمون بها : فقبل السلطان قوله ولم يسمع لهم شكوى .
 وهذا الاهمال جبراً الى تفاقم الشرور ، وتفاقم الاحقاد في الصدور ، فكأن
 توري كما قدحت الحوادث بزندها حتى اذا قتل في آخر الاسبوع الاسبق بعض الابرار
 من المسلمين انتفجر البركان ، وتلاحم الفريقان ، وكان في أول الاسبوع الماضي ماكن ،
 كانت في بيروت فتنة عامة قتل فيها كثيرون من الطائفتين وجرح الكثيرون وتم
 الجند في إخماد النار وقتل منهم أفراد وهو أمر لم يسبق له نظير وزح عشرات الألوف
 من النصارى الى جبل لبنان : فموا معاملة الاخوان للاخوان ، ودخل وكلاء الدول
 في الامر وطالبوا من الوالي العوي رشيد بك ان يتعهد بحفظ الامن فأبى لعلمه بأنه هو
 المجرم بسوء سيرته لجميع الاشقياء بالعدوان ، حتى لم يبق له عليهم سلطان ، وقد ثبت هذا
 للقناصل بالبحث والاختبار فكتبوا بذلك الى دولهم وكان ذلك سببا في عزل الوالي
 العوي وصدور الامر لوالي سوريا ناظم باشا بالتقدم الى بيروت وإعادة الامن ومراقبة
 الحانة الى ان يمين لها وال جديد فصعد بالامر وأعاد الامن وأمر الناس بالعود الى
 أشغالهم بعد ما أثقلت المخازن والدكاكين وبطلت الاعمال كلها فابى النصارى الامتثال
 وقال مطران الروم للوالي ان أبناء طائفته لاثمة لهم بالامن الا أن يكون بم عهد من الدول
 الاجنبية . والحق أنهم يتقون به في قلوبهم ولكنهم اقتصروا الحادثة لتطلب ماذا

هذا ما يطمع فيه قوم منهم وبعضهم يطمع في جعل بيروت تابعة للجبل وظنوا
 ان هذه الحادثة فرصة تقتنم ويرجى فيها أن تساعد الدول على الالتحاق فتكون حكومة
 عروس سوريا أو عروس المملكة العثمانية (بيروت) مسيحية كما ان اقواها المالسية
 والادبية مسيحية وهم ممدودون في هذا الطاب وذاك من حيث هم مسيحيون إذ
 لو كنت في موقع كموقعهم لتميت ان يكون حاكمي مسلما ، ولكن لا عذر لمن يهدون لهم
 السبل لذلك من المسلمين بل الواجب عليهم ان لا يدعوا لهم منفذا للشكوى ان استطاعوا ،
 وامرني ان الحكومة قادرة على ذلك اذا كان الوالي مثل ناظم باشا وانني سمعت الناس في سوريا
 يلهمجون بأن مدحت باشا كان ألف بين فريقين في بيروت كاسر سوريا حتى صاروا كالاخوة
 في التعامل ويعتقدون ان ناظم باشا قادر على مثل هذا التأليف لاسيما اذا علم انه يرضى السلطان
 لما وقعت الحادثة وردت الرسائل من النصارى الى الحرث السورية ومن المسلمين

الى الجريدة الاسلامية (المؤيد) في شرح الحادثة وكل فريق ياتي انتمية على الآخر ويمد نفسه مظلوما وقد انتصرت كل جريدة لقومها معتمدة على ما كتب اليها وطلعت جرائد السوريين تلوم المؤيد بأنه انتصر للمسلمين تصبيا لهم وتنسى نفسها مع ان السوريين أعلم من المؤيد بحسب الفریقین ولهم علم بجزء ما في الرسائل من المبالغة ودونه وكانوا يقولون ذلك أحيانا مع الإحشاء على المسلمين خاصة الآن جريدة الاهرام كتبت كتابة الممناني المعتدل الذي يريد المصاحفة وان نشرت وسائل لصبر المعتدلين، ولو كان في سلطان على الجرائد لالزمها بأن تكتب في تأنيب الطائفتين كما كتبت جرائد بيروت الاسلامية والمسيحية (لا جرائد لبنان) بل لالزمت المسلم بشدة لوم المسلمين وانصراني بشدة لوم انصارى لان هذا هو الانفع في رأيي

سماية خاتبة

لما علم بعض الاشرار بالطبع ان الاستاذ الامام يقصد في صيف هذا العام زيارة بلاد الجزائر وبلاد تونس افترضوا ذلك فكاتبوا في السماية به الى حكومة الجزائر رسالتين إحداهما أرسلت من مصر والاخرى من الاسكندرية باسم الحاكم الفرنسي العام وفيهما ما فيها من قول الزور والاغراء بالامام بزعمانه لا يقصد بالسفر الى الجزائر الا تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبدطاعتها وانقادوا على ذلك ١٠٠٠ كما كتبوا بمثل ذلك الى الاستاذة عند ما توجه الى زيارتها منذ عامين كتبوا هذا لاعتقادهم ان الحكومة الفرنسية هناك حكومة خرقاء تأخذ بالشبهة وتنتقم من البري لادنى وهم يوسوس به شيطان من شياطين الانس ، أو بهجس به في الخاطر عفريت من الجن ، ولظنهم ان الحكومة الفرنسية تجهل قدر الاستاذ الامام ومقامه الديني، ولكن الحكومة الفرنسية فوق أوهاهم وأحلامهم فقد بلغنا انها قد تلقت الرجل العظيم بالحفاوة والاحبال اللاتفين بشخصه وبمقامه الديني والعلمي كاتفاقه في انكفرا اكبراء الانكليز وعلمائهم ، فسر بهذه المعاملة الحسنة لاشهر ائمة المسلمين في هذا العصر مسلمو الجزائر ورأوا ذلك دليلا على حسن قصد حكومتهم وحسن سياستها فليعتبر فضلاء المصريين هؤلاء الابالسة الذين يزعزعونهم ان يوجد في الامة رجل جليل عالمي القدر محترم المقام حتى انهم يبذلون جهدهم في تميق الكذب ليحملوا الاجاب على اهانة ساداتهم وائمة الدين الذي ينتسبون اليه وان كان تبيرا منهم ، ولو شاء الفضلاء الانتقام الادبي من هؤلاء الاشرار لعلوا ولكنهم لا يتفقون

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا وما
يتذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الأربعاء ١٦ رجب سنة ١٣٢٩ — ٧ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٣)

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لما في الجزء الثالث عشر)

ويقال (سادس عشر) كل طائفة منكم معاشر المقلدين قد أنزلت جميع الصحابة من أولهم إلى آخرهم وجميع التابعين من أولهم إلى آخرهم وجميع علماء الأمة من أولهم إلى آخرهم إلا من قلده تموء في مكان من لا يعتد بقوله ولا ينظر في فتواه ولا يشتغل بها ، ولا يعتد بها ولا وجه للنظر فيها إلا لتمعجل وإعمال الفكر وكده في الرد عليهم ، إذا خاف قولهم قول متبوعه وهذا هو المسوغ للرد عليهم عندهم فإذا خالف قول متبوعهم نصا من الله ورسوله قالوا يجب التمعجل والتكلف في إخراج ذلك النص عن دلالته ، والتعجل لنفسه بكل طريق حتى يصح قول متبوعهم ، فيألفه لدينه وكتابه وسنة رسوله وليدعة كادت تثل عرش الإيمان وتهدي ركنه لولا أن الله ضمن لهذا الدين ، لا يزال فيه من يتكلم بأعلامه ويذب عنه ، فمن أسوأ شأن على الصحابة والتابعين ، وسائر علماء المسلمين ، وأشد استخفافا بمحققهم ، وأقل رعاية لواجبها ، وأعظم استهانة بهم ، ممن لا يلتفت إلى قول رجل واحد منهم ولا إلى فتواه غير صاحبه الذي اتخذ وليجة من دون الله ورسوله .

ويقال (سابع عشر) من أعجب أمركم أيها المقلدون انكم اعترفتم وأقرتم على أنفسكم بالعجز عن معرفة الحق بدليله من كلام الله وكلام رسوله مع سهولته وقرب مأخذه واستيلائه على أقصى غايات البيان ، واستحالة التناقض والاختلاف عليه ، فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وقد نصب الله سبحانه الأدلة الظاهرة على الحق ، وبين لعباده ما يتقون ، فادعيت العجز عن معرفة ما نصب عليه الأدلة وتولى بيانه ثم زعمتم انكم قد عرقت بالدليل أن صاحبكم أولى بالتقليد من غيره وأنه أعلم الأمة وأفضالها في زمانه وهم حرا وغلاة كل طائفة منكم توجب اتباعه وتحرم اتباع غيره كما هو في كتب أصولهم ، فعجبا كل العجب لمن خفي عليه الترجيح فيما نصب الله عليه الأدلة من الحق ولم يهتد إليها واعتدى إلى أن متبوعه أحق وأولى بالصواب من عماده ولم ينصب الله على ذلك دليلا واحدا .

ويقال (ثمان عشر) أعجب من هذا كله من شأنكم معاشر المقلدين انكم إذا

وجدتم آية من كتاب الله توافق رأي صاحبكم أظهرتم أنكم تأخذون بها والعمدة في نفس الامر على ما قاله لاعلى الآية واذا وجدتم آية نظيرها تخالف قوله لم تأخذوا بها وتطلبتم لها وجوه التأويل واخراجها عن ظاهرها حيث لم توافق رأيها وهكذا تفعلون في نصوص السنة سواء ... اذا وجدتم حديثاً صحيحاً يوافق قوله أخذتم به وقتلتم لتأويله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت واذا وجدتم مئة حديث صحيح بل أكثر تخالف قوله لم تلتفتوا الى حديث منها ولم يكن لكم منها حديث واحد فقولوا لتأويله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا. واذا وجدتم مرسلًا قد وافق رأيها أخذتم به وجعلتموه حجة هناك واذا وجدتم مئة مرسل تخالف رأيها اطرختموها كلها من أولها الى آخرها وقتلتم لا تأخذ بالمرسل .

ويقال (تاسع عشر) أعجب من هذا انكم اذا أخذتم بالحديث مرسلًا كان أو مستنداً لموافقته رأي صاحبكم ثم وجدتم فيه حكماً يخالف رأيها لم تأخذوا به في ذلك الحكم وهو حديث واحد وكان الحديث حجة فيها وافق رأي من قلدتموه وليس بحجة فيما خالف رأيها ولذا ذكر من هذا طرفاً فإنه من عجيب أمرهم .

(١) فاحتج طائفة منهم في سلب طهورية الماء المستعمل في رفع الحدث بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى ان يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة والمرأة بفضل وضوء الرجل وقالوا الماء المنفصل عن أعضائها هو فضل وضوءها . وخالفوا أنفس الحديث فجوزوا لكل منهما ان يتوضأ بفضل ظهور الآخر وهو المقصود بالحديث فإنه نهى ان يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة اذا خلعت وليس عندهم للخلوة أثر ولا لتكون الفضلة فضلة امرأة أثر فخالفوا نفس الحديث الذي احتجوا به وحملوا الحديث على غير محمله اذ فضل الوضوء يبين هو الماء الذي فضل منه ليس هو الماء المتوضأ به فان ذلك لا يقال له فضل الوضوء فاحتجوا به فيما لم يرد به وأبطلوا الاحتجاج به فيما أراده .

(٢) ومن ذلك احتجاجهم على نجاسة الماء بالاملااة وان لم يتغير بنيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبال في الماء الدائم ثم قالوا لو بال في الماء الدائم لم ينجسه حتى ينقص عن قلتين

(٣) واحتجوا على نجاسته أيضاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » ثم قالوا وغمسها قبل

غسلها لم نجس الماء ولا يجب عليه غسلها وإن شاء أن يغسلها قبل النسل فعل .

(٤) واحتجوا في هذه المسئلة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بحفر الأرض التي بال فيها البائل وإخراج ترابها ثم قالوا لا يجب حفرها بل لو تركت حتى يبتس بالشمس والريح ظهرت

(٥) واحتجوا على منع الوضوء بالماء المستعمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «يا بني عبد المطلب إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس» يعني الزكاة ثم قالوا لا تحرم الزكاة على بني عبد المطلب ، (لعل الصواب بني المطلب)

(٦) واحتجوا على أن السمك الطافي إذا وقع في الماء لا ينجسه بخلاف غيره من مثة البرقائه نجس الماء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتة» ثم خالفوا هذا الخبر بعينه وقالوا لا يحل مامات في البحر من السمك ولا يحل شيء مما فيه أصلاً غير السمك

(٧) واحتج أهل الرأي على نجاسة الكلب ولو لونه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إذا ولغ الكلب في آثاء أحدكم فليغسله سبع مرات» ثم قالوا لا يجب غسله سبعاً بل يغسل مرة ومنهم من قال ثلاثاً

(٨) واحتجوا على تفريقهم في النجاسة المغلظة بين قدر الدرهم وغيره بحديث لا يصح من طريق غطيف عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة يرفعه «تعاد الصلاة من قدر الدرهم» ثم قالوا لا تعاد الصلاة من قدر الدرهم

(٩) واحتجوا بحديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة (١) في الزكاة في زيادة الأبل على عشرين ومئة أنها ترد إلى أول الفريضة فيكون في كل خمس شاة وخالفوه في اثني عشر موضعاً منه

ثم (١٠) احتجوا بحديث عمرو بن حزم أن ما زاد على مثني درهم فلا شيء فيه حتى يبلغ أربعين فيكون فيها درهم وخالفوا الحديث بعينه في نص ما فيه في أكثر من خمسة عشر موضعاً (٢)

(١١) واحتجوا على أن الخيار لا يكون أكثر من ثلاثة أيام بحديث المصراة وهذا من إحدى العجائب فاتهم من أشد الناس إنكاراً له ولا يقولون به فإن كان

(١) النار : لعل الصواب (في الحق) فإنه يقول في الزيادة في كل خمسين حقة (٢) الحديث عند النسائي وغيره وهو طويل وفيه «وفي كل خمس أواق من الورق خمسة دراهم فإذا في كل أربعين درهماً درهم»

حنا وجب اتباعه وإن لم يكن صحيحاً لم يحز الاحتجاج به في تقدير الثالث مع أنه ليس في الحديث تعرض لحيار الشرط فالذي أريد بالحديث ودل عليه خالفوه والذي احتجوا عليه به لم يدل عليه .

(١٢) واحتجوا لهذه المسئلة أيضاً بخبر حبان بن منقذ الذي كان يفتن في البيع فجعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحيار ثلاثة أيام . وخالفوا الخبر كله فلم يثبتوا الحيار لابن ولو كان يساوي عشر مشار ما بذله فيه وسواء قال المشتري : لا خلافة : أو لم يقل وسواء غبن قليلاً أو كثيراً لا خيار له في ذلك كله

(١٣) واحتجوا في إيجاب الكفارة على من أفطر في نهار رمضان بأن في بعض ألفاظ الحديث أن رجلاً أفطر فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكفر ثم خالفوا هذا اللفظ بعينه فقالوا إن استفد دقيقاً أو بلع عجيناً أو أهلياً جاً أو طيباً أفطر ولا كفارة عليه . (١٤) واحتجوا على وجوب القضاء على من تعمد أن يـ بحديث أبي هريرة ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا إن تقياً بأقل من ميل فيه فلا قضاء عليه

(١٥) واحتجوا على تحديد مسافة الفطر والقصر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة ثلاثة أيام إلا مع زوج أو ذي محرم » وهذا مع أنه لا دليل فيه البتة على ما ادعوه فقد خالفوه فقالوا يجوز للمملوكة والمكاتبه وأم الولد السفر مع غير زوج ومحرم

(١٦) واحتجوا على منع المحرم من تغطية وجهه بحديث ابن عباس في الذي وقعت ناقته وهو محرم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تخمروا رأسه ولا وجهه فإنه يمت يوم القيامة ملياً » وهذا من العجب فإنهم يقولون إذا مات المحرم جاز تغطية رأسه ووجهه وقد بطل إجماله .

(١٧) واحتجوا على إيجاب الجزاء على من قتل صيداً في الأحرام بحديث جابر أنه أفتى بأكلها وبالجزاء على قاتلها وأسند ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا لا يحل أكلها .

(١٨) واحتجوا فيمن وجبت عليه ابنة مخاض فأعطى ثأني ابنة لبون فساوى ابنة مخاض أو حماراً يساويها أنه يجزئه بحديث أنس الصحيح وفيه من وجبت عليه

ابنة مخاض ليست عنده وعنده ابنة لبون فاتها تؤخذ منه ويرد عليه الساعي شاتين أو عشرين درهما وهذا من العجب فاتهم لا يقولون بما دل عليه الحديث من تمين ذلك ويستدلون على ما لم يدل عليه بوجه ولا أريد به .

(١٩) واحتجوا على إسقاط الحدود في دار الحرب إذا فعل المسلم أسبابها بحديث « لا تقطع الأيدي في الغزو » وفي لفظ « في السفر » ولم يقولوا بالحديث فإن عندهم لأثر للسفر ولا للغزو في ذلك .

(٢٠) واحتجوا في إيجاب الأضحية بحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسر بالأضحية وإن يطعم منها الجار والسائل فقالوا لا يجب أن يطعم منها جار ولا سائل .

(٢١) واحتجوا في إبادة ما ذبحه غاصب أو سارق بالخبر الذي فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعي إلى طعام مع رهط من أصحابه فلما أخذ لقمة قال « أي أجد لحم شاة أخذت بغير حق » فقالت المرأة : يا رسول الله إني أخذتها من امرأة فلان بغير علم زوجها : فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تطعم الأسارى وقد خالفوا هذا الحديث فقالوا ذبيحة الغاصب حلال ولم يحرم على المسلمين .

(٢٢) واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « جرح المعجماء جبار » في إسقاط الضمان بجنابة المواشي ثم خالفوه فيما دل عليه وأريد به فقالوا من ركب دابة أو قاده أو سقاها فهو ضامن لما عصى فيها ولا ضمان عليه فيما أتلقت برجلها .

(٢٣) واحتجوا على تأخير القود إلى حين البر بالحديث المشهور أن رجلا طعن

آخر في ركبته بقرن فطلب القود فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حتى يبرأ » فأجاب قاده قبل أن يبرأ الحديث وخالفوه في القصاص من الطعنة فقالوا لا يقتص منها .

(٢٤) واحتجوا على إسقاط الحد عن الزاني بأمة ابنه أو أمّ ولده بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أنت ومالك لأبيك » وخالفوه فيما دل عليه فقالوا ليس للأب من مال ابنه شيء البتة ولم يبيحوا له من مال ابنه عود أركها فوقه وأوجبوا حبسه في دينه وضمان ما تلغى عليه .

(٢٥) واحتجوا على أن الإمام يكبر إذا قال المقيم : قد قامت الصلاة : بحديث بلال أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبقني بأمين : ويقول أبي هريرة مروان : إن

لا نسبقني بآمين: ثم خالفوا الخبر جهارا فقالوا لا يؤمن من الامام ولا المأموم.

(٢٦) واحتجوا على وجوب مسح ربيع الرأس بحديث النفيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح بناصيته وعماقه ثم خالفوه فيما دل عليه فقالوا لا يجوز المسح على العمامة ولا أثر للمسح عليها البتة فان الفرض سقط بالناسية والمسح على العمامة غير واجب ولا مستحب عندهم * (لهاشية)

باب الاسئلة والاجوبة

(الدليل على اشتراط الاسلام في القاضي)

(س ١) رضاه الدين أفندي قاضي القضاة ببلدة (اورفا) في الروسية : انه يستفاد من كتب الفقهاء متأخرهم ومقدمهم اشتراط الاسلام في القاضي الذي يقضي فيها بينهم ولا سيما في الدعاوي التي تخص العائلات مثل النكاح والطلاق وثبوت النسب والرضاع بمعنى ان قضاء غير المسلم في هذه الامور فيما بين المسلمين لا يصح ولا ينفذ اذا قضى فيه لظاهره ولا باضاه ولكن هل يوجد لهذا الاشتراط دليل صريح من القرآن الشريف أو السنة المباركة . فخرجوه من حضرة الاستاذ الاحسان بالجواب في المنار بحيث يقع المشتبه النصف والفقر بظن وان لم يتيسر له الاطلاع الى دليله القاطع ان القضاء فيما بين أهل الاسلام خصوصاً في الدعاوي التي تتعلق بالزوجة وعدمها وثبوت الانساب من المناصب الدينية لا يجوز من غير المسلم أصلاً ولو كان علماً حق العلم قواعد الشريعة الاسلامية . كما أن غير المسلم لا يجوز امامته في الصلاة وان كان عارفاً أحكامها بأسرها والواجب من صاحب الهداية مع التزامه ذكر طريق الاستدلال في كل مسألة وابن الهمام في الفتح مع تجرد في علم السنة وأصول الاستدلال لم يذكر في هذه المادة ما يشفي العليل والله أعلم *

(ج) القضاء ولاية وسلطة مدنية دينية أهم شروطها العلم بالكتاب والسنة والقدرة على الاستنباط وكون المستنبط الذي ينفذ حكمه ونجى طاعته مسلماً والاصل في ذلك قوله تعالى « وأولي الامر منكم » وقوله تعالى في الامر المتنازع فيه « وَكَوَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » فقوله منكم ومنهم يعني به المسلمين . وقوله تعالى « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا »

فهذه الآيات أدلة واضحة في المقصود وقد استدل بالآية الأخيرة صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) على اشتراط الاسلام في القاضي . ويصح ان يستدل على ذلك أيضا بمثل قوله تعالى « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » فهذا يشمل جميع أنواع الولاية العامة والخاصة ومن ثم كان اشتراط الاسلام في القاضي مجمعا عليه عند المسلمين والاحاديث الواردة في القضاء مبنية على شيء معروف في الاسلام وهو كون القاضي مسلما وقد جرى على ذلك الصحابة ومن بعدهم من المسلمين فقد قلدهم والذين ضربوا من الاعمال ولكن لم يقلدوهم القضاء وقد قال الماوردي في (الاحكام السلطانية) يجوز كون وزير التنفيذ ذميا دون وزير التفويض لان هذا الثاني يحكم ويولي ويجب ان يكون مجتهدا في الدين

واذا نظرنا في المسألة بعين القياس نجد العلة ظاهرة فالقاضي عند المسلمين هو ولي من اولي له في كثر من الاحكام الدينية فهو يزوج المسلمة اذا غاب الولي أو فقد أو عضل وهو يطلق على الزوج ويفسخ العقود الزوجية عند ما تقتضي المصلحة ذلك . وامثال هذه الاحكام خاصة برجال الدين في عسرف جميع الامم ، وقاليد جميع الملل والنحل ، ولعل صاحب الهداية وشارحها لم يباحاجة للتوسع في الاستدلال على مسألة إجماعية لانزع فيها على ان طريقتهما في الاستدلال هي كما ذكرتم بالنسبة الى كتب الحنفية التي نرى أكثرها غفلا من الاستدلال ولكن لو تعمقنا المحدث الفقيه في السنة لين تقصيرها في مواضع كثيرة جدا ولا أقول في أكثر المواضع

— تحريم تحليل المطلقة ثلاثا وبدع المحللين —

(س ٢) عوض افندي محمد الكفراوي يزفي : لما كنت الرجل الوحيد الذي يذب عن الدين جئتكم راحيا الاجابة عن السؤال الذي تجده بهذه الصحيفة وهو : هل يجوز في أعمال التحلل للمطلقة ثلاثا ان يكون علما بذلك ؟ وان كان يجوز فهل العادة التي اتخذها المأذونون في صيغة العقد صحيحة وهي ان يقول الرجل « بالتقاء الختانين تكون الزوجة مطلقة » فهل يجوز العقد بذلك أم لا ؟ ثم انه يوجد في أكثر البنادر رجال مخصوصون للتحليل لا كسب لهم الا منه فتجد الرجل يتزوج المرأة للتحليل ثم يتزوج بعد أحتما أو خاتما أو عمتها لهذه الغاية ، فما قولكم في ذلك وفي سكوت المحكمة عليه

أفيدونا مأجورين : . . .

(ج) اعلم ان المطلقة ثلاث مرات لا تحل لمن طلقها الا اذا تزوجت غيره وزوجا صحيحا شرعيا ثم اتفق ان مات زوجها الثاني أو طلقها وهذا التحليل المعروف ليس بزواج شرعي لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن فاعله واللعنة لا تكون على سنة من سنن الدين والفترة وإنما تكون على الكبار من الماصي وليس بزواج عرفي اذ لا يقول الناس في المحلل انه متزوج ، وقد روي عن كثير من أئمة السلف القول بأن العقد المقصود به التحليل غير صحيح وجوز به بعض ائمة بالرأي مع الكراهة الشديدة اذا لم يشترط في العقد ان يطاق أو نحو ذلك من الشروط الفاسدة والقول بالجواز غير سديد ، وما أمر فاعله برشيد ، ولا يليق بمحاسن الشريعة بالآلية . ان تنسب اليها هذه الفضيحة الشيطانية ، وانما نبد أولا بما جاء في «الزواجر» من حكاية الجواز وعدمه ثم نبين مفاسد هذه البدعة الذميمة فنقول : قال الفقيه ابن حجر الهيتمي في الجزء الثاني من الزواجر مانصه :

«**الكبيرة الستون والحادية والستون والثانية والستون** بعد المائتين **تحريم**»

(رضا المطلق بالتحليل وطواعة المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به)

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بالنيس المستعار » قالوا بلى يا رسول الله قال « هو المحلل لمن الله المحلل والمحلل له » قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين . وأبو اسحق الجوزجاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال « لا الانكاح رغبة لانكاح دلسة ولا استمراء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة » وروى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والاثرم عن عمر رضي الله عنه أنه قال : لا أوتي بمحل ولا محلل له الا رجتهما : فمثل ابنه عن ذلك فقال : كلا هذان : وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا الانكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقها وإنا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسئل عن تحليل

المرأة لزوجها فقال: ذلك هو السفاح: وعن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورجع فيها فأراد أن يزوجه رجل ليحلها له فقال: كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحوها إذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها: وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن طلاق امرأة ثلاثاً ثم ندم فقال: هو عصي الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يحل له يخرجها: قيل له: فكيف ترى في رجل يحلها؟ فقال: من يخادع الله يخدعه: (تنبيه) عد هذا كبيرة هو صريح ما في الحديثين الأولين من اللعن وهما محمولان عند الشافعي رضي الله عنه على ما إذا شرط في صلب نكاح المحلل أنه يطلق بعد أن يطقاً أو نحو ذلك من الشروط المفسدة للنكاح وحينئذ التحليل كبيرة فيكون كل من المطلق والمحلل والمرأة فاسقاً لاقدامهم على هذه الفاحشة وعلى ذلك يحمل اطلاق غير واحد من الشافعية أن التحليل كبيرة إذا هو بدون ذلك مكروه لأحرام فضلاء عن كونه كبيرة ولا عبرة بما أضمره ولا بالشروط السابقة على العقد. وأخذ جماعة من الأئمة باطلاق الحديثين فحرموا التحليل مطلقاً منهم من ذكرناه من الصحابة والتابعين والحسن البصري فقال: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد: والتخفي فقال: إذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للاول: وابن المسيب فقال: من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الاول لم تحل له: وتبعهم مالك والليث وسفيان الثوري وأحمد وقد سئل عن زوج امرأة وفي نفسه أن يحلها للاول ولم تعلم هي بذلك فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك التحليل فهو مأمون اه كلام الزواجر:

أما مفاسد هذه البدعة الذميمة وفضائلها فهي كثيرة وقد فصل القول فيها ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) أحسن تفصيل في سياق الكلام على تغير القنوى واختلافها باختلاف الزمان والمكان والأحوال عقيب المثال السابع من أمثلة ذلك التغير والاختلاف وهو ماورد في صحيح مسلم وغيره من أن الطلاق الثلاث باللفظ الواحد كان يحل طليقة واحدة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدة خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر ثم لما رأى عمر رضي الله عنه اختلاف الحال بكثرة هذا الطلاق الخائف للسنة رأى من المصلحة أن يمضيه على الناس ليرجعوا عنه فأهضاه . ويقول المصنف وسبقه الى ذلك شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ان الزمان قد اختلف الآن

وصار من المصلحة جعل الثلاث باللفظ الواحد واحدة كما كان في الصدر الأول وقد بنوا ذلك وأوضحوه بما ليس من غرضنا ذكره إلا ما كتبه ابن القيم في مفصلة واحدة من مفاسد الطلاق الثلاث في عصره وهذه المصور وهي مفصلة التحليل . قال بعد ما تقدمت الإشارة اليه في المثال :

(فصل) اذا عرف هذا فهذه المسألة مما تغيرت الفتوى بها بحسب الأزمنة كما عرفت لما رآه الصحابة من المصلحة لأنهم رأوا مفصلة تنابع الناس في إيقاع الثلاث لا تدفع إلا بامضائها عليهم فرأوا مصلحة الامضاء أقوى من مفصلة الوقوع ولم يكن باب التحليل الذي لئن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعله مفتوحا بوجه ما بل كانوا أشد خلقا لله في المنع منه وتوعد عمر فاعله بالرجم وكانوا عالمين بالطلاق المأذون فيه وغيره . واما في هذه الأزمنة التي قد شكت الفروج فيها الى ربها من مفصلة التحليل وقبح ما يرتكبه المخلون مما هو رمد بل عصى في عين الدين ، وشجى في حقوق المؤمنين ، من قبائح تهمت أعداء الدين به ، وتنفع كثيرا ممن يريد الدخول فيه بسببه ، (١) بحيث لا يحيط بتفاصيلها خطاب ، ولا يحصرها كتاب ، يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح ، ويعدونها من أعظم الفضائح ، قد قلبت من الدين رسمه ، وغيرت منه اسمه ، وضخ التيس المستمر فيها المطلقة بنجاسة التحليل ، وزعم انه قد طيها للتحليل ، فيالله العجب أي طيب أعادها هذا التيس الملعون ، وأي مصلحة حصلت لها ولطلقها بهذا الفعل الدون ، أرى وقوف الزوج المطلق أو الولي على الباب ، والتيس الملعون قد حل إزارها وكشف الثياب . وأخذ في ذلك المراتع ، والزواج أو الولي يناديه لم يقدم اليك هذا الطعام لتشبع ، فقد علمت انت والزوجة ، ونحن والشهود والحاضرون ، والملائكة الكاتبون ، ورب العالمين ، انك لست بمدودا من الأزواج ، ولا للمرأة وأولياها بك رضى ولا فرح ولا ابتهاج . وانما انت بمنزلة التيس المستمر للضراب ، الذي لولا هذه البلوى

(١) التار - هذا الكلام صحيح مجرب في كل زمن وقد رأيت رجلا شيخا نصرانيا ولع بالكتب العربية الخطية فجمع منها كثيرا وكان يطالع في عامة أوقاته فاعتقد بحقيقة الاسلام وتفصيله واحترار مذهب الصوفية وقد لقته مرة فقال لي لولا ثلاث مسائل لقلت ان الاسلام كله حق اولها مسألة (التجحيش) أي التحليل فأزلت شبهته حتى رجم

لما رضىنا وقوفك على الباب، فأناس يظهرن الكناح ويملثونه فرحا وسرورا، ونحن
تواصي بكتمان هذا الداء المضال ونجمله أصرا مستورا، بلا تار ولا دف ولا خوان
ولا اعلان؛ بل بالتواصي «بمس» و«مس» والاختفاء والكتمان، . فالمرأة تتكبح لديها
وحسبها وما لها وجاها، والتيس المستعار لا يسأل عن شيء من ذلك فإنه لا مسك ~~بمسها~~
بل قد دخل على زوالها، والله تعالى جعل كل واحد من الزوجين سكنا لصاحبه
وجعل بينهما مودة ورحمة ليحصل بذلك مقصود هذا العقد العظيم؛ وتم بذلك
المصلحة التي شرعها لاجلها العزيز الحكيم،

«فصل التيس المستعار هل له من ذلك نصيب؛ أو هو من حكمة هذا العقد
ومقصوده ومصلحته أجنبي غريب، وسله هل يأخذ هذه المصابة حليلة وفاضل
اليه، ثم سلها هل رضيت به قط وزوجا وبلا تقول في نواصبها عليه، وسل أولي
التمييز والعقول هل تزوجت فلانة بفلان؛ وهل يعد هذا نكاحا في شرع أو عقل
أو فطرة انسان؛ وكيف يلحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من أمته
نكح نكاحا شرعيا صحيحا، ولم يرتكب في عقده محرما ولا قبيحا؛ وكيف يشبهه
بالتيس المستعار؛ وهو من جملة المحسنين الأبرار، وكيف تعبر المرأة به طول دهرها
بين أهلها والجيران، ونظف ناكحة رأسها إذا ذكر ذلك التيس بين النسوان،

«وسل التيس المستعار هل حدث نفسه وقت هذا العقد الذي هو شقيق التفاق،
بنفقة أو كسوة أو وزن صداق، وهل طمعت المصابة منه في شيء من ذلك، أو حدثت
نفسها به هناك، وهل طلبت منها ولدا نحييا، وأخذته عشيرا وحيبا، وسل عقول
المالين وفطرتهم هل كان خير هذه الامة أكثرهم تحليلا، أو كان المحلل الذي لفه
الله ورسوله أهدهم سبيلا،

«وسل التيس المستعار ومن ابتليت به، هل تحمّل أحد منهما بصاحبه، كما تحمّل الرجال
بالنساء والنساء بالرجال، أو كان لاحدهما رغبة في صاحبه بحسب أو مال أو جمال،
وسل المرأة هل تنكره أن يتزوج عليها هذا التيس المستعار أو يتسرى، أو تنكره أن
تكون تحته امرأة غيرها أخرى، أو تسأل عن ماله وصنفته، أو حسن عشرته وسعة
نفعه، وسل التيس المستعار هل يسأل قط عما يسأل عنه من قصد حقيقة النكاح

أو توصل إلى بيت أحمائه بالهدية والمحمولة والتقد الذي يتوصل به خاطب الملاح، وسله هل هو أبو يأخذ أو أبو يسطي، وهل قوله عند قراءة (أبي جاد) هذا العقد خذي نفقة هذا العرس أو (حطبي)، (١) وسله هل تحمل من كفنة هذا العقد خذي نفقة هذا العقد أو حطبي، وسله عن وليمة عرسه هل أولم ولو بشاة، وهل دعا إليها أحدا من أصحابه فقبضى حقه وأتاه، وسله هل تحمل من نفقة هذا العقد ما يحمله المتروجون، أم خاء كما جرت به عادة الناس الاصحاب والمهنتون، وهل قيل له بارك الله لكما وعليكما وجميع ينسكما في خير وعافية، أم لمن الله المحلل والمحلل له لغة تامة وعافية، (فصل) ثم سل من له أدنى اطلاع على أحوال الناس كم من حرة مصونة أنشب فيها المحلل مخالب ارادته فصارت له بعد الطلاق من الاخذان، وكان بطلها منفردا بوطئها فاذا هو والمحلل فيها ببركة التحليل شريكان: فلمع الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها إلى البشاء، وألفاها بين يرثن العشاء والحرفاء، ولو لا التطليل لكان مثال الثريا دون منالها، والتدرع بالكفان دون التدرع بمجمالها، وغناق القنادون غناقها، والأخذ بذراع الاسد دون الأخذ بساقها، وسل أهل اخبرة كم عقد المحلل على أم وابنتها، وكم جمع ماؤه في ارحام مازاد على الاربع وفي رحم الاثنين، وذلك محرم باطل في المذهبين، وهذه المفسدة في كتب مفاسد التحليل لا ينبغي أن تهدر بالذكر، وهي موجبة واحدة من الامواج ومن يستطيع عد أمواج البحر، وكم من امرأة كانت قاصرة الطرف على بعلها، فلما ذاقت عسيلة المحلل خرجت على وجهها فلم يجتمع شمل الاحسان والنفقة بعد ذلك بشملها، وما كان هذا سبيله، فكيف يحتمل أكمل الشرائع وأحكمها تحاييله، فصولات الله وسلامه على من صرح ببلسته، وسماه بالئيس المستعار من بين فساق أمته، كما شهد به على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وعبد الله بن عباس وأخبر عبد الله بن عمر أنهم كانوا يعدونه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفاحا.

(النتار: وههنا أورد المصنف الاحاديث التي رواها هؤلاء السجاية الكرام في لمن المحلل وفي تسميته بالئيس المستعار ومحت في اسناد واحد منها قدأعله بعضهم وبين

(١) لعل هذه السجعة نسخة ثانية وما أرى المصنف جمع بينهما

هو حسنه ومنها ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن أبي مريم حدثنا ابو غسان عن
 عمر بن نافع عن أبيه قال جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا
 فتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينه ليحلها لآخيه هل يحل للاول ؟ قال : « لا ، الا
 نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » قال
 صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : والسفاح هو الزنا جبراً . ثم قال المصنف (**فصل**)
 فصل هذا ليس هل دخل في قوله تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » وهل
 دخل في قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
 وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » وهل دخل في قوله صلى
 الله عليه وآله وسلم « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن
 للفرج » وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا الودود الولود فاني
 مكاثركم بالام يوم القيامة » وهل دخل في قوله « أربع من سنن المرسلين النكاح
 والتعاطر والحنان » وذكر الرابعة وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم
 « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » وهل له نصيب من قوله صلى الله عليه
 وآله وسلم « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح بريد العفاف والمكاتب بريد الاداء »
 وذكر الثالث ؟ أم حق على الله لعنته تصديقاً لرسوله فيما أخبر عنه ؟ وسله هل
 يلعن الله ورسوله من فعل مستحبا أو جائزاً أو مكروها أو صغيراً أم لعنته مختصة
 بمن ارتكب كبيرة أو ما هو أعظم منها كما قال ابن عباس : لكل ذنب حتم بلعنة أو
 غضب أو عذاب أو نار فهو كبيرة

« وسله هل كان في الصحابة محل واحد أو أقر رجل منهم على التحليل ؟ وسله لأي
 شيء قال عمر بن الخطاب : لأوقى بمحل ولا محل له الا رجعهما ؟ وسله كيف تكون
 المنعة حرماً نصاً مع أن المستمتع له غرض في نكاح الزوجة الى وقت لكن لما كان
 غير داخل على النكاح للأوبد كان مرتكباً للمحرم فكيف يكون نكاح المحلل الذي انما
 قصده ان يسكنها ساعة من زمان أو دونها ولا غرض له في النكاح البتة بل قد شرط انقطاعه

وزواله اذا أغنيها بالتحليل ، فكيف يجتمع في عقل او شرع تحليل هذا وتحريم المنمة — هذا مع ان المنمة ايجت في أول الاسلام وفعلها الصحابة وانقي بها بعضهم بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكاح المحلل لم يبيح في ملة من الملل قط ولم يفعله أحد من الصحابة ولا اتفق به واحد منهم ؟

(ثم قال المصنف) «وليس الغرض بان تحريم هذا المقدم وبطلانه وذكر مفاسده وشروعه فانه يستدعي سفرا ضخما فنختصر فيه الكلام وانما المقصود ان هذا شأن التحليل عند الله ورسوله والمحباب رسوله فالزمهم عمر بالطلاق الثلاث اذا جموها ليكفوا عنه اذا علموا ان المرأة تحرم به ، وأنه لا سبيل الى عودها بالتحليل . فانه لما تغير الزمان وبعد عهد الناس بالسنة وآثار القوم وقامت سوق التحليل ونفقت في الناس فالواجب ان يرد الامر الى ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من الائتاء بما يبطل سوق التحليل او يقللها ويخفف شرها . واذا عرض الى من وقفه الله وبصره بالهدى وفقهه في دينه مسألة كون الثلاث واحدة ومسألة التحليل ووازن بينهما تين له التفاوت وعلم أي المسألتين أولى بالدين ، وأصاح للمسلمين .

» فهذه حجج المسألتين قد عرضت عليك ، وقد أهديت ان قبلها اليك ، وما اظن عسى التقليد الا يزيد الامر على ما هو عليه ، ولا يدع التوفيق بقودك اختيارا اليه ، وانما اشرنا الى المسألتين اشارة يطالع العالم على ما وراها وبالله التوفيق هـ اه

(القسمة العمومي)

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ — (تابع ويتبع)

(٢) ماهو الحسنُ ؟ — قد عرفتم بالذي قلناه في تعريف الحسن ماهو الحسنُ . وبقي ان أقول لاجل تذكير القاري بأصل الموضوع انه هو الزينة من غير نظر منا الى الفرق بين الحسن الذاتي والحسن الصناعي .

(٣) ماهو الاستحسان ؟ — هو انبساط النفس لذلك الشيء الذي وجدت فيه ما يناسبها . ليست الصعوبة في تعريفه بهذا الرسم وانما الصعوبة في معرفة ان الاستحسان يحصل لامرء بالبداهة أو بالنظر والتأمل وقد سبق شيء من الاشارة الى هذا الامر

ولكني لأراء مستقيماً عن زيادة الشرح . أما استحسان بعض المحسوسات فيحصل للبعض بالبداية وتعبه محبة . ولهذا السرّ ظن البعض ان الحب يكون اضطرارياً على ان هذا السر وان بقي غامضاً لا يثبت هذه النظرية بمثل هذه الحوادث الفذة ثبوت ضد هذه النظرية براهين حسية وعقلية معاً . وأما استحسان كل المقولات فمن أهل التفكير نتيجة نظر وتأمل ومن أهل التقليد نتيجة ثقة بالقلدين . والاولى ان لا يمد استحسان هؤلاء استحساناً لاتنا اذا أدخلناهم في صف من لا فكر لهم من المخلوقات لم نكن عملنا غير الصواب لأنه هو المطابق لروح الواقع ونفس الامر .

(٤) ماهو حب المستحسن ؟ — تقدّم تعريف الحب وليس سؤالنا عن تعريفه بل عن ذلك السر المودع في طبيعة النفس من محبة أشياء تعبها جيلة . ولعل ذلك السر هو شوقها الطبيعي الى ما وراء جيبانية المادة وما يابحها من الجذابة المحضة .

(٥) لماذا نستحسن ؟ — هذا السر مودوع في نفوس الخاصة والعامة من بني النوع . ولما اوتينا المزية العظيمة التي تسمى « الارادة » اراد الفاطر ان تحلي فينا ظاهرة باهرة فاقسمت الاشياء في نظرنا كافة الى ما توجه نحوه ارادتنا وهو ما نستحسن والى ما تنصرف عنه وهو ضده . فهذا هو السرّ في كوننا نستحسن .

(٦) لماذا نحب الحسن ؟ — يظهر بالذي قلناه سر حبنا الجميل وزيد عليه علة لا يتوقف في فهمها انسان وهو اننا نحب الحسن لنعمل . فلولا ذلك لقمنا بما كتبت الارض من كلاً ، وما تفيض به من ماء . ويظهر من ملاحظة سير الماضين والتابرين ، وسنن الوجود في الاولين والآخرين ، اننا لم نحاق لمثل هذا بل خلقنا لاسرار عظيمة لا تظهر فينا الا بحبنا الحسن والحسن .

(٧) لماذا نختلف بالاستحسان ؟ — اذا كنا نحب الجميل لنعمل فحين نختلف بالاستحسان لثخفاف اعمالنا . على ان لاختلافنا في الاستحسان عللاً أخرى منها اختلاف الامزجة . وبيان السر في اختلاف الامزجة لا يمد عن صدد علمنا هذا ولكنه قد يبعد عن صدد هذا الفصل او قد يبعد بنا عن الغاية التي أشرقنا عليها . وكذلك لاختلافنا في الأعمال علل أخرى ولكن الذي ذكرناه هو من أقدم الاسباب .

(٧) ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو مستحسن فيفرم به ؟ — يبقى علينا

سؤال عن أمر آخر غير الحب المعتاد وهو العشق الذي مبلغ العلم فيه انه أعظم درجات الحب ومتهامه . والجواب على ذلك في غاية السهولة وهي ان النفوس قوايل ، والواردات عليها فزاعل ، وبعض النفوس أشد قبولاً وانفعلاً لما تعرضت له من الواردات فيصير العشق الذي هو أعظم الحب في حين ان كثيراً من اخواته اللاتي تعرضن لمثل ما تعرضت هي لا يصيبهن الا الحب البسيط وكثيراً من غير أولئك لا يصيبهن شيء ما .

هذا وان فيه لبلاغاً في بيان الموضوع ، وكشفاً لبعض السر المودوع ، وبحار فيه من لم يرد من البيان مشارعه ، ولم يذق من التقرير شاره ، وأولئك ليسوا من أهل المنار ، ولا نلهم في مثل هذا الكلام المدار ، وحسب أولئك بما تقدم ان يسموه هذه الخلاصة : « لولا حب الزينة لما كان من حاجة الى أكثر الصنائع . ولولا كثرة الصنائع لما توفرت أسباب الاجتماع . ولولا الاجتماع لما تبودلت الافكار . ولولا تبادل الافكار لما حصلت المعارف الإنسانية . ولولا المعارف الإنسانية لكانت حياة الانسان كحيات البهائم . ولو شئنا اشرحنا هذا الكلام بفصول كثيرة ولكننا تقللنا منه بما سبق ، وفي هذا الترتيب الذي وضعنا وضوح تام ، وللعمرانيين ههنا شركة في البحث والبيان ، وتركنا لهم وظيفتهم التي هي البناء بعد اداء وظيفتنا التي هي الاساس .

ولكيلا يفوتنا التصيب من تصحيح افكار أولئك الذين نلهم نأقن على حب الزينة ونعلم انهم سينقمون منا تمثيلنا حب الزينة هذا التمثال الذي ستره البصائر خفياً ، وكأني بهم راقمين عقيرتهم يقولون هل يحبني الناس منه الالذاب والكدر العمر كله في طلب الفواني ، وهل في سبيل هذه المحبوبات التي لا تنتهي الا الوقوع في أنواع الرزايا المعروفة ؟ لكيلا يبقى هذا الاعتراض بلا جواب نقول : ان الذي قلناه هو وصف لامر واقع على سبيل العموم والشمول لاحقاً وحضاً على حب الزينة ، وان الذي نعلمه ان ذلك الامر الذي وصفناه طبعي لا يصده عن النفوس ان ينقم الناس عليه كما ان الاكل ههنا سببنا لا نستغني عنه ، ثم اننا نعلم انه لا يقول ذلك القول الا واحد من ذئب الاثنين الضدين المتسفل في دركات العواجز من الحيوانات التي تكره الحركة وتهوى السكون ، والمتسامي بقله الى ما فوق الفواني المتجافي عن الزوائد من مقومات الحياة المادية نشرفاً الى المقولات العالية . ومن عجب ان نجد في قولهم ما مع اختلافهما في نيتيهما ، ولم يكن

ذلك إلا لأن الثاني فاته حكمة الاعتبار بأصل الفطرة وسرها . وقاته النظر الى الواقع ونفس الامر ، ولم يبق علينا إلا أن نتظر هل يجوز لنا ان ننهي عن حب الزينة والجمال ؟ والجواب : لا يجوز لنا ذلك لأنه لا يجوز لنا ان نحاول السب . وهذا هو وجه الحقيقة الذي لاح لاهل عالمنا فشهدوا كما رأوا . وعلماء العمران سترهم بقيه من اشد التنكير على رجل يقول بجواز النهي عن حب الزينة . ونحن في امن من هذا الوغى لا تالنازيد على قولنا : « انه لا يفيد » وليس في هذا القول مصادمة لقاعدة ان الحب يدخل تحت « نظام » لا تا لم نخرجه عن النظام بهذه الكلمة ولكن الآخري يريدون ان يخرجه عن الوجود لاعتن النظام فقط . ويوضح هذا مثال : « اذا قلنا لا يجوز النهي عن الأكل » مطاقا لأنه لا يفيد اذ هو امر بتغيير الفطرة « فلا يفهم احد قط من هذا الكلام انه لا يدخل الأكل تحت نظام ، فلينظر ذو فكير ما يقول :

وقديذه بظن القاري الى ان محرر هذه الكلمات رجل من غلاء المتونين بهذه الصور المتحولة الفانية وتلك المادة الجماد الحامدةواني لا احاسب الناس على ظنونهم ولكن من يحاول التعريف بشيء عن نية سافية يحرص على مقصوده اكثر من ذي اجر واني حريص ان يأخذ قاري كلامي بالتعصب الاوفى من علم طبيعة النفوس من حيث المجموع مع مراعاة حالاتها في الاجتماع وحالاتها الشخصية فاني على يقين ان هذا العلم يورث صاحبه سلامة ذوق وسلامة صدر وسلامة فكير ويؤديه الى الاعتدال الذي هو محور نظام الاصلاح ،

ومن أجل ذلك اذكر القاري بما استحفظته اياه في صدر الكلام ومنه يعلم أن قليلا من التدبر يكشف عوار كثيرين من الذين كتبوا في الاخلاق والشرائع ويحلم محاسن المحسنين . ومن ههنا اخلف الذين ينهون عن صرف شيء من المال في سبيل حب الزينة ولا أجدي مذهبهم ذلك رائحة من الحكمة قط بل هو جهل بطبائع الاجتماع فانه لن يعدم الخاسر ما يستغيض به من الرأج ، والالدم البائع من يتناع .

ومن المؤمنين بما قرأه قائل بقول : قد يحتاج الفرد وهو ساج في الاوهام بحب الزينة الى من ينهيه الى الاخطار وهو حق ولكن عندي ان يكون المنبه من نفسه في مثل هذه الحالة خير آمن ان يكون من آخره . لزمج في هذا التمرد امرا هو أعز وأغلا من المال الذي تخسره . ذلك هو التفكير وصدق الارادة في مباشرة الاشياء . ولا

نك بأناستني أسارى كثيرين في هذا الممارك قد قديتهم الشهوات الكاذبة بأغلال الحسار،
وقدقت بهم الارادات المريضة في مهاوي الدمار، ولكن أن نعدم امثال هؤلاء الاسرى
وان كثروا خير من ان نعدمهم من ابطال الجهاد في هذه الحياة . وخير من ان لانعدمهم
وكثيراً ما يختلف طب النفوس عن طب الابدان لان أحدها يعالج مرضاً محسوساً بعلاج
محسوس . والآخر يداوي مرضاً معقولاً بدواء معقول ولا طباء النفوس في هذا الباب
أدوية لو استعملت - شافية ولكن الناس اعاروها آذاناً صماً وريدان يكون لهم علاج من
المحسوسات ذلك ماتعطينه بحاري الاحوال وينتج حمة التفكير وسلامة الارادة .

وآخرون سيقولون لقد أسرف هذا وكاد ان لا يرى في الاسراف شيئاً مذموماً . كـلان
الاسراف مذموم عندي كما هو عند الناس كافة ولكن الذين يهون عنه هو مادون الاسراف
وهو الذي لا تهى عنه . ولا أريد من هؤلاء أكثر من ان يعلموا انه لو لان نصر في المال فيما زين
لنالموا جدمال . ولكن علم هذا صعب عليهم ونهونه بأن نعلمهم ان المال ليس شيئاً غير قيمة جملة
الاعمال التي يعملها النوع واذ علموا ذلك فليذكروا انه لو لاحب الزينة لما كان من حاجة
إلى أكثر الصنائع ، لو لاه لا فقلت أسواق ومصانع يعمل فيها حاج للناس من غير اللوازم
الضرورية التي لا تتجاوز ما نكتابه آتقامن الغذاء والكساء والاولاء .

ما اذ ازين هؤلاء بعض هذه الاسواق والمصانع ودوران فلك الاعمال على هذه الاقطاب
الحالية وما داناها في الماضي وما سيفوتها في الآتي فالبأس على اذا دار الفلك على حسب
احلامهم وانماالبأس على قوديل بلغ بهم الهوس ان يروا الخبر والسعادة في أولي السير من الحياة
وهي سيرة الانس بالاجار والاحجار ، والفرع من خطور الاشباح وهبوب الارواح (٥)

﴿ نتيجة عظيمة ﴾

وما قررناه أساس متين لبناء نظامي الاخلاق والشرعية . يبني عليه في الاخلاق
ذم جهود النفس الذي من لوازمه نسيان الحظ من الحياة النوعية الا ما وجدت عليه
الآباء . وذم غلبتها الذي من لوازمه تجاوز الحدود التي وضعت لحفظ الحقوق . ومدح
الاعتدال . وفي التمهيد نحوت المنحى الذي يفهم منه ذم جهود النفس لانه الغالب في
مشرقنا . ويبني عليه في الشرعية الحرية في المطاعم وموائدها ، والملابس وازيائها ،

(٥) جمع ربح وهو يأتي هكذا كما يأتي جمع المروح

واللبناني واشكأها ، وغير ذلك من الحاجات الاوازم والتواجيع وكل شريعة لم تُنْهَى في هذه الابواب على مثل هذا الاساس لا يقوم لها بنیان . ولا يوفق الناس أعمالهم على احكامها وان تلوا حروفها . واذ كانت كل شريعة تنسخ ما قبلها كانت تقرب من هذا المعنى بحسب ترقى النوع ولذا كانت الشريعة الاخيرة حائزة هذا المعنى تماماً .

وحرم منها ما يضر بصحة الموم . وما يصادم نقماً عاماً أو حقاً خاصاً . وما يجمع علماء الاخلاق على مضرة مجوهر النفس . وهذا التحريم في الحقيقة معين على صيانتها وحسن التصرف فيها والمطلعون سيدرون ما وراء هذه الجمل من التفاصيل . ومن عداهم سيأتيهم التفصيل في مواضع متعددة وحسبهم الآن ان يتدبروا هذه النتيجة ويفكروا فيها بفكر نقي .

﴿حب التميز﴾

في الفطرة زيادة على حب الزينة حب التميز فلو لا هذا الثاني لبضاهية فيها محب من الزينة أو غيرها ولكن هو الذي أبعد الغاية على الطالبين .

والذين هم أشد حبال الزينة هم أشد حبال التميز ، وعند التأمل في آثار هذه الطبيعة نجد ما ينبوعاً للخيرات والشرور معاً . وهكذا نجد الشر موجوداً دائماً في منابت الخير ولذلك كان تحصل الخير في هذه الحياة عناء كبيراً كالغناء في تحصيل الخنطة من بين الشوك ثم تميزها من الزؤان بل هو أكبر . ولكن أجر هذا العناء عظيم وهو بلوغ الانسان كماله المسدله . وقد يقصر حجاجنا الآن عن تصور ذلك الكمال وما من يتقدم الا معاوناً لمن يتأخر .

وفي خلق الانسان آيات للمتدبرين ، واسرار للمعتبرين ، منها تكريم هذه الصوامت التواطي بلسان الحال عن ان تكون عبثاً اذ على يده تظهر خواصها وفي فكره وبصره تتجلى جمالها المعقول والمحسوس تحقيقاً أو اعتباراً أو تخيلاً . ولحب التميز الحظ الاوفر في استخدام الفكر في هذه الشؤون . فهو الذي يمت الفكر في عالم المحسوسات والتخييلات رائداً يرتاد للنفس ما هو غريب عزيز الوجود مما يود كل أحد ان يقتنيه أو يستحله . وهكذا كانت زيادة الاول على الآخر وسيكون ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب الاولين .

والحاصل ان حب التميز ميزان في كفته الواحدة أمر نسيمه حسنة وهوارقاء الحياة التوسية . وفي كفته الاخرى أمر نسيمه سيئة وهو حرص النفوس على الاستبداد . والناس يشعرون من هذه الكلمة — الاستبداد — ان المقصود به عدم المشاورة وهذا المعنى جزء مما تدل عليه هذه الكلمة التي معناها الحقيقي نزوع النفس للحرية المطلقة التي من جعلها تقييد حرية الغير وغصبها وهذا هو وجه شناعته ومن أجل هذا كان عنصر الشرور المادية والادبية .

وقد كدنا ان نياأس لما علمنا ان هذا العرق الضارب في اعماق الطبيعة البشرية لا يمكن استئصاله بالقطع لولا ان تبين لنا أن في ازاء هذا الشوك زهر أو لولا ان ثبت لنا انه يمكن تخفيف ما يخيم عنه بتبسيح النزوع وقطع ما يمكن قطعه منها والرابانيون من الحكماء أشد الناس عداوة للذين يستبدون ذلك بما عرفوا من الحق ، وبما عطفوا على الخلق ، وبما تدفعهم اليه قوة العلم ، ومنة العزم ،

والاخلاقي حسب ان يذكر المستبد بثلاثة أمور لا تفارقه ولا غيره : العجز بالذات ، والاحتياج للغير ، واستحالة بلوغ الغاية ، وان يذكر المستبدّ علمه بثلاثة أمور أيضاً الضعف بانحلال الرابطة ، والفتنة بالتعاون ، والفوز بالثبات والصبر .

والسياسي وهو البحوث عن كل روابط الاجتماع لأستكثر منه ان يحمل أوزار الوعي ان استطاع في ردّ كيد المستبدّين الذين وضعوا أعمالهم في كفة السيئة من حب التميز وبش ما اكتسبوا لانفسهم من البغضاء . وللمدعّون لهم شر مكاناً وأصل عن سبيل الحياة التوسية . وأقرب الى الهوان من الانعام وفي هذا بلاغ لعلمهم بتدكروا ،
(ثمّة بقية) ع.ز



باب التربية والتعليم

﴿ الشذرة الثالثة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*) ﴾

السفر من أركان التربية

لا ينبغي على أحد مالمّا تتأثر به النفس وتحفظه الذّاكر في الصغر من المصوق والنمك .
 هذا شكبير (١) يدعو حاله الى اعتقاد ان معظم الفضل في بلوغه تلك المكانة
 العالية في الشمر يرجع الى نشأته بالقرب من نهر الاون (٢) الابيق الذي تفيض مياهه
 على مدينة استراتفور (٣) وما تحيط به من الاودية الحصبة الفنية بالشجر والنبات
 ومجاورته لغابة اردان (٤) التي كانت منزلها له في سنه الاولى من حياته . يدلك على
 ذلك انه لما كتب فيما بعد القصة الهزلية التي عنوانها « كما تحب وترضى » اتخذ هذه
 الغابة نفسها محلا لهم منظر من مناظرها ومثل اما كتبها للنفس وجلى مواقعها للاذهان
 بأوجز العبارات، وأوضح الاشارات، لم يكن هذا الا لكونه مع زوجه عن مركز استراتفور
 الذي هو مسقط رأسه لم ينس منظر هذا الريف بل حفظه في مطوى من مطاوي نفسه
 وهذا أول فيار جولد سميت (٥) ذو العقل الثاقب والذكا المتوقد لم يذهله حين
 اقام في لوندرة ماشاهد فيها من الاختلاط والتشوش عن ذكر قرية لشوى التي نشأ
 فيها ولم ينسه ما كان يراه هناك من جدول الماء والطاحون والكنيسة وفندق الحمام
 الثلاث وسياج العضاة وغير ذلك من خصوصياتها بل انه مدحها في القصة التي كتبها
 فيما بعد وسماها الكميث (الاورن)

(*) معرب من كتاب أميل لفرن التاسع عشر في التربية — تابع لما نشر في ص

٧٧٨ من المجلد الخامس

(١) شكبير هو أشهر شعراء الانكليز كما مر (٢) نهر الاون هو احد انهار انكلترا
 المشهورة وهو قريب من مدينة استراتفور (٣) استراتفور هي أهم مدينة في مركز
 استراتفور (٤) غابة اردان هي في هذا المركز أيضا (٥) أول فيار جولد سميت هو شاعر
 وقصصي انكليزي شهير ولد سنة ١٧٢٨ ومات ١٧٧٤

وكان واشنجتون أرفنج (١) الكاتب المجوني الرحالة الذي استهوى النفوس ببدايع ظرفه، وخطب الاباب بدقائق وصفه، بحمد الله تعالى أن أنشأه على ضفاف بحر أوتسون (٢) ويقول: إن ما كسبه طبعي المختلف العناصر من الخير والتهذب يصح أن أرجعه الى محبتي لهذا النهر في صغري فقد كنت في حدة الحمية الصيانية اكسوه بعض الخصائص النفسية واعتقد أن له روحا يقوم بها وأعجب بما في طبعه من الحرية والشجاعة والصدق والاستقامة ذلك لانه ليس من الانهار التي تبسم صفحاتها عن خداع وتضمر السوء بانحتها من الشهاب المهلكة والصخور القدارة بل هو طريق مائي بهيج جمع الى عظم عمقه كثرة أنساعه، يحمل السفن التي توكل الى أمواجه بقلب سليم ونية شريفة وكنت أنجيل نوعا من المجد والمحب في استقامة مجراه وسكينته وسلامته الباهرة :

انما مثلت ببعض الشعراء لانهم هم الذين نعرف شيئا من احوالهم النفسية في حياتهم غير اني لأرتاب أبداً في أن ما يختلف بالناس من الاصول والامور الخارجية لا يحدث في نفوس جميعهم أثرا واحدا وانهم يختلفون أيضا في درجة التأثير بها وان مشاهدته الانسان في صغره يلزمه في كبره ويصير جزءاً من نفسه وما صحبه من الاشياء وهو بافع لا يجانبه في كبره بل يظهر أثره في صورة خلقه وفي مجرى أفكاره

ليس كل ما يحيط بالانسان مما تناوله مشاعره يصلح على السواء لحفظ محبة عقله فقد روي أن ملتون (٣) كان يتألم ويشكو من الشكوى وهو يتلقى دروسه في مدرسة كمبردج الكلية من ضواحي هذه المدينة ملللا شكواه بانها خلو من الظلال الوارفة التي تجذب إلهات الشعر وتزورها

وكان روبرت هول الكاتب الانكليزي الذائع الصيت الذي كان يتعلم في تلك المدرسة بعد ملتون بقرن ونصف ينسب أول نوبة اصابته من نوبات الجنون الى استواء الارض بمرکز كمبردج وخلوها من الربى والهضاب الشجراء

الناس وان اختلفوا في درجات تأثرهم بنقد ما هم محتاجون اليه لا ظن انه يوجد

(١) واشنجتون أرفنج هو أديب وقصصي أمريكي ولد سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨٥٩

(٢) بحر أوتسون هو خليج متسع على السواحل الشمالية للقسم الانكليزي من أمريكا

(٣) ملتون شاعر انكليزي شهير ولد سنة ١٦٠٨ ومات ١٦٧٤

منهم من لا يتأثر ألبتة بما يكون من الصوب والمناقص في المناظر الريفية التي يراها على الدوام اللهم الا قليلا لا يعتد بهم واذا صح ذلك فليشد ما يبالغ هذا التأثير السيئ من اذهان الاطفال فان الرجل البالغ قد حصل له من قوه النفس والخيال ما يكفي لمقاعة ما يخفف به من الاشياء غشبه في معظم الاحيان ان يمترق قلبه شعاع من اشعة الحب او يكون في نفسه وجدان قوي او تجتمع في ذهنه بعض المعاني حتى يرتقي بالريف المتبدل الذي لا قيمة له في ذاته من شيوع الابتدال ، الى الاختصاص بشرف الخيال ، وليس هكذا حال الحدث الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره فانه في هذا السن لامل له في فطرة ماحوله من المخلوقات اذ ليس في استمداده اذ ذلك ما يكسوها بهاء ، ويزدها رونقا ورواء ، بل انه يتأثر بها كما هي فن الفوائد الكبرى له انه يولد او يتربى بالقرب من بعض المناظر الكونية العظمى كمنظر نهر جيل او بحيرة او جبل او غابة

منظر الريف في كورنواي منظر مهيب غير انه واحد لا تغير فيه ولبت هذه البلاد كانت اكثر اشجارا سماهى الآن فان مثل الياض الذي لا يرى قط الا ناحية من نواحي الكون كالمصخور او البحر كمثل من يقرأ الا كتابا واحدا

لا بد في تربية الانسان خصوصاً في صغره من تنوع الفواعل لتتنوع آثار أفعاله بها ذلك لان كل فرد من افراده يميل الى بعض المناظر دون بعض حتى يكون من هذا البعض الذي يميل اليه كطبعه في الاختصاص به. ومعنى هذا ان ضرور الحسن في الطبيعة تقابلها في نفوس الناس مناسبات ذاتية وليس المتظر الذي يخيره الانسان ويرتاح اليه يأتيه على الدوام عفوا بل لابد من السعي وراء تحصيله فن الناس من نشأ اتفاقا في سهل من السهول ويكون ميله للمناظر الخيلية ويوافق هذا قول أحد الكتاب في وصف رجل لا ذكر الآن من هو: انه عربي والد في ظل شجرة تفاح بنور منديا (١)

قد بلغ «أميل» السن الذي تبدو فيه حاجة الناس الى الاختلاط بماحوله والمربوبين يندعون هذه الحاجة في معظم المراهقين بايتانهم قصصا في الاسفار هي ولا رب آدمي الكتب الى التفاتهم اليها واستغاثهم بها غير انه مما لا نزاع فيه أن وصف البلاد بآثار ما بالغ من قوة البيان وضبط التحرير لا يرتقي في تأدية العلم بها الى درجة المعاينة بل انه أدنى

منها كثيرا فلا يمكن ان يستغني به عنها من أجل ذلك كان سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة هو السن الذي يظهر فيه هوس الملاحة فيرءوس الصغار من سكان البلاد المجاورة للبحر كأنجلترا فكم من هؤلاء الصغار البسلاء من يصيبهم من ولوعهم بالتجوال في الاقطار الحقيقية مرض لا يجد ولا يوصف كما يصيب الصغور الحطاف في الفصل الذي يهاجر فيه رفاقه، فيتسللون من بيوت أهليهم فلا يمدون اليها في حياتهم. وأما سكان البلاد الاخرى فان حب السفر لا يكون في الكثير منهم الا حاجة وقيية لانهم بعد أن يقضوا بضع سنين على سفر يركبون فيه متن المهالك يرجعون الى أوطانهم فيعيشون مديدة الاستقرار الذي يدهشني من المربين هو قعودهم حتى الآن عن البحث في الانتفاع بالاسفار في التربية وجعلها ركنا من أركانها . ان قيل : انما ينهم من ذلك حاجتهم الى الزمن ؟ قلت ان السفر الى أمريكا مثلا لا يقتضي الآن منه أكثر مما يلزم لتعليم التلميذ شكل الكرة الارضية تعالما فيه شيء من الحلق على مافي السفر ومعاينة الاشياء من القوائد الكثيرة التي لا يستفيدها المتعلم من أي درس من دروس تقويم البلدان كتابية كانت أو شفاهية وان قيل : ان ما يقتضيه السفر من النفقات هو الذي يخيف المربين منه ويصددهم عنه ؟ قلت قد فهمت هذا الاعتراض الا انه يوجد من الطرق غير واحدة للسفر بدون كبير نفقة وانما أكبر العوائق في هذا السبيل هو حذر الآباء والامهات وخوفهم على أولادهم فان فكرة غياب الغلام الفرع عن نظر ابيه ووكلاء موج البحار ومخاوف الاسفار ونخذه ونفسه مما يهيج نفوس الامهات وتثور له قلوبهن . لاجرم ان اهتمنا بولادهم حقيق بالاحترام والاحبال ولكن ينبغي أن يفهمهم القائمون على التربية ان ليس في الغياب شيء يقطع أو اضر الرحم وان عرى المحبة والوداد تجمع بين القلوب الشريفة والنفوس الكريمة مهما اتسعت مسافة البعد بينها وانه لا خوف من الحرية الاعلى الاناء الذين لم يكره تعليمهم الاستقلال بالسير في هذه الحياة على انه لا يصح ان تكون محبة الوالدين لا ولادها الاعزاء مقصودا بها لذتهما بل لا بد أن تكون غايتها الحرص على مصلحتهم فان رحمتها بهم تدب اليها شبهة الاثرة اذا انحصرت في ابقائهم في كنفهما وان أدخل ذلك بتلك المصلحة وفوق ذلك فانه لم يكن من العبث ان استعملت في ايماننا هذه قوة البخار في طي المسافات السابعة ، وتقريب الاقطار المتسائية ، وأبعدت الملاحة في قوحتها ، ورخصت

لناس أسعارها ، فأصبح السفر الى البلاد النمامة لنا من أسفل معتبرا عند شيان الانكيز
من قبيل التره وتخصية وقت الفراغ في البحر وقد شعر النوع الانساني بنمو اجنحته
لارقي فلا يحبس من التسليم واتي لاخشي ان لا تقني حكمة الشيوخ الزاجرة عن السفر
ولا الجدول الاطلائقي شيئا مما يجده خلفنا في نفوسهم من الحمية والحاجة الى رؤية العالم
جميع الامم الحرة أتم رحالة لا يموقها بعد المسافات ولا اختلاف الاقاليم ولا العتبات

المادية بل ولا تعلقها المتين : لاعى بالزاوية التي تمش فيها من الارض
ان القوانين التي جرى عليها توزيع أحيال النوع الانساني على البلدان قد تحدد
بمنها بالفطرة وبعضها بالتاريخ وكثير منها بسياسة الحكومات وما زال الحاكون في
كل عصر يعنون أشد العناية بان يمش المحكومون ويموتون في الارض التي ينسبط
عليها ساطنهم سواء في ذلك الاغنياء منهم والفقراء وقد استتجوا من كون هذا الامر
مفيدا لمصالح ملكهم انه من الفروض التي لهم على رعاياهم ونجحوا في اقناعهم بذلك
وكان من أوهام المربين وخيالات الشعراء وأفكار رجال الدين : اتصاف في قرون طويلة
على أن يفسر في القلوب غريزة يشترك فيها الانسان مع المجموعات وهي حبه لما كان الذي ولد
فيه . نعم انهم من الفرائز الحسنة ولا ننس انهم هي السبب في تألف الجماعات ولكن لا يمزج عن
ذكر ك ايضا انه يسهل ان يساء استعمالها ليقى المستضعفون من الناس عييد الاقوياء الناشئين
لما كانت جماعات الانسان في بداية نشأته قد انحصرت كل واحدة منها في بقعة
من بقاع الارض كانوا معتادين من صغرهم على الممشية في الاماكن التي يجدون فيها
ما يقتاتون به ووصلت بهم هذه الحالة الى حد انهم قد عدوا هذه العادات الانحصارية
من الفضائل وأما انا فلا أعدها الا مهية ولا أقدرها بما لا تستحق فزال الفلاح
اللاصق بأرضه قلبها ويزرعها أدنى منزلة في الجلسة من المدني والمدني نفسه يستفيد
ويرتقي كثيرا اذا اتسع نطاق معاملاته مع العالم

الامم التي تكون عالة على أرضها أجنبية عن لغات غيرها في وسعها ولا شك
ان تقوم بهظام الامور وجلائل الاعمال لكنها تكون أكثر من غيرها استهدافا
لقوارع البغي السياسي فانها لا تتأثر من تعطيل القوانين ولا من ابطال كفالات الحرية
ولا من دوس حقوق الافراد واحتضامها ذلك لان ابناءها يلصقون وهم كالمستبشرين
بقطعة الارض التي تؤويهم وقد دنسها الدم الذي سفكه عدوها الظافر وجعل منه قرابا

لسيفه فالأغتراب أشد رهبة في صدورهم من جميع المصائب ولو أحاطت بهم فوادح الخطوب القومية من كل ناحية فإذا نفي بعض ذوي الوجاهة والنفوذ من الأحزاب المستضعفة إما بحكم الضرورة أو بما يتخذ من طرق القهر في زمن الفتنة كان النفي ابلاغ المحن في نفوسهم ألما فتراهم حارّى لا يدرون أين يذهبون ولا ماذا يصنعون وقد صارت الدنيا في أعينهم وهم خارجون من ديارهم صحراء يميزهم فيها الدليل، وموحشة لا يجدون فيها الأمانيس وأما الامة التي يمتد أفرادها من نعومة أظفارهم على قطع أجواز البحار ولا يكونون بمنزل عن لغات الامم الاخرى وعوائدها وبدرسون أبهى ضروب الحضارة عنهم وأشدّها احتلافاً فانه لا يكون لصروف الدهر عليها سبيل ولا يخفى نبوها بطش القوايين الخاصة ولا التغريب بل انهم يكونون أصدق من فليس الثاني (١) اذا قالوا متشبهين به «ما كانت الشمس لتقرب عن حكوماتنا»

ولقائل ان يقول: ان عادة السفر قد تضعف في الاحداث العاطفة الوطنية؛ فاجابه اني لأأمل قطعا الى عموم معنى الوطنية واتساعه فما اتمس من تكون الدنيا كلها ووطناله إذ لا يكون الانسان انسانا الا بشرط أن ينتسب الى طائفة معينة من البيت الانساني وان يكون له لغة وأمة خاصتان به غير انه لا ينبغي ان يتوهم ان حب الوطن الحقيقي يضعف كثير من معناه اذا تجرد عن روابط الوثنية المسادية التي كثير ما تشوهه وتجس قيمته فليس الوطن مطلقا عبارة عن الجبل أو السهل أو القدير الذي يولد الانسان بجوارحه اتفاقا وليس هذا من القريميد أو الحجر ولا هو المكان الذي يحصره سطح بقدر بالفراخ المربعة كلا ليس الوطن شيئا من ذلك ولكنه معنى يقوم بالذهن بل تاريخ الامة بل آثار سلفها وان شئت فقل انه وجود كلي تشع جزئياته بالمعيشة فيه، ولا شيء من ذلك كله يضيغ في ركوب متن البحار، ولا في اجتياز المنافوز والقفار، اذا نقش على لوح القلب، وتحققت به النفس،

جاءت أخبار من بلاد اليرمو بواسطة بعض ممارفنا تحمل على الاعتقاد بان رولوريس قد سابت أموالها بتواطئ حصل بين أقاربها وقد استفتينا العارفين بالقانون فكادوا يمجمون على ان هذه القضية الغامضة لا ينبغي غموضها ولا ينكشف سرها الا في اليرمو وانها تقضي

(١) فليس الثاني هو ابن امتاس أحد ملوك مكدونية الخمسة الذي تسموا بهذا

الاسم حكم من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ ق م وفتح بلادا كثيرة

ان توسط فيها صديقا بعدد اقل بمصلحة الفتاة الموضومة فذهبنا عن هذا الصديق فلم تقع عليه صنائع البر إستلزم بعضها بعضا قاتنا وان لم تبين هذه الفتاة الاجنبية فقد التقطناها وآويناها الى بيتنا وصار من الحق علينا انصافها في بلدها

فكرت في أن اسافر بنفسي للقيام بهذه المصلحة فرأيت غير واحدة من العقبات تدافعني عن تنفيذ هذا العقد من ذلك ما يقتضيه قطع تلك الثقة البعيدة من النفقات وعدم احتمال الفوز بالحق في الدعوى والروابط التي تربطني بالبقاء في أوروبا وبالجملة فان سبعين اعتراضا قويا قد وقفت بي موقف المتردد بين الاقدام والاحجام فقد تعاهدت انا وهيلانة بعد الذي ذهبا من ألم الفراق ان لا نفرق ولا أدري ان كان في مكنتها احتمال سفر شاق كهذا ولوانه اقضى ان يحتمل ماضى الفرق مرة ثانية لما ترسنت في اطراح خاطره على ان هذا الحاضر لا يزال يساورني والحالة التي أصبحت فيها بسبب كفالتنا تلك الفتاة العزيزة علينا وما ياحقنا من تبعات التقصير في شؤونها لم تكدر لي حرية الاجتياز في السفر بل قد شعرت بوارد يأمرني به أمرا

وأقول على أي حال: أفلا يجوز ان يكون الانسان منافقا يتخذ المقدور من حيث لا يشعر ستارا لإخفاء نفاقه؟ أفلا يصح اتنا مع اعتقاد امتثالنا في العمل لحكم الضرورات تتبع في اغلب اعمالنا ما توجيهه لنا شهوراتنا او نمزج المصلحة التي تتجمل اتنا نقوم بها لغيرنا بشيء من الاثرة او يكون ميل الغريزي الى التجوال هو الذي قد تنبه في نفسي واجتهدت في مواراته بحجاب صنيعه للمعروف او ان تكون لي غاية خاصة او سبب خفي يدفعني الى تغيير الهواء الذي انا فيه

لست أقطع بشيء من ذلك ولكنني كلما تساءلت خيل لي ان قصدي الاول اتنا هو نفع الولدين اللذين اخذت على نفسي تربيتهما

لو كان في وسعي ان لاستفتي الاميلي وذوقي لجاز ان لا تكون البيرو هي المكان الذي اتخذه من الارض موضوعا للدرس والتعليم وذلك لشرط بعدها ولكن ما اوسع السفر اليها من ملعب تجلي فيه كثير من الوقائع والمراي اذ يرى المسافر سموات مجهولة له يمرها من الكواكب ما لا يثير أقطارنا الكامدة ليلا، وبحار امشحونة بالغرائب، وسواحل قاصية ابرزها للبيان فمل الحيايل النارية، وخليطا من الاحيايل الآدمية التي لا يتم امتزاجها وتسفر اخلاقها عن تاريخ تام

من المرافقة هو السن الذي يكون فيه التأثر قويا فهو الذي تنفتح فيه على المخ
صورة العالم الخارجي أتم انتقاش وأدقه ولقد حصل «أميل» من العلوم الصحيحة - أن لم
أكن وأما - ما ينبغي لاستغاله بالكون وسيؤله درس الواقع الكونية المحسوسة لدرس
المعقولات فإن تعام في الألفاظ ومحسنات اللغة لحدث لم يشاهد شيئا بنفسه ويراقبه ويحس
به كندر الزهر في كهف اه

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت

التعليم الابتدائي لا بد منه لكل فرد من أفراد الأمة صناعاتها وزراعتها وأجرائها
والتعليم العالي لا بد منه لطائفة من خواص الأمة الذين يعملون الأعمال الكبيرة
كالمعلمين والمؤلفين والساسة والقضاة والأطباء ومديري الشركات المالية وكبار التجار
فإذا لم تتم الطبقات الدنيا التعليم الابتدائي كان أفرادها كالبهاائم لاصلة بينهم وبين المتعالمين
ويسهل على كل دجال ومحتال أن يقودهم إلى ما شاء من الشرور ، وإذا اكتفى الخواص
بالتعليم الابتدائي كان ضررهم في الأمة أشد من ضرر الموالم الاميين لانهم يعجزون
عن الرقي بها والقيام بشؤونها الكلية فيختل النظام ، ويمتل مزاج المصالح ، وينصرف
هؤلاء الزعماء إلى الفساد في الأرض بمجهالاتهم وشهواتهم ، ولا يكون لهم حظ من
التعليم الناقص الا تقليد الامم الراقية في الآداب والماعون والآثا وذلك يذهب بثروة
الأمة ، ويمتدحها بسوء الأسوة ، ومجملها العوبة بأيدي الفاحشين ، وحلبانة ركبانة للمستعمرين ،
ومن العار على مصر أن تكون على سبيلها البلاد العربية كلها إلى التعليم العصري
خالية من مدرسة كلية للعلوم العالية بجميع فروعها فإن المصريين يشتغلون منذ قرن
كامل بالتعليم ومنهم من تخرج في مدارس أوروبا العالية ومع هذا لم تسم همهم إلى
انشاء مدرسة كلية تفتيهم عن المدارس الاجنبية الخالية من لغتهم ، ومن التربية المالية
التي تليق بهم ، على ان مصر أغنى البلاد العربية وأحوجها إلى العلوم العالية وخواصها
أعرف بهذه الحاجة من خواص مساهمي سوريا وتونس وله الجزائر ومراكش فإن
الكثيرين منهم يرسلون أبناءهم إلى أوروبا وإلى سوريا لتكامل دراستهم في مدارسها العالية
في بيروت عدة مدارس كلية وليس في القاهرة مدرسة واحدة وفي تلك المدارس مئات
من أبناء المصريين وقليل من أبناء مساهمي سوريا وانما كان هؤلاء قليلين لان الآباء
يخافون على عقائد أبنائهم من هذه المدارس فلما كلها دينية ومديروها ونظارها من
القسيسين وهم يلزمون التلميذ المسلم بدخول الكنيسة وصلاة القصارى فيها ، وفي مدارس

الجزويت يحولون يته ويبن كل ما يذكره بدنه حتى انهم يحرقون ما يطبعونه من كتب المسلمين فينسيبون كلام الله فيه الى الناس المجهولين وكذلك كلام رسوله عليه السلام ويكذبون على الاسلام والمسلمين في التاريخ لينفروا تلامذتهم عنه، وأمثل مدارس سوريا وأوروبا للمسلم المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فاقما أحسن تربية لما فيها من روح الطرية والاستقلال، واللغة العربية فيها معق بها لاسيما في هذا العهد الاستاذ الاول لعلومها جبر أفندي ضومط صاحب كتاب (الحواطر الحسان، في المعاني والبيان) وكتاب (فلسفة البلاغة)، الواسع الاطلاع على الآداب الاسلامية، المجبولة طينته بفضيلة الانصاف، المفرم بتربية النفوس على الفضائل، غرامه بتربية العقول على الاستقلال في طلب الحقائق، الذي يعتمد في تلم الاخلاص على كتاب الاحياء للغزالي أكثر مما يعتمد على سواء

وقد وجد هذا المعلم المرئي مجالا فسيحا للعمل بمذهبه في التعليم والتربية على عهد رئيس المدرسة الكلية الحاضر الدكتور (هورد بلس) الذي يقول ان حياة المدرسة في ثلاث كلمة «لا إله الا الله» وطلب الحقيقة بالاخلاص والنظر الى الخائفين في الدين من جهة الاتفاق لامن جهة الاختلاف. هكذا حدثنا عنه صديقنا جبر أفندي عند زيارته القاهرة في أوائل هذا الشهر وخطبته في كنيسة المدرسة يوم المولد النبوي تؤيد ذلك وقد نشرت «ثمرات الفنون» يومئذ ما خضها فدل ذلك على ان هذا الرجل اشته بفيلسوف إلهي منه بقسيس نصراني، فأين منه الامريكان المتعصبون في مصر

وحلة القول ان المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت أمثل للمسلم من مدارس مصر وسوريا والاستانة وأروبا فهي مدرسة قرب ولا تزال تربي رجالا بل هي الآن للمسلم خير منها قبل الآن، اما المدارس الابتدائية فغيرها للمسلمين المدرسة العثمانية الاهلية في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الاستاذ الامام عودته

عاد الاستاذ من سياحته في اوربا واخر رتونس التقا في محطة القاهرة الجماهير من العلماء والوجهاء وهي حفاوة داعيتها المحبة والاحبال، ولم تعهده في هذا الديار وقد اتى على حفاوة أهل الجزائر وتونس وحكومتهم باه وقال انه رأى روحا جديدة في العلماء وتوجهوا جديدا من فرنسا لسلامة دينهم وانه يزج حوذلك للادين حياة عامية سعيدة، ونهضة اسلامية قوية في كتب الحكم والحكماء، ويعرجه العلى العلوية
في سنة نشر بعض فوائده حلة فيما بعد

﴿ كلمة للمشتريين أو كتمان ﴾

لا يكاد يمضي يوم الا ويجئنا فيه مع البريد كتاب أو كتب من المشتريين يطلبون فيها أجزاء ناقصة من المنار وقلما يرسل أحد منهم ثمنها الذي عيناه وننشر اعلانه على الغلاف دائما ومنهم من يلح في ذلك ويكرر الطلب ولنا العذر في عدم الجاوبة (راجع الاعلان في الصفحة الرابعة من الغلاف) هذه هي الكذبة الأولى واما الثانية فترجو من المشتريين الكرام حيث لا وكلاء للمنار التفضل بارسال قيمة الاشتراك حوالة على البريد في مصر وان لا يحوجونا الى المكاتبة وثيقة التحويل كما فعل ذلك الفني العظيم في بني سويف اذ طالبناه بشمن المجلدات التي اشتراها من المنار وبقية الاشتراك فما أغنى عنه الطلب وحوالنا عليه فلم ينف التحويل فلو استن الناس بسنة هذا الفني لبطلت الاعمال وفسد العمران وهلك الانسان ولعله يرجع اليها المجلدات والجزاء اذا شق عليه ارسال ثمنها ولا يحوجنا الى التصريح باسمه خلافا لما دتنا

﴿ المبرة في ثورة مكذوبة ﴾

كل يوم تأتينا البرقيات والصحف الاوربية بضروب من أخبار الثورة وآراء أهل أوربا فيها وكلها عبر للمسلم ولكن نقفها في صحفنا لا يوجهون النفوس الى طرق الاعتبار بها. قامت قيامة اساقفة الانكليز على حكومتهم وكتبوا يحرضون الامة على الحكومة لتحملها مهم على الانتصار للصاري مكذوبة والسعي في إنقاذهم من حكم المسلمين وقد اضطرت الحكومة أن تدافع عن نفسها وتبرئها من تهمة مساعدة الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن الماضي وتفتخر بأنه تدمير مساعدتها وضع قبرص والبغاوارور وماينا والبوسنة ومصر وكريت تحت لواء أوربا كما اعتذرت عن عدم السعي في استقلال مكذوبة بأن القصر الاقوى فيها مسلمون متعصبون لدينتهم ولسلطتهم هذا وانك ترى أكثر الجرائد الاوربية والمقلدة لها في الوسائل والمقاصد تتدبذبح الارك وتكلمهم بالنصارى في البلاد النائرة أي باناثرين ومساعدتهم ولكنها تمدح الناثرين وتطلب مساعدتهم على احراق بيوت الله وبيوت الناس والفتك بحكامهم الترك وسائر المسلمين

ولأن الدولة العلية قصرت أو محجرت عن تأديب هؤلاء الثوار الأشرار لكانت في نظرهم أحق بالتأنيب، وأحوج إلى التأديب، وقد كتبت جريدة فرنسية مقالة في هجوم اليونان لأنهم لم يساعدوا الثأرين عملاً بمصلحتهم وقالت الجريدة أن المسألة مضية يجب فيها العمل بالغيرة الدينية، دون المصلحة السياسية، وقد عربت هذه المقالة جريدة الجوائب المصرية،

فاستمر بهذا المنهججون الذين يزعمون أن أوروبا فقدت الغيرة الدينية ويجهلون أنه لولا هذه الغيرة لما نارتأثر نصرا في كريت ولا مكدونية ولا غيرها وأن هؤلاء الثوار يملكون أنهم معجزون عن الخروج من سلطة الدولة العثمانية بالقوة ولكنهم يعتمدون على انتصار الشعوب الأوروبية لهم والزامها بحكوماتها بمساعدتهم. وإن كانت الحكومات تقدم مصالحها على مصلحة الدين فإن من مصالحها أيضا إرضاء رعاياها ورضا أغا حاساسهم الديني. أما هذه الثورة فقد استمد لها المقدونيون في بلاد الدولة وفي بلاد البلقان استعدادا عظيما مبني على العلوم والسنائع فدارس التصاري في تلك البلاد تتابعهم عمل الدسائمت لأجل الاستقلال، وغير ذلك من العلوم والأعمال، والمسلمون لا يتعلمون إلا ما ينكث قتلهم، ويقطعون روابطهم، فلو صبر الثوار لاستولوا عليهم بالعلم، ولكنهم عجولوا إلى امتشاق السيف، والدولة لم تكن غافلة عما يعملون ولكن السلطان الأعظم يجب مداواة الأدواء باللين ما وجد إلى ذلك سبيلا ولذلك كان يمنح الرتب والوسامات لكل من توسم منه الشر فاما جبه الميقات، لم تكن الرتب والوسامات، وكل ما هو آت،

فتك الهیضة في حصن وطرابلس

كان فتك الهیضة في هذين البلدين أشد منه في سائر البلاد السورية وقد قلنا في جزاءه من يضرب ويصوب به في طرابلس الفقراء الذين لا يزالون بالنظافة ومداراة الصحة ولكن قدماء به في حصن جماعة من خيار أهل العلم والدين وهم

(١) الشيخ محمد محمود الاناني — كان هذا الرجل شيخ العلماء وكبيرهم في حصن مات عن ثمانين سنة لم يسأم التدريس والتعليم في أواخرها كما سئم لبس الحياة في مثل سنه لأن الإنسان لا تطيب له الحياة بعد ذهاب الأطيبين إلا إذا كان له حياة عقلية وروحية ينم بها وكان رحمه الله تعالى ورعا قنوعا لم يأكل قط بعلمه ودينه على أنه كان أكبر العلماء جاها ولم يأخذ من مال الأوقاف شيئا على أنه كان المدرس الأول في الجامع الكبير. وكان عالي الهمة سليم القلب رقيق الطبع حسن الفكاهة حافظا للناس في غيبتهم كحضورهم ويعتقد المارفون بحال البلاد أنه أحد الأفراد الذين حفظ بهم العلم

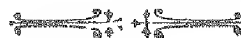
الاسلامي منذ ستين سنة اذ بلغ النهاية من الثلاثي

(٢) الشيخ ائیس الموحی - وهو من فقههاء الحنفية الماهرة وكان مرجعاً للخاص والعام في أحكام في المعاملات لاسيما مسائل الأزواج قضی فی سنن الحسنین ، ولم یکن من الفقهاء الجامدين ،

(٣) محمد سعيد افندي الحسکیم - کان من الشبان الاذکیاء المستعینين بالعالم المحيین الاصلاح وتعلم الطب من والده وغيره وعمل به ولكن الاجل اذ جاء لا یتفیع معه طب ولا یتجونه طیب علی أنه یقع بسببه ولكن الانسان لا یتهدي دائماً لاوقوف علی الأسباب والعمل بها

(٤) الشيخ علی العمري - أما طرأ یاس الشام فلم یمت فیها من الرجال المشهورين بالعلم أو غیره أحد الا الشيخ علیا العمري وهو لم یمت بالهیضة الباثية بل بمرض آخر كما یفهم من ترجمته في جرائد بیروت مات عن تسعين سنة وكان أكثر الناس بمتقدون صلاحه وكرامته یتناقلون عنه من الخوارق والفرائب مالا یحصى وأشهرها انه کان یفث فی قنجانة القهوة وقدر الشاي أو یشرب منهما قليلا فیکون له ماراثمة مسکية ویأخذ عوداً أو قطعة من الخصیر أو غیره فیضعها فی النار فتکون رائحة دخانها کرائحة العود الهندي ویأخذ عوداً من الکبریت أو خللاً فیله برقه ویکتب به تيممة لطلبها علی انه کان آمیا . ومن الناس من یأول أمثال هذه الفرائب یتقلون عنه ما هو أغرب منها . ومما امتاز به علی متحلي الکرامات من شیوخ الطریق انه کان یأتی بأغرب خوارق فی ملاء الاسراء والوزراء ، علی أن القوم یخصون بها العامة والأغیاء ، وان یختار باشا الغازي یروي عنه من الخوارق مثلما یروي عنه الدهماء فی طرابلس الشام . وقد عرفناه وكان یسنا وینه مودة ولكن کاتب هذه السطور لم یر منه شیئاً یتعاصی علی التأویل

أما أخلاقه فأخصها بالتواضع والمروءة وحفظ اللسان والسبی فی مصالح الناس وكان محترماً عند العظاماء . ول الشفاعة عند لولاءة والحکام وقد کان یبهم بعض الناس بترك الصلاة ولكنني مارأیته ترك صلاة واذکر انه کان نائماً عندنا فی الحجرة التي أنام فیها فاستيقظت فی جوف الیل علی تهجده ولم أشعره بذلك . ولم یکن یعاهد الناس علی الطریق ولا یجمعهم علی الذکر ولا یتکلم بالتصوف ولا التوعظ تعنده الله تعالی برحمته الواسعة وأحسن عزاء أجباله ومحبيه



فيشر عادي الذين يستمعون القول
فيتوبوا حسنة أولئك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الآلآب

المعراج

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خير كثير ما
يذكر إلا أولو الآلآب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة شعبان سنة ١٣٣١ — ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣)

قسم الدين

باب تفسير القرآن الحكيم

سورة العصر

اقترح بعض العلماء في الجزائر على الاستاذ الامام ايام كان عندهم ان يقرأ لهم درساً عاماً يستفيدون منه ، ويتحقق به تلقينهم عنه . فقرر لهم سورة العصر وقد كتب بعض من حضر الدرس ملخص مقاله الامام وكتب بعضهم يقول ان بعض الكتّاب اخطأوا فيما كتبوا واقترح ان يكتب الاستاذ الامام نفسه تفسير السورة وينشر في المنار ليصحح عليه الكتّابون ما كتبوا فرفضنا ذلك عليه فكتب ايده الله بروحه ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ *

المرجح ان هذه السورة من المكيات ، وقد ورد عن الشافعي فيها أنه قال : لو لم ينزل الا هذه السورة لكفت الناس : وفي رواية عنه : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : وصح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا

اجتمع اثنان منهم لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر . وقد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك وهو خطأ وانما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها خصوصا من التواصي بالحق والتواصي بالصبر حتى يجتلب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده

جرت سنة الله في كتابه ان يقسم أحيانا بشيء من خلقه أو بشأن من شؤنه لينبه الناس الى ما أودع فيه من الحكمة وانهم ان كانوا قد نسبوا اليه شيئا من الشر او ظنوا فيه ضربا من السوء فهم مخطئون فان السوء والشر ليسا في هذه الاشياء وانما هذا في نفوس المستعدين أو المعتدين وقد كانت أديان يظن أهلها ان هذا الكون الزماني وما فيه كونه شر وفساد ومن الواجب على طلاب السعادة ان يحقروه وان يفروا من طيائره ويجردوا نفوسهم الى عالم آخر فوق عالم الكون والفساد . فجاء الكتاب المبين بين لهم سوء فهمهم عن الله . ومن طرق تنبيههم الى خطأهم تلك الاساليب التي جاءت في القسم ووردت في الكتاب . أراد ان يكشف لهم ان هذه الاشياء من حكمة الله بالمنزلة التي تبلغ ان يقسم الله بها كأنها مما يعظمه الله وناهيك بذلك الذي يعظمه خالق كل شيء ووجود كل موجود الذي لا وجودا شيء الا منه

المصر إما القطعة المعروفة من الدهر وهو الزمن الذي يعيش فيه المتكلم مع غيره سواء قدر بعدد من السنين كمئة سنة مثلا أم لم يقدر ، وإما الوقت المعروف من النهار ما بين الظهر والمغرب وكل منهما تصح إرادته . وقد اعتاد الناس سب الاول فكل يشتهي من عصره وقول :

هو عصر جهالة ونذالة ، ونقص مروءة ، وخبث طوية ، ورداءة عمل ، وينسبون ماشاءوا من الخير الى ما كان قبل عصرهم من المصير فأراد الله ان يزجج قوسهم عن مثل هذا الاعتقاد بأن أقسم به ليدش عقولهم بمعظم ما ألفوا تصغيره ، ورفع قدر ما اعتادوا تحقيره ، والعصر بالمعنى الثاني كان الوقت الذي يجتمع فيه الاعطال من العرب قريش وغيرها اما عند الحرم أوفى مواضع أخر من متدديات الاحياء ويخوضون فيما لا خير فيه من غيبة أو هزء وسخرية أو لغو من الحديث مله عن جد العمل فوقر في قوسهم ان ذلك الوقت نفسه هو قرارة السوء ومجتمع الشر فدفع الله ذلك عن الزمان اليهم وعلمهم ان الوقت نفسه بمنزلة من الشرف يصلح معها لان يقسم به خالق السموات والارض فكان عليهم ان يستعملوه فيما يناسب هذه المنزلة ويشغلوه بطيبات الاعمال فيخلصوا بذلك من الخسران الذي لم يلحق بهم الابسيثات أعمالهم

إنما ورد هذا القسم - على أي المعنيين - تأكيد للخبر الذي أراد الله أن يسوقه لنا وهو ان الإنسان في خسر الخ وإنما احتاج هذا الخبر الى التأكيد لأن كثير من الناس يظنون ان من الأحوال والأعمال وراء ما ذكر في هذه السورة مالا خسار فيه بل يمتقدون ان السعادة في التلخص من عقد الايمان، والمقت من قيود الفضائل، وانطلاق النفس فيما يسمونه متسع التكر ، وحرية العمل ، بدون تخرج من رذيلة ، ولا إجحام عن فاحشة ، متى كانت تلذ للنفس في العاجل ، وان أدت بها الى الهلكة في الآجل ، وأن من الامم من يسمد وان اتبع أفرادها أهواءهم ، وملكتهم شهواتهم ، ماداموا يكسبون المال ويوفرون على أنفسهم وسائل القوة في زعمهم سواء

آمنوا لم يؤمنوا، عملوا الصالحات لم يعملوا، تواصلوا بالحق والصبر
 لم يتواصلوا، وأمثال هؤلاء الظانين فوق عددهم المحصر في كل زمان ومكان
 «أل» في الانسان للاستفراق كما يدل عليه الاستثناء في قوله «الا
 الذين آمنوا» والاستفراق بأل في لسان العرب ليس كالأستفراق بلفظ
 «كل» الذي يسور بها المناطق فضايهم الكلية وليست «أل» مساوية لكل
 التي تضاف الى النكرة ويريد بها العربي تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس
 وانما يراعى في «أل» استفراق المهود عند المخاطبين لأنها في لسانهم للمهد
 وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد ولن تشارك المهد في حال من الاحوال.
 وكذلك التي يسميها النحاة للمهد الذهني ويحيزون في الفرق بينها وبين
 النكرة ثم يقول من لا يعرف خصائص اللسان منهم: ان الفرق في اللفظ
 واجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه: وهو وهم فاسد فان قول الرجل
 لبيده: اشتر اللحم من السوق لا يفهم منه أي لحم في الكون بأسره ولا
 أي سوق في العالم بأبعجه ولكن قد عهد السيد نوعا خاصا نمود المهد
 شراءه وأسواقا خاصة هي أسواق المدينة التي يقيم فيها وان لم يتمين أحدها
 فالعهد والتعريف به لم يفارقه. والفرق بين المعنى والمعنى في النكرة
 واضح لمن يعرف خصائص اللسان

والانسان الذي تجري عليه أحكام الانسانية ويحدّث عنه في مثل هذه الشئون
 هو من بلغ سن الرشد تاملا يميز بين الخير والشر وليس يخطر بالبال عند
 التخاطب في مثل هذا المقام الصبيان غير المكلفين ولا المجانين. ولو أتى
 بلفظ «كل إنسان» لشمّل ذلك. ولا تؤدي «أل» تؤدي «كل» الا بقرينة.
 فلا استفراق في الآية على حقيقته وهو شامل لجميع أفراد المكلفين من

الناس سواء كانوا ممن بلغتهم رسالات الانبياء ام ممن لم تبلغهم كما سيأتي بيانه
والخسر في اللغة يطاق على الضلال وعلى الهلاك وعلى النقص وكل
ما جر عليك عملك من شر فهو خسر لك وخسران وخسارة لانك كنت
تبتغي بمالك الفائدة والثمرة الطيبة تجنيها منه فاذا جر عليك ما كنت
تتوقاه ، وحرماك ما كنت تتوخاه ، فقد خسرت لانك ضللت في القصد ،
ودخل النقص عليك في بغيه تهلك ، وأهلك التعب من حيث تطلب الراحة ،
وكل ما آلمك وأشقاك وأقلق تهلك ، واضطرب له قلبك ، فهو نقص في
لذتك . واذا عملت عملا وانت تقصد به سكون القلب ، وهناء العيش ،
فحدث انزعاج النفس ، ونقص الطمأنينة ، فقد ضللت به في القصد ، وخسرت
في السعي ، والخسر في الآية مطلق لا يقيده بدنيوي أو أخروي فكل
مكلف ممن لم يتصف بالاوصاف الآتية (في السورة) يصيبه حظ من
الخسران في هذه الحياة أو في التي بعدها ، لأن السورة مكية كما قلنا والخطاب
في المكيات ، كانت تراعي فيه العمومات في كثير من الآيات ، كما تراه
في سورة « والليل اذا يفتشى » مثلا والخسر بفقد الراحة وطمأنينة النفس
الايمان في هذه السورة مطلق كذلك لم يقيده بشيء كما ترى ولكنه
محمول على ما هو معروف عند المخاطبين والامس بمعوم الخطاب انه اذا كان
النفس لليقين بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبأن على الوجود
مسيطر ا يرضى الخير ولا يرضى الشر ويجب الفضيلة ويكره الرذيلة وأن
من رحمة ان يخص من شاء من خلقه باطلاعهم على شيء من سره وأمرهم
بأن يبينوا للناس ما التبس عليهم من مذاهب أعمالهم ، ويعرفوهم مداخل
الاهواء الفاسدة الى قلوبهم ، ومساالك الدلائل الصحيحة الى عقولهم ،

فقبلوا على هذه وثلقوا ما يساق اليهم منها ، ويسدّوا على أنفسهم تلك
وقيموا من العزم حارساً على نوافذها يمنع ما عساه يهوي اليها ، وهذا
الايان هو المدلول عليه بقوله تعالى في سورة (والليل اذا يقضى) : « وصدق
بالحسنى » : وليس الايمان هاهنا هو التصديق المقرون بالاذعان لتفصيل
الاحكام الواردة في شرعنا خاصة فان الحكم انما هو على الانسان في
جميع أمكته وأزمته لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل يعم الامم
جميعها ماضيها وحاضرها ومستقبلها فالكلام في السورة لتقرير حكم عام
من أحكام الانسان في نفسه وانما تدخل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
في حكم هذا العام ويكون من بلفظه تلك الرسالة ولم يصدق بجميع ماورد
به القطعي سنداً ودلالة من نصوصها خاسراً في الدنيا والآخرة بحكم
هذا النص من جهة عمومته وبالنصوص التفصيلية الاخرى التي وردت
في كثير من سور القرآن

وليس الايمان كذلك مجرد ما يسميه الناس اعتماداً وان كان ببعض
التقليد لا عمل لعقل ولا لوجدان فيه فان مثل هذا الايمان قد خسر
معه أهم كثيرة ممن صدقت بمرسلين صادقين ، وأنبياء هادين ، وانما المراد
منه ذلك التصديق المقرون بطمأنينة النفس وخضوع القوى لحكم ما آمن
به « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » ذلك الايمان هو الذي كان
الله ولا يزال ينوط به النجاة من الخسران في الدنيا والآخرة . وسيأتي
إيضاح ذلك أيضاً

أما هذا الذي يتلقاه الناس من أفواه آبائهم فينشأ ابن المسلم لا يفهم

معنى لما يستعد أو لما يقول أبوه وإنما ينطق كما ينطق وتأخذه الحمية لما يراه
يحمي له لا يفهم لذلك معنى ولا يمجّد لنفسه فيه بصيرة كما ينشأ ابن النصراني
أو ابن اليهودي أو ابن المجوسي على مثل ذلك - فهو مما لا يستعد الله به
وإنما يستعد الله بتلك السكينة الروحية التي تشعر النفس بمهبطها إليها وذلك
العقد القلبي الذي يعرف القلب مكانه منه هذا هو الايمان الذي يليق
ان يسمى حياة للنفس يندھا للشعور بجميع ما يلزم له وما يصح ان يحمل عليه .
أما ذلك الذي سموه إيماناً وهو ليس به فهو مما يقتل النفوس ويهلك
الأرواح ويسلك بها مسالك الجهل وينتهي بها الى مهاوي الهلكة
أما الصالحات في هذه السورة فهي تلك الاعمال التي عرفت عند
الناس بأنها من أعمال الخير النافعة خلاصتهم وعامتهم المتفقة مع مصالحهم التي
لا تنكرها الأذواق السليمة ، ولا تجافيها الطباع المستقيمة ، ومنها ما هو
من ضروب الشكر لمفيض الخير والاحسان على الخلائق أجمعين كالعبادات
الصحيحة التي جاء بها كل دين صحيح في أي أمة من الأمم التي دعيت
الى الأخذ بذلك الدين زمن العمل بشرعها . ومنها ما هو من ضروب
البر كبذل الأموال في طرق الخير والسعي في اغانة المسكوبين ، وإقالة السائر ،
والعدل في الحكم ، وإعانة المظلوم من الظلم ، ونحو ذلك مما يطول تفصيله .
ومنها فضائل الملكات التي تصدر عنها الصالحات كالامانة والنفقة والانصاف
والهبة والاخلاص وأمثال ذلك . كل هذا يسمى صالحات وان كان منه
ما هو بدني يتعلق به العمل الظاهر ، ومنه ما هو قسبي يتعلق به العمل
الباطن ، والعمل يتعلق بالملكات لأنها إنما تحصل عادة بترويض النفس
طياً ، ومجاهدتها في سبيل تحصيلها ، ويدخل في هذه الاعمال عند كل أمة

ماوردت به شريعة رسولها ويدخل فيها ما هدى اليه العقل عند الاسم التي لم تبلغها رسالة . وان من أصول الصالحات ما هو معروف عند البشر عامة لا يختلف فيه أمة كالأصول التي ذكرناها قبل أسطر ولذلك سميت في الكتاب بالمعروف وسميت أضدادها بالمتكر أي ما تعرفه النفوس السليمة ، وما تشكره العقول الصحيحة

التواصي ن يوصي كل من الشخصين صاحبه بشي . والحق ما يقابل الباطل وهو يكاد يكون معروف المعنى عند كل الناس وانما يخطئ أغلبهم في حمل هذا المعنى على جزئياته فيأتي الواحد منهم الى أشد الباطل بطلانا ويقول انه الحق . فلو حمل الحق هاهنا على ما يراه الموصي حقاً لكان المعنى : وأوصى كل منهم صاحبه بما يستقده حفا وطالبه بالاخذ به : وربما كان الآخر لا يستقد أن الحق مع موصيه فيكون التواصي ضرباً من التنازع لأن كلا يدعو الآخر الى ما لا يرضاه وهو النزاع بينه فلا يصح حمل المعنى عليه وإنما الذي يصح ان يقصد هو ان يوصي كل واحد صاحبه بتحري الحق فيما يستقد بأن ينهه الى الحرص على البحث في الأدلة والتلطف في النظر للوقوف على الحق الذي هو الواقع لا يختلف فيه بمد معرفة وجهه فاذا رأى منه ضلة هدهد باقامة الدليل على ما هو الهدى ، واذا رأى منه تقصيراً في النظر نهض به اليه ، واذا وجد منه رجوة في الاخذة واهر الامور دون الفؤاد الى بواطنها نصحه باستعمال الروية وامعان الفكرة . وهكذا يكون على الآخر ان يعدل مع صاحبه مثل ما يجب عليه ان يعمل معه . وفرض التواصي على كل واحد يبيح للصغير او يوجب عليه ما يبيح للكبير أو يوجب عليه من ذلك الا انه لا يمنع من رعاية كل قائم بواجب عليه حق

الآخر فلو صية الصغير وعرضها على الكبير طريقة غير طريقة سوق الوصية من الكبير الى الصغير يعرف ذلك القوم على حسب آدابهم وما أنزوا في مخاطبتهم . والتواصي بالحق يدخل في الصالحات وإنما ذكره بلفظه لينوه فضله ويشير الى انه أصل بنفسه تناط النجاة به استقلالاً .

ولا يصح ان يظن ظان ان النجاة منوطة بالتواصي بالحق وان لم يكن الموصي آخذاً به فلو كان مجتلاً وأوصى بالحق فقد نجا، هذا مالا يقل وإنما جاءت الآية الكريمة على طريقة الایجاز التي فضل بها القرآن جميع الكلام فان المراد من كان على الحق وأوصى به . ومن المعروف عند العلماء أنه لا يوصي بالشيء ولا يدعو اليه الا من أصاب منه الحظ الاوفر وكيف يدعو الى أمر ويحسن الدعوة اليه من لا تكون له من ذلك الأمر حلية يعرف بها . وما تراه من قوم يدعون الى المعروف وهم يقيمون على المنكر فذلك لا يعد دعوة صحيحة لانهم لا يعرفون كيف يدعون وهم في دعوتهم الى ما يدعون اليه ينفرون الناس منه ولا يلبونهم الى ناحيته وخطاب الكتاب إنما جاء على المعروف المؤلف عند العلماء . وإنما قال «وتواصوا» ولم يقل : وأوصوا : ليبين ان النجاة من الخسران إنما تناط بمحرص كل من أفراد الأمة على الحق ونزوع كل منهم الى أن يوصي به قومه . ومن يهمله أمر الحق أيوصي صاحبه بطلبه . يهمله ان يرى الحق فيقبله فكأنه في هذه العبارة الجزلة قد نص على تراصيهم بالحق وتبوا لهم للوصية به اذا وجهت اليهم والصبر خلق من أمهات الأخلاق بل مساك كل خلق . قالوا في فضل الصبر إنه ذكر في القرآن نحو سبعين مرة وليس لنا فائدة كبرى في تحميد العدد ولكن جاء في الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم

بالقوة والفلاح. والصبر ملكة في النفس يقيسرها معها احتمال ما يشق احتمالها
والرضى بما يكره في سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال
كل خلق وما أتى الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه .
كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء وذهبت
منها كل قوة ، ولتضرب لذلك مثلاً نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين
اليوم ، إذا دقت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر فإن من عرف
باباً من أبواب العلم لا يجد من نفسه صبراً على التوسع فيه والتعب في تحقيق
مسائله وينام على فراش من التقليديين لا يكلفه مشقة ولا يجشمه تعباً
ويسلي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه ولو كان عنده احترام حقيقي لسلته
لاتخذهم أسوة له في عمله فحذا حذوهم وسلك مسلكهم وكاف نفسه ببعض
ما حملوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بجهلاء . ثم هو
إذا تعلم لا يجد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم وحملهم على عرفان
ما يعرف ولا جلداً على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده بل متى لاقى أول
معارضة قبع في بيته وترك الخلق للخلق كما يقولون . يجلس الطالب للدرس
سنة أو سنتين ثم تترضه مشقة التحصيل فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه أو
يكل والده من الاتفاق عليه فيصرفه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له فينتطح عن
الطلب ، ويذهب في الجول كل مذهب ، وكل هذا من ضعف الصبر
يئخل البخیل بما له ويجهد نفسه في جمعه وكنزه وتعرض له وجوه
البر فيعرض عنها ، ولا ينفق درهماً في شيء منها ، فيؤذي بذلك وطنه وملته ،
ويترك الشر والنقر يأكل قومه وأمته ، ولو نظرنا إلى ما قبض يده
لوجدناه ضعف الصبر ولو صبر على محاربة خيال الفقر اللائح في ذهنه

يهدده بالنزول به ، لما أصيب بذلك المرض القاتل له ولا اله له ،
يسرف المترف في الشهوات ، وتهتك المتهتك في المنكرات ،
حتى ينفد المال ، وتسوء الحال ، ويستبدل الذل بالفر ، والفقر بالثنى ، ولا
سبب لذلك الاضياغ صبره في مقاومة الهوى ، وضبط نفسه عن مواقع
الردى ، ولو صبر في مجاهدة تلك النزغات لما كان قد خسر ماله ، وأفسد حاله
وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل وأبحث عن عللها الاولى
لوجدتها تنتهي الى ضعف الصبر أو فقده ، ولو سردت جميع الفضائل
وطلبت ينبوعها الذي تستمد منه حياتها ما وجدت لها ينبوعاً سوى الصبر ،
أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يخص بالذكر ، فالخلق حياة العلم ، ومستنم
السكينة ، ومطمأن العقل ، ومستقر الراحة للنفس ، والصبر مستمد الفضائل ،
ومدحرة الرذائل ، ومساك الصالحات ، وملاك الحسنات ، فخير بهذين
الاصليين الجليلين ان يخصا من بين أعمال الانسان بالإشادة بذكرهما ،
والتنويه بفضلهما ، وإنت النفوس اليهما - غاصة ، لتبدأ باحرازهما فتصلح
بهما أعمالها كائنة ،

ربما تبين الناظر فيما ذكرنا وجه الحق في هذا الخبر الكريم وهو أن
الانسان في خسر الا من استكمل لنفسه هذه الصفات التي ذكرت ولكننا
مع ذلك نريده توضيحاً

الايمان بالمعنى الذي ينهه طور من أطوار النفوس البشرية ارتقت
اليه ، لتخلص من سوء حال كانت عليه ، النفوس البشرية في طموحها الى
الشهوات هي على نحو ما عليه المجهات مع امتياز في قوة استحضار الفات
وتغلب الآتي فماتت سائر نفوس الحيوان في الحرص على نيل ما يلد لها ما

ألفته، وادخار ما يوفر لها أضعافه فيما يستقبل من الزمن، فشكل نفس تستعمل قواها، في تحصيل ما يرمي إليه هواها، فما أعظم الشر تصوره في أشخاص من البشر لا هم لواحد منهم إلا في تحصيل ما يتخيله لذاته أو نفعاً، واتلاف ما يمثله مؤلماً أو ضاراً، ثم ينظر إلى ذلك في يد غيره فيثب عليه يستخلصه منه لنفسه أو ينافه لزعمة أنه ضارٌّ به ولا رادع للمعتدي إلا ما يكون من المعتدي عليه ولا يصدق أحد منهم بأصل للخير أو للشر أو للفضيلة أو للذيلة وإنما الخير عند كل واحد ما يلذه أو ينفعه سواء آلم غيره أو أضره أم لم يكن كذلك

أي شقاء يصيب النفوس البشرية إذا دخلت من الشهور بذلك الأصل العظيم أصل التمييز بين الخير والشر؟ فمن لم يكن مؤمناً بهذا الأصل ولم يصدق بالحسنى كما ورد في سورة الليل فقد خسر خسرانا مبيحاً الفرد الواحد في ذلك ينال نصيبه من الضلال، وسوء الحال، إذا خلا قلبه من ذلك الشهور فإنه ينجب في معاملته لمن معه على غير هدى، فيصيبه منهم ما يصبه من الأذى، ثم هو لا يزال قلق البال، حليف البلبال، كما لا يخفى. ونصيب الأمة من ذلك أعظم من نصيب الفرد بما لاحدله

من لم يؤمن بالقوة العظمى، والقدرة العليا، والحكمة السامية، والسيطرة القاهرة، التي ينتهي إليها كل عمل في الوجود، وبأن جميع ما عداها فهو في قبضتها، فقد قصر نظره، وضعف بصره، وعظم وهمه، ووهى معتمده، يرى كل قوة من القوى التي بين يديه كأنها مصدر وجوده، ومصرفه أموره، وإذا أصابه شيء من الشر لا يعرف له سبباً تخيل السبب شيئاً من تلك القوى كما يخطر بباله، أو أصاب شيئاً من الخير بدون كسب منه اخترع

له وهمه مصدر اكل يمتق له ، فتكثر عليه الارباب ، وتنسد في وجهه طرق
الاسباب ، ويقسد في شئونه على ما لا يصح الاعتماد عليه ، وهذا هو منشأ
ضروب الوثنية ، التي كانت سببا في فساد العقول البشرية ، والخسران الذي
نزل بأهلها أفرادا أو أمما لا يخفى خبره على أحد ولا يزال ينزل بها من
الخسران ما يسوء أثره الى اليوم

أما من آمن بأن جميع القوى التي تراها إنما تصدر من قوة واحدة وهي
تحت نظام تديره إرادة واحدة وأن من الواجب على العاقل اذا جاءه شيء من
الخير أو الشر لا يظهر له سببه ان يبحث بمقله حتى يقف على السبب او
ينتهي الى متدر الاسباب فلا ريب انه ينجو من شر ذلك الخطب ، ويخلص
من ورطة ذلك الخط ، ويستوي في نظره جميع ما هو في الكون وتساوى
جميع أفراد عنده في أنها مبرورة لا يمتاز شيء منها على آخر إلا بما ميز به
من الخصائص ، وما يكون له من الآثار ، فيسكن قلبه من كل ناحية ، ويمظم
اعتماده على تلك القوة الواحدة ، ولا يأخذ في أعماله إلا بما سنه له ، فيعتبر
ما وضعته من نظام الاسباب والمسببات ، فيجري عليه ثابت الجاش مطمئن
القلب ، غير خائف من شيء بعد ما عرف من القدرة الالهية ما عرف

من لم يؤمن بأن الحكمة السامية تقضي بأن يكون في البشر مبشرون
ومنذرون يوضحون السبل ، ويكشفون الحجب ، وينمض عينيه عن النظر
في الأدلة التي تؤيد دعواهم ، يحرم حظا وفرا من المعارف التي يصيب على
عقله أو يستحيل عليه ان يصل اليها بدون واسطة هؤلاء المرشدين ، ويلتبس عليه
كثير من أمره ، وتخفى عليه طرق الصواب في كثير من عمله ، فيقع في
الشر وهو يسعى الى الخير ، ويصيبه الضر ، من حيث كان يطلب المنفعة ،

وأي خسران أعظم من هذا

من فقد الايمان بالله على الوجه الذي بيناه فأقل ما يخسره قوة العزيمة
بالاعتماد على من تحيط قوته بالا كوان ، وأدنى ما يفقده ركون النفس
الى سندها الاكبر عند نزول الشدائد ، (١) وأخف ما يصيبه من
الخسران تشتت الاهواء عليه واضطرابه بين دواعيها ، وحرمانه من الهادي
الذي يرشده الى الوجهة التي ينبغي ان يولي وجهه نحوها ، فيظل في حيرة
لا خلاص له منها ، وأي شقاء أعظم منها ، والامم في هذا الشقاء كالأفراد
الاعمال الصالحة تتبع الايمان الصحيح في الاغلب غير ان من الناس
من يظن ان الايمان قول يعبر عن خيال في النفس لا أثر له في العمل أو انه
اعتقاد يتخذه الشخص يميزه عن غيره في جامعة من الجوامع كاعتقاد المسلم
بأنه من أهل التوحيد وانه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليميز بذلك
عن غيره من الملل وكاعتقاد كل ذي دين بما يظنه من دينه ومع ذلك
لا يأخذ نفسه بالعمل على سنن ذلك الدين . وهذا الايمان لا ينبغي صاحبه
من الخسران بل لا بد في النجاة من العمل الصالح وقد بينا الاعمال الصالحة
فيما سبق إجمالاً ولا خسار أعظم من خسار يحمل بمن لم يأت تلك الاعمال سواء
كان ذلك في الدنيا والآخرة

وبيان الخسران بذلك المعنى الذي فهمته تعلم أنه عام في كل من

(١) يؤيد هذا ما ثبت من ان الجود المتدنية اشجع واثبت من الماخذة أو ضعية
الدين وقد كتبت الجرائد الاوربية هذه الملاحظة في أثناء حرب انكلترا والترانسفال
ومن ذلك اتفاق المارفين على أن جيش الدولة العلية في مقدمة جيوش العالم شجاعة وصبر اعلى
المكارة . هذا وما ... فكيف لو رجعت الى ذكر الصحابة والتابعين

فقد الايمان وترك العمل الصالح سواء كان ممن بلغته دعوة الانبياء، وحاد
عن سننهم أم كان ممن يسوونه (أهل الفترة) أم ممن لم تبلغهم الى اليوم
دعوة سواء قلنا بنجاة هؤلاء في الآخرة أم لم نقل فان الخسر في الآية
الكريمة ليس محدودا بخسر الآخرة وخسر الآخرة ليس محدودا بالابدي
منه فضرر الخسائر ان من لم يكن من المؤمنين أو لم يعمل الصالحات
فهو خاسر أي ضال أو واقع في شقاء على ما سبق بيانه. ولا ريب في عموم
ذلك لجميع أصناف البشر في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي حال
بعد ان ذكر ركنين من أركان النجاة من الخسران في الامم والافراد
جاء بركنين آخرين لا يتم كل منهما الا بتعاون الافراد ولا يمكن لقرد
واحد ان يستقل به وهما ركننا التواصي بالحق والتواصي بالصبر على النجو
الذي بيناه فان التواصي لا يكون الا من متعدد فلا نجاة من الخسران الا بان
يقوم الافراد من الامة مهما عظم عددهم بأن يوصي كل واحد منهم من
يعرفه من الباقيين بأن يطلب الحق ويتزمه وأن يأخذ بالصبر في جميع شئونه
فلو ان شخصا واحدا قام بذلك وأوصى غيره ولكن الباقيين لم يقوموا بمثل
ما قام به حل الخسر بالجميع في الدنيا لا محالة فان الامة اذا غفلت معظمتها
عن الحق والدعوة اليه ووهن الصبر في نفوسهم فلا محالة يستولي عليها
الباطل وتضمف منها المزامم فيسوء حالها وترمي بنفسها في الهلكة «وَاتَّقُوا
فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» واما في الآخرة فالخسار إنما
يحقق بمن لم يوص أو من لم يسمع الوصية ولم يقبلها فان كان الموصي
لم يحصل من وسائل التقريب ما يحتاج اليه وكان تقور صاحبه من طريقة
نصحه ولو سلك غيرها لقبول منه كان الخسار في الآخرة عليه كذلك ، وأي

نجاة لامة يسكت أبنائها على المنكر فيشوبينهم ولا تتحرك قلوبهم الى التناهي عنه والمنكر مفسدة الافراد ومقراض الامة؟؟

التواصي بالحق والتواصي بالصبر يدخل فيهما الامر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان من أوصى بالحق ودعا اليه لا يتم له ذلك حتى ينهي عن الباطل ويصد عنه ، ومن أوصى بالصبر على مشاق الاعمال الصالحة لا يكمل له ذلك حتى يبين مساوي الاعمال الخبيثة وعواقب التثريب ترك تلك الصالحات فقد أودع الله في هذين الركنين ركني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الاعمال والاحوال وقرر لنا ان لانجاة لقوم من الخسران في الدنيا والآخرة الا بأن يقوم كل واحد منهم بما يجب عليه من ذلك في القدر الذي يمكنه وعلى الوجه الذي يمكنه ، وقد أكد لنا الخبر بما أوردته من القسم فليس في الخبر تجوز ، ولا فيما تضمنه من الامر هوادة ، فمن الواجب على كل أمة تريد ان تنجو من الخسران ان تقوم بهذا الفرض وهو التواصي بالخير والتناهي عن الشر أو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فاذا طرأ على توأمة الامة أو نزل بها من الحوادث ما ينض اليها التناصح أو حجب اليها التساهل في فريضة التواصي كان ذلك انذارا بحلول الخسارة وتعرضا في الدنيا للعار والدمار ، وفي الآخرة لمذاب النار ،

ولا يجوز لاحد ان يتعالم بذلك تساهل اذا وقع من الامة ويقنع نفسه بأنه عاجز عن النجاح في نصيحته ولهذا يكفي ان ينكر المنكر بقلبه وبذلك ينجو من الخسران الاخروي ان لم ينج من الخسران الدنيوي كما يتوهمه بعض السامعين اليوم خصوصا أولئك الذين حزنوا بينهم بالماء فقد أخذوا الخطأ العظيم في زعمهم أن إعراض الامة عنهم يجبرهم من التوبة لاهمية

إذا لم يبقوا الذم لهم ولم يبينوا لهم وجه الحق وإن أنكروه وصكروا وجه الداعي إليه فقد صدق الله وعده ، وأكذب خبره ، ولا سبيل إلى التأويل في أمره ، ولا إلى جحد ما يتلوه من أثره ،

يحتاج كثير من عامة أولئك العلماء بحديث « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » (*) ولكننا نقول أنه لا يصح الاحتجاج به في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تغيير المنكر عند رؤيته شيء يتعلق بأمر خاص وهو المنكر المعين الواقع من الشخص المعين وقد يتسامح في معاملة الشخص المعين في حالة مخصوصة لشأن مخصوص فإن ملكا من الملوك أو أميرا من الأمراء الظالمين لا يمتثل إن يقال له : إن الأولى بك أن لا تفعل ما تفعل أولئك لم تفعل هذا أولئك فعلت هذا : فضلا عن أن يقال له : أترك هذا فإنه منكر أو اقبل هذا فإنه من المعروف : وربما كانت كلمة من هذا القبيل سببا في اتلاف نفس القاتل ، بسطوة ذلك الظالم ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم ينحصر في طلب تغيير المنكر في هذه الحالة المحدودة بل ذلك شامل للوعظ العام في المساجد والطرق والأسواق والمنتديات وفي أوقات الاجتماع الخاصة وفي الحديث مع الأصحاب والاحبة وفي كل حال من أحوال الاجتماع خاصة وعامة ، ومثل هذا يستتبعه كل واحد من الناس على حسبه فلا يمكن

(*) التارخية : « وذلك أن نبي الإيمان » رواه أحمد وعبد بن حديد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وهو حجة على تاركه فريضة الأمر والنهي كسلا وتلا لانه بأسر بذي الاستعانة واستفاد الطائفة في هذه السبيل على خصوصية للموضوع كما قال الاستاذ الامام

لأحد ان يزعم انه عاجز عن القيام بفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاطلاق لأنه لا يوجد أحد يزعم المجزء من جميع الوجوه إلا أن يكون قد بلغ من المجزء غاية لا يبلغها الحيوان الاعجم

غير انه يجب على العلماء ومن يتشبه بهم ان يتعلموا من وسائل اتيان الواجب ما تدعو اليه الحال على حسب الازمان واختلاف أحوال الامم وأول ما يجب عليهم في ذلك ان يتعلموا اتناجج الصحيح وعلم تكوين الامم وارتقاعها وانحطاطها وعلم الاخلاق وأحوال النفس وعلم الحس والوجدان ونحو ذلك مما لا بد منه في معرفة مداخل الباطل الى القلوب ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والاخرية ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر الى جانب الخير فان لم يحصلوا علم ذلك كله فوزر الساءة عليهم ولا تنفعهم دعوى المجزء فانهم ينفقون من ازماتهم في اقبل واتقال ، والبحث في الألفاظ والاقوال ، ما كان يكنهم ان يكونوا بحار علم ، وأعلام هدي ورشد ، فليطلبوا العلم من سبله التي قام عليها السلف الصالح والله كفيل ان يهديهم بمعونته . اما وقد انقطعوا الى ما يعجزهم من القيام بأمره فلن يقبل الله لهم عذرا بل فليتبصوا حتى يأتي الله بأمره

لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واشغال الناس بالحق عن الباطل وبالطيب عن الخبيث أن يضرب الانسان في الارض ، ويمسحها في الطول والمرض ، وأن يتعلم اللغات الاجنبية ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله ، وما يحتاج ضرره على قومه فيدفعه ، لوجب على أهل العلم ان يأخذوا من ذلك بما يستطيعونه

ولهم في سلف الامة من القرن الاول الى نهاية القرن الرابع من الهجرة
أحسن أسوة ، وأفضل قدوة ، وكل ما يبونون به على أنفسهم مما يخالف
ذلك فاعماهي وساوس الشيطان ، يشغلهم بها عن النظر في معاني القرآن ،
ويحرمهم من التعرض لرحمة الرحمن ،

بقيت مسألة كثر السؤال عنها ، والألحاح علي في التعرض لها ، كما ذهبت
الى مكان وجدت لها حاملا ، لا يلبث أن يتوجه الي سائلا ، وهي مسألة
الاختيار والكسب ، ونسبة الافعال الاختيارية الى المبدأ والى خالق المبدأ ،
ولا أنكر ان هذه المسألة كانت من أعظم المسائل خطرا على الاسلام
والمسلمين ولكن كان في مرور الزمان وتتابع الحوادث ما يهدي الناس الى
وجه الحق فيها ويرشدهم الى ان يرجعوا الى كتاب ربهم وهدى نبيهم

نزوع لنزوس الى الخوض في هذه المسألة ضرب من ضعف الصبر
أو فقدته . الوجدان يشهد والحس يشاهد أن الذي يرفع يده بالسيف
ويضرب آخر فينتنه هو الذي ضربه ويقول الرائي والمخبر : إن فلانا قاتل
فلانا أو ضربه أو اعتدى عليه : فنسبة الافعال الى من صدرت عنه من
المباد مما لا يحتاج الى بحث ولا نظر . ثم جاء القرآن يقول « بما كنتم تعملون »
« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وغير ذلك من الآيات
حتى قال في الآية التي يتحدثون بها « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » فلو سلم ان
المراد مما تعملون العمل نفسه فقد نسب العمل اليهم وقامت أحكام الشريعة
جميعا على هذا الاصل . ولو كان فعل المبدأ ليس له لبطل تكلينه به إذ لا يعقل
ان يدعى شخص الى ما لا يقدر عليه ، وان يكلف بالاثرا لا رادته فيه ، ولو كان
فعل القاتل ليس له لا تمتنع القصاص ولم تكن فيه لنا حياة فالعقل والشرع

والحس والوجدان متضافرة على ان فعل العبد فعله . وكون جميع الاشياء راجعة الى الله تعالى ووجود الممكنات إنما هو نسبتها اليه ولا يتصور اعتبارها موجودة الا اذا اعتبرت مستندة اليه - مما قام عليه الدليل بل كاد يصل الى البداهة كذلك . ومثل هذا يقال في عظم قدرة الله تعالى وانه ان شاء سلطنا من القدرة والاختيار ما وهبنا فهو أمر نشاهده كل يوم ، ندير شيئاً ثم يأتي من الموانع من تحقيقه ما لم يكن في الحسبان ، وتتناول عملاً ثم تنقطع قدرتنا عن تسميته ، كل ذلك لانزاع فيه ، شمول علم الله لما كان ولما يكون قام عليه الدليل ولا شبهة فيه عند الملمين ، فوجب على المسلم ان يعتقد بأن الله خالق كل شيء على النحو الذي يعلمه وان يقر بنسبة عمله اليه كما هو بديهي عنده ، ويميل بما أمره به ويحجب ما نهاه عنه باستعمال ذلك الاختيار الذي يجده من نفسه ، وليس عليه بعد ذلك ان يرفع بصره الى ما وراءه فقد نعى الله على المشركين قولهم « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ » ووردت الاحاديث متواترة المعنى في النهي عن الخوض في التقدروسره

فلو صبر العبد حق الصبر لوقف عند ما حده الله له ولم ينزع بنفسه الى تعدي حدود الله التي ضربها لعباده . ولست أحب التكلم في هذه المسألة بأكثر من هذا والاخرجت من الصابرين ، وخفضت في القدر مع الخائضين . ومن ثار به الهوس فتوهم ان علينا ان نعتقد ان العبد لافضل له فقد خالف كتاب الله ، وعصى رسول الله ، وقد أقول - واعتمادى على الله فيما أقول - : ان من يقول ذلك يخرج عن دين الله ، ويعطل شرع الله ، فيحذر مؤمن بالله ان يقول ذلك ، واسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه صلاح

أحسننا وإن يوفقنا للتواصي بالحق والتواصي بالصبر بفضلته وكرمه
 قد يمر بخاطر سائل أن يسأل : إذا كان هذا الذي ذكر في هذه
 السورة هو حكم طبيعة الانسان في كل فرد من أفراد المكلفين منه وإن
 من لم يكن على هذه الصفات فهو خاسر ضرباً من الخسران في الدنيا أو في
 الآخرة أو فيهما وإن من أخذ بالحظ الاوفر منها نجا من ذلك الخسران
 فما بالنا نرى من غير المؤمنين من يتمتع بالسعادة في هذه الدنيا أمما وأفراداً ،
 ونرى من المؤمنين من يغمه الشقاء أمما وآحاداً ، وإذا شئت مثلاً لذلك
 فانظر الى حال اليابانيين وهم وثنيون أو حال بعض الامم الاوربية التي لا يستقد
 الكثير من أفرادها بالله ولا برسله وقارن بينهم وبين الأمم المؤمنة
 كالمسلمين مثلاً :

فندفع عنه هذا الخاطر بأن ما يراه في بعض الامم من ظاهر السعادة
 ليس الا لعمان السراب حتى اذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئاً قال ما كس
 نورد في كتابه المسمى (الاكاذيب العرفية لتمدتنا) ما معناه : « ان الناس
 كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ولم يكونوا في زمان أبعد عنه منهم في هذا
 الزمان » ثم قال ما ترجمته « إنك لو طرقت أي باب تسأل : هل مرت السعادة
 بهذا البيت ؟ لا جابك يجيب : اذا شئت فاطرق باباً آخر فان السعادة لم
 تمر ببينتنا » وهو يقول ذلك بعد ان ذكر ما عليه حال الامم الاوربية جميعها
 ونسبته من السعادة والشقاء وبعد ان أجمل من وصف أحوالهم والمصائب
 التي تتوقع لهم والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ما يرحمهم لأجله المقصرون
 عنهم : ويزهد الراغبين في مثل حالهم ، ويصددهم عن اقتناء آثارهم ، وبين سبب
 ذلك وانه بعدد عن الحق وزرع أنفسهم الى الباطل وفقدوا الصبر في طلب

المال وهو رولتهم خلف داعي الشهوة لا يمتصونه أمراً، ولا يخالفون له إشارة،
ومنشأ ذلك خلوق نفوسهم من الركون الى الاله الواحد خالق الجميع ورازق
الاحياء ومقدر الالباب لمكاسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدر.
ولو اطاعت على ما أخذ اليابانيين من ذلك ومما تألم له نفوسهم من الاوهام
الوثنية التي ما اتصلت بروح الا أفقدتها السكينة وأوجدتها الانضطراب
صعب عليك ان تحكمهم بأنهم سعداء فاذا كان لهم شيء من السعادة فهو
ببركة التواصي بالصبر أو عمل بمض الصالحات التي جعلها الله عماداً للسعادة
في هذه الحياة الدنيا كالامانة والصدق وارتناع الهمة والأخذ بالحق فيما
يفع الشأن ويكسب العزة.

أما حال المؤمنين - ان كانوا - فهو لا يخالف الحكم الوارد في الآيات
الذكرية فانا لا نمنى ولا نمني عاقل بالسعادة وفرة المال ورفه الميش في ظاهر
الامر وان كانت النفوس قلقة، والضماير محترفة، ولكن السعادة مكون
النفوس وراحة الضماير، واطمئنان السرائر، والرضى الحقيقي بما وصل الى
اليد، والسعي المقارب الى الرغبة من سبلها المعروفة، مع المعرفة بتلك السبل،
والاعتماد على الهادي اليها، ولا أشك في انك تجد هذه الطمأنينة عند
المؤمن بالمنى الذي قدمنا في أي أرض وجد، وفي أي أمة ولد، وأما
المثل الذي ضربته وهو جملة المسلمين فإني أقول لك ولا أخشى لوم لا أثم
إن من كان مؤمناً وعمل الصالح وقام بفريضة التواصي بالحق والتواصي
بالصبر فهو راض عن نفسه، راض عن ربه، سعيد وان كان بين الاشياء،
حكيم وان وجد بين السفهاء، لا يعرف الشقاء الا بما ينمكس اليه من صوره
في نفوس غيره، وأما البقية فان كانوا خاسرين فحسرتهم جاءهم من فقد

الاركان الاربعة. أما الايمان فلا أنهم أخذوه أسماء، واكتفوا به علما ورسماء،
ورثوا عن الآباء والامهات، صورا وعبارات، ومثل عبادات، لا يحول
بصدرهم شي من معناها، وأوفرهم حمية على التوحيد أملاهم من الاشرار
تحت أسماء اخترعها، وألقاب اختلقها، كالوسيلة والواسطة وما يشبه ذلك
مما ينزل به الله سلطانا وأما العمل الصالح فكيف يجتمع مع الحسد والمداوة
والكبرياء والجلل والنكسل ونحو ذلك مما تراه في عامتهم، والأغلب من
خاصتهم، وأما التواصي بالاتي والتواصي بالصبر فلم يبق له أثر بينهم.
يرون ما يرون من المنكرات، ويحسون بما يحسون من فاسد الاعتقاد،
وكل منهم ساكت عما يرى ويحس من الآخر كأنه لاصلة بينهما في الدين،
وكان لم يرد في دينهم ما يدعوهم الى التناصح، ولو أن واحدا منهم نصح
للآخر لقامت عليه قيامته، وظنه محترقا منزلة، غامطا لحته، وكيف لا يخسر
قوم هذا شأنهم،؟ فلو أنهم رجعوا الى دينهم، وأقاموا في أنفسهم هذه
الاصول الاربعة لرأيتم وقد وفاهم الله وعده في قوله «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا » وخرجوا من حكم الوعيد الذي اندرهم
الله به من قبل في قوله «وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَيِّرُ مَقِومٍ حَتَّى يُفَيِّرُوا مَا بَانَفْسِهِمْ» والله أعلم



﴿مناظرة بين مقلد وصاحب حجة﴾ تابع ونبع

(٢٧) واحتجوا القولهم في استحباب مساوقة الامام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
« انما جعل الامام ليؤتم به » قالوا والاثبات به يقتضي ان يفعل مثل فعله سواء اتم خلفوا
الحديث فيما دل عليه فان فيه « فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله
لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد واذا صلى جلسا فصلوا جلوسا اجمعون »

(٢٨) واحتجوا على ان الفاتحة لاتعين في الصلاة بحديث النبي في صلاته حيث
قال له « اقرأ مايسر منك من القرآن » وخالفوه فيما دل عليه صريحاً في قوله « ثم
اركع حتى تطمئن رأكها ثم ارفع حتى تستدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً »
وقوله « ارجع فصل فانك لم فصل » فقالوا من ترك الطمأنينة فقد صلى وليس الامر
بها فرضاً لازماً مع ان الامر بها وبالقراءة سواء في الحديث

(٢٩) واحتجوا على اسقاط حجة الاستراحة بحديث أبي حميد حيث لم يذكرها
فيه وخالفوه في نفس مادل عليه من رفع اليدين عند الركوع والرفع منه .

(٣٠) واحتجوا على اسقاط فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والسلام في الصلاة بحديث ابن مسعود « فاذا قلت ذلك فقد تمت صلاتك » ثم خالفوه
في نفس مادل عليه فقالوا صلاته تامة قال ذلك اولم يقوله .

(٣١) واحتجوا على جواز الكلام والامام على المهر يوم الجمعة بقوله صلى الله
عليه وآله وسلم للداخل « اُصليت يا فلان قبل ان تجلس » قال لا قال « قم فاركع ركعتين »
وخالفوه في نفس مادل عليه فقالوا من دخل والامام يخطف جالس ولم يصل .

(٣٢) واحتجوا على كراهية رفع اليدين في الصلاة بقوله صلى الله عليه وآله
وسلم « ما يابلهم رافعي ايديهم كأنها اذنان خيل شمس » ثم خالفوه في نفس مادل عليه
فان فيه « انما يكفي أحدكم ان يسلم على أخيه من عن يمينه وشماله السلام عليكم ورحمة
الله » فقالوا لا يحتاج الى ذلك ويكفيه غيره من كل مناف للصلاة

(٣٣) واحتجوا في استخلاف الامام اذا أحدث بطير الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم خرج وأبو بكر يهني بالناس فتأخر أبو بكر وتقدم النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فسلم بالناس ثم خالفوه في نفس مادل عليه فقالوا من صلى مثل

ذلك بطلت صلاته وأبطلوا صلاة من فعل مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ومن حضر من الصحابة فاحتجوا بالحديث فيقال يدل عليه وأبطلوا العمل به في نفس مادل عليه .

(٣٤) واحتجوا لقولهم ان الامام اذا صلى جالساً لمرض صلى المأمومون خلفه قياماً بالخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج فوجد أبا بكر يصلي بالناس قائماً فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس وصلى بالناس وتأخر أبو بكر ثم خلفوا الحديث في نفس مادل عليه وقالوا ان تأخر الامام لتغير حدث وقدم الآخر بطلت صلاة الامامين وصلاة جميع المأمومين .

(٣٥) واحتجوا على بطلان صوم من أكل يظنه ليلاً فبان نهاراً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان بالألأ يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » ثم خلفوا الحديث في نفس مادل عليه فقالوا لا يجوز الاذان للفجر بالليل لاني رمضان ولا في غيره ثم خلفوه من وجه آخر فان في نفس الحديث « وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت » وعندهم من اكل في ذلك الوقت بطل صومه (٣٦) واحتجوا على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالفائض بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تستقبلوا القبلة بفائض ولا ببول ولا تستدبروها » وخالفوا الحديث نفسه وجوزوا استقبالها واستدبارها بالبواء .

(٣٧) واحتجوا على شرط الصوم في الاعتكاف بالحديث الصحيح عن عمر انه نذر في الجاهلية ان يعتكف ليلة في المسجد الحرام فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يوفي بنذره وهم لا يقولون بالحديث فان عندهم ان نذر الكافر لا ينفذ ولا يلزم الوفاء به بعد الاسلام

(٣٨) واحتجوا على الرد بحديث تحوز المرأة ثلاث موارث عتيقها ولقيطها وولدها التي لاغت عليه ولم يقولوا بالحديث في حيازتها مال لقيطها وقد قال به عمر ابن الخطاب واسحاق بن راهويه وهو الصواب

(٣٩) واحتجوا في تورث ذوي الارحام بالخبر الذي فيه « التمسوا له وارثاً او ذا رحم » ثم يجحدوا قتال « أعطوه الكبير (١) من خراعة » فلم يقولوا به في ان من لا وارث

(١) اكبر القوم بعضهم فسكون اكبرهم وأقدمهم في النسب وأكبرهم

له يسئله ماله الكبر من قبيلته .

(٤٠) واحتجوا في منع القاتل ميراث المقتول بخبر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا يرث قاتل ولا يقتل مؤمن بكافر » فقالوا بأول الحديث دون آخره .

(٤١) واحتجوا على جواز التيمم في الحضر مع وجود الماء للجائزة اذا خاف فوتها بحديث أبي جهيم بن الحرث في تيمم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرد السلام ثم خالفوه فيما دل عليه في موضعين احدهما انه تيمم بوجهه وكفيه دون ذراعيه والثاني انهم لم يكرهوا رد السلام للمحدث ولم يستحبوا التيمم لرد السلام

(٤٢) واحتجوا في جواز الاقتصار في الاستنجاء على حجرين بحديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب لحاجته وقال له اثني بأحجار فأتاه بهجرين وروثه فأخذ الحجرين واتى الروث وقال « هذه ركس » ثم خالفوه فيما هو نص فيه فأجروا الاستجمار بالروث واستدلوا به على ما لا يدل عليه من من الاكتفاء بهجرين .

(٤٣) واحتجوا على ان مس المرأة لا ينقض الوضوء بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاملا امامة بنت الناصر بن الرميح اذا قام حملها او اذا ركع أو سجد وضعتها ثم قالوا ان صلى كذا بطأت صلاته وصلاة من أتبعه قال بعض أهل العلم ومن التعجب ابطالهم هذه الصلاة وتصحیحهم الصلاة براءة مدتها مائة الف سنة ثم ركع قدر نفس ثم رفع قدر حد السيف أو لا يرفع بل يخر كاهه ساجدا ولا يضع على الأرض يديه ولا رجله وان أمكن ان لا يضع ركبته مع ذلك ولا وجهه بل يكفيه وضع رأسه كقدر نفس واحد ثم يجلس مقدار التشهد ثم يصل فلما أتى في الصلاة من فسأما وضراطا أو ضحك أو نحو ذلك .

(٤٤) واحتجوا على تحريم وطء المسبية والمملوكة قبل الاستبراء بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لاوطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تستبرئ بحيضة » ثم خالفوه صريحه فقالوا ان اعتقها وزوجها وقد وطئها البارحة حل للزوج ان يطأها الليلة .

(٤٥) واحتجوا في ثبوت الحضنة للمخالة بخبر بنت حزمة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بها لحالها ثم خالفوه فقالوا لو تزوجت الحائلة بغير محرم للبنت وابن معها سقطت حضانتها .

(٤٦) واحتجوا على التبع من التفريق بين الأخوين بحديث علي في نفيه عن

التريق بينهما ثم خالفوه فقالوا لا يرد المسيح اذا وقع كذلك وفي الحديث الامر بده.

(٤٧) واحتجوا على جريان القصاص بين المسلم والذمي بخبر روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقاد يهوديا من مسلم لطمه ثم خالفوه فقالوا الاقود في اللطمة والضربة لايين مسلمين ولا بين مسلم وكافر.

(٤٨) واحتجوا على انه لا قصاص بين العبد وسيد ب قوله صلى الله عليه وآله وسلم من لطم عبده فهو حر ثم خالفوه فقالوا لا يمتق بذلك.

(٤٩) واحتجوا أيضا بالحديث الذي فيه « من مثل بعبده عتق عليه » فقالوا لم يوجب عليه القود ثم قالوا لا يمتق عليه.

(٥٠) واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب « في العين نصف الدية » ثم خالفوه في عدة مواضع منها قوله: وفي العين القائمة السادة لموضعها ثلث الدية: ومنها قوله: في السن السوداء ثلث الدية.

(٥١) واحتجوا على جواز تفضيل بعض الاولاد على بعض بحديث النعمان بن بشير وفيه « أشهد على هذا غيبي » ثم خالفوه صريحاً فان في الحديث نفسه « ان هذا لا يصحح » وفي لفظ « أني لأشهد على جور » فقالوا بل هذا يصحح وليس يجوز ولكل احد ان يشهد عليه.

(٥٢) واحتجوا على ان الرجاسة تزول بغير المساء من المائعات بحديث « اذا وطأ أحدكم الاذى بنعله فان التراب لهما طهور » ثم خالفوه فقالوا لو وطأ المذرة بخفيه لم يطهرها التراب.

(٥٣) واحتجوا على جواز المسح على الخبيرة بحديث صاحب الشجرة ثم خالفوه صريحاً فقالوا لا يجمع بين الماء والتراب بل اما ان يقتصر على غسل الصحيح ان كان أكثر ولا يقيم وأما ان يقتصر على التيمم ان كان الجرح أكثر ولا يغسل الصحيح.

(٥٤) واحتجوا على جواز تولية امرأ أو حكام أو متولين مرتين واحداً بعد واحد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أميركم زيد فان قتل فبدا لله بن رواحة فان قتل خنجر » ثم خالفوا الحديث نفسه فقالوا لا يصح تطبيق الولاية بالشرط ونحن نشهد بالله ان هذه الولاية أصح ولاية على وجه الارض وانما أصح من كل ولايتهم من أولها إلى آخرها

(٥٥) واحتجوا على تضمين المتلف مالتفه ويملك هو مالتفه بحديث القصة التي كسرتها احدى أمهات المؤمنين فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صاحب القصة نظيرها ثم خالفوه جبارا فقالوا انما يضمن بالدرهم والدنانير ولا يضمن بالمثل. (٥٦) واحتجوا على ذلك أيضا بخبر الشاة التي ذبحت بغير اذن صاحبها وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يردّها على صاحبها ثم خالفوه صريحا فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يملكها الذابح بل أمر باطعامها الاسارى .

(٥٧) واحتجوا في سقوط القطع بسرقة الفواكه وما يسرع اليه الفساد بخبر « لا قطع في ثمر ولو كثر » ثم خالفوا الحديث نفسه في عدة مواضع احدها ان فيه « فاذا آواه الى الجرين ففيه القطع » وعندهم لا قطع فيه آواه الى الجرين أو لم يؤوه . الثاني انه قال « اذا بلغ ثمن الجن » وفي الصحيح ان ثمن الجن كان ثلاثة دراهم وعندهم لا يقطع في هذا القدر . الثالث انهم قالوا ليس الجرين حرزا فلو سرق منه ثمر اياها ولم يكن هناك حافظ لم يقطع

باب التمسك بالكتاب والسنن

درس عام في التعاليم الاسلامي

او خطاب القاه الاستاذ الامام في تونس على « لا عليه من الدنيا والدنياه » وحسنه من يد الحضرة التونسية القراء ونحن نقل عنها كما نقل القراء من انوار موعظي من قاصد حج بيت الله . ان بعض اخواننا الذين عرفناهم في تونس قد طالبوا من الفقهاء امرقا ومحاورا وربما كان ذلك اصطلاحا عندهم ثم قالوا درسا فسالني بعضهم عن ذلك فقلت نعم هو درس ولكن لانظروا انه درس في تحقيق مسألة عامة فان عندهم من جهة العلماء من اعترف بفضلهم فمن اراد تحقيق مسألة عامة فابراجهم أمامها الفقير فرجل سأل قصدت هذه الدار للتمرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعاليم ولذلك لما أجبت طابهم في افراء الدرس فاصدت اقراء درس حقيقي ولكن التكلم فيما يحتاجه بفكري من أمر التعاليم والعلوم والاعراب عما في ضميري مما

أثناء اخواننا المسلمين من التقدم في العلم . وقد رأيت في بلاد الاسلام التي سحت فيها عدة أناس يشتغلون بالعلم ولكني وجدت عند الاغلب اشتباها في ماهو العلم الذي ينفق الوقت في تحصيله . هذا فيما يخص الامر المهم الذي أكرره لكم ولا زلت أكرره من أهمية التعليم حتى ينتج ذلك النكرار ما تنهه من التقدم مادام الناس في حاجة الى التكرار ثم ان هناك مسألة مشتركة يتشا وبينكم عامة في سائر بلاد الاسلام وهي مسألة الرضا بالموجود ولها تعاقب أيضا بالتعليم . فإذا ذكرت قصصاً أو عيياً في طريقة أو في حالة من الاحوال قيل لك ماذا نصنع ونحن أناس متوكلون على الله وهذا مراد الله من عباده ، وهو عذر المقصر عند قصيره في بلاد الاسلام وعون على ما نراه من النقص في طرق تحصيل العلم . ولذلك أردت ضمه الى بحث التعليم

(معنى العلم)

أما الكلام في معنى العلم فليس الغرض منه الخوض فيما اصطاح عليه علماء السلف الصالح أو غيرهم من المتكلمين أو الفلاسفة أو غيرهم حتى من الزنادقة . لان هذه اللفاظ اصطلاحية طالما شغلت أهل العلم بتغيرها والاخذ والرد في معانيها . مع ان وانسبها انما حددوا بها المعاني حتى تضبط ويسهل تناولها والوصول اليها . ولكن يصح ان يقال فينا وفيهم انهم أرادوا خيراً فاستعملنا شراً . ولذلك أترك الالفاظ الاصطلاحية وأتكلم في معنى العلم من حيث هو معروف في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وعلى لسان العامة والحاجة

العلم جاء ذكره في قوله تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الآية وهو استفهام إنكاري مقتاً : «لا يستوي عالم وجاهل . وقال تعالى «هل تستوي الظلمات والنور» أي ان الظلمة لا تساوي النور فبين لنا تعالى ان الظلمة مثال لحال من لا يعلم وان النور مثال لحال من يعلم . فبين من ذلك ان عدم العلم يشبه الظلمة ونحن نعلم ما يكون من الانسان اذا اشتد به الغلام وهو سائر في طريق يقصد غاية معلومة فان الغلام يعمي عليه الطريق وربما سلك طريقاً يمهده عن مقصده . وقد يصادف مهواة فيسقط فيها فتدركه هلكته قبل الوصول الى غايته

وهذه حال الجاهل بوسائل أي غاية من الغايات التي يعرض للانسان قصدها في

حياته فكل من طلب غاية في حياته بدون علم لا يصل اليها . وحينئذ فيؤخذ من هذه الآية الكريمة ان الله تعالى بين لنا ان العلم للانسان كالنور لا بمعنى ان العلم سراج أو مصباح وإنما ذلك مثل حال من يعلم الطريق الموصلة له الى مطلبه والوسائل المؤدية اليه . فان حاله يشبه من يضيء بين يديه نور بين له السبيل ويكشف له ما فيه من الموانع فيجذباً أو يذللها حتى ينتهي الى غايته ظافراً بما فيه وسلامته . لان الآيات والاعلام المنصوبة لا يراها العمور بالظلام وإنما يراها المبصر بالضيء والنور ولما كان العلم ضوءاً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذي خلق» خلق الانسان من علق» الآية . فافتتح الله الوحي بتعليم القراءة والقراءة تعلم . وجاء في الحديث الشريف انه قال في أول مرة «ما أنا بقاري» وما زال الملك به حتى قرأ الآيات .

ثم بعد أن أمر تعالى بالقراءة من لا يقرأ عادة وبين له ان الذي يأمره بالقراءة هو الذي خلق الخلق كله وهو قادر على أن يقرئه بعد أن لم يكن قارئاً وأنه الذي خلق الانسان الحي الناطق المنفصح عما في نفسه من علق أي دم متجمد لا عقل فيه ولا نطق فهو قادر على أن ينشئ فيه القراءة والعلم وان لم يسبق له تعلم بعد ان ذكر هذا قال «اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم» علم الانسان ما لم يعلم » نفص من العلم العلم بالقلم والكتابة تنويعها بشأن التحرير والبيان وتنبيها على عظم فائدته وهو انما يكون بعلم الانسان والبراعة فيه . لا يريد من العلم تصور القواعد وانما يريد منه ملكة الافصاح والبيان وكون المراد منه هذا أمر يهدي اذ لولا الكتابة لما وصلنا الى درجة من الدرجات التي نراها . فافتتح الله تعالى الوحي بطلب العلم واتناء عليه سبحانه بأنه هو الذي علمه ووجهه الانسان ارشاد الى فضل العلم وحث على تحصيله خصوصاً العلم بالقلم

قاله ما يبصر الانسان في الغاية التي يطلبها ويهديه الى الحق الذي هو مقصد النجاة قال تعالى «ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألْسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات لِّمَن عاين» ولم يقل للجاهلين أو الغافلين . فإذا كان للعلم هذه المزية فلا يبعد أن يكون العلم الممثل له بالنور الاعلى ارشاداً وتبيين . ثم جاء في الاحكام

والادعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم اغنني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علما » (١) كأنه يقول اللهم اجعل علمي علما صحيحا ينطبق على ما بينته في كتابك ويريوي أنه قال « اذا أتى عليّ يوم لأزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذات اليوم » (٢) ثم اننا نجد في الآثار وأقوال العلماء غير ذلك ما يفضول ذكره كما تجدون فيما يدور على ألسنة الناس عند ذكر العلم ما يرشد الى أنهم لا يفهمون من العلم الا معنى التبصر في أي أمر من الامور والآتيان به على الوجه الاكمل بقدر الاستطاعة. فبين من ذاك اذا ان معنى العلم الحقيقي الذي أنشئ الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الامر الحقيقي بحيث اذا اراد ان يملك عنه ميل لا يقدر على ذلك كمن عرف طريقا وموصلة الى غاية فلا يعمل عنها مهما حاول مغضبه . فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه . فاذا وجدنا من العلم ما يوصلنا الى البصيرة بما نقصد من الغاية في مدة قصيرة كيومين مثلا ورأينا ماسمي علما ولكنه انما يوصلنا في مدة أطول كاربعة أيام مثلا كان لنا أن نجد الاول علما حقيقيا لانه أرشدنا الى أقرب طريق مؤدية الى الغاية وان نجد الثاني غير علم لانه عاقبا عنها وأوجد لنا التمار فيها فالمدلول اليه سقوط في الصلة . وأولى بأن يسمى صلة علم يقصد بتحصيله غاية ثم هو لا يؤدي الى تلك الغاية بالرة بعد اتفاق الزمن الطويل في تحصيله . قسميته علما من الخطأ الذي لا يتفق مع ما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث انشريفه واستعمال الخاصة والعامة . ولكن من الناس من يقول لك العلم يطلق بإطلاقات ثلاثة - الادراك والقواعد والملاكمة . فتحصيل القواعد وان لم تحصل الملاكمة يسمى علما على الحقيقة فاشتغلتا بتحصيله اشتغال بتحصيل العلم . غير ان هذا القائل لم يراع ماذا قصد المسمى للقواعد علما فانه لم يضع لها هذا الاسم الا لانها توصل الى الغاية في رأيه . فاذا استعملت لتغير الغاية فقدت معناها وعدت من الشواغل عن العلم المطلوب . فان شاء سمي هذه الشواغل جهلا لانها ضلت عن العلم وان شاء فليس بها علما كما يهوى لا كما يعرف الناس

(١) التمار: رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (٢) رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وابن عبد البر في المم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة وقد ظفروا في منده ولذلك قال الأستاذ (ويريوي)

المدارس المصرية لا تربى رجالاً مستقلين

(رد على المقطف)

نقل المقطف الاغرة المقالة التي صكبتها في الجزء الثالث عشر تحت عنوان (شكوى الالهات . من تربية النبات) واستحسن محرره الفاضل ما كتبته في التربية العقلية وكون العقل المستنير يقوى أخيراً ويكون من وراء قوته "الاصلاح المطلوب . وأنكر قولنا " ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية لا ينصده الى اصلاح النفوس وارتقاها وحمل المصريين سعءاء أعزاءه وقال ان هذا خطأ على ما يعلم . وياليت قال : على ما نظن : فانه يظن ظناً وما هو بمستيقن . وعلى عامه بقوله : " لان انظار المدارس ومعلميها يشفقون بالتعليم والتهديب شفقة حتى يتفانوا في تعاطي التسلاطة وتهديبهم كما يشغف كل عامل بعمله . وهذا نعلمه بالخبر مدة تعلمنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائزة جداً ولو احتج اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يتم كل انظار وكل المدرسين ولكنه شامل لاكثرهم ، ولا شبهة عندنا ان أثر المدارس المصرية وضية كانت أو اجنبية حسن جداً وأنه لم يظهر حتى الآن ظهوراً باهراً لانها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولأن التبحر لا يظهر حياً لمن يرافقه عن قرب ويرى تدرجه البطيء ولكن لو قابل حضرته حال هذه البلاد العلمية والادبية الآن بمجالها منذ عشرين سنة نراى بين الحاليين يوناشاسما وراثا الآن أرقى مما كانت كثيراً وسيزيد هذا الارتقاء في العشرين سنة التالية أضعاف مازاد في العشرين سنة الماضية : هذه عبارة المقطف بنصها

يقراً القارئ في بعض الاحيان شيئاً فيناق بذهنه شيء محمل منه فينكره غافلاً عن التفصيل الذي لا مذهب معه لانكار ثم يستبدل على انكاره بما لا دلالة فيه أو بما فيه الحجة عليه ويمثل هذا وقع صاحب المقطف في انكاره لسرى القارئ والتهمد فيه من التحري في النقطة

لم يكن الكلام في مقابلة تلك الدنيا على الضمن في معاني المدارس المصرية ولا في نظارها فيرد علينا بدعوى تفانيهم في التعليم والتهديب . ولم يكن أكثر منا اختباراً لهؤلاء المعلمين والنظار فيصح له ان يقول ما قال . وليس قياسه المدرسة الكلية الامريكانية

التي تعلم فيها على المدارس المصرية قياسا بحجتها ، وليس اليون الشاسع بين حال البلاد اليوم وحالها منذ عشرين سنة نتيجة حسن التربية والتعليم في المدارس المصرية وكون الفرض منه تربية المصريين على الاستقلال والنضال والتزقي الصوري والمنضوي .
واننا نشرح هذه المسائل بمضى التشرح فقول :

تبين من امتحان الشهادة في هذا العام ان مدارس الحكومة أكثر من غيرها نجاحا ومثلها مدرسة خليل أغا ومدرسة أم عباس وأن المدارس الأجنبية أقل المدارس نجاحا ومعظم قصورها في اللغة العربية وعلومها لأن مرسلها الأمريكان والجزيريين والفرير والانكليز لا يهتمون بهذه اللغة ولو استطاعوا محوها من بلادها فلعلوا وإنما يهتمون بمذاهبهم الدينية ولغاتهم الانجليزية وليس في هذا اصلاح لنفوس المصريين الذين دين أكثرهم الاسلام ولغة جميعهم العربية وانما تتم سعادة الامة بأدائها اللغة وربطها بالقوية . وانما يعلمون اللغة العربية في مدارسهم لاجل ان يصيدوا بها الناس ولو أبطلوها لبطلت مدارسهم . ثم ان هذه المدارس ليس فيها تعليم تلك وما دون التعليم العالي لا يهتدون رجلا فاذا كان التعليم المطلوب ناقصا والتربية المنطوية مفقودة من هذه المدارس فهل يبقى عن سعادة المصريين شفق ممالي هذه المدارس ونظارتها وتقانيهم في نشر دينهم ولغاتهم المتصود بهما افساد دين المصريين وانهم ؟ أما المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فقد كان التعليم والتربية فيها أفضل ما يجد الثصاري للسعادة ولا يقصر عن افادة المسلمين الذين يدين لهم مدارس عالية في تلك البلاد . وقد كان تعليم العلوم في هذه المدرسة على عهد منشي المقتطف باللغة العربية ثم تحول الآن الى اللغة الانكليزية فقات قادتتها لاتباء اللسان العربي ومع هذا لا تزال تقول انها مثل المدارس في مصر والشام وقد كتبنا في الجزء الماضي نبذة مختصرة في تفضيلها وما أعوزنا ذلك الخبر كخبر محرر المقتطف الذي تعلم وعلم فيها وهو عندنا في علمه وأدبه من آيات تفضيلها

أما مدارس الحكومة التي هي أحسن المدارس في مصر فقد صرح المختلون - الذي يدبرونها كما يشاءون لا كما يشاء النظار والمدرسون الذين يقيمونهم فيها - بأن الفرض منها إيجاد ضرر بمخدمون الحكومة ولا يخفى على ذي بصر أن من يعلم إنسانا

ليخدمه إنما يطلعه ما يهينه على تسخيريه في خدمته ، وتصريفه بمقتضى إرادته ، لا يكون مستقلا في نفسه ، متقانيا في حياسته وحنسه ، وهب ان المحتاين لا غرض لهم من البلاد المصرية الأتريقها واعانتها على كمال الاستقلال لتستغني عنهم وعن غيرهم فهل يقول عاقل ان من المصلحة ان يكون التعليم خاصا باعداد المتعلمين لخدمة الحكومة فقط ؟ ؟

نعم التعليم واجب فلو كانت فائدة التعليم هي خدمة الحكومة كما ترضى لوجب ان نمد أفراد الأمة كلهم لان يكونوا مستخدمين في الحكومة وإذا كان جميع الأفراد حكاما فمن يكون المحكوم ؟ الوظائف الكثيرة تنتزع من الوطنيين بأيدي المحتاين وما قضت السياسة بإبقاء لهم قائما بقاؤه صورة بدون معنى ولقب بدون عمل فظار الحكومة المصرية لا يبرمون ولا ينقضون ولا يحلون ولا يقيدون الا ما يوجبه اليهم المستشارون من الانكليز فصار التعلم المصري يأسا من الاستقلال في أي عمل يعمل له للحكومة وأما يكون التعليم لسعادة الأمة وعزتها اذا كان القرض منه الاستقلال الشخصي والاستقلال القومي وما أعلن ان المتشد الفاضل يقول ان المحتاين يقصدون بالتعليم الى الانعام على المصريين بهذا الاستقلال الذي حصرنا فيه السعادة والمزة القومية ولا ينكر علينا عاقل حصرنا هذا . نعم اتمهم قاموا ببعض الإصلاح ولكن الأجانب يصلحون فيما يستعمرون الأشياء لا الأشخاص

طلب مجلس الشورى في السنة الماضية أن تعرض عليه قوانين التعليم في مدارس الحكومة ونظام التعليم فيها فكبر ذلك على نظارة المعارف وكابرت في إجابة الطلب مكابرة بعيدة ودافع ناظر المعارف بما أوحى اليه من أهل الحل والعقد مدافعة بالابطال وقد رددنا دفاعه وبناتنا فانه في مقالات نشرناها في المجلد الخامس انتقدنا فيها قانون التعليم وسيره وبناتنا قصير النظارة بما لا ينفع معه عذر ممتدر . ولو كان تعليم نظارة المعارف على الوجه الذي فيه سعادة الأمة وعزتها لما كبر عليها ان يطلع مجلس الأمة على قوانينها الداخلية ولا صحت الى شكوى الأمة من المعارف بلسان مجلسها ولسان جرائدها

لا يوجد في مصر قارئ ولا كاتب ولا محب لسماع الجرائد والوقوف على الاخبار والحوادث الا وهو يعلم ان التعليم في مدارس الحكومة بيد المستر (دنلوب) القسيس لا تكليزي ولم تبق حيوية وطنية معتبرة في مصر الا وقد ملأت جوار هذا القطر صياحا

في الشكوى من سيرة هذا الرجل وانتقاد أعماله في المعارف والمقطم شقيق المقطع لم يرد فيها فلم هذه الشكاوي التي ترددها جرائد المسلمين والقبط والسوريين والافرنج مع أنه أثبت لتأييد سياسة المحتلين ذلك علمه بأنها في نفسها أو جلها حق لا وجه لردّها . وإذا كان المنتقد القاضل يعرف من نظار المدارس الاميرية ومعلميها أكثر مما يعرف كما تفيد عبارته فهو لا شك يعرف أكثر مما يعرف من تبرمهم وشكواهم وشدة انتقادهم وتبرمهم من سير النظارة ومن عيوبها وأعني النظار المصريين وأخص بالذكر منهم معلمي العربية لثة البلاد الرسمية . وكل موظف في المعارف يعرف كيف يهاب الخاطر أو المعلم الذي يثبت له دلوب أنه انتقد أو اعترض على شيء من سير النظارة السري أو العلني وهم يعلمون أن هذا الرجل هو المصطلح وحده بهذه النظارة لا بكفاءته ولكن بقوة دولته ثم هم يأثسون من قصده إلى الإصلاح الحقيقي الذي يري الأمة تربية حقيقية فهم يكتفون وإيجين . ويهيمون بالشكوى مستخين ، ولئن سئلوا أجبر يقولون إننا نحن راضون ، وهم عند أنفسهم وعندما كثرت الناس معذورون ، وقد عيل صبر طائفة من خيارهم فاستألوهم مختارون ، ان الأعمال الكبيرة لا يظهر أثرها في الامم إلا بعد الزمن الطويل ولكن أعمال (دنلوب) قد ظهر أثرها في نظارة المعارف في زمن أقرب مما كان ينظر . ظهر أثرها في سقوط مدوستين عاليتين من مدارس الحكومة وهما مدرسة (المهندسخانة) ومدرسة المعلمين التوفيقية وما أحوج البلاد إلى المدرستين وهذه نظارة المعارف في أشد الحاجة إلى معلمين ولم تكن عنها الأوشاب الذين يحجبهم دنلوب من بلاده في كل سنة . هذا بعد ما أنمي التعليم المجاني وأدخل في التعليم الابتدائي اللغة الأجنبية خلافا لجميع الأمم التي حتمت جعله باللغة الأهلية ولا تسلم عن اندراس رسوم الدين في المدارس وما في ذلك من افساد الآداب وتدنيس الارواح حتى أنك ترى بيوت الفسق في الأزبكية عاصرة بالانلامدة وقلمنا ترى احدا منهم في بيوت الله تعالى . هذا حال مدارس الحكومة فبالاكت عا دونا ؟ يقول المقطعظ الاغر ان البلاد ارتقت في العشرين سنة الاخيرة بالتعليم حتى طافت هذه السنين ما قبلها بالرقى فوقا ظاهرا . ونحن نقول ان هذه البلاد تشغل منذ مئة سنة بالتعليم والمدنية فان كان هنا تقدم ظاهر في شيء من الاشياء فهو نتيجة هذا انسي الطويل في مدة قرن كامل ولا ننكر ان لهذه السنين الاخيرة فضلا في

الحرية والعمران واصلح الحكومة وأن هذا من حسنات المحتلين ولكننا مع هذا لا نرى
 فيمن تعلم في هذه السنين الأخيرة رجالاً مستقلين نفتخر بعلومهم أو بأعمالهم ونستبشر
 بخدمة أمتهم والبلاد بل نرى خبر رجال مصر علماً وعملاً نفراً تربوا وتعلموا قبل
 أن يتحكم دنلوب في مدارس الحكومة

ثم إننا نرى سيرة أكثر المتعلمين ملطخة بفساد الاخلاق والاخلاد الى الشهوات،
 والمجاهرة بالنكرات ، والاستهانة بما ينسب الى أمهم من الاخلاق والعادات، ولا حاجة
 لهم في هذا الا أنه يخالف لعادات المترفين من الاوربيين ، فهم بذلك يخربون بيوتهم
 بأيديهم وأيدي الطامعين ، وقد قامت أوروبا وقد مدت لافئاع انكلترا باستبدال المتر الفرنسي
 باليرد الانكليزي لانه خير منه ولتتوحد المقاييس في أوروبا فأبت هذه الدولة التي
 تهتقد ان عزها وسلطانها بالحفاظ على تقاليد سلفها وعاداتهم أن تغير مقياسها محتجة
 بأن الأمة التي يسهل عليها الخروج من العادات القومية الى عادات الاجانب لا يثبت
 لها استقلال ، ولا يستقيم لها حال ، فأين متعلمونا الذين يسارعون في تقليد سلفاء
 الافرنج في الشهوات ، من محافظتهم على هذه الروابط المقومات ؟؟

محرر المقتطف الاغر يعتقد اعتقاداً في نقص التعليم في مصر وكونه غير مؤد الى النافعة منه
 ولعله نسي اعتقاده عند تخطيطنا ، ولا حاجة للاستشهاد على ذلك بأكثر من جواب سؤال
 له في هذا الجزء الذي انتقدنا فيه ذكره مع السؤال بنصه وهو :

(س) .هـ أكثر بيتنا عدداً المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحداً منهم
 قام بامتحان القضايا العلمية ونتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علماً وعملاً
 فهل ذلك يمزى لنقص في التعليم أو اهمال من المتخرجين

(ج) يمزى الى الاتيين والى ان الاساتذة انفسهم ليسوا من أهل الاشتغال بالعلم
 ولو كانوا من أهل الاشتغال به لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في أوروبا وأمريكا
 وفي بلاد اليابان أيضاً اه

وجملة القول اننا ما أنكرنا فائدة التعليم الحاضر بالمرّة وانما قلنا ولا نزال نقول بأنه
 ناقص وغير مقصود به الى سعادة الأمة وعزتها وليس منه تربية للاخلاق والفضائل
 ولا نطلب إبطاله وانما نطلب تعليمها كاملاً تصحبه تربية صحيحة وان يكونا موجبين
 الى الاستقلال ، وطالب الكمال ،

مَشْدَرَةٌ بِأَبِ الْآثَارِ الْإِدْبِيَّةِ ❦

لما قدم الأستاذ الامام من سياحته في هذا العام، هنأه بالقصائد الطنانة جواهر العلماء والادباء في الازهر وغيره ونذكر هذه الايات للشاب الذي زاحم في بدايته أهل النهاية تنشيطاً له على العناية بالأدب وهو الشيخ مصطفى نجمل حسن بك عبدالرازق قال :

أقبل عليك تحية وسلام	ياساهرا والمسلمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لامة	نشرت لفضلك بينهم اعلام
كالبدرا أتى سار بشرق نوره	والحق أتى حل فهو امام
إن بقدر وافي القرب علمك قدره	فلمصر اولى منهم والشام
فيك الرجاء لامة لمبت بما	ياهي الصغار وجدت الايام
لازلت غيظاً للضلال وأهله	والله يرضى عنك والاسلام

❦ مسيح الهند ❦

عثر في مسيرها الايام	أم هو الدهر هكذا والانام
أهله بين ذي هدى وضلال	ولياييه ذوسنا وظلام
وأرانا بمدة العمر نشقى	وعدو المسومات الالبام
ليس كل الذين تبصر ناباً	ان بعضاً من الطيور الحام
ولكل الورى رؤوس فان لم	يكن العقل كانت الاوهام
ايه (ياهند) عن مسيحك ما زلت	ت وزالت بيتك الاصنام
كان في جسمك الرباء فقد دب الى العقل بمد ذاك السقام	
ضلة للفقى ومن تبموه	أشرق الصبح والقبور نيام
مسحته الجنان أم مسخته	وتولاه جُلجل أم عزام (١)
وأنته الاقوام تترى ولا غر	وعلى الجرح للذباب ازدحام
وانا كان في الرؤوس ضلال	وقفت عند قصدها الاقدام
نسخ السيف ذلة وريا	وجدير بناسخه الحسام
أي هذا المسيح ان الالباني	في بنيتها من الزمان سهام

(١) جُلجل وعزام اسمان من أسماء الشياطين والتكنة ظاهرة

وأرى الدهر كالوغي وقديما
 فاربع الأرض فوق قرنك وأمر
 أوفسد السماء أن الشياطين
 وتجد الوري بسخنتك أوسج
 لو سألت الخمار حين تراه
 في نهيق لقال ذي أحكام
 مصطفى صادق الرافعي

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمَامِ

نصيحة الأستاذ الامام

(أهل الجزائر وتونس)

من يعرف الأستاذ الامام يعرف أن كل حديثه في جميع أوقاته نصيح وتعليم فجالسه
 ومساره يستفيد علما وحكمة في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك فقد قد ان
 الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الأخيرة إلى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح
 لا تحصى ولكن النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافها أهل العلم والبراية في القطرين هي
 (١) الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد إليها في الخطاب
 الذي ألقاه في تونس. و (٢) الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة المشرفة
 مع الاقتصاد في المعيشة. و (٣) مسالة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة. وهذا الأخير تم لهم
 كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ما قبله فإن الحكومات في جميع
 الأرض يفتقون على البلاد التي يستعمرونها ماداموا يستمدون أن أهلها ساخطين عليهم
 أو لهم ضلع مع حكومة أخرى. وهذا الأعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما
 يروقه ضاراً بهم من القوانين والمعاملات فإذا لم تكشف ظلامتهم بعد الاتجاه اليافي كشفها
 كانوا ممدورين إذا سطروا تر بصوابها الدوائر

والمشهور عند المارقين بالسياسة العامة أن فرنسا نجت دائما عن طريقة يطمئن
 بها أهل الجزائر لحكومتهم وتطمئن هي لرضاهم عنها ولا شك أن هي الطريقة تنفع الحاكم
 والمحكوم وعدم السير فيها يضر بالحاكم أكثر مما يضر بالمحكوم. ونحن نفقد أن الطريقة
 الوحيدة هي حسن المعاملة من فرنسا وأعراض الجزائريين والتونسيين عن السياسة إلى

العلم الذي يبر القبول والعمل الذي يشغل عن الفضول ، وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الأستاذ الامام انس من الحكومة الفرنسية هناك الميل الى هذه المعاملة وأنس من اهالي الجزائر الرجاء الحسن بحاكمهم الجديد (موسيو جونا ر) وقد ذكرنا في جزء سابق ان الموسيو (روا) ميل في تونس الى هذا المذهب حتى الله الرجاء وأصبح الاحوال بمنه وكرمه

﴿ الخطر في مراکش ﴾

استفحل أمر الخارج على الحكومة المراكشية وكانت الحرب بينه وبينها سجالا الا ان الخطر في جانبها أكثر وقد تبين ان الخارج أو القائم من بيت الملك وهو (مولاي محمد) وان اسم (أبو حمزة) كان لقباً مستعاراً. وقد توأ الى انتصار القائم أخيراً ويظن أنه لو أنه هاجم السلطان مرة واحدة لرجى ان يظفر ويقضى الأمر. ولا ريب ان كل حال تنتقل اليها تلك البلاد هي خير من حالها الحاضرة في القصة وقبل القصة بمئة سنة ونيف فاذا خطر مولاي محمد فلا بد ان يجهد البلاد بحكومة فيها شيء من القوة والنفوذ ويتظر ان تكون أمثل من حكومة عبد العزيز على كل حال فان هذا مفتون بالزينة والترفع قد كانت البلاد في النزاع والنزاع والدول الأوروبية في النزاع عليها وهو على إهلاك حكومته يرسل ذلك الشاب التونسي الذي هرب منه بما يسلحه الحيدرون ليشتري له من أوروبا ما تصبو اليه نفسه من آلات الزينة وأدواتها وماعونتها وأثاثها ويشتري له من الاستانة الولدان والجواري الناعمات الحسان ليتمتع كما يتمتع غيره ممن كان ولا يزال على شاكلته

فمن هذا السلطان يزخر فمدينة أوربا وباليته فتن بقوتها ونظامها فسلك سبيل إبناء الوارثين المنصرين في شراء المركبات الكهربائية ونحوها فخر عليه ذلك ما وقعت فيه بلادهم من الويل واليبور. ولقد كنا نعتد بحكمته منذ ست سنين كما نصح غيرنا من الكائنين بأن تعفي قبل كل شيء بتأليف قوة عسكرية منتظمة وبشهر المعارف وان تستعين على هذا بأعضائها الدولة الألمانية. وانما يرسل من أول نشأته الى وزير خارجية المغرب الأقصى وخبره من كبراء البلاد ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولا مثالا للمشور بقوته وان أهمية - يرى انه مستغن عن جميع العالمين « ان الانسان ليس بشيء ان رآه استفق » وكيف ترضى تلك الحكومة الجاهلة ان تستعين بدولة اسلامية أرق منها وحكام المسلمين قد مرقوا الاسلام وأهله كل عرق لاجل شهواتهم التي أعظمها عندكم كتب « خليفة وأسير المؤمنين » فلو ذهب دول الاسلام الاسلام نفسه فدا لهذا القالب لما كان ذلك الأثرة عين للفرورين بها

كتب بعض الكتّابين مقالات في جريدة (الحاضرة) التونسية يصفون فيها أمراض تلك البلاد الراجعة إلى الجهل والتمسك بمخزافات الحواري وضاف الحكومة ورأى كاتب جزائري أن تسلم تلك البلاد إلى دولة أوربية لتصلحها كما أصلحت بلاده (الجزائر) ورد عليه كاتب تونسي بأن هذا انتحار لعلاج وإن الدواء الحقيقي في التطعيم والنظام والقوة وأنه لا يتم هذا لتلك الحكومة إلا بالاستعانة بدولة أوربية وقال إن فرنسا حق من غيرها أقربها وجوارها . ونحن نقول أنه ليس من مصلحة دولة من أوربا أن تستولي الآن على مراکش استيلاء تاما بمعنى أن تضمها إلى أملاكها لأن المسلمين في كل بقعة وحيل أشجع الناس وأعصاهم على الخضوع للأجنيين ولا طريق إلى إزلالهم وتذليلهم إلا حكمهم وامرأؤهم فهم الذين يفسر لهم أن يفسدوا بأسهم بالظلم المقبول منهم على الرأس واليمين ويذروا بذور الترف والسرف والفسق الذي يدمر البلاد ويهلك العباد . وهذا ثابت بالاختبار والاختبار ، وقد أوردنا في المجلد الرابع ما ورد فيه من الأحداث والآثار ، أما إذا استعان سلطان مراکش على تمدن بلاده بدولة أوربية قبل الأخذ بقوة كما كان يحاول عبدالعزيز فيمكن بذلك أن يستولي الأجانب على تلك البلاد بسمي حكومتها ولكن تلك البلاد لا تزال بدوية لم يذللها الضعف كذا في البلاد المصرية لمحمد علي باشا بسطو تالماليك وظلمهم ثم تمكن هو وذرئته من الاستعانة بالدول الأوربية على تمدنها هذا التمدن التي كان وسيلة لاحتلالهم فيها وتمكنهم منها . ولهذا لا نظن أن دولة أوربية تمديدتها إلى مراکش بدون واسطة حكمائها لم يوجد في هذه القرون التي طغى فيها طوقان أوربا على الشرق حاكم مسلم صلب سليل الرشاد في سياسة بلاده حفظها وجعل لها ناعليا : اأعبد الرحمن أمير الأفغان الماضي (تحمده الله برحمته) فأه سلك الطريقة التلّي التي صلبها عن سلكها قبله وهي دولة الروس التي برز في بلادها . تلك هي طريقة القوة العسكرية لتنظمة ومنع الأجانب من دخول البلاد إلا بأذن خاص إلى أجل معلوم ثم السعي في نشر التعليم وكان يسهل على مراکش أن تحذو حذوه كما يسهل الآن على دولة فرنسا (إيران) لاسيما إذا اتفقت معه . وبلاد مراکش أقرب شها بلاد الأفغان فإن الاثنين بدويتين شديدتي البأس لا يعوزها إلا العلم والنظام . على أن دخول الأوربيين في البلاد بأي صفة دخلوا أقرب إلى النظام والعمران وخير من الخلل والنوضى في الحكومة الأهلية لاستبدادية الجاهلية ولا بد أن تسلم الأهالي منهم بالتدرج فتكون العمران كما نرى في مصر . وكان الأفضل أن يصلحوا أنفسهم بأنفسهم وإمكن حكمهم لا يمكنهم ولا يصلحونهم ولا بد من عمران الأرض فإن لم يصرفها أهلها أعمرها الآخرون . « دولة كثرنا في أن يور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

قُسم عادي الذين يستمعون القول
فينبهون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - الجمعة ١٦ شعبان سنة ١٣٢١ - ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(٥٨) واحتجوا في مسئلة الآبق يأتي به الرجل ان له أربعين درهما يجزى فيه « ان من جاء بآبق من خارج الحرم فله عشرة دراهم أو دينار » وخالفوه جهرة فأوجبوا أربعين .

(٥٩) واحتجوا على خيار الشفعة على الفور بحديث ابن أبي عمير « الشفعة كحل العقار ولا شفعة لصغير ولا ثقات ومن مثل به فهو حر » خالفوا جميع ذلك الا قوله: الشفعة كحل العقار

(٦٠) واحتجوا على امتناع القودين الاب والابن والسيد والسبد بحديث « لا يهاد ولا يولده ولا سيد بسده » وخالفوا الحديث نفسه فان تمامه « من مثل بسده فهو حر » .

(٦١) واحتجوا على ان الولد يلحق بصاحب الفراش دون الزاني بحديث ابن وليدة زمة وفيه « الولد للفراش » ثم خالفوا الحديث نفسه صريحا فقالوا الامة لا تكون فراشا وانما كان هذا القضاء في أمة ومن العجب أنهم قالوا اذا عقد على أمه وابنته وأخته ووطئها لم يحد للشبهة وصارت فراشا بهذا المقد الباطل المحرم وام ولده وسريته التي يبطئها ليلا ونهار ليست فراشا له

(٦٢) ومن المجائب أنهم احتجوا على جواز صوم رمضان بنية ينشئها من النهار قبل الزوال بحديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل فيقول « هل من غداء » فيقول لا فيقول « فاني صائم » ثم قالوا لو فعل ذلك في صوم التطوع لم يصح صومه والحديث انما هو في التطوع نفسه .

(٦٣) واحتجوا على المنع من بيع المدر باء قر انعقد فيه سبب الحرية وفي

بيعه ابطال لذلك وأجابوا عن بيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدبر بأنه قد باع خدمته ثم قالوا لا يجوز بيع خدمة المدبر أيضا .

(٦٤) واحتجوا على ايجاب الشفعة في الاراضي والاشجار التابعة لها بقوله

« نفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشفعة في كل شرك في ربيعة أو حاطة »

ثم خالفوا نص الحديث نفسه فان فيه « لا يحل له ان يبيع حتى يؤذن شريكه فان باع

ولم يؤذنه فهو أحق به » فقالوا لا يحل له ان يبيع قبل اذنه وبحل له ان يتحيل لاسقاط

الشفعة وان باع بعد اذن شريكه فهو أحق أيضا بالشفعة ولا أثر للاستئذان ولالعدمه .

(٦٥) واحتجوا على المنع من بيع الزيت بالزيتون الا بعد العلم بأن مافي الزيتون

من الزيت أقل من الزيت المفرد بالحديث الذي فيه النهي عن بيع الاحجار الحيوان

ثم خالفوه نفسه فقالوا يجوز بيع اللحم بالحيوان من نوعه وغير نوعه .

(٦٦) واحتجوا على ان عطية المريض المتجزئة كالوصية لاتنفذ في الثلث بحديث

عمران بن حصين ان رجلا اعتق ستة مملوكين عند موته لاملال له سواهم فجزأهم

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أجزاء وأقرع بينهم فاعتق ثنين وارق أربعة ثم

خالفوه في موضعين فقالوا لا يقرع بينهم البتة ويعتق من كل واحد سدس

وهذا كثير جدا والمقصود ان التقليد حكم عليكم بذلك وقادكم اليه قهرا ولو

حكمتم الدليل على التقايد لم تقعوا في مثل هذا فان هذه الاحاديث ان كانت حقا وجب

الاتياد لها والاختيم فيها وان لم تكن صحيحة لم يؤخذ بشي مما فيها . فأما ان تصح

ويؤخذ بها فيما وافق قول التبوع وتضف وترد اذا خالفت قوله أو تأوّن فهذا من أعظم

الخطأ والتناقض فان قائم : عارض ما خالفه منها ما هو أقوى منه ولم يارض ما وافقها منها

ما يوجب المدول عنه واطراحه : قيل لا تخلو هذه الاحاديث وأمثالها ان تكون منسوخة

أو محكمة فان كانت منسوخة لم يحتج بمنسوخ البتة . وان كانت محكمة لم يجوز مخالفة شيء

منها البتة فان قيل : هي منسوخة فيما خالفنا ما فيه ومحكمة فيما وافقنا ما فيه : قيل : هذامع انه ظاهر

البيان يتضمن لنا لعلم ندعيه قائل ما لا دليل عليه فاقبل ما فيه ان ، عارض ما لم يرض عليه هذه

الدعوى بشانها سواء ، لكانت دعواه من جنس دعواه ولم يكن بينهما فرق ، ولا فرق وكلاهما

مدعي لا يمكنه اثباته قالوا احب اتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحكيمها واتحاكم

اليها حتى يقوم الابل القاطع على نسخ المنسوخ منها أو تجميع الامة على العمل بخلاف شي منها
وحال الثاني محال قطعا فان الامة والله الحمد لم تجميع على ترك العمل بسنة واحدة لا سنة ظاهرة
النسخ معلوم للامة ناسخها وحيث تبين العمل بالناسخ دون المنسوخ أو امان يترك الذين
لقول أحد فلا كتمان كان وبالله التوفيق

(الوجه المشرق) : ان فرقة التقليد قد ارتكبت مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهدي أصحابه
وأحوال أئمتهم وسلكوا ضد طريق أهل العلم - أما أمر الله فانه أمر بدمنا نزع فيه المساهمون
اليه والى رسوله والمقلدون قالوا التنازده الى من قلدها . وأما أمر رسوله فانه صلى الله عليه وآله
وسلم أمر عند الاختلاف بالاختصاص سنة خلفائه الراشدين المهديين وأمر ان يتمسك بها
ويستضي عليها بالتواجد وقال المقلدون بل عند الاختلاف تمسك بقول من قلدها ، وتقدمه
على كل ما عداه ، وأما هدي الصحابة فمن المعلوم بالضرورة انه لم يكن فيهم شخص
واحد يهتد رجلا واحدا في جميع أقواله ومخالف من عداه من الصحابة بحيث لا يرد
من أقواله شيئا وهذا من أعظم البدع وأقبح الحوادث . وأما مخالفتهم لأئمتهم فان الامة
نهوا عن تقليدهم وحذروا منه كما تقدم ذكره في ذلك عنهم . وأما سلوكهم ضد طريق
أهل العلم فان طريقةهم طلب أقوال العلماء وضبطها والظار فيها وعرضها على القرآن
والسنن النابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئوال خلفائه الراشدين فما
وافق ذلك منهم قبلوه ودانوا له به واتصوا به واقتوا به وما خالف ذلك منها لم يلتفتوا
اليه وردوه وما لم يتبين لهم كان عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها ان تكون
صائفة الاتباع لا واجبة الاتباع من غير ان يلزموا بها أحدا ولا يقولوا انها الحق دون
مخالفتها هذه طريقة أهل العلم سلفا وخلفا . وأما هؤلاء الخلف فكمسوا الطريق وقلبوا
اوضاع الدين فزيفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وأصحابه فمعرضوا على
أقوال من قلدها فما وافقها منها قالوا لنا واتنادوا له مدعين ومخالفين أقوال أئمتهم
منها قالوا احتج الخصم بكذا وكذا ولم يقبلوه ولم يدينوا به واحتدل فضلاؤهم في ردها
بكل ممكن ونطلبوا الهوا جو ما حيل الى ان تردا . في ذلك كانت ابدانهم وكانت ذلك
الوجوه بينهما قائمة فيها شتموا على منازعهم وأكروا عليه رده بذلك لوجهه وبغيره وقلوا لا ترد
التصويص بمثل هذا ومن له همة تسموا الى الله ومعرضاتنا ونه من الحق لا يمشي به رسوله ولا بن

كان ومع من كان لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسالك الوخيم، وإخفاق الذميمة.

(الوجه الحادي والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون . وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم بخلاف أهل العلم فانهم وان اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعا بل شيعا واحدة متفقة على طلب الحق وإثاره عند ظهوره وتقدمه على كل ماسوا فمهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم فالطريق واحد والقصد واحد . والمقلدون ياكس مقاصدهم شتى وطرقهم مختلفة فليسوا مع الامة في القصد ولا في الطريق

(الوجه الثاني والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين قطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون . والزبر الكتب المصنفة التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله فقال تعالى « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » فأمر تعالى الرسل بما أمر به أممهم ان يأكلوا من الطيبات وان يعملوا صالحا وان يعبده وحده وان يعطوا أمره وحده وان لا يفرقوا في الدين فضت الرسل وأتباعهم على ذلك محتاجين لأمر الله قايدين لرحمته حتى نشأت خلف قطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فن تدبر هذه الآيات ونزلها على الواقع تبين له حقيقة الحال وعلم من أي الحزبين هو والله المستعان .

(الوجه الثالث والعشرون): ان الله سبحانه قال « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم والداعون الى الخير هم الداعون الى كتاب الله وسنة رسوله لا الداعون الى رأي فلان وفلان .

(الوجه الرابع والعشرون): ان الله سبحانه ذم من اذا دعي الى الله ورسوله اعرض ورضي بالباطل الى غيره وهذا شأن أهل التقليد قال تعالى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا »

فكل من أعرض عن الداعي له الى ما أنزل الله ورسوله الى غيره فله نصيب من هذا
الدم فتكثروا ومستقل :

(الوجه الخامس والعشرون) : ان يقال لفرقة التقليد دين الله عندكم واحد
أو هو في القول وضده فدينه هو الاقوال المتضادة التي يناقض بعضها بعضا وبطلان
بعضها بعضها كلها دين الله (١) فان قالوا : بل هذه الاقوال المتضادة للتمارضة التي يناقض
بعضها بعضها كلها دين الله : خرجوا عن نصوص أنهم فان جميعهم على ان الحق في واحد
من الاقوال كما ان القبلة في جهة من الجهات وخرجوا عن نصوص القرآن والسنة
والمقول الصريح وجعلوا دين الله تابعا لآراء الرجال . وان قالوا : الصواب الذي
لا صواب غيره ان دين الله واحد وهو ما أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وأرضاه
لعباده كما ان نبيه واحد وقلته واحدة فن واقع فهو المصيب وله أجران ومن أخطأه
فله أجر واحد على اجتياحه لأعلى خطأه : قيل لهم : قالوا يجب اذا طلب الحق وبذل
الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان لان الله سبحانه أوجب على الخلق تقواه
بحسب الاستطاعة وتقواه فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فلا بد ان يصرف العبد ما
أمر به ليفعله وما نهى عنه ليحتمله وما أيسر له ليأتيه ومعرفة هذا لا تكون الا بنوع
اجتهاد وطلب وتحرر للحق فاذا لم يأت ذلك فهو في عهدة الامر ويلقى الله وما
يقض ما أمره .

(الوجه السادس والعشرون) : ان دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
عامة لمن كان في عصره ولان باقي بعده الى يوم القيامة والواجب على من بعد الصحابة
هو الواجب عليهم بعينه وان تنوعت صفاته وكيفية باختلاف الأحوال ومن المعلوم
بالاضطرار ان الصحابة لم يكونوا يرضون ما يسمعون منه صلى الله عليه وآله وسلم على
أقوال علمائهم بل لم يكن لعلمائهم قول غير قوله ولم يكن أحد منهم يتوقف في قبول
ما سمعه منه على موافقة موافق أو رأي ذي رأي أصلا وكان هذا هو الواجب الذي
لا يتم الايمان الا به وهو بعينه الواجب علينا وعلى سائر المكلفين الى يوم القيامة ومعلوم
ان هذا الواجب لم ينسخ بمد موته ولا هو مختص بالصحابة فن خرج عن ذلك فقد
خرج عن نفس ما أوجبه الله ورسوله .

(لها بقية)

(١) لعل الاصل «وكذلك دين الله» أو ان أول الجملة «فلا أقوال المتضادة» الخ وكلمة «فدينه هو» زائدة

« (القسم السوي) »

﴿ نظام الحب والبض ﴾ - تابع ويتبع

(حب القوة ، والروابط التي تحدث القوة)

إذا رجعنا الى الأصل والمبدأ في تاريخ كل شيء نصف به أعيان الكائنات نجدتها اما العلم المحض واما ذرة لا يذكر في جنب ما صارت اليه .

والانسان واحد من هذه الكائنات الباهرة . فاذا أخذنا الآن نظراً ارق فرد من أفراد ووصفاته بما هو أهله من العلم واعتدال الخلق والخلق وجهه الإرادة وقوة العزيمة وما يتبع ذلك من الفروع التي هي اجزاء التكامل فلا بد من ان نحار ونتقن في دهشة . وخلق بالآفراد الكاملين ان يحيروا الأفكار . ولكن اذا رجعنا تاريخ هذه الأجزاء التي حصل بمجموعها ذلك الكمال يجب ان يزيد اندهاشنا حين لا نرى لها وجوداً في الأطوار والأدوار الأول من حياة هذا الحيوان الناطق

نجد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوة الرائحة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفاً » . وبالجمله يرجع اعتدال خلقه وخلقته الى لا شيء لانه كان جاداً . بل لم يكن شيئاً مذكوراً . وابن النسبة بين البشر السوي ، العليم القوي ، وبين الجماد .

والأصح شيء بموضوع نفس الانسان هو ان تدرجه في كل جزء من الاجزاء التي يكمل اجتماعها ولذلك كان من غرضنا في هذا الفصل الكلام في أعظم جزء من تلك الاجزاء وهو القوة . وقسمنا الكلام الى ثلاثة أبواب : في الأول نعرف القوة وقسمها ونسلكم على حب الانسان لها وسيله . وفي الثاني نبين كيف حدثت القوة للانسان ونسلكم في الروابط الثلاث : رابطة الاديان ، ورابطة الاجناس ، ورابطة الحكومات ، وهوام الابواب . وفي الثالث نذكر ما يحفظ القوة وما يضعها . وهو صفوة الكلام في هذا المقام .

— (١) — القوة —

القوة فاعل ذوات . وهي بأنواعها منبثقة في كل الموجودات الحسية والنبية . ويميز عنها بحسب اختلاف الموجودات واختلاف الاصطلاحات بمبارات شتى كما يعبر

عن موجود ما بحسب اختلاف اللغات بألفاظ شتى . وأكثر ما يكون الاختلاف في التعبير عن قوى الموجودات الحسية والتعبير عن قوى الموجودات انشائية . وقد نسمي قوة حسية روحا . وبهذا الاسم نسمي قوة غيبية . وقد نسمي في المحسوسات ملكة . وفي القييات ملكة . ولا يعلم جنود الخالق الا هو .

- أقسام القوى البشرية -

قبل معرفة قوانا وأقسامها يحمل في وبكم ان تتزن بكلمة سواء بيننا وبين البشر اجمعين ليستقيم بها سيلنا في العلم . وتترب غايتنا في العمل ،

ان القوة الحقيقية هي للخالق وحده ، وهي القوة التي لم يسبقها ضعف ، وان ياحقها ضعف . وهي قوة التصرف بيده المبروات وتصويرها ونظم شؤونها ومنع خواصها بسائط ومركبات . وهي القوة المقدسة من كل شوب . المادة (أي مانحة المبدء) لكل مصور حتى حين .

هذه هي القوة الربانية التي تحتج لها وحدها قوتنا وتوجه ثقلنا وجوهنا رغبة ورغبة . والها تطير الجوائح شوقا وهياما . ونحن لها الارواح الواردة من لئها ، وننسج من كل وجهة إقبال مددها فتحتج برجائها ، ونصير في هذه الدار حتى بانها أمرها . لما نحن فليس لنا من قوة الا ودائع أودعها البارئ في خلقتنا . لتعاقب فيها على عوالم الارض التي استخلفنا فيها . ثم نتعاقب فيها فيما بيننا . نكون فريقين متضادين ، أعيان وأدنين . ومن قبل سبقت ارادته في الخلق ان يكون لكل مخلوق مقابل ، والخالق يعمل ميثاء وهو السامح الحكيم . ولو شاء لجعلنا أمة واحدة . ولو شاء لجعلنا أجمعين . ولا يسأل سبحانه عن مشيئته . ولا يستن عن الودائع تسأل كل نفس ماذا كسبت . فيسرى للذين يحسنون صنعا .

أودع الخالق فينا قوى كثيرة . وجعلنا متفاوتين فيها تفاوتنا عظيم . فثنا من يرزق قوة منها شئ لها أبصارنا واضها من خوارق العادة وما هي من الخوارق والتعاليه منها فضل عظيم به يصبح مالمينا كأن لم يكن . وقس على الواحدة غيرها .

القوى التي فينا تنقسم الى حسية ، وعقلية ، وقلبية ، أي يد الحسية قوى الجسد .

وبالقوية قوى الإدراك ، وبالقوية قوى الإرادة .
فاما القوى الحسية فظاهرة كظهور الجسد . ولفظها ما وجدت واستردادها ان
قدست علم خاص من صدد موضوعنا ان نوصي به . وأما العقلية فمعرفة بالتأمل ويمرض
لها من الأمراض أكثر مما يمرض للقوى الحسية فتقسم من أمراضها تابع لطب القوى
الحسية . وتقسم منها تابع لموضوعنا . وأما القوى العقلية تخفية لا يمرضها الاقليل من الذين
في أنفسهم يتفكرون . والذين لا يمرضونها يشوبون فيها الكلام بكثير من الأوهام . ويمرض
لهذه القوى العقلية من الأمراض أكثر مما يمرض للحسية والعقلية . وبينها وعلاجها
هو عين موضوعنا .

- حب القوة وسببه -

حب القوة تابع من توابع حب الذات وهو أعظمها . وله سببان أحدهما تابع
لسبب حب الذات . والآخر مستقل وهو ان الكمال بأصل الفطرة ممشوق للنفس .
والقوة جزء من أجزاء الكمال ومرقاة الى أجزائه
ولعل القارئ لم ينس القاعدة التي ذكرناها في باب حب الذات وهي :
« متى كان وجود الشيء لازماً من الاوزان العامة كان طبيعياً » .
فاذا حفظ القارئ هذه القاعدة يبقى عليه ان يضمن النظر « هل حب القوة لازم
من الاوزان العامة » ونسفه الآن بإبداء ما بدا لنا بهذه المسئلة :

« ان حب القوة لازم من الاوزان العامة » والدليل عليه من الحس والعقل .
أما دليله من الحس فلاننا نجد من متممات الحياة . ولولاه لمستد علينا الموردي
الكثيرة التي من أيسرها الجوع فاذا نحن هباء في هواء . ولو استقرأنا استقرأه تاماً
لما ازددا الا تصديقاً بهذه القضية . ولطابق لنا كل حي مصرفاً بأن هذا الأمر حليف
جوانحه كل حين . ولا يرينكم في هذه القضية فئة ترونهم يسمون في اضماف أنفسهم
من ادامة جوع ومواصلة سهر وموالاتة قمود في بيت مظلم واستمرار على صمت أو
تكرار حروف وكلمات وما أشبه ذلك من أنواع الاضماف فان مسؤولاً لا يقصدهم
بضمهم ذلك الا القوة . أعني أنهم يضيفون القوى الظاهرة ليتوصلوا الى قوى
مخفية (هي من فروع القوى العقلية) لها تأثير في مرضى العقول والقلوب .

وكم استبعد هؤلاء الموهومون الناس بهذه القوى حتى اتخذوهم آلهة بمعنى أنهم يفيضون ويصرفون الخير والنشر إن أرادوا وعن أرادوا متى أرادوا بزعمهم
 وقفة أخرى يقلدون هؤلاء عن غير معرفة بالطريق ليصلوا إلى تلك الغاية فيشرهم
 بالجنون المطبق أنهم مقتنونون

وأما دليله من العقل فلاتا نعرف من كون الإنسان أعظم عوالم الأرض كونه مخلوقا لأمر عظيم، ونعرف من هذا أن القوة لازمة لهذا المخلوق العظيم. ونعرف من هذا أن حب القوة لازم له لأجل تحصيلها لأنه مخلوق ذو ارادة تسبق الارادة عمله .
 ويمكننا أن نأخذ الدليل العقلي في هذه المسئلة من عين السبب الذي ذكرناه آنفا وهو « أن الكمال في أصل الفطرة مشوق للنفس » ولا نبالي بما يترامى من شبه الدور فانا طالما عرفنا شيئا بآخر ثم ازدادت معرفتنا بالاول بواسطة الثاني الذي عرفناه بواسطة الاول وقد يتلائم الشئان حتى يستدل على احدهما بالآخر. ولنا على هذا الأخير أن نستدل على كون الشيء لازماً من اللوازم العامة بكونه طبيعياً وعلى كونه طبيعياً بكونه لازماً كذلك. وللمتلازمين تارة حكم المترادفين ككلمتي « الطبيعة » و « سنة الخالق » جل وعلاه

ومن كونه طبيعياً أولازماً من اللوازم العامة نعرف أنه نافع لأنه تقرر أن الاشياء الطبيعية (أي التي اقتضتها ارادة الخالق على سنة مطردة) جميعها نافعة تقاماً عاماً . ولكن المرض في العقل قد يمتدحه عن أن يرى البعض منها نافعا وقد يضلّه عن السبيل المستقيم في الانتفاع منها .

فمن ثمة يحكمون بمرض الفطرة على فرد لا يجب القوة حبا بحمله على تحصيلها بقدر الطاقة . وعلى أمة تقتصر عن غيرها في القوة بمرض عام في رمية أفرادها لتصلق اعراضه بكل واحد منهم وإن كان بعضهم أشد مرضاً من بعض . ويتكون من مجموعها اعراض عامة قاتلة إن دامت .

- خلاصة -

وقد تبين لكم أمران جديران أن يقيدا في لوح الذهن ذانكم ان : (١) حب القوة (كحب الذات) لازم نافع . وان : (٢) التقتصير في حب القوة مرض نفسي

واجتماعي . فان امرؤا تأكل مضرًا بمرضه ، مستشفيا من داءه ، فانظروا ماذا ينفعه من العمل وصروه ان ياخذ من العلم ما يلزم لاصلاح العمل . وان كان مهملا ولم يشأ ان يعمل عملا صالحا لنفسه والمجتمع فانظروا ان تبيده الاقوياء غير مشكور . وان أمة صدت عن النذر ، وكفرت بالسنن ، فلتسوا منها مخرجا ان كنتم فيها وقوا أنفسكم والبوارهون انهم قوم بور .

ع . ز

باب التوسل بالتعليم

— درس عام في العلم الاسلامي والتعليم —

﴿ العلوم الاسلامية ﴾

ومن هنا يمكننا أن نأخص الى الكلام على حالتنا في تحصيل العلم في جميع بلاد الإسلام وهو موضوعنا نقول

عندنا علوم شتى نشغل بتحصيلها ونسميها العلوم الاسلامية وانما سميت بهذا الاسم لان موضوعاتها لعلاقة بدين الاسلام كالفقه وأصوله وهو علم يبحث فيه عن طرق استنباط الاحكام من أدلتها وكعلم التوحيد وهو علم اسلامي يبحث فيه عن وجوده تعالى وصفاته الحكاية ثم العلوم العقلية كال تفسير والحديث واللغة والنحو والمطالع والبيان والبديع وما سمي علم الوضع

ومن هذه العلوم وسائل ومقاصد ونحن يشتغلون بجميعها وسائل ومقاصد . ولا حاجة الى الكلام في تعيين طرق الاشتغال بها عندنا وعندكم . انما الكلام في أمر عام معروف عند الجميع وهو طرق تحصيل هذه العلوم

(علم النحو وتدريبه)

فالنحو مثلا يدرس بتونس بكتب التي قرأ بمصر كالتعريف والاشموني والصبان وله غايتان . الاولى التمكن من فهم كتاب الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وكلام سلف الامة . والثانية اصلاح اللسان من الخطأ . نشغل بجمع هذه القواعد في هذه الكتب ثم نشغل أنفسنا بالبحث في عبارة المؤلف هل يدل على ما قصده . فتأمل يقول نعم ، وتأني تأمل آخر يقول لا

وقائل ثالث يرجح قول نعم ، ورابع يرجح قول لا . ونحو هذا مما ترؤنه في النقار المكتوبة على الحواشي ويطول بذلك الزمان وتضيع الفائدة . وينصرف الذهن عن القاعدة ، ثم بعد الفراغ من العلم لا يجد الطالب تقويماً في لسانه ولا صحة في تحريره ولا قدرة على فهم ما جاء في كلام العرب أو في كتاب الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم . ويزيد الأمر صعوبة طريقة البناء التي اختاروها في تدريس الحروفان الاستاذين ذوي العذاب وهو لا يعلم شيئاً من اصطلاحات العلم بتحقيق المسائل وتفتيتها كما يقولون كأنه عريق في العلم . ولا يراعي مقدار استمداده للعلم . وقد وقع لي أنني مكثت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً من شرح الكفراوي على الآجرومية فماني عدم الفهم على الحرف من طلب العلم لم تكن اليأس من نفسي ولكن لأمر أراد الله تهنيتي والذي على الرجوع إلى الطالب فهربت في الطريق ولكنني صادفت في مهربي من علمي كيف أطلب العلم من أقرب وجوهه فدفقت لذته واستمررت في طلبه . فعلى الاستاذ أن يكون بيده ميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استمداده لقبول ما يقول . فيجب على المدرس أن يتنازل مع المبتدي إلى درجته ثم يرتقي به شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الدرجة التي يمكن فهمها من أدراك دقيق المعاني . وهذا الفن من معرفة درجات الأذهان وكيفية الاستفادة من مخصص تستلزم قراءته ست همتة سنة إذا كان شرح المطول يحتاج في قراءته إلى ثمان سنين . ومن أنفق أوقاته في هذا الفن الذي ألف في الكتب وبسطت فيه الأفكار فاني أضمن له ثوابه عند الله تعالى أضماًف أضماًف ثواب من يحتمل أقرام المطول لما أنه يرشدنا إلى الغاية التي طالبنا الله بها

﴿ علم المعاني والبيان ﴾

(وانفاية منه)

علم المعاني والبيان عامان يبيحت فيهما عن البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فاهو ذلك المقتضى ؟ نجددنا نطرق في هذا الفن أو المقام له يقول هل تحقق البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال في الجملة أم لا بد من مراعاة جميع مقتضيات الاحوال ؟ فإن كان الاول تكفي بما لا يفتقر من براع سائل كما ينبغي وهو يعلم أنه غير صريح له . وإن كان الثاني فلا تختلف طبقات البلاغة ولا يكون لها أعلى وأسفل . ويطول البحث ويكثر الجدل في ذلك وينصرف الذهن عن البلاغة نفسها ولا يجد الباحث ما يردده إليها

ومكنا نجد البحث يطول في انساب الى حد يشغل الذهن عن الغرض المقصود . مع
 أنه لو قال الاستاذ : البلاغة صنفان : كلام تبلغ المتكلم مراده من نفس السامع على قدر
 طاقته ثم منها تكون براعة حل الخطب وذلك يقسم الى قسمين : ما يتعلق بفهم الكلام
 وما يتعلق بالمعنى الذي سبق له الكلام . فما يتعلق بنظم الكلام هو موضوع علم المعاني : ثم
 ينطلق في بيان ذلك وتقرير المعاني التي سبها . لا امام عبد القاهر الجرجاني و'ضع هذا الفن
 معاني النحو . أما تقسم الثاني وهو حل الخطب بالنسبة الى المعنى الذي سبق له الكلام
 فتوقف معرفته على أمور كثيرة ومعارف حجة يتوصل بها الى معرفة طبائع الاشخاص
 ومداخل المعاني الى قلوبهم فمن أراد أن يقتنع مخاطبه بعقيدة مثلاً فعليه أن ينظر فإن
 كان المخاطب ممن لا يقتنع الا بالبرهان فعليه أن يقيمه له وان كان ممن لا يدرك البرهان
 ولكنه يقتنع بالمسلّمات مثلاً : تلك السبل ولا يكون بليغاً الا اذا لاحظ ذلك
 مع ما يتعلق بالنظم : - لو سلك الاستاذ هذا المسلك لجمع المعاني الكثيرة الى ذهن
 الطالب ووجه قصه الى انفاية المطلوبة منها ثم انه بعد ذلك كله لا يمد سلطاناً للبلاغة
 الا اذا وجه فكر الطالب الى ممارسة كلام العرب ونسج في التحرير والتعبير على ما نسجوا
 عليه حتى تحصل له ملكة البلاغة ويصل الى الغاية من علمه . فان غاية هذا العلم تشمل
 كلا أمرين الاول أن يكون الطالب فصيحاً بليغاً فيما يكتب او يخطب . والثاني أن يقيس
 بلاغة البلاء ببلاغة القرآن فيدرك حقيقة الاعجاز . وهذا الامر الثاني هو في الحقيقة عمرة
 الامر الاول فان من لم يكن بليغاً بالملكة والعمل لا يمكنه أن يميز بين طبقات البلاغة

﴿ اسهل طرق تعليمه ﴾

سئل الاصمعي أي الرجلين اشهر اسماء ابن الوليد ام ابو نواس ؟ فحكم لابي نواس .
 فقبل له ان اخذك ابا عبيد بحكم لمسلم بانه اشهر فقال : ان ابا عبيد يروي الشعر ولكنه
 لم يكابد مشقة العمل في صناعته فليس اهلاً للحكم : وهذا قول حق فان من لم يذق لم
 يعرف . واما ما يظن من انه يتيسر للطالب بعد معرفته اصطلاحات علم المعاني ان ينظر في
 كتب التفسير كالكشاف مثلاً ويعرف ما يقول الكشاف في وجوه بلاغة الآية وبذلك
 يكون ممن عرف بلاغة القرآن واعجزه فليس من كلام المحصلين لانه لو كفى ذلك لما
 كانت حاجة الى صرف الزمان الطويل في تحصيل علم المعاني . بل كان ثلثان تقول ان القرآن

ممحزة لان صاحب الكشف قال انه معجز وفتوح بزماتا في تحصيل ما هو انفع وذلك مما لا يقبل. ورب قائل ان المتكلم اليوم يقول ذلك من قبل من يأمر غيره بالبر ولا يأمر به فقد عرض بنفسه جزافا بقاء خطبة على أناس لا يدري اخلاقهم ولا يدري ما يقولون بعده ولا يعرف مواضع الخطاب من أنفسهم . فالجواب نعم لم أقف على هذه الامور تفصيلا ولكن مدة اقامتي بهذه الحاضرة كانت مدة اجتماع بافاضها وعلمائها وبذلك حصلت لي خبرة جالية فخطر ببالني ان التي جملة فيما يطابق مقتضى الحال . وفي ظني ان ما قوله ان لم يقع موقعا حسنا من نفوس جميع السامعين فلا أقل من أن يستحسن بعضهم وذلك يكفيني في مطابقتها لمقتضى الحال

اختلط علينا الامر بالنظر في المعاني الاصطلاحية وكثرة البحث فيها واتقرب الفرض منها الى مصاب نزل بنا في علومنا وعقولنا فانصرقنا بها عما طلب منها . وهذا يلزمنا ان نأخذ مأخذنا في العلوم يسهل تحصيلها ويسرها على الطالب . وفي ظني انه اذا هذبت طرق التعلم لغالب علم البلاغة مثلا أمكنه ان يبلغ الغاية منه في ثلاث سنين . وكذلك من أراد بلوغ الغاية من النحو لمحتاج الى أكثر من ذلك بحيث يصدر الطالب بعد هذا فصيحا بليغا يميز بين طبقات البلاغة شاعرا بمعنى اعجاز القرآن قادرا على فهم ما جاء في كلام السلف والانتفاع به فيما يصاح به معاشه ومما

وجهة القول ان الغاية من هذه العلوم العربية هي ان يبلغ المرء بالتعلم مبلغا كان عليه العربي بالسليقة وهذا يحصل بما قدمناه

وما يلزم التنبيه له في التعليم انه من حق الانسان ان يفتح للطالب باب النظر بنفسه في العلوم فيبين له القاعدة مثلا ثم يطالبه بما يراه في انطباقها على جزئياتها في السمل فانه اذا عوده على ان يقول له كل شيء وان يقوده في كل أمر وقف ذهنه عند حد الاتباع وصحب عليه ان يحقق امرا بنفسه ف عليه ان يطالبه بالسمل دائما ويعلمه طريقة معرفة الخطأ والرجوع الى النصوص . وهذا هو ما يطالب من الدرس بين يدي الاستاذ حتى يحصل ملكة التمييز . اما الوصول الى غاية الكمال في العلم بقدر الامكان فامر موكول لاجتهاد الطالب بعد مفارقة الدرس . ووقوف ذهن هذا المتفاد في تل شأن عن معرفة الامور بنفسه من الامور المحسوسة فمن ذلك اني لما جئت هذا البلد كنت امر من

طريق قصيرة من محطة سكة الحديد الى البيت ذهابا وإيابا ولكن مصحوبا بالسيد خليل
 بوحاجب وقد رأيت أمس اليوم ان أذهب الى المحطة راجلا فبعد ان مضيت في طريقي
 خطوات قديلي ان هذا ليس هو الطريق الى المحطة فرجعت الى طريق أخرى وطالعت علي
 السير حتى صعب علي الرجوع الى المنزل لتشتت الطرق علي واضطرت الى سؤال بعض
 المارة عن المحطة فدلتني عليها واذا بي وبينها أطول عسايتي وبين البيت الذي خرجت
 منه ثم بعد عودي الى البيت خرجت ماشيا مرة أخرى بعد محو ساعة فاهتديت الى طريق
 المحطة ولكن وقع لي اشتباه على مقربة منها . ولم تزل الشبهة الا بسؤال مار . اما بعد ذلك
 فاني لأضل في هذه الطريق أبدا . فالصمة من الضلال انما تأتي في الحقيقة من عمل العقل
 وحده مع الاستعانة بما أرشد اليه المرشدون الراشدون

﴿ الفاية من علم التوحيد ﴾

ومن العلم ما يكون العلم والعمل به واحدا كعلم الكلام فان المقصد منه انما هو تفصيل
 اليقين بمسائله كنبوت لوجود الله تعالى وصفاته الكمالية التي ورد النص بانها لله ودفع شبه
 الملحدين الذين ينكرون ثبوت شيء منها وثبوت بنية الرسل صلوات الله عليهم أجمعين .
 فهذا العلم ان جريته في تعامله على التقليد في الدليل كالتقليد في النتيجة واكتفينا بفهم ما
 جاء من الادلة على السنة من كتبوا فيها أعرضنا عن الفاية من وضعه لان اليقين
 لا يحصل بقراءة الادلة وخزنها في الازهان وانما يحصل بالاستدلال الصحيح وإدراك
 العقل وجه الدلالة من نفسه بدون تقليد وانما يمد النظر في دليل المستدل السابق معنا
 ومهيئا للعقل الى تصحيح النظر . فالطريقة التي يجري عليها اغلب المعاصرين ليست من
 غرض علم الكلام في شيء . ومن الناس من اذا سأله في أمر يتناقض بعقيدة من العقائد
 فجاك بقله : لا قل ذلك فكفرا وتمزل : أو ما أشبه ذلك وهو سلاح يتخذه المرتابون
 في عقائدهم ترسا يدفعون به ما يجشون من الشبه التي تزلزل عقائدهم ولكن هذا الدفاع
 يدل على ارياب صاحبه في عقيدته قبل الدفاع فان صاحب اليقين يرتاح الى كل ما يسمع فان
 وجد عند مخاطبه شبهة أمكنه ان يزيلها من نفسه . وتلك الطريقة من طرق الدفاع عن
 العقائد هي التي اغلقت دون المسلمين أبواب السلم فانه كلما لاح نور إلهي في يقين
 الطالب يهديه الى طلب الحق وحده من هذه الكلمات كالأعتزال والفلسفة ما يخدم ذلك

الثور فيه . ومن سوء الاستعمال في تعليم هذا العلم ان يعلم الطالب متن النسوية مثلا وهو لم يحصل شيئا من مادي العلوم . فيقال : ان الحكم العقلي ينقسم الى ثلاثة اقسام الواجب والمستحيل والجزأ ثم قرأ له هذه الاقسام بالتعاريف الاصطلاحية وهو على جهل تام بما يمد به لفهم معنى الحكم فضلا عن أقسامه فيضطر الطالب الى حفظ هذه الالفاظ بدون ان يحصل من معادها الاعلى خيالات لا تنطبق على حقيقة

وقد قال المتقدمون انه لا ينبغي ان ينظر في علوم الكلام الا بعد تحصيل مقدماتها والاستعداد لفهم طرق الاستدلال حتى لا يضل الطالب بالنظر فيها وهو على جهل من وسائل فهمها فاللازم الاخذ بأحد أمرين إما ان يستدل الناس بالاكو ان على مكوناتها وبالأثار على المؤثر فيها ليتأوا بذلك اليقين فيها يستقدون كل على حسب استعدادهم . فالعامي مثلا يستدل بما بين يديه من نبات وحيوان على حسب ما يظهر له في نظامها والسيد علي رضا يكتب كتاباً في التشريح يقول في آخره انه عرف بذلك وجود الله وانه المنفرد بالتصرف في هذا الكون . وإما أن يعلم علم الكلام على طريقة تكفل الانتفاع به في الوصول الى اليقين الذي لا يقبل التزلزل والايان الذي يملأ القلب خشية من الله ورجاء به وخضوعاً له . وأما طلب هذا العلم بمجرد قراءة كتبه ومعرفة مادلت عليه عبارتها فقط فهو في الحقيقة مما يصد عن اليقين ويمدعنه خصوصاً اذا خاف المناظر من ان يقال انه فيلسوف أو معتزلي أو ما أشبه ذلك فانه لا يقين مع التخرج من النظر وانما يكون اليقين باطلاق النظر في الاكو ان طولها وعرضها حتى يصل الى الغاية التي يطلبها بدون تهيد كما هدانا الله الى ذلك في كتابه فانه يخاطب الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولاحد ووقوفنا عند حد فهم المارة مضر بنا في العلم ومناف لما كتبه أسلافنا وما ركودنا من حيواتهم المعقولات في الكتب الفقيسة المستودعة بخزائننا التي أصبحت اليوم أكمة للسوس وفرشاً للآلوية لا نعدأ يديناليا لنستلب منها أو لنزعج السوس عن أكلها واتلافها . أنفس ما فيها فسر من بين أيدينا وروحت به خزائني أم أخرى أصبحت الآن تمت بأمر النور ولو طلبنا هاهنا نجدها . وربما اعتذر الطالب عن قبول النصيحة بأنه لا مناص له عن صرف الزمان في قراءة المطول نحوه مناز لأن غيره (ككتاب الصنائع) ليس مقرره القانون أو لاني الاستاذ لا يريد به لانه يفي

ان يكون عالماً مشهوراً ولن يكون كذلك في نظر العامة الا اذا قرأ المثلث بحواشيه في المدة المألوفة وفي أطول منها ولكن هذا لا يصح عذراً ولست أريد بنفي العذر ان أحمل الطالب على عصيان أستاذه أو حرمانه مما يطلب من الشهرة بين قومه بل أريد أن أنبه الى سلوك طريق وسط وهو ان يجمع بين الحضور في درس الاستاذ وتحصيل حقيقة العلم فيطالع درس الاستاذ ويضم الى ذلك مطالعة شيء من الكلام البليغ وتحرير ما ينسج على منواله في تحصيل الملكة المطلوبة

وله عرض لي ما عرض للطلبة اليوم وكنت أتمنى ان أبلغ من الشهرة ما بلغ غيري فحضرت درس تلك الكتب مع اشتغالي باستكمال ما أردت من العلم . على ان طلب الشهرة في العلم انما هو عند شعور النفس بشيء من الضرر . فاذا أدركت حقيقة العلم نسيت شهرة الشهرة وأدركت انها بمنزلة من الجهل تقضي عليها بتحصيل العلم للعلم والعمل به في سائر الاوقات وعلى أي الحالات

للتألم أو الاستاذ ان يستعين من هذه البدع التي رآها جديدة ويقول انها بدع مخالفة لسنة السلف الصالح التي لا تريد ان تغيرها لانها لو لم تكن مفيدة لساكنها أسلافنا لما اتبعوها وعليه يكون مني كمثل ذلك المتني على مسمع جماعة من الاعاجم بكلام مخجون ليلي الى طلوع الفجر فقيل له : يا عم عليك غش الناعن الى ومخجون : فقال ان الغش كان في ذلك : قالوا وماذا لم تعلمنا من قبل حتى تفرح : ذلك ان الحرف الذي نشرها هي طريقة أسلافنا الاقدمين فالمرء اليها احياء استعملهم وعمل بانهم فاما كان أسلافنا جارين في تعليمهم على تلك الطريقة القويعة كان نور العلم يضي لهم سبلهم الى سماتهم في ما شئهم وما دهم وكانت الأم التي تعد نفسها اليوم حاملة ومدايح العلم تستضي بنورهم

يقول القائلون : ان صاحب تعبير العرق اعتناء بالجديد وولوج بالبدع أو نزوع لها وليس الامر كذلك فان الجديد والبدعة هو ما رآهم عليه وقد ظهر أثره وعم ضرره فالقديم الحقيقي هو ما ندعم اليه ولا يحتاج الى التحويل عليه

هو التوكل

بقيت مسألة نهينا عنها في أول الامر وهي ان الواحد منا اذا لاح في ذهنه نور إلهي يرشده الى طريق السيرة ما من ينقول له : ان الحالة الحاضرة هي ما قدر الله لحياتك فيها فالمرء

متوكل على الله مسير بحسب القدرة فعملنا بتسليم أمورنا إليه تعالى والتوكل عليه: وبذلك ينطفيء النور الذي لاح بذمه وصدان كان خطر بباله داعي العمل، ينزع إلى البطالة والكسل، والعجب أنهم يظنون هذه الوسوس من العقائد الدينية ولكن الذين تبرا منها ومالدين عدو أضرم من أمثال هذه الاعتقادات

رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أماننا وقد وتنا لما بحث في دياجير الجهل وتحكم سلطان الشرور وقبايع العادات في الأمم التي أرسل اليها لم يقل أن ذلك ما أراد الله ولم يسلم امرءا لقد ترك العمل وكذلك الصحابة رضي الله عنهم أضايهم من الآلام في السبي مأسايهم مع انهم أشد الناس توكلا على الله وأكملهم تحسكا بالقدرة في طريق الحق فإذا كانوا قد قوتوا كما هو الحق فلماذا لا يقتدي بسيرتهم وتبذ وسوس الباطل، وهذين السمي والمفتلين، والله تعالى قد قدمنا إلى طريق الحق والتواصي بالحق والصبر وحملنا على ذلك «ان الانسان لاني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» فالذين فقدوا التواصي بالحق والصبر هم بلا شك خاسرون

الاحتجاج على ترك العمل بالقدرة من عقائد الملاحدين. وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والتي عليهم فيه. وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو «لوشاء الله ما أشر كنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي أنه مؤمن بالقرآن ان يحتاج بما كان يحتاج به للنشر كون. من زعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق لانه انما يدعي التوكل اذا طواب بأمر فيه مشقة عليه او يجدي في نفسه عجز اعنه لاسيما اذا كان في مصاحبة عامة فهو يرضى بما يجيد. فاذا رجع أولئك المبتلون إلى مناقبهم الخاصة لمحمد للتوكل في نفوسهم اترا فهم يشنون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يمشون، او ما به على الناس يظهر. وحينئذ لا يرجعون إلى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم. وكفانا قدوة وخيرا سورة سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم فانه كان على شدة توكله واعتماده بالاستعانة بالله جل شأنه لا يفر عن العمل في الدعوة إلى الحق وحمل الناس عليه.

يحتاج بعض الناس على كسلهم بقوله صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصا وتروح بغلانا» (١) ويفسرون ذلك باننا لو ألقينا ألقائنا على

الله وتركنا أسباب عيشنا في كسبنا وما كُنا وما بخنا وصرقنا الرزق كما رزق الطير ولكن هذا الفهم خطأ بعيد عن المعنى المراد ولو لا ذلك لقال صلى الله عليه وسلم لِرزقكم كما رزق الطير ثلث في أعشاشها وتفتح أفواهها فتصبح خفاصا وتسمى بطانا. يظنون أن هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل مع أنه جاء للحث على العمل والكلام في معنى حق التوكل ظنوه ترك السعي بالمرءة وهو خطأ محض فالمرء من حق التوكل أن يعتمد الإنسان على الله سبحانه وتعالى مع اتباع سنته التي سنّها في الطالب فيحصل الطالب من أسباب مطلوبه ما جعله الله سبيبا ويدقق النظر في ذلك ما شاء حسب ما طالع الله تعالى به . ثم بعد أن يستعمل الأسباب يناجي ربه بسره : أن قد أتيت بما في استطاعتي على مقدار ما وهبتي وما بقي مما لأعلم ولا أمك فهوفى بك فآغثنى بقدرتك ولا تحرمني معونتك : ثم يمضي في عمله . هذا هو حق التوكل . وقد أشار إليه صلى الله عليه وسلم في قوله . تعدوا خصاوت روح بطانا . فإنه أراد بذلك أن الطير إنما تسير في تحصيل معاشها على الألهام الذي أودعه الله فيها . اللهم ما معرفة الأماكن التي فيها أقواها كما ألهمها الغدو إلى تلك الأماكن لتصيب أقواها منها فهي تعمل بارادتها على ذلك الشعور الذي منحه الله إياها . فحق التوكل لا يتم لنا إلا بأن نجري في أعمالنا على ما يقوم عندنا مقام الألهام عند الطير . والذي يقوم عندنا مقام الألهام هو العقل . فلا نكون متوكلين حق التوكل حتى نستعمل قوسنا في الوسائل التي توصلنا إلى بلوغ الغاية . من أعمالنا وأن نجيد الاستعمال حتى لا يقع لنا ضلال في طرق الوصول إلى المقصود . فلا اعتماد على الله بهذه الطريقة كإفحام الأعمال

(الخاتمة) وهذه الوسائل يسهل علينا التوفيق بين السعي والتوكل لاسيما في تحصيل العلوم وهي كثيرة وأولها بالتقدم فيما أعتقد علوم أساننا العربي فإن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا . وجعل المسلمين بلسانهم هو الذي صدرهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم في اللغة العربية النصحي من ذخائر العلم وكنوز الأدب مما لا يمكن الوصول إليه إلا بتحصيل مذكرة اللسان ولا يحصل هذه المذكرة إلا بالعناية بتحصيل علومه على الوجه الذي سبق بيانه من الجمع بين معرفة القواعد من أسهل طرقها بدون التفات إلى عبارات المعبرين وبين العمل بالقول والقلم حتى يملك الطالب من اللسان ما كان يملكه العربي بسليقته وبدون ذلك لا تصل إلى فهم أسرار شريعتنا بل تسد في وجوهنا طرق الوصول إلى الحقيقة منها

فعل كل من له غيرة على ملته أن يبذل ما في وسعه لتسهيل طرق تعلم اللغة وتحصيل المذكرة فيها

قولا وكتابة حتى يتكلم بها غالب أهله أو يكتبوها بالطريقة الصحيحة لاز في الخطاطات
 الخطاطاتنا ولدينا وعقائدنا وأخلاقنا وخطاطات ذلك مفسد لجميع أمورنا
 أقول قولي هذا ولا أريد به إلزام سامعه بقبوله والاختلاف ما أدعو اليه من استقلال الفكر
 وحرية الرأي . على أنني لا أظن أن في السامعين من ياتزم بالوطلبت إلزامه . ولكنه رأي
 اعرضه على مسامعهم فإن وجد السامع سوابقاً خذبه والافانه لم يخش شيئاً سوى احتمال الشبهة
 الحرف في هذا المجلس وهو قدر مشترك بيني وبينه والله يوفقنا إلى اصلاح أحوالنا في ما نشاء
 ومما دعا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

أنا على الله

(دلائل الإعجاز)

(اللغة وقوانين المنطق والنظم) : اللغة ملكة لسانية ، والملايكات إنما تكون بمنزلة العمل .
 فمن زاول كلام قوم زمناً طويلاً تصير لغتهم ملكة له يتفق بها غير تكلف . والملايكات
 تتفاوت في أفراد من تكون لهم فهم من يكون أملك بالشيء خفي وأملأ به يد أو يكون
 العمل به كما تختفي الرغبات الدلولة ، ومنهم من لا يملك إلا الكلام الخادم البليد ،
 يريد على شيء فيذهب في غير ما يريد ، وتسمى ملكة اللغة في الأول فصاحة وبلاغة ،
 وفي الثاني عيا وفهامة ،

ثم إن كل شيء يتفق فيه كثيرون كاللغة لا بد أن يكون منضبطاً في نفسه بحرف
 معروفة لهم بالسلفية المكتسبة بالمنزلة إذ لو ذهب كل واحد مذهباً في القول لا يتفق
 مع مذاهب الآخرين لما تيسر التفاهم بالخضاب ، وما كان كذلك سهل أن تضع
 له قواعد وقوانين تعرف بها تلك الطرق السالكية بوجه كي يبين على فهم الجزئيات
 ومعرفة ما عساه يطرأ على ذلك الشيء مما ليس منه في خصائصه التي امتاز بها . ولكن
 ما ينضبط به الشيء في نفسه لا يشمل في العادة العامة جميع جزئيات ذلك الشيء إلا إذا
 تواضع قوم معصرون على وضع قوانين كلية وأخذ الجزئيات منها بالاتفاق بينهم ولم
 يكن وضع اللغة كذلك . ولهذا كانت القوانين التي وضعوها لغوية شاملة لا كذا الكلام

العربي في أوزان مقرراته وضوابط نظمه غير محيطة بذلك تمام الاحاطة
 بدأ واضعوا هذه القوانين بوضع الضوابط العامة التي يشترك فيها جميع أهل اللغة
 وهي قواعد ابناء الالفاظ المفردة وقواعد التركيب التي يتأدى بها المعنى المقصود من
 التكلم وسموا ذلك علم النحو ثم قسموا هذا العلم الى قسمين - هما الآخر منهما الصرف -
 نافحت العرب الممالك الاعجمية ودخل أهلها في دينهم وحكمهم استعرب العجمي
 واستعجم العربي وصار هؤلاء الاعاجم المستعربون والعرب المستعجمون يتعلمون اللغة
 العربية بمجموعة قواعد النحو والصرف وهي - كما قلنا - موضوعة لما يشترك فيه الجماهير
 وغير محيطة بما كان ينفرد به بعض أهل اللغة فضعف الناطقون والكاتبون بالعربية عن
 الترقى في ملكتها الى الدرجة العالية مما به التفاوت وهي مرتبة الفصاحة والبلاغة
 واحتاجوا الى قوانين أخرى ترشدتهم الى المعراج الذي يظهرون عليه الى تلك المرتبة
 فكان أول من عني بوضع هذه القوانين إمام اللغة في القرن الخامس للهجرة الشيخ عبد
 القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - الأول في فن البيان والثاني
 في فن المعاني - وقد كان اسم البيان عاما لكل ما يبحث فيه عن البلاغة ثم اتهم من بعد
 الشيخ عبد القاهر قسموه الى قسمين خصوا أحدهما باسم البيان واصلقوا على الآخر
 اسم « المعاني » اخذ من قول عبد القاهر ان مسأله هي معاني النحو

قوانين النحو فبينما معرفة التركيب الصحيحة في العربية وكيفية ادائها على وجهها
 ولكنها لا تفيد معنى يرجح استعمال أحد التركيبين الذين يفيدان معنى واحدا على
 الآخر نحو « قام زيد » و « وزيد قام » و « عمر والمنطلق » و « المنطلق عمر »
 والذي يعرفنا موضع كل واحدة من هذه الجمل هو علم المعاني المنتزعة قوانينه من
 تتبع أساليب الباءة وملاحظة الاحوال المختلفة التي يتغير التعبير في كلامهم بحسبها
 ولذلك قالوا ان البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال . ولكن هذه الاحوال لا تضبط
 لأنها تختلف باختلاف معارف المخاطبين بموضوع الخطاب وأذواقهم ومقائمه ولذلك
 كان الطريق الموصّل الى تحصيل ملكة البلاغة هو كثرة مزاوله الكلام البليغ
 لتحصيل ذوق البلاغة لان القوانين التي وضعت للمعاني أفضل غناء من القوانين التي
 وضعت للنحو وقد علمت ان قوانين النحو غير محيطة . وكتبا عبد القاهر أبين للقوانين .

وأعوان على ذوق الأساليب ، ونذكر هنا عبارة كتبناها في خاتمة طبع كتاب دلائل الإعجاز الذي تم طبعه في هذا الشهر ينال فيها مكاتنه من كتب هذا الفن وهي :
أما الكتاب فيعرف مكاتنه من يعرف معنى البلاغة وسر تسمية هذا الفن بالمعاني وأما من يحفل هذا السر ويحسب ان البلاغة صناعة لفظية محضة قوامها انتقاء اللفاظ الرقيقة ، أو الكلمات الضخمة القرينة ، فنل هذا يعالج بهذا الكتاب فان اهتدى به الى كون البلاغة ملكة روحية ، وأريحية نفسية ، رجي ان يبرأ من علته . ويقف على مكانة الكتاب ورتبته ، وان بقي على ضلاله القديم ، وجهله المقيم ، فاحكم باعضال دائه ، وتقدر شفائه .

انما وضع الكلام لاقادة المعاني والبلاغة فيه هي ان تبلغ به ما يريد من نفس المخاطب من اقناع وترغيب وترهيب وتشويق وتنجيب أو ادخال سرور أو حزن وغير ذلك . وكل هذه المقاصد أمور روحانية يتوصل اليها بالكلام . فمعرفة قوانين التحجور والمعاني واليان شرط فيها ، ولكنها غير كافية للوصول اليها ، بل لابد من الهداية الى أسباب كون الكلام مؤثرا وايراد الشواهد والأمثلة الكثيرة في المعنى الواحد والموازنة بين الكلامين يتفان في المعنى ويختلفان في التأثير كقول المبرر الاول لذلك الملك الذي رأى في نومه انه فقد جميع أسنانه : ان جميع أهلك وذوي قرباك يهاكون : وقوله للمبرر الثاني له : الملك يكون أطول أهل عمار : وهذا المذهب هو الذي ذهب اليه الامام عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) وقد خلف من بعده خلف جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة فقالوا : المستند يعرف لكذا وكذا ويتركركذا وكذا : الخ ولم يبينوا السر في ذلك ولم يوازنوا بين مسند منكر عرقه البلاغة وآخر أنكرته وهو مثله وبينوا السبب في ذلك ولم يبنوا بإيراد الشواهد والأمثلة والبحث في الفروق . وقد احتار أهل هذه الازمنة الاخيرة هذه الكتب المجعدة القاحلة . على مثل كتب عبد القاهر الحنابلة الخفاة . لكثرة الحدود والرسوم والقواعد والمشاغبات في كتب المتأخرين فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والنصاح حتى ان أعلمهم بهذه الكتب وأكثرهم اشتغالا بها هو أعيامهم وأعجزهم عن الآتيان بالكلام ابليغ (بل والصحيح) قولا وكتابة . ولا نغر وقد قال أحد كبار مؤلفي هذه الكتب المشهورة ان بعض فحول هذا

الفن (البلاغة) ليسوا بلباء فصل بين البلاغة وعلومها وجملة غير مؤد إليها فيبقى الا انه ابتدع
ليتمد به. ولو لا ان قض الله تعالى للمرية في هذا العصر ابداع البلاغة وافصح الفصحاء
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فطفاً في يحيى كتب السلف النافعة وعلومها لكننا في
يأس من حياة هذه اللغة الشريفة بعد ما قضى عليها حفظها وأساتها. فسأل الله تعالى ان
يمد في أيامه . ويكثر من انصاره وأعوانه . آمين اهـ

وقد صدر الكتاب بورق جيد ومن النسخة منه ٢٠ قر شاححاً و اجرة البريد قر شان
وهو يطلب من ادارة مجلة النوار بمصر

﴿ كتاب نهج البلاغة ﴾

قد طبع هذا الكتاب الجليل، المستفي، مشهورة عن التمرين، طبعة جديدة مضبوطة بالشكل
على نفقة الشيخ محمد سعيد الرافي الكتبي وهي الطبعة الثالثة باذن شارحه الاستاذ الامام وقد
طبع في سوريا طبعة أخرى بغير حق. وتعدد الطبع أية على معرفة انما سب قدر الكتاب . ولا
تري وسيلة التمرين غير المعارف به الا تزين المنار بخطبة الشارح حفظه الله تعالى قائماً في أسلوها
ومناها مصورة مصغرة للكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله سبحانه ، والصلاة على النبي وفاء الذمم ، واستمطار الرحمة على آله الاولياء ،
وأصحابه الاصفياء ، عرفان الجليل ، وتذكرا الدليل ، وبعد فقد أوفى لي حكم القدر
بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادقة بلا تعمل أصبه على تغير حاله ، وتبليط باله ،
وتزاحم أشغال ، وغطلة من أعمال ، تخفيه تسليمة ، وحيلة للتخيلة ، قد صفت بعض صفحاته ،
وانما جلا من عباراته ، من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات ، فكان يحيل لي في كل
مقام ان حروبا شبت ، وغارات شنت ، وان البلاغة دولة ، وللصاحبة صولة ، وان الاوهام
عرامة (١) وللرب دعارة . وان حجاب الخاطبة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ،
وصفوف الانتظام ، تنافع (٢) بالصفحة الاباح ، والقويم الاماج ، وتحتاج المبهج ، برواضع

(١) الرمة الشراسة . والدعارة سوء الخلق . والحجافل الجيوش والكتائب الفرق منها
والذرابة حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخيل حرب بين البلاغة وما نجات الشكوك والاوهام .
(٢) تنافع تضارب أشد المضاربة والصفحة السيوف والاباح الامام والياض والقويم الرع والاماج الاسمر
وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبدعة للوهم وازخني مدركاها وتحتاج أي تخمس والمهج
دعاء القلوب والمراد لا تنبي الاوهام شيئا من مادة القناء

الحجج ، ففعل (٣) من دعارة الوساوس ، وتصيب مقاتل الخواص ، فإنا الأوائل
متنصر ، والباطل منكسر ، ومرج (٤) الشك في خوده ، وهرج الريب في ركوده ، وإن مدير
تلك الدزلة ، وبطل تلك الصولة . هو حامل لواء الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
بل كنت كلما انتقلت من موضع منه إلى موضع آخر تنغير انشاده ، وتحول المعاهد ،
فأنت أجدني في عالم يسمره من الماني أرواح عالية ، في حلق من العبارات الزاهية ،
تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية . توحي إليها رشادها ، وتقوّم منها
مرادها . وتنقر بها عن مداحض المزال ، إلى جواد الفضل والكمال ،
وطور أكانت تتكشف لي الجبل عن وجوه باسرة ، وأنياب كالشرة ، وأرواح في
أشباح النور ، ومخالب النور . قد تحفزت الوئابل ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت
القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء ،
وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا . لا يشبه خلفا جسدانيا ، فصل عن الموكب
الاهلي ، وأصل بانروح الانساني ، تخلقه عن غشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت
الاعلى . ولما به إلى مشهد النور الاجلي ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد
استخارته من شوائب التلبس ،

وأنك كافي أسمع خطيب الحكمة . ينادي بأعليه الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ،
يعرفهم مواقع الصواب . ويصبرهم مواضع الارتباب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ،
ويرشدهم إلى دقائق السياسة . ويهديهم طرق الكياسة . ويرفعهم إلى منصات الرئاسة ،
ويعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن التدبير .

ذات الكتاب الجليل هو حجة ما حاربه السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقة وسماه بهذا الاسم (سراج
البلاغة) ، ولا أعني أن يبق بالمدالة على معناه من هذا الاسم . وليس في وسمي أن
أصعب هذا الكتاب ما يزيد ما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيتة فوق
ما لي به صاحب الاستيوار كما ستراه في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائر الجبل . وقواضي
المدمة . تفرض علينا سرفان الجليل لصاحبه . وشكر المحسن على إحسانه .

الى التنيه على ما أودع نهج البلاغة من فنون الفصاحة، وما خص به من وجوه البلاغة، خصوصاً : هو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام الاصابه، ولم يدع للسكر ممراً الاجابه ، الا ان عبارات الكتاب لبعد عهدنا منا، واقطاع أهل جيلنا عن أصل اساتنا، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تمقيد، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات، او مضمونات بعض الجمل، وليس ذلك ضمناً في اللفظ أو وهنا في المعنى ، وانما هو قصور في ذهن انتناول

ومن ثم همت بي الرغبة ان أحسب المطالعة بالمراجعة، والمشاركة بالمكتشفة، ونعاق على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جملته تفسيراً ، وشئ من اشاراته تميئناً، وفاقاً عند حد الحاجة مما قصدت، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الاخبار ، ولم أترض لتمديد ما روي عن الامام في مسألة الامامة أو تجربته بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات الى اصول المنهاج المملومة فيها ، والاخبار الماثورة الشاهدة عليها . غير أنني لم أتجاش عن تفسير العبارة، وتوضيح الاشارة ، لا أريد في وجهي هذا الاحتفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ، تصونا من النسيان ، وتحريزا من الحيدان ، ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام وحسبي هذه العناية فيما أريد لتفسي ولمن يطالع عليه من أهل اللسان العربي

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب ، واطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار ، وكل يقصد تأييد مذهب ، وتفضيد مشرب ، غير انه لم يتيسر لي ولا واحداً من شروحهم الاشدراوات وحديثها منقولة عنهم في بطون الكتب . فان واقعت احدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق وان كنت خلفهم قالى صواب فيما أظن . على اني لا أعد تسليمي هذا شرحاً في عداد الشروح . ولا أذكره كتاباً بين الكتب . وانما هو طراز لنهج البلاغة وعلم نُوشى به اطرافه .

وارجو ان يكون فيما وضعت من وحيز البيان، فائدة للشبان من أهل هذا الزمان، فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافسون الى نيل الارب من لسان العرب ، ينتقون لانفسهم سلائق عربية . وملكات لغوية ، وكل يطالب انساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً . فكيف

يتوخون وسائل ما يطالبون في مطالعة المقامات، وكتب الرسائل . مما كتبه المولدون، او قلدهم فيه المتأخرون ، ولم يراعوا في تحريره الارقة انكلمات ، وتوافق الجناسات، وانسجام السجعات، وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية، التي وسموها بالفنون البديعية، وان كانت العبارات خلواً من المعاني الجليية ، او فاقدة الاساليب الرفيعة ،

على ان هذا النوع من الكلام بهض مافي اللسان العربي وليس كل ما فيه . بل هذا النوع اذا انفرد يمد من أدنى طبقات القول وليس في حله المتوسطة بأواخر ألفاظه ما يرقه الى درجة الوسط . فلوائهم عدلوا الى مدارس ما جاء عن أهل اللسان خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم لآحزوا من بقيتهم ما امتدت اليه أعناقهم ، واستمدت لقبوله أعراقهم ، وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه وأغزره مادة وأرفقه أسلوباً وأجمله لجلالته المعاني فأجدر بالطالين لتفاسد اللغة والطامعين في التدرج لمراقبها إن يحسبوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مآثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لاجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها، ليصيروا بذلك أفضل غاية، وينتهوا الى خير نهاية. وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم، وتحقيق أملي وآمالهم، اهـ
هذا وقد جعلت من انسخة من هذه خطبة المشكولة ١٥ قرشاً وهو يطلب من طالبه

﴿ ثمرات الافكار ﴾

لحمداً قندي حدي النشار السباطي احد كتاب محكمة الاسكندرية الاهلية شعر منسجم هام به في كل واد، وارتقى به كل نجاد ، فاستغاث ونجى ، ومدح ورنى ، وتقرزل ونسب ، ولم ينس باب الوعظ والادب ، فقد امتاز على أكثر شعراء العصر باتقاد ماقتا فيه من المفاسد والمطالب ، وما للمدينة الحاضرة من الفضائح والمعائب ، وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه (ثمرات الافكار) في هذا العام بمطبعة « المنار » وكان طبع الجزء الاول منه منذ عشرة أعوام واتا نورد نموذجاً منه للقراء حتى اذا ما احب احد ان يطلع على باقيه طلب الديوان من صاحبه . قال في بيان حالة أكثر الشبان والكهول في هذه البلاد التي باعها الترف والسرف والفسق للاجانب ثمن بخس بل ثمن مهووم يسوءه كما قال (التمدن الجديد) ؛

في التمدن الجديد

بين الثدائي والمدامه ضاع الحياء والاستقامه
 وعلى النسواني والطبي بسا المروءة والكرامه
 وعلى الجميلة والجميل قد انقضت عهد الشهامه
 وتسربت منها الدرا هم في القبحور ولاندامه
 والدار بساها لند رك وصل هند أو امامه
 ونفائس الميراث قد رهنه على ثمن المدامه
 والدين ان كتب السدا دله فد في يوم القيامه
 (سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه)
 غيري بي استغنى وما أبقيت من مالي قلامه
 فسد الزمان وأهله يارب نسألك السلامه
 هذا تمدن مشر حملوا الفسوق له علامه
 من كل مياس القوا م له على الحدين شامه
 يستر أجنابا كما هزت معاطفها الحشامه
 واذا رأى أهل الفتا رف ظل يهزأ بالامامه
 يأتي الصبح ولم يدع في غير زينته اهتمامه
 ويصل في المرأة هل في الحسن قد وفي نظامه
 ويهمل ينظر خلفه حيناً وآونة أمامه
 وكنما بالغ فوزا رة والامارة والامامه
 حسبي ان جاء النسا والليل قد أرخى ظلامه
 غدير ترقد فعيته بالقمص لم تعرف منامه
 تدولوا ككس الخبيثا حجة من بسد جامه
 فتأ الصبح رعداه وعدا ولم يحسن كلامه
 أنوى الممدن الى روا ت الحسن كي بشقي هيامه
 وأعاد كرهه مكره ال أو وسهاها (انجمه)

فسحرته وسابن ما أبقت يداها بابتسامه
 ودعون مركبة لتجد حله وقان (مع السلامه)
 فأتى الى الدار التي وأتيك ماذا طعمه
 هو يبذل العشرات كي يرضى هواه أو غرامه
 وهي التي تبكي لفا قتها بدمع كالفضامه
 فاستقبلته بمسايله ق من التحية والكرامه
 صفت قفاه وأتبت بالصفع خديه وهامه
 ولربما طرحته خلف ف الباب لآرعي ذمامه
 فاذا استفاق معاتبها وعلى الهوان رأى مقامه
 قالت له اعذرني فمن غرس القبيح حتى التدامه
 يستوجب الاذلال من لم يتبع طرق السلامه

﴿ قلائد الذهب ، في شرح أطواق الذهب ﴾

كتب الشيخ محمود بن عمر الزمخشري الشهير مئة مقالة في الحكم والمواعظ سماها (أطواق الذهب) وقد تسكب في كتابتها طريفته المتلي في الكتابة ونحافها منحي الحريري في مقاماته في التجميع والتجيس . ولا زراية على الزمخشري بهذا النحو من القول فانه كان في عصره فنا من فنون الأدب وصنعة من صناعات القول يتقنها مثله ومثل الحريري من أئمة اللغة . ولم يرد الزمخشري بهذه الحكم المثورة ، ولا الحريري بتلك المقامات الماثورة ، ان يسنا اكتاب العربية سنة جديدة يتبعونها ، ويرغبون عن الكلام المرسل المفو اليها . وانما كان لهما فيما يظهر لي غرضان أحدهما الاحتيال بهذا الوضع الطريف على توجيه النفوس الى ما فيه من الحكم والمسلات ، وثانيهما جمع طائفة من فرائد اللغة في المفردات ، ومحاسن الجمل في المجاز والكنائيات ، تزيد التناظر سمة في العربية ، وقدرة على صوغ الجمل المجازية .

وند شرح أطواق الذهب وفسر مفرداته غير واحد وطبع في هذا العام شرح منها ميرزا يوسف خان ابن اعتصام الملك الأشتياني ، قال فيه انه « أجمع واكفى من الذمروح والتعليق التي علقت على تلك المقالات الى الآن » وقد أضاف الى تفسير

الكلمات ما يضاهي المقالة من رسالة (أطباق الذهب) للشبيخ عبد المؤمن الاصمغاني فانه تلا فيها نلو الزخشمري واحتذاه كما ترى في هذا المثال . قال الزخشمري في (المقالة ٥٨) « مؤمر يشع بالوال ، وممر يلح في سؤال ، اذا التقيا فتدكان تصطلكان ، وجدتان من الهزار تحتكان ، هذا كثر شحيح غير معوان ، له في وجه الصلوك فحيح أفهوان ، وذلك ما ح . لمحف ، محف مجحف ، وهذا يقول هات ، وهو يحبه هيات ، له دق بالوجنتين ، دق القصار بالمحيتين (المبيحة مدقة القصار) إن منع تبشش وأطاق ، وتبشش وتماق ، وإن منع أخذ بالمخانيق ، ورعي بالمجانيق ، » وقال صاحب أطباق الذهب : « من شذائد الدنيا غني عابس ، بقاء قعر بأبس ، يطرقه حفا ، ويسأله حفا ، يستمبح شحيحا لا يفتح الباب لضيفانه ، ولا يكرس حواشي رغفانه ، فيرجع خاسراً . وينقلب باسراً ، حتى اذا لجأ في طريق ، ولفيه في مضيق ، فإخذ بعنانه ، ضمما في احسانه ، والبخل يحمر ويصفر ، وبفرواين المفر . هناك يصدم الاشدان . ويزدحم الضدان ، فهما كهصخر قرعه حديد ، وقيح كدوره الصديد ، ونفس يعلوه زاج ، وحم يشوبه أجاج ، ودخان يتلوه عجاج » اه وفي المقالات ما هو أظهر في السرقة من هذه

أهدى اينا الكتاب المطبوع منذ أشهر ولم تفرغ لتصفح شيء من الشرح ولكننا في البقرة السطحية اتقنا عدم ضبط الكلمات عند تفسيرها وان كانت قد ضبطت مقالات الزخشمري بالشكل الكامل . وقد طبع في (مطبعة الممدن) على ورق جيد وهو يطلب منها

﴿ الطرائف ﴾

جريدة أسبوعية جديدة انشأها في القاهرة رشيد أفندي المصوبع الشاعر السوري الذي سبق لنا تقريره ديوانه وقد عرفنا هذا الشاب مغرما بالادبيات هاتفي أودية الشعر فلا شك في ان سيكون جريدته الخط الوافر من المباحث الادبية التي هي أنفع من حوص أكثر الخرد في هذر السياسة التي لا تكاد نجد في القنطار منها درهما من الفائدة . وقد افتتح كتاب جريدته بمقدمة قال فيها : « أقدمت على انشاء هذه الجريدة وأنا عالم كل العلم بما صارت اليه بضاعة الأدب من الكساد ، وما زاد من الجرائد على حاجة البلاد ، » وهذه الدعوى قديمة وكما قلها الذين من قبله في عصور كانت خيرا

من الصور التي قبلها كان هذا المصير خير مما قبله فرواج الادب وانتشار الجرائد والاقبال عليها وان كان دون ما ينبغي وطلب . أما قيمة الاشتراك في الطرائف فهاون قرنا في القطر المصري وجنيه انكليزي في سائر الاقطار . فتسنى لرصيفنا الجديد التجاع ولجريدة حسن الانتشار .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الاسلام والمسلمون ﴾

نشر في جريدة (ناسيونال زنتونج) الألمانية مقالة في الاستفاد على الاسلام والمسلمين دلت على جهل من كاتبها بالأديان والتاريخ أو تجاهل حمل عليه التصب الشديد وقد عريت جريدة مصرية هذه المقالة ووردت عليها رد لم ينفذ جميع المسائل والهمم الباطلة التي اقتضجها الألماني فرأينا ان نخلص هذه المسائل وقندها واحدة واحدة لأنها يصح انتشارها باللغة العربية . واننا نشكر لهذه الجريدة تمريها على حذف شبهات كاتبها والرد عليها على ما فيه من التقصير ، لانها قامت بما في وسعها ، وعملت بنصيحة هكنا نصحنا لها بها في أول ظهورها وهاك ملخص مطاوعن الألماني مع الرد السيد :

(١) اقتنع الألماني كلامه بذكر الثورة المكشونة واهتمام أوروبا بها واعترف بأن الثورة الصانية رغبة في إخمادها وتحسين حال المسيحيين بحسن نية . واعترف بأن الثوار المسيحيين هم الذين يحملون دون الإصلاح . وهذا الاعتراف اثبات لسوء قصدهم ولبعد المسيحي عن الخنوع لحاكمه والامتراج بشيره وبأن حكمه التركة الاسلامية التي تصفها أوروبا بالجور والظلم والتي هي في الواقع وقس الامر دون حكومة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم لا سيما في هذا المصير محب رعاياها الذين من غير دينها وترغب في اصلاح حالهم وهذا يتضمن ان تأثير الاسلام في أهله أحسن تأثير فما كان ينبغي لصاحب الجريدة المصرية ان يعجب من ألماني يكتب هذه الكتابة ويبي عجيبة على ما لشهر من صداقة عامل ألمانيا لسلطان تركيا فان هذا الكلام لا ينافي الصداقة . ولا يطالب الكاتب بأن لا يكتب إلا ما يوافي هوى أميره وسلطانه

(٢) وصلى الالماني اعترافه انذكور بقوله: ان المكدونيين والبلغاريين يحولون دون اجراء أي إصلاح كما ان الاسلام ظهر في كل زمان بمظهر المعادي للمدينة المسيحية الأوروبية. ويتفق كذلك على الدوام: ونقول ان الاسلام ظهر في زمان كانت المسيحية فيه قد دمرت مدينة النصرين واليونانيين فشيء الاسلام ماهدمته المسيحية وأحيا المدينة بمد موتها كما شرحتنا ذلك في مقالات سابقة وبعد أن أدخل المدينة في أوروبا عن طريق الأندلس كافأته على فضله بجاراتها إياه واجتادها في إبادته. ان الاسلام قوم همجية المسيحيين في القرون المتوسطة التي يسمونها القرون المظلمة ولكنه أوغل فيها برفق فانه دخل بلاد الأندلس وقد غرق شملها بالظلم واستعباد الأحرار فجعلها بالمد والمدل جنات نخري من ثمنها الأنهار. ونا قومي ساعد أهلها بماضهم الاسلام من الحرية لم يرضوا من مكافأة المسلمين إلا ببادتهم من تلك البلاد. فأين المدينة المسيحية التي قامت هناك مقام مدينة الاسلام؟ أليست حال تلك البلاد الى اليوم شرا عما كانت عليه مع ان الرقي طبيعي في الانسان؟

(٣) زعم الالماني ان دين محمد لا يقصد ادخال الناس في عقيدته كدين بوذا وموسى وعيسى ولكنه بحارل إخضاع الشعوب وابادتها. وهذا غلو منه في الجهل أو التجاهل ان الذي هو افصح من الجهل فان البوذيين لا يدعون الى دينهم ولا يحاولون تصميمه وكذلك اليهود دينهم خاص بشعب إسرائيل لا يتعداه لذلك لم ينمعه هذه الامة القديمة. وأما النصراني فان نبيهم عيسى لم يكن الا مصلحاً في الحياة الموسوية وقد أكد ذلك بصفة الحصر إذ قال « لم أرسل الا الى خراف إسرائيل الضالة » واما ما نقلوه عنه من انه قال ثلاثته « اكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها » فيجب تخصيص الخليقة فيه بشعب إسرائيل ليتفق القولان. فلم يبق دين يدل نصوص كتابه على كونه عاما للناس كلهم الا دين محمد عليه الصلاة والسلام فان كتابه يقول « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقد بعث وحده فقام دينه بالدعوة وانتشر بالدعوة ولم يكن ما كان من الجهاد في آخر عهده الحماية الدعوة من المعتدين. طالب الناس بالدخول في دينه ليصلح فسادهم. والشعوب التي خضعت لاهحاب هذا الدين لم ترأف من حكمه، ولا أعدل من أحكامه، كما اعترف بهذا بعض علماء أوروبا. وانه ليو جدي في بلاد الاسلام

من المال والنحل ما لا يوجد في بلاد اخرى وكنهم حافظون لعقائدهم وتقاليدهم ومعادبهم ومعاهدهم . ولم توجد في الارض أمة عمت ولا تزال تعمل لآبادة من يخالفها الا الذين قالوا انا نصارى من أهل أوربا فقد أبادوا الوثنيين من أوربا كلها ثم أبادوا المسلمين واليهود من غربي أوربا وهم الآن يحاولون أبادتهم من شرقيها ولذلك لا يقبلون من الترك إصلاحا مهما حسنت النية فيه لان الترك مسلمون نجس في رأيهم إبادتهم من أرض سبقهم اليها المسيحيون فهم بتماهدون على ما يذهبهم من الضغائن والأحقاد على نزع سلطة المسلمين من بلاد أوربا كما اعتدوا عليهم في آسية وأفريقية بل كان كل أهل مذهب من مذاهب النصرانية يسمى في إبادة أهل المذهب الآخر وهذا لم يعرف في غير نصارى تلك البلاد

(٤) قال الألماني : ان الاسلام سلاح بيد أمة حرة لفتح بلاد العالم : وتقول نعم ان الاسلام أقوى سلاح للفتح وهل يعد هذا الألماني وقومه القوة الحربية ضعة ورذيلة؟ آنى وتلك شهادة على أمته بأنها في الدرك الأسفل من المهانة والفسدة لانها في الدرج الأعلى من القوة الحربية . نعم ان بين قوة الاسلام وفتوحاته وقوة الألمان في فتوحاتهم فصلا واسما وهو ان الاسلام كان يقصد بالفتح هداية الأمم الى الحق الذي تسعده في الدنيا والآخرة وذلك بأن يربها عدله في الأحكام وفنل متبعيه في الأخلاق وقوة يقينهم في الايمان فيرغب فيه عقلاؤها ويدخلون فيه بالافئاع والاذعان . لا كما دخل وثنيو أوربا في النصرانية بالسيوف والثيران . وأما قصد ألمانيا وسائر أمم أوربا من الفتح فهو التمتع الحيواني بخيرات البلاد التي يفتحونها وتسخير أهلها في خدمة شهواتهم وجمع المال لهم ولم توجد بلاد في آسية ولا أفريقية فتحها الأوروبيون ثم كانت في ظل سلطتهم متمعة بالعدل والحرية في الدين والدنيا كما كانت في عهد فاتحي العرب الأولين . فهذه انكلا ترا أقرب أوربا الى العدل والحرية بفضل الصعوك من الانكليز في الهند على الأمير المسلم أو الوثني الهندي وقد ساوى عمر بن الخطاب بين صملوك قبلي وبين ابن عمرو بن العاصي فاتح مصر وحاكمها في عهد موأقادمته . . . نعم ان الاسلام قد تحولت سلطته الديمقراطية المعتدلة المقيدة بالشورى ورأي أهمل الرأي من الأمة الى حالة فردية مطلقة بما سار لأمرائه من العصبية التي مكنتهم من جعل السلطنة وراثية في

عظيم فاندسوا فيه وجعلوا الفتح من متهمة شهواتهم ولكن هذا عرض عرض للمسلمين لا الاسلام وقد انتقم الله تعالى منهم بتسليط أوربا عليهم تسوهم سوء العذاب ومق بلغ الانتقام حده يرجع المسلمون الى أصول دينهم ويقيمون لانفسهم سلطة إسلامية صحيحة تتكون بها المدنية الفاضلة الصحيحة التي يسعد بها العالم الانساني . ولا يخفى على من استيقظ من المسلمين ان أوربا تجتهد في محو السلطة المنسوبة للاسلام من الأرض وانما تنوهم أن هذا المحو لا يقبه اثبات ولكنهم يعتقدون ان هذا المحو هو الذي يكون سبب الاثبات فان السلطة الحقة المنتظرة لاتكون الا اذا استيقظ أكثر المسلمين من هذا النوم المستغرق ولا يقاطهم هذا صوتان أحدهما صوت العلم وهذا لا يتعد الا بالتدريج الطويل وثانيهما صوت انقضاء آخر ركن من أركان سلطتهم المدعثة وما هو الا صيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون . فالتعلم أوربا ان محافظتها على السلطة الثمينة وإبقائها واهنة هو الذي يسهل لها التمتع بخيرات بلاد المسلمين دون سواء لان حكام المسلمين عودوا المسلمين منذ قرون طويلة على الاعتماد عليهم وإلقاء المقاليد لهم فذا رجعوا بعد اليأس من حكومتهم أو زوالهم الى قوة الاسلام نفسه فان بأس ثلاثئة مليون من الاسود الباسلة يعتمدون على الله وعلى ما وهبهم من القوة على دفع الضيم لا يكون أثره في الأرض قليلا

(٥) قال الالماني بعد ما ذكر من قوة الاسلام ما ذكر : ان القوة التي ساد بها في آسية وافريقية ستكون مصدر مصائبه فانه ينقصه ما في الديانات الاخرى من قبول الاسود والقواعد (وفي الاصل المبادئ) التي عند غير أهلها وعدم الاعتداء على الامم التي لاتدين به : ونقول ان القوة التي ساد بها الاسلام أيام كان إسلاما هي قوة الحق والعدل وما جاءته المصائب وأحاطت به التوائب الا بعد ان حوت سلطته التي تقيم هذين الركنين الى سلطة استبدادية تعبت بها كما قلنا انما فالتقوة القائمة قد زالت من زمن طويل والسلطة السائدة الى هذا العصر انما بقيت سيادتها بقاعدة الاستمرار فها لم يكن لها مقاوم يزيل استبدادها اللهم الا ما كان من المبادلة بين المستبدين في بعض الاحيان . ونحن على علم بأن هذا الاستبداد لا يدوم واذا لم يزل المسلمون لاستبداد الملوك والاصرا لهم فهذه أوربا تتربله بالتدريج .

أما زعمه بأن مصدر مصائب الاسلام ستكون من أصابن فيها أحدهما ان المسلمين لا يقبلون اقتباس ما عند الأمم الأخرى وتأنيتها انهم لا يكفون عن الاعتداء عليها فهو زعم باطل مبني على الجهل الفاضح ، أو التعصب الواضح ، ذلك ان الإسلام يرشد المسلمين الى أن يأخذوا الحكمة أتى وجدوها وينهاهم عن الاعتداء على من لم يقد عليهم قال الله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقال عز وجل « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » أي لا تزيدوا على مقابله بمثل اعتدائه . فان أراد بعدم قبول الاسلام أصولاً زائدة عليه الأصول الدينية لا الماشية فهذا صحيح وهو مصدر قوته ولكن المسلمين لم يقصروا في مخالفته في هذا الحكم فأخذوا عن النصارى والوثنيين كثيراً من البدع والتقاليد وصبغوها بصبغة إسلامية وهي التي كانت سبب ضعفهم في دينهم الذي هو أمضى سلاح بأيديهم كما قال وحكمت غيرهم فيهم فالامر على ضد ما زعم .

(٦) قال الألماني: امتاز الاسلام بفتوحات سريعة قاسية تدل على شهامة العرب والترك وتصعب ما خضوعهما للأقدار وكان لهذه الفتوحات تأثير في أوروبا فقد استمر حكم العرب في الجنوب الغربي منها (اسبانيا والأندلس) سبعة قرون وحكم الترك في الجنوب الشرقي ستة قرون ولم يستطع الترك ولا العرب إيجاد رابطة بينهم وبين الأمم التي أخضعوها :
وقول ان التاريخ لم يعرف أرفق وألين من فاتحي المسلمين حتى قال أحد فلاسفة الأفرنج فيهم وفي دينهم: « ان شعوب الأرض لم ترق قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ ولا ديناً بلغ في لينة ولطفه هذا الحد » : (راجع ص ١٠٥ من كتاب الاسلام والنصيرية) . أخطأ في نسبة الفسوة الى المسلمين في فتوحاتهم وأصاب في وصفها بالسرعة ووصفهم بالشهامة والخضوع للأقدار ولكن مع العمل والاختد بالاسباب التي لا يجوز التوكل والاعتماد على القدر عندنا الا بعد استيفائها . ومن البلاء ان هذه المنزلة العظيمة قد ضعفت بعض الضعف في المسلمين بدعة الخيرة التي فشت فيهم وروحها لا بنسور قط الصوف من مدعي الصلاح ومن الذين يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ومع هذا كله لا يزال المسلمون في مجموعهم أشجع الشعوب وأشدها شهامة وسيتدون الى أن التوكل يشترط فيه الاستعداد فإذا استعدوا كما يجب بمودالهم بفضل الله تعالى ما فقد منهم

وأما زعمه : انه لم يستطع العرب ولا الترك إيجاد رابطة بينهم وبين الأمم التي أخضعوها : فهو زعم باطل على إطلاقه فان العرب قد حولوا لغات الأمم التي فتحوا بلادها الى لغتهم بدون إلزام ولا قهر ولا مدارس سياسية كما يفعل الأفريق بجوده قدرة على عمل عجبت عنه الدول الأوروبية والرومانية قبلها ورابطة اللغة من أقوى الروابط بين الأمم. هذا هو أثرهم فيمن بقي محافظا على دينه في البلاد التي فتحوها والكتاب يعلم ان أكثر الشعوب التي استولت عليها العرب قد دخلت في دينهم فالجوسية نسخت من بلاد الفرس والצרانية قل أتباعها في مصر وسوريا ولم يكن ذلك بقهر ولا إكراه بل كان المسلمون يدخلون البلد ثم يتكلمون أهلها ويقيمون فيها حامية قليلة تدافع عنها من يستدي على أهلها ان كان هناك خوف وقهر الناس على دينهم وعاداتهم وتحمّل أكثر العمال منهم ولكنهم كانوا يخشون للخدمة التي تكون عندهم مجاذية الحق والعدل والفضيلة فيها فيقيمونها في الدين واللغة عن رغبة واختيار. اما الترك فقد عجزوا عن مثل ذلك لان سحرهم من الاسلام وأركانته الثلاث كان دون سهم العرب، وما كان للأنجليي المقلد ان يفهم من الكتاب والسنة ما يفهمه العربي المتجهد لأسسها بعد ظهور إنديع . ومع هذا كله كان الترك أكثر رذقا بالشعوب التي فتحوا بلادها من سائر الفاتحين وقول الفيلسوف السابق بشلهم (لاردية)

﴿الامر الصغير الكبير﴾

لقد ضقت ذرعا من أمر صغير ، ولكنه على صغره كبير ، فهو كالموض أو كالبقي يضجر منه الكمي الباسل . ويضيق عنه حلم الحكيم الفاضل . ذلك الامر الذي أعياني علاجه . وعي على طريقته ومنهاجه . هو إفهام الكثيرين من قراء النار ان إدارة المجلة لا يرسل لاحد ما يطلبه من الاجزاء المفقودة الا اذا أرسل مع الطلب قيمة كل جزء قرشان ونصف قرش (٢٥ مايا) لا يستنى هذا الحكم احد ولا يقبل تأجيل الثمن ليرسل مع قيمة الاشتراك وانما يستنى طاب آخر جزء اذا علم بصدوره المشترك ولم يصل اليه وكذلك الجزء الذي قبل الاخير بهذا الشرط كتبنا هذا غير مرة وجهلنا له (اعلانا) ثابتا في غلاف المجلة وكل هذا لم يرض شيئا فان الرسائل تتبع الرسائل من المشتركين في كل بلد هذا يطلب جزءا وهذا يطلب أجزاء وهذا يقول ان المجلة لم ترسل اليه منذ شهر أو شهرين وذلك يسترف بان العدد قد فقد بعد وصوله ويطلب ان يرسل اليه مرة ثانية من باب الكرم والتفضل وذلك بعد بانه سيرسل ثمن ما يطلبه أو سوف يرسله مع قيمة الاشتراك « ان شئنا »

ولكن الذي نشاء ونكرر طلبه وهو ان ترسل قيمة الجزء أو الاجزاء المطلوبة سلفاً فلا يكاد يوجد واحد في المئة يقوم به

إنما لم تقرض هذا الثمن طمعاً بالكسب فان مئة جزء منها مئتان وخمسون قرشاً ليست من مواضع الطمع في الكسب بل هي لاتتافي الحسارة فان الجزء الواحد يرسل الى المشترك مرة ثانية وقد يخسر به مجموعة سنة كاملة فهل السماح بخمسين قرشاً في مقابلة قرشين ونصف قرش يعد من الطمع وحب الكسب ؟ كلا إن الحرص على الكسب كان يجب ان يقضي علينا بأن لانسبح لاحد بشي من الاجزاء التي يفقدها وله ان يرضى بتجديد مجموعة السنة ناقصة وان يشتري مجموعة كاملة بخمسين قرشاً

انما فرضنا للاجزاء المفقودة ثمناً لعلنا بأن الاكثرين يستقبلون على قلته فيحملهم ذلك على الحرص على الاجزاء ان تضاعف . ولا أقول ان استقبال الاكثرين له من البخل والشح بل أقول ان منهم من يمدد بخالفه للذوق ومنهم من يستقبله لغير ذلك من الاسباب وقليل في المصريين من يحرص عن القرش أو القروش فيها يوافق ذوقه ومشر به اتانا نملك في أن أكثر طلاب الاجزاء يطلبون ثانياً ما أرسل اليهم أولاً وقد قدم عندهم بصدر وثيقه وقبلها فاننا قد علمنا بالبحث والاختبار ان بعض المشتركين لهم انتخاب حر يصون على قراءة النوار يتناولون الجزء قبل ان يصل اليه صاحبه ولذلك ترى الاكثرين تمر عليهم السنون ولا يدعي احد منهم انه فقد جزءاً واحداً وقد يكون سبب فقد الاجزاء استقبال المشتركين من بلد الى آخر من غير ان يجبر ادارة المجلة بذلك لتغير عنوانه . ومما لاحظناه بالتجربة أن أكثر المتأملين يدفع قيمة الاشتراك يدعون ان المجلة لاتصل اليهم بالاطراد وأنه ينقصهم أجزاء منها . وقلما نجد أحداً من الذين عرفناهم بحسن المعاملة يدعي هذه الدعوى . هذا وانا لا تبرئ ادارة البريد من بعض الاهمال ولا تبرئ ادارة المجلة من السهو في بعض الاحيان ولكن السبب الحقيقي في كثرة الطلب هي ما قدمنا . واذ اظن ان الحال بمدة كتابة هذه المجلة التي كتبناها كارهين كما كانت قبلها فانا نضطر الى منع بيع الاجزاء المشتركة بين كتابنا لانيه ما من سواه وهو يعرفه بأننا لا نقبل طلباً الا من يدعي ان الجزء الاخير لم يصل اليه او ما قبل الاخير بشرطه اساقى

ومن العجائب ان الذي كان يتولى تجهيز النوار وإرساله في البريد في المدة الماضية واوائل هذا العام كان يرسل الى نحو خمسين مشتركة سحبتين من كل جزء . ولم يسمح لاحد منهم بارجاع الزائد الى الادارة الا اثنان منهم وأكثرهم لم يدفعوا قيمة الاشتراك فاستلهم بالذمة والامانة ان اردوا ان يرسلوا ازيد عن حقهم الشكر منا والسلام

بقرني الحكمة من بيناه ومن يوفت
الحكمة فقد أوفى جزاء كثيرا وما
يذكر إلا ألو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عادي الذين يستمعون القول
فيتبعون حسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام سوى «مناراً» كنار الطريق)

(مصر - الجمعة غرة رمضان سنة ١٣٢١ - ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣)

باب الأخبار النبوية

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم «الصيام جنة» أي وقاية رواه الامام أحمد
والنسائي عن أبي هريرة والترمذي عن مساذ ورويه مع ابن ماجه عن عثمان بن أبي
العاص بلفظ «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال» وفي رواية للنسائي والبيهقي
عن أبي عبيدة «الصيام جنة مالم يخرقها» وزاد الطبراني في الاوسط «بكذب أو غيبة»
وقد روى الحديث غيرهم من طرق أخرى . والمعنى ان الصوم سبب للوقاية من النار
كالجنة تكون سببا للوقاية من العطن والضرب مالم يخرق . وانما كان الكذب والغيبة
وهي ذكر الناس بما يكرهون ان يذكروا به خارقين لجنة الصيام لأن الفرض من
الصيام تعويد النفس على ترك المعاصي والشهوات المحرمة فان من ترك المباح له في الاصل
كلأكل والشرب والملاسة الخاصة بينه وبين امرأته وهو متمكن من فعل ذلك في
كل وقت بين له وانما يتركه امتثالا لأمره وعملما بما فرضه من وسائل تأديبه كان جديرا
بأن يتمكن من ترك المحرم عليه في الاصل اذا اشتى ان يصيب منه . فالصيام يزيد في
الايمان بالله تعالى لان هذه المباحات التي يجب تركها فيه هي التي تحثاها الانسان دائما
وتعرض له في كل وقت فهو لا يتركها الا امتثالا وهي تذكره في كل وقت بالله تعالى
فيزداد مراعفة له وتقاة لخالقه حتى يملك نفسه ويضبط نزواته الشهوية بالتكرار الذي
يطبع المنكات في النفوس كما شرحنا ذلك في بعض الجلدات السابقة من المنابر
سأني أحدا لا فرح من الصوم رمضان كله فلا تغفل فيه جهرا ولا سرا . ففان لم اني أضوه
بما زدت عليه من صيام تطوع . قل : وهل تغفل ان الله يكون سري . والله بهد

من ركان الاكل والشرب ويحافظ اذا أكلت ؟ فقلت ان ديننا ليس كالأديان التي تتركها
يحمل العبادة تعذيباً للنفس زعم أن الله يحب أن يخرج نفوس الناس ويستهم كما يفعل الملوك
الظالمون وإنما يعلمنا ديننا بأن الله تعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج وعن علينا
بأنه لو شاء لأعذبنا ولكنه لم يفعل لأنه أرحم بنا من آباءنا وأمهاتنا ويرشدنا إلى أنه
ما فرض علينا شيئاً الا لمنفعتنا وما حرم علينا شيئاً الا لأنه يضرنا وقد ورد في الحديث القدسي
« يا عبادي ان تبغوا نفعي فتضعوني ولن تبغوا ضري فتضروني » الخ فهذا الصيام
نافع لنا لأنه يربي لنا ملكة الحكم على أهوائنا وشهواتنا فلا يصعب علينا مع هذا الملكة
أن نترك المعاصي المضرة ...

قال : انا نعهد ان الذي يمنع من شيء يكون بعد زوال المنع اشد ولوعاً وأكثر
ضراً به وإنني أعرف في بلادنا كثيراً من الناس ربوا أولادهم على المنع من القبايح
كالسكر والزنا والقمار وما هو أهون من ذلك فلما زالت عنهم سلطة المنع كانوا أشد
الناس انغماساً في الشهوات ، وأكثرهم ارتكاباً للمواقات : فقلت نعم ان هذا أمر
طبيعي فإن الذي يمنع بالتهر والالزام عما يحبه ويشتهي ، يزدا دميلاً اليه وحبا فيه ،
وقد قال الشاعر السري :

منمت شيئاً فأكثرت اللوع به أحب شيء إلى الانسان ما منعنا
واستكن المنع من الأكل ونحوه في الصيام ليس منع قهر وتحكم وإنما هو إمتناع
اختياري عن اقتناع واعتقاد بأنه خير ونافع وسبب من أسباب السعادة ولولا ذلك لما
صام الصائم إذ يمكن كل أحد من الإفطار سر إذا كان يستحي من الناس ان يفطر جهراً
ولهذا المعنى كانت تربية القسوة والقهر ضارة ومفصية إلى الإفساد وكانت التربية الدينية
الإسلامية المبنية على الاعتقاد والاقتناع هي التربية النافعة التي لا ضرر فيها ، ولما ترى
الأولاد الذين يربون بالقسوة والحكم القاهر أدل الناس نفوساً وأفسدهم أخلاقاً وكذلك
ترى تأثير الحكومات المستبدة القاسية في الرعية تفسد بأس الأمة وتهبط بأخلاقها
وآدابها إلى أسفل سافلين ، وقد لاحظ الفيلسوف العربي ابن خلدون هذا المعنى فعقد
له فصلاً في مقدمته واستشهد له بانكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عني سعد ابن
أبي وقاص قائد جنده في حرب الفرس معاملة أحد المشجعين بالقتل حين أخذ سلب
قتل قتله بدون إذنه واحتج عمر على سعد (رضي الله عنهما) بأن ذلك يفسد بأس ذلك

التجاع... قال محدثي بعد تمام الجوار ان كل ما ذكرته صحيح
 وأزيد الآن وأن أطلت في شرح الحديث بما ليس من موضوع الصوم عبارة ابن خلدون
 في المثال الذي أورده قال بعد ذكر عزة الذين يساسون بالرفق والعدل : وأما اذا
 كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاختافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب
 الثقة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبهت . وقد نبهني عمر سعد
 رضي الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن حوبة سلب الجاثوس (سلب القليل بالتحريك
 مامعه من سلاح وغيره) وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفاً من الذهب وكان اتبع الجاثوس
 يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فأنزعه منه سعد وقال له : هلا انتظرت في آتباعه أذني :
 وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر : « تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى
 به وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه (*) وتفسد قلبه » ، وأمضى له عمر
 سلبه ثم انتقل ابن خلدون الى بيان كون الاحكام الشرعية لا تذهب بالبأس والثمة لان
 الوازع فيما نفسي ونقل عن عمر أنه قال ، « من لم يؤد به الشرع لأد به الله » ، حرصاً
 على ان يكون الوازع لكل أحد من نفسه .

(٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه
 الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال اين الصائمون فيقومون فيدخلون
 منه فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد » : رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن سهل
 ابن سعد . وقد فسر بعض أهل البصرة الحديث وأمثاله بأن المراد بأبواب الجنة أصول
 الطاعات ومجامع الخير وكأنهم أخذوا هذا من حديث الطبراني عن سهل أيضاً : لكل
 باب من أبواب البر باب من أبواب الجنة وان باب الصيام يدعى الريان : وتسميته
 بالريان يشير الى ذلك . واستدل عليه الشيخ محي الدين بن عربي في فتوحاته بحديث
 ورد في أن أبا بكر يدخل الجنة من أبوابها كلها وهو لا يعقل الا بهذا التفسير

(٣) وقال (ص) قال الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له الا انصيام فانه لي
 وأنا أجزي به : والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وان

(*) الفرق بالضم مشق رأس السهم حيث يقع الوتر وهو اذا انكسر تعذر الرمي به والمراد
 بكسر الفرق إفساد البأس وإضغاف النفس : والفرق أيضا الخط السكاهل من البني

رمضان شأننا لأفجده لغيره في أوقات الجوع التي تعرض لنا في غير الصيام مما يزيد عن الجوع بالصيام ، وأما الفرحة الأخرى فلا تعرف حقيقة إلا بالوصول إليها والله نسأل أن يسهل لنا سبيلها بالقيام بحقوق الصيام بحيث تهذب به نفوسنا وترتقي به أخلاقنا ، وإن يهب لنا من فضله فوق ما نستحقه بأعمالنا .

(٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل بالفليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وهو يؤيد ما قلناه في شرح الحديث السابق

(٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة وفي حديث آخر « من قام » وقد اتفق العلماء على أن المراد بالذنوب الصغائر أو الكبائر باعتبار قيد التوبة ورد الحقوق إلى أهلها لأن هذا القيد مسروق من أصل الشريعة المتفق عليه . ونقول أن الفقه في الحديث هو أن من صام شهراً بعبادة الإيمان واحتساب الأجر على الله تعالى لا يمتنعى العادة وموافقة الناس في تغيير مواعيد الأكل بحملها في الليل بدلاً من النهار فلا شك أن إيمانه يقوى ويزداد ونفسه تنزّك من آثار الذنوب التي يلزم بها التوب من بسبب الغفلة عن الله تعالى فتحل بالصيام الذكرى محل الغفلة ، ويشرق النور في مكان الظلمة ، وتمحو الحسنات ، ما كان في النفس من أثر السيئات ، فتحسن الحال ، وتصلح الأعمال ، فهذا هو معنى المنفرة لأن الغفر في اللغة هو الستر والتغطية ولا يبلغ في ستر الشيء من إزالة أثره كما قيل الحسنات السيئات . ورواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ضيقة

(٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وضفت الشياطين » رواه الشيخان وغيرها عن أبي هريرة ، وأبواب الجنة هي الطاعات وأبواب النار هي المعاصي كما تقدم ولا شك أن هذه تنلق دون الصائمين وتلك تفتح أمامهم فيدخلون فيها أفواجا ، ومعنى « تصعد الشياطين » أنه لا يكون لها سبيل الوسوسة والأغواء لأن أبواب المعصية والشهوات مقفلة لا سبيل إلى الدخول فيها . وفي رواية زيادة « وينادي مناديا بغاي الخبز هلم وبغاي الشر اقصر » وفي رواية أمسك . أغني الله عن عبيده والكلام كناية عن كون حال الصيام تقتضي المزيد في الخير والامسك عن

الشر . وسعت الاستاذ الامام قول : ان شهر رمضان لا يصلح فيه عمل الدنيا فينبغي للعباد
يقتل فيه لعمل البر ما استطاع . او ما هذا معناه . وقد روي في فضل رمضان احاديث كثيرة
أكثرها من موضوع وضعف وحسبك من الصحيح ما ذكرناه

﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اني رأيت الهلال يعني
رمضان فقال : « أتشهد ان لا اله الا الله » قال نعم قال « أتشهد ان محمداً رسول الله » ؟
قال نعم . قال « يا بلال أذن في الناس فليصوموا غدا » رواه الشيخان وأصحاب السنن
عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود قاصر بسلام فنادى في الناس ان
يصوموا وأن يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي عليه السلام اكتب في مرة
بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربيعة بن خراش عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلاً للهِلال أمس عشية قاصر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الناس ان يضطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية : وأن يشهد
الى مصلاتهم :

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا
فان غمّ عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر .
وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان
غمّ عليكم فأكثروا المدة ثلاثين » وفي رواية لمسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا »
وأشار بالمقد الى ٣٩ و ٣٠ وفي لفظ للشيخين « صوموا لرؤيته فان غيبي عليكم فأكثروا
عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له
احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) وأقدره وقدره . وغني هنا غمّ غمّ
في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في ان العبرة برؤية الهلال لا
بحساب الحاسنين وقاوم التجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب ان
تكون مواقيت عباداته مبرورة عند عامة المكلفين . غير مخصوصة بطلاقة الحاسنين .

وجه في بعض الروايات « وانسكوا له » فواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا (٥) عن كريب بن أم الفضل بمشتهى معاوية بالشام (قال) قدمت قهصيت حاجبها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته ؟ فقلت نعم وراآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال : ولكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه : فقلت : ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواه أحمد وأحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكننا رأيناه ليلة السبت » الخ فإنه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فكنتي بروايته فالراجع اذا حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقليل يعتبر كل أهل بلد برؤيتهم بعدد البلاد أو قربت وقيل لا ينزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الأئمة الاعظم قبله لان حكمه نافذ في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحدا وان تباعدت عمل كل برؤيته واختلفوا في حد البلد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه السلي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح الثوري وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

ونقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجع شهادته وابعها الناس وجب ان يستمدوا عليها ولا يلتفتوا للرؤية الآخرى لينضبط الامر ولا يكونوا قوضي في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائب وهذا مغلط ، وان اختلفت في البلاد التباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف المطالع والقمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان فرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاميا يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن ان يتجه لو ورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم بين البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي يختلف

به الأحكام . وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلاداً متقاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطر وبعضهم سائم بحجة اختلاف الرؤية فإذا ثبتت الرؤية في بعضها يصوم الجميع والأأكلوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفصلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الثابت في مكان واعلام الآخرين به حسن في ذاته وغير حسن ما يختص به من البدع . واما البلاد التي لاصلة بينها قوة سهلة ولا تعامل بينها إلا بمهاجرة بعض أهلها من احداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما ثبت عنده وان تيسر اعلام كل قطر الآخر بنوا السبرق الذي يؤمن تزويره ، ولو كان للمسلمين امام أعظم يفيد حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما ثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك كان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الساجشون

أحاديث في الوقف

نشر المقلم في الشهر الماضي مقالة بامضاء (عزيز خانكي) بحث فيها كاتبتها في الوقف والمهاكم الشرعية وزعم ان الوقف ليس من الدين الاسلامي في شيء واستدل على ذلك بعدم ورد شيء في مشرعته في القرآن الشريف او في السنة قال «الأحديث واحد في كتاب ابن ماجه» وقد كتبت نبذة في بيان نقض زعمه هذا نشرت في المقلم أيضاً ذكرت فيها أنه ورد الوقف عدة أحاديث رواها الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه الذي اعترف به الكاتب دون غيرهم اطلاعه على كتب الحديث لان الصحيحين أولى منه بالذكر الا أن يكون اراد إيهام الناس ان الحديث محتمل للطعن فيه فان في سفين ابن ماجه مطمئن المحدثون في استاده وعند ذلك يكون غير طالب للحق ولا مقرر له فأحسن ما يحمل عليه زعمه انه لم ير في الوقف إلا الحديث واحد لابن ماجه هو عدم الاطلاع وليس هذا طعن في الكاتب فانه امس علماً مسلماً فيعاب بعدم الاطلاع على السنة لاسيما في هذا الزمن وهذه البلاد التي قلما ترى في علمائها من يقتل بالحديث. وذكرت فيها غير الصحيحين وأصحاب السنن ممن روى أحاديث الوقف كابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والطحاوي وابن جرير وابن عساکر

وقد بلغنا أن عزير أفتدي خانكي قد اعتمد في نفي ما عدا حديث ابن من أحاديثه الوقف على شيخ مسلم له هوى في ذلك وأنه عاد إليه بعد ما ردنا قوله وكله في ذلك فأجاب به أن الحديث واحد وهو مروى في جميع تلك الكتب . ثم رأيت بعد ذلك مخالفة أخرى في المقطم لدود بك عمون الحامي الشهير ذكر فيها مخالفة عزير أفتدي وزعمه أنه لم يرد في الوقف الا حديث واحد وذكر ردنا عليه وزعمنا أنه ورد عدة أحاديث وكتب هنا هذه الكلمة (وان لم يذكرها) فيظهر أن القوم يظنون أن الحجة تنهض له في عدم مشروعية الوقف اذا ثبت أنه لم يرد فيها الا حديث واحد . والصواب أن مشروعية تثبت بحديث واحد اذا كان ثابتاً يحتاج به وزيادة عدد الاحاديث لا يزيد الحكم مشروعية . وإنما ذكرت في الرد على عزير أفتدي خانكي أسماء المحدثين الذين روى أحاديث الوقف وذكرت أن حديث عمر قد رواه أحمد والبخاري ومسلم ليان أن الحديث صحيح وإزالة توهم ضحفة بانفراد ابن ماجه به . ثم ان كون الشيء من أمور الدين لا يتوقف على ورود شيء فيه بخصوصه بل يكفي دخوله في بعض النصوص العامة ولذلك كان وقف أبي طلحة رضي الله تعالى عنه عملاً بمعوم قوله تعالى « لن تنالوا القبر حتى تتفقوا بما يحبون » وكل عمل يعمل لأجل التقرب الى الله تعالى بكونه برّاً ويدخل في عموم النصوص التي لا ممرض لها فهو من أمر الدين . ونذكر هنا بعض ما ورد في وقف اشهر الصحابة ومشروعية الوقف

(وقف عمر) عن ابن عمر أن عمر أصاب أرضاً من أرض خيبر فقال يا رسول الله أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني فقال « ان شئت حببت أصلها وتصدق بها » فتصدق بها عمر على أن لا تباع ولا توهب ولا تورث في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضييف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ولا يطعم غير ممتول . وفي لفظ غير متأمل مالا . رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة . وفي حديث عمرو بن دينار قال في صدقة عمر : ليس على الولي جناح أن يأكل ويؤكل صديقاً له غير متأمل : قال : وكان ابن عمر هو يلي صدقة عمر ويهدي لئس من أهل مكة كان ينزل عليهم : أخرجه البخاري . وفي رواية له « تصدق فليس لها لباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره » فما شرط عمر ما شرط الأباضي

صرح . وجاء هذا ايضا مرفوعا في رواية البيهقي . وفي رواية الدارقطني زيادة محبس
 مادامت السموات والارض « فاشتراط هذا الشرط بأمر الشارع وإجازته دليل على
 أنها مشروعة وأنها من أعمال الدين . قال في متقى الاخبار وفي الحديث من الفقهاء
 من وقف شيئا على صنف من الناس وولده منهم دخل فيه . يريد أن ابن عمر من
 ذوي القربى على أن المراد بهم قرابة عمر الواقف وهو ما جزم به القرطبي وقيل أن
 المراد بهم من له الحق في الخمس . والولي على الوقف هو ما يسمونه اليوم ناظر الوقف ،
 وفي رواية ابن أبي شيبة والعدني أن عمر أوصى به إلى حفصة أم المؤمنين ثم إلى الأكبر
 من ولد عمر . أي الأكبر فالأكبر وفيه أن الولاية على الوقف تكون بعهد من الواقف
 ولعل عبد الله وليه بإذن حفصة أو بعدها

(وقف عثمان) عن عثمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس
 بها ماء يستعذب غير بئر رومة (بالضم) فقال من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلو مع دلاء
 المسلمين بخير له منها في الجنة « فاشترتها من صاب مالي : ذكره البخاري تعليقاً ورواه
 الترمذي وقال حديث حسن وفيه جواز انتفاع الواقف بوقفه العام . أخذ
 الترمذي ذلك من قوله « فيجعل فيها دلو مع دلاء المسلمين »

(وقف علي) عن عمرو ابن دينار أن عليا تصدق ببعض أرضه جملة صدقة
 بعد موته واعتق رقيقا من رقيقه وشرط عليهم أنكم تعملون في هذا المال خمس سنين .
 رواه عبد الرزاق في الجامع . وعن أبي جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 خرج في جيش فأدركته القائلة وهو ما لبى النبع فاشتد عليه حر النهار فأنهوا إلى سمرة
 (شجرة السمرة) فملقوا أسلحتهم عليها وفج الله عليهم فقسم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم موضع السمرة ليلي في نصيبه قال فاشترى إليها بعد ذلك فأمر مملوكيه أن
 يهجرها لها عينا فخرج لها مثل عين الجزور فجاء البشير يسى إلى علي يخبره بالذي
 كان ففعلها علي صدقة فكتبها صدقة لله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف
 الله بها وجهي عن النار صدقة بة تلة في سبيل الله للقرىب والبعيد في السلم والحرب
 واليتامى والمساكين وفي الرقاب . رواه ابن جرير . وروى ابن عساکر عن أبي
 معشر قال كان علي بن أبي طالب اشترط في صدقة أنها لذوي الدين والفضل من

أكابر ولده . ولطه يعني الولاية عليها

(وقف أبي طلحة) عن أنس أن أباطلحة قال يارسول الله ان الله يقول «لن تسألوا البر حتى تسألوا عما يحبون» وان أحب أموالي اليّ يرحاء وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله : فقال «خرج بخ ذلك مال رابع صريتين ، وقد سمت ، أرى ان تجملها في الاقرين » فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقارب وبنى عمه ، ورواها أحمد والشيخان . وفي رواية لما نزلت هذه الآية «لن تسألوا البر » الخ قال أبو طلحة يارسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا شهدك أني جعلت أرضي يرحاء لله : الخ وفيه أنه جعلها في حسان وأبي بن كعب . وفي رواية أنه قال له «اجعلها في فقراء أقاربك» . ويرحاء بفتح الموحدة وسكون النحبة وفتح الراء تمدود تقصر ومضاهي الأرض المتكسفة

(وقف جماعة آخرين من أكابر الصحابة) روى ابن جرير عن محمد بن عبد الله القرشي قال : حبس عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله دورهم : وهناك روي أيضا أخرى لابن أبي بكر وسعيد وعمر وابن العاص وحكيم بن حزام وأنس وزيد بن ثابت . وصح في وقف المنقول مرفوعا أن خالد الحبش ادعاه وأعتاده في سبيل الله أما الأصل في الحث والترغيب الصريح من الشارع على الوقف فقد ورد فيه حديث أبي هريرة المشهور وهو قوله عليه الصلاة والسلام «إذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال العلماء : ولو جاز بيع الوقف لما كانت الصدقة جارية بل لكانت منقطعة . وحديثه أيضا «من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً واحتساباً كان شبهه وبوله وروته في ميزانه يوم القيامة حسنة» . ورواها أحمد والبخاري وهو دليل على جواز وقف المنقول وقد قبله بعض الصحابة كما تقدم

هذا ما أردنا ان نذكره في توضيح الرد على من زعم أنه لم يرد في الوقف شيء من الاحاديث الاحديث ابن ماجه في وقف عمر وقد ذكره مختصراً . ولوأردنا ان نذكر مناهج العلماء وما استقطب من هذه الاحاديث من الاحكام ، لضاق دون ذلك المقام

﴿مناظرة بين مقلد ومُصاحب حجة﴾ تابع وتبع

(الوجه السابع والعشرون) : ان أقوال العلماء وآرائهم لا تضبط ولا تنحصر ولم تضمن لما العصمة الا اذا اتفقوا ولم يختلفوا فلا يكون اتفاقهم الا حقاً . ومن المحال أن يحبنا الله ورسوله على ما لا يضبط ولا ينحصر ولم يضمن لنا عصمته من الخطأ ولم يحم لنا دليلاً على أن أحد القائلين أولى بأن تأخذ قوله كله من الآخر بل ترك قول هذا كله ويؤخذ قول هذا كله محال ان يشرعه الله أو يرضى به الا اذا كان أحد القائلين رسولاً والآخر كاذباً على الله فالغرض حينئذ ما يستمد هؤلاء المقلدون مع متبوعهم ومخالفهم .

(الوجه الثامن والعشرون) : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وبدأ الاسلام ههنا وسيعود غرباً كما بدأه وأخبر ان العلم يقل فلا بد من وقوع ما أخبره الصادق ومعلوم ان كتب المقلدين قد طبقت شرق الأرض وغربها ولم تكن في وقت قط أكثر منها في هذا الوقت ونحن نراها كل عام في ازدياد وكثرة والمقلدون يحفظونها ما يمكن حفظه بحروقه وشهرتها في الناس خلاف الغربية بل هي المعروفة الذي لا يرفون غيره فلو كانت هي العلم الذي بعث الله به رسوله لكان الدين كل وقت في ظهور وزيادة والعلم في شهرة وظهور وهو خلاف ما أخبر به الصادق .

(الوجه التاسع والعشرون) : ان الاختلاف كثير في كتب المقلدين وأقوالهم وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه بل هو حق يصدق بعضه وبعضاً وبشبه بعضه والبعض وقد قال تعالى «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» .

(الوجه الثلاثون) : انه لا يجب على الصبد ان يقلد زيدا دون عمرو بل يجوز له الانتقال من تقليد هذا الى تقليد الآخر عند المقلدين . فان كان قول من قلده أولاً هو الحق لاسواء فقد جوزتم له الانتقال عن الحق الى خلافه . - وهذا محال - وان كان الثاني هو الحق وحده فقد جوزتم الإقامة على خلاف الحق وان قام القولان المتضادان المتافضان حق فهو أشد حالة ولا بد لكم من قسم من هذه الأقسام الثلاثة .

(الوجه الحادي والثلاثون) : ان يقال للمقلد بأي شيء عرفت ان الصواب مع من تلدته دون من لا تلهده فان قال عرفته بالدليل فليس بمقلد . وان قال عرفته تقليدا له فانه أفتى بهذا القول . ودان به وعلمه ودينه وحسن تناء الامة عليه يمنحه ان يقول غير الحق . قيل له : أمقصوم هو عندك أم يجوز عليه الخطأ ؟ فان قال بعصمته أبطل وان جوزه عليه الخطأ قيل له فما يؤمنك ان يكون قد أخطأ فيما قلده فيه وخالف فيه غيره . فان قال : وان أخطأ فهو مأجور . قيل : أجل هو مأجور لاجتهاده وأنت غير مأجور لانك لم تأت بموجب الأجر بل قد فرطت في الاتباع الواجب فانت اذا مأزور . فان قال : كيف يأجره الله على ما فتى به ويمدحه عليه ويذم المستفتي على قبوله منه وهل يمثل هذا ؟ قيل : المستفتي ان قصر وفرط في معرفة الحق مع قدرته عليه لحقه الذم والوعيد وان بذل جهده ولم يقصر فيها أمر به واتفق الله ما استطاع فهو مأجور أيضا . وأما المتعصب الذي جعل قول متبوعه عيارا على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة يزنها بها فما وافق قول متبوعه منها قبله وما خالفه رده فهذا الى الذم والمقاب : أقرب منه الى الأجر والصواب ، وان قال : - وهو الواقع - اتبعته وقلده ولا أدري أعلى صواب هو أم لا فالمهدة على القائل وأنا حاك لاقواله . قيل له : فهل تخلص بهذا من الله عند السؤال لك عما حكمت به بين عباد الله وأقتبستم به ؟ فوالله ان للحكام والمفتين لموقفا للسؤال لا يخلص فيه الا من عرف الحق وحكم به وعرفه وأفتى به وأما من عداها فيعلم عند انكشاف الحال انه لم يكن على شيء .

(الوجه الثاني والثلاثون) : ان يقول أخذتم بقول فلان لان فلانا قاله أو لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله . فان قلتم : لان فلانا قاله : جعلتم قول فلان حجة وهذا عين الباطل . وان قلتم : لان رسولا الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله : كان هذا أعظم وأقبح فانه مع نفسه كاذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولكم عليه ما يفقه وهو أيضا كاذب على المتبوع فانه لم يقل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد دار قولكم بين أمرين لاناك لهما . اما جعل قول غير المصوم حجة . واما تقويل المصوم ما لم يفقه . - ولا بد من واحد من الأمرين - فائى قلتم : بل منهما يدوي قديم ثالث وهو اننا كنا كذبا لان رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله وسلم أمرنا أن نتبع من هو أعلم منا ونسأل أهل الذكر أن كنا لا نعلم ونزد ما لم نعلمه إلى استنباط أولي العلم فنحن في ذلك متبعون ما أمرنا به نينا . قيل : وهل نَدَّ نَدْنُ الاحول اتباع أمره صلى الله عليه وآله وسلم فيها لا بالواقعة على هذا الاصل الذي لا يتم الايمان والاسلام الا به فتناشدكم بالذي أرسله اذا جاء أمره وجاء قول من قلده عمود هل تتركون قوله لا أمره صلى الله عليه وآله وسلم وتضربون به الحائط وتحرمون الاخذ به والحالة هذه حتى تستحق التباينة كما زعمتم أم تأخذون بقوله وتفوضون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله وتقولون هو أعلم بـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا ولم يخالف هذه الحديث الا وهو عنده منسوخ أو معارض بما هو أقوى منه أو غير صحيح عنده فتجعلون قول المتبوع محكما وقول الرسول متشابها فلو كنتم قائلين بقوله لا يكون الرسول أمركم بالاخذ بقوله لقد تم قول الرسول أين كان . ثم تقول في

(الوجه الثالث والثلاثون) وأين أمركم الرسول بأخذ قول واحد من الامة بعينه وترك قول نظيره ومن هو أعلم منه وأقرب إلى الرسول وهل هذا الانسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنه أمر بـ ما لم يأمر به قط . يوضحه

(الوجه الرابع والثلاثون) . ان ما ذكرتم بعينه حجة عليكم فان الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر والذكر هو القرآن والحديث الذي أمر الله نساء نبيه ان يذكرنه بقوله « واذا كن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » فهذا هو الذكر الذي أمرنا باتباعه وأمر من لا علم عنده ان يسأل أهله وهذا هو الواجب على كل أحد ان يسأل أهل العلم بالذكر الذي أنزل على رسوله ليخبروه به فاذا أخبروه به لم يسه غير اتباعه وهذا كان شأن أئمة أهل العلم لم يكن لهم مقلد معين يتبعونه في كل مقال فكان عبد الله بن عباس يسأل الصحابة عما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعله أو سئله لا يسألهم عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون أمهات المؤمنين خصوصا عائشة عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن شأن نبيهم فقط وكذلك أئمة الفقه كما قال الشافعي لاحد يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فاعلمني حتى أذهب اليه شاميا كان أو كوفيا أو بصريا ولم يكن أحدا من أهل العلم قط يسأل عن رأي رجل بعينه ومذهبه فيأخذ به وحده ويخالف ما سواه .

﴿ خطبة منبرية ﴾

نخرج من خطب الشيخ عبدالحق البغدادي الأزهرى امام وخطيب المسجد فى المنارات فى عجمي (الهند)

الحمد لله الذى أعز من أطاعه وأذل من عصاه ، الحكيم الذى أنزل على النبي الكرم كتابا من نورك به فاز بالسعادة فى دنياه وأخره ، ومن أعرض عنه أخزاه وأورداه ، وبثب المهوان كساه ، أحمدده سبحانه وتعالى وأشكره ، وأتوب اليه وأستغفره ، وأسأله التوفيق فى السعي والعمل ، والابتعاد عن الخمول والكسل ، وأشهد أن لا إله الا الله الواحد الاحد المنزه عن الشريك والصاحبة والولد . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله قام بأمر رب به خير قيام ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا ظلمات الكفر بنور الاسلام ، وسلم تسليما كثيرا (أما بعد فيأيتها الناس)

اعلموا ان السبق فى ضمير الحياة الدنيوية لا ينال الا بالمثابرة على العمل ، والسعي الحثيث وتقوية الأمل ، والاتحاد والاتفاق ، والمحبة والوفاء ، والتكافل والتضامن ، والتناصر والتعاون ، كما لا يأتي انتصرو الفشل ، الامن الضجر والكسل ، وترك الاسباب والتسك بشعرات الاتكال . وقور النزائم فى الاعمال ، والتباغض واتخاذ ، والتحاسد . والتفرق والاختلاف وعدم التضامن . الا وان الديانة الاسلامية ، والشريعة المحمدية ، أمرت بالاشتغال للمعاش والمعاد . وحثت على ترقية النفوس وتقوية الاجساد ، وينت مطالب الحياتين الدنيوية والاخرية ، ووضعت قوانين للمسلم لها واضحة جليلة ، وقدرت حصول الدنيا على اقامة الدين ، والناسك بحيلة المتين ، كما جعلت أكثر أسباب الفوز بالسعادة الاخرية ، موقوفا على اصلاح الحالة الدنيوية ، فلا ينال المسلمون فى الدنيا فلاحا وعزة ونجاحا الا بالدين ، ولا يخلصون فى الآخرة خيرا ورضا الا بالصلاح منزعها ورب العالمين ، فقد دلت الآثار ، وافادت الاخبار ، ان المسلمين لما كانوا متمسكين بالدين ، عاملين بالقرآن العظيم وسنة خاتم النبيين ، اتقادت لهم الدنيا بأسرها ، وأطاعتهم أمم المعمورة من عربها وعجمها ، فدوخوا الممالك ، ووطأوا بسنابك خيولهم معظم عواصم المعمور . وما استقروا فى مكان الا مصر والامصار ، وشيدوا للعلوم خير دار ، وأقاموا للمجد والسيادة دعائم ، وأحيوا للسياسة معالم ، ورفسوا الدين المنار ، فأضوا الاسلام طريق الاتشار ، فانتشر شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ،

(٢٠) سؤال الملكين - محمد ابي حليمي كاتب سجون حلبا : هل يوجد حقيقة ملكان يسألان في القبر وما هي كيفية سؤالهم ؟

ورد في أخبار صحيحة ان هناك ملكين يسألان الميت بعد موته عن "الايان بالله ورسوله وان السؤال يكون بصيغة التشكيك مثل « ماتقول في هذا الرجل الذي بهت فيكم » ويسمى هذا السؤال فتة القبر ويسمى الملكان السائلان فتانا القبر ، والفتنة معانها الاختبار. وقد حمل أكثر المسلمين القول على ظاهره وأوله بعضهم كالمعتلة. اما كيفية السؤال فلا يعرفها الا من عرف حقيقة الملائكة والارواح المجرودة ونكت في بان قول انها أمور غيبية تبني على التسليم كسائر أمور الآخرة التي يصح النقل عندنا بها ولا حاجة الى تأويل ما لم يكن ظاهره مستحيلا عقلا ولا تكفر من أول الخبر وأخرجه عن ظاهره ولا من أنكر صحته اذا لم يكن متواترا معلوما من الدين بالضرورة. وليراجع ما كتبناه في مسألة عذاب القبر في المجلد الخامس

(٣١) كروية الارض - ومنه : هل يوجد دليل في القرآن الحكيم على ان الارض كروية ؟

(ج) ان الله تعالى أنزل القرآن هاديا للناس ومصلحا لارواحهم وميناهم ما يتفكر عليهم الوصول اليه بغير الوحي ولو أنزله ليبان احوال المخلوقات لكان الوفا من المجلدات ولكن فيما يذكره تعالى في الاستدلال على قدرته وحكمته ما يفهم منه أن الارض كروية كقوله تعالى « يُكَوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ » وقوله تعالى « يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا »

(٤) ليلة نصف شعبان - ومنه : هل ورد في ليلة النصف من شعبان والدعاء المختص بها أحاديث صحيحة يعمل بها

(ج) ان اتخاذ هذه الليلة موسما من مواسم الدين من البدع الحادثة في القرون المتوسطة وهذا الدعاء ابتدعه أحد الجهال وما يقولونه في فضائل الليلة غير صحيح وقد رأيت في التنبذة السادسة من رد شبهات النصارى على القرآن العزيز (في الجزء الثاني عشر) بيان خطأ القائلين ان ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي فيها قال الله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وإثبات ان هذه هي ليلة القدر المجهولة وان الامر بالحكم

هو أمر الوحي والشرعية لأنها الآية التي نزل فيها الكتاب المبين . وقد ذكرنا في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان سنة ١٣١٨ من (السنة الثالثة) بدع ليلة النصف من شعبان ومنكراتها وهي ١٥ بدعة وسادس عشرها الدعاء المعروف الذي لم ينزل الله به من سلطان . وذكرنا في موضع آخر من إقتدار الصلاة التي يروون استحبابها فيها من البدع باتفاق المحدثين والفقهاء ولا عبرة بذكر النزل إلى إياها في الأحياء بصيغة الضمف فلها مكذوبة لاضحية .

وأمثل ماورد في ليلة النصف من شعبان حديث ابن ماجه عن علي « إذا كانت ليلة النصف من شعبان تقوموا ليلا وصوموا نهارها » وهو حديث ضعيف إلا أن العباد عملوا به من زمن طويل وأكثر الفقهاء على أن الضميف يعمل به في فضائل الأعمال المشروعة في حبسها لأنه إذا لم يصح لم يكن العامل فداء بمنكر . وقد رآه فيه عبد الرزاق في مصنفه « قال الله يقول فيها الغروب الشمس إلى السماء فيقول : ألا من مستقر فأعقر له ألا من مستزرق فأرزقه : حتى يطاع التجرة قالوا أي ينزل أمره أو ملك بأذنه

أورد في شرح الأحياء ماورد في شعبان من الأحاديث وقول المحدثين في وضئها واختلافها ثم نقل ما نصه « وقال الخطيب أبو الخطاب بن دحية في (العلم المشهور) : حديث ليلة النصف من شعبان موضوع . قال أبو حاتم محمد بن حبان بن مهاجر يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث ألس فيها موضوع أيضا لأن فيه إبراهيم ابن إسحق . قال أبو حاتم كان يقلب الأخبار ويسرق الحديث وفيه وهب بن وهب القاضي كذب الناس : اه وقال النبي السبكي في (تهذيب التراجيح) الاجتماع أصلا ليلة النصف من شعبان وأصلا لرمعاب بدعة مذمومة : اه

وقال النووي : هاتان الصلاةان بدعتان موضوعتان منكرتان فيحتمل ولا تغفر بذكرهم في كتاب القوت والأحياء وليس لأحد أن يستدل على شرعيتها بقوله صلى الله عليه وسلم : الصلاة خير موضوع . فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من وجوه . وقد صحح أبي عن الصلاة في الأوقات المنكروهة . اه فأت وقد ذكر النبي السبكي في تفسيره أن إحياء ليلة النصف من شعبان بكفر ذنوب السنوالة الخفة تكفر

ذنوب الاسوع ولبلة القدر تكفر ذنوب العمر . اهـ

وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بنسبة يقرأ في كل ركعة منها بالفتحة مرة والاخلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة (يس) مرة ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله تعالى البركة في العمر ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة وذكروا ان من صلى هكذا بهذه الكيفية أعطي جميع ماطلب وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ولم أر لها ولا دعائها مستندا صحيحا في السنة الا انه من عمل المشايخ وقد قال أصحابنا انه يكره الاجتماع على إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة إنه قد أنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز . منهم عطاء وابن أبي مائة وفقهاء أهل المدينة وأصحاب مالك وقوا ذلك كأبدعة ولم يثبت في قيامها جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه شيئا واختلف علماء الشام على قولين . أحدهما : استحباب إحيائها بجماعة في المسجد وعن ذلك من أئمة التابعين قتادة بن دحيان وعثمان بن عامر ووالقهم اسحق بن راهويه والثاني : كراهة الاجتماع لما في المساجد للصلاة واليه ذهب الأوزاعي فقيه الشام ومفتهم . اهـ .
يسمى بقوله (أصحابنا) الحنفية . وإذا اطلق لبعض عباد التابعين إحيائها وزاد عليهم المتأخرون دعاء ما سار البدع التي ذكرها ابن الخليل في المختل فهل ذلك ينافي كون صلاتها وكل ما يسنن فيها بدعة مذمومة ؟ كلا انها بدعة زائدة في قيامها جعلها شعارا دينيا

(س) صيام رجب — ومنه : هل ورد في صوم ثلاثة أيام من رجب أو أقل قول

(ج) ورد في ذلك أحاديث موضوعة وواهي وقد ينال ذلك في المجلدين الثاني والثالث

فلتراجع فيها وربما سقنا تلك الاحاديث كلها في فرصة أخرى بالتفصيل

(س) التداوي بالخر — ومنه : إذا أمر أحد الأطباء المسلمين صريضا مسلما بشرب

مقدر من الخمر لاجل التداوي فهل يوجد مانع شرعي من ذلك ؟

(ج) اختلف العلماء في التداوي بالخر فمنهم مطلقا وأجازوه بعضهم بشرط

ان لا يقوم مقام الخمر غير ما في ذلك . وعن عرف حكما تحريم الخمر وأسبابه عن التداوي

الحقيق لا يتحقق فيه التحريم لانه لا يسكر ولا يضر ولا يكون سببا للمداوة والبقضاء ولا يصد عن ذكر الله ولا عن الصلاة . ولكن المؤمن الذي يصد عن المحرم بقدر الاستطاعة كئلا يأنس به وكمن متدين سوات له نفسه شرب الخمر بحجة التساوي مكاراة لشوردها الحفي بالشهوة ولم يكن هناك حاجة حقيقة الى التساوي بالخمر الآن تكون كفة يرمي بها فساق الاطباء : اشرب كذا لاجل تقوية المعدة : فيشرب المفرور فيتش فيستاد فيدمن فيكون من الفاسقين . ويضيع الدنيا والدين .

(س ٧) : المروءة بين يدي المصلي . ومنه : هل المروءة من أمام المصلي يبطل صلاته ويوجب عليه إعادتها وهل هو حرام أو مكروه كما شاع عند أغلب الناس ؟

(ج) ورد في الأحاديث الصحيحة الامر بأن يصلي المصلي الى جدار أو سارية أو ستره ولو عسا يقرضها أمامه ليعلم أنه يصلي . وورد في أحاديث صحيحة النبي عن المروءة بين يدي المصلي والامر بمداومة المار الراجاه حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو يعلم الناس بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه » رواد أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعقوب وغيرهم ومظاهر الهي والوعيدان ذلك حرام . وفي رواية لأبي حازم زيادة : ماذا عليه من لائم : وقيد أكثر العلماء ذلك بالمروءة بين يدي المصلي الى ستره وإن من قصر في ذلك لا يحترم بترك المروءة بين يديه وجوبا . ولظاهر أن ذلك ممنوع على كل حال قصر المصلي أم لم يقصر . وما بين يدي المصلي هو ما بين موقفه وسجوده وهو نحو ثلاثة أذرع وقد أخذوا هذا التقيد من أحاديث وردت فيه لاجل هذا لذكورها

وأما قطع الصلاة وبطلانها إذا مر بين يدي المصلي مار فقد وردت فيها روايات في أشياء مخصوصة ومما أخذوا به الجمهور وورد أنه بقي من بطلانها أن يكون بين يدي المصلي ستره مثل آخره الرحل . فيدعي للمسلم أن يصلي الى ستره وإن لا يمر بين يدي مصلي مطلقا . (س ١٠) : الصلاة بالليل . — اسماعيل أفندي ليب بمصر : نرجوكم الاجابة عما إذا

كان يحوز له صلى الصلاة بتماته (حرمته) أم لا وهل ثبت في السنة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد النعل وإذا ثبت فهل كان ذلك للضرورة أو للتشريع ؟ هذا ما نرجوكم التوصل بالاجابة عنه . يكون قبلكم فصلا بغير وبين منال آخره .

(ج) الصلاة في الثمان جائرة بالاجماع وقال المحدثون وكثير من الفقهاء بأنها السنة فقد روى أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهم عن أبي مسلمة سميد ابن يزيد قال : سألت أنسا أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ فقال نعم . وروى أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا جاء أحدكم الى المسجد فليُنظر فان رأى في نعليه قدراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما » وروى أيضاً من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اذا صلى أحدكم فليضع نعليه فلا يؤذ بهما أحداً ليجمعهما بين رجله وليصل فيهما » وروى أبو داود وابن ماجه عن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حافياً ومتمتعاً » وروى ابن أبي شبة بإسناده الى أبي عبد الرحمن الى ابن أبي ليلى أنه قال « صلى رسول الله عليه وسلم في نعليه فصلى الناس في نعالهم فخلع نعليه فخلعوا فلما صلى قال « من شاء ان يصلي في نعليه فليقبل ومن شاء ان يخلع فليخلع » قال الحافظ العراقي : وهذا مرسل صحيح الاسناد . وكان الصحابة عليهم الرضوان يصلون في نعالهم ولكنهم كانوا ينظرون قبل الصلاة فان رأوا فيها نجاسة مسحوا بها الارض حتى تزول عين النجاسة . قال ابن القيم قيل للامام أحمد يصلي الناس بنعالهم . وقال « إي والله » وروى أهل الوسواس اذا صلى أحدهم صلاة الجائزة في نعليه قام على عقبيه كأنه واقف على الحجر فعلم من هذا ان كلام الامرين جائز فليقبل المسلم في كل وقت ما يكون أيسر له

(س) قضاء الفرض مع نية السنة - ح. ح في قره طاغ (الجبل الاسود)

قد شاع أجبكم الله في بلدنا هذا كتاب (نجاة المؤمنين) بلسان التركية وهو من تصنيفات الحاج محمد أمين من علماء اسلامبول ونحن نجد فيه مسألة ماسمناها من علماء السابقين ، ولا رأيناها في غير كتابه المسمى بنجاة المؤمنين ، فلها حصل لنا شبهة في صحة هذه المسئلة وهذه صورتها بالتركية

مسئله سنتلري قضايتله قيلمق

جهله نك معلوميدركه فرض نماز لري ترك ووقتدن چيقارمق بيوك عصيان
وقضايه قائلش نماز لري قيلمق فرضدر قيامه ماس وتأخير بيوك عصيان وناقله
صلي ترك ايتك عصيان دكلدر وپويان اتفاقددر

خصوصيه اوزرنده فرض قضايي اولو بده قضايي اجزادن نافله نماز قيلسه
قبول اوليوب ثوابي اولماز رسولرك قول شرافي مجمع الفتاوى دن معلوم اولمشدر
كناري اوقويه لر ديمشدر وكناره هكداي: رجل عليه صلوۃ مفروضة لايجوز له
التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لايقبل الله تعالى نافلة حتى يؤدى
الفرائض » مجمع الفتوى: وفي المضممرات: سئل ابن نجيم عن عليه قضاء الصلاة فتوى
سنة الفجر والظهر والمصر والمغرب والعشاء عند قضاء فرض كل منهن هل يكون
تاركاً للسنة أم لا ؟ فأجاب لا يكون تاركاً للسنة لان المقصود منها ان تجزى صلاة في ذلك
الوقت غير فرضه رغباً للشيطان وقد حصل: وفي النوادر قال هذا أولى بعد ما حصل
هذا لانه وب رجل لا يقضي ما فاته من الفرائض ويصلي السنة فيستحق العذاب
ولا يستحق العذاب لو ترك السنة انتهى من (عيون البصائر شرح الاشياء والظواهر)
انبي كناره زيد بش وقت نمازى ازى اداي ايدرك اوقات خسه نك سنتلري
قضاى قلان نماز تربته تعيين ايدوب قيلسه قضايه قائلش نمازى اداى ايتس اولورمي؟
الجواب اولور: بوصورة مزبوره ده زيد قضا وسنت نماز لري ثوابه نائل اولورمي؟
الجواب اولور: مضممراتك فتاوى سي بودر (ديمشدر) زيد اوزرنده فرض قضايي
اولو بده قضائي قيامدن سنتلري قيلسه عذابه مستحق اولورمي؟ الجواب اولور:
بوصورنده سنتلري ترك اياسه عذابه مستحق اولورمي؟ الجواب اولماز (نوادرك)
فتاوى سي (عيون بصائر) دن: بوصور نلر ده زيد سنتلري قضاى قيلمق مراد ايتد كده
نه شكلى نيت ابده چكلدر؟ الجواب نيت ايدم اولكى اوزر يه قائلش صباح نماز يه
بو وقتك سنتي مقامه تكبير آله وسائر نماز لري دخي بو يله نيت ايدم - انتهى
كلام الحاج محمد أمين فى كتابه المسمى بنبجاة المؤمنين -

سنتجب كيف يمكن قضاء الفوائت وأداء السنة بصلاة واحدة فينال الرجل

فضاء الفريضة الذي فاته ولا يكون تاركاً للسنة وكل ذلك بعمل واحد نعم ان الله على كل شيء قدير ولكن ما تقولون أنتم رحمكم الله في هذه المسئلة لان من ان ذهب الى العمل بقوله ومن امن لم يذهب وليس فينا عالم يستيفظنا بحل المسئلة ولا كتاب كجميع الفتوى والتوادر وغيرها مما ذكره الحاج محمد أمين أقدي فلا نكاهو فرض عليكم في كل حين وأن ان تنهوا الغافلين من اخوانكم المسلمين بتحليل المسائل الشرعية ايها كانوا أرجو توضيح هذه المسئلة في مناركم في أسرع وقت لاتأملتظرون جوابكم كالبر ودينظر الشمسي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أفيدوا توجروا فوفوا بيمينكم
بسم الله الملك الباق

(ج) ما ذكره مؤلف كتاب نجاه المؤمنين هو المعروف في كتب الحنفية وقته ثبت ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نام مع أصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وأيقظهم حرها فصلاها بهم كما يصلها في وقتها - أذن بلال وصلوا وكفى بالسنة ثم صلوا الفريضة . والحديث في مسند الامام أحمد وصححي البخاري ومسلم وغيرهما وهو يدل على ان السنن الراتبه تقضى وأنها تقدم على الفريضة . وهنا مسألة أخرى وهي ان من فاتته فريضة بمذركوم ونسيان وجب عليه قضاؤها قبل فوراً وقيل على التراخي وقيل انها تصلى اداء ومن فاتته بغير عذر وجب عليه قضاؤها على الفور لا أذكر في ذلك خلافاً . فاذا كانت هذه القوائ كثيرة فلا معنى لصرف الوقت بالتفعل الذي معناه الزيادة على الفريضة وكيف تحقق الزيادة بدون تحقق الشيء الزيد عليه . وكيف يصرفه المكلف وقته في عمل لا يطالبه الله به بعد الموت ويترك فيه العمل الذي يطالب به ويعاقب على تركه ؟ هذا هو فقههم في الاقتصار على الفريضة ولكننا قيدناه بترك الصلاة لغير عذر . واما الفتحة في كونه يتأب على الفريضة ثواب السنة والفريضة جميعاً فهو من حيث الية فقط كأن البعد يخاطب ربه : يا رب اني أصرف وقتي هذا كله في الإيمانية اليك وفضاء ما فاتني مما فرضت علي وان نفسي متوجهة الى الزيادة والتفعل ولكنني بدأت بالأهم فأنتني على نيتي هذه بمضاعفة الأجر : واذا كان الأصل في الثواب هو تأخير العمل الصالح في إصلاح النفس وترقية الروح فلا شك ان الزيادة بالتفعل وهي صلاة السنة يكون لها أثر زائد على أثر الفريضة فلا يكون ثواب من يصلي السنة كواحد من ثوابها

ونوبها مع الفرض. وقد توسط علماء الشافعية فقالوا ان السفن التي تتداخل ويستغنى بعضها من الآخر هي التي لا قصد لقيام كسنة الوضوء وتحية المسجد فاذ اتوا انسان ودخل المسجد ووجد الامام متصفا ونوى الفريضة مع سنة الوضوء وتحية المسجد كان له ثواب الجميع لانه أدى الفرض من السنتين فان المراد ان يصلي الانسان بمسلك وضوء وعند دخول كل مسجد وقد فعل . واما الرواتب فهو فلا بد عندهم من فعلها لتحصيل ثوابها لانه مقصودة بذاتها والحكمة فيها تكميل ما يكون من التقصير في الفريضة فاذا فعل القلب في الفريضة عن الله تعالى دقيقة أو دقيقتين وحضر من هذه المدة في السنة كان ذلك جبرا لتمامه وتكميلا للفرض والله أعلم

اثان على المشيخة

في الهدايا والتقرنط

(النظام والاسلام) للشيخ ضطواي اسخو مري استاذ العربية في المدرسة الخديوية ولوح منج المظانة والحكم الدينية ، بالكلام في محاسن الكون الطبيعية ، وقد ألف في هذا كتابه (مزان الجواهر) و (جواهر العلوم) اللذين سبق لتأليفهما وبيان منزلة هذه الطريقة ثم كتب بعدها مقالات في ذلك جمعها محمد أفندي مسعود المحرو بلأثر وطبعها بمطبعة الجمهور فكانت كتابا صفحاته نحو ٣٢٠ من القطع اللطيف . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب ما حده :

ولقد حدثني شدة ولوعي وشوقي لمعرفة الكون ان جعلت أوقات الرياضة لأصرف ههنا الفكر للتأمل في مصنوعات الله جل وتلا . وقرأ تلك اللذة على ما سواه الطبع والتميز فكانت اذا هبت الريح في الخسوف أو بين أغصان الاشجار أو غردت بالأشجار وسمنت خريف ما الانوار تنقل في من تلك الاصوات ، فحلى من مياهم تلك الانوار اذ تهجد العلم وحكمة المبدع بالظهر بحس . وأبدع معنى ، من هذا كانت هذه الحواطر للودعة في هذا الكتاب الذي سميت (النظام والاسلام) ورتبته على مقدمة وثلاثة أقسام (القسم الاول) في جمال الكون ونظامه وميزانه اذ يتجلى لقاره كيف انظم

النبات ووزن بميزان حقيقي ويفهم السر المكنون المبرعته بالميزان في آيات كثيرة كقوله « ووضع الميزان » ونحوه وبهذا قرنت الإسلام بالنظام تذكيرا بأنه هو الذي أنيط به إلى النظر في هذه العلوم النظامية في الكون و (القسم الثاني) نموذج في كنية فهم قصص القرآن الشريف وما المقصود منها كسورة يوسف وسورة سليمان عليهما السلام مما يتساءل عنه الدارسون للعلوم المتشوقون للاطلاع وكيف تدعو تلك القصص إلى الملازمة والنظام كحكم سليمان وآداب يوسف الخلفية ليزداد المؤمن يقينا ووقن الشاكون من أخواتنا الشبان المسلمين (القسم الثالث) فيما يجب على الملوك والرؤساء والعلماء والحكام ودعاة الأمة والخطباء من الآداب السامية الكافية لنظامها كما انتظم الكون أجمعه بالنواميس العالية والملائكة الصافين

والكتاب يطلب من طابعه وعن النسخة منه خمسة قروش صحيحة

﴿ واقعة السلطان عبد العزيز ﴾

سبق لنا القول في مقالات (الترك والعرب) بأن اخواننا الترك قد سبقونا في هذه الايام بالاشتغال وتحصيل العلم ومن جملة مزاياهم العلمية تدوين تاريخهم على الطريقة الحديثة في تأليف التاريخ وهي بيان الحوادث بملأها ونتائجها وبيان العبرة فيها . ومن الكتب الحديثة في ذلك كتاب (واقعة السلطان عبد العزيز) وضعه بالغة تركية أحمد صائب بك الكاتب التركي المشهور في مصر وبعد ان طبع بالتركية عربيه محمد توفيق أفندي جانا وطبع بالعربية . وقدمه مؤلفه للكلام في السلطان عبد العزيز تمهيدا بين فيه ما توجه إليه السلطان سليم الثالث من إصلاح الحلل الذي طرأ على الدولة العثمانية من أول القرن الحادي عشر (الهجري) وما وضعه لذلك من القوانين واقتواعد الوافية بذلك ثم ما قام به بعده السلطان محمود من اصلاح الجيش ووزلة التفاليد الزمنية بتغيير زي رجال الدولة في اللبوس ثم ما وضع على عهد السلطان عبد الحميد من قواعد المساواة بين الرعية . ثم بين أن كل ذلك لم يؤثر في نهوض الدولة تحت ألقائها لسببين احدهما معارضة الروسية للدولة وانيهما إهمال المعارف . ثم تكلم عن أحوال الباب العالي في عهد السلطان عبد العزيز وعن الصدور العظام في زمنه والأسراف والثورات الداخلية في عهده وبين بعض فضائل هؤلاء بشا وخالى باشا أعظم صدور الترك في هذا العصر

(رحمهما الله تعالى) وماتشأنا به من أمور الإصلاح. ثم ماقام به محمود بن بشاشا الداماد من التخريب وإهذه الحال حذار أقيم وركن في خدمة الروسية. ثم بين في فصل آخر سوء حال الادارة في آخر مدة السلطان عبد العزيز. رأي عدم موت علي وفؤاد وفيه السلام عن تربية أولاد الاسرة الملكية. وعن صدارة مدحت باشا وخدمة حسين عوني باشا للمصريين وعن أحوال الناية ومن ذلك أن الدولة افترضت في مدة إحدى عشرة سنة ٥ ما يرات ٥٧١ مليوناً و ١٠٠ ألف فرنك. ثم تكلم عن سمي اغنايف سفير الروسية في الاسكندرية بالسلطان بمساعدة محمود بن بشاشا ونجاحه في ذلك وعن الحائل الذي جرى في الدولة بدستور هذا السفير البارز الصادق في خدمة دولته وعن تأليب هؤلاء القبايل لذلك وعن المظبوطات والجراند والمطابع وتأليب حزب المثاليين لحرار وأوطم الامير مصطفى فاضل باشا المصري وعن القصر السلطاني وحال النساء فيه وعن تكلم السلطان عبدالعزیز به ما طمحه وعن سوء استعمال الامتيازات التي منحت لغيره وغير ذلك. ثم بعد ذلك كله استغنى لي سمي مدحت باشا في مقاومة هذا الاستبداد وظفر ما أجبر الخلع السلطان وتملية السلطان مراد.

من قرأ الكتاب لا يشك في أن الكتاب منجز لتصدق محب محاسن دولته وجنسه وقد انتقدنا استبداد الذي قضى أن يكون سر الحوادث والوقائع فيه قليلا أما التعريب فسهل منه ومن راى في هذا كتابا لا يخفى على العارف وثمن النسخة منه عشرة قروش وهو يطلب من ادارة مديرية الشورى اربع بنده.

﴿مراي الامه القبطية﴾

انتقد شاب فيلور رؤساء الدين في ملائكة فيلات شربها في عصر آخر اندايونية ثم رأى أن يجمعها ويترجم عليها ويضرب ثلثه في يومه (الكتاب) في الامسية بطاوع عليها (الكتابات) وقد صدرت الطبعة الاولى منها فلم يمس كتاب على ملافه أن ينكون مجموعها ١٤ نسخة وقد قرأها فلما أن هناك طبعة خفيفة كان يندرج منه وليس لانها المسك في جزيات هذه الشكوى وانما انظر في هذا الكتاب انما انما فنقول ان انتقادنا لهذه الأمة لتقاليد الرؤساء ونصير فهمهم من ملامات الحيرة فيها وان تلقى الجماهير لهذا الانتقاد بالاستحسان والقبول فربما نرى ان احبنا

متسكة ومقابلتهم إياه بالسخط والاستهجان من أمارات ضعف الحياة وان لنا في
نهضة القبط الحديثة رأيا نثمره في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى . ونحن
النبذة من هذه النبذة نصف قرش وهي تطلب من المكتبة الشرقية ومن كاتبها
توفيق أفندي حبيب

﴿ مضار الزار ﴾

الزار بدعة من أقبح البدع التي تحدثها الزغات الوثنية والاعتقادات الخرافية
كاعتقاد دخول الشياطين في أجسام الناس واحداث الأمراض فيها وتعالجها عن
الخروج منها بالأسرار الشيوخ التي تستجد بها شبيخة الزار في حفلة التي لا تعرف
في غير هذه البلاد الموبوءة بالشيوخ والشيوخات والبدع والخرافات

كان القلاء يمتقون بدعة (الزار) ، وأهل الدين يشكرون ما فيها من الأوزار ،
ولم يكن الاكثرون يعرفون منها الا محملا من قبائنها ، ورموزا خفية من
فضائليها ، لأنها من أسرار النساء المكتومة ، ومكايدهن المشومة ، التي استعبدن
بها الرجال ، وأفسدن بها علمهم الدين والعرض والمال ، حتى شمر في هذه
الايام عن ساعد الجد والاجتهاد الشاب الشيط محمد حلمي أفندي زين الدين
مترجم ديوان الاوقاف وكشف الحجب والاستار ، عن تلك الحجابات والأسرار ،
لجمع الى ما اكتشفه بعض الناس من قبله ما لم يكتشفوه وأود . ذلك كله في قصة
سمها (رواية مضار الزار) بين فيها كيف تسوي شبيخة الزار أفئدة النساء الى
هذا العمل الذميمة حتى تقتلك بهن الاوهام ، فتك بدايته الامراض ونهاية الموت
الزؤام ، وذكر في آخر القصة الاناشيد التي ينشدونها في حفلة الزار وهي جديرة
بأن تكون قنينة للنساء الجاهلات ومؤثرة في نفوسهن الضعيفة ، وعقولهن
السخيفة ، وربما نثرها او غودجا منها في باب السدع والخرافات من جزء آخر
وقد طبعت هذه القصة المفيدة على ورق جيد وثمن النسخة منها نصف قرش فقط
(الدمار) جريدة اجتماعية اسبوعية يصدرها في الاسكندرية الشيخ شاهين
الحازن والشيخ نسيم المازار وغرضها الاول خدمة السوريين والمدافعة عن
حقوقهم والمثبات أهل لذلك فيما نعرف عنهم والسوربون أجدر بالقيام بحقوق من يخدمهم
فتعني لارصيفة الجديدة ما تستحقه من الرواج والانتشار وقيمة الاشتراك في ١٣١٣ فرنكا

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الدينية والوطنية

كتب اليانصيبنا سمع بك خلط من وجهاء طرابلس الشام ما ياتي (تاخر وروده ثم نسره)
مولاي الجبهذه الهمام

أمسكت الكتابة عن سيدي امدأ كاذ يكون في نظري دهرأ وأنا كما علمت فيعني
الشوق ويقعدني كل يوم اليه وذلك لاني كنت أسوف اللقاء وأعلل النفس بقرب الملتقى،
في ربوع ظللها الصفا، وتحت سماء خلت من أكدار العاذل والريب، وكنت أقول
لنفس المشتاق: عنك ومشقة الكتابة مادام لك في مقامز الارواح، ما بقي عن مراسلة
الاحباب، لكن وقد طال لهذا الآن الموعد خفت ان يحسب السكون لدى مولاي مالا
او نكرانا لجليه في تقيظ رحلي في غربي أوربا جئت الآن وأنا في أعالي لبنان بين
رياض وغياض حيث الهواء بليل والمساء نغم ابته اشواقي وأنفحه من خالص التحية
ما ينفعني المكان من خالص النعم وأبدي اليه امتناني وأشهد القرباس على شغفي
به واشتياقي اليه ولي فيما عدا ذلك باعث يحماني لوسمح سيدي ان أشرح له إعجابي
بما حواه مناره الاسنى من جلائل المواعظ القميين بها والمحتاج اليها أهل العصر عموماً
والاسلام خصوصاً فلك يا مولاي لم تأل جهداً في تقويم ما اعوج من افان العباد
ولم ترهب من تفرع من شطوا فيها عن سواء السبيل حتى استغايك من القوارير هات أو
حادوا عن محجة الدين القويم فلا سد فوك، ولا ماش من يشنوك، انما لي عليك سؤاله
عساك لا تستنكر مسدوره من عاجز مثلي يشفع به علم الجميع بانني لم أبلغ عمري غير
تمكين الوثام وتوثيق الالفه وإعلاء منار الجامعة الوطنية لاني منذ بلوغني الرشد (اذا
كنت للآن رشت) رأيت وخبرت ان مصيبة الشرق وبلادنا على نوع أخضر انما كانت
وتكون أبداً ندر في ظل المذاهب والاديان فلو أريد تسويد دين على آخر أو تعميمة وجمع
العالمين في كنفه ليم هناء لناس كازعم البعض لكان المطلب وعراً لأسباب حجة أخضها ما جاء
في نص «ولو شاء ربك» الخ وما علم بالاختبار الطويل العريض من ان الانسان حايض التخاذل

وولوع بالخلف وشتات الآراء وان من المستحيل اجتماعه على رأي واحد فيما سوى النظريات
فما معنى القول إذن بالجامعة الدينية وتحيل اعتبارها من الممكنات والأعراض عن الجامعة
الوطنية المبسورة والمشهود لها قديماً وحديثاً بأنها داعية العمران ومصدر القوة
والخضارة

فن لي مثل منارك المضي في ظلمات الأفهام أن يزين للقوم فضائلها ومنافعها أن يحجر بالقول
« أن مارام في الوطنية » بقطع النظر عن اختلاف الأديان ما يقوم بما أنزل الرحمن من وجوب
الألفة والصفقة بين الناس والتساوي واحكام القسط بينهم وتكليفهم للذب يدأ واحدة عن
أعراضهم ومرافقتهم وفيها إعلاء شأن من يحسن صنعاً ولو كان من أحطهم قوماً وأخسهم محتداً
تكرن في منارك يامو لا ي فعلت ما أنت أهلهم من الاحسان وكسرت قيوداً طاماً ان منها وبأشني
الشرق فان أشئت ادراج كتابي أو ما يخصه في منارك الأغر وأملى أظنك فاعلا رجوت الانجاد
إذا لاح لك عقبيه وكان لا تذاك بي من مكان » اهـ

(المنار) نشكر للصدوق الفاضل وفاهه ؛ ونحمل عليه حمده وثنائه ؛ ثم نشكر
له هذا النصيح الذي تجلّى بلسان السائل ، وقلب الحب الخاص ، ولو كان الصدوق
قرأ جميع أجزاء المنار واستقرأ ما كتبه في الجامعة الدينية والوطنية لوجد فيه
جواب سؤاله ، أو العمل بنصحه وإرشاده . ولا بد لي من كلمة وجيزة أقولها الآن
الجامعة الدينية لاتتافي عندنا الجامعة الوطنية بل تستلزمها كما أوضحنا ذلك في
مقالة عنوانها (الخيرية والدين الاسلامي) ولا يتعد الداعون الى الجامعة الاسلامية
أن يجعلوا جميع الناس مسامعين فيقال لهم محضون في انظر العقل وانص قوله تعالى
« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » وانما هم يدعون المسامعين
الى العلم والمدينة الفاضلة التي لا حش فيها ولا فسق وعجرفة غسبرهم من أهل المال في
فنون العلم والعمل فانهم على كونهم المنصر الأقوى في الشرق الأدنى قد أصبحوا
وراء جميع العناصر في هذه الفنون ويحتج الاكثرون منهم على عدوة العلم والدين
فوجب أن يجاوبوا من طريق الدين . وأن يدعوا باسم الدين . فانه صاحب السلطان الأعلى
على نفوس هؤلاء المتخلفين ، وتكلمه بسود كيميس الفرومة سلبوا (الكلمة لأمبر
المؤمنين عاب كرم الله وجهه) فتركروا معه وفيه وجعلوا سبب الجهل وداعة التفريق وآلة

الاستلاء والايذاء بعد ان كان في أول نشأته سبب العلم وداعية الوفاق وآلة العدل
 والمساواة بين جميع الناس وللأهرام كلمة حق تقوها دائماً وهي : ان الشرق لا يرتقي
 إلا برقاء المسلمين : وللمعتكف كلمة حق قالها وهي : ان المسلمين لا يرتقون إلا بعد
 الإصلاح الديني : وذكر هناك ان النار داعية لهذا الإصلاح وان صاحبها من زعمائه
 فالنار مشتعلة بدعوة المسلمين الى الاسلام لا بدعوة النصارى وغيرهم اليه . وانما
 يردشبهات دعاة النصرية التي ينشرونها في كتبهم وجرائدهم المنتشرة لانه اعتداء يجب في
 اعتقاده رده لانه معارض له في دعوته وبين في محاسن الاسلام ويرغب فيها من غير ايذاء لاحد
 فذا قال الصديق : اذا كانت الجامعة الوطنية من لوازم الجامعة الاسلامية فلماذا
 لا يدعو النار اليها بالتصریح ؟ قاني اذكره أو اذكره لاني لم أقصر في ذلك ولكنني
 أكثر منه في السنة الأولى أيام كان المنار منتشر بين أهل الوطن الذين هم في
 أشد الحاجة الى الوفاق والتعاون حتى لا يفي بعض المسلمين المتحمسين ولم يعضدي أحد
 من غيرهم . وأقلت من ذلك بعد منع المنار من تلك البلاد وانتشاره في بلاد أفرط
 فيها أحداث دعاة الوطنية حتى خرجوا عن الوطنية . لاختلاف ولا تراعى في هذا البلاد
 بين المسلمين والنجباء باسم الدين ولكن بعض الأحداث يحرزون المصريين عامة على
 عداوة السوريين خاصة وهم من أبناء لغتهم وأتباع دولتهم والمساوين لهم في قوانين
 حكومتهم وذلك بعد ان استوطنوا بلادهم وخدموها خدمة علمية أدبية لم يخدموا
 أنفسهم بتأملها ولا حاجة هؤلاء الأحداث إلا أن السوريين ليسوا بوطنين وانما هم
 (دخلاء) فان كان الوطني في عرفهم هو من ثبت اتصال نسبه بالفراعة فالواجب عليهم
 ان يخرجوا منها أمراءها وأكثر أهلها . والا فليقبلوا ان الدخيل هو الاجنبي عن
 لغتك وحكومتك الذي لا يخضع لقانونك ولا لشريعتك والذي يتعشروا بلادك فيحولها
 الى بلاده ليفي من حيث تقتدر ويعز من حيث تذل

المنار يدافع عن الاسلام . ولا ينسى الوصية بالوفاق والوئام . وانه يرى
 المسلمين أقرب الى معنى الوطنية الصحيحة من غيرهم فهذه جرائد المسيحيين حتى
 الدينية البحتة منها يشترك فيها المسلمون بالملئات والالوف وقد وجد للاسلام جريدة
 واحدة أو مجلّة (وهي المنار) فلم نجد في المسيحيين عشرة نفر يشتركون فيها مع

بوتني الحكمة من بناء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فسر عادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأنتك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر - السبت ١٦ رمضان سنة ١٣٣١ - ٥ ديسمبر (١٤) سنة ١٩٠٣)

باب الاخبار النبوية

(زكاة الفطر)

زكاة الفطر هي أول زكاة فرضت على هذه الأمة وهي أخف الزكوات وأيسرها لأنها عبارة عن قيام كل واحد زيادة عما يكفيه في يوم عيد الفطر بكفاية واحد من المسلمين طام ما يكفيه في ذلك اليوم . وهي منسوبة الى الفطر لأنها تجب به أي بالفطر من رمضان كله وذلك بالدخول في ليلة العيد وقيل بطلوع غجره وقال بعض العلماء ان المراد بالفطر الفطرة والحلقة لأنها تجب على الواجد الذي لم يصم لسد أو لتبخر عذر ويجب على المكلف ان يخرجها أيضاً عن أولاده الصغار الذين لا يصومون . والصواب الاول والحكمة في وجوبها على من ذكر ظاهرة فانها شرعت لكفاية جميع الفقراء وإغنائهم عن ذل السؤال في يوم العيد الذي هو يوم خيافة الله تعالى للمؤمنين فلما دخل في الفقراء أطفاهم وجب على الأغنياء ان يزكوا عن أطفاهم أيضاً وكذلك السيد يخرج زكاة الفطر عن عبده وقالوا ان الصغير اذا كان ذا مال فانها تجب في ماله ويخرجها الولي وان كان أباً والا أخرج عنه من مال نفسه وقد ورد انها كفارة للصائم تكفر عنه ما عساه يقع منه مما ينافي بحكمة الصيام فهي كالرواتب للصلاة تجبر ما يقع من التقص فيها . ولتذكر ماورد في مشروعاتها وأحكامها من الاحاديث الشريفة

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم .

(٢) عن أبي سعيد قال « كنا نخرج زكاة الفطر اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : إني لأرى مدین من سمراء الشام يعدل صاعاً من تمر : فأخذ الناس بذلك » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وزاد من عبد البخاري : قال أبو سعيد

فلا أنزال أخرجه كما كنت أخرجه :

(٣) وعن أبي سعيد أنه قال « ما أخرجنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صاعا من دقيق أو صاعا من تمر أو صاعا من سلت أو صاعا من زبيب أو صاعا من شعير أو صاعا من أقط » رواه الدارقطني عن ابن عينة عن ابن عجلان عن عياض ابن عبد الله عنه وفيه « قال ابن المديني لسفيان ابن عيينة : يا أبا محمد ان أحدا لا يذكر في هذا الدقيق : فقال بلى هو فيه . أورد الحديث صاحب متنى الاخبار وذكر ان الامام أحمد احتج به على إجزاء الدقيق وقد ورد ذكر الدقيق في غير هذه الرواية وطعن الجمهور في روايتها وقد قال أبو داود في سننه ان ذكر الدقيق وهم من ابن عينة

(شرح الانماط) الطعام في الحديث الحنطة لانه الثالب فيها عرفا عن العرب كالكال في الابل ويصرف اللفظ الى ما غلب استعماله فيه عند الإطلاق ولكن روى البخاري وغيره عن أبي سعيد أنه قال « وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » ولذلك ذهب ابن المنذر الى ان ذكر الطعام مجمل فسرّه ما يسهده من تعدد أصنافه ولكن نظم الحديث يأبى هذا وان كان لفظ الطعام يشمل ما ذكر لانه في الاصل ما يطعم ويداق . وقوله حتى قدم معاوية : زاد مسلم « حاجا أو مضمرا وكلم الناس على المنبر » وسمراء الشام حنطتها . وقد بين النووي ان قول معاوية هذا ليس بحجة لانه رأي له لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولذلك لم يأخذ به أبو سعيد راوي الحديث . والأقط بتثنية الهمة مع سكون القاف وبتثنية القاف مع فتحها هو الحين يتخذ من اللبن الحامض غير منزوع الزبد والملت بالضم نوع من الشعير أملس كالحنطة ولكن برودته وطبعه كالشعير

أما الصاع فهو خمسة أرطال وثلاث عراقيه كما قدره الامام مالك وعليه الحجازيون وعامة أهل الحديث وقال الحنفية انه ثمانية أرطال لان الصاع الذي يتعامل به أهل العراق كذلك ولكن أبا يوسف رجح أخيرا عن قول أبي خيفة الى قول مالك لما ناظره ووقف على حجته . روى الدارقطني والبيهقي عن اسحق بن سليمان الرازي انه قال قلت لمالك ابن أنس : أبا عبد الله كم قدر صاع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال

خمس أرتال وثلاث بالراقي أنا حزرته : فقلت : أبا عبد الله خالفت شيخ القوم قال من هو ؟ قلت أبو حنيفة يقول ثمانية أرتال . فغضب غضباً شديداً ثم قال لجلسائنا : يا فلان هات صاع جدك يا فلان هات صاع عمك يا فلان هات صاع جدتك . قال اسحق فاجتمعت أصع فقال : ماتحفظون في هذا ؟ فقال هذا : حدثني أبي عن أبيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال هذا : حدثني أبي عن أخيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر : حدثني أبي عن أمه أنها أدت بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال مالك : أنا حزرته هذه فوجدتها خمس أرتال وثلاث . واهمري أنه لا يقدم على قول مالك قول في مثل هذه الأمور التي احتبرها بنفسه في مدينة الرسول عليه السلام مع قرب العهد وهذه الأرتال تبلغ ست مئة درهم وثمانين وخمس أرباع درهم من الحطة وهي قدحان من أقذاح مصر

(وقت اداء الفطرة)

(٤) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بركاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس الى الصلاة رواد أحمد والشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه . والمراد بالصلاة هنا صلاة العيد وذلك أن الغرض منها كفاية الفقراء في ذلك اليوم وروى ابن خزيمة أن قوله تعالى « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » نزل في ركاة الفطر وصلاة العيد ورفع ذلك الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو لا ينافي عموم الآية وأن تزكية النفس وتطهيرها يكون بغير ركاة الفطر من النضال والأعمال النافعة كما يكون بها .

(٥) عن ابن عباس قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ركاة الفطرة طهرة للأصنام من الفلوس والرفث وطعمة للمساكين فن أدائها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أدائها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات : رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه . وهو يدل على عدم جواز تأخير أدائها عن صلاة العيد ولكن الجمهور على أن أدائها قبل صلاة العيد هو الأفضل ولا يجوز تأخيرها عنه الى آخر النهار وإنما هو على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد

والحديث حجة قائمة لا ينبغي ان يتهان به لقول أحد

وقد جوز بعض العلماء تقديمها على يوم العيد وقال بعضهم انها كالصلاة لا تقدم على وقتها كما انها لا تؤخر عنه . والمروي في البخاري انهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين وبه قال أحد وعده تمجيلا وروي أيضاً عن مالك وذهب الشافعية الى جواز اخراجها من أول رمضان وتوسع آخرون فقالوا يجوز اخراجها قبل دخول رمضان وذلك انهم أدخلوا فيها القياس وقد علمت ان ذلك ينافي حكمة إغناء المساكين في يوم العيد عن السؤال فقد روى البيهقي والدارقطني عن ابن عمر انه قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال « أغنوهم في هذا اليوم » وفي رواية للبيهقي « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » وأخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث عائشة وأبي سعيد . فمن وفقه الله لاتباع السنة يتحرى اخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد فان رأى في ذلك مشقة أو في التمجيل مصلحة فليخرجها قبل العيد بيوم أو يومين اتباعاً

واختلف العلماء في مسائل أخرى من أحكام زكاة الفطر فذهب الشافعية الى أنها تجب من القوت الثالب في كل بلد ولذلك يتعين في مثل هذه البلاد التمعن رخص ثمن أو غلا وغندهم قول ثان وهو انه يجب على كل أحد ان يخرجها من غالب قوته هو وان لم يكن غالب قوت البلد وقول ثالث وهو انه يخرج في الأجناس المخصوصة وقد رأيت في النصوص أنهم كانوا يخرجونها عما يأكلون ولا أرى من يرسل الى الفقير في صيغة العيد شيئاً من الحبز والاحم والحلوى الا عاملاً بما ورد ومتبناً للسنة لاسيما مع ملاحظة ان نفوس الفقراء والمساكين تشوف في يوم العيد الى أكل الواجدين الموسرين ولذلك نرى الذين ترسل اليهم زكاة الفطر من الخنطة يدخرون ما يسطون ثم هم يعطون في يوم العيد على الأبواب يسألون الموسرين الطعام . فان قال الفقهاء : انا تعبدنا بتلك الاصناف المذكورة في الحديث فلا يحل لنا ان ننظر في المقصود منها ففعل به : يقول ان ظاهر الحديث التحيير بين الاصناف فعليه ان لا يقيسوا عليها من الأقوات وان لا يجيزوا استبدال غيرها بها ولا دفع قيمتها واختافوا أيضاً فيما يملكه من نجيب عايه زكاة الفطر فقياسها بعضهم كالحنفية

على الزكاة وقال أنها لا تجب على من لا يملك نصابها وهو قياس مع الفارق لأن زكاة الأموال وهذه زكاة الأبدان ولهم حديث عام في الصدقة معارض بما هو أقوى منه . وذهب مالك والشافعي وأحمد إلى أنها تجب على من يملك ما يزيد عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقتهم يوم العيد وليته عملاً لا يطلاق أحاديث الوجوب واعتباراً بما ورد في تمليها من أنها « طهارة للصائم » كما تقدم في حديث ابن عباس وقد قالوا إن الحاجة تختلف باختلاف طبقات الناس فلا تجب زكاة الفطر إلا على من عنده فضل مما يليق بأمثاله في طعامه وشرابه ولبوسه وما عونه وأثاثه .

وهو ظاهر لا غبار عليه

هنا ما ذكره فتحا لباب النظر في السنة وتحريمها في العمل والاعتبار بحكم الدين والتفقه فيه . وإن خطباء المساجد يبنون في خطبة العيد أقوال أهل المذاهب الأربعة لمقلديهم . وقد أشرنا إلى بعض الخلاف بينهم ومن أهمه أن الحنفية على اعترافهم بأن الفطرة تجب في الطعام وموافقتهم للآخرين في أن الحنطة في مثل هذه البلاد هي القوت الطالب الذي ينبغي اعتباره في هذه الزكاة أجازوا أن يقدر ثمن نصف الصاع من البر ويعطى للفقير هكذا وقالوا إن هذا أفضل لأنه أنفع وقد أطال الغزالي في الأحياء البيان في رد هذا القول . والاحتياط أن يتحرى الإنسان موازنة الأئمة في اتباع السنة ولا خلاف بينهم في جعل زكاة الفطر من الحنطة والله أعلم



﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الخامس والثلاثون) : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أُرشد المستفتين كصاحب الشجة بالسؤال عن حكمه وسنه فقال « قلوه قلهم الله » فدعا عليهم حين اقتوا بغير علم وفي هذا نهجهم الإفتاء بالقليد فإنه ليس علماً باتفاق الناس فإن ادعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قاعله فهو حرام وذلك أحد أدلة التحريم . فما احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم والله الموفق .

وكذلك سؤال أبي الع سيف الذي زنى بامرأة مستأجرة لأهل العلم فانهم لم أستجروه بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البكر الزاني أقبره على ذلك ولم

ينكره فلم يكن ثم سؤالهم عن رأيهم ومذاهبهم .

(الوجه السادس والثلاثون) : قوالهم ان عمر قال في الكلاله : اني لا استحي من الله ان أخالف أبا بكر : وهذا تقليد منه له فجوابه من حجة أوجه .

(أحدها) أنهم اختصروا الحديث وحذفوا منه ما يبطل استدلالهم ونحن نذكره بتمامه . قال شعبه عن طاسم الاحول عن الشعبي ان أبا بكر قال في الكلاله : أقضي فيها برأيي فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فني ومن الشيطان والله منه بريء هو مادون الولد والوالد : فقال عمر بن الخطاب « رض » اني لأستحي من الله ان أخالف أبا بكر : فاستحي عمر من مخالفة أبي بكر في اعترافه بجواز الخطأ عليه وانه ليس كلامه كله صواباً ما مؤنا عليه الخطأ ويدل على ذلك ان عمر بن الخطاب « رض » أقر عند موته انه لم يقض في الكلاله بشيء وقد اعترف انه لم يفهمها .

(الوجه الثاني) ان اخلاف عمر لا يبي بكر أشهر من ان يذكر كما خالف في سبي أهل الردة فسباهم ابو بكر وخالفه عمر وبلغه خلافه الى ان ردهن حرائر الى أهلهم الا من ولدت لسيدها مهن وتقض حكمه ومن جاتهن خولة الحنفية أم محمد ابن علي فأبن هذا من فعل المقادين بمتبوعهم . وخالفه في أرض العوة فقسمها أبو بكر ووقفها عمر . وخالفه في المفاضة في المعطاء فرأى أبو بكر انتسوية ورأى عمر المفاضة . ومن ذلك مخالفته له في الاستخلاف وصرح بذلك فقال : إن استخلف فقد استخلف أبو بكر وان لم استخلف فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف . قال ابن عمر : قواله ما هو الا ان ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغت انه لا يبدل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً وانه غير مستخلف فكذلك يقول أهل العلم حين تعارض عندهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول غيره لا يبدلون بالسنة شيئاً سواها لا كما يصرح به المقلدون صراحاً وخلافه له في الجدة والاخوة معلوم أيضاً .

(الثالث) انه لو قدر تقليد عمر لا يبي بكر في كل ما تاله لم يكن في ذلك مستراح للمقلدي من هو بعد الصحابة والتابعين ممن لا بد في الصحابة ولا يتارهم فان كان — كزعمهم — انكم اسوة بعمر فتادوا أبا بكر وانتركوا تقليد غيره والله ورسوله

وجميع عبادہ يحمدونكم على هذا التقليد مالا يحسدونكم على تقليد غير أبي بكر .
 (الرابع) ان المتقليدين لا تمنعهم من استحيوا من استحيي الله عمر لانهم يخافون
 أبا بكر وعمر معه ولا يستحيون من ذلك نقول من فاندوه من الأئمة بل قد صرح
 بعض غلاتهم في بعض كتبه الأصولية انه لا يجوز تقليد أبي بكر وعمر ويجب تقليد
 الشافعي في الله الموجب الذي أوجب تقليد الشافعي حرم عليكم تقليد أبي بكر وعمر
 ونحن نشهد الله شهادة نسأل عنها يوم نقاد انه اذا صح عن الخاتمين لرashدين
 اللذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهما والافتداء بهما قول وأطبق
 أهل الأرض على خلافه لم نلتفت الى أحد منهم ونحمد الله ان عفانا مما ابلى به
 من حرم تقليدهما وأوجب تقليد متبوعه من الأئمة وبجملته فلو صح تقليد عمر
 لأبي بكر لم يكن في ذلك راحة لمقدي من لم يضر الله ولا رسوله بتقليده ولا جملة
 عيارا على كتابه وسنة نبيه ولا هو جعل نفسه كذلك .

(الخامس) ان غاية هذا ان يكون عمر قد قد أبا بكر في مسألة واحدة فهل في
 هذا دليل على جواز اتخاذ رجل بعينه بمنزلة نصوص اشرار لا يثبت الى قول من
 سواء بل ولا الى نصوص الشارع الا اذا وافقت قوله فهذا والله هو الذي أجمعت
 الامة على انه محرم في دين الله ولم يظهر في الامة الا بعد فراض اقرون الفاضلة .
 (الوجه السابع والثلاثون) : قولهم ان عمر قد لا يكره رأيت رأيك تبع :
 فالظاهر ان المحتج بهذا سمع السامس يقولون كلمة تسكت في المائل فقطصر من الحديث
 على هذه الكلمة واكتفى بها والحديث من أعظم الاشياء ابطلا لقوله .

ففي صحيح البخاري عن طارق بن شهاب قال جاء وفد براخمة من أسد وغطفان
 الى أبي بكر يسألون الصالح فخيرهم بن الحرب الحلبية والسلم الحزبية . فقالوا : هذه
 الحلبية قد عرفناها في الحزبية قال نزع منكم الخلفة والكرع ونفتم ما أصبنا لكم
 وتردون لنا ما أصبتم منا وتدنون لنا قتلانا ونكون مثالا في النار وتركون اقواما
 تتبعون اذ ذب الابل حتى يري الله خبايا رسوله وانما جبرين ولا هاراه رايدونكم به :
 فعرض أبو بكر ما قال على القوم . فقال عمر بن الخطاب فقال قد رأيت رأيا سنشير
 عليك اماما ذكرت من الحرب الحلبية والسلم الحزبية فتم ما ذكرت وما ذكرت من

ان نعم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فعم ما ذكرت واما ما ذكرت من ان تدون
من قتلا وتكون قتلا كفي النار فان قتلا لا تقتل نفقات على أمر الله اجورها على الله لها
ديات ه فتتابع القوم على قتال عمر فمنا هو الحديث الذي في بعض النسخة: فت رأينا
ورأينا رأيت تبع نخي، سراج في هذا القيد

باب السؤال والتوى

وردت علينا الاسئلة الثلاثة لآية من الشيخ محمد نجيب افندي ابن الشيخ شمس الدين
محمد المدرس بالمدرسة الشمسية في تونار (الرومية) فذكرناها فيها واخصرنا في جوابها
لتسبق لتامن القول في مدحه على الاسئلة الثلاثة فلذا فيها

(المسئلة الاولى وقت الاسراء)

(المسئلة الاولى) ان المضامين المتخالفين اعترض على آية الاسراء فقال
ما حاصله ان المسجد الأقصى كان خرابا في ذلك الوقت بشهادة التواريخ
الاسلامية فكيف يصح قوله تعالى وسبحان الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الأقصى «لا آية انتهى» وقد خطر في خاطري في
الجواب عنه (أولا) ان المسجد الأقصى كما يطلق على بناءه يطلق على محله
والمحل باق البتة الا ان يشكك به ما وقع في حديث آحادي من ربط البراق
في حلقة الباب وهو عندنا لا يثبت البناء الا الى المحل والآية تحتمل لمعنيين
(وثانيا) ان أمر المخرج من الاسراء ليس من الامور العسادية لكونه من
المعجزات فهو وان كان به حاشا وجبائنا عندنا الا انه ليس بجسماني عادي
بل هو شبيه بالروحاني وانه من انوار النبوة ويحصل فيها ما لا يحصل في
غيرها وقد روي في الخبر ان النبي عليه السلام رأى ليلة المعراج طوفان
نوح عليه السلام ونار فرود آية ائمة وآية اس عليه السلام في بطن الحوت

من الامور الماضية ، وأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار من الامور الآتية ، بحيث كشف بجميع تلك الامور الحادثة وما يحدث باوقاتها لكونه صلى الله عليه وسلم منخلما عن قيد الزمان عند هذا الحال فحضر الجميع عنده باوقاته فلا يبعد ان يكون رأى المسجد الأقصى بوقت معمرته عند هذا المكان وان لم يره المحبوس في مطبوعة الزمان ولا مانع من تصديقه من جهة العقل أيضا بعد الايقان بأنه من المعجزات لأن شأن المعجزات يكون هكذا فوق طور العقل وانما حظ العقل منه العلم بامكانه وهذا يكفي للإدعان له . واما تعقل المعجزات فهو ليس من وسع العقل بل هو بمنزل عنه ولا فرق في ذلك بين أمر المعراج وسائر الامور الخارقة . هذا ما ظهر لي في الامر والمأمول من الاستاذ زيادة التحقيق والاتقان

(ج) ان هذا الاعتراض ليس بشئ فذلك المكان المبرهنة بالمسجد الأقصى كان معروفا وقد هدم غير مرة وبني وكان يسمى في حال هدمه وحال بنائه باسم واحد وهو (هيكل سليمان) يقولون هدم الهيكل وبني الهيكل وبقي الهيكل مدة كذا خرابا . وقد بني انيبال الروماني على أطالاه هيكلًا للمشتري ولم يتغير اسمه عند اليهود لاعتبارهم ذلك شيئًا عارضا لا مرنًا ثابت لا يزول . ولو استشكل المعترض تسميته مسجدا لكان له وجه في الجملة ونقول انه أطلق عليه المسجد كما أطلقه على حرم مكة وهو لم يكن يومئذ مسجدا وانما كان بيتا للاصنام وفي ذلك وجهان أحدهما انه سماه مسجدا باعتبار ما كان عليه وما وضع له فابني ابراهيم واسماعيل الكعبة ولا سليمان الهيكل الالهامادة الصحيحة وثانيهما انه أطلق عليهما اسم المسجد للاشارة الى ما يؤل اليه أمرهما وهو كونهما مسجدين للمسلمين . وما ذكره السائل

من كون الاسراء والمعراج من الامور الروحانية حسن وسبق لنا فيه قول ولكنه ليس الوجه في تسمية ذلك المكان بالمسجد . ثم ان ربط البراق بالحلقة في بعض الروايات ليس مشكلا اذ هدم المكان لا ينافي وجود حلقة في اطلاله تربط بها دابة . هذا اذا كان البراق والربط في عالم الحس والملك ، فلهذا اذا كان امرا ملكوتيا ، او تمثيلا روحانيا ،

(تفسير « فلما آتاهما صالحا » الآيات)

(المسئلة الثانية) ان أحد المخالفين أيضا اعترض على قوله تعالى « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » قال ما حاصله ان قوله تعالى « جعلا له شركاء » يشعر بأن آدم وحواء عليهما السلام كانا مشركين انتهى . وما ذكر في كتب التناسير من التوجيهات من تقدير همزة الاستفهام أو المضاف أو المتصرف في الشرك فلم يقبها المعترض وقال لا بد من تصحيح الآية على ظاهرها أيها المسلمون فان كان فيه وجه آخر غير ما ذكر في التناسير فعليكم بيانه أيها الاستاذ

(ج) لك أن تحمل الآية بهذا التفسير : الله « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » في جنسها وهي الروح التي تتصل بالابدان فتحييها بعد موتها « وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » أي جعل لها زوجا من جنسها وذلك بعد دخولها في عالم الاجسام . والى هذا التراخي أشار بقوله تعالى في سورة الزمر « فَخَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » أي جعل تلك النفس الواحدة زوجين ذكرًا وأنثى كما قال في سورة النجم « وَانْه خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نَفْثَةٍ إِذَا تَنَفَّسْتُمْ » ثم بين حلة جعل الزوج من نفس الزوج فقال « لَيْسَ كُنَّ إِلَهًا » وسكون كل من الزوجين إلى الآخر معروف بالطبع

لجميع البشر فلا حاجة للاشعار به . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وقد علمنا من أسلوب القرآن البديع أنه ينتقل من ذكر الآيات الكلية الى ذكر الوقائع الجزئية التي لها أثر عام في عقائد البشر وأخلاقهم كما يذكر الوقائع الجزئية أحيانا ويبنى عليها الاحكام العامة . وقد انتقل هنا من ذكر خلق الزوجين وبيان الحكمة في ذلك الى ما يقع لهما ولنسلهما من الكفر بالنعمة ، والجهل بتلك الحكمة ، فقال في ذلك الزوج المبهم مع زوجه «فلما تشاها حملت حملاً خفيفاً فررت به» ظاهر ان المراد بالنفسي ما يكون سبب الحمل واصوله التغطية وفيه من النزاهة ما ترى . ومرت به بمعنى استمرت على حالها قبل الحمل «فلما اشكت» بالحمل وأصابها الشدة ووهم الاسقاط والاجهاض «دعوا لله ربهما» قائلين «لئن آتيتنا ولدا او نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين» لنعمتك ، المؤمنين بأن الخير كله بيدك ، «فلما آتاهما صالحا جملا له شركاء فيما آتاهما» بأن نسباً ذلك الى تأثير ما يسبى مسببا ومالا يصلح ان يكون سببا من الامور الموهومة كالاصنام ونحوها وغنلا عن المؤثر الحقيقي الذي يدهم أزمة الاسباب وهو الفاعل المختار فسرى هذا الشرك في ولدهما «فتعالى الله عما يشركون» وهذه الآية كقوله تعالى «فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون»

هذا الذي قلناه في معنى الآية ظاهر لا إشكال فيه ولا اعتراض عليه . وانما جاء الاشكال من تفسير النفس الواحدة بآدم وزوجها بمجاء مع اعتقاد عصمة آدم من الشرك . وليست الآيات نصا ولا ظاهرا في ذلك ويؤيد

قوا إنما تنمة السياق وهو قوله تعالى «أَيُّشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْفُونَ»
 وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ» وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى
 لَا يَتَّبِعُواكُمْ مَسْئُومًا عَلَيْكُمْ ادْعُوهُمْ وَإِنْ أَنتُمْ صَامِتُونَ» إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَشْبَاهَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*
 اللَّهُمَّ أَرْجِلُ يَمْشُونَ بِمَا آمَلُكُمْ أَيْدِي يَبْتَطِشُونَ بِمَا آمَلُكُمْ أَعْيُنٌ يَنْصُرُونَ بِهَا
 آمَلُكُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ(١)*
 إِنَّ وَابِئِي اللَّهُ أَتَدْرِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتْلَى الصَّالِحِينَ* «فهذه الآيات
 الناطقة بأبلغ الحجاج على نفي الشرك وبطلانه وفساد آراء متحليه من مشركي
 العرب الذين كانوا يعززون بأصنامهم ويستنصرون بها على النبي عليه الصلاة
 والسلام لا يمكن ان تكون فاتحتها قد نزلت في الاحتجاج على آدم وحواء
 والنبي عليهما ما كانا عليه من الشرك المجهول ان كانا ذ السباق صريح في
 الاحتجاج على مشركي قريش ومن على شاكلتهم ولذلك حمل بعض المفسرين
 النفس على قصي وكانت زوجه قرشية مثله ومن الشرك فيما آتاهما الله من
 الولد أن سميأ أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد المزي وعبد قهي وعبد
 اللات. والاظهر ما قلناه من التعميم

فان قيل : هل من جواب معقول عن الآية على القول بأن المراد بها آدم
 وحواء ؟ أقول ان أمثل ما يقال اذا فيها هو ما جاء في الرواية وهو انها سميأ

(١) الوجه في حجية هذه الآية ان ما ليس له أعضاء عاملة من الممكنات لا يرتقي
 الى ان يكون سببا من أسباب التعاون فيدعى لذلك فكيف يدعى لفعل ما هو فوق
 الأسباب أو الوجه ان هذه الاصنام هي أدنى في مرتبة الوجود من الانسان الذي له
 تلك الاعضاء العاملة فكيف يستعين الاعلى بالادنى ويدعوا الاكمل الالاته؟

ولدهما عبد الحارث فقد روى أحمد والترمذي والحاكم من حديث سمرة ابن جندب مرفوعا : « لما ولدت حواء طاف بها ايليس وكان لا يمشي لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فانه يمشي فسمته بذلك فماش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وأراد بالحارث نفسه فإنه كان يسمى به بين الملائكة . وفي الحديث مقال وان حسنه الترمذي وصححه الحاكم وكم صحيح الحاكم ضعيفا وموضوعا وقد اطلال الرازي في رد كون الآية في آدم وحواء . وإن سلمنا بالصحة نقول ان الذنب على حواء وانما أسند اليها مع زوجها لانهما متكافلان وكان ينبغي له ان ينهها عن هذه التسمية ولبس ذلك شركا حقيقيا لانهما لم تكن تعتقد بان الحارث إله ولكنه صورة للشرك فأطلق عليه اسم الشرك مبالغة في الزجر والله أعلم

(تعليم النساء الكتابة)

(المسئلة الثالثة) ان بعضا من علمائنا لا يجوزون تعليم الكتابة للنساء ويقلون في ذلك حديثا وهو : لا تعلموا النساء الكتابة ولا تنزلوهن الغرف « فهل له أصل بينوه أيها الشيخ ، وهذا التقير متردد في قبوله بل يجده مخالفما لشرعه عليه السلام فانه عليه الصلاة والسلام أمر كل مسلم ومسلمة بطلب العلم والكتابة مقدمة الطلب سيما في هذه الاعصار فانه لا يمكن فيها الطلب بدونها على انه مخالف صريح للحديث آخر وهو انه عليه السلام قال للشفاء بنت عبد الله وهي عند حفصة « لا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » فقيه دلالة على جواز تعلم الكتابة للنساء لان حفصة تعلمت الكتابة من الشفاء ولم ينمها النبي عليه السلام وهو دليل الجواز ثم ان حديث انبي همل هو محمول على التنزيه أو مقصور على موارده أو بينهما تناسخ فالمرجو

من جناب الأستاذ شرح ذلك لكي يحصل التوفيق بينهما. هذا ما تذكرت
 وقت تحرير هذا الكتاب فلو تفضلتم بالجواب ولكم لاجر والمنة والله
 لا بضيع أجر المحسنين

(ج) الحديث رواه الحاكم من حديث عائشة رافوعا وصححه
 والصواب انه موضوع فان في إسناده عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي
 قال أبو حاتم الرازي فيه : كان يكذب : وقال العقيلي والنسائي : متروك
 الحديث : وقال ابن حبان : كان يسرق الحديث لا يحل الاحتجاج به : وقال
 الدارقطني : منكر الحديث : وقال أبو داود : يضع الحديث : وقال الحافظ
 ابن حجر في التقریب : عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان العرضي يضم
 المهلة وسكون الراء بعدها معجمة أبو الحارث الحمصي نزيل سلمية متروك
 كذبه أبو حاتم ، واما حديث تعليم حفصة الكتابة فرواد الامام أحمد وأبو
 داود والنسائي وأبو نعيم والطبراني ورجاله ثقات اه من مقالة في تعليم النساء
 نشرناها في باب الترية والتعليم من مجلد المنار الثاني (ص ٣٣٦)

(س) أحمد رقية خاتون في شهور عربية : من رضاء الدين أحمد بن قاضي
 القضاة في اوما (الروسية) :

حديث « سو ، و أرؤيته وأظرو الرؤيته فان غم عليكم فاكلوا عدة
 شعبان ثلاثين يوما » الذي أخرجه الشيعاني وغيرهما يوجب صوم شهر
 رمضان عند رؤية ثلاثة أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ولكن هذا
 الحكم هل يمتد الى غيره من شهور السنة بأن يقال اذا لم ير هلال
 شعبان يكمل رجب ثلاثين يوما واذا لم ير هلال رجب يكمل بمادى الآخرة
 ثلاثين يوما وهلم جرا على ما يفيد قول ابن الهمام في حاشيته على الهداية

(ج ٢ ص ٦٠ طبع بولاق بمصر) أم هذا المحكم خاص بأول شهر رمضان فقط لا يعمده الى سواه ، وأما ابتداء شعبان وسائر الالهة فيعرف بغير هذا مثل التقويمات المطبوعة في عصرنا أو بعد السنة القمرية ثلاث مئة وأربعة وخمسين يوما من ابتداء شعبان الماضي أو غير ذلك مما لا يتعلق به حكم شرعي أصلا . فالتأخر سكان القطبة الشمالية لا يمكن لنا رؤية الهلال في أول ليلة لا قدر وخصوصا أيام الشتاء التي يقصر فيها النهار جدا . فعلى الاحتياط نقول أمي لزوم رؤية هلال شعبان ورجب وغيرهما ربما يتردد ابتداء رمضان وسول بين ثلاثة أيام أو أزيد ولذلك يكثر فينا الاختلاف بين سنة مساجد في الصوم والافطار وقد صار هذا الاختلاف في هذه البلاد ضجوا كد عند أهل سائر الملل الذين يعمشون معنا فكثيرا ما يصوم أهل مكة ويشعر أهل حملة أخرى والمسافة بينهما قريبة بل ربما يختلف مذهب المسجون عند وشخاص من أهل بيت واحد . ولما كانت هذه مسائل من مسائل الشرعية وحرية بالاهتمام وجريدة المنار هي الجهة المهيمنة في كتب من دين نرجو الاجابة عن هذا السؤال ولعل استيفاء من هو راى من علماء أيضا كما استعملت من أجوبتكم المقدمة وبمسئله أيضا سائر الاسئلة ودلائل الحقيقة

(ج) قد علم مما كتبناه في آخر مسأله في خلافة الشارع في جعل المواقيت الدينية من يشترط في جهر من المسلمين من جهة وعبر أيضا أن اتفاق المسلمين في كل قطر من ديارهم من جهة أخرى لا يمكن ولا أثر كثيرة الخلاف في رؤية الهلال من جهة أخرى لا بسبب استحلال الكذب أو الاستهانة في الشهادة بروية هلال رمضان بحيث

يشهدون بتوهم الرؤية لاسيما في بلاد يكرمونها فيها اولئك الشهود وأذكر
 أنني رأيت في بعض السنين الشمس قد غربت كاسفة ثم شهد رجلان
 أظن فيهما العدة بأنهما رأيا الهلال فحكم القاضي بشهادتهما في الدعوى
 التي جرت البدعة الذميمة بها في ثبات شهري الصيام والافطار وصام
 الناس . ولا شك انهما كانا كاذبين في شهادتهما اذ لا معنى لغروب الشمس
 كاسفة الا غروبها مع القمر . ولا أزال أتمس لهما العذر بأنهما لكثرة
 التحديق تخيلا انهما رأيا الهلال فشهدا بالتوهم . واذا كان الهلال بحيث
 يرى فانه يراه في كل بلد كثيرون من المستهين الا ان تختلف المطالع
 ولما كان اخواننا من الشيعة يعملون بالرؤية نراهم قليلا الاختلاف فيها
 وذلك انهم لا يحاولون موافقة تقاويم الحاسبين فهذه المحاولة وتلك المساهلة
 هما السبب عند السنيين في كثرة الخلاف التي صاروا بها سخرية الا
 حيث يتلافون ذلك كما يفعلون في مصر وقد ذكرناه في الجزء الماضي
 وحاصل القول في الجواب ان اعتبار رؤية الهلال في المواقيت الدينية
 لازم متعين وهو لا يجب في الأمور الدنيوية ، واذا دقق الحكم فلنهم
 يمتنعون خلاف الا قليلا . وان لاختلاف في الرؤية لا يقتضي من خلاف
 في إثبات الشهور القمرية بالرؤية أو كان العدة أكثر مما يقتضيه
 الاعتماد على التقاويم فاننا نرى التقاويم التي تطبع في مصر كل عام تختلف
 في إثبات هذه الشهور . وماذا علينا اذ كان من مقتضى عرفنا الشرعي
 ان يكون أول شهر القمري في شرع متأخرا يوما واحدا عن أول الشهر
 الفلكي . واذا لا يعمل المسلمون في كل قطر بما ثبت عند حاكم عاصمته
 والمسلمون أمة واحدة . هذا ما نراه كائنا وان استزدنا زيدا

(حديث في جمع الجوامع - وصدى دعوة المثار لنعميم العربية)
(س ٥) من عبد الرحمن افندي مستقيم بقرية زوية التابعة لمركز
سينبر (الروسية) قال بعد الشاء والدعاء :

أما بعد فقد قرأت في مناركم الاخر جوابكم لسؤال عبد الحق
الاعظمي في شأن قراءة النطبة بغير العربية فوجدت كل كلمة منه شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها كما
تحب وترضى وتشاء فيذه جنات تجري من تحتها الانهار ، وهذه أشجار
تثر على المستظلين بها أحلى الثمار ، وقلت في نفسي كيف لا وهو جواب
من امتزجت العلوم بروحه امتزاج الماء بالراح ، ودرخت النعوم في
صدره مع عظيم الانسراح ، فكشفتهم الحجب والاستار من ابتداء لأن
هذه المسئلة كانت متنازعة من منذ زمان ابتداء زاد الله عمركم وافيالكم ،
وكثير اهشالكم ،

« سترون جراً جديداً يحمل حديثاً » بعض العلماء يقول هو حديث
نبينا صلى الله عليه وسلم مذكور في جامع الجوامع للسيوطي ، وبعضهم
يقول ليس بحديث لأن ألفه فيه تأني أن يكون حديثاً ، والخطير رجعت
الى كشف الثوران فوجدت كتاب اسمه بجامع الجوامع للسيوطي وراجعت
أيضاً كتاب السيوطي لم أجد فيهما نصاً في خبره ، غير والتأخرة
وعند كتب التراث فيه ما وجدت فيه أيضاً كتاب المذكور منرجو من
سيادتكم أن تبين لنا ان كان المذكور هل هو حديث أم لا وان كان حديثاً
ففي أي الكتب هو مذكور في مناركم ؟ ثم ان كنت عليه كل من يريد
الاستفهام عنه ودرهم وعناية بنولي ترسلكم

(ج) لاسيوطي كتاب جمع فيه كتب الحديث المعروفة للحفاظ والمحدثين وجميع ما وقف عليه من الاحاديث المتفرقة في غيرها من الكتب وسماه (جمع الجوامع) ويطابق عليه أيضا اسم الجامع الكبير . وكتابه الجامع الصغير المشهور مختصر من قسم الاقوال من ذلك الكتاب . والكتاب جامع للاحاديث الصحيحة والضئيفة وكثير من الموضوعات فوجود الحديث المسئول عنه فيه لا يقتضي إثبات اسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيبحث بعض العلماء في أسلوبه وزعمهم أنه على غير الأساليب المعهودة في الحديث له وجه

(س ٦) سكن الشيطان في بدن الانسان : محمد فؤاد أفندي بأشخاص الرمل : جاء في كتاب (لاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) صحيفة ٦٠ التابعة للقول في تعهد للاصل الاول من القسم الثاني من الكتاب في الاسلام ما يأتي :- قال الاستاذ الامام في ص ٥٩ : معجزة القمرآن جامع من القول والعلم وكل منهما مما تناوله العقل بالفهم الى ان قال ص ٦٠ : فهي معجزة اعجزت كل طوق ان يأتي بمثلهواكتسابت كل قدرة ان تناول ما نشاء منها وأما معجزة موت حي بلا سبب معروف للوث أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم : الخ . فهل يسكن الشيطان جسم الانسان؟ فان كان الامر كذلك وكما فهمته فانا من هذه العبارة السابقة فيصدق قول من قالوا بالازار فانهم يعتقدون بأن الفئران ان هيجانها تقف عن حدها بدق الطبول . فالامل تفسير هذا المثل ولكم الشكر الجزيل منا :

(ج) بشير الامام الطائفة المارونية ثقت الى أنواع المعجزات المعزوة في التواريخ الأربعة التي نسب الانجيل الى المسيح عليه السلام فوجد كرها

على سبيل الحكاية ولا يستلزم ذلك إثباتها ولا نفيها بل ربما فهم من العبارة التعريض بأن تلك الكتب تسند إلى المسيح ما لا يصح اسناده إليه ونحن المسلمين لا نفتقد بمعجزة المسيح وراء ما أثبتته له القرآن العزيز . على أننا إذا سلمنا بأن بعض الشياطين دخلت في أجسام بعض الناس وأنها خرجت على يد المسيح معجزة له فلا يلزم من ذلك أن نقبس خرافات عجائز (الزار) على معجزات الانبياء المصطفين الأخيار ،

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَلَاءِ

﴿ لبس القانسوة المعروفة بالبرنيطة ﴾

أو التشبه بالنصاري

يسافر في كل سنة عدد عظيم من أمراء المصريين وحكامهم ووجهائهم إلى أوروبا فيلبسون فيها لبوس الأفرنج ويتزبون بزيمهم لا يدعون منه شيئاً على أن زي هؤلاء في الأغلب هو الزي الأفرنجي لافرق إلا فيما يوضع على الرأس فأكثر المصريين يتبعون حكامهم بلبس الطربوش الذي أخذه الترك عن الروم وهم في أوروبا يلبسون البرنيطة لافرق في ذلك بين الأمير والمأمور إلا أفراداً يمددهم الجمهور شذاذاً ولومون بعضهم على مخالفتهم على لبس الطربوش هناك . ويظن أكثر المسلمين أن لبس البرنيطة مخجل بالدين الإسلامي حتى أن جريدة الحاضرة تجرأت منذ عامين على التعريض بدريز مصر لما بلغها من لبسه البرنيطة في أوروبا وقالت إن هذا ممنوع في الإسلام . اجتناباً يومئذ في المنارة .

ورى الناس يلهجون في هذه الايام بخير فتوى من بعض العلماء بعدم
إخلال بلبس البرنيطة بالدين الاسلامي. قالوا ان رجلا من مسلمي الترانسفال
سأل العالم عن ذلك وقال له ان المسلمين في تلك البلاد مضطهدون
ومهمضون والحقوق لا عنهم مسلمون وانه لا طريق الي معاملة حكامهم
وجيرانهم لهم بالمساواة الا مساواتهم لهم في زيهم ولا يتم ذلك الا بلبس
البرنيطة . فأجابه العالم بأن اللبس من أمور العادات لا من أمور الدين
وأن ما قاله بعض الفقهاء من كراهة التشبه بالكافر في عاداته قد قيدوه
بقصد التمييز لدينه لا بقصد المصاحبة وأهل الترانسفال على ما يقول السائل
لا يقصدون الى ذلك بل تحملوا كثيرا من الاذى في تركه والضرورات
تبيح المحظورات فأمر الكراهة أهون

هذا ما سمعناه في المسألة ويقال ان بعض المتفهمة استكبروا الامر وعده
من المشكلات الدينية وطفقوا يتهامون ويتباحثون فيه وما ذاك الا من
قلة الفقه ومن عدم النظر في السنة وفي تاريخ الامة فقد ثبت في الاحاديث
الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية وهي من
لبوس النصارى ولبس الطيالة الكسروية وهي من لبوس مجوس الفرس .
وكذلك الصحابة عليهم الرضوان لبسوا في كل بلاد فتحوها من لبوس
أهلها حتى قلنسوة النصارى بغير تكبر الا ما كتبه عمر الى عتبة بن غرقة لما
خشي على قومه الترف والسرف وفساد البأس والمنعة فقد كتب اليه يأمره
بالبروز الى الشمس وبانخسوته وبترك زي الاعاجم وهو أمر للمصاحبة
لا لا تشريع كيف وعمر يعلم ان الشارع قد لبس لبوس الاعاجم . وقد لبس
المسلمون بأمر المنصور قلانس كقلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد الا

ما كان من هزل بمصر الشعراء ولكن المسلمين وجها واستنكروا تغيير
السلطان محمود الثماني زي قومه بري الافرنج لما كانوا عليه من الجود على
العادات ولكن عقلاء الترك الآن يعدون ذلك أصلا من أصول الإصلاح
لا لأن تغيير الزي كبير النفع ولكن لما فيه من زلزال ذلك الجود الذي
كان مانعا من اقتباس الدولة كثيرا من النظام النافع في الجند والإدارة
والسياسة عن أوروبا التي سبقت وبرزت فيه وقد رأينا أثر سبقتها وجودنا
بإستيلائها على معظم بلاد المسلمين

نعم انني لأنكر ان اختيار التشبه بالاجنبي هو أثر الضعف الناصي
حشداء المغلوب مثال الثالب في زيه وعاده وأنه ينبغي للامة أن تحافظ
على عاداتها أشد المحافظة ما لم تكن ضارة وإذا أرادت استبدال عادة
بأخرى فليكن ذلك بحسب المصلحة لا تقليدا محضا للاجنبي . ولا أنكر
ان المصريين الذين يلبسون البرنيطة في أوروبا ملومون وان سبب لبسهم
اياها ضعف البرنية ولكنني لأقول انهم قد عصوا الله تعالى واستحقوا
عقوبته بذلك . ولو كان أمر اللبس من أمور الدين لوجب ان تتبع فيه
الشارع وقد كان يلبس الازار والرداء ولم يلبس السراويل قط بل لم
يلبس هذه الجبة والزرية ذات الاكمام الواسعة والاذيال الطويلة التي جمد
عليها علماء المسلمين لهذا العهد ولكنه نهى عنها ولبس الجبة الرومية الضيقة
الأكمام فكان يتعذر الوضوء بها حتى كان يخرج يديه من أسفلهما عند
الوضوء ليفسلهما . وقد كتبت في موضوع اللباس والتشبه فيه
بالاجانب عشرات من الصحف في كتاب (الحكمة الشرعية) ، في
حكاية القادرية والرفاعية (ذكرت فيه حكم الملابس في الدين وفي المنفعة

وفي الذوق وفي عرف الصوفية وفي السياسة وذكرنا حكم التقليد فيها وقد جاء في أول الفصل المعقود للبحث في (كيفية اللبوس والتقليد فيه) مانعه « قد علم مما تقدم ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبعض أصحابه عليهم الرضوان قد لبسوا الثياب والفرج والطباسة الكسروية واستعملوا المياثر (١) وكل ذلك من لبوس الفرس وانهم لبسوا أيضا البرانس والجلب الرومية وهي من لبوس النصارى . والجهة الرومية لم تقدم لئلا ذكر وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها فكان يخرج يديه من أسفلها عند ارادة غسلهما في الوضوء لضيق أكمها الذي لا يمكن معه التشهير . ولبسوا أيضا البرود والطبر المخططة والمعلة وهي من لبوس اليمن . وتلك الثياب كانت كغيرها تجلب اليهم من العراق والشام ومصر واليمن لانهم كانوا يخذون مثال هذه الشعوب في صنع لبوسها إذ لم يكونوا أصحاب صنائع . وفي ذلك دليل على ان الشرع ينيط أمر اللباس من حيث

(١) الحية ثوب طويل مقطوع الكمين والطباسة جمع طيسان وهو ضرب من اكسية العجم معرب تالسان ويقال تطاس وتطيلس به اذا لبسه وكانت العرب تخامي لبسه قبل الاسلام ولذلك كانوا يقولون يابن الطيسان أي يعجبي لكن الاسلام لا يأمر الاتخامي المساوي والمستقبح الضار من عوائد الامم دون غيره ولذلك تطيلس المصطفى (ع) والميثة من سراكب العجم أو شيء كالفراش الصغير يحشى بطن ونحوه ويجعل على الرجل ليكون وثيرا وكانوا أكثر ما يخذون المياثر من الارحوان وهو بضم الهزة والجيم صبيغ شديد الحمرة وقال الجوهري : هو شجر له نور أهر أحسن ما يكون : وكان ذلك الصبيغ من ذلك الشجر . والفروج كتثور قباء شق من خلفه وقصر الصغير . والبرلس قانسوة طويلة وفي البخاري ان أنسا لبس برنسا أصفر من خز قال القسطلاني في شرحه ان الناس أو النساء كانوا يلبسون هذه القانسوة في صدر الاسلام وذكر أنها من لبوس النصارى . أي من مشر الاطحايت في الكتاب المذکور ما يخصها

كيفية الاثواب وتفصيلها باختيار اللباس ولا يحظر على شعب وقيل استعمال
جديلة شعب آخر لانها أمور عادية لاتعلق بحقوق لله تعالى ولا بحقوق
الخلق لذاتها . نعم كان أكثر ما لبس النبي وأصحابه الرداء والازار تبعاً للمادة
قومه لا لوجي نزل بأولوية ذلك وأفضليته شرعاً على انه مناسب لحالة القطر
الحجازي الحار . وإذا لم يرد في الشرع تفضيل كيفية مخصوصة وشكل معين
في الملابس لان الشرع نزل فيما هو أهم من ذلك فينبغي ان يتناط ذلك بالرأي
الصحيح وهو إنما يرجح ما يوافق حالة المكان والزمان «اهل المرامنة» وبعد
هذا تفصيل في تفضيل بعض الملابس على بعض لاختلاف الزمان والمكان
وقد حكم الفقهاء العادة في أمر الملابس حتى في الشرع فاستحبوا
ما كرهته السنة لعني يقتضي الكراهة مع بقاء ذلك المني وحجتهم انه صار
عادة . فقد ورد في الحديث النهي عن إطالة الثياب ووعيد لذي يجر ثوبه
خيلاء واتفق الفقهاء على ان إطالة الأذيال أو الأكام للخيلاء حرام ولغير الخيلاء
مكروه شرعاً ثم انك ترى مثل الشيخ الحنفى يقول في تفسير الحديث من
حاشيته على الجامع الصغير ان كراهة زيادة طول الثوب عن الكمين لغير المختال
مخصوصة بمن لم يصير ذلك عادة لهم كأهل مصر . وقال اننوي في شرح
مسلم نقلاً عن القاضي عياض واقره : وبالجملة يكره كل ما زاد على الحاجة
والمعتاد في اللباس من الطول والسمة والله أعلم : وذكر احمد الزملي في
شرح المنهاج ان إفراط توسعة الثياب ولا يتم بدعة وسرف وتضييع المال
ثم قال : نعم ما صار شعار العلماء يندب لهم لبسه ليعرفوا بذلك فيسألوا به يطاعوا
فيما عنه زجروا : فأنت ترى أنهم جعلوا المحذور بنص الشارع مندوباً شرعاً
وأيت ضعف شبهتهم فأننا إذا سلمنا لهم بأنه ينبغي ان يكون للعلماء زي خاص

نقول انه ينبغي ان يكون ذلك الزي مما لم ينه عنه الشارع نهياً صريحاً
ولئن صح ما يقولون من تحكيم العادة بالشرع من غير ضرورة ولا
حاجة ليكون وزر هذا الزي المهيب عنه في السنة على من اخترعه هؤلاء العلماء
من سلفهم الذين كانوا اخيراً منهم باعترافهم. ولا أعرف المخترع الاول لزي
علماء مصر وهو أبعد الأزياء عن أدب السنة وعن الذوق وعن المصلحة من
حيث السعة والطول ولكنني أعلم ان أول من اتخذ لاهل العلم زياً مخصوصاً قلده
فيه بالتدريج هو القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (رح) وما أظن انه كان
من السعة والطول بالقدر الذي نشاهد ولا براءة من هذا الابهل ابتداء العادة
كاستمرارها. ولقد بلغ من سلطان العادة على علمائنا أنهم صاروا ينكرون على
من يخالفهم من ابناء صنفهم في الازدان المكبرة، والاذيال المجردة، فلا عجب
ذا حملت العادة بعضهم على انكار لبس فلسفة النصارى ولو لضرورة دفع
مفسدة أو جلب مصلحة مع العلم بأن الصحابة والتابعين لبسوا في صدر
الاسلام البرانس وهي من قلانس النصارى كما في البخاري وشرحه .
أما حجة هؤلاء وأمثالهم التي تروج عند العامة فهي ان ذلك تشبه
بالنصارى الذين يجب علينا مخالفتهم و... وهذا الكلام غير صحيح على
اطلاعه وانما هو مقيد بالمخالفة في الامور الدينية التي لا يوجد في ديننا
ما يؤيدها كالاناشيد في الجنائز وحمل المباخر ونحوها امام النفس واتخاذ
قبور الاولياء والصالحين مساجد وغير ذلك مما تشبهنا بهم فيه بل جعلناه
من شعائر ديننا مع الهي عنه في الاحاديث الصحيحة . واما الامور
الدنيوية كالأكل والزي فليس مما تجب فيه المخالفة بل تقارب الناس في
الامادات يؤلف بينهم ويزيل التنافر الذي يعمي كل فريق عن فضائل الآخر

وإذا زال التنافر ظهر الحق على الباطل . وقد علمت ان النبي وأصحابه
لبسوا زي المشركين والمجوس بله لنصارى الذين نطق القرآن الحكيم
بأنهم أقرب مودة لنا . وأكثر ما قاله الفقهاء في هذا انه يكره ان يأتي
المسلم أمرا بقصد التشبه بالاجنبي عن دينه بل يأتيه أو يتركه لفائدة
والصاحبة أو عدمهما . ولا أرى من مصلحة المصريين ان يلبسوا قلنسوة
الافرنج (البرنيطة) لان هذا من هضعات الرجاء باستقلالهم وأما أهل
الترانسفال وأهل الرجاء الصالح فلا رجاء في استقلالهم لقلنسوة وغلبة الافرنج
عليهم في كل شيء على أنه ينبغي لهم المحافظة على كل مالا تضرهم المحافظة
عليه من عاداتهم التي لا تخالف الشرع . اما اتقاء الضرر فواجب شرعاً ان
كان محققاً ومنسوب ان كان مظلوماً هذه هي القاعدة الشرعية ولكن
أكثر الناس عبيد العادات الا الذين انسلخوا من التقليد الاعمى . وقد
فصلنا القول في مضار تقليد الاجانب في الاثاث والماعون والزينة في
كتاب (الحكمة الشرعية) ونقلنا منه نبذة في منار السنة الاولى فلتراجع

(احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية)

تقيم هذه الجمعية احتفالها السنوي المعتاد في مساء عيد الفطر المبارك
وهو اليوم الذي تستحب فيه الزينة واطهار السرور ، واليوم الذي تترك
فيه الاعمال لاجل تلاقي الناس وتراورهم ، واليوم الذي تنبسط فيه
الايدي بالبذل والافاق ، واليوم الذي يجتمع فيه بانقاهرة وجهاء القطر
من كل ناحية ، واحتفال الجمعية الخيرية نعم المساعد على ذلك كله فانها
ستزين حديقة الازبكية زينة بديمة وتجعل فيها جميع ضروب اللذات المباح
فهناك يكون ملقى الاصدقاء والمتحايين ، وهناك تكون نزوة الواندين

مع المقيمين ، وهناك تكون لذة البذل للأجواد والمحسنين ، وهناك تكون
فرحة الفقراء والمعوذين ، وهناك ينمو الشعور بحب الوطن في قلوب
جميع الوطنيين ، وهناك تكون المزية الكبرى ألا وهي الجمع بين زينة
الحياة الدنيا والعمل بروح الدين ، فإن الله سائر الدين إلى المصلحة
العمارة وأنما أقوام هذه المصلحة بالترحم بين الناس والتعاون على البر
والتقوى وكل من يشتري ورقة من أوراق احتفال الجمعية الخيرية يشمر
في نفسه بأنه قد بذل ثمنها في إعانة إخوانه الفقراء والمستحقين للإعانة
والمساعدة من حيث قدمت نفسه بأبهج المناظر وأشهى النعمات والاجتماع
بين يحب من الناس في يوم مشهود تلاقاً فيه على الوجوه أنوار
البهجة والسرور وشكر نعمة الله تعالى . فحيا الله تعالى أولئك الرجال
رجال الجمعية الخيرية لاسيما ركنيها الركينين رئيسها الشيخ محمد عبده
ووكيلها حسن باشا عاصم فيها الحاملين لها على كاهلها وسائر الاعضاء
الكرام أعوان لها وأنصاره ونسأل الله تعالى أن يعرف المصريين بفائدة
هذه الجمعية ويطلعهم قلوبهم مساعدتها وشد أزرها فإنا نحن المسلمين لا زال
وراء الامم كلها في التعاون على الاعمال الخيرية الاجتماعية بعدان كنانا في
مقدمتها وناصيتها . وعار على أغنياء المصريين المسلمين أن لا تنتشر مدارس
جهيتهم الوحيدة ومبراتها في كل رجا من أرجاء القطر ولن تنتشر الا اذا
اشترك فيها الناس من جميع بلاد القطر والله الموفق

(ربح صندوق التوفير في ادارة البريد)

أشيع في هذه الأيام ان الحكومة استفتت مفتي الديار المصرية في ربا صندوق
التوفير الذي نشأ في ادارة البريد فأقنأها به . والحق ان الحكومة لم تستفت في ذلك إذ

لأسمى الاستفتاء في شيء صدر به الأمر العالي وتقدمت سنين . ولكن بعض رجال الحكومة ومهم مدير البوسطة قالوا للمفتي في حديث عادي أن أكثر من ثلاثة آلاف مسلم من مودعي التقود في صندوق التوفير لم يأخذوا الفائدة المخصوصة بذلك بمقتضى الدكرتين الحديديتين . فقلنا فهل توجد طريقة شرعية بتسليم المسلمين أخذهم أموالهم من صندوق التوفير فقال : إن الرأب المخصوص لا يحل بحال ولما كانت مصلحة البر بدستغل الأموال التي تأخذها من الناس لأنها تقتصر على الحاجة فمن الممكن تطبيق استقلال هذه الأموال على قواعد شرعية المضاربة ويقال إن الحكومة كلفت المفتي ببيان هذا التطبيق لتغير قانون صندوق التوفير وتجهله مطابقاً لأحكام الشريعة رعاية لمصلحة غير المسلمين وإليه شرع في ذلك بمساعدة بعض العلماء . ويقال أيضاً أنه علم الأمير بذلك فترصه وأمر بتأليف لجنة من علماء الأزهر لبيان كيفية هذا التطبيق على الوجه الشرعي حتى إذا عرض عليه القانون المقترح لا يصدر أمر به يكون على بصيرة من المشروع . ويقال إن اللجنة التي نذهبها لأمير هي غير اللجنة التي تشتغل مع المفتي بالتطبيق الذي طلبته الحكومة . وفي هذا من يزيد غاية بيان الحق ولكن الناس فهموا منه أن الأمير على خلاف مع حكومته في ذلك ففسى أن يزول سوء الفهم ، ويرجع إلى الحق أهل الوهم . . . وإن لنا في موضوع الرأب والمصارف قولاً مبنياً رتبته لفرض أخرى

(تنبيه) تأخر باقي الرد على مقالة الألماني لكثرة المواد

البدء والخجرات

قَالَ لَنَا الْبَيْتُ قَالَ لَنَا

(الأحاديث الموضوعية في الصيام ورمضان)

حديث : إذا غاب الهلال قبل الشفق فهو ليلة وإذا غاب بعد الشفق فهو ليلة
قال ابن حبان لأصل له

حديث : إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل رضوان خازن الجنة فيقول ليك وسعدك فيقول هي جنتي وزينها للصائمين من أمة أحمد ولا تنلقها عنهم حتى ينقض شهرهم . ثم نادى جبريل يا جبريل فيقول ليك ربي وسعدك فيقول أنزل إلى الأرض فقل لمرءة الشياطين عن أمة أحمد لا يفسدوا عليهم صيامهم والله

في كل ليلة من رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عيد
واما دله في كل سماء ملك ينادي الخ الحديث بطوله لا يصح لان أصرم روايه كذاب .

حديث : لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي ان يكون رمضان السنة كلها :
فقال رجل من خزاعة حدثنا به . قال : ان الجنة تزين لرمضان من رأس الحول
الى الحول حتى اذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفت
ورق الجنة فينظر الحور العين الى ذلك فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك في هذا
الشهر أزواجا تفر أعيننا بهم وتفر أعينهم بنا . الخ موضوع آفته جرير بن أيوب .
قال الشوكاني بعد الاشارة الى الحديث وما قبله في فوائده : وسياقه (أي الأخير)
وسياق الذي قبله مما يشهد العقل بأنهما موضوعان فلا معنى لاستدراك البيهقي
لهما على ابن الجوزي بأنه قد رواها غير من رواها عنه ابن الجوزي فان الموضوع
لا يخرج عن كونه موضوعا برواية الرواة

حديث : ان الله يعق في كل ليلة رمضان ست مئة ألف عتيق من النار : الخ
موضوع وله روايات بالماظ أخرى مازادته الانكارة وتوغلا في الوضع والبعد من
العقل والدين . وقد كنا ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها من موضوعات رمضان في
المجلد الرابع وانما أعدنا التذكير ببعضها الآن لكثرة تداولها وغرور الناس بها
الولدان في الحمامات

من العادات السيئة في عصر غشيان الولدان الحمامات في ليالي رمضان فانك
تراهم عامة الليل ينامون ويمرحون فيها وكثير منهم ينامون فيها حتى اذا كانت ليلة
العید كثروا فيها كثرة فاحشة وزاحوا الرجال في المغطس وغيره والاكثر من الفريقين
مكتوفو العورات كما هي عادتهم السوءى . ومن المصعب ان كثيرا من هؤلاء الولدان
يحضرون الى الحمام مع آبائهم وقراباتهم أو بأذنهم فأولياءهم هم في الحقيقة أعداؤهم
لانهم يفسدون آدابهم ويعودونهم على الفحشة وقلة الحياء . وانه ليتعذر تربية الاولاد
بغير الاستمالة بالحياء الذي هو أصل الفضائل كلها . وقد ورد في الحديث المتفق
عليه « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وورد « ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام
الحياء » رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس بسند صحيح

﴿ إعلان الفسق في موسم العبادة ﴾

بلغ من استهانة قادة الفسق ودعاة الدحش بمساعي مصر أن ينشروا لهم في رمضان شهر الطاعة وموسم العبادة هذا (الاعلان) الذي ننشره بنصه الفاسد ما عدا اسم المجلد وأسما الفواسق فيه وهو :

« نعمان حضرات العموم أنه قد حضر حديثاً لهذا الطرف حضرات الرافعات والشخصيات الشهيرات اللتين حازا قصب السبق في ميادين هذا الفن وهن وبالنسبة لشهر رمضان المعظم وإرضاء لحاطر زبائنا الكرام قد اتفقنا معهن بتعاطي صناعاتهم التي تأخذ بمجامع القلوب في محلنا المذكور أعلاه ابتداء من هذه الليلة ، فالأمل من العموم التشرّف كي يشفوا أسماهم من الانقام الشجيرة النادرة في الوجود ومن تأخر قدم حيث لا يفضحه الدم وليس الخبر كالبيان والاعتماد على الله » اه

(التار) لو بقي لفساق مسلمي مصر بقية من الفيرة المليّة أو الحياء الاسلامي أو الشرف الانساني لتجنبوا هذه المواضع النجسة المعدة لإعلان الفسق ولو في شهر رمضان ونحوه من الايام التي يعدونها مواسم دينية كليلة المولد النبوي فالتأخر كراست في السنة التي قدمنا فيها الى مصر رأينا اعلاناً مثل هذا (الاعلان) فيه أن فلانة قد استحضرت من الرافعات من استحضرت « لاسياء ليالي المولد النبوي الشريف » وإيها السخرية من أئمة الفسق بالاسلام والمسلمين وما جبرأهم عليها الافساق المسلمين - وان الاسلام يمتبرأ من هؤلاء الفاقدي النخوة والشرف ولو أظهر والتبرؤ منه لسكان اللوم أخف عليهم من اتسابهم الى دين جعلوه هزواً وامبا .

﴿ بتجسّي ﴾

كلمة شيطانية هدمت ركنان الدين في نفوس نساء مصر هو أقوى الاركان عندهن وهو ركن الصوم الذي عهدت النساء أشد تمسكاً به من الرجال . تلك الكلمة هي كلمة بتجسّي ، يقول الشيطان للمرأة : لا تصومي ، بتجسّي : أي تذلي وتزلي ويقول ذلك بعض بعض . وإطبق ان الصيام من أسباب الصحة وإذا فشا ترك الصوم في النساء فهناك الطامة الكبرى في الفساد العام فليتب الرجال لتلافي هذا الامر ان كانوا يعقلون

فبشر عادي الذين يستهون بالقول
فليؤمنوا حسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآلااب

المباحث

بشر الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الآلااب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاحد غرة شوال سنة ١٣٢١ — ٢٠ دسمبر (لك) سنة ١٩٠٣)

﴿ الوقف من الدين ﴾

(رد ثان على عزيز أقدي خانكي)

من يكتب أو يتكلم لطلب الحقيقة أو لتقريرها يستفيد من المناقشة والمعارضة أكثر مما يستفيد من البحث والتقيب ويرجع الى الحقيقة اذا ظهرت له على يد غيره وأخذ الحكمة أنى وجدها ، ومن يكتب أو يتكلم لغرض يرمى اليه ، أو فائدة له يناضل دونها ، لا يزيده بيان الحق إلا اعراضه ، ولا يفيدُه تحيي الصواب إلا مكابرة فيه ، فهو يجادل لاختفاء الحقيقة وصرف الانظار عنها ، وتلوين الباطل بلونها ليشقيه على الناظرين بها ، وقد اتخذ هذا التلوين والتقوية صناعة فخر من (الحمامين) الذين نصبوا أنفسهم لقبول الوكالة في كل دعوى والحصام في كل قضية ، والدعوى تكون دائماً بين خصمين أحدهما محق والآخر مبطل وانك لتجد لكل خصم محامياً قصف هؤلاء الحمامين يخاضمون في الباطل ومجاهدون في إبطال الحق بالقول الموهوم والتلوين الذي يخفي ما كان ظاهراً ، ويخدع من كان ناظراً ، وقد آتقن هؤلاء الحمامون الخلاصة في الخطابة حتى انك لتجد القضاة يشكون دائماً من خلابتهم في خطاباتهم وقطعون عليهم الكلام ويطلبون منهم عدم الخوض فيها وراء موضوع الدعوى ، ومنهم الذين يستعجلون على تقرير ما يريدون تقريره بالكتابة في الجرائد لاقاع الجمهور بما يدعون لأن لا اعتقاد الجمهور أثر في نفوس القضاة والحاكمين ، واعتباراً خاصاً في وضع

القوانين ، ولا وزر على الجرائد اذا نشرت آراء الناس في القضايا العامة وعرضتها بذلك للبحث والتقد فـ كثيراً ما يظهر الحق في ذلك على خلاف ما يريد الباحث الاول أو على وفق ما يريد

هذا الصنف أو النصف الطيبي من المحامين يصور الحجة بشبهة داحضة. ويمثل الشبهة حجة ناهضة ، فإذا عارضته بالنقل في موضوعه قال أنك من أهل التقليد ، وإذا قلت هذه بينائي هن أظهر لك يقول : لقد علمت ما لنا في بيناتك من حق وتلك لتسلم ما تريد . : ذلك ماسلكه معنا عزيز أفندي خانكي الحامي - كتب مقالا في المقطم يريد به الطعن في بعض أحكام المحكمة الشرعية في الوقف على غير ما يريد ويحب فتطرف فيه الى القول بأن الوقف ليس من الدين الاسلامي في شيء ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة - وما هو من أهل هذا الدين ولا معرفة له بالكتاب ولا بالنسبة - فكتبنا في المقطم نعلمه بأن الوقف من أحكام الدين ، وقد جرى عليه أهله من الصحابة والتابعين ، وذكرنا له كتب الحديث التي أنكر ان فيها شيئا في الوقف . ذكرنا ذلك في المقطم بالاجمال وفصلناه في المنار (ج ١٧ ص ٨١٦) بعض التفصيل .

وكنا نظن انه كتب تلك الكلمة بغير علم وأنه اذا جاء العلم يقع ويرجع فاذا به وقد زاده العلم إصراراً على رأيه ، وتمويهاً له في نظر غيره ، فقد كتب مقالة في الرد علينا جاء فيها شيئاً من الخلابة غريباً ، و«أسمعني من الشعر العجيب» بدأها بدم التقليد تمهيداً للقول بأنه يدعو المسلمين الى مدينة جديدة بانكار كون الوقف من الدين ، وجعل أوقاف المسلمين تحت أهواء المحامين وتصرف الحاكمين ، ولا يهائم أنفي أدعوهم الى الجود على اتباع السنة ، وذلك تقليد يخالف (بزعمه) الحكمة ، وقد رأى قراء المنار ان التبعة التي كتبناها في أحاديث الوقف رداً عليه تلوها نبذة من نبذة متسلسلة في إبطال التقليد مبتدئة بالوجه السابع والمشرين ونختمه بالوجه الرابع والثلاثين من وجوه إبطال التقليد في الاسلام . ويعلمون انه سبق لنا مقالات كثيرة في السنين الماضية نتجج فيها على إبطال التقليد ، ويعلمون ان هذا مذهب المنار منذ أنشئ يقيم البرهان عليه كلما عنت له المناسبة ، ولكن المحامي البارع يريد بدم التقليد ان ترك اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيبطل ما شرعه وينبذ سيرة الخلفاء الراشدين تقايماً لرأيه

الأقرب في أن ذلك من المدينة والعمران وإن الوقف مناف لبادي الاقتصاد السياسي... قال الحامي أنه كتب ما كتب عن الوقف « مستهديا بعضات التاريخ مسترشدا بأصول علم السياسة المالية مستضيئاً بكتب أئمة الفقه محترماً أصول وأحكام الدين الحنيف » ثم بعد أن ذكر كتابته عن فساد التقاضي وخلل المرافعات في المحاكم الشرعية قال « قفر الينا شيخ رمانا بالجهل والجرأة على كتابة ما كتبنا ونشر ما نشرنا ويستفز رجال الشرع (على) تكذيبنا ولو أنه قرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان لكان إلا أنه اكتفى بالسباب والمهارة ، عن الجدال والمناظرة . (سمح الله) » اهـ ونقول من قرأ ما كتبنا علم أننا لم نرمه بمقال ولم ندع أحداً إلى تكذيبه في كل ما كتب ونشر كما يوهم اطلاق عبارته واتنا وكلنا مناقشته في شأن المحاكم إلى أهلها ولم تعرض الا لقاطعة في قوله ان الوقف ليس من الدين في شيء وأنه لم يرد فيه حديث الا ما انفرد به ابن ماجه في وقف عمر وأظهرنا العجب لجرأته على هذا النفي المطلق واعتدنا عنه بأنه لم يطلع على كتب الحديث وأنه لا لوم عليه في ذلك إذ قلنا « ان هذا ليس طعناً في الكاتب فإنه ليس عالماً مسلماً فيعاب بدمم الاطلاع على السنة » الخ فأين البراهين التي جاء بها على نفيه ما عدا حديث ابن ماجه فيطالنا بقرع البرهان بالبرهان وكيف ساع له أن يسمي اعتذارنا عنه سباباً ومهارة ؟ لقد ظهر انه يريد بهذه الالفاظ إلقاء خيالات انقارئين ، كما هو شأن الصنف الذي قلنا انه نصف الحاميين ،

ولقد كان منه بعد تعميته وإيهامه ، وتعميضة وإيهامه ، ان زعم انه عاد إلى تعزيز رأيه الذي فندناه ، ونفيه الذي أثبتنا سواه ، فبدأ هذا التعزيز بكلام في تاريخ الرومانيين والفرنسيين وكلام في حرية المعاملات وسهولة التجارة ورأي له في استحسان تدريس علم الاقتصاد السياسي في المدارس الثانوية وجمال كل هذا تمهيداً لرد قولنا ان غير ابن ماجه من المحدثين رويوا أحاديث في الوقف خلافاً لنفيه المطلق ، فما هذه الحجج والبراهين ، عند هذا الصنف من الحاميين ، اللهم أفرغ الصبر الجليل على قلوب القضاة الذين يتلون بسباع أمثال هذه الحجج والبيّنات .

ثم جاء بعد هذه التمهيدات العجيبة بالحجة البائسة عنده على نفي كون الوقف من الدين وهي ان القاضي شريحاً قال : « ان الوقف غير جائز شرعاً » : وما قال القاضي

شرح ذلك على إطلاقه كالحجي، ولئن قاله فلا يلتفت الى قوله لانه رأي له واجتهاد منه ولا رأي ولا اجتهاد مع النص عن الشارع وإجماع أئمة الفقه الذين يستضيء بحاميتهم بكتبتهم قسطنطينية وتجيئه بمد ذلك لشرح لا يفتي عنه شيئا وكذلك إمامه الجاهلين بأنه من الصحابة اذ قال انه «قام بمد وفاة النبي (عليه السلام) يقول للملا سبيها ان الوقف غير جائز شرعا» والصواب أنه من أتباعين الذين لا يحتاج أحد بأرائهم وما كان مثله ان يعلم الصحابة ما يجوز شرعا وما لا يجوز. على ان الصحابي لا يخرج الجهور برأيه أيضا

قال المحامي البارع ان القاضي شريحا يفتي رأيه في عدم جواز الوقف مطلقا على ان الوقف فيه حبس عن فرائض الله المنزلة في كتابه، ونحن نرد هذا بأنه لم يصح عنه كما سيحكي، وبأن الحبس عن الفرائض المنصوصة تماما يتحقق ويكون ممنوعا اذا قصد الواقف حرمان بعض الورثة من حقه في التركة كله أو بعضه لما في ذلك من الإيذاء ومن أسباب العداوة والبغضاء، فاذا اتفقت هذا القصد كأن يقف على شيء من أعمال الخير كما وقف الصحابة عليهم الرضوان بأي شيء في هذا يقضي بالمتع؟ أما لو كان هذا ممنوعا لكان كل عمل خير وكل وصية لاسانف العامة كالمدارس والملاجئ وترقية العلم من المحظورات التي لا تجوز ولا تحمل لانها تحبس المال عن الورثة فهل يقول المحامي البارع بهذا لأن له الآن حظا في زوال أوقاف المسلمين؟ وما زعم ان أوقاف الصحابة لم تجز الا لأن ورائهم أجازوها كاتقل عن العيني فهو باطل لأن أحدا لم ينقل في تلك الاحاديث اسم استجازوا ورتهم أو استشاروهم ولم يوجد في روايات الاحاديث ان النبي عليه الصلاة والسلام أمرهم بذلك أو اشترطه عليهم فالتأويل به مدع بلا دليل

وقد جاء المحامي البارع بشبهة على كون الوقف ليس من الدين حشاها بين دعوى القاضي شريح ودليله واننا نذكرها متأخرة رعاية للنسق ونردها على قائليها بالسند وهي ان الفقهاء يجتنبوا في مشروعية الوقف وعدمها قال: فدل ذلك على ان المسألة خلافية بين محارر العلماء أنفسهم: ونقول ان العلماء التجارير قد نقلوا الاجماع على مشروعية الوقف ولزومه قال النووي في شرح صحيح مسلم ان المسلمين أجمروا على أوقاف المساجد والسقايات، وهو يتضمن ان مطلق الوقف مجمع عليه وأطلق القرطبي فقال: راد الوقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه: ولا يخفى ان اثبات الاجماع في غير الأمور

العملية متعسر أو متعذر وقد علمنا بالتواتر أن المسلمين يقفون من عهد النبي وأصحابه إلى هذا اليوم الذي جاءنا فيه حمام نصراني يريد إبطال الوقف في الإسلام أو إباحة التصرف بالآوقف بمدينة المسلمين بزعمه وقطعا لطرق الخير والبر في الواقع ونفس الأمر أو تحكيم الأحكام فيها، ولا حجة له إلا أن شريحا من التابعين لم يكن يقول بالوقف لأنه حبس عن الفرائض والتوافيق القاضي والحامي في هذه الجزئية وتقول الناس لا يجوز لكم أن تقفوا أو قافا بقصد منع ورثتكم من الفرائض التي فرضها الله لهم بل افعلوا الخير لا خير كما أمر الله ورسوله، وإعل هذا يرضي القاضي في الآخرة ولا يرضي الحامي في الدنيا

ثم ذكر الحامي البارع أن « أقطع برهان للدلالة على أن نظام الوقف يقبل التنوير والتعديل شرعا مارواه العيني في شرح البخاري من أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لو لا أني ذكرت صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرددتها : فلما قال عمر هذا دل على أن نفس الايقاف للأرض لم يكن يمنع من الرجوع فيها وإنما منعه من الرجوع فيها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمره فيها بذيء وفارقه على الوفاء به فكذا ان يرجع عن ذلك » اه نقل الحامي »

وقول ان كلمة عمر في الرجوع عن الوقف منقطعة الاسناد لان قائمها ابن شهاب لم يدركه عمر وقد أوردنا بعض الحنفية حجة لقول أبي حنيفة أن قول النبي لعمر « حبس أصلها » لا يستلزم التأيد بل يحتمل أن يكون أراد مدة اختياره قال الحافظ في الفتح ولا يخفى ضعف هذا التأويل ، ولا يفهم من قوله « وقفت وحسبت » إلا التأيد حتى يصرح بالشروط عند من يذهب إليه ، وكأنه لم يقف على الرواية التي فيها « حبس مادامت السموات والأرض » ثم ذكر نقل القرطبي الأجاع على الوقف « قاله صوابان عمر يريدان صح الثقل أنه لو لم يذكر ذلك لاني فيجعل له النبي شرعا مقرررا لسان رجع عنه ولكنه صار ممنوعا من الرجوع شرعا ، لانه كره الرجوع كراهة لما فيه من عدم الوفاء ولضعف تأويل أبي حنيفة (رحمه الله) هنا خالفه أصحابه ووافق الجمهور . فظهر أن قول عمر حجة على أنه لا يجوز الرجوع في الوقف بعد تأييده ثم ذكر مقاله الحنفية أيضا من أن قول النبي عليه الصلاة والسلام لعمر « ان شئت حبست أصلها » لا يستلزم إخراجها عن ملكه ، ومن الغرائب ان تشبث أحد بمثل هذا وليس في هذه الرواية إلا ان

الوقف قرينة اختيارية من قرب الدين ، وليس مفروضا على المسلمين ، وهذا مما
لا خلاف فيه . وأما كون المبادأة تفيد جواز الرجوع عن الوقف فلما لا وجه له ولا
يذهب اليه الا المتأمل بالاولاهم فانه فهم تبرأ منه العربية

ثم انتقل المحامي البارع من هذا الى اسماء أئمة من عمن الصواب فاستدل على زعمه
السابق انه لم يرد في الوقف الا حديث عمر بعدم ذكر الحديث في الموطأ - وزعم
انه أصح كتب الحديث - وعدم ذكر غيره في صحيح البخاري ومسلم * وهو مخطيء
في ذلك ولا يمدو خطاه سببين اثنين أحدهما قلة اطلاعه واطلاع شيخه الذي دله
على هذه الشبهة في الصني وهو الذي اعتدنا به عنه أول مرة وسماه شتما ، وثانيهما تيممه
الكذب مع العلم به وهذا مالا نرضاه له ، فهل يمكن ان يكون لهذين السببين ثالث ؟
الموطأ ليس أصح الكتب بل أصحها جامعا البخاري ومسلم باتفاق المحدثين ولكن
الموطأ ومسنده الامام أحمد أقدم من الصحيحين والأحاديث الدالة على مشروعية
الوقف متفق عليها ، وقد ذكرنا في النبعة الاولى التي نشرناها في الجزء السابع عشر ان
حديث وقف عثمان ذكره البخاري تعليقا وان حديث وقف أبي طلحة رواه أحمد والبخاري
ومسلم ولكننا قلنا هناك (الشيخان) فلمنه لم يفهم ان المراد بهما البخاري ومسلم الا
أن يدعي انه لم يطالع على تلك النبعة ، وذكرنا فيها حديث الترغيب في وقف المتقول
عند أحمد والبخاري وقلنا ان حديث وقف خالد لأدراعه وأعتاده صحيح ونقول الآن
انه في البخاري ومسلم وهو متفق عليه . وذكرنا ان حديث الترغيب في الوقف على الإطلاق
وهو الصدقة الجارية بالاتفاق قد رواه أحمد والبخاري . وحسبه هذا ان كان منصفاً لاسيما
مع قولنا ان الحديث اذا صح نهض دليلاً سواء كانت الواقعة - ان كانت واقعة واحدة أو
تعددت * وأذكر ان مالكاً روى بعض أحاديث الوقف لانه مذكور في سند بعضها
وأتباعه المالكية مجمعون مع المسلمين على مشروعية الوقف فعدم ذكر أحاديثه في الموطأ
لا ينهض حجة على أن الامام مالكاً لا يقول به فان كثيراً من أحكام الدين المتفق عليها
لا ذكر لها في الموطأ

ثم انتقل المحامي البارع الى معارضة الاحاديث المجمعة على العمل بها وتواتر بحديث اعترف
هو انه شاذ وهو حديث شريح * لا حبس عن فرائض الله * وذكر له سنداً الى شريح وليس فيه ان

شرحا أسنده إلى أحد من الصحابة ولا رفته. ولورفته بدون ذكر الصحابي لعدم مراسيلها والجمهور لا يحتجون بالحديث المرسل مطلقا ومن قال بأنه حجة يشترط في ذلك شروطا ليس من السهل تحقيقها إلا سيما بعد العلم بأن شريحا يقول هذا لتأييد رأيه على رأي الجمهور. ولو سلمنا بأن الحديث مستند مرفوع صحيح سالم من الشذوذ لما كان فيه من حجة لما علمت من أن التبادر منه منع القصد إلى حرمان بعض الورثة من الارث. على أن الرواية عن شريح فيها مقال وإن قبل المحامي عن العيني أن رجالها ثقات فقد قال الحافظ الذهبي في الميزان أن ابن يونس قال في راويها سليمان بن شعيب بن الليث أنه يروي مناكير وإن العقيلي قال فيه : حديثه غير محفوظ : وهو الواضع لحديث « أبو بكر وزيري يقوم في الناس مقامني من بعدي وعمر ينطق بالحق على لساني وأنا من عثمان وعثمان مني وعلي أخي وصاحبي يوم القيامة » وإن كان سليمان بن شعيب في الرواية ليس هو حفيد الليث مع أن التبادر أنه هو لقولهم : سليمان بن شعيب غرابيه : فهو بلا شك سليمان بن شعيب السنجري الذي يروي عن سفيان الثوري وقد قال فيه ابن عدي : ضعيف يسرق الحديث : فعلم من هذا أن الرواية عن شريح موضوعة أو واهية وأنها لو ثبتت وسلمت من العلة والشذوذ لما كان فيها دليل على المراد. وهذا كل ما نقل عن شريح قال المحامي البارع : ويؤيد هذا ما رواه الطحاوي أيضا من حديث عكرمة عن ابن عباس قال « سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعدما أنزلت سورة النساء من عن الحبس » وأخرجه البيهقي أيضا فمن هذا يعلم الفارسي أن رجال الدين في صدر الاسلام كانوا يتناقشون ويتناظرون في مشروعية الوقف وأن منهم من رأى أن الوقف غير جائز شرعا : اهـ

أقول أما الحديث فضعيف لأن في أسنده عبد الله بن طهية عن أخيه عيسى وهما ضعيفان ولا نظر لتوثيق أحمد لعبد الله لأن الجرح مقدم على التعديل وإنما جرحه الحافظ مع علمهم بقول أحد فيه ولا توثيق ابن حبان لعيسى لما ذكره ولأنه متساهل يعتد بجرحه ويثبت بتعديله كما قال الحافظ ويؤيد ضعفه استمرار المسألة بين كافة على الوقف من ذلك اليوم إلى هذا اليوم، وأما ما فرعه عليه أو على مجموع ما تقدم من أن رجال الدين في صدر الاسلام كانوا يتناقشون في مشروعية الوقف فهو باطل ولم يوجد ما يدل عليه إلا أنه ادعاه أولا ثم ادعاه آخر

فهو يؤيد الدعوى بالدعوى

فقد اتعاظنا من عجاوت الحامي البارع انه اعتمد في توجيهاته على شرح العيني على البخاري وقد نقل ما نقل عنه مبثورا ولو تصفح الجزء الذي نقل عنه أو التفرس لعلم ان في البخاري كثيرا من الامايد في الوقف. وفي الورقة التي نقل عنها من شرح العيني انه لا خلاف بينهم في جواز الوقف وفصل ذلك ثم بين موضع الخلاف فقال (ص ٤٦٩ ج ٦) : «واختلفوا في جوازه من يملك الرقية اذا لم يوجد الاضافة الى ما بسد الموت ولا اتصل به حكم حاكم فقال أبو حنيفة لا يجوز حتى كان لا واقف يسع الوقف وهبته واذا مات يصير ميراثا لورثته وقال أبو يوسف ومحمد والجمهور يجوز حتى لا يباع ولا يوهب ولا يورث» ثم قال «وفيه (أي الحديث) ان الوقف مشروع خلافا للقاضي شرح» فلم انه لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية الوقف الا ما نقل عن القاضي شرح ولعله كان لعدم علمه بالاحاديث الصحيحة فيه، وجهلى عمر شرحا قاصيا واقرا الخلفاء بعده ما دام على القضاء في الكوفة لا ينافي ذلك فان الرواية كانت في العراق قليلة على عهده، واما زعم الحامي ان شرحا قام بتادي في الناس بمنع الوقف ومجادل ويناضل فيه فقير صحيح وما ذكر من الطبع عنه لم يرو منه الا قوله «لا حبس عن فرائض الله» وهي شبهة وقد علمت ما فيها من اوسنء. فظهر مما كتبناه ان الوقف مشروع في الدين، وجائز باجماع المسلمين، وان العبث بأحكام السنة ليس سهلا كالعبث بالقوانين. فلا تتناول بها خلافة ذلك الضعف من الحامين. لان لها انصارا يؤيدونها الى يوم الدين.»

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»

انتم المومنين

﴿بلم صقلية﴾

(ملاحظات صالح بصير)

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَأَذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»

قضت المقادير أن أغبر خطه سفرى عن طريق مرسلها الى طريق إيطاليا وكان لي في ذلك خطان من السير أحدهما يمر بالرم ثم يصل الى نابولي ثم تكون الإقامة

في نابولي نحو أربعة أيام ويسعدو المركب بنا إلى ماسينا ومنها يذهب إلى الاسكندرية
والآخر إلى عند بلرم (أوباليرم) وتكون الإقامة خمسة أيام تذهب بعدها إلى ماسينا
كذلك وكان بودي لوديهت مع الخط الأول فكنت رأيت بلدانا كثيرة وآثارا عظيمة
تزيدني علمي كثيرا لما لم أعلم إلى اليوم غير أن بعض أصحابي قال لي أن بلرم هي عاصمة
صقلية وتوجد فيها من الآثار العربية ما يهيم العربي أن يراه وفيها داران للكتب لا تحلو
كل منهما من كتب عربية قديمة ربما يستغرق الاطلاع عليها زمنا مثل الزمن الذي
تقضي الضرورة بصرفه إلى يوم السفر إلى ماسينا : ففضلت النزول إلى بلرم ولا أذكر
الآن شيئا مما لاقيت من الجمالين وغيرهم من مستقبل المسافرين ولكن أعود إليه

بعد أن أخذت مكانا في نزل سترال بشارع روميه خرجت لأبصال بعض رسائل التوصية
إلى من أرسلت إليهم فلاقيت منهم ماسرني وكان أحدهم موصى بأن يسهل لي طريق
زيارة المكتبة العمومية ودار المحفوظات الرسمية والفن من رؤية ما يكون فيها فعدني
بالحي في القديرافتي إلى المكتبة ثم بعد ذلك بدأت بزيارة قصر الملك ولا حاجة لي
إلى وصفه فإن ذلك من شأن صاحب جريدة أو شاعر يطلب اظهار البراعة في حسن الوصف
وسعة العبارة وغاية ما أقول أنه قصر (أوسراي) واسع كبير اليبوت باهر الزينة والاثاث
كسائر قصور الملوك في أوروبا وفي غيرهما من البلاد الشرقية والغربية مما تنفق فيه
الاموال بحساب وبغير حساب ولا شيء منها من كد الملك والامير واتمهاهي من أموال
الرعية وكسب الحفاة العراء الذين لا يجدون ما به يستترون ويشتهون لو أنفق على جدران
أبدانهم وأركان أجسادهم جزء من المليون مما تنفق على حيطان تلك القصور ووزاياها
وسقوفها ... ما لنا بهذا كرا شيئا من وصف ذلك الفنى في بلد الفقر ولسكن أذكر ما رأيت
فيه مما يجب الشرقي أن يطلع عليه اما الجيرة واما لفكاهة. ذهبني حارس القصر أولا إلى
حيث توجد كنيسة الملك ولا حاجة إلى وصفها كذلك ... الا لو كان الله يحب أن ترين له
معاينه ، وتفتش لجده مساجده ، كما يحب ذلك ملوك الارض — فوجدت في المعمر الموصل
إليها على الحائط المتصل بالكنيسة حجارة قد كتبت عليه هذه العبارة :

« خرج الأمر من الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية أيد الله أيامها وأيد
أعلامها بعمل هذه الآلة لصد الساعات بمدينة صقلية الحمية سنة ست وثمانين وخمسمائة »

ثم في أعلى الحجر سطور بالحرف اليوناني يظهر أنها ترجمة هذه العبارة * والحضرة
الرجارية هي حضرة الملك رجار أو (روجير) الترمندي الذي دخل جزيرة صقلية
وقتها على العرب وكان لسانه الرسمي في حكومته اللسان العربي واليوناني * أما سله في البناء
والزينة فكان الى الرسم اليوناني * ولهذا الملك آثار كثيرة في بارم ويوجد كثير من
المحروقات العربية والصكوك مما كتب في أيامه * ويقال ان العرب كانوا في زمن
الترمنديين يمتعين ببحرية تامة في اقامة شعائر دينهم وتصرفهم في شئونهم وان كان هذا
الملك قد هدم مساجد كثيرة لثقل أعينها الجلية الى الكنائس التي رأى تجديدها في
المدينة * ويظهر من العبارة المرقومة على الحجر أن هذا الترمندي كان ضد ما دخل البلاد
ذهب مذهب أهلها من العرب في المدينة ولم يحتقر ما وجد من آثار العلم فكان يأسر
يصنع الآلات الفنية والفلكية ويساعد الفاتحين بعملها

رأيت في خزينة الجواهر من قصر الملك صندوقا عربيا في طول نحو ثلثي ذراع
وارتفاع ثلاثة أرباع الذراع صنع من نحو ثمان مئة سنة على ما يقول الحارس وهو موشى
بالقوش الذهبية من أجل ما رآه عين الآن وقيمته عند الدولة خمس مئة ألف فرنك *
ورأيت في أحديوت القصر بابا من الحسديد مطليا بطلاء أصفر جميل من أجل ما يصنع من
الابواب وهو من صنع أيدي العرب أيام دولتهم

رأيت بيتا من بيوت القصر فيه صور نواب الملك في عهد البربون بعد الترمنديين
ومع كل نائب منهم كردينال كما كان للملوك كدالة يصحبونهم ويشركونهم في كثير
من شئون الملك لذلك . كان النائب عن الملك يصحبه كردينال يرجع اليه في أمور
دينه وفي أعماله السياسية أيام كانت الأحكام المدنية والسياسية مما يدخل فيه رجال الدين
كما نقول عندنا « المفتي أو شيخ الاسلام » في عهد الملوك الذين لا تسمح لهم أوقافهم بتعلم
العلوم الدنيوية فيحتاجون الى من يرجعون اليه من علماء الدين * غير ان المفتي وشيخ
الاسلام انما يجب مما يسأل عنه أو يؤدي ما كلف به * اما الكردينال فكان يتدبر
الشورى ويقترح المطلب ، ويقم نائب الملك على المذهب ، ويكلف يده عن العمل لا يرضاه ،
ويجعله على سطها فيما يتوخاه ، فكانت السلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية في نظام واحد
لا فصل فيه بين السلطين وهذا الضرب من النظام هو الذي يعمل الباباوات وعمالهم من رجال

الكثيكة على ارجاعه لانه أصل من أصول الديانة المسيحية عندهم وإن كان ينكر وحدة الساطة الدينية والمدنية من لا يدين بينهم

كان حماقده بعض أصدقائي في جريدة الامكنة التي برغب في رؤيتها محل يسمى بالثوم أي القصب فذهبت اليه واذهاو الكنيسة الكبرى التي تسمى كاتيدرال رئيسها هو صر جعفر رؤساء بقية الكنائس في المدينة والولاية وهي من عظمة البناء وبهجة الزينة على ما تبول شرهه وأصل هذه الكنيسة الكبرى مسجد باق على ما هو عليه حتى بابه الخشبي الجليل، غاية ما في الاسرائه زيدت فيه الصور والتمثيل، وضروباً أخرى من الزينة الكنائسية ويمكن للناظر ان يتفرد ذلك بمجر درؤيته من الظاهر لان رسم البناء على الطريقة العربية في عامة المساجد

زرت بهذا ذلك دير ايسى درسانت جواني وهو ما كان قد كتب في جريدة الاماكن ولم أرفيه شيئاً سوى ان أسفل الدير كان مسجداً فلما جاء الزمندان حولوه الى كنيسة بناها راجار و نقل اليها هذه الاعمدة من المساجد التي خربها لما أعجبها من أعمدها، ثم أخذني السادن بهذا ذلك الى قبة قريبة من الكنيسة وقال لي انها على شكل عربي ولما رأيتها خالية من الزينة المعتادة رؤيتها في أماكن المباداة التصراية سألتني في ذلك فاجبني أن الاسبانين عندما غلبوا على سيسيليا سلبوا ما كان في هذه الكنيسة من الموزاييك (زينة من أجل ما تزين به الاماكن والأدوات تصنع من قطع دقيقة من الحجارة على أشكال مختلفة بحيث يصورها جميع ما يمكن تصويره من الرسوم والصور) وحملوا ذلك الى بلادهم، وقال انهم لم يقتصروا على ذلك بل سلبوا الكنائس كل ما كان فيها من المصنوعات الفضية كذلك، فقلت لصاحب كان همي يظهر ان كل قاتح يرى من الواجب عليه ان يفسد شيئاً من عمل من سبقه فكل منهم يقوم بما رآه واجبا عليه :

عرفت قسيساً حلياً ماموا للعربية بمدرسة دير الكبوشين في برسم - وسألتني على ذكره - فما أرشدني اليه رؤية بقية من قصر يسمى العزرة وهو اسمه في الطائانية فذهبت معه اليه واذهاو قاعة كبيرة فيها سلسيل ماء بنيت على نمط ما كنا نسميه عندنا (القاعات الحرمية) حيطانها مزينة بالموزاييك من أجل ما تحب عين ان تراه ولم يبق من القصر مكان ينظر اليه السائحون الا تلك القاعة - اما أعلى القصر فيسكنه أناس من أهل المدينة وقد دخل بتسامه في ملك بعض الاغنياء - والقصر من

بناء الملك راجار الترمدي بناء لابنته عزيزة ، وعلى مقربة من هذا القصر بقول القسيس أنها مسجد عربي فأخذنا نحوها فاذهبي في بستان كبير قد أغلق بابه وقيل لنا ان خادم البستان فيه ، وذهب ذاهبا ناديه ، وطال بنا الوقوف ، واجتمعت علينا من الصغار والنساء صفوف اوزخوف ، جلبتهم علينا تلك العمامة وصاحبها الحية ، وكلنا طردنا فوجا قبل فوج ، أو نجونا من موج علا علينا موج ، الى ان جاء رجل قيل انه هو حارس البستان ، وبعد قيل وقال في فتح الباب ، واحتياجه الى اذن من صاحب البستان ، رضي بالفتح ، طعافي التفح ، فدخلنا ورأينا صموبة جديدة في فتح القبة فذللناها . القبة من قباب المشايخ التي يقيمها المسلمون على قبور الاولياء والامراء على خلاف ما يأمربه الدين وأظن انها على قبر من هذه القبور وليس فيها من أثر عربي سوى شكلها هذا

كنيسة موربالي، وتساهل العرب، وأين هم اليوم

مما رأيته في بلم (صقلية) كنيسة موربالي وجميع سقها والاعلم من جدرانها مفتى بالوزايك ألوانا وأشكالا من أبهى ما يهيج الناظر ، وأجل ما يشرح فيه الخاطر ، وفي ناحية منها قبة تعرف بمعد الصليب فيها من التماثيل وضروب الزينة ما يقصر عنه الوصف . وأهم ما يذكر في شأنها انها مبنية في القرن السادس من التاريخ المسيحي فيكون لها نحو ألف وثلاث مئة سنة والمنصوتات الحشوية الجميلة محفوظة من ذلك العهد لم يجرأ السوس على قرض شيء منها بركة العناية والاهتمام بالتنظيف وأما ما يقول به بعض الخذاق في معرفة طبائع هذه الهوام الدقيقة من انها تعرف الصلب وما خصص له من الأدوات وتشعر باحترام تلك العصور والتماثيل التي صورت في تلك الاخشاب وانها بذلك صارت مسيحية كاثوليكية فلا يباح لها قرض الخشب المسيحي ، ثم ان اعتقادها بجرمة القرض ، حملها على العمل بخالف شهوة الاكل قياما بالقرض ، فلا أظنه في غاية الصحة بل ولا في أولها كذلك . ويقال ان الكنيسة من بناء الملك كيلولمو الثاني وقبره فيها صندوق من حجر فيه جثة ومن ذلك تعرف ان العرب رحمهم الله لم يمسوا هذه الكنيسة بسوء مع عظمة سطوتهم وامتداد ملكهم في سيبيليا ، وتلمح من هذا ان العرب - وان فسق كثير

منهم عن أمر ربهم - فروح الدين الإسلامي كانت تموت في كثير من أعمالهم ،
 نهى الدين عن هدم الكنائس إذا لم تكن مريضاً لئلا ينجس مظهره على الدولة
 فيفظوا أرواحهم ككنائسهم ومبانيهم ولم يصنعوا بها ما صنع غيرهم ممن جاء بعدهم ،
 ولم يريدوا أن يقتلوا أثر خصوصهم من كان يهدم مساجدهم ، ويحترق مبانيهم ،
 فيأثم الله أيابهم . لا جرم أن الإسلام عربي وأحق الناس برأيه والوقوف عند
 حدوده بعد فهم حقيقة هم العرب فأين هم ؟ يمكن أن يقول قائل : انهم في
 جزيرة العرب أوفى الشام أوفى العراق أوفى مصر أوفى تونس والجزائر أوفى المغرب
 الأقصى ، أفلم يكفك كل هذا المدد ، في أكثر من ألف بلد ، حق تقول أين هم ؟
 ولكني أقول له إنما يكون القوم أولئك القوم إذا بقيت لهم أخلاقهم ، وحياتهم وأرواحهم ،
 فإن كان لم يبق إلا أشباح تشبه أشباحهم فليسوا بهم ، في الحق أن أقول عن العرب
 فأين هم ؟

دير الكبوشيين ومدرستهم ومقبرتهم في بلرم

(وفي بحث الدعوة إلى الدين وأحياء اللغة)

للكبوشيين دير في بلرم فيه معبد ومدرسة ومقبرتان . أما المعبد فهو المصلي
 لا يحتاج إلى الكلام عليه ولا يختلف عن غيره من المبانى ، وأما المدرسة فهي لتعليم
 اللغات والفنون والعلوم التي يحتاج إليها المرسلون الذين يكلّفون بالدعوة إلى الدين
 المسيحي والتبشير بالإنجيل ونشر ما تقتضيه الفكرة الدينية نشره في الاقطار الثمانية كبلاد
 العرب والترك والفرس وغيرها . ومما يعلم فيها اللغة العربية ، واستأذنا الراهب
 جبرائيل ماريا الكبوشي وهو من حلب وتعلم العربية في بيروت وأخبرني أن من
 استأذنته صديقنا الشيخ سعيد الشرتوني صاحب (أقرب الموارد) في اللغة - لايت
 ذلك الراهب وحادثته في شأنه والزمن الذي قضاه في إيطاليا والداعي إلى الإقامة
 فيها فتبين لي أنه جاء إليها ليعلم دينه هذه الخدمة - لتعليم اللغة العربية لنشر الدين في
 بلاد العرب مثلاً . وكان يتحرى في كلامه قواعد اللغة العربية بقدر الامكان فحفظت
 منه ذلك . كأنه اعتقده أنه تعلم العربية ليتنفع بها في منطقته وإن كان في بلاد
 إيطاليا وعمل بما اعتقد ، وما كان أسهل عليه أن يكلمني بالحالية كما يكلمني البيروتي

باليروتية والتولسي بالتونسية ولا يباي أ كنت أفهم أم لأفهم كما لا يباي الكشتر من
ذكرناهم .

وفي هذه المدرسة تعلم العلوم اللاهوتية كذلك للغاية التي ذكرناها ولا حاجة الى
ذكر ما فيها من العلوم فان ما يحتاج اليه للبراعة في نشر الدين والدعوة اليه معروف عند
من يعرف ماهو الدين ويتصور معنى الدعوة اليه . أما من لا يعرف ذلك فلا نكتب له
معرفا واحدا من هذا الكلام ، فان قال قائل : فلمن تكتب ما تكتب ؟ قلت
ان فقد الفاهم فاني أحفظه لنفسي والسلام . هل خطر ببالننا - وكل ما يدعي الفرة
على دينه ويرى انه الحق الذي يجب على الناس كافة أن يخلصوا أرواحهم باعتقاده
والأخذ بأصوله - ان ننشيء فرقا من فسروع التعليم لنشر الدين وتقوم أصوله
بين أهله فضلا عن نشره بين من ليسوا من أهله ؟ أريد من أهله أولئك الذين
ليسوا رداءه واعترفوا ان الدين دينهم سواء عرفوه حق معرفته وهم في غنى عن
الدعوة اليه ، أوجهوه أو انحرفوا عن طريقه وهم أحوج الناس الى الارشاد وأنشدهم
اقتضارا الى من يحول اليه نظرهم ، ويسطف عليه اختيارهم ؟ هل مرر ببالننا ان نسي
هذا الفرع من التعليم ما يلزم له من فنون واساندة لتلك الفنون كما يبي - هؤلاء مبيثون
لتعليم من يقوم بدعوة من ليس من دينهم الى دينهم ؟ ما كان أحوجا الى انشاء ضرب من
التعليم خاص بمن يكلف بارشاد من يسي الى الدين باسم الدين ومن يهزم شرف الدين
بعمل ينسبه الى الدين ؟

ألا يحق لنا ان نطلب من أولئك الذين صعدت بهم ألقاب الرئاسة الدينية الى
أسمى المنازل ان يفسكروا في هذا الأمر ، ويقوموا بما يجب عليهم منه ، ان لم يكن
لمصلحة الدين فله مصلحة أنفسهم ، فان في تقوية جانب الدين تقوية لمساندهم ، وفي
تبصير العامة بشئون الدين تمكيننا لحرماتهم في نفوس الدهماء وتسجيلا لسيادتهم عليهم ؟
أليس لنا على ضعفنا ان نذكرهم بالامر الالهي القارع للقلوب المزعج للمهم في قوله تعالى
« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »
الح فهل يليق بهم ان يصموا آذانهم عن هذا الخطاب ولا يجنحوا ان يكون التصام عنه
بمثلة الخروج من مدلول كاف الخطاب ومثعرا بأنهم ليسوا من أولئك الذين خطبوا

به ؟ ؟ لسأ بل علينا ان نطالبهم بذلك وأن نزيد عليه مطالبتهم بالنظر في انشاء فرع لتعليم ما يلزم لنشر الدين بين بقية الامم ان كانوا يعتقدون ان دينهم هو الحق فان السكوت عن الدعوة الى الحق رضاً بالباطل ، اولئك الملوك والامراء الذين لافضل لشيء عليهم في تمتعهم بملكهم واطاعوا رعاياهم لسلطانهم مثل فضل الدين لم لا يتعلمون شيئاً من مالههم وقسمها من زمانهم بنفوقها في الاشتغال باحيا روح الدين ، ولا يكتفون بشئ العامة بالمحافظة على رسوم كلها او حيلها لا يعرفه الدين ، ؟ أفلا يجب عليهم ان يسعوا في زيادة تسكين قوتهم ، وتعزيز سلطتهم ، ؟ اللهم الا اذا ظن هؤلاء اولئك ان الدين حيوان يمشي على رجلين يطلب رزقه من اقلوب حيث يجحد الحاجة اليه ، ويفندو الى مرعاه من النفوس متى اشتد الجوع عليه ، فاذا قصر في ذلك حق أهليكم الجوع ومات قائماً ثم دعى على نفسه لاعليهم ،

ربما يقول قائل : ولم تستبعد هذا الظن منهم فتعبر في جانبه بكلمة « اللهم » وهم قديرون انهم من أهل السنة ووعاظوا الدخول في أثواب حياة السنة بهذا الظن الذي تستبد به وما عليهم في ذلك الا ان يقولوا نحن سنيون لا نقول باستحالة شيء ونظرنا ان نجوز المحال ، نذهب الى جواز تحميم المعاني ونعتقد ان الاعمال والعقائد وهي معان نفسية وحركات بدنية يمكن ان تنقلب اشخاصا حيوانات تنشي وأنامي تتكلم ، أليست هذه العقيدة هي مطيئنا الى الجنة ؟ فليكن الدين رجلاً عاقلاً ، او ميكروباً متفلاً مفيداً لا قاتلاً ، يفعل نفسه ما كان فاعلاً ، ويدعنا تمتع بالنسبة اليه ، وإن لم يكن لنا عطف عليه ، : فنجيب القائل بأنهم مغرورون ، وان السنة بريئة مما يزعمون ، وسيعلمون أي منقلب يتقلبون ،

خرج بنا الكلام عما نحن بصددده . هذا الراهب استاذ العربية في الدير وضع طريقة سهلة لتعليم قواعد اللغة العربية من الصرف والتحو للايطاليين - بوضع القاعدة العربية ثم يفسرها باللغة الايطالية بأسلوب يسهل معه تناولها بقدر الامكان ، وقد رأيت من تلامذة الراهب من يحسن قراءة العربية وان كان لا يحسن التكلم بها لعدم انتمرين على السماع والنطق ، وما أحوج كل عربي الى تعلم ما يحتاج اليه من لغة : لكن ما أشق العمل وما أوعر الطريق وما أكثر العقبات في طريق العربي الساعي في تحصيل

ملكه لسانه !! يضي صممه وهو لا يزال يضرب برجله في أول الطريق ، أفلا نسمع بالحاجة الى قريب المطلب ، ونيسر المذهب ، في تحصيل ما تدعو اليه الحاجة من لغتنا حتى نتمكن منهم ، وأودع فيها من الفناس ، والتعير بهما عندنا في أنفسنا ، ونحب ان لسوقه الى بني لغتنا ، على وجه صحيح ، وبأسلوب فصيح ، ؟ ألم يأن لسان نرجع الى المعروف مما كان عليه سلفنا فتحيا بما كان قد أحياهم ، وتركنا ابتداء خلافهم بما أماتهم وأما تلاميذهم ؟

أما المقبرتان فأحدهما في بناء متسع الارجل تحت الارض ينزل اليه بسلم وفيه نوافذ يأتي اليه منها الضياء وقد وضعت فيه الحثث على ضروب شتى ، فمن الحثث ماهوفي مستديقي مقلدة من الحشب أو الحجر أو البرز ، ومن ذلك حثة موسيو كرسبي رئيس الوزارة الايطالية السابق قائم في ذلك الحث في صندوق معلق ، ومنها ما وضع في صناديق من البلور بحيث تظهر الحثة للرائي من داخل الصندوق على الحياة التي كانت عليها عند الموت . وقد يوجد في الصندوق الواحد عدة أشخاص بادية هياكلهم ، ظاهرة وجوههم ، على أنهم ما همز له قلب ، وتعبيره نفس ، وهذان القسمان من الاموات اعسانا لون حظوة الاستيداع في هذا المكان اذا كانوا من الاغنياء الذين يتمكنون ان يدفعوا الى الدبر ما يطلبه من قيمة هذه الحظوة . وهناك قسم آخر وهو حثث مخططة قائمة في جوانب المكان عليها سياجها في الحالة التي كانت عليها عند موتها وهي حثث الرهبان والقسيسين الذين يحبون ان يودعوا في هذا المكان ليسعدوا بركته ، ولهم هياث تتقبض لها النفس ، ويضيق بها الصدر ، ولا حاجة بنا الى تعداد ذلك وكيفي القارئ ان يتصور ميتا في أشد ما تركه النفس مما يصور ما لموت في البدن

وأما المقبرة الاخرى فهي كسائر المقابر على ظهر الارض وان كان الاموات في بطنها وهي من أجل الاماكن وأنظفها والقبور فيها نظيفة البناء بهجة الظاهر . وقد غرس في المقبرة أشجار السرو بنظام بديع وقيل لسان الذين يدفعون فيها هم الامراء والاغنياء اما الفقراء فاهلهم مقبرة تليق بفقرتهم في مكان آخر . وكأني قضي عليهم ان لا يساوا الاغنياء حتى في الموت مع أن الموت قدسوى بين الاغنياء وبين أدنى طبقة من الاحياء بل جعلهم طعمة لا قدر الديدان كما جعل ذلك حفظ أمانهم من سائر الحيوان ،

فيل ان الحكومة بمدان استولت على رومية منعت الدفن في المقبرة الاولى على تلك الطريقة وأمرت أن لا يدفن الميت الا في المقابر المعتادة كهذه المقبرة الثانية ونحوها وانما حفظت الحق في الاستيداع في المقابر للبابا وللملك دون سائر الناس فهم اوجدها توضع جثتهما في صندوق وتودع في الكنيسة وقد أحسنت الحكومة في ذلك فان من كان محببا بظلمته عن الناس في حياته ، يجب ان يكون عبرة لعامةهم بمدامه (لارحلة بقية)
(المنار) ليعتبر المصريون الذين لا يزالون على سنة أسلافهم الفراعنة في تعظيم القبور واتخاذها مواسم وأعياداً بمقابر الامم الاخرى في زينتها ونظافتها وانك لتجد طريق قرافة مصر شر طريق يمتشي فيها الناس تكسوا سالكها ثوبا من التراب فوق ثيابه وانه ثوب يكسوا بطن الاقف والفم ويرمي اتصاله الى الصدر فلا هم أقاموا سنة الاسلام بدرس القبور واهلها ولا سنة سائر الملل بضافتها وزينتها

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ تابع ويتبع

﴿ باب ٢ كيف حدثت القوة للانسان ﴾

تلك القوى (*) تابع أصل وجودها من حيث الجملة لفطرة النوع . واما قسطن كل فرد من كل قسم من أقسامها فتابع لتوزيع عام مرتب اقتضاه نظام الوجود المؤسس على وجود المتضادات .

فمن كان يرجو ان ينال نصيباً حسناً من ذلك التوزيع فليعرض عن الذين يجادلون في مثل هذا المقام في عمل الانسان كقول فريق منهم : اذا كانت قوته من صانعه قلت أو كثرت فأني فضيلة أو ذليلة له . وكقول آخرين : اذا كانت قوته منه فلم يعتذر بصانعه ان قصر

ولم نوص بهذا الاعراض تقييداً للأفكار ان تجول في المعقولات كما خولها الفاطر ، ولا استصغاراً لهذه المسئلة ، بل لأننا نجدنا كيفما قلنا نجري في هذه الحياة على اثابة المحسن ومؤاخذه المسيء ، فعلمنا ان البحث عقيم وان استج فهو لا يعدو هذه النتيجة الواقعة لما في الانسان من مكنونات الاسرار :

(*) هي المشار اليها في آخر الباب الماضي

ولا نلما ان نقول لامثال أولئك السائلين : ان الفاطر (جلا وعلا) فطر هذا النوع على صورة يتصرف معها في عوالم الأرض ثم ينتهي الى عالم الغيب ليستم هناك فيه أمراً لم يبتدأه عبثاً ، وكان من حكمته ان يكون أفراد هذا النوع درجات ، وجعل في الافراد شوقاً للترقى من درجة دنيا الى درجة عليا ، وأغاث هذا الشوق بإيجاد استعداد عام في أصل الفطرة للترقى . فمن أزعجه الشوق حتى عرض نفسه لتليل نصيب من الاستعداد العام يوشك ان ينال المنح والتحف عما في أصل الفطرة ، ومن احتج على الشوق في تسفله الخاص بأنه تابع لترتيب الدرجات العام فحجته في نفسه داحضة لان القضاء العام في تفاوت الدرجات يقابله إيجاد استعداد عام ، فائن صح حجة في وجود متسفلين يقابلون متعالين فلا يصح حجة في تسفل فرد بسببه .

هذا هو سبيلنا الذي اتفق البشر كلهم على سلوكه في قوانينهم الحقوقية والجزائية وليس بعد هذا الا هراء غاليلين أحدهما ينكر إفاضة القوة الغيبية على القوة الحسية مطلقاً والآخر ينكر وجود القوة الحسية مطلقاً .

فتذرعهم في هراثمهم يتجادلون وتأخذ لانفسنا نصيباً من بناء الحكم على الواقع لنستفيد علماً نافعاً لنا في يومنا هذا وفي اليوم الموعود .

﴿ تدرج الانسان في القوة ﴾

لكل فرد من أفراد الانسان نوعان من القوة (١) قوة طيمية - وهي مأمحة الفاطر لهذه الغرض من قوة جسد وعقل وقلب . و(٢) قوة صناعية . وهي ثمرة التعاون الذي اهتدى البشر لفوائده .

أما تدرج الانسان في القوة الطيمية فتابع لارتقائه في القوة الصناعية (*) ولذلك فبعض الآن في بيان القوة الصناعية وشرح كيفية حسدونها وتخصر الكلام هنا في ثلاث روابط فيها يتخصر التعاون العظيم الذي ينتج القوة الصناعية . وهي (١) رابطة قرابة الاجساد بواسطة الارحام ، ونسميها رابطة القومية . و(٢) رابطة قرابة الافكار

(*) أقرؤ أول هذا الفصل الى قولنا : نحمد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوة الرائعة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفاً » .

بواسطة الاتباع لذي دعوة، ونسبها رابطة الدين والمذهب، و(٣) رابطة قرابة القلوب بواسطة التراخي في اقتسام الاعمال التابعة لحب الزينة وحب التميز، ونسبها رابطة المدنية.

﴿ رابطة القومية ﴾

في الانسان اشواق لا تسكن، لمطالب لا تحصر، فمنها مطالب تقتضيها مادة جسمه * ومنها مطالب تقتضيها جوهر نفسه، ومنها مطالب تقتضيها مادة الجسم والنفس معاً وهذا القسم من المطالب هو الاكثر.

والباحثون في الانسان يفهمون ان يعرفوا هذا التقسيم فانه يفيدهم في التفريق بين العلل، وما أجدرهم ان يحرصوا على إصابة الحقائق في الحاق كل معلول بعلته. وما أجدر الحقائق ان تكون مستورة لتمدحن طلابها. وما أجدر من توجه اليها بفكر حر متزودا من الاخلاص ان يبلغ ما يسير به الشوق اليه.

وقد عرف من قبل ومن بعد ان الانسان لا يبلغ شيئاً من مطالبه بدون التعاون الا ان يكون شيئاً من بعض المطالب التي يقتضيها جوهر النفس وحده كالحلم المتجلي في الاشباح الطبيعية، بروحه المناسبة للنفس الانسانية. فكان العجز الفردي بالنسبة الى المطالب التي لا تتقاً تجدد كل حين داء عظيم يحول بين الانسان وما تطالبه به فطرته. ويهدد كل فرد بالضعف المميت. وكان التعاون دواء هذا الداء فهو يرفع من امامه الحوائل، ويدفع عنه الفوائل، ويبهب كل فرد قسماً بقدر من القوة الحية.

ليكن هذا الدواء انما يشفي عجز كل فرد من التعاون بالنسبة الى غيرهم من انسان وغير انسان. فما الذي يشفي عجز كل فرد منهم بالنسبة اليهم انفسهم اذا اجمعوا امراً ان يحذلوهم؟ الجواب عن هذا سيتضح من الكلام على الرابطتين الآتيتين وانما عجنا بآراء هذا السؤال الآن للاشعار بآدي بدء بأن رابطة القومية المؤسسة على مطلق التعاون لا تجعل المتعاونين على الغير في أمن من ان يهدو بعضهم على بعض ولذلك فنضطر ان نقول: لئن كانت هذه الرابطة قد نفعت الانسان فان نفعها ابر وقد ضرته أيضاً، قلنا نفعته لاننا لانستطيع ان نشكر انها قوت منه ضعفاء، وجمعت منه متفرقين، وفي حضنها ربت له أنواعاً من الاستعدادات حتى دبّت ودرجت وسارت لتبلغ أشدها. ونقول ضرته

لأنها كما جئت منه منفردين فرقت منه مجتمعين . وكما عرفت له قربي . فكبرت له قربي .
وكما آنته أوحشته . وكما حبته الى طائفة بنضت الى أخرى . ولم تزل واقفة به احكاماً
طوالا وقفة اخوانه من السليوات التي ينهش بعضها بعضاً لا يميزه عنها الا استواء القامة
وابانة هذه اللعنة (اللسان) عن مكنون ضميره . ولا مكنون هنا لك غير ما يريد ان
يسمى به عصبته لئلا يشع عصبه أخرى . ولم يروا الى الذين جددوا على هذه السنة القديمة من
أهل البوادي ؟ أراهم ان أمسك الصنائع عنهم أكسيهم وأخيتهم والادوات اللازمة لهم
هل ينصفون غير ورق الاشجار ، وهل يلثون الا في جوف الاوحار ؟

فلولا الذين غسلوا عن أذهانهم وضر الاغترار بهذه القوة البسيطة التي لا يدور
تحتها أمن الفرد من الدريب بفضل عون القريب لكننا حتى هذا اليوم والالعام سواء .
ولكن أولئك الثفر لما أتاهم ذلك الذكر وعلموا ان الانسان قريب الانسان ،
كيفما كان اللون واللسان ، وأتى كان المسي والسكران ، أرتجهم الشوق وتشوفت
نفوسهم ان تشرف على قوى أخرى هي أسمى من تلك وأقع للبشر الذين هم اخوان
أجمعون فأفاضت عليهم القوة النبوية ما أفاضت من العناية بهم وأخوانهم بني الانسان
ودلك هو اليوم الذي طفقت فيه مواهب النوع الكائنة تتألق في هذه الارض التي
هي عرش سلطانه ، وعلى تجليات عرفانه . ولا تزال تلك المواهب تزداد اشراقا ما ازداد
التاسجون على منوال أولئك النفر الكرام لهم منا التحيات الطيبات .

وهب ان فينا من لم يصل فهمه الى ما أرشد أولئك اليه فلم يعرف له فائدة عائدة
لنفسه في هذه الحياة ولم يؤمن بنصيبه في الحياة الثانية التي يتم فيها المقصود من الجوهر
الانساني القائم في هذه الصورة البشرية فهل يحسن به ان لا يفرق في حياته هذه بين
ما يجعله عن البهائم رفيعاً ، وما يجعله لها رفيعاً ؟

وها نحن أولاء نعيشكم عن هذه الرابطة بما تعلمون به انها لا ترفع الانسان على الالعام
الا قليلا ونريد ان نزيد في هذا المقام تبياناً لتدرج اتصال الانسان واتفصالة وتجلو في
هذا المعنى أقدم شئونه فمن كان قد حدثه بمثله عقله فسوف يحدث له ذكر ومن لم يكن
قد حدثه من قبل فانه ملاقيه مفيداً . وتاليه لذيذاً .

كان الانسان واحداً ابدعه الموجود مثالا لكمال الخلق في هذه الارض . وخلق

فيه خاصة التفريع . أما فترع أول فرع من ذلك الأصل الواحد فلم يزل عند العقل من الأسرار الغامضة وهو يد خاتمة الأدوار لتكون الإنسان على هذه الصورة المحسوسة اليوم من توقف التفريع أو التوليد على زوجين يتولد من امتزاج خلاصة من جسميهما فرع كاحدهما (أي اما ملقح وهو الفحل أو ملقح وهي الإثني) وللتفريع أو التوليد في كل الكائنات الأرضية ناموس تكويني هو ناموس التلقيح وهو اقتران أجزاء معلومة بعضها ليتولد منها وليد جديد . وقد عرف الآن بما ارتقى اليه علم التحليل (الكيمياء) ان كل أنواع المواليد الثلاثة تابعة لهذا الناموس . ولذلك أصبح من المعروف كيفية تولد كل شيء الا الأجزاء المولدة . وما يدرينا ما يحدث من العلم بعد .

فتوليد لإنسان بتوقفه على العمل المدعو بالتلقيح لاجل امتزاج الأجزاء المعلومة ليس بدع ولا هو أغرب من توقف النباتات بل الجمادات على ذلك . بيدان هذه الخاصة التي للإنسان في التوليد يشاركه بظايرها بعض أنواع الحيوان . والبض الآخر من أنواع الحيوان كالهيدان مثلاً هو الذي جعل مجالا لظن بعض من الذين لم يحضروا للتكسب الموحدة بأن التفريع الأول من الأصل الأول الذي هو الجماد قد وجدته فروع كثيرة متعددة وان هذه الفروع في خلقها خاصة التفريع على هذا التلقيح المعروف . أما نحن المليون فلا نتبع أسئلة هذه الظنون بل نتبع ما أنبأ به الوحي فنقول ان الأصل الأول هو الجماد . والأصل الثاني بشر سوي ذو حياة كحياتنا في الاستعداد وهو واحد . والفرع الأول الذي اشتق من ذلك البشر السوي واحد ثم جعل الفاطر فيهما سوائق طبيعية لاجراء التلقيح . أوها سكون النفس في كل من المتلافيحين واطمئنانها وانبساطها وتلذذها برؤية الآخر وغايتها انجذاب كل منهما الآخر وبلاصقهما بحيث لو ساعدت الخلقه بأكثر من هذا الوجه لتضامت ذوات أجزاءهما تمام التضام فصارا جسما واحداً . ولكن الفاطر قد جعل لهذه الكهه بائية حد معلوماً . وسيسألك أهل الشرائع ان تبين لهم السبب في جواز تلقيح هذا الأصل الذي كانه والد لذلك الفرع الذي كانه ولد ثم جواز تلقيح فروعهما بعضهما البعض مع أنهم أخوة .

وكيان السبب في حدوث الشرائع ثم حدوث الاختلاف فيها أنفع لهم لو كانوا

يتفكرون . وأول واجب ان يعرفوه لعلمهم يعلمون بذلك هو اصباح الشرائع وانقضاءها ، وإيقاظها واسماها . وسنلتو عليهم من هذا الحديث لعلمهم يشعرون . ليتذكروا ان الشرائع انما تفصل من أجل الاجتماع وان التلقيح في ذلك اليوم لم يكن محتاجا الى شريعة . وان الذي تمنحه الشرائع ليس كله قبيحاً في ذاته وانما يقبح لعله من اللئالي . فلا تمنعوا ولا تمنعوا من ذلك التلقيح الذي هو سبب تكثر هذا النوع . ولا تسألوا عنه ولكن سلوا عن اختلاف هذه الفروع التي أصلها واحد . وإليكم هذا البيان الكاشف :

انه لم يكن في تلك الايام هذه البيوت المبنية للوقاية من الحر والبرد فيظهر انهم كانوا يلجأون الى الكهوف والمغارات ويتخذون الاوجار إما حفراً بأيديهم ان كانت أطافرهم يومهم ذاك أقوى من الاطافر يومنا هذا . واما غصبا مما حفره غيرهم من الحيوانات كدأب قبائل منهم إبقاهم الصانع على تلك السنة لتكون حالهم ذكرى للذين ارتقوا وآية يعتبر بها عشاق الارتقاء

ولكن أي المفاسد تكفي لان تستكن فيها تلك الفروع التي طفقت تزيد وتضاعف في كل عام ماشاء الخالق ان تضاعف . فكأنهم لما تعددوا انشأ كل زوج منهم يلتمس في الارض مغاراً يكنه وأولاده فهذا التفرق في المقر هو اول تفرق وتباعد حصل بين أولئك الاخوة وذرياري الاخوة . وهو من الاسباب الاصول في اختلاف البشر هذا الاختلاف العظيم

ولما كان بين الانسان وسائر الحيوان بون في الفطرة والاستعداد وخلقهم بهذه الصورة البشرية يضطره في جلب النافع وجب الضرر الى التعاون وهو يقتضي اجتماع متعددين ولو قليلا منهم أتم الباري تكوين هذا المخلوق الحي على هذا الوجه باشياء جعلها من أعظم مميزات التي تبلغه الغاية من الكمال الذي يقدر مخلوق من أعظما (١) الاستعداد للصناعة و (٢) الفضل في قوة الادراك . و (٣) النطق الذي يبين به مدركاته .

فبالنطق تخاطب على ان يتعاون . وبالاستعداد للصناعة بين كل منهم لأصحابه ما يصنع مما يلزمهم على ان يكفوه مؤنة ما يلزم له . وبقوة الادراك هدي للذي يصنعه بقدر ما هم فيه اذذاك من سداجة الحياة ويقدر ما تضطرهم اليها الحاجات من جلب وجب .

وههنا يحسن ان نذكر قاعدة وهي ان تفرق كل اثنين فأكثر يوجب حرمان الجميع من فوائد مافى فطرة كل من المواهب . واجتماع كل اثنين فأكثر يوجب اشتراك الجميع فى الفوائد على السوية أو التفاضل .

فالخوف من حرمان الجميع من جميع المواهب التى لا تشر الا بالتبادل هو الذى يوجب الاتصال والرضى بما قسم وان قل . أما إماء البغض واستكافهم عن قبول القسمة المفصولة فهو الذى يوجب الافتراق . ونلخص هذا الكلام بقولنا « بدل الاصل سبب الوصل . وبدل الفضل سبب الفصل . »

هذه أسباب الاتصال والانفصال تجلى مادية فلا ينكرها فكر سليم قط . وهناك للاتصال أسباب روحية يصورها بعضهم فى أشباح من الشعية وهم ان فى الانسان طبيعة الانس بالانس ، (أى النوع) ولكنك اذا سألتهم عن سبب الافتراق يحارون . وفى آمن من هذا رجل يقول ان الذى أوجب الاجتماع من جنس الذى اوجب الافتراق وأسباب الافتراق مادية بالاتفاق فلك مثلها . وللافتراق أسباب أخرى أهمها ارتياد الماء والكلاء الصيد وبعد هذا يبقى علينا بيان اختلاف ألسنة وألوانه وتباعد قرابته . أما اختلاف الألسنة فله أسباب كثيرة

(أولها) الفرق الطفيف الموجود بين منطق كل شخص وآخر . فان هذا الفرق الطفيف يحدث بدوام التفرق فرقا عظيما . وقد أولاد المنفصل بعضهم ماخالقه فيه قومه الأولين بغير صنعه كرجل انفصل عن قوم وهو ينطق لثاء طاء وآخر يمكس وآخر ينطق النال طاء وآخر يمكس وآخر يلفظ الهمزة عينا وآخر يمكس وآخر يلفظ السين صاداً وآخر يمكس وآخر ينطق الجيم شيئا وآخر يمكس وآخر لا ينطق بالفاء وآخر لا ينطق بالراء وآخر لا ينطق بالثاء وآخر لا ينطق بالكاف وهكذا فهذا أكبر باب تفرقت منه اللغات ونقصت به حروف لغة عن أخرى وكل هذا الذى مثلناه بحسوس نسمة فى كل يوم .

(وثانها) رؤية كل مجتمعين فى جهة من الارض مالم يروهم من قبل تفرقهم عن غيرهم من نبات وجماد وحيوان فيحتاجون ان يسبروا عنه فى مخاطبهم باسم من الاسماء . وهذا باب كبير أيضا .

(وثالثها) تنوع الاساليب في البيان وهو الذي أحدث الكنايات والحجاز والاسماء المشتقة في كل لغة . ويطول الزمن تهجر الكلمة الموضوعة باديء بدء وهو المحجاز أو المشتق عند قوم مقامها ولا يفضل هذا الآخرون بل قد يفضلون بكلمة أخرى ما لم يفضلها بها الأولون وهكذا فيقع البون .

(ورابعها) أنه قبل الاجتماعات العظيمة كانت لوازم الانسان بسيطة قليلة وعلى مقدار ما كان الكلام بسيطاً قليلاً أيضاً وبعد أن تفرقوا أحدث في كل طائفة منهم من الكلام ما كان على مقدار اجتماعهم ولوازمهم وأخذهم من غيرهم وبلغ ما أحدث عندهم من الصنائع والأعمال .

(وخامسها) عدم وجود حواظ تحفظ اللغات من الاصطلاحات المتغيرات للأوضاع فلا يشمر كل قوم بما تغير عند الآخرين فتكون التفرقة .

وهذه الأسباب التي ينشأ عنها أسبابا في كل لغة لما يسمونه الترادف مثالاً في لغتنا: أعطى . وآتى . من قيل الباب الأول . واليت . والاسد . من قيل الثاني . والسيف . والحسام . من قيل الثالث . والحياطة . والدرز . من قيل الرابع . والدعاء . والثناء . من قيل الخامس .

وعلى القارئ الذي وعى ما قررناه ومثلنا به أن يتعرف بشدقيقة فروع هذه الأسباب وأن ينعم تفكره في هذه الأبواب فإنه قد يهتدي من التدقيق بالفروق التي بين المترادفات في لغة أو الفروق التي بين لغة وأخرى في المفردات الى ما تقر به السمين من المعرفة البليغة المفيدة .

وعليه من بعد أن عرف تأثير التفرق في الديار على اللسان أن يعلم أن هذا التفرق هو المؤثر على الألوان أيضاً . فإن فريقاً مكثوا فيما جاور خط الاستواء فاسودت جلودهم وآخرون لبثوا منذ القديم على شواطئ الانهار لم ينتقلوا فاصفرت ألوانهم وشوحت خلقهم وآخرون تنقلوا في البلاد ثم توسلوا الممورة فابيضت ألوانهم . واعتدلت خلقهم . وصح قلوبهم . وذكت عقولهم . هكذا قيل من قبل وهو يشمر بأن كل فريق من هؤلاء أو لوقرى فيما بينهم . وما يجدينا هذا أن كنا لانعرف ما هوون ذلك من القرايات والانساب .

أَنَّ عِلْمَ الْإِنْسَانِ

التقريب

﴿ كتاب التمرين • على البيان والتبيين ﴾

قرأنا في الجزء الثالث عشر (كتاب ارشاد الالبا • الى تعليم النبا) وهو المرقاة الاولى من مراقي علم الادب للشيخ طاهر الجزائري • وقد صدر في هذه الايام كتاب التمرين له وهو المرقاة الثانية (قال •) وقد جمعت لتمرين الطالب قبل ان تبدو اليه بوادر الكلام ، على مارق وراق من النثر والنظام ، ليشتمل مثل ذلك في مرآته ، ويقوى الثور في مشكاته ، فيجوز حسن البيان في اقرب مدة ، بدون عناء ولا شدة ، وهذا هو الاصل الاول ، وعليه في الفصاحة للمول •

وقد جعل الكتاب على قسمين قسم في فصول شتى مختارة من كتب مختلفة بعضها مشهور وبعضها منظم فالفصل الاول في الانسان والثاني في الحيوان وفيه نبذة في كثير من الهائم والطيور والثالث في حكم مأثورة والرابع في آيات مختارة من ديوان الحماسة - وقسم في نبذة مختارة من كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ • وقد أحسن المؤلف الاختيار والاستخاب ، ولعله أوجز واحتصر حيث يرجى التطويل والاسهاب ، وثمن النسخة منه قرش ونصف وهو يطلب في مصر من ادارة المتار ومن مكتبة الحاج مصطفى البابي الحلبي

﴿ تدريب اللسان • على تجويد البيان ﴾

جعل مؤلف مراقي الادب للمرقاة الثانية التي تكملنا عنها آفاقاً خاصة يعلم تجويد القرآن الكريم سناها (تدريب اللسان) الخ ولكنها طبعت على حديثها • وقد صيغها بترجمة القراء السبع وروايتهم مختصرة وجعل الرسالة ثمانية فصول اولها في مخارج الحروف وآخرها في الوقف والابتداء وثمن النسخة قرشان ويطلب من حيث يطلب الاول وقد عني بطبع هذه المراقى الشيخ أحمد أفتدى حسن طيارة محرر جريدة ثمرات الفنون الشهيرة في بيروت طبعاً متعاضط فيه ما ينبغي ضبطه بالشكل وتطلب هناك منه

﴿ كتاب جواهر الادب * في صناعة انشاء العرب ﴾

هذا الكتاب من الكتب التي ظهرت في هذا العام ، وصادفت ما نستحقه من الرواج والاقبال ، مؤلفه الشيخ أحمد الهاشمي ، ومزيتة التي قضت بالترغيب فيه والتشويق اليه ، هي جملة كثير من الرسائل والقصائد من كلام كتاب المصير وشعرائه كما جمع مثل ذلك من كلام الغابرين فلم يدع موضوعا مما ترغبت بآبئة المصير في الخوض فيه ، الا وجاء بشئ منه ، كالشوق والتعارف والتهادي والاستعطاف والعتاب والشكر والشكوى والتهمة والعيادة والتعزية والشفاعة والوصف وغير ذلك . والكتاب كبير صفحاته أربع مئة ونيف من القطع الصغير وثمان النسخة منه خمسة قروش

﴿ كتاب تربية الاطفال ﴾

وضع هذا الكتاب الدكتور عبدالعزیز أفندي نظمي «حکیم بمصوم مصلحة الصحة وطبيب اختصاصي لأمراض الميون والاطفال من كليتي مونييه وطولوز (فرنسا) سابقا » . وقد سمي فصول الكتاب زيارات وهو يخاطب بها الامهات فالاولى في إثبات وجوب ارضاع الامهات لأولادهم والثانية في قوانين الرضاعة من ندي الام والثالثة في سرير الطفل وحجرة نومه والرابعة في قانون صحة النفاس والخامسة في الرضاعة الصناعية وشر وطها والسادسة في فطام الطفل وغذائه والسابعة في قاط الطفل وملابسه والثامنة في نظافة الجسم ولبس الطفل والتاسعة في علاج الجروح وأثناء العدوى والعاشرة في علاج امراض الاطفال المنتشرة والحادية عشرة في مشي الطفل ونمو ذكائه . وقال في المقدمة والخاتمة أنه تجنب الاصغلاحات وبالغ في جعل العبارة سهلة تفهمها الامهات . وظاهر ان هذه المسائل لا تستفي أم عن معرفة قوانين الصحة فيها فمسي ان يقبل الناس على الكتاب وثمنه أربعة قروش فقط

﴿ ثلاث قصص ﴾

أهديت لنا القصة الثلاث الآتي ذكرها ولم يسمع لنا الزمن بهراتها أو تعرف موضوعاتها في الجملة فاكثفنا بالإشارة إليها ، والثناء على مهديها ، وهي (الوفا في الحب) قصة أدبية تاريخية غرامية تمثيلية مؤلفها عمر أفندي سري وقد طبعت بمطبعة الجند

(غانية البادية) هي القصة الثانية من قصص يصدرها إبراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية باسم (حديقة الفكاهة) وفي كل شهر يصدر منها اثنتان وقيمة الاشتراك فيها عشرون قرشا مجيحا في السنة

(الجزء المائل) هي القصة الثالثة والعشرون من قصص (مسامرات الشعب) الشهيرة وهي من تأليف أحمد حافظ أفندي عوض مبنية على القصةين الصادرتين قبلها وقد سبق لنا ذكرها ولا بد أن يكون قارئوها راغبين في الوقوف على ماجرى ليوسف البائس الفقير الذي هو موضوع القصةين الأولين

(مجلة بقرات الطبية) مجلة طبية عملية للأطباء وصحبة للمائلات تصدر مرتين في الشهر ، لمنشئها الدكتور حسين (أفندي) يسري ، قيمة الاشتراك في السنة ٥٠ قرشا في القطر المصري و ٥٠ قرشا في الممالك الأجنبية تدفع سلفا

صدر عددان من هذه المجلة يدخل الواحد في ٣٢ صفحة وفيهما كثير من المقالات الطبية والأرشادات الصحية ولا شك أن البلاد العربية في حاجة شديدة إلى مثل هذه المجلة النافعة فتتفي لها التجاح والانتشار

(النيل) جريدة سياسية أدبية انتقادية أسبوعية مصورة أصدرها في القاهرة حديثا محمد أفندي غانم وسليم أفندي قيعان وهما من الذين سبق لهم الاشتغال بمجتمعة الصحافة واختبارها فتتفي لهما من التجاح والتوفيق أقصى ما انتهى إليه استعدادهما ، وقيمة الاشتراك في الجريدة مئة قرش صحيح في مصر وسائر بلاد الدولة العثمانية و ٣٠ فرنكا في الممالك الأجنبية

دلائل الإعجاز

إذا أردت أن تحصل فنون البلاغة بسهولة وتقف على أسرارها فتكون كاتباً أو شاعراً وتقهّم بلاغة القرآن فما دونه فمليك بمطالعة كتاب (دلائل الإعجاز) في فن اللغائي وكتاب (أسرار البلاغة) في فن البيان لواقع العلمين الامام عبد القاهر الجرجاني وتضمن كل منهما ٢٠ قرشا ومن أسرار البلاغة ماثمه ١٥ لا نورقة دون ورق الاول ويطلبان من ادارة المتار بمصر وأجرة البريد عن كل منهما قرشان

سيرالون

سيرالون - لسانح محب للمناو

قال بعد رسوم الخطاب :

إني من الذين قد رافقه لهم الاستفادة بالنسار من ابتداء ظهوره والتي أعدد انتشاره
 خدمة مهمة للإسلام فسمعت حتى وجدت له مشركين في خايه (كروت) ثم في فاس
 ومنذ بلوغني هذه الديار مازلت أشوق الناس الى اقتناء النار حتى كدت ان أياس غير
 أني وفقت أخيراً الى مشترك واحد . ولما جاءتنا المجلة أطلعت عليها كثيراً منهم
 فوجدوا مباحثها موافقة لاجباري وأخذوا يطلعونها بكل ارتياح رغماً عن قلة
 معرفتهم بالعربية . ولهذا السبب أرجو ان ستؤثر تعليماتكم القيمة فيهم لأنهم أخرج
 المسلمين اليها لفسو الجهل بينهم وتأصل الفسوة في رؤسهم ولا تقطع علاقتهم بالشرق
 الاسلامي بعد المسافة ولقد ان الحية الدينية منهم . وبما ان النار الاخر مشتغل بأحواله
 المسلمين فهو آفيجب علي اخبار الشيخ أعز الله بأحوال هذه البلاد مع الاختصار فأقول :
 ان عدد السكان في هذا القطر يبلغ ثلاثة ملايين نصفهم أو ما يقرب من ذلك على
 دين الاسلام كما تحققت ذلك في خلال اسفاري في الارياف على انه قبل عصر واحد
 بالقرب كان عشر السكان على هذا الدين . وذلك الانتشار السريع لم يحصل الا بعد
 تملك انكارتا البلاد . واما عاصمة القطر (فري تاون) فيبلغ أهل الاسلام فيها
 عشرة آلاف نسمة وهذا العدد نحو ثلث السكان . والجماعة الاسلامية مركبة من
 اقوام مختلفة أكثرهم عدداً قوم آكو وهم من الارقاء الذين ركبو البحر من سواحل
 لاغوس قبل مائة سنة فأخذهم الانكليز في الطريق وأسكنوهم هنا في حيين (حارتين
 - فولاتون وفورني) على ان هؤلاء القوم لا يتفقون أبداً فالمدواة متمكنة بينهم
 خصوصاً أهل فوري الذين لا تقطع من بينهم الخاصات وللشاذات بحيث ان الحاكم
 الانكليزي قدمتهم بسبب مخاصمتهم المستمرة والبعض من أهل هذا الحي لا يتربون
 الى الجامع لمسلم من المدواة مع اخوانهم . وفي هذه المدينة أربعة جوامع وأربع

مدارس بشكل واحد منها مخصوص بقوم منهم والمدارس تأخذ طائفة من الحكومة (٢٢٠ ليرة للجميع في السنة) والساجيت ووجدت طريقة التدريس معوجة في الدرجة القصوى وعرفت أنه لا يمكن للتلميذ أن يفهم شيئاً من العربية مهما طالت مدة التدريس صممت على تبديلها بالطريقة السهلة وإرشاد معلمهم الى أصول التعليم ولا سيما توجيههم الى اخلاق التلامذة وسلوكهم السليمة والسكتي لم أاسب آذاناً واحدة بل قابلوا اقتراحاتي بالاعراض ومع ذلك فاني ماسئمت ولكن ظلمت ناظمهم بلعاقبي بيانتي حتى اني وفقت الى استمالة بعض الشبان من أهل فولاون ومنهم ذلك المشترك .

وبعد قراءة فصول المنار أخذت في تفسير مباحثه من دينية واجتماعية وان الطريق التي يرشد اليها المنار هي التي لازال ساعيا في ادخالهم فيها على ان اقبلهم على الهمة واحلهم اليها محل الاعتبار قد جدد آمالي . وقصدي أن أستمر على وعظهم بالمنار . وأما أهل فولاون فانهم أعرضوا عني كل الاعراض وصرحوا لي بانهم لا يرضون ان يسموا الوعظ في جامعهم مع ان هذه الايام أيام رمضان ينبغي فيها تكثير الوعظ وتكرير التذكير خصوصا مع فقدان الوعاظ من حوامع هذه البلاد ولا تسلي ياسيدي صمنا هنا من الامور المخالفة للسرعة والآداب الاسلامية التي يعمل بها عندنا في الشرق أقل الناس ايمانا وأضعفهم اعتقادا فهؤلاء السودانيون يباينون الديانة الاسلامية على خط مستقيم في أكثر الامور بل فيها جميعا ولا يريدون التحلي بتلك الآداب المحمدية بل يفضلون عليها عبادات أجدادهم الجوس .

وأخبركم ايضا ان هنا رجلا من نصارى الزنوج اسمه الدكتور بلاذن اشترى انكليترا وأميركا بمعارفه الواسعة وبصدقائه العميقة في دين الاسلام وله مؤلفات مقبولة اشتهرها (النصرانية والاسلام وجنس الزنوج) فذكر فيه من الخبر ما ادعي انانه لم يصل الى درجته فيه أحد من علماء أوربا في الاعتراف بمحاسن ديننا وفضائله وله إلمام بالعربية فلذا أسمى في الصلاة بينه وبين المنار . وهو يقول في وجوه المسيحيين أنهم غيبا يسعون في تصيير الزنوج ككون هذا البلاد دار الاسلام . ومن الاسف أن لا يعرف العالم الاسلامي هذا الرجل

واحترازا من التصديق أوجز الكلام فأقول أرجو من سيادة الشيخ ان يكتب بضعة أسطر في أحوال هذه البلاد لا يقاطه المسلمين من غفلتهم ناسحا بأبام أن يتروكوا

الطريقة القديمة في مدارسهم وان يدخلوا فيها الكتب النافعة من مصر وغيرها اذ لا يمكن تدريس العربية بلا كتب مع كثرتها اليوم في الشرق وان يصيخوا للتصبيحة من بدلونهم على طريق الخبر والصلاح . على ان الدجالين يجدون عندهم كل ترحيب واعتبار وهم القارة وسكان الصحراء ومعلوم انهم لا يقدرّون على نفقهم ولو ارادوا ذلك لكونهم محرومين من جميع أسباب الترفي وفقد الشيء لا يسطيه كما قال الأستاذ . ولما مول ان حضرة الشيخ سيدي التصبيحة هؤلاء البسطاء المقول كما يسديها لغيرهم بل الذي ذكرى تكون نافعة لهم .

عدن وبلاد العرب - لسانع عجب المنار

قال بعد رسوم الخطاب :

وقد وصلنا الى عدن منذ عشرة أيام ولم نجد سيلا للسفر الى حضرة موت لعدم مصادفة ركب متوجه اليها والامل أن نصادفه عن قريب . وقد كررنا التوسم في ممارنا بطن علنا مهتدي لمن يقوم بشر المنار فلم نجد ككفوا لذلك الا صاحبنا اذ هو خير الموجودين ويجتمع لديه كثير من أهل عدن يوما فمضى ان يستفيد بعضهم وان شتم الاستسلام عن أحوال أهل هذا الطرف فهم أناس عمهم الجبل وغمرهم ولهم اجتماعات على أكل القات وهو نبات يشبه الشاي مشهور ولله مخدر ومفرح كما قيل لكن من المعلوم انه متلف للمال بحيث لاوقت اذ يصعب لاحدهم في الجلوس لأكله نحو ثلاث ساعات وهي قريب من ثلث عمره بعد اخراج الاوقات اللازمة للضروريات ويصرف بعضهم فيه يوما من ثلاث ربيات الى عشر ربيات بلا فائدة ثم انه لا يلد لهم أكله الا وهم مجتمعون في مكان مظلم وحوطهم بأباريق الماء يتلمظون به الحرجة بعد الحرجة وأمامهم المداعاة (آلات التدخين) ويجوارهم جذور وأصول القات والعشب الذي يلف به ولا يلد لهم حينئذ الا الكلام الميت الفارغ ان كانوا من الاخيار او الملاءعة والسباب ان كانوا من غيرهم . ومع سخايم يذل عصاة أبنائهم . وان شئت فسمها دية أنفسهم . في شراء ذلك التبت النجس تراهم في معيشتهم مقترين وبيوتهم وثيابهم وسخة الا أناس قليلون الا ان معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة الاماندر ولهم صبر على الصيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان . ومعاملة الحكومة الانكليزية للأهالي منها المشكور ومنها المذموم ورئيس كل مصلحة له فيها تمام الاستبداد والقاضي بالحكمة

الانكليزية رجل فارسي له مدة طويلة وهو في مركزه والاهالي يحبونه ويذكرون عنه رقفا وعدلا وزاهة والامان فيها مستتب فلا تنكد تسمع بسرقة والآن عندهم برد غير انه حر بالنسبة لغيرهم اذ درجة الحرارة غالبا نحو ٨٦ فهرنهيت أي ٣٠ سنتراد وأزقة عدن أكثرها وسخ فندر عفن سيما مع المطر اذ نزل منذ يومين مطر بل الأرض وغمرها فصار الناس يخوضون في الأزقة بالتجاسات والقاذورات الى نصف الساق كما هم في الجمالية بمصر حتى يخرت الشمس تلك الرطوبات ولذلك ترى الحيات العقنة فيها كثيرة ، وحركة التجارة فيها مشكورة ،

والحكومة الانكليزية مهمة بتوسيع دائرة نفوذها ولها مراكز في جهة اليمن يسمى الضالع يبعد عن عدن ١٤٠ ميلا أي مسيرة ستة أيام بسير القوافل ولها فيه نحو ستة آلاف عسكري ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري جلهم من الهنود والجمال التي تشتغل بنقل المهمات يوميا نحو أربعة آلاف رجل . وقدرأت ان تستولي على جهات جبل يافع المشهور فأرسلت أحدا بالسفرا الى أمير الجبل المسمى في جهته سلطان الجبل فأطمعه في رشوة كبيرة على دخوله تحت حماية الانكليز واسترحبه حتى وصل به عدن وبوصله تنسم بعض أهالي الجبل من سكان عدن بعض الاسرار فذهب الى قومه منذراً فاجتمعوا وتم رأي كبارهم على عزل الخائن وإهدار دمه هو ومن ساعده وأقاموا لهم أميرا آخر فلما بلغ هذا الخبر الى عدن ضاق واليها به ذرعا وتحير الخائن ولم يدرك أن يذهب . ثم عمل الانكليز على الانتقام من أهالي يافع فأرسلوا شزيمة من عساكرهم التي بالضالع الى جبل شعيب وهو أول حدود جبل يافع وبنه وبين الضالع مسيرة يومين فصمم عرب تلك الجهة على الهجوم على العسكري لا وأنذرهم الانكليز فاستجروا راجعين الى الضالع . وربما كان أهل لندن لم يستحسنوا فتح حرب اليمن قبل انتهاء حرب السومال . والتاوشات بين العرب وعساكر الانكليز مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالباً حتى فيما قابعدن اذ منذ أيام قطع الطريق رؤساء قبيلة تبعد عن عدن نحو ٢٤ ميلا لقطع الانكليز رايهم عنهم وهو ٥٠٠ رية كل شهر وقد نحس ٤٠ نفسا من العرب في رأس جبل ومعهم بنادق مارتين وخرج اليهم من الهنود مثنا جندي ثم لحقهم فرقة أخرى نحوهم وبعد المحاربة ببعض ساعات انهزم الهنود

وقتل منهم نحو أربعين منهم ضابط انكليزي وجرح كثيرون منهم كبير تلك الفرقة
وقتل من العرب تسعة نفر وقال ان الحرب ستجدد عليهم

والحروب مستمرة في سواحل حضرموت وقد آمد الانكليز أمير المكلا ينادق
مارتين ومدافع قدموها له مع أحد باوخرهم الحربية أما جيش أمير المكلا بقيادة ابنه
الذي قدمه الى جهة حجر في أوائل رجب فقد عاد منهزما لان البدو كانوا في بعض
تلك الحياض وصارت بين الاثنين مناوشة طفيفة انسحب بسببها جيش صاحب المكلا غير ان
الخصائر من الطرفين لا تذكر. ولم يزل أمير المكلا يحشد الجنود وقد اجتمع له نحو أربعة آلاف
رجل للحملة على حجر واجتمع نحو ستة آلاف من البدو للدفاع عن وطنهم وأتى وفد
من السادات للصلح بين الطرفين وستكون الحرب أو الصلح وهو الأقرب في أثناء رمضان
وأما أخبار السومال فهي كثيرة جدا لكن لم ألق بصحتها فلا أنصّبكم بقرائنها ومن
مجموعها يفهم ان الانكسارات تعددت على الانكليز وان جنود المثلأ أو الراداك كثيرة
جدا وعنده بعض ذخائر وسلاح لا كما تزعم الجرائد نقلا عن المصادر الانكليزية.

أما اليمن التركية مخالفتها تيسرة جدا ولا بد ان يكون باقكم مافمل بعض قبائل
عسير وانهم غدروا بسبعة طواير (*) صغار من الترك فقتلهم الانحوي ثلاثين قرا تمكثوا
من الهرب والسبب في ذلك طغيان الترك وظلمهم المكرر وعدم الانصاف واذا لم
تقنه الحكومة التركية فانها تسبب في اهلاك الرعية والساكن والبلاد والمال

(النصار) : قد ذاكرونا بعض الانكليز هنا في مسألة تصديهم في جهة عدن على
العرب مع شدة بأس العرب وعدم أمن من يدخل بلادهم من الفتن والثورات الدائمة
فقال اننا نعلم هذا حق العلم ولا رغبة لنا في فتح شيء من تلك البلاد وانما ساجل قصدنا
ان تكون عدن في أمن دائم من العرب وكل ما يكون هناك من المناوشات فسيه اعتداء
العرب والمدافعة ضرورية لا بد منها وهي لا تقف عند حد معلوم

(تصحيح) في السطر الرابع من الآيات الكريمة في الصفحة الأولى (٨٣٩)
من الحزم الماسخي (شاكر عالم) والصواب (واسع علم) فيجب تصحيحها بالخط

(*) الطابور في العرف التركي فرقة من المسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ويظن انها
تركية ولكن في شرح القاموس ان (الطابور) بالثناء جماعة المسكر

بقوت الحكمة من بناء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يشعرون القول
فيتمون أحسن أولئك الذين عداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مفر - الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٢٩ - ٤ يناير (٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الثامن والثلاثون) : قولهم ان ابن مسعود كان يأخذ بقول عمر بخلاف ابن مسعود لعمر أشهر من ان يتكلف إيرادها وانما كان يوافقها كما يوافق العالم العالم وحتى لو أخذ بقوله لتقليدا لعمر فانما ذلك في نحو أو مع مسائل نهدا أو كان من عماله وكان عمر أمير المؤمنين واما مخالفته في نحو مئة مسألة .

ومنها : ان ابن مسعود صح عنه ان أم الولد تعتق من نصيب ولدها .

ومنها : انه كان يطبق في الصلاة الى ان مات وعمر كان يضع يديه على ركبتيه .

ومنها : ان ابن مسعود كان يقول في الحرام هي عين . وعمر يقول طلاق واحدة .

ومنها : ان ابن مسعود كان يحرم نكاح الزانية على الزاني أبدا وعمر كان يتوبها ويتكح أحدهما الآخر .

ومنها : ان ابن مسعود كان يرى بيع الأمة طلاقها وعمر يقول لا تطلق بذلك الى قضايا كثيرة . والعجب ان المحتجين بهذا الايرون تقليد ابن مسعود لا تقليد عمر ، وتقليد مالك وأبي حنيفة والشافعي أحب اليهم وأمر عندهم ثم كيف ينسب الى ابن مسعود تقليد لرجال وهو يقول : لقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم ان أحدا أعلم مني لرحلت اليه . قال شقيق : فجلست في حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعت أحدا يردد ذلك وكان يقول : والذي لا إله الا هو ما من كتاب الله سورة الا انا أعلم حيث نزلت وما من آية الا انا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلفه الا بل لو كتبت اليه : وقال أبو موسى الأشعري كنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه الا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كثرة دخولهم ولزومهم له : وقال أبو مسعود البصري : وقد قام عبد الله بن مسعود مع ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تركه بعد ما علم بك أنزل الله من هذا القائم . فقال أبو موسى لقد كان يشهد اذا ما غلبا ويؤذن له اذا حجبنا ، وكتب حجر الى أهل الكوفة : اني بعث اليكم سميراً أميراً وعبد الله مطعماً ووزيراً ، وهما من الثجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر فخذوا عنهما ، واقتدروا بهما ، فاني آثمكم بمبدأ الله على نفسي .

وقد صح عن ابن عمر أنه استفتى ابن مسعود (في البتة) وأخذ بقوله ولم يكن ذلك تقليدا له بل لما سمع قوله فيها تبين له أنه الصواب .

فهذا هو الذي كان يأخذ به الصحابة من أقوال بعضهم بعضا وقد صح عن ابن مسعود أنه قال : أعذ طالبا أو متعلما ولا تسكون إمامة : فأخرج الإمامة وهو المقلد من زهرة العلماء والمتعلمين وهو كما قال رضي الله عنه فإنه لا مع العلماء ولا مع المتعلمين للعلم والحجة كما هو معروف ظاهر لمن تأمله .

(لوجه التاسع والثلاثون) : قولهم إن عبد الله كان يدع قوله لقول عمر . وأبو موسى كان يدع قوله لقول علي . وزيد يدع قوله لقول أبي بن كعب . فجوابه : أنهم لم يكونوا يدعون ما يرفعون من السنة تقليدا هؤلاء الثلاثة كما يفعله فرقة التقليديين من تأمل سيرة القوم رأى أنهم كانوا إذا ظهرت لهم السنة لم يكونوا يدعونها لقول أحد كائنا من كان وكان ابن عمر يدع قول عمر إذا ظهرت له السنة . وابن عباس ينكر على من يعارض ما بلغه من السنة بقوله « قال أبو بكر وعمر » ويقول يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون : قال أبو بكر وعمر : فرحم الله ابن عباس ورضي عنه فوالله لو شاهد خافقنا هؤلاء الذين إذا قيل لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : قال فلان وفلان : لم يدعوا لصحابة ولا قريبا من قريب . وإنما كانوا يدعون أقوالهم لأقوال هؤلاء لأنهم يقولون القول ويقول هؤلاء فيكون الدليل معهم فيرجعون إليهم ويدعون أقوالهم كما يفعل أهل العلم الذين هو أحب إليهم مما سواه وهذا عكس فرقة أهل التقليد من كل وجه وهذا هو الجواب عن قول مسروق : ما كنت أدع قول ابن مسعود لقول أحد من الناس .

(الوجه الأربعون) : قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « قد سن لكم معاذ فاتبعوه » فمخبرنا بخرج هذا على تقليد الرجال في دين الله وهل صار ماسنه معاذ سنة إلا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « فاتبعوه » كما صار الأذان سنة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقراره وسرع لا بمجرد المنام فان قيل : فما معنى الحديث : قيل : معناه إن معاذ فعل فعلا جعله الله لكم سنة وإنما صار سنة لنا حين أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا لأن معاذ فعله فقط وقد صح عن معاذ أنه قال : كيف تصنعون

ثلاث ؟ دنیا تقطع أعتاقكم وزلة عالم وجدال مناقق بالقرآن . فاما العالم فان اهدى فلا تقلدوه دينكم . وان افتن فلا تقطعوا منه اياكم فان المؤمن يقتن ثم يتوب واما القرآن فان له منارا كشار الطريق لا يخفى على أحد فما علمتم منه فلا تسألوا عنه أحدا وما لم تعلموه فكلوه الى عالمه . واما الدنيا فمن جصل الله غناء في قلبه فقه أفاج . ومن لا فليست يناقضة دنياه : فصدع رضي الله عنه بالحق ونهى عن التقليد في كل شيء وأمر باتباع ظاهر القرآن وان لا يبالي بمن خالف فيه . وأمر بالثوقف فيما أشكل وهذا كله خلاف طريقة المقلدين . وبالله التوفيق .

(الوجه الحادي والاربعون) قولكم : ان الله سبحانه أمر بطاعة أولي الامر وهم العلماء وطاعتهم تقليدهم فيها يقتون به : فجوابه ان أولي الامر قد قيل هم الامراء وقيل هم العلماء وها روايتان عن الامام أحمد والتحقيق ان الآية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول لكن خفي على المقلدين انهم انما يطاعون في طاعة الله اذا أمروا بأمر الله ورسوله فكان العلماء مبينين لأمر الرسول والامراء منفذين له فيحتجب طاعتهم بجا لطاعة الله ورسوله . فأين في الآية تقديم آراء الرجال على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيثار التقليد عليها .

(الوجه الثاني والاربعون) : ان هذه الآية من أكبر الحجج عليهم وأعظمها إبطالا للتقليد وذلك من وجوه . أحدها الامر بطاعة الله التي هي امتثال أمره واجتباب نهييه . الثاني طاعة رسوله ولا يكون العبد مطيعا لله ورسوله حق يكون عالما بأمر الله ورسوله ومن أقر على نفسه بأنه ليس من أهل العلم بأوامر الله ورسوله وانما هو مقلد فيها لأهل العلم لم يمكنه تحقيق طاعة الله ورسوله البتة . الثالث ان أولي الامر قد نهوا عن تقليدهم كما صح ذلك عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهم من الصحابة وذكرناه نضا عن الأئمة الاربعة وغيرهم وحينئذ فطاعتهم في ذلك ان كانت واجبة بطل التقليد وان لم تكن واجبة بطل الاستدلال . الرابع انه سبحانه قال في الآية نفسها « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وهذا صريح في إبطال التقليد والمنع من رد المتنازع فيه الى رأي أو مذهب أو تقليد . فان قيل فما هي طاعتهم المختصة

هم ان كانوا يطاعون فيما يجبرون به عن الله ورسوله كانت الطاعة لله ورسوله
لا لهم ؟ قيل وهذا هو الحق وطاعتهم انما هي تبع لاستقلال وطداقرنها بطاعة الرسول
ولم يعد العامل وافرد طاعة الرسول واعاد العامل لثلاثتهم انه انما يطاع تبعاً كما
يطاع أولو الأمر تبعاً وليس كذلك بل طاعته واجبة استقلالاً كان ما أمر به ونهى
عنه في القرآن أو لم يكن . (طابقية)

*(باب الفقه في أحكام الدين) *

الفتاوى الثلاث

(في لبس قلنسوة أهل الكتاب وأكل ذبائحهم واقتداء الشافعية بالخفية)

فذكرنا في الجزء الثامن عشر انه شاع ان بعض علماء مصر أفتى رجلاً ترنسالياً
بجواز لبس قلنسوة التي يلبسها أهل أوربا وتسمى (البرنطة) وان بعض الناس أكبر
هذه الفتوى جهلاً منهم بالدين وذكرنا من هداية السنة السنية ما تبين به ان الاسلام
لم يقيد أهله بزي مخصوص لان الزى من العادات التي تختلف باختلاف حاجات
الشعوب وأذواقهم وطباع بلادهم فهو مباح لهم فلم يكن من حكمة هذا الدين العام
لجميع البشر ان يقيد شعوب الأرض كلها بعبادة طائفة منهم كأهل الحجاز أو غيرهم
ولهذا لبس النبي عليه الصلاة والسلام من لبوس النصارى والمجوس والمشركين كما
ثبت في الاحاديث الصريحة التي أشرنا الى بعضها في ذلك الجزء ولذلك ترى للمسلمين
في كل قطر زياً يشاركون فيه غالباً من لبس من دينهم بل أكثر لبوسهم مأخوذ عن
النصارى برمته ومنه زي العثمانيين الرسمي كما تقدم

ثم بعد كتابة ما أشرنا اليه رأينا في بعض الجرائد ان الذي أفتى بما ذكره مفتي
الديار المصرية وأنه أفتى بفتوتين آخرين ككاتبنا أيضاً موضوع لفظ الجاهلين الذين
لا يعرفون من الدين الا ما ينسب اليه من العادات والتقاليد الشائعة بين المسلمين في
بلادهم خاصة وقد ذكر في احدي الجرائد نص الاسئلة التي رفعت الى المفتي مع
أجوبتها ويقال ان بعض أصحاب الجرائد اشترى ورقة الفتوى من الترنسالي بمال
كثير لظنه ان فيها ما يثبت مخالفة المفتي في ذلك للمشهور من مذهب الحكومة التي

يفتي بالحكومة ولا يعرف عند العامة فيؤاخذ !! وسمى بذلك في نشرها في الجرائد وأثارت أصداءها للرء عليها أو التنويه بخطأها بدعوى المدافعة عن الدين ولو كان صاحبها يعتقد بأن الفتاوى خطأ كلها أو بعضها لكان الواجب عليه أن لا يصرح بأن إماماً كبيراً أفتى بها لأن كثيراً من الناس في مشارق الأرض ومغاربها يثقون بفتواه ويعملون بها ولا يصدهم عن ذلك أن صاحب جريدة سياسية لم يرض بها ، فإن كان يرى أن المستفتي ممتنع بصحة الفتوى فكان عليه أن يقتعه بعدم صحتها أن قدر

أما الاسئلة التي قدمها الترنسالي للمفتي فهي بنصها

(١) يوجد أفراد في هذه البلاد تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد

اليهم فهل يجوز ذلك أم لا

(٢) أن ذبحهم (أي نصارى الترنسفال) مخالف وذلك لأنهم يضربون البقر

بالباط ويهد ذلك بذبحون بغير تسمية والغنم بذبحونها من غير تسمية أيضاً هل يجوز ذلك أم لا

(٣) أن الشافعية يصلون خلف الخنفيه بدون تسمية ويصلون خلفهم الميدين ومن

المعلوم أن هناك خلافاً بين الشافعية والخنفيه في فرضية التسمية وفي تكبيرات العيدين فهل تجوز صلاة كل خلف الآخر أم لا ؟

هذا نص الاسئلة كما نشرتها الجرائد فأما المسئلة الاولى فقد علمت ما فيها وأما الثانية فظاهر السؤال انه عن جواز فعلهم وليس من شأن المسلم ان يبحث عن أفعال غير المسلمين في نفسها فلا بد ان يكون المراد الاستهزام عن جواز أكل المسلم من تلك الذبائح وقد أفتى المفتي بالجواز واستدل عليه بالآية وهو موافق في ذلك للجماهير من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين كما ستم ذلك بنصومه . وأما المسئلة الثالثة ففتواه فيها بالجواز موافق لأهل سلف الامسة الصالح بلا استثناء وإنما استنكرها الجاهلون لأن بعض الفقهاء من الخنفيه والشافعية حكى في ذلك خلافاً مبني على استنباطهم المروفة الناشئة عن التعصب للمذاهب الذي يفرق بين المسلمين ويجعلهم شيعة كل شيعة تبطل عبادة الأخرى وكأنهم يرون أن يكون لكل أهل مذهب مساجد خاصة بهم كالنصارى وكل خبير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

كان الامام أحمد يرى الوضوء في القصد والحجامة والرعاف فقيله : فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل يصلي خلفه ؟ فقال كيف لأبلي خلف الامام مالك وسعيد ابن المسيب ؟ هكذا كان السلف الصالحون ، حتى جاء الخلف المتصونون المفرقون ، ولكن سورة التصبب لهذا ذهب قصد سكنت في هذا العصر لذلك لا يرى المفسدون وجهها للنقط في هذا الجواب

﴿ طعام أهل الكتاب ﴾

أما مسألة ذبيحة أهل الكتاب فهي التي أكرت النقط فيها الجريدة السياسية والسؤال ناطق بأن أهل تلك البلاد (الترسفال) يذبحون البقر بعد ضربها بالبلطة ولكن موضع الخلاف لبعض المسلمين انهم لا يذكرون اسم الله عليها ، والمفتي أفق بالأخذ بنص آية « وطعام الذين أتوا الكتاب حصل لكم » فقد قال الله هذا بعد آية تحريم الميتة وأحل طعامهم وهو يعلم ما يقولون عند الذبح ويعلم ما يعتقدون بعزير والمسيح . واننا نقول بعض كلام أئمة السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ثم تأتي بفقه الدين في تحريم الميتة وما أهل به لغير الله فنقول :

جاء في تفسير الآية من كتاب (فتح البيان ، في فهم مقاصد القرآن) ما نصه « والحاصل إن حصل الذبيحة تابع لحل المناكحة على التفصيل المقرر في الفروع . والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الحازن . وفي هذه الآية دليل على ان جميع طعام أهل الكتاب من اللحم وغيره حلال عند المسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هذه الآية مخصصة لعموم قوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وظاهر هذا أن ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودي على ذبيحته اسم عزير وذكر النصراني على ذبيحته اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعباد بن الصامت وابن عباس والزهري وربيعة والشعبي ومكحول . وقال علي وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابي يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ويدل عليه أيضاً قوله « وما أهل به لغير الله » وقال مالك انه يكره ولا يجرم . وسئل الشعبي وعطاء عنه فقالا : يحل فان الله قد أحل ذبائحهم

وهو يعلم ما يقولون : فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبايحهم اسم غير الله، وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله (ص) من الشاة المصلية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي (ص) وهو في الصحيح أيضاً وغير ذلك »

ثم ذكر أهل الكتاب من هم واستثناء سيدنا علي بن أبي طالب منهم لانهم من العرب الذين لم يأخذوا من النصرانية الا شرب الخمر وذكر الخلاف في المجوس وتقتل بعد لك عن القرطبي انه قال « قال جمهور الامه ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تليب أو غيرهم وكذلك اليهود » وفي تفسير ابن جرير نحو ما تقدم ومنه روايات عن الصحابة بمحل ما ذبحه النصارى للكنائس عملاً بعموم الآية فلم من هذه القول ان ذبايح أهل الكتاب حلال عند جماهير المسلمين وان لم يكن ذبحها على الطريقة للاسلامية بل وان كانت على خلاف الطريقة الاسلامية عملاً باطلاق الآية الكريمة التي هي آخر ما ورد في الأكل نزولاً وبذلك استدل مفتي الديار المصرية وقال في نصارى الترنسفال انهم من أشد النصارى نصبا في دينهم وتمسكاً بكتبتهم ثم قال « ومحبي الآية الكريمة واليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » من بعد آية تحريم الميتة « وما أهل لغير الله به » بمنزلة دفع مايتهم من تحريم طعام أهل الكتاب لأنهم يعتقدون بألوهية عيسى وكانوا كذلك كافة في عهده عليه الصلاة والسلام الامن أسلم منهم . ولفظ أهل الكتاب مطلق لا يصح ان يحمل على هذا القليل النادر فاذا تكون الآية كالصريح في حل طعامهم مطلقاً كما كانوا يعتقدونها حلالاً في دينهم دفعا للخروج في معاشرتهم ومعاملتهم « اه وهو موافق للقول التي قال بها جماهير الأئمة كما تقدم

(الفقه في تحريم الميتة وكيفية التذكية)

« قُلْ لَا أَجِدُ فِيْمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَلِ لغير الله بِهِ »
وألق في آية المائدة بالميتة ما في حكمها مما مات بغير قصد التذكية وهو المنخقة بدخول رأسها بين عودين أو في حبل ونحو ذلك والموقوذة وهي التي ضربت بها

أو حجر غير محدد ولا بقصد الذبح حتى انحلت قوتها وماتت والمتروكة من شاطئ ، والطليحة ، التي تموت بالمنطقة ومأكل السبع ، قال تعالى بعد ذكر هذه الأنواع « لا ما ذكيت » أي ما أدركتم فيه حياة فذكيتموه بالقصد ثم قال « وما ذبح على النصب » وهي أحجار كانوا يذبحون عليها للأضنام

فأما تحريم ما أهل لغير الله به فهو أشد المحرمات تحريماً لأن علة تحريمه تتعلق بحفظ جوهر الايمان لأن ذكر اسم غير الله مما يعتقد على الذبيحة ضرب من الوثنية وعمل المشركين وأما الميتة فقد قيل أن علة تحريمها ان احتباس الدم فيه يجعل أكلها ضاراً وهو لتلوي ينافي اخلافة علم الطب كما ينافي الكتاب والسنة الصحيحة في الاذن بأكل الصيد نصيده الجوارح فيموت من غير تذكية وكذلك صيد اليد بشرطه قال تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلين تعلمونهم مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم » أي ما احضره الكلب ونحوه لصاحبه ولم يأكل منه روى احمد والبخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اذا أرسلت كلابك المطعمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني اخاف ان يكون انما أمسك على نفسه » وفي رواية لم يسم الله فكل ما أمسك على نفسه قال « وان قتان » قال « وان قتان ما لم يشركها كلب ابس معها » قلت فاني ارمي بالمرض الصيد فأصيد : قال « اذا رميت بالمرض فخرق فكله وان أصابه بمرضه فلا تأكله » وقد اختلف في تفسير المرض فقيل هو سهم لا يصل له ولا ريش وقيل هو خشية ثقيلة في آخرها عصا محدد رأسها وقيل هو عصا في طرفها حديدة وكأنه كان يطاق على هذه الاشياء وكانوا يرمون الصيد بها والمراد بالخرق الخدش فاذا جرحت هذه العصا الصيد فبات حل أكله . وفي هذا المني أحاديث كثيرة والحكم مجمع عليه الا ان احمد واسحق منعا ان الصيد بالكلب الأسود اليهم وفي رواية من حديث عدي متفق عليها أيضاً أنه قال عليه السلام « اذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله فان أمسك عليك فادركته حياً فاذبحه وان أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فان أخذ الكلب ذكاة » ومذهب الشافعي انه اذا أكل منه بعد احضاره يحل

وروى احمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي ثعلبة الخنسي قال « انه

رويت سهمك فقاب ثلاثة أيام وأدركته فكله « مالم يتن » وروى البخاري والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة ان قوما قالوا يا رسول الله : ان قوما يأتوننا باللحم لا ندري اذكرا سم الله عليه أم لا : فقال « سموا عليه اثم وكلوا » وكانوا حديثي عهد بالكفر . وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عدي بن حاتم قال : قلت يا رسول الله انا نصيد الصيد فلا نجد سكينا الا الظرار وشقة المصا : فقال صلى الله عليه وسلم « امر الدم بمباشته » الظرار جمع ظر بالكسر وضر وهو الحجر المدور المحدد . و (أمر) من أمار الشيء ومار اذا جرى أو من مرى الضرع اذا مسحه ليدر فلمن مجموع الاحاديث ان الصيد قد يحل وان مات ولم يذبح وان التسمية مستحبة غير واجبة ولا شرط للذبح وعليه ابن عباس وأبو هريرة والشافعي ، وان اراق الدم بأي شيء جاز وأن أخذ السكب للصيد ذكاة شرعية . وهو يدل على ان ما قالوه في تعليل تحريم الميتة غير صحيح وعلى ان الذبح المعروف الآن وهو قطع الحلقوم والمرئ ليس من الأمور التي تبدلنا بها في الذبح بحيث لا تصح الذكاة بدونها مطلقا بل الذكاة الشرعية على أنواع منها الذبح المعروف وهو للفم ونحوه من الحيوان الصغير ومنها النحر وهو للابل والحيل والبقر جاءت السنة بذلك في الجميع . ومنها الصيد كما علمت ومنها ان الجنين يوجد في بطن أمه ميتا فيؤكل ليعالها اذا ذكبت بنوع من أنواع التذكية الصحيحة ومنها العقر والجرح . روى الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقدم به من ابل القوم ولم يكن معهم خيل فرماه رجل بهم فحبسه فقال رسول الله (ص) « ان هذه البهائم اوابد كما وابد النوحوش فمافعل منها هذا فافعلوا به هكذا » والجمهور على ان الرمي تذكية له خلافا لما لك . وروى من عدل الشيخين عن هؤلاء عن أبي العثمراء (بضم ففتح واسم عطارد) عن أبيه قال قلت ، يا رسول الله أمتكون الذكاة الا في الخلق والبه قال « لو طغنت في فخذها لاجزأك » وقد حمل ابو داود هذا على المتردية والثائرة والتوحشة وأخذ بهذا الشافعية وكثير من الفقهاء ولكن السؤال يدل على الاطلاق وان كان في سند الحديث الاخير مقال فلمن من هذه الاحاديث الصحيحة ان التذكية الشرعية هي ما كانت بقصد

من الانسان الى امانة الحيوان لا كله فان باشر ذلك بنفسه فله ان يفعله بكل محمد جراح وان كان حجراً الا انه جاء في حديث النبي عن التذكية بالسن والظفر فقد اخرج أحمد والبخاري ومسلم واصحاب السنن الأربعة من حديث رافع بن خديج قال : قلت يا رسول الله انا نلقى العدو غدا وليس معنا مدي (جمع مدية وهي السكين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كل ما نهر الدم وذكر اسم الله عليه فمكوا ما لم يكن سناً او ظفراً » وسأحدثكم عن ذلك (اي عن سبب استثناء السن والظفر) اما السن فمكوا وأما الظفر فمدي الحبشة : وقد اختلف في هذه الجملة هل هي من جملة المرفوع او مدرجة والراجح انها مدرجة لتسليق النبي ولذلك لم يرض جميع العلماء هذا التعليل بل قال بعضهم ان علة النهي هي ان في الذبح بالسن والظفر تعذيباً للحيوان وقيل غير ذلك . وكما تصحح التذكية بكل آلة جارحة تصح بأية كيفية ممكنة كما رأيت في الاذن بأكل ما خرقه المراض ومن الاذن بالظعن في الفخذ . والبلطة التي جاء ذكرها في سؤال الترنسفال لا تقل عن هذه المحددات انها للدم وعقراً للحيوان على انه قال انهم يعقرون البقر أو يضربونه بها ثم يذبحونه وظاهر ان الذبح قبل الموت هنا فرضنا ان الضرب بالبلطة وقد (وهو ليس بوقد لانها آلة محددة ولان الضرب بها يقتصد به التذكية للاكل لا الاهلاك) فهو داخل فيما استثنى الله تعالى بقوله « الا ما ذكركم » فانهم يذبحونها كما قال السائل فاین مکان الفيرة على دين أهل الترنسفال أن يأكلوا الموقوذة من لا يفار على دين نفسه فهو يفتي بغير علم . . .

ثم ان هذه الاحكام كلها خاصة بالمسلمين وأما اهل الكتاب فيمر مكافين بها صلاً لان الذين يقولون من العلماء انهم مكلفون بفروع الشريعة كاشافية يريدون بذلك انهم يعذبون على تركها في الآخرة عذاباً زائداً على عذاب ترك الايمان لانهم يطالبون بها في الدنيا فالسالمون متفقون اذا على أنهم غير مطالبين بهذه الاحكام وطعامهم مع هذا حلال بنص الكتاب كيفما كان الا ما حرم لذاه عندنا وعندهم كما يحرم الخنزير اذا أكلوه . وقد علمت ان جماهير أئمة السلف والخلف أباحوا ذبحهم وان لم يذكروا اسم الله عليها بل وان ذكروا اسم غيره عملاً بعموم الآية التي اعتبروها مخصصة للأمر بالتسمية وملاحظة لقاعدة عدم مطالبهم بفروع الشريعة، وعلمت أيضاً ان

ما أهل به لغير الله هو أشد المحرمات لأنه من أعمال الشرك وأنه مع ذلك قد أحل أكله أكثر
لمسلمين من طعام أهل الكتاب فلأن يحلوا ما ذكاه أهل الكتاب على غير طريقة التذكية
عند المسلمين أولى بقدر أيت من الأحاديث الصحيحة التساهل في أمر لذكاة وكثرة تواعمها
حتى يكاد يتعذر أن توجد طريقة للتذكية لا تشملها هذه الأحاديث

إن سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين اعتبروا كل من ينسب إلى اليهودية
والنصرانية من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم سواء تمسكوا بدينهم أم لا إلا ما نقل
عن علي "كرم الله وجهه من استثناء بني تغلب من متصرة العرب معللا ذلك بقوله
أثم لم يأخذوا عن النصارى الأشرار ، واكتفى الجاهل بنسبتهم إلى النصارى
ومن هنا تورع بعض أئمة المالكية كالقاضي أبي بكر بن العربي واشترط في حل
ذبائح النصارى أن يأكل منه قيسهم وعامتهم فلم يكتف بعمل من ينسب إليهم دون
علماء دينهم وروسله وجرى على هذا الورع مفتي الديار المصرية في قواء لائترانسفالي
فقال مانعه كائن في الجرائد « وأما الذبائح فلندي أراه أن يأخذ المسلمون في تلك
الاطراف بنص كتاب الله تعالى في قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »
وإن يقولوا على ما قاله الامام الجليل أبو بكر بن العربي المالكي من أن المدار على أن
يكون ما بذبح مأكول أهل الكتاب قيسهم وعامتهم ويمد طعاما لهم كافة » ثم أوضح
هذا بما نقلنا بعضه من قبل « وقد تقدم أن القرطبي قال « جمهور الأمة على أن ذبيحة
كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو من غيرهم » ومن صرح بحل ذبيحة
بني تغلب سعيد بن المسيب والحسن البصري وها أعلم أئمة التابعين وأورعهم فلمسل
المفتي زاد في الورع عليهما تأثرا بقول المالكية الذين تلقى مذهبهم أول اشتغاله بالعلم
وإن كان لا يحمل الآن الإثبات الدليل أو أراد موافقة الاجماع في قواء من حيث السبل
بها الأمن حيث اشترط ما نقله ابن العربي فإن الجاهل لا يشترطه كإقامته

﴿ نص فتوى القاضي أبي بكر بن العربي ﴾

قال في تفسير آية « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »
من كتابه (أحكام القرآن) مانعه ، « هذا دليل قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا
الكتاب من الطيبات التي أباحها الله وهو الحلال المطلق وإنما كرره الله تعالى ليرفع

الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الحواطر الفاسدة التي توجب الاعتراضات وتخرج إلى تطويل القول . ولقد سئلت عن التصرف في قتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعاما . وهي المسألة ثمانية . فقلت تؤكل لأنها طعامه وطعام أجاره وورهبانه وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا ولكن الله أباح لنا طعامهم مطلقا وكل ما يروونه في دينهم فإنه حلال لنا إلا ما كذبهم الله فيه . ولقد قال علماءنا إنهم يعطوننا نسائهم أزواجا فيحل لنا وطؤهن فكيف لنا كل ذبائحهم والأكل دون الوطء في الحل والحرمه ؟ اهـ

وقد استكر هذه الفتوى بعض الطلاب الذين لا يعرفون من الإسلام إلا ما يرون عليه قومهم من العادات الدينية فسأل عنها أبا عبد الله الحفاري أحد علماء المالكية فأجاب بما نصه : لا إشكال فيه (أي قول ابن العربي) عند التأمل لأن الله أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه الذي أيسر لهم من ذكاة فيما شرعت فيه الذكاة على الوجه الذي شرعت . ولا يشترط أن تكون ذكاتهم موافقة لذكائنا في ذلك الحيوان المذكور ولا يستثنى من ذلك إلا ما حرم الله سبحانه علينا بالخصوص كالخنزير وكالبطة التي لم تقتل بقصد الأكل وأما ما لم يحرم علينا بالخصوص فهو مباح كسائر أطعمتهم ، وكل ما يقتدر إلى الذكاة من الحيوانات فإذا كان على مقتضى دينهم حل لنا أكله ولا يشترط في ذلك أن تكون ذكاتهم موافقة لذكائنا وذلك رخصة من الله وتيسير علينا . وإذا كانت الذكاة تختلف في شريعتنا فتكون ذبحا في بعض الحيوانات ونحرًا في بعض وعقرا في بعض وقطع عضو كراش وشبهه كما هو ذكاة الجراد ووضع في ماء حار كذلك كالخزون . فإذا كان هذا الخلاف عندنا بالنسبة إلى الحيوانات فكذلك قد يكون شرع في غير ملتنا سل عنق الحيوان على وجه الذكاة فإذا أجاز السكتاني ذلك أكلنا طعامه كما أذن لنا ربنا سبحانه ولا يلزمنا أن نتبع عن شرعهم في ذلك بل إذا رأينا أهل دينهم يستحلون ذاك أكلنا كما قال القاضي أبو بكر لأنها طعام أجبارهم وورهبانهم

« وأما وقع الاستشكل في هذه المسئلة لأن سل عنق الحيوان عندنا لا يستباح به أكل الحيوان بل يصبر ميتة فصارت الطبايع نافرة عن الحيوان للمفعول به ذاك »

خين أباح القاضي ذلك من طعام أهل الكتاب وقع استشكله ولا اشكال فيه على ماقررتة . وعلى الحمل الذي ذكرته حمله بعض أئمتنا المتأخرين المحققين . اهـ ولم يذكر الحطاب بقية أنواع الذكبة الشرعية من أخذ الكلاب وغيرها من الجوارح المعولة للصيد وانابها به ميتا ومن الرمي بالسهم والصيد بالمرض وما ذكرناه كاف

﴿ كلام الشيخ محمد يرم في مسألة الخنق ﴾

ذكر الفقيه الحنفي الشيخ محمد يرم الخامس في كتابه صفوة الاعتبار مبحثا طويلا في ذبائح أوروبا ونقل عن أهل مذهبه أن ذبائح أهل الكتاب حلال مطلقا وجاء بتفصيل في أنواع المأكول في أوروبا ثم قال مانصه :

« وأما مسألة الخنق فإن كان لجرد شك فلا تأخير له كما تقدم وإن كان لتحقق فلم أر حكم المسألة مصرحاً به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله أنها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الخلية حيث خصصوا الآية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » آية « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وآية « وما أهل لغير الله به » وكذلك تكون مخصوصة لآية المنخفة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب إذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فإذا أصبح الأول فيها يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني . وقد كنت رأيت رسالة لأحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب التصوص من مذهبه بما ينتج به الصدر سيما إذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر كثير من علمائهم وإن المقصود التوصل إلى قتل الحيوان بأسهل قتلة لتوصل إلى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستدين في ذلك لقول الأنجيل على زعمهم فلا مزية في الخلية على هاته المذاهب .

فإن قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهب ؟ قلت أما إن كان القلد من أهل النظر وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال أنه لا يسوغ له ذلك (أي إلا أن يظهر له ترجيح دليل الحل ثانياً) وأما إذا كان من أهل التقليد والبحث كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على أن جميع الأئمة بالنسبة إليه سواء العامي لا مذهب

له وانما مذهبه مذهب مفتيه ، وقوله : أنا حنفي أو مالكي : كقول الجاهل :
أنا نحوي : لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فأبى العلماء اقتدى فهو ناج ، على
أن الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهد لغيره
والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر البحث ابو السعود في
شرح الاربعين حديثا التوبة والنف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجهما
من أراد الوقوف على التفصيل

« فان قيل : قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا ياكل
مخصصا بالحياة بهذه الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة
فكذلك تكون المتخففة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة
الخنزير وأي مرجع لذلك ؟ فالجواب ان المأكولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم
لغيره فالخنزير وماشاكه من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تنق على تحريمها في جميع
أطوارها وحالاتها . وأما متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمتخففة فان التحريم
اتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل ثم اتى نص آخر عام في طعام أهل الكتاب وأنه
حلال فاخرج منه محرم العين ضرورة وبالأجسام أيضا وبقي المحرم لغيره وهو
مسألان احدهما مسألة التسمية والثانية مسألة المتخففة فيقتضي محل الشك لتجاذب
كل من نصي التحريم والاباحتهما فوجدنا احدهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف
فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت
مسألة المتخففة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسألة
التسمية هو المتعين لاتحاد اللفظ . وأما قياسها على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق
فلا يصح اذ شرط القياس المساواة . وانما اطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في
هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل » اهـ

﴿ توضيح القول في الموقوذة وادراك ذكاتها ﴾

قال القاضي البيضاوي في تفسير الموقوذة : هي المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى
تموت من وقته اذا ضربته : وتبعه في ذلك أبو السعود الحنفى في تفسيره وكذلك السيد
محمد صديق حسن في تفسيره فتح البيان وزاد ان الوقذ هو شدة الضرب حتى يستريح

ويشرف على الموت (قال) وشاة موقوفة ضربت بالحشب ، وهذا هو المنصوص في
 القاموس وشرحه وغيرها من المعاجم . وفي مجمع بحار الأنوار « الوقيذ والموقوذ هو
 الذي يقتل بغير محمد من عصا وحجر » وقد صرح الامام الرازي بأن الموقوفة في معنى
 الميتة والمنخقة قال « فائسافات ولم يسئل دمها » وهذا لاخلاف فيه فان اوقذ هو
 الضرب بغير المحمّد . وقد ذكر في تفسير قوله تعالى « الاماذ كيم » : انه استثناء من
 جميع ما تقدم من المنخقة الى قوله وما أكل السبع وهو قول علي وابن عباس والحسن
 وقادة (قال) فلي هذا انك اذا أدركت ذكاته بأن وجدت له عينا تطرف أو ذنبا
 يتحرك أو رجلا تركض فاذبح فانه حلال فانه لو لابقاء الحياة فيه لما حصلت هذه الاحوال ،
 اه بحروقه والتيسير بالذكية يؤيده فان أصلها كالقال الرازي وغيره أمام الشيء ومنه
 الذكاة في الفهم وهو تمكامة ومثله الذكاة في السن ويقال ذكيت الثمار أي انعمت باصلاحها :
 كأنه يقول الاما أنعمتم أنتم امامته بذبح ونحوه . وقال في فتح البيان في مقاصد القرآن
 في قوله تعالى « الاماذ كيم » : استثناء متصل عند الجمهور وهو راجع على ما أدركت
 ذكاته من المذكورات سابقا وفيه حياة : ثم ذكر خلاف غير الجمهور وقال في ادراك
 الذكاة : واما كيفية ادراكها فقال أهل العلم من المفسرين ان أدركت حياته بأن توجد
 له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز وقيل اذا طرفت عينها أو ركضت برجلها أو
 تحركت فاذبح فانه حلال : وقال الآلوسي في تفسيره : أي الا ما أدركتموه وفيه بقية
 حياة يضطرب اضطراب المذبذب وذكيتهموه ، وعن السيد السندين الباقرو والصادق
 رضي الله عنهما ان أدق ما يدرك به الذكاة ان يدركه وهو يحرك الاذن أو الذنب أو الجفن
 وبه قال الحسن وقادة وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد . وقال بعضهم يشترط
 الحياة المستقرة وهي التي لا تكون على شرف الزوال وعلامتها على ما قيل ان يضطرب
 بعد الذبح لا قبله : اه وأطال ابن جرير في روايته عن الصحابة في تأييد الاول

فعل بهذا ان ما يضرب بمحمد كالبلغة لا يسمى وقيدنا ويدل على ذلك حديث عبيد
 المراض في الصحيحين وغيرهما وان أصاب برضه فقتل فانه وقيد فلا تأكله » وأنه لو كان
 من الوقيذ فان ما فعلها أهل الترسفال من ذبحه واساقذمه بعد ضربه بحمل له كذا قسم
 واما ذكرنا هذه القول لانا بعد كتابة ما تقدم وتنبه للطبع رأينا الحريدة السياسية

تدعي ان ما يفعله أهل الترنسفال من الوقوف وأنه لا يحل وان ذبح وسالدمه . وقد زادت على كلام الترنسفال قوله « ثم يدعونها تيمم القتلها فيسيل منها الدم مصفراً إلى أعلى حصول الارتجاج النقي المصد للدم » الخ والسائل لم يقل ذلك ولو قاله لسكان مانغا لصحة التذكية وحل الذبيحة اذ لم يشترط أحد من المسلمين ان يسيل الدم أحمر أو أسود وإنما اشترطوا علامة تدل على الحياة حتى حركة أصفر الاعضاء كالجنف وسيلان الدم بأي لون من أقوى علامات الحياة ولكن السياسة اذا تلاعبت بالدين لا تبالى بكتاب ولا سنة ولا قول امام ولا مفسر ولا فقيه ولا فتوى فقد خالفت جميع العلماء في الموقوفة

﴿ الخلاف في التسمية ﴾

خاص لنا مما تقدم أن كتاب الله تعالى أباح لنا طعام أهل الكتاب مطلقاً لم يشترط في ذلك أن يأخذنا بأحكام الاسلام في التذكية وأن أكثر المسلمين من السلف والخلف أخذ بهذا الاطلاقاً كل النبي وأصحابه من اللحوم التي طبخوها والحلين الذي عملوه الآن الحقية اشترطوا ان لا يلم الآكل ان ما عرض له من اللحم قد أهد به لغير الله أو ترك ذكره عليه وكل ما نفته الجريدة فهو عن مفسريهم وفقهائهم وخالفهم في ذلك أكثر العلماء كما تقدم ونص على ذلك مفتي الحنفية في بغداد الشهاب الأوسي في تفسيره . وقال الطبري في تفسيره « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » الآية « واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عينت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم . وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن زيد عن عكرمة والحسن البصري قال قال : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه افسق » فنسخ واستثنى من ذلك فقال « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » : والصواب من القول في ذلك عندنا ان هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء وان طعام أهل الكتاب حلال وذبحهم ذكيه وذلك مما حرم على المؤمنين أكله بقوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » بمنزلة لان الله انما حرم علينا بهذه الآية ميتة وما أهل به لا طوائف . وذبح أهل الكتاب ذكية سمواعلياً ولم يسموا لانهم أهل توحيد وأنحس كتب الله يدينون بأحكامها بدينهم بأيديهم كما

ينزع المسلم بدينه سعى الله على ذبيحته أو لم يسمه إلا أن يكون ترك من ذكر تسميته على ذبيحته على الدينونة بالهظيم أو عبادة شيء سوى الله فيحرم حينئذ كل ذبيحته سعى الله أو لم يسمه اه ويعني بالآخر من يترك التسمية لترك الدين السماوي بارة أو ولد خول في الوثنية ويؤيد تخصيصه الآية بالذبح لا طواغيت ان الآية كية وآية حمل طعام أهل الكتاب مدينة وهي من آخر القرآن نزولا. والشافعية يحملون ترك التسمية ولو عمدا وقالوا ان النبي مريد بقوله تعالى «وإنه فسق» وفسر الفسق بقوله «أو فسقا أهل لغير الله به» وهو ما كان يفعله المشركون لطواغيتهم وأهل الكتاب يحرمونه مثلنا وقد أطلال الامام الرازي في ترجيحه (راجع التفسير الكبير) اما اذا لم يعلم الآكل انهم أهلوا به لغير الله أو تركوا التسمية فأكله حلال باجماع السلف والخلف كاللحم الذي يباع عادة في بلاد اليهود والنصارى ولم يحضر المسلم ذبحه ومنه اللحم الذي يباع في بلاد الترسقال. وأما ضرب البقر بالبطة قبل ذبحه ليضغف فهو لا ينافي التذكية الشرعية عندنا لو فرضنا أنهم مطالبون بها وقد علمت أنهم غير مطالبين.

﴿ تأييد الفتوى وحقيقةها وما به الافتاء ﴾

فظهر ان الفتوى مؤيدة بالسكتاب والسنة وعمل السلف والخلف وأقوالهم وان خلاف الحنفية فيما لا يتحقق في واقعة الفتوى اذ لا يمكن العلم بأن كل لحم يراد المسلم هناك لم يذكر اسم الله عليه ولو فرضنا انه تحقق فذهب الجمهور أقوى من مذهبهم لقوة أدلته وافقني بحج عليه ن يقي يساراه أقوى دليلا وأقوم قبلا وأتقى للحرج باجماع المسلمين من السلف والخلف. وإذا كانت المحاكم الشرعية تسأل المفتي في مصر عن الصحيح من مذهب أبي حنيفة فليس كل مسلم مكلف بهذا المذهب بل المسلمون مكافون بكتاب الله وما صح عن رسوله وعلى العلماء النظر في ذلك والترجيح به بين أقوال العلماء وقد نقل عن أبي حنيفة وخبابه أنهم كانوا يقولون : لا يصح لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يصر فدينا : وكذلك كان يقول جميع أئمة المسلمين (راجع نصوصهم في مقالات المصالح والمفاد من مجلد المنار لرايع) فلم يبق بعد هذا الا ان يرجع صاحب تلك الجريدة عن اعتراضه بغير علم ويمان ذلك في جريدته ليظهر أنه غير سئ القصد وغير متلاعب بنصوص الدين عمدا. ومنهم من على تحريم ما أحل الله فعبداه. ويبت انما يقول به من الناس ان هذا الجمعية قد انظر فيها صاحب هذه الجريدة الذي ليس من

أهل هذا الشأن دون العلماء والفقهاء وسائر الجرائد لغرض سياسي أمير شخصي له فهو يتوقع قضاياته منه كما تنضاهما من غيره

ونحتم الكلام بتذكير المفتات على الشرع بقوله تعالى في سورة النحل بعد حصر المحرمات في الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به إلا المضطر إليه . وهو :
 « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » متاع قليل ولهم عذاب أليم »

﴿ قول في اجتهاد المفتي وتقليده ﴾

أما اللفظ بأن اقتضاء مفتي الديار المصرية بغير مذهب الحنفية يتضمن دعوى الاجتهاد فيمكن الجواب عنه من وجهين أحدهما ان تقليد أهل النظر الذين يسمون علماء بالمذاهب هو عبارة عن اتباع ما يعتقدون أنه الأقوى دليلا من أقوال الأئمة وقد أشرنا إلى ان مفتي الديار المصرية لهذا الهدى تاقى مذهب الامام مالك في أول تحصيله للعلم فيجوز ان يكون يعتقد ترجيحه الى الآن وان كان تاقى مذهب الحنفية وبرع فيه وعرف صحيجه من غيره فان لم يكن يرجح جميع مسائله فيجوز ان يكون يستقدر رجحان بعضها وقد قال العلماء كافة بأن تقليد بعض الأئمة في بعض المسائل وتقليد آخر في بعضها جائز وما من عالم شهير الا وله فتاوى فيها يخالف المذهب الذي ينسب إليه . وفي مقالات المصاحح والمقلد بيان في ذلك

والثاني انه مجتهد وما كان ان يفسر القرآن بمثل ما يفسره به ويقم الحجج منه على بطلان التقليد واستحقاق صاحبه لمقت الله وعذابه ان يكون مقلدا وحسبك من ذلك تفسير الآيات المنشورة في هذا الجزء فراجعها واعتبر بها ان كنت من المؤمنين ، أما انكار المقلدين الجاهلين عليه الاجتهاد فلا قيمة له اذ ليس للمقلدين من حجة ولا هم من أهلها فهم يشكرون ؟ وقد نشرنا ولا تزال نشر من الدلائل والبراهين على بطلان التقليد في غير التفسير ما فيه مقتنع ان لم يحتم الله على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة . وقد كتب مفتي الديار المصرية في التوحيد والتفسير ما يقهر عنه كل ما كتب

فيهما مما وصل إلينا من كتب الأولين والآخرين، وفضل الله ليس محصوراً في زمن معين، ولا رحمة مقيدة بأفراد مخصوصين، بل تسع كل شيء، ولا ينافي ذلك إفتاؤهم بالحكومة والمحاكم بذهب الخليفة قائمهم يسألونه عنه لاعتناءهم به ومن يسأله عن رأيه فينتبه به.

فإن قيل إن من علماء هذا العصر من يطعن فيه بقول أن هؤلاء الطاعنين من الحاسدين أو المقلدين الذين أخذوا على أنفسهم تنفيذ ما يتبع الكتاب والسنة من غير نظر في أدلته وقد طعن في الأئمة العظام من قبله من هم في طبقتهم علما واجتهادا ولهذا قال ابن عباس (رض) «استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض» فوالذي نفسي بيده لهم أشد تقييماً من التيوس في ذروهم! روى ابن عبد البر في كتاب العلم والمراد بالقراء العلماء وبعبارة في الأحياء وروي شبل ذلك عن مالك بن دينار بلفظ (العلماء) وقد ذكرت بعض ما طعن به على الأئمة الأربعة وغيرهم كالبخاري وأضرابه بعض أهل العلم في عصرهم في كتاب (الحكمة الشرعية)

﴿واقعة تناسب ما تقدم﴾

جاء في ذكر حوادث المحرم سنة ست وثلاثين وميتين وألف من الجزء الرابع من تاريخ الخبر ما نصه (ص ٣١٦):

« وفيه من الحوادث أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكي بالاسكندرية قرر في درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها وما ورد من إطلاق الآية فانه قبل أن يغيروا ويبدلوا في كتبهم فلما سمع فقهاء النصارى ذلك أنكروه واستغربوه ثم تسكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه فقال: أنا لم أذكر ذلك بفهمي وعلمي وأما تلقيت ذلك عن الشيخ علي الديلمي المغربي وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه: ثم أنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فألف رسالة في خصوص ذلك وأطلب فيها فذكر أقوال المشايخ والخلافات في المذاهب واعتمد قول الامام الطرشي في المتع وعدم الحل وحشا الرسالة بالخط على علماء الوقت وحكامه وهي نحو الثلاثة عشر كراسة (كذا) وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم فقرأها على أهل اتغر فسكتوا بالخط والإنكار خصوصاً وأهل الوقت أكثرهم مخالفة للجملة وانتهى الأمر إلى الباشا فكتب مرسوماً إلى كاتخدا بيك بمصر وتقدم

اليه بان يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة وأرسل اليه أيضا بالرسالة المصنفة .
فأحضر كتحدا بيك المشايخ وعرض عليهم الامر فلطف الشيخ محمد العروسي
العبارة وقال : الشيخ علي البلي رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لا ينكر
علمه وقضيه وهو منزل عن خلطة الناس الا أنه حاد المزاج وبقله بعض ظل
والاولى ان نجتمع به وتذاكر في غير مجلسكم ونهي بمد ذلك الامر اليكم

فاجتمعوا في ثاني يوم وأرسلوا الى الشيخ علي يدعونه للاختطرة فأبى عن الحضور
وأرسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان أنه لا يحضر مع القوغاء بل
يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد بن الامير بمحضرة الشيخ حسن القويضي
والشيخ حسن العطار فقط لان ابن الامير يناقشه ويشن عليه الفارة . فلما قال ذلك
القول تغير ابن الامير وارعد وأبرق وتشتبم بعض من بالمجلس مع الرسل وعند ذلك
أصروا بنحبسهما في بيت الآغا وأصروا الآغا بالذهاب الى بيت الشيخ علي واحضاره
بالمجلس ولو قهرا عنه فركب الآغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد غيب فأخرج
زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الخيران

ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ علي على خلاف الحق وأبى عن
حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسألة وهرب واحتفى لكونه على
خلاف الحق ولو كان على الحق ما احتفى ولا هرب والراي حضرة الباشا فيه اذا ظهر
وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري (كذا) وتموا العرض وأهضوه بالتحوم الكثيرة
وأرسلوه الى الباشا . وبدأ يأم أطلقوا الشخصين من حبس الآغا ورفعوا الحتم عن بيت
الشيخ علي ورجع أهله اليه . وحضر الباشا الى مصر في أوائل الشهر ورسم في
الشيخ ابراهيم باشا الى بني غازي ولم يظهر الشيخ علي من اختفائه . اهـ

(المنار) هذا ما كان من علماء الازهر في أوائل القرن الماضي وهم شيوخ
علماء الازهر الحاضرين أو شيوخ شيوخهم في جدر بمشيخة الازهر اليوم ان تنصر
للحق الذي انتصرت له من قبل . واذا كان العروسي شيخ الازهر يقول بمؤيد في
تلطيف أمره من يحرم ذبائح أهل الكتاب من العلماء ان في عقله خلافا فسادا ينبغي ان
يقول شيخ الازهر اليوم في جاهل بالشرع يحرم ذبيحة أهل الكتاب رداعلى قوى

مفتي الديار المصرية بالحل المحتج عليها بالقرآن الكريم؟ وإذا كان أمير مصر في القرن الماضي رأى وهو في كمال استقلاله . وعدم دخول النصارى في أعماله ، ان العالم الذي قال بعدم حل ذبايحهم يستحق التقى من بلاده فسادا يرى أمير مصر اليوم في ذلك - وهو أعلم من جده بوجه الحاجة الى محاسنة الامم النصرانية والاخذ بالاقتوال الشرعية التي تقدمها بأن ديننا دين مدنية وعمران ؟؟ لعزل الرئيس العظمى ان يران ويقولان ان سلفنا اهتموا بتأديب الشيخين الذين حرما ذبايح النصارى لأنهم من العلماء الذين يتخذ العوام بأقوالهم وأما المحرم لها اليوم فهو من رجال القوانين ، فلا يلتفت أحد الى قوله في الدين ، وهو رأي صائب . وان كان النبي عن التكسر من الواجب ،

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(شبهة على الوحي)

(س ١) أحد قراء المنار بمصر :

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده - حيث وقع اختياري عليها وقرأت في بابي « حاجة البشر الى الوحي » و « امكان الوحي » فوجدت الكلام وجها معقولا غير ان الحاجة الى الشيء لا تستلزم وقوعه وكذا إمكانه وعدم استحالة عقلا لا يقتضي حصوله . ثم ما ذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بمجالات الاعمال وبوقوع الخير للناس على يده هو دليل نبوته وتأيد بمشته فليس شيئا فانه قد يكون (كون النبي حميدا سيرة في عيشة صادق في دعوتها أعني معتقدا في نفسه - سببا في نهوض أمته ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له .

ولقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكلين ان بنتا تدعى « جان دارك » من أجل النساء سيرة وأسلمهن نية اعتقدت وهي في بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسله من عند الله لا تقاوذ وظنوا دفع العدو عنه وصارت تسمع صوت الوحي فأخلصت في الدعوة للقتال وتوصلت بصدق

أرادتها إلى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا ثم ماتت غيب نصرتها وموتها الا بطل
من الرجال اذ خذلها قومها ووقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية فذهبت تاركة
في صحائف التاريخ اسمها يعقب تشره وتضوع زياده وهي الآن موضع اجلال القوم واعظامهم
فلقد تبسرت لهم النهضة بعدها وحجروا في العلم والرفق بعيدا فهل نجزم لذلك ان تلك
الذبت زينة مرسله ؟؟؟؟؟ ربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما أتت به الرسل
وما وصل للناس من الخير بسببهم فاقول هل هناك من ميزان تزن به الاعمال النافعة
لعم ان كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان تصدق دعوة صاحبها وهل لو
ساعدت الصدف (كذا) رجلا على ان يكون اكبر الناس فعلا وأبقاهم أثرا واعتقد
برسالة نفسه لوهم قام بفضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟؟؟.

أظن ان هذا كله مضافا لغيره يدعو الى الترحيح ولا يستلزم اليقين أبدا على
انني أظن ان تجدوا في قولي هذا خطأ تقصوني به أو تزيدوني ايضا ينكشف به
الحجاب وتسالون به الثواب. هذا وإني أعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم
يحتفظون في الكتمان ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان ولكنني لأجسد في
السؤال عارا وكل عقل يحيطي ويصيب وزل ويستقيم (أحد قرائكم)

(جواب النار) لقد سرنا من السائل أنه على تمكّن الشبهة من نفسه لم يدع
لها تمام الاذعان فيسترسل في تعدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي
تفسد الارواح والاجسام بل أطاع شعور الدين الفطري ولجأ الى البحث في الكتب
ثم السؤال عن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة ، ويقم الحجة ، وان كثيرا من الناس
لينصرفون عن طلب الحق عند أول قدعة من الشبه تلوح في فضاء أذهانهم لانهم
شبهوا على حب التمتع والانغماس في اللذة ويرون الدين صاداهم عن الاتهام والاسترسال
فيها فهم يحاولون اماتة شعوره الفطري ، كما أمات النشوء في الجليل برهانه السكسي ،
أرى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات ووعاها ولكنه لم يدقق النظر في
المقاصد والنتائج لذلك تراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع الازوم بينهما ونوعا الى
مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتدبره وهو مؤمن بالله وأنه أقام الكون على
أساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فاني أرجو له ان يقتنع . ثم انني آنست منه انه

لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) أو لعله قرأه ولم يتدبره فانه لم يذكّر البرهان على نفس الرسالة وبينى الشبهة عليه وانما بناها على جزء من أجزاء المقدمات وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . واننى أكتشف له شبهته أولاً فأتين أنها لم تنصب موضعها ثم أعود الى رأيي في الموضوع

ان (جان درك) التي أشتبه عليه أمرها بوحى الانبياء لم تقسم بدعوة الى دين أو مذاهب تدعى ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع الرسالين ولم تأت بأية كونية ولا علمية لا يبعد مثلها من كسب البشر تحدى بها الناس ليؤمنوا بها ، وانما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين وحررته من عجائب السياسة فتحرك ففسر فصادف مساعدة من الحكومة واستعداداً من الأمة للخروج من الظل الذي كانت فيه ، وكان التحمس الذي حركته سبباً للحملة الصادقة على العدو وخذلانه . وما أسهل تيسيع حساسة أهل فرنسا بمثل هذه المؤثرات وبما هو أضعف منها فان نابليون الاول كان يسوقهم الى الموت مختارين بكلمة شريرة يقولها ككلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إيراد الفتاة عن السياسة ومذاهبها فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف مانصه : « كانت متعودة الشغل خارج البيت كرمي المواشي وركوب الخيل الى العين ومنها الى البيت وكان الناس في جوار دوسمري (اي بلدها) متمسكين بالخرافات ويميلون الى حزب أورليان في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا وكانت جان تشترك في الهياج السياسي والحاسية الدينية وكانت كثيرة التخيل والورع تحب ان تتأمل في قصص العذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت وهي ان احدى المذارى ستخلص فرنسا من أعدائها . ولما كان صمرها ١٣ سنة كانت تعتمد بالظهورات الفائقة الطليعة وتتكلم عن أصوات كانت تسمعها ورؤى كانت تراها ، ثم بعد ذلك ببضع سنين خيل لها أنها قد دعيت لتخلص بلادها وتزوج ملكها . ثم أوقع البرغنيور تمديدا على القرية التي ولدت فيها فتوى ذلك اعتقادها بصحة ماخيل لها » ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكماء وتمييزها قائد جيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أورليان وأنها دفعتهم

عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩. ثم ذكر أنها بعد ذلك زالت خيالها
الجسمية ولذلك هو جئت في السنة التالية سنة (١٤٣٠) فانكسرت وجرحت وأسرت
فمن مآخذ هذه القصة يعلم أن ما كان منها إنما هو تهيج عصبى سببه التألم من تلك
الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة التحمس الديني والاعتقاد
بالحرافات الدينية التي كانت دائمة في زمنها. وهذا شيء عادي معروف السبب وهو
من قبيل الذين يقومون باسم المهدي المنتظر كمحمد أحمد السوداني والباب بل الشبهة
في قصتها أبعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين وإن كانت أسباب النهضة متقاربة فإن
هذين كانا كآمالهما يدعوان إلى شيء يزعمان أنه إصلاح للبشر في الجملة

أين هذه التوبة المصيبة القصيرة الزمن، المعروفة السبب، التي لا دعوة فيها إلى
علم ولا إصلاح اجتماعي إلا المداومة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الإنسان
والحيوان الأعجم، التي لا حاجة تمهدها، ولا معجزة تؤيدها، التي اشتملت بنفخة وطفقت
بنفخة، أين هي من دعوة الأنبياء التي بين الأستاذ الامام أنها حاجة طبيعية من حاجات
الاجتماع البشري طلبها هذا النوع بلسان استمداده فوهبها له المديبر الحكيم الذي
«أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فسار الإنسان بذلك إلى كماله فلم يكن أدنى من سائر
المخلوقات الحية النامية بل أرقى وأعلى. وأين دليلها من أدلة النبوة وأين أثرها من أثر النبوة؟
إن الأمم التي ارتقت بما أرشدها إليه تعليم الوحي إنما ارتقت بطبيعة ذلك التعليم
وتأثيره وإن فرنسا لم ترقى بإرشاد (جان درك) وتعليمها وإنما مثلها مثل قائدات تنصر
في واقعة فاصلة بشهجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه واستولت أمته بسبب
ذلك على بلاد رقتها بعلمها وعلماؤها وحكماءها وصنع صناعتها ولم يكن القائد
يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشده إليه فلا يقال إن ذلك القائد هو الذي أصلى تلك البلاد
وعمرها ومدينها، وإن عد سبباً بديداً فهو شبيه بالسبب الطبيعي ككهوب ريح تهب
البحر فغرق الأسطول وتنصر الأمة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبارقة خفت (ظلمت وأومضت) ثم خفت،
وصيحة عات ولم تلبث أن خفت، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت
فأبارت الأرجاء، ولا يزال نورها ولن يزال متأقني النساء، أمي يتم قضى سن الصبا

وسن الشباب هادئاً ساكناً لا يعرف عنه علم ولا تخيل ولا وهم ديني ولا شعر ولا
خطابة ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة : انكم على ضلال ميين ،
فاتبعون اهدكم الصراط المستقيم ، فأصلح وهو الأمي أديان البشر عقائدها وآدابها
وشرائعها وقلب نظام الارض فدخلت بتعليمه في طور جديد ؟ لاجرم ان الفرق
بين الخالين عظيم اذا آمن النظر فيه الماقل

لاسهة في جواب سؤال ائقررير الدليل على النبوة وانما أحيل السائل على التأمل
في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الأمالي الدينية
في المنار لاسمها الدرس الذي عنوانه (الآيات البينات ، على صدق النبوات) وان
كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الفرا » فان بقي عنده
شبهة فلاولى ان يفضل زيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية في الموضوع فان المشافهة
أقوى بياناً ، وأنصح برهاناً ، ونحن نعهده بأن نكتب امره وان أبى فليكتب الينا
ما يظهر له من الشبهة على ما في الرسالة والأمالي من الاستدلال على وقوع النبوة
بالفعل وعند ذلك نذهب في الجواب بما نرجو ان يكون مقنعاً على ان المشافهة أولى
كما هو معقول وكما ثبت لنا بالتجربة مع كثير من المشتهين والمترابين ،

(س ٢) لواعظنا أحدكم بحجر لنفمه - الشيخ محمد حلمي أستاذ العربية بمدرسة
سواكن الاميرية : ضمني وبض العلماء مجلس وداريتنا الحديث . في مرتبة الرسل والانبياء
عليهم الصلاوة والسلام والاولياء وآل البيت بعد المات وهى هم قادرون على احياة
دعوة الداع اذ ادعاهم وهى يملكون لانفسهم نفعا واضرا وفي (لواعظنا أحدكم في
حجر لنفمه) هل هو حديث صحيح ومذكور في البخاري وفي الجامع الصغير . فقلت
انا بالسبب في السك وقالواهم بالايجاب وقد رأينا ان نكتب الجابكم لتأتوا لنا في
مجلتكم (المنار) بفضل الخطاب فانك نعم الحسكم الذي رضى حكومته ولكم ن الله
الاجر ومنا الشكر

(ج) دعوة غير الله تعالى شرك ونعني بها اللجأ الى غيره في طلب ما وراء المساعدة
والمعاونة الكسبية التي تكون بين الناس عادة « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احداً » وقد أمر الله نبيه ان يبين للناس عمل الرسل ووظيفتهم بقوله « قل انما ادعوا

ربي ولا أشرك به أحدا* قل اني لأأملك لكم ضرأ ولا رشدا* قل اني ان يحبرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً* الا بلاغ من الله ورسالاته* الخ قال البيضاوي وغيره في تفسير قوله « ضرأ ولا رشدا » أي لا ضرأ ولا تقصا ولا غيا ولا رشدا « عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعاراً بالمتقين » وهذا هو الذي يسميه البلغاء الاحتباك ومنه قوله تعالى « لا يرون فيها شمسا ولا زهرة » أي شمسا ولا قمر ولا حرا ولا زهرة . وقالوا في قوله « الا بلاغا » انه استثناء من قوله « لا أملك » أي لا أملك الا التبليغ والله هو الفاعل المؤثر الذي ينفع الناس ويرشدهم بالفعل . وهذه الآية بمعنى قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ » وما في معناها من آيات حصر وظيفة الانبياء في التبليغ وقد شرحنا المقام مرارا كثيرة .

وأما الحديث فقد جاء في كتاب (الاؤلؤ المرصوع) فيه مانعه : حديث « لو حسن أحدكم ظنه بمحجر لنفعه » موضوع كما قاله ابن تيمية . وقال ابن الجوزي هو من كلام عباد الاصنام : اهـ ومن أعجب العجائب ان أمة التوحيد قد فشا فيها هذا الحديث المفترى منذ فشت فيهم ترغبات الوثنية ودعاء غير الله حتى ان كل عامي يحفظه ولما نهى على وضعه في درسنا العام في المسجد الحسيني وبيننا فساد الاحتجاج به قام بعض السدنة لتلك الهياكل بقسري العامة بالقول بأننا نفسد لهم دينهم أن قلنا في عمود الرحام الذي في المسجد يمسح به الناس ويلتمسون نفعه : إنه لا ينفع في الحقيقة ولا يضر وان النافع الضار هو الله وحده ولكنه جعل للنفع والضرر أسبابا وهذا لا يجنب الضار واجتناب النافع بما وهب لنا من العقل والحواس والدين ، وعم اللفظ بذلك حتى نصرنا الله رب العالمين ؛

(س ٢) الدعاء بين الخطيئين - الشيخ ميين شيخ رواق الافغان في الازهر :
ما قولكم دام فضلكم في رفع اليدين والصوت وتشويش الناس بالدعاء عند جلوس الامام على المنبر بين الخطيئين في يوم الجمعة كما هو رسم في زماننا فهل هو سنة أو مندوب أو بدعة أو مكروه . وحديث عبدالله بن سلام أصبح من حديث أبي موسى الأشعري في تعيين الساعة التي يحجب فيها الدعاء . ينوؤا تؤجروا أنا بكم الله :

(ج) حديث أبي موسى الذي يشير اليه السائل هو ان النبي عليه السلام يقول في

ساعة الجمعة هي ما بين ان يجلس الامام - يعني على المنبر - الى ان يقضي الصلاة .
 رواه مسلم وأبو داود وقد أعلموه مع ذلك بالانقطاع والاضطراب أما الاول فلان مخزومة
 ابن بكير رواه عن أبيه قد نقل عنه انه قال انه لم يسمع من أبيه شيئا . وأما الثاني فهو أنهم قالوا
 ان أكثر الرواة قد جعلوا هذا الحديث من قول أبي بردة مقلوبا وأنه لم يرفعه غير
 مخزومة عن أبيه بردة الخ ما قالوه وقد استدركه الدارقطني على مسلم . وأما حديث عبد
 الله بن سلام فهو ناطق بأن الساعة التي يجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة من النهار وقد رواه ابن
 ماجه صرفوا ورواه مالك وأصحاب السنن وغيرهم من طريق محمد بن ابراهيم عن أبي
 سلمة عن أبي هريرة عن عبد الله بن سلام من قوله ورجاله رجال الصالحين وفي مضاه حديث
 أخرى تؤيده ويارضها حديث أبي سعيد عن عداهد وابن خزيمة والحاكم وهو أنه سأل
 النبي عنها فقال « قد كنت علمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلَةَ القدر » ورجالهم رجال
 الصحيح أيضا وأحيب عنه بأنه لا يصح للمعارضة لجواز ان يكون ذكر بعد ما نسي .
 وللعلماء في تعيين ساعة الاجابة أربعون قولاً ونيف والاكثرون على ترجيح
 أحد الحديثين المشار اليهما في السؤال والارجح أنها آخر ساعة من نهار الجمعة
 والبراد بالساعة الزمانية وتصدق بدقيقة أو دقائق . أما رفع اليدين والاصوات بالدعاء
 عند جلوس الخطيب بين الخطبتين فلا نرفله سنة تؤيده ولا بأس به لولا التشويش
 وأنهم جعلوه سنة متبعة بغير دليل والمأثور طلب السكوت اذا صعد الامام المنبر
 وأما السكوت للسمع لذلك نقول لا بأس بالدعاء في غير وقت السماع ولكن يدعو
 خفية لا يؤذي غيره بدعائه ولا يرفع كل الناس أيديهم فيكون ذلك شماراً من شائت
 الجمعة بغير هداية من السنة فيه : بل أنهم يخالفون صريح السنة اذ يقوم الامام
 وشرع في الخطبة الثانية وهم مستمرون على دعائهم فأولى لهم سماع وتدبر وقت
 الخطبة وفكر وتأثر وقت الاستراحة وأهون فعلهم هذا ان يكون بدعة مكروهة
 والله أعلم

(س ٣) منصب شيخ الاسلام وتاريخه من ا - ع . بالازهر :

يصرح الاسماع كثيراً لفظ (شيخ الاسلام) فهل هذا اللفظ بما اصطلاح عليه
 المسلمون وله مدخل في شأنهم ويعتبر من الوظائف الدينية التي يوجبها الشئ أم

هذا لفظ وضعي لاساسه بالشرع؛ ومن أول من اخترعه نرجو الجواب ولكم الاجر
والثواب .

(ج) ان هذا اللقب من الالفاظ الحادثة لتعصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة
العثمانية القنوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة وأحد اعضاء مجلس الوزراء
وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ما صارت أمور المسلمين في أيدي الجاهلین بالشرع
من السلاطين واعوانهم الوزراء فن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم
الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للأمة لاسيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع
في كثير من أحكامهم. وكان اختراع هذا اللقب في أوائل القرن التاسع زمن السلطان
مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشرة من سنه وقد وليه في زمنه محمد
شمس الدين ٨٢٨ وغفر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي
يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان . هذا هو اللقب الرسمي والعلماء
كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والمزين عبد السلام
ويطلقونه في عصر علي شيخ الجامع الأزهر . .

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

قد سمعنا أقوال الناس في انساب الشعوب ولكل أمة أساطير تحكيها في أصلها
ونسبها وتنتحل لها من الفضل والتميز ما تنتحل . وكل الذي زعموه -خيال
لا يصح و«كذب النسايب».

أما هؤلاء البجاة النسابة من الاوربيين وهم أمثل النسايب في هذا المهد
لانعامهم في التدقيق وامعانهم في التحقيق فأنهم يذهبون الى ان القرابة القرية انما
تمرف بتقارب اللغات . وقد يصح هذا لو كان لنا ثقة بأن الاقوام المتباعدة لم
يطرا على ألسنتهم تغييرات توجب فيها قرباً من السنة البداء وبداً من السنة القرباء
ولكن أنى لنا لكم الثقة ؟

وهنا نسكتة كنا نود أن يسلم منها هؤلاء المحققون وهي نسبة العزة المتولدة

من والذين مختلفي التباين الى قبيلة الاب من دون الام . فسا الداعي ان نقول فلان ابن فلان حتى نوصله الى أصل قبيلة ذي الصاب المشكوك ولا نقول فلان ابن فلانة حتى نوصله الى قبيلة ذات الرحم المتيقن ؟ ولكن سرى هؤلاء التقليد أيضا وخططوا ما قبل التاريخ بما بعد التاريخ اذ قالوا أصول البشر (١) الساميون (٢) والاريانيون و (٣) التورانيون ثم ألحقوا كل جيل من الشعوب الحاضرة بأصل من هذه الاصول و ان تسع الظن كما اتبعه غيرنا فاني لأري من قرابة للاحيال قريبة الابعار تقارب المقرآت التي تفرق فيها البشر وهذا الرأي يعرفنا بقرى شعوب الارض من بعضهم فيما قبل ترفيقاً بوصلتنا الى ما بعد . ويعطينا قاعدة نفقد فيها بقرابات الشعوب الحاضرة اعتقاداً جديداً غير اعتقاد أولئك النسابين ومقلديهم . وهي ان العبرة بأخر دور من المزيج وهذا يتحقق بتقارب المقر لا بتقارب اللغة فكم نعلم من قة هاجرت من ديارها وحلت في ديار أخرى وتغدت من موالدها وتزوجوا بنسائها ثم تغدت أولادهم من موالدها وتزوجوا بنسائها فلم يلبثوا بطوناً قليلة حتى صارت اعقابهم بعضاً من الذين هاجروا اليهم في اللون وتركيب البنى . فأني الفريقين أقرب الى هؤلاء ؟ أالذين هاجروا عنهم لتقارب لغاتهم أم الذين هاجروا اليهم لامتزاجهم بها وتقارب أبدانهم واشترآكها في التركيب من مواليد أرض واحدة ؟ ولم لانتسب أولاد المهاجرين المتولدين من بنات المهاجر اليهم الى قبيلة أمهاتهم ؟

هذا ان حافظوا على أصل انتم أو ابقوا القرابة بينها وبين تلك، وقد يكون هذا ان كان المهاجرون كثيرين كالعرب الذين هاجروا — قبل الاسلام — من الجنوب الى الشمال وكالاوربيين الذين هاجروا — قبل التمدن — من الشمال الى الجنوب. وأما اذا لم يحافظوا على اللسان — وهو كثير — فهل يجدون لهم قريبا غير من هاجروا اليهم ثم امتزجوا بهم ؟ على انه ما من أمة اختلطت بغيرها أو أخذت منها الا وتعطيها كما أخذت فان أمة هاجرت وأخذت من المهاجر اليهم الفاظا وبيانات حتى خالفت من هاجرت عنهم بعض المخالفة فإنها تعطيهم الفاظا وبيانات من عندها حتى يوافق من هاجروا اليهم لمن هاجروا عنهم بعض الموافقة ثم قد تحدث أسباب تجعل هذا القليل من المخالفة أو الموافقة كثيراً وانما التزمنا التعرض لهذا البحث لان كلامنا في هذا الباب استدعى بيان ما هو

الأقدم من أحوال البشر . لتفيدنا معرفة قلبه في الاطوار والادوار معرفة ما هو الانسب
اراجع من سنته فان الانسب البقاء وبمثلها يكون الارتقاء والمروج منه ما بادونه ما سيبد
بهمة المتفكرين .

وبالذي حررناه ينبغي لكم ان رابطة القومية قداسها قصد التعاون من بعد تفرق
الازواج في كل مفار ، فهو الذي جمع ابناء من أزواج متعددين على رابطة مفارها قانون
يحكم فيه بتكافل القرباء وتوحيد مصالحهم التي هي بالنسبة الى غيرهم

وقد رضع البشر لهذا القانون الصناعي المسادي حتى ظنه القانون طبيعيا وحييا
فيئسوا من معالجة المرضى بالتعصبات التي لم تأذن بهما الانسانية (هي المعنى الخلق
لاجله الانسان) ويدلنا على كونه غير طبيعي كثرة ما يدعو اختلاف المصالح بين القرباء
الى تبسيدهم وتقريب البعداء . وكتم علمنا من حوادث جرت على هذه السنن . وليس
بعيدا عهد المستعنين بالماليك وهم أبعد البعداء ، على سراة أمهم وخواص أسرهم
وهم أقرب القرباء ، وسواء كان المستعنين بالغريب على القريب مدافعين أو مهاجمين
فكلتا الحالتين تهديانا الى وقوع تعاد بين القرباء يوقع الفرة والثرة ، وحدوث تعاون
بين البعداء يحدث الصلة والفرة . وهذا يهدينا الى ان الاصل صناعي لا طبيعي .

ولعل الذين يرون رسوخ ذلك الرضوخ لذلك القانون (رابطة القومية)
طبعيا إنما يبنون ظنهم على ان قرابة الابدان توجب قرابة الافكار والقلوب . وهو
ظن ليس بعيد بل يتبادر الى ذهن كل امرئ بيدان انعام النظر يهدي الى أن الحس
يخطئ هذا الظن وذلك اننا نجد أخص قرابة وهي قرابة الاولاد من الوالدين لا توجب
قرابة الافكار والقلوب الا اذا كانت افكار الاولاد مأسورة بيد الوالدين أو أحدهما
وهو الأكثر . والبداية تشهد ان هذه القرابة الفكرية على هذا الوجه صناعية
أيضا . ومن المشاهدان الذين خلصوا من هذا الاسر قد بعدوا بأفكارهم عن افكار
والديهم بعدا شاسعا . ومن العجب ان هؤلاء الخالصين من ذلك الاسر على قلوبهم
وافرادهم في أمهم كانوا هم المقيرين امامات البشر واخلقهم . والتغيرات التي حدثت
في النوع هي الدرجات التي تتقل فيها حتى بلغ هذا اليوم وشعوبه واحياله متفاوتة
هذا التفاوت

بل نحن نجهز بمأخفي من هذا وهو ان البشر قبل ان يرتقوا (أي قبل ان تحدث لهم روابط أخرى غير رابطة القومية) لم تكن رحمتهم لاولادهم طبيعية لعلنا انهم أجزاؤه منهم ، وأقرب الاغيار اليهم ، وأمانة عظمى في أيديهم ، بل كانت رحمتهم طبيعية لعلنا أناسا لازمة من الازائم المأمسة فلم يك من فرق بينها وبين تلك الرحمة الموجودة عند الحيوان مادام مولوده صغيرا محتاجا للراحة .

وتظهر الخبرة من اختلاف المتدينين في قصصها حتى كبر أو فقدناها الا ان تنقلب الى معنى آخر فيكون الحكم لذلك المعنى لاهيا .

وذلك المعنى قد يكون الامل بأن يكون عونهما يوم يكونان ضميئين ويكون قولنا قد يكون حينئذ النفس الى مالفقة بواسطة التربية . ومألوف النفس مرحوم عندها ومحبوب ومولود به ، وقد تألف النفس حمادا أو نباتا أو حيوانا فيكون لديها أعز من الولد . ولا سيما اذا شارك الالفه شئ من التربية لأن من جملة حب الذات حب صنعها والا لما صنعت التربية من الصنعة بل هي أم الصنائع لأن في معناها التريدهو هو روح الصنع . فالامل هو الذي يجعل الابناء أعز وأحب من البنات بل فقده هو الذي كان يجعل البنات حملا قليلا يجب الاسراع بطرحه كمثل اولئك الذين كانوا يشتدونهن فلو كانت رحمتهم لاولاد تلك العالة المظنونة (علة كونهم اجزاء من والدين وأمانة كبيرة عندهما) لما كان هذا الفرق . ولما كان فرق أيضا بين أولاد البنات وأولاد البنات وانك لتراهم يفرقون . قال قائل منهم :

بنونا بنو أبناؤنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والامل هو الذي يكثر الحب والرحمة لاولاد اذا قلوا ولا سيما اذا كان الوليد وحيداً وبقله اذا كثروا . والتريسة هي التي تجعل الصغير أعز من الكبير غالبا عند الامهات . والذكر أعز من الانثى لدى الآباء . والتربية هي التي تجعل المربي البعيد من الانسان في حكم الولد . كمثل ولدحات به زوجته من غيره ثم وضعت على فراشه ورياه في خباثتها بل كولد النقطاء ليكون لهما في حكم الولد . وتجعل غير المربي القريب من الانسان في حكم البعيد كولد حملت به منه غير زوجته ووضعت على غير فراشه ، وولد حملت به ولما وضعت رده الى نقطه الابدون ولما تأكله الكلاب والذئاب .

هكذا وما نحن في هذه البيانات بوارين حق تلك الصناعة التي كشفنا اسرارها من أول نشأها . ولستنا مهدنا قلبها لنشر الى بطلان أكثر التعصبات المبينة عليها عند الذين تزكت نفوسهم وصحت اخلاقهم ، فإنه لا معنى لدى أهل هذا العلم (علم النفس وما يصلحها — علم الاخلاق) لتعصب كل قوم على آخرين بغير الحق الا الاثم والعدوان ، والبغي والظلم . وساء ذلك من تعاون . وما هو الا التعاون لو كانوا يفتقرون وقد اغتر بها الانسان . يوم عدا العرفان . من أجل هذا كتب عليه الانقلاء . الجهاد والعدوان . وغلب عليه المهلكان . الاستبداد والكفران . وبئس ذلكم الشأن . واقتبح من تلك التعصبات الباطلة الفخر بالانساب وتخييل الشرف والمجد بالتولد من ذاك الوالد وذاك الجد . وان تلك لا وهام باطلة ، لا تروج الا على العقول الباطلة ، ولا يتعلق بها الا كل خذل خذل . فقولوا أنفسكم من هذا العار . أن تكونوا لها فاعلين ، أو تكونوا بها مؤمنين .

هذا ماتوصيكم به الفضيلة وهي التي تركي حقائكم وتهب كل نفس قوتها . عاذنها . وأما ماتوصيكم به السياسة وهي التي تركي أسماء جماعتكم . وتهب كل جماعة حفظها من التميز على أختها فانها توصيكم أن لا تنسوا حفظكم من تلك الرابطة وان استغتم بالاوهام ، وتوصيكم ان لا تحمدوا عليها لئلا تنقوا كالانعام . كما بقي أهل المقارن واخوانهم من في الحيام ، فكونوا من اخوان الفضيلة أو اخوان السياسة انكم تحيرون . وتفكروا بنفعكم التفكير ولعلكم ترشدون . ولا تقلدوا ان المقلدين اخوان الهون . ومن ظن أن حكم الامم بهذه الرابطة فأعلموه انهم بالسياسة حاكمون . وفي الآتي تفصله للذين يقرأون .

(ع . ز)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استمساك العرب بالدولة العلية

زار الورد كرزون حاكم الهند العام الحاجب الفارسي من مدة قريبة ولما عرج على جزيرة البحرين زار فيها هر وقرينته صديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير

دارين الشهير في محله التجاري بالبحرين ورغبت اللادى كرزون اليه ان يطلعها على جميع أصناف الاثاؤ فسمرت عما شاهدته منها ولم تكن رآته وقد زار صديقا للذكور جناب اللورد في بارجته الحربية كما زاره غيره من الاصراء ولكن كتب اليها من هناك ان اللورد الذي حمل محمد باشا عبد الوهاب الى بارجة اللورد كان مرفوعا عليه العلم الثماني دون غيره وانه عند اللقاء قدم الى جناب اللورد كتابا بدأ بالبسملة الشريفة وحمد الله تعالى ثم ذكر ان الملوك والحكام انما يتفاضلون بالاثلاف الذي فيه صلاح البرايا ثم اتقل من ذلك الى التناء على السلطان عبد الحميد خان الذي آتخفه بالرتب العالية والوسامات السامية وذكر ان بلاده تتقدم في الحضارة وترقي التجارة في ظل الدولة العلية ترقيا مستمرا. ثم اثنى بعد ذلك على الحكومة القيصرية الهندية وعلى جناب اللورد خاصة لتشريفه بزيارته ولما يراهم من الرعاية وتسهيل سبل التجارة عليه في الممالك الهندية . وأعرب في ختام الكتاب عن رجائه ورجاء أهل بلاده في « ان يكون هذا التشريف الميمون سببا في زيادة الاتفاق الصادق بين الدولتين الفخيمتين - الدولة العلية الثمانية والدولة الفخيمة القيصرية »

ولا يخفى ان انكسرتا تعتبر جزيرة البحرين تحت حمايتها أما دارين فانها تابعة للدولة العلية وهي في الحقيقة ميناء بلاد نجد في جنوب بلاد العرب ووجود مثل محمد باشا عبد الوهاب فيها يزيد في تعاق أهلها بالدولة العلية والاستمسالك بعروتها وفق الله الدولة وأصراء العرب الى مابه دوام الاتفاق وخير المسلمين آمين

﴿ نصيحة لمسلمي سيرالون ﴾

قد علم من الرسالة المنشورة في الجزء الماضي عن سيراليون ان مسلمي تلك البلاد قد فلك فيهم الجهل والتعادي ولا علاج لهم من هذا الداء الا بالتعليم والتسلك باداب الدين وقد قبض الله لهم في هذه الايام من يرشدهم الى ترقية تعليم العربية والدين فعلمهم ان يقتنموا هذه الفرصة ويأخذوا بأرشاد ذلك السائح . وقد جئنا رجل منهم سوداني اسم هارون الرشيد يريد طلب العلم في الازهر فأخبرنا بمثل ما كتب السائح من حالهم النحسة واثنى عليه ثناء حسنا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

المجلد

١٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى ومثراً أه كمنار الطريق)

(مصر - التلاوة في القعدة سنة ١٣٢١ هـ - ١٩ يناير (ك) سنة ١٩٠٤)

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

﴿ كلمة في القبور ﴾ (*)

لا يريد بهذا العنوان البحث عن تاريخ القبور كالتواويس والاهرام وما شاكلها من معالم الوثنية الأولى وانما يريد الوقوف بفكرة القاري عند اختلاف المؤرخين في مكان قبر أبي عبيدة كاختلافهم في تعيين كثير من قبور جلة الصحابة الكرام الذين دوخوا هذا الملك العظيم وتحلوا بتلك الشيم الشباء وبلغوا من الفضل والتفضل والتقوى والصلاح غاية لم يبلغها أحد من الاولين ولا الآخرين . وقد بسط المؤرخون أخبار أولئك الرجال العظام وعنوانتدون آثارهم المظيمة في فتوح الممالك والبلدان حتى لم يتركوا في النفوس حاجة للاستزادة ونعم ما خدموا به الامة والدين

ان القاري اذا وقف بفكره عند هذا الامر وقفة المتأمل لا يستان يأخذه العجب لأول وهلة من ضياع قبور أولئك الرجال العظام واختفاء أمكنتها عن نظر نقلة الاخبار ومدوني الآثار على جلالة قدر أصحابها وشهرتهم التي طمست الآفاق وملأت النفوس اعظاما لقدمهم وأكبارا لجلائل أعمالهم

(*) نبذة من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام ، الذي يطبع بمطبعتي هذه الايام

وثناء عليهم وتكرماً لذكر أسمائهم وشكرهم لآلائهم واعترافاً بحبيبهم وقرابا
بفضيلة سبقهم بالإيمان ونشرهم دعوة القرآن

لاجرم أن القاري أقل ما يحدثه به النفس عند التأمل في هذا الأمر
أن أولئك الرجال ينبغي أن تعلم قبورهم بالتبيين، وتشاد عليهم القباب العالية
ذات الأساطين، إذا لم يكن لشهرتهم بالصلاح والتقوى وسدق الأيمان
ومحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام فلما أتوه من كبار الأعمال، التي
تمجز عنها أعظم الرجال، فكيف غابت قبورهم عن نظر المؤرخين،
ودرس أجدانهم التي تضم أكابر الصحابة والتابعين، حتى اختلف في تعيين
أماكنها أرباب السير، وغفا من أكثرها الأثر، إلا ما علموه بعد بالحدس
والتخمين، وأظهروا أثره بالبناء عليه بعد ذلك الحين، مع أن المشاهد عند
المسلمين صرف العناية إلى قبور الأموات بما بلغ الغاية بالتأني في رفعها
وتشييدها ورفع القباب عليها واتخاذ المساجد عندها لاسيما قبور الأمراء
الظالمين الذين لم يظهر لهم أثر يشكر في الإسلام، والمتشيخة والدجالين،
الذين كان أكثرهم يجهل أحكام الأيمان، ولا نسبة بينهم وبين أولئك الرجال
العظام كأبي عبيدة بن الجراح وإخوانه من كبار الصحابة الكرام الذين
قلقوا الدين غضا طرياً، وبلغوا بالتقوى والفضيلة مكاناً قصياً،

والجواب عن هذا أن الصحابة والتابعين لم يكونوا في عصرهم بأقل
تقديراً لقدرة الرجال وتعظيم الشأن من نبع فيهم من مشاهير الأبطال وأخبار
الامة إلا أنهم كانوا يفتنون من تشييد قبور الأموات وتعظيم الرفات
لتحققهم النبي الصريح عن ذلك من صاحب الشريعة الفراء الحنيفة السمحة
التي جاءت لاستئصال شائنة الوثنية وعمو آثار التعظيم للرفات، أو الكوف

على قبور الاموات ، و يرون ان خير القبور الدوارس وان أشرف الذكر في أشرف الاعمال . لهذا اختفت عن أنى بعد جيلهم ذلك قبور كبار الصحابة ووجه المجاهدين الا ما ندر ثم اختلف نقلة الاخبار في تعيين امكنتها باختلاف الرواة وتضارب ظنون الناقلين . ولو كان في صدر الاسلام أثر لتعظيم القبور والاحتفاظ على أماكن الاموات بتشديد القباب والمساجد عليها لما كان شيء من هذا الاختلاف ولما غابت عنا الى الآن قبور اولئك الصحابة الكرام كما لم تقب قبور الدجاللة والتمشيعين التي ابتدئ بها بعد العصور الاولى مبتدعة المسلمين وخالثوا فصل الصحابة والتابعين . حتى باتت اكثر هذه القباب تملل هياكل الاقدمين وتميد سيرة الوثنية بأفبح انواعها وأبعد منازلها عن الحق . وأقربها من الشرك . ولو اعتبر المسلمون بعد باخفاء قبور الصحابة الذين عنهم أخذوا هذا الدين وبهم نصر الله الاسلام لما اجتروا على اقامة القباب على القبور وتعظيم الاموات تعظيماً يأباه العقل والشرع وخافوا في هذا كله الصحابة والتابعين الذين أذوا لنا أمانة دينهم فاضعنناها وأسرار شريعته فعبثنا بها ، واليك ما رواه في شأن القبور مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبشرك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته : وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيدبارض الروم بروفس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي . ثم قال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها (١)

(١) الاحاديث الواردة بالنهي عن تشييد القبور وتعظيمها ولعن من يتخذها مساجد ويقصدها بالنذور كثيرة قد استقصى الكلام عليها كثير من الأئمة المصلحين

هكذا بلغونا الدين وأدوا لنا أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم تأكيدها لهدى الامانة بدأوا بكل ما أمرهم به الرسول بأقسامهم لنستن
بسنهم ونهتسدي بهدي نبيهم ولكن قصرت عقولنا عن ادراكه معنى
تلك الجزئيات، وانحطت مداركنا عن مقام العلم بحكمة التشريع الالهي
والامر النبوي القاضي بمسدم تشييد القبور اتقاء التدرج في مدارج الوثنية
فلم نحمل بتلك الحكمة وتحكمنا بعتولنا القاصرة بالشرع فحكمنا بجواز
تشييد القبور استجابا لمثل هذه الجزئيات حتى أصبحت كليات وغرقا
في الدين وإفساداً لعقيدة التوحيد اذ مازلنا نتدرج حتى جعلنا عليها
المساجد وقصدنا رفلتها بالنشور والقربات ووقفنا من ثم فيما لاجله أمرنا
الشارع بطمس القبور كل هذا ونحن لانزال في غفلة عن حكمة الشرع
نصادم الحق ويصادمنا حتى نهلك مع الهالكين اه

مسئلة ذباح أهل الكتاب

﴿ تأيد الفتوى بالاجماع ﴾

وقعة الفتوى ان التصاري في قتل من الاقطار (هو الترنسفال) يضربون البقر
قبل ذبحه بألة محددة تسمى البلطة ثم يذبحونه ذبحاً واحداً في زعم السائل لا يسمون
الله على ذباحهم

(تحرير الجواب)

وتحرير الجواب من حيث صحة الذبح ان ضرب الحيوان قبل ذبحه بمحدد أو غير
محدد لا ينافي كون ذبحه بعد ذلك من التذكية التي يحل بها أكله فهو حلال باجماع
كشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم واثباتهما فلتراجع في مظانها من كتب القوم كالواسطة
واناقة اللفهان وغيرهما من هاشم الاصل ويعلم القراء ان النار وفي هذا الموضوع حقه

المسلمين من السلف والخلف والمتبادر من تصريح السائل بذبح البقر هو أنهم يذبحونه وفيه حياة اذ الميت لا يذبح . والمتبادر أن هذه الحياة هي التي يسميها بعض الفقهاء من الخلف الحياة المستقرة التي من علامتها انفجار الدم والحركة النيفة اذ لو ذكر الحيوان وليس فيه الارمق لما اعتد العامي (فليست في الواقعة) بذبحه بل لما ساء ذبحها فالحياة هي الأصل ولم يرد في السؤال مما يدل على زوالها أو بقاء الرمق فيها فقط فيقال أنها حلال على رأي الجمهور والاكثر كما قال المفسرون (وقتلنا ذلك عنهم في الجزء الماضي) لا بالاجماع كما تدعي

وما قلناه من أن إطلاق السؤال أنهم يذبحون بعد الضرب يقتضي أن يكون المذبح حلالا بالاجماع نعرضه على علماء الاسلام في مصر وفي سائر الاقطار وقولنا أنه لا يمكن لأحد منهم رده . ومن يزعم أن أئمة المسلمين اختلفوا في على الحيوان يذبح بعد ضرب بأي شيء فليكتب لنا بالبيان لننشر قوله ونهن على يقين من أن كل عالم اسلامي يعلم أنه لا خلاف في ذلك وأما الخلاف فيما اذا ثبت أن الحيوان ذبح بعد عرض سبب محال عليه الهلاك وليس فيه حياة مستقرة فقال بعض الفقهاء لا يحل وقال أكثرهم أنه يحل وقسم في الجزء الماضي قول المفسرين في ذلك . وعلامة الحياة المستقرة انفجار الدم والحركة النيفة كما قاله فقهاء الشافعية وقد علمت مما قلنا عن الصحابة وغيرهم في الجزء الماضي أنه يكفي في الموقوذة ونحوها علامة تدل على الرمق من الحياة كحركة الجفن أو الذنب وأنه المتبادر من قوله تعالى « الاما ذكيت »

وأما مسألة التسمية في الواقعة فتقول إنه لا سيل إلى الحكم على أهل قطر من الاقطار بأنهم لا يذكرون الله على ذبائحهم الا اذا كان دينهم يمتنعهم من ذلك . والمسئول عنهم في واقعة الفتوى ليسوا كذلك لانهم نصارى ولو أهل الله ذبائحهم وهم كذلك لما كان للاختلاف في اشتراط تسميتهم وعدمها وجه من الوجوه . وقد نصوا على أن ذبيحة الكتاني لم يعلم أذكر اسم الله عليها أم غيره أم لم يذكر شيئا هي حلال بالاجماع وذلك هو الواقع في مسألة اذا علم بعدم ذكر اسم الله على كل ذبيحة في قطر الترسقال أو في أي بلد من البلاد متندر وأما يفسر العلم بذلك في ذبيحة معينة وليس هو واقعة الفتوى . والمسئول عنه هو في الواقع ونفس الامر من المجهول وهو حلال بالاجماع . وأما

نرض هذا أيضا على علماء الاسلام في مصر وفي سائر الاقطار الاسلامية وتقول انه لا يمكن رده ولا نقضه ومن زعم خلاف ذلك فعليه بالبيان . ونحن صرح بالإجماع في المسألة الطبري وابن كثير كما تقدم في الجزء الماضي

واما عمل الخلاف في مسألة التسمية من الكتابي وعدمها فهو اذا علم المسلم في ذبيحة معينة ان الكتابي لم يذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم غيره وقد رأيت القائل من الجزء الماضي عن المفسرين في أن ممن قاله باطل من الصحابة (رض) أبا البراء وعبد بن الصامت وابن عباس ومن التابعين الزهري وربيعة (شيخ الامم مالك) والشعبي ومكحول وعطاء ، وأن الشعبي وعطاء سئلا عن اليهودي يذكر اسم عزيز النصراني يذكر اسم المسيح فقالا : ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون . ورأيت ان عليا وابن عمر وعائشة القائلين بالمتنع انما قالوا : اذا سمعت الكتابي يذكر اسم غير الله فلا تأكل : وهذه العبارة على كونها تشترط السماع ليست نصا في التحريم اذ يحتمل أن يكون النهي للتنبيه . واذا سلمنا انه لا تحريم فلنأخذ قول ان المسلم في الترسقال يسهل عليه أن يأكل من اللحم الذي يحجه في السوق لاتفاء الشرط وله ان يتورع في الذبيحة التي يسمع النصراني يذكر عليها اسم غير الله فلا يأكل منها ليوافق الاجماع في الحالين ولا تنس ان السائل لم يقل انهم يذكر اسم غير الله ، فسلمنا من هذا ان الفتوى في واقعها ليست مؤيدة برأي القاضي أبي بكر بن العربي بل هي مؤيدة بالإجماع . ومن الجهل العام ان يستطيع رجل جاهل بالشرع ، معروف بسوء القصد ، تشكيك بعض الناس في حلها

فان قيل : لماذا استدل المفتي بقول القاضي أبي بكر بن العربي من أئمة المالكية ولم يستدل بالإجماع اذا كانت المسئلة اجماعية كما قلت ؟ والجواب ان المفتي لم يكن في جوابه في مقام المناظرة والاحتجاج وانما سأل عن حكم الله فاستدل بكتاب الله لا بقول ابن العربي وبعد الاستدلال بالنص قال وأرى ان يقولوا على ما قاله فلان في تفسير الآية والنقض من ذلك الارشاد الى الاخذ بالاحتياط في شبه مسألة اختلف فيها الصحابة (رض) وهي ذبيحة نصارى بني تغلب قال علي كرم الله وجهه لا نحمل لاسمهم يأخذوا من النصرانية الا شرب الخمر وقال غيره منهم محل لانهم اتقوا الى النصرانية ولا يجب علينا البحث عن

أعمالهم فأراد الملقى أن يأخذ أهل الترنسفال بالاحتياط فلا يأكلوا إلا من التبيحة التي يأكل منها القسيسون مع العامة ، وإلى أن الدين يسر يبيح أكثر مما في واقعة السؤال ، ولم يكن قول ابن السري هو السدنة له في الاستدلال وما ذكرناه في مقالة الجزء الماضي يتضمن كل المحصنة هنا ولكن الكلام هناك متشعب والتأنيج فيه موزوجة بلقدمات والدلائل والتقول فاختصرناه هنا بمقالة كل قارئ. والمراد بالاجماع بشرطه إجماع أهل السنة المحلين لذبايح أهل الكتاب دون الشيعة

﴿تهافت المرجف في الفتوى﴾

ما قام أحد بدعوة الاوجود من أبي دعوته حتى الذين ادعوا الألوهية من دون الله وشبهه الشكل منجذب اليه . وقد بدأ بالارجاف في الفتوى رجل من محرمي الجرائد الساقطة عسرف بالطن في الملقى من عدة سنين حتى زعم أنه ينكر الله أو توحيد حوكم في ذلك وفي مثله وحكم عليه غير مرة وسجن . ولما دفع أو اندفع صاحب الجريدة المحدث إلى الارجاف استخدمه فصار يكتب له باسمه ويتقل بعض ما يكتبه له في جريدته التي صرح فيها بأنه الحر لها فصارا اثنين في (الظاهر) ولكنهما واحد في الحقيقة . ثم علمنا الآن أن صاحب (الحجارة) الذي حوكم قبل الآن في طعنه بالملقى وسجن وحدث السياسة المشهور بالطن في الملقى أيضا قد انضم اليه أو اليهما حدث السياسة رابعهم . هؤلاء حماة الاسلام اليوم الذين يتجهجون بنصره والمدافعة عنه بتحريم ذبايح أهل الترنسفال وهي حلال بإجماع أهل السنة والجماعة كاتقدم بل الحقيقة أن المعتز هو الاول وحده والآخرون يصدقانه فقط

أما متقدم الارجاف فقد كان في أول الامر تسمية ذبايحهم موقوفة وقد أكثر الفتى في ذلك . ولما نشرت الجرائد المنتشرة المقالات المينة أن حقيقة الموقوفة هي ما ضربت بهير محمد حتى ماتت قبل أن تدب وفيها حياة خرق له منفذا ثانيا وهو أن أحبار اليهود وقسوس النصارى لا يشتدون بذبيحة أهل الترنسفال . وقد أخذ بحجائه هذا التفتن فلفظ فيأشد ماحط في الاول اذ كان ينقل من المارة فيهما بعضا على حد « لا تقربوا الصلاة » يقتصر غالبا من يريد تحريم الصلاة. واذ أصبح قدوس النصارى لا يشتدون بتلك الذبيحة ولا يجيزون أكلها فالفتوى صريحة في تحريمها اذ فيها اشتراط

ان يأكل منها قسيسهم وعامتهم ويتفقون على أنها حلال في دينهم فانظر كيف يتناقض
المرجف نفسه فيؤيد الفتوى من حيث لا يفهم، ثم يشتد من حيث لا يعلم،
ثم خرق له من هذا ثالثا وهو الطعن بآبى العربي لان المقي ذكره في فتواه وأيد
رأيه في الاخذ بالآية الشريفة مع اعتبار ذلك الشرط المذكور آتيا . أما طريق هنا
الطعن فهو ان بعض الفقهاء بحث في فتوى لابن العربي بجل ما يحققه الكتابي وقد
تبايف قول المرجف وتناقض في هذا أيضا وقل عن المالكية ما يصرح بأن فتوى القاضي ابن
العربي صحيحة على خلاف فيها وان وجه التقاضي من جهة العبارة فقط وهو انه أطلق
القول ولم يقيد به بأن يكون كل علق الدجاجة المسؤول عنه قصدا لذكة أي الامانة لاجل
الاكل فقد جاء في قتله عن المالكية بمعدل ما قاله ابن العربي مانصه :

(ظاهر كلام ابن العربي التمايز ولكن جمع بينهما ابن عرفة ونصه : وقول)
(ابن عبد السلام : أجاز ابن العربي أكل ما قتله الكتابي ولو رأيناه يقتل الشاة)
(لانه من طعامهم : يرد بأن ظاهره نوى بذلك الذكاة أولا وليس كذلك - فنقل)
(جميع ما تقدم عنه مختصرا وقال مانصه : قلت فاحصه أن ما يروونه مذكي عندهم)
(بجل ثلثا كله وان لم تكن ذكاة هذا ذكاة : اه) اه من جريدتي المرجف

وما قاله ابن عرفة وهو من أكبر فقهاءهم موافق لما قتله في الجز الماضي من
أن مجموع الاحاديث يدل على أن الذكاة هي ما كان ازهاق الروح فيه بقصد لا كل لا معلق
التعذيب والاعدام . وظاهره أن مسألة فتوى ابن العربي لم يكن نقصها الا النص على أن قتل
هق الدجاجة يند ذكاة اذا أرادوا به ذلك وكانه لم يند كرمه لالة القرينة عليه
ثم ذكر قول آخر عن (المبار) في المسألة وأما يند فتوى ابن العربي أيضا وقولا آخر عن
الزباني وانه سلمه فهم أن المسألة مسماة عند فقهاء هذا المذهب

واعلم أن المرجف هذه النقول وهي حجة عليه لانه وجد ان بعض المتأخرين قال ان
في هذا الكلام نظر من وجوه . وقد تصفحنا تلك الوجوه فراءناها غير وجية فانه في أولها
يستشكل تصديق أخبار أهل الكتاب وروايتهم في ان هذا حلال عندهم ويستدل على ذلك
بأن القرآن شهد عليهم بالتعريف والتبديل وثبت أنهم كذبوا بحضرة النبي (ص) وانه
عليه الصلاة والسلام قال : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل علينا وأنزل

اليكم ، وهذا الوجه حجة على ذلك المتأخر فإن الله تعالى قد أطلق القول بحل طعامهم وهو عام بذلك منهم وأخبره فيه والمؤمنين ، فدل ذلك على أنه لا يجلب من أجل تحريم طيننا أن نتمد على ما في كتبهم المحرفة وعلى أقوالهم فيها وإنما يحل لنا كل طعامهم من غير بحث عن حكمه عندهم وإنما طعامهم ما يأكلون إلا ما حرّم لذاته كنهم الخنزير ، وقصاري هذا أن قهواء المالكية تابن العربي أخطأوا في اشتراط كون طعامهم مما يأكل منه رجال الدين عندهم . وهذا صحيح ولذلك قلنا في الجزء الماضي إن مقالته ابن العربي وعول عليه المفتي هو من باب الورع والظاهر ما عليه أكثر الصحابة من حل طعامهم مطلقا وإن لم يتسكوا بشيء من كتبهم وأحكام دينهم كجني تغلب من متصرة العرب

والوجه الثاني البحث في التفرقة بين لحم الخنزير وما يقتلونه بالشر كالضرب بالعاقور ، وقول أن الفرق قد تقدم في الجزء الماضي فتلاعن كتاب (صفوة الاختيار) وباقي الوجوه مناقشات في العبارات ، على أن مقتضى هذه الأبحاث أن لا يحل من طعام أهل الكتاب شيء مالا ما علمنا أنهم جروا فيه على أحكام الشريعة الإسلامية وما هم بقاعلين فيكون قصارى قول الباحث أن الآية لا معنى لها ولم تعد حكما جديدا وهو ظاهر البطلان ، وإذا احتجنا كلام هذا المتأخر فأكثر ما فيه أن تكون مسألة أكل ما يقتله أو يقره الكتابي مختلفا فيه عند المالكية . ويجب أن يكون من أعظم المرجحات ما كان أبعد عن المخرج الذي يفتي القرآن وهو قول القائلين بالحل . ولا يخفى أن هذا الخلاف ليس في موضوع فتوى مفتي الديار المصرية لأن موضوع الفتوى في حيوان يذبح بعد ضرب وهو حلال باجماع أهل السنة والجماعة كما تقدم ، وإنما يورد المراجع ذلك في الرد على الفتوى لإيهام العامة الذين لا يقولون

سبح الفقه في تحريم الميتة وما أهل به لعير الله ﷻ

قد علم مما بيناه في الجزء الماضي من أنواع التذكية الشرعية أن الضابط العلم الذي يجسمها كلها هو أن يكون ازهاق روح الحيوان بقصد أكله ويشترط في ذلك شرط ديني واحد وهو أن لا يكون فسقا أهل لعير الله به من مسلم أو وثني مشرك بالله كالذي كانوا يذبحونه على الصب وهي حجارة تصب ويذبح عليها للأصنام وقبضه بغير الصحابة عن أكل ما أهل به الكتابي لعير الله وقدم البحث فيه في مسألة التسمية وأن الجمهور على خلافه وذكرنا في الجزء الماضي ما يورد رأي الجمهور من كون

آيات تحريم الاعلال لغير الله مكية الخ وتقدم أيضا ان ما أهل به لغير الله هو أشد المحرم محرما لأن علته دينية تتعلق بمجهر التوحيد

ومن عجائب جهل عامة المسلمين بالدين في هذا الزمن أن صار فهم قوم يهلون لغير الله من الشيوخ الميتين المعتقدين ولا تكاد تجد لذلك منكرا . بل يذكر عن العامة أن بعض علماء الوقت يأكل من البيضة (السائبة) للسيد البدوي عند ما ذبح على اسمه في مولده وإن ذكر اسمه عند الذبح وكأن هؤلاء المشايخ يكتبون في التأويل بأن النبيحة تحمل لأن صريق الدم منسوب إلى الاسلام ويذكر اسم الله وإن كانت سميت أولا وسيقت آخرها لأجل التقرب إلى السيد البدوي ويقصد بها أرضاؤه والتماس الخير منه لئلا يبدون ملاحظة شيء آخر كما عليه البعض أولاته واسطة عند الله يفعل الله لاجله ما يريد هو أو يريد التقرب إليه عند قبره أو في بلده ولكن من يتدبر القرآن ويتفقه في الدين يعلم أن تحريم ما أهل لغير الله به على المسلمين حكمته أن لا يقعوا في مثل ذلك الذي كان عليه المشركون الذين كانوا يتفكرون بما حكاه الله عنهم بقوله « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى » ، وإذا لم تصدق أن بعض المنتسبين للعلم يأكلون مما يذبحه بعض الناس للسيد وغيره فإنا نعلم أن هذا المنكر فاش ولا ينكرونه على العامة ولو أنكروه علماء الأزهر والجامع الاحمدى لاستمر الناس عليه بل لو أن الجرائد اليومية ساعدت للتأريخ ورددت قوله في إنكار مفاسد الموالدات كلها أو بعضها ولكن الأهواء السياسية والشخصية لم تهب على هذه الذات أنواط ولكنها هبت على الشجرة العلية التي يستظل بها الأستاذ الامام ترميدان تزغزغها وتقلعها ولكنها هبت حرة فأصلها ثابت وفرعها في السماء فلا هوى عليها هذه الأهواء .

بقي من بحث الفقه في التذكية وتحريم الميتة مسألة لم نذكرها في الجزء الماضي لأن المقال فيه كان قد طال وهي : ماهو الفقه في تحريم مامات حنث الله وهو المتبادر من لفظ الميتة عند الإطلاق وما هو في معناه كالتخفة والموقودة والتردية والطيحة وما أكل السبع منها إذا لم تذك أي يجهز عليها بقصد الاكل ؟ وما هو الفرق بين الصيد يأتي به الكلب المذموم فيكون حلالا وبين ما أكل السبع منه فقامت تذكية كاله ومانسرب الانسان بصا أو مسجرا فقامت كذلك ولم يذك بالقتل ؟ وما الحكمة في جعل القصد حلالا والجواب عن ذلك فيما يظهر لنا بعد اعتبار تعظيم شأن القصد في الامور كلها

ليكون الانسان معتمدا على كسبه وسعيه وهو الحكمة الاولى في ذلك هو أن الميت حتف أنفه فطلب أن يكون قدماته لرض أو أكل نبات سام وبذلك يكون لحمه ضاراً كلهم الحذر فان هذا قد حرم لضرره (راجع الجزء الثامن) فهذه حكمة ثالثة

وتم حكمة ثالثة غير اعتبار القصد وخوف الضرر وهي أن الطباع السليمة تستقدر الميت حتف أنفه ولا تعتمد من الطيات والدين يربي الانسان على شرف النفس ولذلك أحل له الطيات وحرم عليه الخبائث. وأما ما هو في معنى الميتة حتف أنفها من المتخفة والموقوذة الخ فيظهر في علة تحريمه كل ما ذكره الاحكام توقع الضرر في الجسم فيظهر فيه بدلها تفكير الناس عن تريض البهيمة الى الموت باحدى هذه الميتات القيحة في حال من الاحوال وان يعرفوا ان الشرع يأمر بالحفاظة على حياة الحيوان وينهى عن تعذيبه أو تريضه للتعذيب ويعاقب من يتهاون في ذلك بتحريم أكل الحيوان عليه اذا تتهاون في حفظ حياته فان الرعاة يفضون أحيانا على بعض البهائم فيقتلونهم بالضرب ويحرقون بين البهائم فيضرون الكباشين بالتطاع حتى يهلكوا ويكادوا ومن كان يرعى أنعام غيره بالاجرة يقع له مثل هذا أكثر. ولو كان كل ما هلك تلك الميتات حلالا لمسا بعد ان يتصد الرعاة وأمثالهم من الثحوت تريض البهائم ما يأكلوها يستند. ويدل على هذه الحكمة أحاديث صحيحة منها قوله (ص) بعد النهي عن الخذف وهو الرمي بالحصا والبندق (الطين المشوي لذلك): « أنها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدواً ولكنها تكسر السن وتفق العين » وأما أهدو البخاري

ومسلم. هذا ما ظهر لنا ومن آتاه الله حكمة وراة ذلك فليست فضل علينا بيانيها

ذرتنا هذا البحث في فقه الشريعة وحكماتها لان أحكام المعاملات والعبادات هي معقولة المعنى كلها مبنية على قاعدة دفع المضرات وجلب المنافع وأما قول بعض العلماء ان أحكام الدين على قسمين قسم تبدي تؤديه امتثالاً لأمر الله تعالى وان لم نقل وجه قائده ومفهمته وقسم معقول المعنى تمتثل في الامور من حيث تطلب به المنفعة المقصودة منه فلا شك ان التعبدية منها لا يظهر له وجه الا في أحكام العبادات التي تقرب بها الى الله على حسب ما وضع وشرع. ومن عجيب أمر علماء الرسوم وأهل الرأي انهم حكموا قياسهم ورأيهم في مسائل العبادة المحضه حتى زادت على المتصوص أضمافا كثيرة وجدوا على بعض أحكام العبادات ولم يحشوا عن عللها وحكمها بل منعوا أو كادوا يتمنون القياس فيها فتدبر

تأييد علماء مصر والجرائد للفتوى

لما قام المرجف يلفظ في الجريدة المحدثه بالاستناد على الفتوى نفر طائفة من أهل العلم الى الرد عليه في الجرائد فنشر وامايلات كثيرة أيدوا بها الفتوى بالتصريح القطعية ، والادلة الساطعة . ومن هذه الجرائد الاهرام والمقطم والوطن اليومية وأما الاسبوعية الاسلامية التي كتبت فلم نحصها ولكن أشهرها جريدة (التقدم) التي يحرر صاحبها الدينية بعض الازهريين والتبلي والممتاز والرائد العثماني . وقد نشر كاتب أديب في المقطم مقالة (عقاب صديق) للعلماء وبعض الجرائد اليومية الاسلامية لعدم الكتابة في الموضوع فأحسن كل ما كتب الا تعظيم شأن الخلاف وتكبير المسألة وهي صغيرة ولم يخالف فيها الا المرجف ومستأجره وأيده الحدث وصاحب الجارة . ولذلك أجبته أحد العلماء المدرسين المؤلفين بجواب وحينئذ نشر في (عدد ٩٩ : ٤) من المقطم وقد جاء فيه ما نصه : « ولعمري الحق انساداهم (أي العلماء) الى السكوت عنها وضوح السؤال والجواب وعدم الحاجة الى رد أقوال المعارض على افتاء ليس عليه ينظر الشريعة غبار . أصل المسألة ذبحة ضربت على رأسها يلبطه ثم ذبحت أم لا ؟ أفبعد قول السائل ثم ذبحت يتوهم أنها ميتة أو موقوفة ؟ كلا » الخ أما سكوت المؤيد فالظاهر أن سببه عدم العناية بالجريدة المحدثه وكراهة اشهارها مع اعتقاد أنها ضارة ولهذا لم يذكر اسمها الذين ردوا عليها أيضا . وإذا كان هناك سبب باطن أيضا فليس لنا ان نجث عنه وانما كلامنا في الظاهر فقط واما الراوي فقد كتب أخيرا ما يدل على الانصراف للفتوى

وبينا نحن نكتب في هذا المقام وردت علينا جريدة جديدة تسمى (الواعظ) فرأينا فيها مقالة وعظيمة لعالم مغربي عرج على القاهرة في طريقه الى الحج فلما قرأ ما نشرت الجرائد في موضوع الفتوى كتب هذه المقالة وأرسلها لبعض الجرائد الصامته الساكنة فلم تنشرها فرغب الى صاحب الواعظ ان ينشرها ففعل فكان فعله محاسن ان اسم الجريدة وافق المسمى . وقد رأينا ان نقلها تنويرا بالواعظ وتنفيها للناس الى مكانة المرجف من نفوس العلماء القرباء بل على مكانة المصريين عند من يتوهم انه يروج فيهم مثل هذا الارجاف ومكانة الاستاذ الامام من نفوس عقلاء المسامحين في بلاد المغرب وهذا نصها

«أيها المسلم . هل أتاك خبر ما شاعت به الانبياء من قيل وقال في فتوى الشيخ الامام ، وهل علمت ما كتبه القار بما نص عليه الفقهاء والعلماء والصحابة وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ، وما حدث في أوائل القرن الماضي في الديار المصرية ؟ تأمل وانظر كيف انكسرت الاحوال واقلبت ظهراً لبطن ، وأصبح الدين آلة في أيدي رجال العلم يحرمون اليوم ماحلله آباؤهم من قبل ، مراضين بفتوى السيد الامام وجهود الفقهاء والصحابة والتابعين وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام . وبأيت شعري أهذا دليل على وقوع الامة في شرك الجهالة وانها تستبدل الى أسفل سافلين أم ذلك تناقض يحصى ويروى ؟

ومن المسلمين رجال يؤيدون الدين ويقومون بالإصلاح ويحافظون عليه كالسيد الامام المفتي يرأي الجمهور وما اعتمدوا العلماء ، فهل يرد عليه بما رآه الآخرون وهل يعترض بمنهج على منهج ؟

على ان هذه الشريعة السمحة البيضاء نشبت فيها الاقوال ، ليأخذ العلماء من كل زمان بما يناسب الامة من أحواله ولا تكون ضيقاً على عباد الله اذ هي الشريعة التي ينتظر المسلمون وعقلاء التصاري أن تم الارض كلها كما قال تعالى « والله مِم نوره » وكما قال « ليظهره على الدين كله » فهل يليق ان نسمها بالخرج والضيق ؟ وقد اعتاد العلماء أن يقولوا قولاً ضيقاً ليأخذوا به عند الحاجة اليه . وليست فتوى السيد الامام من هذا القبيل وانما الكلام في ان الشريعة أوسع مما يضيّقون

وما لنا ولهذا وذلك ا كنا قرأ في كتب الفقه ان المفتي والقاضي لا يوليان الا اذا حازا درجة الاجتهاد كالائمة الاربية والا كان تقليدهما باطلاً فهل يسمح الدهر بهم واذا سئل العلماء عن المجتهدين يقولون انقطع الاجتهاد من القرن السادس وكل قاض ومفت بعد هذا الاقطاع فهو قاض لاضرورة وكأنهم بهذا حكموا على الامة أن تتبدل وتقرض وقد حكموا بتطبيقهم هذا على الشريعة القراء أن تقلص على الاحكام وحل محلها القانون السياسي

من لنا بقوم يشعرون بما يقول وأنا رجل مفرغ طامس تنيت ان يكون في المسلمين رجال عظام حتى اذا ما رأيت هذا السيد في بلادي قهرت به عيني . وما أنا قد

وفدت الآن على ميت أنوار عرقاه فوجدت لفظا دلي على أن القوم هنالايالون
بشريتهم ولا رجالة

وباليت شعري هل درى اخوانا العلماء أنهم يخبرهم ذبيحة أهل الكتاب
يقتلون على القرآن؟

القرآن أحل ماخرجته كلاب الصيد وقتله . وعلم الله تعالى أن الانسان أفضل
من الحيوان فاستدرك ذلك واحل ذبيحة أهل الكتاب ، والا كانوا في نظر الشرع
أقل من الكلاب، وحل الله أن ينزل الانسان الدين في شريعة متممة للشرائع على
أخص حيوان وأقبحه في نظرها مع أن هذا الدين جاء ليم الأرض كلها . وهو الذي
احل مناكحة الكتابي ومعاشرته ومجاملته ومعاذته وأوجب الدية في قتله ولم يجوز
قط الأكل في أثناء ولغ فيه الكلب حتى يفصل سبع مرات احداهن بتراب
أيجوز لنا أن نأخذ الذبيحة من بين أنياب الكلب ولا نأخذها من بين يدي

الانسان؟ .. حاشا لله حاشا

اظن اننا الآن أصبحنا اضحوك في عيون الأفرنج ومضغه في افواههم اذ يسمونا
بالوحشية المطلقة وديننا بدین الوحوش . ذكر الله الصيد في أول سورة المائدة
فلم يشأ أن يسكت عن أهل الكتاب علماً منه أنهم أولى بالحل . وهل يقص التصرفي
الترنسفا في نظر ديننا عن حيوان الصيد أو أنه من النجس الأعمى وعدم التفطن والنظر .
وهل عرف أولئك العلماء حكمة الذبح المعتاد وشيوعه بين المسلمين قطع الحلقوم
والمريء مع قيام غيره مقامه في الصيد والذابة الشاردة والسك والجراد والجحش
في بطن أمه وغير ذلك . . . فليعلموا أن كل قتل بحسب الأصل موصل للمقصود
ولكن الله لحكمته ورحمته بنا وبالحيوان جعل بيننا قسمة عادلة ومنه عامة فحرم
علينا ماقتله الحيوان ومات في الحلاء بغير قصد منا ليق ذلك كله للحيوان يأكله
لاتها أم امثالنا . وكأنه تعالى لم يرض أن تأكل ما لم يقصده ولم تفكر فيه . فاما
المذكي والصيد والسك والجراد ونحوها فاتها كلها غالباً لا تؤخذ الا بالنصب والتصب
هنا . ولما علم الله أن الناس منهم الجاهل والعالم والقوي والضعيف وضع قانونا
عاماً يشترك فيه عاصمتهم وخاصتهم في الذبح وهو ذبح الشق ولو أبح أي ذبح لتفنن الناس

في تعذيب الحيوان . فله الحكمة البالغة . هذا هو المقصد من شيوع قطع الخلقوم والمرئ مع قيام غيرها مقامها في أحوال أخرى كالسك والجراد والصيد وذبحه الكتابي بأبواب المسامحة هل أنتم منزهون عن هذا فإنه ليحزن العتلاء ان تتكلم في صفات الامور وقد تركنا كبارها ، وهل يجوز أكبار لبس البرنيطة مثلاً واستصغار تعلم اللغات وأنها القتالة للمواطف القومية المحيطة لاصول المعتقدات الدينية من مغايرتها في النفوس تركنا كبار الامور واستسكننا بصغارها وأنه لئلا نثار عظيم . هلا قنا وقدما هذا القيام وهذا القعود لقروض الكفايات كالصناعات والسياسات التي ينطق بها القرآن لقد دخلت بلادكم الافرنج مداخله اشربت بها القلوب والاجسام ، وأصبحت المنازل والابواب والياب وكل شيء جديد فيها من آثامهم وولاد صناعاتهم ، فكيف يحملون هذا كله ويحرمون البرنيطة على الترسعالي الذي لا قوة له ولا استقلال يلبسها للضرورة ، بل العلم وقف على الظواهر ولم يعا بلواطن بل بالفتش ودون اللب ، ان الشيخ الامام حين قرأ الدرس في بلادنا المغربية في هذا العام فهمنا ان مصر كعبة العلم ومبع الفضل ، مؤيداً لما كنا نسمع من قبل ، ولكن لما زرتها تزلزلت يقيني في ذلك ، وما هو عندي عنهم في قوله فاعلي عند رجوعي من الديار الحجازية استنشق روح الوفاق على تأييد الحق وما هو ببعيد »

(المثار) يظهر ان الكاتب صدق المرجف في رصمه ان العلماء خطأوا الفتوى وان سبق له القول بأن شيخ الازهر وعلماء لا يخالفون المقي !! . وفي هذه المقالة بيان حكمة رابطة لتحريم الميتة وما في معناها وهو جعلها من حظ الحيوانات التي تأكل اللحم رحمة بها

تأييد واقعة الفتوى بمذهب الحنفية خاصة

أشرنا في الجزء الماضي الى أن الفتوى مؤيدة بالكتاب والسنة وعمل السلف والى ان خلاف الحنفية في مسألة التسمية ليس في شيء من واقعة الفتوى التي أفتى فيها مفتي الديار المصرية لان الحكم في واقعتها مجمع عليه وقد رأينا ان تقل بعض ما قاله الحنفية أنفسهم لموضوع حتى يعلم ان المفتي موافق لمذهب الحكومة المصرية وان لم يكن ذلك واجبا عليه لاسباب في المسائل الدينية الشخصية خصوصاً اذا لم يكن السائل عنها من رعية هذه الحكومة . وقسمد كنا راجعنا ما في الفتاوى الحامدية ثم جادت بارساله

من بعض شيوخ الحنفية المتخرجين في الأزهر يذكر فيها نص الفتوى بعدم مقدمة في
انكار أرجاف المرجف ثم ذكر ما يؤيدها من كتب التفسير وأقوال السلف وحكم
الكلام بما له :

بقي علينا ان نوضح موافقه الفتوى لفروع الفقه الحنفي فنقول : في كتاب
(المقود البرية، في تنقيح الحامد به) للمرحوم المحقق العلامة السيد محمد ابن عابد بن
رحمه الله (سئل في ذبيحة العربي الكتاني هل تحل مطلقا أولا) (الجواب) تحل ذبيحة
الكتاني لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالسلم أو دعوى
كالكتاني ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل منا كته فصار كالسلم في
ذلك ولا فرق في الكتاني بين ان يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا حربيا أو عربيا أو
تغليا لا إطلاق قوله تعالى « وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم » : والمراد بطعامهم
مذكاهم قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال ابن عباس رضي الله عنهم ما طعامهم
ذبايحهم : إلى أن قال : وهذا اذا لم يسمع من الكتاني أنه يسمي غيره الله تعالى كاليسوع
والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى : « وما أهل لتسير الله به » وهو
المسلم في ذلك : وقال بعد كلام : لكن في مبسوط شمس الأئمة وتحل ذبيحة
النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل وإطلاق الآية الجواز
كما ذكره القمراشي في فتواه : ففاد ما ذكره صاحب المبسوط حل ذبيحته مطلقا سواء
سمى عليها أو سكت عن التسمية أو قال ثالث ثلاثة لآن قوله أولا داخل تحته ما اذا
سمى الله وما اذا لم يسم أصلا بدليل قوله بعد ذلك : ومقتضى الدلائل وإطلاق الآية الجواز :
فمن هنا يعلم ان هذا القول موافق للفتوى من غير نزاع في ذلك وهو قول صحيح في المذهب
يدل على ما ذكره ما قاله صاحب كتاب فتاوى الهندية حيث قال : ثم انما تؤكل ذبيحة
الكتاني اذا لم يشهد ذبيحته ولم يسمع منه شيء أو شهد وسمع منه تسمية الله وحده لانه اذا لم يسمع
منه شيئا يحمل على أنه قد سمي الله تعالى بحسينا للظن به كما بالسلم : ثم قال بعد ذلك : المتردية
والمثخنة والموقودة والشاة المريضة والطليحة ومشقوقة البطن اذا ذبحت بنظر ان كان
فيها حياة مستقرة حلت بالذبح بالإجماع وان لم تكن الحياة فيها مستقرة يحل بالذبح سواء
هاش أولا يمشي عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وهو الصحيح وعليه الفتوى كما

في محيط السرخسي : انه من هذا كله يدين للقراء ان ما أفق به فضيلة مولانا الاستاذ مفتي الديار المصرية موافق لاصول مذهب أبي حنيفة رحمه الله ولا خلاف في ذلك فالمرقودة التي لم تمت اذا ذكيت حل أكلها سواء كان الزكي لها مسلما أو يهوديا أو نصرانيا لانها قبل موتها تسمى مرقودة كما أفاد ذلك العلامة الطبري فيها ذكرناه وفي القدر كفاية ابن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ه اه (التوقيع محفوظ)

﴿ فائدة في حقيقة تفسير ابن عباس ﴾

يوجد بين أيدي الناس كتاب في التفسير مطبوع يسمى تفسير ابن عباس ويترجم الجاهلون ان ابن عباس هو الذي ألفه والحق أن الصحابة لم يكتبوا في التفسير شيئا وإنما رويت عنهم فيه روايات كما رويت الاحاديث المرفوعة وكاتب هذا التفسير يزعم انه اعتمده على ما روي عن ابن عباس ولكن الروايات عنه كثيرة متناقضة فبعضها صحيح وبعضها مكذوب بالضرورة اذ لا يمكن ان يفسر الآية الواحدة أو يقول في الحكم الواحد بقولين متناقضين وأقوال المحدثين تؤيد هذا الحكم بأن بعضها صحيح وبعضها غير صحيح . وقد قلنا في الجزء الماضي ان ابن عباس من الصحابة الذين قالوا ان فيجته الكتابي محل وان ذكر عليها اسم غير الله وان عطاء من الذين قالوا بمثل ذلك وعطاء هذا من رواة التفسير عن ابن عباس . وزعم المرجف ان ابن عباس يقول بعدم الحل ويشترط ان تكون فيجته على شريعتا فان كان لقوله نقل من السكتاب للتداول أو غيره فهو من رواية الكافي اذ نقل عنه القول بذلك وقد قال المحدثون ان روايته كاذبة . ولأحبيك أيها القارئ على كتب أسماء رجال الحديث التي يصعب عليك المرور عليها واستخراج التراجم منها ولكنني أدلك على كتاب مشهور تراجع فيه ما نقله لك عنه بحروفه اذا شككتك المرجف في النقل فارجع الى الصفحتين ٥٥٥ و ٥٥٦ من الجزء الرابع من شرح احياء العلوم نجد ما نصه :

« وقد روى عنه (أي عن ابن عباس) التفسير جماعة من طرق مختلفة أجمودها طريق علي بن أبي طلحة وله حفيظة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عنه . وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا قبل علقه عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيرا بوسائله .

بينهم وبين أبي صالح

« ومن جيل الطارق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن وهبي صحيحة على شرط الشيخين وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرک » ومن ذلك طريق ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى الزبير بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهي جيدة وأسنادها حسن وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً وفي معجم الطبراني منها أشياء « وأوهي طريقة طريق النكبي عن أبي صالح عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان الصغير فهي سلسلة الكذب وكثيراً ما يخرج منها الشعبي والواحدى » اه المراد منه

فلم من هذا أن رواية عطاء الذي لا يشترط في ذبايح أهل الكتاب ذكر اسم الله هي من أصح الطرق عن ابن عباس وإن رواية النكبي الذي كان يشترط ذلك وأهية أو مكذوبة بل هو حلقة من سلسلة الكذب . وإخراج الشعبي وغيره منها لا يفيد وثوقها فاتهم لم يعتمدوها وقد علمت أن الشعبي وعطاء فلا يسد اشترط التسمية

❦ الاستدلال على سوء قصد المرجف ❦

أفرد باللفظ في المسألة صاحب الجريدة المحدثه وهي من الجرائد التي تلقب في مصر بالساقطة ولقبناها في الجزء الماضي بالسياسة اعلم لما يتحدث به الناس من أن اللفظ يقصد به عمل سياسي في الأزهر واستدلوا على هذا بسكوت حدث السياسة عن مشاركتهم بهذا اللفظ مع أنه كان يتحمل الشبه البعيدة للتعريض والتشهير بالمفتي لأن الحدث منهم بتلك السياسة ومرووف بالفرض . ثم شاع أن الجريدة المحدثه السامت اللفظ وخرجت عن الموضوع إلى السباب والمهارة والتفافض قيل أنها تصادف من الجانب الذي كان يسن أنها تقرب إلى الأبعد والسخط ولذلك تكلم الحدث بعد طول الأزم ، فأيدنا بطل وخذل الحق ، وصور المسألة عن السائل بأن أهل الترنسفال « يضربون الأمام بالباطل فأفتاه المفتي بأنها حلال » وقد علم القراء من نص السؤال في الجزء الماضي أن السائل قال أنهم يذبحون البقر بعد الضرب بالباطل ويذبحون الغنم من غير ضرب . فانظر إلى تجري هذا الحدث البعد عن الهدى . لا يهام الناس خلاف الحق ، ثم أنه يسأل كصاحب

الجريدة المحمدية ان يتنازل المفتي لقراءة لغوهم ولجوابهم عليه ونحن نعلم علم اليقين أنه لم يقرأه ولن يقرأه عملاً بقوله تعالى في صفات المؤمنين «والذين هم عن اللغو معرضون» وأنه اذا سمعه يأخذ بقوله تعالى فيهم «واذا سمعوا للغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير»

ولو كان الحدث وصاحب الجريدة المحمدية يطالبان الحق في المسألة لما بادرا أحدهما إلى بذل ٣٠ جنيهاً من أصل (١٢٠) ... في ورقة الفتوى ليمسح عليها أدق توهم أن وراءها مؤاخذة رسمية بل لكان بادر عند العلم بها إلى الامام المفتي وسأله ايضاح الاستدلال بالآية الكريمة التي استدله بها ودفع الشبهة عن الاستدلال ان كانت هناك شبهة . ولو لاسوء القصد لما حرق السؤال بعد ما نشره المرجف . فانه نشره أولاً بنصه ثم نشره ثانياً في تقريره على نحو ما أوردنا الحدث فانه زاد عليه قوله «حتى نشره على الموت» ولم يقل السائل ذلك ولو قاله لما كان مانعاً من حل الذبح عند الجمهور ولو لاسوء القصد لما غير المرجف في تقريره سؤال المستفتي عن لبس القلاص بعد نشره في جريدته صحیحاً فزعم أخيراً أنه قال انهم يلبسونها تشبهاً بالقوم من غير سبب . وهذا كذب صريح . والفتوى صريحة في اشتراط عدم قصد التشبه

ولو كان المرجف يطلب معرفة الحق في المسألة لما ترك النصوص التي أوردناها في المسألة ولم يترك استفتاء شيخ الأزهر وعلماءه في مصر أولاً كما كتب في بعض الجرائد وزعم أنه سيستفتي شيخ الاسلام في الاستانة وحاخام اليهود وبطريق النصارى ثم اقتصر على استفتاء حاخام اليهود القرايين في ذبيحة النصارى ثم اكتفى بمقالة في جريدة يهودية تفصل ما أحل لليهود من حيوان البر والبحر وما حرم عليهم وتذكر شروط الذبح عندهم ومنها ان يكون الذابح بدرجة من العدالة قلما توجد في الناس اليوم وان يكون مستقبلاً بيت المقدس . وزعم المرجف ان الله لا يحل لنا ذبيحة النصارى الا اذا كان مستوفياً لتلك الشروط فهو يلزم التصرائني بأن يتبع شريعة التوراة وان كان القرآن مصرحاً عن لسان عيسى عليه السلام بقوله «ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم» فكانه يلزمهم بعضيان عيسى فيما نسخ من أحكام التوراة ليكونوا نصارى تؤكل ذبائحهم . على ان الله تعالى أخبر عن اليهود النصارى بأنهم لم يقيموا التوراة والانجيل وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ليوافق أهواءهم ثم انه في السورة التي

يذكر فيها هذه الأحكام عنهم يحل لنا طعامهم فهو تعالى أعلم بعقائدهم وأعمالهم
وبأقوالهم وقد أحل لنا ذبائحهم ولم يكلفنا بأن نقرأ قبل أكلها كتبهم ونطبق أحكامها
على الذابح بل ورد في الحديث لا تصدقوهم ولا تكذبوهم أي فيما يجنبوننا به عن شربهم
ولكن صاحب الجريدة الحديثة يصدقهم ويخرج كتبهم ويقيدهم بكلام جريدة من جرائدهم
إطلاق القرآن حل طعامهم وذلك لأن مفتي الديار المصرية قال بوجوب الاخذ بهذا الإطلاق
ثم يرجع فيقول لا يسل بأقوالهم ! ولكن المفتي يهدم نصوص القرآن على كل شيء كسائر
أئمة المسلمين فهل ترك القرآن لأن المفتي مستمسك بالقرآن والمرجف لا يرضيه منه ذلك !!

إهانة المرجف للعلماء ونعريضه بالأمير

لسا قال المرجف أنه يريد استفتاء شيخ الإسلام في الاستانة كتب بعض المتقدين في الجرائد
يمحج من أهله استفتاء شيخ الإسلام وعلماؤه في مصر وهم أعلم بالشريعة من علماء الترك
وجعله شيخ الإسلام مقدسا كالبا بافاجاب عن ذلك بمسانعه (ع ٤٦) :

« أجل لا تمكر أن توافر الفتوى إلى مقام مشيخة الإسلام في دار الخلافة ووصفناها
بما تستوجب حياطينا الدينية من القداسة ولكنك تالمحط من كرامة مشيخة الأزهر الجليلة إلا
أننا نعلم أن المفتي وشيخ الأزهر توأمان، فلا يزال أحدهما عسايا بين قون الآخر !!
ولا نجعل الشؤ الذي للمفتي على الأزهر ومن فيه من المستغففين الذين يخشون الشيخ
ويتقون بعلمه بهم وقد رسخ هذا الوهم في نفوسهم وتولدت منه مخاوف هوت بأفكارهم
وسقطت بمدارك بعضهم حتى صارت قيمتهم في نظرا أنفسهم وعلى ذلك شواهد محسوسة
لا تحتاج إلى إيضاح » اه بحروفه

فإنظر المسلمون إلى هذا المرجف كيف يعطن بفضيلة شيخ الأزهر وسائر علمائه
ويزعم أن المفتي قد استخفهم فأطاعوه حتى في خلاف ما يعتقدونه ديناً كأنه فرعون مصر
المستبد فيها ثم هو بعد ذلك لا يستحي أن يقول في ورقته أن علماء الأزهر قد جاءوا إليه وتراءوا
من الفتوى ومؤيديها وفي تقريره أن علماء الأزهر كتبوا إليه بأن عدم استناد مفتي الديار
المصرية في قوائمه لترسالي إلى نصوص مذهب أبي حنيفة يقتضي أنه مجتهد وبذلك صار
مضروبا من وظيفة الافتاء !! (اه من ص ١٤)

ظننا أن أصحاب البصر والبصيرة إلى قمارض أقواله في العلماء قدارة يحسبوا رئيسهم

وسرؤسهم تابعاً للمفتي وإن أخطأ ، وتارة يجمعون متهمين على القول بزله من وظيفته ، فهل يصدق عاقل نقل هذا المرجف على تعارضه وبدم ما يرى من تحريفه السؤال والجواب وتهافته في خلط ما يزعم أنه نقل عن الكتب والعلماء ومن حقه بأقواله .

وقد ذكر في بعض ما كتب في المقام غير الامير على الدين وإن عزل المفتي وأمثلة بيده ، وإن العلماء رفعوا الامر الى سموه وللقارئ أن يستبطن من هذا ان الناقل كاذب في دعواه أو ان الاثير أعزه الله قد علم ان الذين كتبتوا اليه ليسوا من العلماء الذين يعتمد على قولهم في الدين ولو لا ذلك لما أبقى المفتي في منصبه . ونقول : اذا صحت ان بعض العلماء كتب للامير بأن الفتوى غير صحيحة وأن كل الذبايح المشوكة عنها حرام في مذهب الحنفية الذي يتقلده وأنه صدقهم ولم يصدق التصويع التي أوردناها في اثبات حلها بالاجماع أو رأي الجمهور ومنهم أبو حنيفة فلا شك ان سموه يترك لكل اللحوم في أوروبا ولو على موائد الملوك والاسراء فان جميع ذبايح أوروبا على الطريقة التي صدرت الفتوى بانبات حلالها هي أبعد منها عن النصرانية لأن نصارى الترانسفال هم مسكون بدنيهم متعصبون له كما جاء في الفتاوى أمام أهل أوروبا فقد تساهل أكثرهم بها بل صرحوا بالكثير منها واتهموا بختقون الطيور وختقوا لا يذكر من اسم الله على شيء من ذبايحهم على ما يقال ، والامير أعزه الله أعلم بحقيقة الحال ،

ولعلنا ندين في الجزء الآتي شروط المفتي وما يجب ان يشتم عليه في الفتوى مؤيدة بنصوص العلماء . وربما أمتنا أيضا بشر وطحمة الولايات التي نكث صاحبها نصب القضاء والمفتين وأهملها الاستقلال بذلك والقدرة عليه وعلى تنفيذ الاحكام الشرعية . . . وليس الغرض من هذا الذي كتبناه كله وما سكتبه الرد على المرجف فانه في نهايته بحيث لا يبايه ولكن الغرض من منعت لبيان احكام الدين في هذه المسائل وازالة الشبهات عنها فلم نعلم

﴿ كتاب من الترغيب ، في البحث عن حقيقة الفتيا والسؤال ﴾

بعد كتابة مقدم جاءنا كتاب من امام المسلمين في الترغيب وهو من مشركي المنار يذكر فيه صورة الاستفتاء والجواب على نحو ما نشر الان في الكتابة غلطاً أكثر من الاملاء ويقول المرسل انه عرض الفتوى على العلماء وان الشافعية قالوا قد حصل فيها غلط بقوله « ازهاق روح الحيوان بأي طريقة كانت » وقال انه توقف عن إرسالها حتى يصححها من جميع العلماء هناك « على أي حال كانت ان شاء الله تعالى » وقال في رؤس

الكتاب « ولا نعلم هل هي جوابات الأستاذ الامام حفظه الله أو غيره » اه بحروفه
 (ج) قد علم السائل من الجزء الماضي ان هذه الاسئلة عرضت على الأستاذ
 الامام وأنها غير مفهومة كما قال ولذلك جاءت الاجوبة عن مفهومها لاعن نفسها كما
 أشرنا الى ذلك في الجزء الماضي وقد عهد في السنة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 كان يجيب السائلين بمثل ذلك ، واما توقف الشافعية فيما ذكرتم فهو لا يستلزم ان
 ان يتوقفوا في محل الدباح عندكم لان ذبحة الكتاني التي لا نعلم كيفية نذيتها حلال
 باجماع أهل السنة . وما علمت كيفيته فيه تفصيل والجمهور من الصحابة والسلف
 على ان ذبائح أهل الكتاب حلال على الاطلاق ولغير الجمهور خلاف في بعض الصور
 فالمشافعية يحرّمون ما ذبح وليس فيه حياة مستقرة اذا تقدم ذبحه سبب محال عليه الهلاك
 فاذا علموا في ذبحة ميتة أنها كذلك فلمهم ان يحتنبوا الاكل منها وان أباحها جمهور
 السلف الصالح الذين لم يشترطوا الحياة المستقرة وانما اشترطوا ان يكون فيها وقت
 الذبح ومق واكتفوا من الدليل على ذلك بحركة أي عضو من الاعضاء وذلك ما يبر
 عنه الشافعية بحركة المذبوح وقد رأيتم الثقل عن المفسرين في ذلك . واما لبس البرنيطة
 فلا دليل في الكتاب ولا في السنة على منعه . وحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » عند
 أبي داود والطبراني وابن رسلان اذا سلطنا أنه حسن كما قيل فلنا ان قول ان مناه
 ان من يشبه قوم يعامل معاملتهم في العادة فينبغي للامان ان يشبه بالكرام دون
 اللتام لكي يكرم ولا يهان ، وقد قال الفقهاء ان التشبه لا يتحقق الا بالقصد وأنه مكروه
 في الامور العادية كاللايس تربها واما في الامور الدينية فان قصد به الكفر ~~بمكفر~~
 والا كان حراما . وهذا البحث مفصل في كتاب (الاعلام بقواطع الاسلام) لابن
 حجر المكي الشافعي فراجعوه . ولذلك قال الأستاذ الامام في جواب سائلكم : « أما لبس
 البرنيطة اذالم يقصد فاعله الخروج من الاسلام والدخول في دين غيره فلا يسه مكفرا .
 واذا كان اللبس لخاصة من حجب شمس أو دفع مضرة أو دفع مكروه أو تيسير
 مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرء » اه

على ان لبس البرنيطة ليس خاصا بأهل دين من الاديان فالسالمون قبل لبسوا
 نوعاً منها قبل ان يهرفوا الا فرج سموه البرطلة في بلاد التبط ومن جاورهم من العرب

وكذلك أهل الأقطان البسوا بعض السكر نوعا منها قبل أن يعرفوا الإفريج . ومسلمو
الفرس يلبسون ضربا منها أيضا . ومنهم أهل تركستان وخيو وبخارى والتركمان والأفغان
والتركس وأهل داغستان . وكذلك فرسان الترك . وبما أنه لا يزال طائفة من مسامي
المغرب الأندلس يلبسون ضربا منها يسمى بالظنة . وقد علم أن سلطان المسلمين الأكبر
وأكثر أمراءهم قد أخذوا زيه من النصارى بل جعلت الدولة العلية زي العلماء الرسمي
شبهها بزي القسيسين الغربيين لأن العادي فشيخ الإسلام في الاستانة مخصوص بالحلة البيضاء
كبطريرك الروم وسائر لبوس النصارى لعلماء عدها مرتب على ترتيب لبوس القسوس في
الكنايس أيام الأيوبيين . وربما عود إلى توضيح هذه المسائل وتقول لكم الآن إن الفتوى
التي وصلت إليكم بحجة ولا يلتفت إلى قول من يخالفها فإنه جاهل بالدين والله أعلم

في السياسة

من الناس من يفتش ويتجسس بكل ما يرى ويسمع . فيكون العوبة
في هذا عين ، وكرة في أيدي الخدعين . يظنون أنه ما ليس بهضم ، ويخوفونه بما لا
يخيف ، يدعي كاذبهم أن الأمر الدلاني قد اهتزله العالم الإسلامي واضطرب ، ويكي
من هوله وانحب ، وزلت من به من سانه التوازل ، وثارت في أرضه البراكين
والزلازل ، فيصدق الخدوع هذا القال والقليل ، وإن قام على نقيضه لأعليه الدليل ،
ولا يرى انفراد المدعي بالخبر مدعاة أوتياب . ولا غرابة في نفسه موضع استعجاب ،
ويدعي جاهلهم أنه أيده الدين والملة ، وحاجزهم أنه نهض بالوطن والأمة ، فيصدق
الخدوع الزعم . ويقاد بشجرة إلى الوهم ، ولا يلتفت إلى جهل الزاعم أو ضعفه ،
ولا يشكر في كنهه السبل المزعوم ولا وصفه ، بل يقلل خدوعه بالخيال ، ويخلو باليقال ،
من غير نظر في حقيقة الحال ، ذلك شأن أكثر ما يهمل في العوام ، ومن السج ان
يشاركهم فيه أحيانا من يعدون من الخواص . ولهذا كانت الخلافة من موارد الكسب ،
وطرق الفخفة والفخر ، سار عليها بعض المستولفين فقال من جاءه الأمر ، وتناول
من مال الأغنياء ، ونهض آخر لتقليده فأساء التقليد . لأنه عاجز عن الخلافة بقلبه
ولسانه وقد استأجر لها من يستفيد بها ولكنه لا يفيد ، ويستغلب بالخرق المدين ، والعاقبة
للمتقين ، فليحذر الناقل من القرو وبأمثال هؤلاء الخداعين ، لا سيما في أمر العلم والدين . فقل
ورد أن هذا العلم من نظر واعين تأخذون دينكم

القسم الصومى

﴿ بلزم - صفائيه ﴾

٢

(المكتبة العمومية • ودار المحفوظات)

أما المكتبة العمومية فقد جاني من أوصي بصحفي ویتقبل علی ذکر اسمه لطوله
 فذهبت منه الى تلك المكتبة وهو أخو مديرها وله احترام في نفوس خدمتها وكان
 يعرف قليلا من اللغة الفرنسية فسألته أن يطلب لي فهرس الكتب العربية إن كانت
 فطلب ذلك فهدت حركة شديدة في الخدمة وكثر الداخل والخارج ، والناهب
 والآب ، ولغطت الاسن ، وارتفعت الأيدي بالإشارات ، وطال الزمن نحو ربع
 ساعة ، كل ذلك وأنا لأفهم أسباب هذا الاضطراب ، وآخر الامر جيء الي بدفتر
 صغير جداً يحتوي على نحو خمسين صفحة وكانت تلك الموضوء للبحث عنه وكل
 يهتم صاحبه بأنه هو الذي يعرف مقره والآخر يدافع عن نفسه همة معرفة ، ولم
 يهمني عند تصفحه الاكثره ما فيه من كتب الأدعية والصلوات كأنه فهرس خزنة
 للبيع من مشايخ الطريقة الخلوتية ، أو مكتبة السادات البكرية ، قدس الله أرواحهم جميعا
 وأنما رأيت فيها قطعة من شرح ابن رشد على مدونة الامام مالك رضي الله عنه
 وكتابا في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الا أنه لا يمكن قراءة
 سطر واحد من تلك السيرة لأن خطوطا قد حرت على السطور بناية غريبة حتى
 حمت الحروف الاصلية وحجبت حقيقتها عن النظر مع سلامة الظاهر من التشويه
 فهدجت لذلك وسألت عن السبب فقيل لي ان قسيسا من أهل القرن الثامن حمله
 التصيب على أن يأتي الى المكتبة ويطلب الكتاب بحجة انه يريد قراءته وكان يعرف
 العربية حتى المعرفة فلم اليه فصنع به ذلك حتى يصد الناس عن مطالعة ما فيه • وقد
 فعل مثل ذلك بمصحف من المصاحف وزور كتب كثيرة أفصدها • وقد انكشف
 بالحكمة حاله ففوك وصدر الحكم عليه بالحبس مدة عشر سنين في رواية ومدة
 خمس عشرة سنة في رواية أخرى • أما القطعة من شرح ابن رشد فكانت سليمة
 وخطها مغربي جيد تسهل قراءته على طالب العلم

والكتاب الفرد الكامل الذي رأيته في المكتبة هو كتاب التخل لأبي حاتم السجستاني وهو صغير في نحو ستين ورقة بخط ضيق مضبوط صحيح . قرأت منه عدة صفحات ونقلت منه عدة فقرات في تفسير قوله تعالى : أم تركب ضرباً مثلاً كلة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين أبداً وبها الخ . ومما نقلته في ذلك قول أبي حاتم رحمه الله : ومما كرم الله به الإسلام وكرمه بالتخل أنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام فقبلوا عليه وعلى كل موضع فيه نخل وليس في بلاد الشرك منه شيء : فرحم الله أبائهم ما كان أبدهم عن صحة الحكم في طبائع الصمران وإن كان من أفضل أهل السير وأجسل علماء اللغة . والكتاب مفيد في اللغة وهو بخط مشرقى تاريخ نسخته شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٤ وقد بلغنا أنه طبع في ألمانيا وكان الأجدر به أن يطبع في مصر ولعل ذلك يكون إن شاء الله في ساوى المصريون أهل ألمانيا في اهتمامهم باللغة العربية وتقائسها



ثم زرت دار محفوظات الدولة وهي مثل (الدفترخانه) عندنا الآن لم تنبع أوراقها ولا دقارها لا بالقطار ولا بالبرط كما فعل بالدفترخانه المصرية بل هي محفوظة على ما كانت عليه من عدة قرون لا يهرط في ورقة واحدة منها . وقد طبعت الدولة ما في الأوراق التاريخية المحررة باللسان العربي وغيره من اللسان الشرقية حتى يسهل على الناظر فيها معرفة ما كتب في تلك الأوراق ويتيسر له بعد ذلك قرائتها في أصولها خصوصاً إذا كان غير متعود على قراءة الخطوط العربية المختلفة فإذا قابل بين المطبوع والمرقوم عرف صحة العبارة في النسختين . ولعل المكتبة المصرية الكبرى تصنع مثل ذلك في الخطوط المكتوبة على أوراق البردي وغيرها مما كتب بالكوفة أو النسخ القديم أو ما عني منه القدم لثم فائدة حفظ هذه الأوراق والانتفاع بها إن شاء الله

من العادة في المكتاب وديار حفظ الأوراق أن يحصل لها دقار يكتب فيها الزائر اسمه ولقبه وتاريخ الزيارة وهي عادة حسنة تليق بأماكن أقيمت لحفظ الآثار العلمية والمذكرات التاريخية . أما عمال المكتبة العمومية في بلرم فلم يحفظوا بهذه العادة واكتفوا بتقديم ورقة من أوراق طاب المطالعة لوضع امضائي عليها كما

فعل ذلك خدمة المكتبة العمومية في مسينا لكن عمل دار محفوظات الدولة راموا ان تجري تلك المادة بحراها فصلبوا ذلك الدفتر فلم يجدوه فجروا في البحث والتنقيب وأخذت الاصوات تتقاذف ، والاشارات تنمو وتزايد ، على نحو ما فعل عمل المكتبة العمومية ، في اكتشاف فهرس الكتب العربية ، وكنت على عجل أريد زيارة محل آخر فحسبت مدة حتى يسر الله ووجد الدفتر ووضعت إيمضائي فيه . وأظنهم حمدوا الله لأن كنت السبب في العثور عليه بعد ضياعه

هذا وذلك يدلناك على أحد أمرين إما قلة الزائرين لهذه الاماكن العامة من الاجاب وطلاب النظر في الآثار العربية وقللة الدارسين من أهل البلاد في تلك الكتب التي كتبت في لسان غير لسانهم اكتفاء بتراجعها أو لعدم الحاجة اليها ، وإما شدة الإهمال من موظفي هذه الديار . وقد تيسر لك الجمع بين الأمرين ولم أعهد في مكتبة أوربية أن وقع لي مثل ما وقع في مكتبي بدم

﴿ حاجة السائح الى «معرفة اللغات وأبوابها» تقع ﴾

ومن الأمور التي لأجد بدا من تندها أن موظفي هذه المكتبات لا يعرفون من اللغات الا الإيطالية فلا يعرفون الفرنسية مع غيرها من لغتهم ومن عرف منها بعض كلمات يصعب عليه ان يؤدي بها مراده . وكان رفيقي يترجم باقي ما كان معي في المكتبة العمومية لتعني بعد التصرفه وقت في وحشة يزيد بها لزم الصمت وعدم الفائدة في الكلام وضيق الصدر عند ارادة الاستفهام عما يراد فهمه ولا يوجد السبل اليه الا من طريق الاشارة . ولا يخفى عليك ان الاشارة إنما تصاح للاستفادة من الاخرس اذا كنت واثقة له على ما في التل . أم الاخرس أعرف بلفظه فلا بد من التمرد على ضرب من الاشارة مخصوص حتى يتيسر الفهم والافهام . ولهذا لم يمكن ان أستفيد شيئاً بما يدعي ان يصنع لاستساخني من الكتب العربية كذلك القمامة من شرح ابن رشد مثلاً . وهذا طول الكلام بشراسة لا يفهمونها وإيطالية لا أفهمها التصرفت وأنا من الجهول على مثل ما دخلت به لكن قد انكشفت عني غمة هذا الجهول بملافة من أمكنه فهم ما أقول وأمكنني فهم ما يقول من أهل المدينة

يناسب في هذا المحل ذكر ما يقال من أن الذي يعرف اللغة الفرنسية بسهولة عليه الفرقى جميع بلاد أوربا ويتيسر له الفهم والافهام لانها لغة عامة لا تجد زلا ولا مكانا يرغب في زيارته الا وأنت تجد فيه من يكفيك حاجتك فيما تريد . وقد رأيت أن هذا القول اضمحلحت محته في مكاتب بلرم ولم ألق مائة وى محته في مكتبة مسينا والمكاتب من ديار السلم التي يكثر فيها السافرون بالفتات الاجبية ولا ينبغي ان تتخو منهم ليسيس الحاجة اليهم . وقد بت ليلة في لوندرا وزلت في أكبر نزل فيها يسمى (كبر اقنوراوتيل) فيه مايزيد على ست مئة بيت للتوم ولم أجد فيه من يعرف الفرنسية الا اخاديين أحدها بواب والآخر من خدمة قاعة الطعام . أما خدمه أماكن التوم وغيرهم فلا يفهمون كلمة واحدة والحاجة اليهم أشد فان المطالب الخاصة جميعها منوطة بهم أو بهن . اذا طلبت ماء أو لبنا أو قهوة أو عيشة حمام أو قفل متاع من مكان الى مكان أو تصحيح منكسر أو كسر صحيح لم تجد من يطالبه الا أولئك الذين لا يعرفون كلمة من الفرنسية . غير أنهم لشودهم فيما يظهر على كثرة ورود هذا النوع من الحرس صاروا أو صرن كوالدة الاخرس بسهولة عليهم أو عليهم فهم الاشارات بدون اعقاب شديد لأعضاء المشيرين (أي الذين تفاهمون بالاشارة لا الذين حازوا رتبة المشيرية العسكرية العمانية) لكن لا ينبغي عليك ان من المطالب مالا تمبر عنه الاشارة فسادا نصنع اذا كنت أعلم العلماء بالفرنسية وعرض لك مثل هذا الطلب وائس عندك وقت يسع تعلم اللغة الانكليزية ؛ لايستك الا الاقرار بأن فلك القول الذي قالوا مبني على تجربة قاصرة لاتصلح ان تكون مقدمة من مقدمات البرهان المدودة في فن المنطق

أزيدك شيئا في هذا وهو انك اذا كنت لاتعرف لسان القوم الذين تنزل فيهم يجهدونك طعمة أو هبة من الله سقت اليهم فهم يكلفونك من التفتقات مايشاؤون ولا يجحدون في أنفسهم دافعا من الرأفة بك أو الرحمة لمررتك ، ولا يمكنك ان تبحث مع تأملك في موضوع نيك ، لأنه لا يفهم ما تقول ، وأنت لا تفهم مايقول ، فينتهي أصرك بدفع مارقم لك رغم أنك ، وغاية ما يمكنك فصله ان تتنفس الصعداء وتمز وأسلك وتلوي عنقك علامة على غضبك ولكن هذا كله لا يوفر عليك ماقصه منك

الجهل باللسان

وفي ظني ان من أراد ان يسافر الى بلد لا يعرف لسانه فأولى له ان يتعلم من لسان ذلك البلد ما يكفيه للتواصل ومدة سنة قبل السفر تكفي لذلك وأجرة الاستاذ المعلم لاتصل الى نصف ما يخسر به بركة الجهل باللسان

استغفر الله من خطأيما قلت . اذا أراد السفر الى صقلية (سبيليا) من بلاد ايطاليا فعليه ان يجد لمعرفة اللغة الايطالية حتى يتكلم بسرعة ويفهم بسرعة يسبق بها كلامه وفهمه كلام الايطاليين وفهمهم والا سأل الله العوض فيما يفقد من متاعه وما يؤخذ منه أجرة على ضياعه . عند وضع قدمه على ساحل صقلية يجتمع عليه الحمالون والمرشدون المضلون ويجذبون متاعه وثيابه كل يأخذ قطعة فان كان لا يعرف لسانه ، كان ما كان مما لا يسعه الامكان ، فاذا سلم له متاعه من التعطيم أو الضياع ، أو أصابه من ذلك ما لم يقد فيه الدقاع ، وجد أمامه جيشا من المطالين كل واحد يطالبه بقية عمله ، وما هو ذلك العمل ؟ هو حمل قطعة من المتاع وكفة قلت غير مقهومة في هدايته الى الخلل الذي وصل اليه ، مع انه وصل برجليه ، ومن طريق كل الناس يمشون فيه . ولا تنس انهم يجاذبونك أعضاءك حتى ان جميع أحزمتك في خطر من مجاذبتهم اذا لم تكن حريصا عليها . فاذا كنت في حاجة الى السفر الى هذه البلاد والاقامة فيها مدة من الزمان لتبديل الهواء وترويح النفس بحمال المتاع خصوصا أيام الربيع فعليك ان تصرف سنتين في تعلم اللغة الايطالية وما تنفعه في التمسك أقل مما تخسر مع تعدد التفاهم

وجدت ان الذي يعرف الانكليزية أسعد حفظا في فرنسا من يعرف الفرنسية في انكلترا فانك لا تجد زلا في البلاد الفرنسية لا وفيه كثير من الخدم الذين يعرفون الانكليزية . سألت عن السبب في ذلك فقلت لي ان أهل فرنسا قداما يسيحون في بلاد الانكليز . أما الانكليز والامير يكون في بلاد فرنسا سهول فرنسا وجبالها . ويذهب صغارها ورجالها ، فالنظر الفرنسي الى ترويح الانكليزية في بلاده لمحب الزائرين ، وليستكثر من الزائرين .

ويل لك اذا أتت يوما أو يومين في ال تمنا من أكبر ما يضرده السائحون .

وب التزل يعرف بعض كلمات قليلة من الفرنسية يمكنه بها ان يفهمك أن أجرة محل اتوم وحده بلا أكل ولا شرب عشرة فرنكات في الليلة ويمكنك أن تفهمه بأنك قبلت ذلك على شرط النظافة وتوفير الراحة وإن كان لا يعمل من ذلك بما فهم منك وإنما العمل على ما فهمت أنت منه

تام عند الساعة العاشرة فلا يمر عليك نصف ساعة الا وقد أطار نومك صباح وجلسة ودوي حركات تذهب وتحجيء خارج منامك فيضيق صدرك وتطلب التفرج ولا تجده فتفتح الباب وتقول كلاما كثيرا يفهم منه لك في شدة الضيق مما تسمع ولا سبيل إلى النوم فيقال لك ما تفهم منه ان هؤلاء مسافرون جاؤا إلى المحل من من جديد وماذا يصنع معهم ؟ فتطلب محلا آخر لتوم وتأخذون قراشتك من محلك الأول إلى محلك الثاني فتصعد الله على الهدوء وإقبال الراحة ثم تأتي جسمك على الفرش وقبل النوم على عينيك بقله ثم لا يمضي نصف ساعة الا وقد أخذت يدك تحت وجهك وغفقت والنسرى تحك الخبي والنخع تحك اليسرى ولا يزال الحلك يزيد والضحكوك يتألم حتى تنبته أعصاب السماغ والعين ويصبح ذلك النوم الثقيل ، أخف من نفس الجليل ، فيقطع عنك إلى حيث تبحث عنه ولا تجده ولا يبقى لك الا الحالت والحركة : وما هذا كله ؟ وهذا هو التي الذي تروعك حرته ، وتفاقت عفته بل حركته ، بل نظير نومك رؤيته . فتطلب الخلاص وما ذا تصنع ؟ ذهبت مدة من الليل نام فيها انصا تحنون وتعود إلى محلك الأول وقد نام الخادم قعود إلى غير فراش أو فرش نفسك وهذا أفضل لك ، فإذا أصبحت حوسبت على شمتين في مكانين أحسن من ههنا شيئا وعلى شمتين آخرين ، وكدت تحاسب على أجرة محددتين ، أنصرف ما وقع لي مع خدام هذا التزل : طلبت منه ما باردا فلي يفهم فأشرت إلى في هاتك يدي صورة ماء الماء فإذا هو يفتح الباب وينظر إلى مكانه فهم أنني أشرت يدي إلى أن الباب مغلق وبقي إلى فتحة لانه فتحة من فتحات بدني ، وبعدت أعصابي من الاعتناء ، إنساني من التكلم بالفرنسية فت وبحث عن كوب وأشرت به إليه فهم أنني أريد ماء ففهم أنني أريد باردا وما أشد التعب في تصوير الجليل له : ، فخرج ، التزل فضلت منه تحديد فرقع في وجهي كرسيا طويلا اشتريته لاجلس عليه

في المركب ففرغت لذلك وظننت أنه يريد رمي به ظلما منه أي شتمته غير أن ذلك سرّي عني عندما رأيته ينظر إلى نظر الاحترام ويطلب مني بيته أين يضع الكرسي . فاستلقيت من الضحك وذهبت إلى موضع الفصل وأشارت إليه أن يجهد الماء ففعل . أفلا يحملك ذلك على تعلم اللسان الايطالي اذا أردت السفر إلى سيسيليا وان لا تصدق ما يقال لك من أن معرفة الفرنسية تكفيك الحاجة في كل بلاد أوروبا ؟

أنا في علمية عربية

(التقرّظ)

(رباعيات أبي العلاء المعري)

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري أشهر من أن يعرف كان إماما في اللغة والأدب وحكما كبيرا العقل بعيد الفكر حرّ النول ذهب بشعره في فلسفة الأفكار مذاهب لم يسبقه بها سابق ، ولم يلحقه مثلهما لاحق ، إلا أن يكون عمر الحيام قائم جري على آثاره ، في إبداع الشعر فلسفة أفكاره ، وقد عني الفرغ بنقل أشعار هذا إلى لغاتهم وولموا بها وصار له فهم أنصار وصريدون ولكنهم لم يتدوا به إلى أشعار إمامه وقدرته فيما امتاز به وهو أبو العلاء المعري حتى انتدب من عهد قريب أحد أدباء سوريا إلى نقل بعض شعره إلى اللغة الانكليزية وطبعه في أمريكا وسماه (رباعيات أبي العلاء المعري) محاكاة لكتاب ترجم إلى تلك اللغة يسمى (رباعيات عمر الخيام) ذلك الأديب هو أمين أقيندي رجائي نزيل أميركا أحد دعاة الوطنية وأعداء التعصب الذميم . وقد صدر الرباعيات بمقدسة يذكر فيها شيئا من شمائل أبي العلاء وفضائله وبعد فكره في فلسفة الدين والاجتماع وقد فضله على غيره من فلاسفة العرب حتى على الرئيس ابن سينا ولكنه أوجأ إلى انتقاد المسلمين بأهال شعره ، وعدم الإشادة بذكره ، وأتانا قول أن أبا العلاء لم يكن مضمولا في زمنه ، ولا مهجورا في موطنه ، وإنما أخذ عنه بعض النابغين كأبي القاسم علي ابن الحسن التنوخي والخطيب أبي زكريا التبريزي بل كانوا يتبركون به كما يتبركون بالاولياء والصلحاء ففسد قال

يها وقد عرف باستقامتها يكتبه الفرع عن الاسلام والمسلمين في اغانى العلم الثلاث .
وقد ساج في أوروبا وفى البلاد الاسلامية واحتر الناس . وله لسان صدوقى قومه .
فهو بهذه الزايا مضطلع بأعلاء هذا العمل الذى تصبو اليه نفسه من زهد بنيد ويرجى
ان تكون جريدته أنفع الجرائد للاسلام والمسلمين . ولأوروبا والأوربيين
(الانسانية) مجلة علمية انتقادية دينية سياسية أدبية أسبوعية صاحبها ومديرها
محمد اقدى أبو النصر المحامي ومحررها الشيخ ابراهيم الدباغ يصدر العدد مهابست
عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً صحيحاً فى السنة

(الباحث) مجلة علمية دينية تهذيبية لمنشئها الخوري جرجس فرج صفيروكيل
بطر كطانة الموارنة في الاسكندرية . تصدر في كل شهر مرة . وقد صدر الجزء الاول
منها في أول يناير سنة ١٩٠٤ مؤلفا من ٣٣ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشاً
صحيحاً فى السنة . ولم تقرأ من هذه المجلة وما قبلها مائتين به حقيقتهما لضيق الوقت
وانما نوهنا بهما عملاً بحقوق الصحافة

(الأمة الشرقية) مجلة علمية صناعية طبية أدبية فكاهية منشئها (ح . من) تصدر
في كل شهر مرة في الاسكندرية . صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٤
مؤلفا من ٣٣ صفحة . وقيمة الاشتراك فيها ١٦ قرشاً صحيحاً فى السنة وهي زهيدة
« لا تتجاوز ثمن ورقة دخول فى بعض الملاعب » كما هو مكتوب فى مقدمتها واضيق
الوقت لم يتمكن من قرائتها فعسى ان تصادف نجاحاً واقبالا

(النافع) جريدة أسبوعية سياسية أدبية أصدرها فى مدينة طنطا الشيخ مصطفى
نافع وكبيل المؤيد سابقاً وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش فى السنة وستون قرشاً عن
نصف سنة . واثنتان فى هذه الجريدة النجاح فقد سبق لصاحبها من الاشتغال بمجدة
المؤيد ما عرفه ولا يعرف غيره من شئون هذا العمل ومن أندم على شيء عن بصيرة
ورجى له ما لا يرجى لغيره

(الواعظ) تقدم التوبة فى هذا الجزء بجريدة سميت بالواعظ ونقول هنا ان
منشئ هذه الجريدة هو محمود اقدى سلامة اشتهر عند قراءه الصغرى فى مصر بتأ
سبق له من الاشتغال بالصحافة انشاء محرراً سبق ان «ض الجرائد» اليومية تد و سادت من
قراءها بما كان ينشره فيها من مقالات اضافية فى الاخلاق وانتقاد العادات . لى لك ترتب
لهذه الجريدة من النجاح والانتشار ما لا نرجو مثله لأكثر الجرائد التي تبت فى مصر
هاما بعد عام ويوما بعد يوم وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً

بقي الحكمة من بقاء ومن يثرب
الحكمة فقد أوتي خير كتمان وما
بقي إلا أكل الألبان

المسحاة

١٣١٥

ففسر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألبان

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢١ — ٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

(باب الفقه في أحكام الدين)

المفتي والقاضي في الشرع

وتعريف الاجتهاد

المفتي في الشرع هو الفقيه المجتهد الذي يرجع اليه الناس في معرفة ما ينبغي عليهم من أحكام الدين . قال في (كشاف اصطلاحات الفنون) مانصه (ص ١١٥٧ ج ٢) : « الفقه هو اسم علم من العلوم المدونة وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والفقيه هو من اتصف بهذا العلم وهو المجتهد . قال المحقق الفتازاني في حاشية المضدي : يظهر كلام القوم أنه لا يتصور فقيه غير مجتهد ولا مجتهد غير فقيه على الإطلاق . نعم لو اشترط في الفقه التبرؤ لجميع الأحكام وجوز في مسألة دون مسألة تحقق مجتهد ليس بفقيه »

وجاء (في ص ١١٥٦) منه مانصه « الاستفتاء هو عند الأصوليين والفقهاء مقابل الاجتهاد والمستفتي خلاف المفتي . والمفتي هو الفقيه فان لم تقل تجزي الاجتهاد وهو كونه مجتهدا في بعض المسائل دون بعض فكل من ليس مجتهدا في الكل فهو مستفت في الكل . وإن قلنا تجزي الاجتهاد فالامر واضح أيضا فانه مستفت فيما ليس مجتهدا فيه مفت فيما هو مجتهد . وبالجملة فالمفتي والمستفتي انما يكونان متقابلين بمعنى الاحتياج هذه الاتحاد متعلقتان ، واما اذا اعتبر كونه مفتيا في حكم مستفتيا في حكم آخر فلا : اهـ .
وبيان هذا ان المفتي عندهم هو المجتهد المستند للاقتناء بالدليل فان كان مستعدا للاقتناء في عامة الأحكام فهو المجتهد المطلق وإن كان لا يقدر على الاقتناء إلا في بعض الأحكام فهو مجتهد فيما هو مفت به . وهذا التفصيل مبني على قول المحققين من الأصوليين بأن الاجتهاد يجزأ أي يجوز ان يجتهد الانسان في بعض المسائل فيقف على أدلتها ويعرف الحكم منها وإن عجز عن مثل ذلك في مسائل أخرى .

وما تقدم من معنى الفقه هو اصطلاح علماء الأحكام العملية وأصولها (أي علم أصول الفقه) وللفقه معنى آخر هو ما يفهم من الكتاب والسنة وآثار السلف وهو فهم أصرار الدين في إصلاح النور ومعرفة آفاتهما وما يصلح أخلاقها . ولا مشاحة في الاصطلاح فان الامام النزالي الذي بين هذا المعنى كان يستعمل المفتي الاصطلاحي في كتبه الفقهية والأصولية ، ويطلق الفقه عند المتأخرين على معرفة أقوال المؤلفين في الأحكام .

وقد اشترطوا في القاضي ان يكون مجتهداً لانه كالمتقي في الحاجة الى معرفة الحق فيما يحكم به بل هو من جهة أحوال الى تحري الحق لانه يلزم والمفتي مبدئ فقط ولكن الحنفية أجازوا أن يكون القاضي غير مجتهد عند الضرورة اعتماداً على أنه يستفتي فلم ان حواجز نصب القاضي من غير أصل الاجتهاد مشروط بوجود مفت من أهله يبين له الحكم . وهذا نص متن الهداية وهو أشهر المتون المعتمدة في مذهب الحنفية قال : « ولا تعج ولاية القاضي حتى يجتمع في المولى شرائط الشهادة ويكون من أهل الاجتهاد » قال الكمال في (فتح القدير) شرح الهداية « الصحيح ان أهلية الاجتهاد شرط الاولوية فأما تقليد الجهل فصحيح عندنا خلافاً للشافعي رحمه الله وهو يقول ان الأمر بالقضاء يستدعي القدرة عليه ولا قدرة دون العلم . ولنا أنه يمكنه ان يقضي بفتوى غيره مقصوداً اقتضاه . يجعل به وهو ايصال الحق الى مستحقه » وقال المرغيناني في تكملته لا تعج : « قوله : خلافاً للشافعي : ومالك وأحمد وقولهم رواية عن عاماتنا نص مجتهد في الأصل ان التقليد لا يجوز ان يكون قاضياً ولكن المختار خلافاً » ثم قال « والمراد بالعلم ليس ما يقنع بصوابه بل ما يبطله المجتهد فانه لا قطع في مسائل الفقه واذا قضى بتول مجتهد فيه فقد قضى بذلك العلم وهو المطلوب » ثم قال « واعلم ان مذكر في القاضي ذكر في المفتي فلا يفتي الا المجتهد وقد وقد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد وأما غير المجتهد ممن يحفظ أقوال المجتهد فليس بمفت »

ثم ذكر ان نقل النصوص ليس بفتوى وانما هو لإخبار على سبيل الحكاية وان هذه الحكاية لا تحمل الا اذا كان للحاكمي سند الى المجتهد الذي ينقل عنه يعتقد صحته أو كان يأخذه عن كتاب معروف تداوله الأيدي نحو كتب محمد بن الحسن فلم من هذه النقول ان مذاهب الأئمة الاربعة متفقة على ما قاله الاصوليون من كون المفتي هو المجتهد وان خلاف الحنفية في اقتضاء دون الافتاء وفي عندهم قولان اعتماد صاحب الهداية على وجوب كون القاضي مجتهداً وقفاً لنص الامام محمد واختار آخرون جواز كونه غير مجتهد اعتماداً على وجود مفت يفتيه فسكانه في نظر هؤلاء منفذ فقط ثم قال الكمال : « وفي حديث الاجتهاد كلام عرف في أصول الفقه وحاصله

ان يكون صاحب حديث له معرفة بالفقه ليسرف بماني الآثار او صاحب فقه له معرفة بالحديث املا يشتمل بالقياس في المنصوص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام ما يفتي عليها اهـ بحرفه وقار المرغيباني عند قوله : وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة : الخ مانصه : هـ فهذا اقل لا بد منه في المجتهد فمن اتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهد فيجب عليه ان يعمل باجتاده وهو ان يبدل جهده في طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الأدلة ولا يقبل أحداً اهـ أي ويجب عليه ان يفتي كذلك بما ظهر له ولا يجوز له ان يفتي بقول أحد بل علمت من نصهم ان نقل قول الغير لا يسمى فتوى

هذا مانصر به المفتي والمجتهد في كتب الشريعة وابتدأنا بالنقل عن كتب الحنفية خاصة لان الحكومة المصرية على مذهبهم ومنها علم أن المذاهب الثلاثة موافقة للمذهب الحنفية في اعتبار كون المفتي هو المجتهد ، ولكن الجهل المظاهر قام محتج على العلم في حرم الاجتهاد على المفتي ولو في بعض المسائل و يضع للمجتهد تعريفاً جديداً وشروطاً جديدة لان حرية المطبوعات في مصر أباحت لكل أحد ان يخوض في كل شيء فنقد رأينا تقريراً لبعض الجاهلين بالشرع محتج فيه بزعمه على بعض ما أفتى به أشهر علماء الاسلام في هذا العصر وينفي عنه الاجتهاد في الدين بناء على تعريف اخترعه للمجتهد لم يقل به قبله عالم ولا جاهل وهو كما في (ص ٣٧) من ذلك التقرير : « المجتهد هو الرجل الوجه عند الله وعند الامة البالغ مباح العلم ومعرفة مدارك التشريع واسرار الشريعة بشرط ان يسترف له الناس بذلك » ثم قال بعد سطور في الاستدلال على كون الاجتهاد يكاد ممنوعاً عقلاً : ان الثقة العامة ركن من أركان الاجتهاد فاذا ادعى مدعي انه من المجتهدين واختلف الناس في أمره سقطت دعواه

نقول ان هذا الكلام افو باطل لانه اختراع أصول جديدة للشرع لم يقل بها أحد من اهل العلم انه غير معقول وغير مفهوم . دع عنك تخصيص الاجتهاد بالرجال المتقضي ان أهميات المؤمنين نسوة صاحب الشريعة عليه وعلمين السلام كن مقلدات غير مجتهدات في دينهن وانظر في اشتراطه كون المجتهد وجهاً عند الله مع اشتراطه بمسند ذلك ان تسترف له الامة بذلك او من يقدر من الامة ان يحكم على الله لا يعرف الا بوجي من الله ؟ فهذا

من غير المدقول ، ثم انظر في قوله « النافع مبلغ العلم » نجد من غير المفهوم ، ثم انظر في اشتراط اعتراف الامة بمقديها وجهلائها لرجل بانه وجه عند الله وأنه بائع مبلغ العلم وفهم اسرار الشريعة تجده غير مقول وغير مفهوم لان الامة لا يمكن أن تصل الى معرفة هذه الامور فتحكم بها واذا فرضنا وصولها اليها فانه تكون أمة مجتهدة أي يكون جميع أفرادها مجتهدين وكل واحد منهم عارف بقدر الآخر وشاهد له ، ولم يشهد فرد واحد المجتهدين من السابقين بمثل ذلك .

﴿ بيان ما جاء في كتاب الاحكام السلطانية من القول باجتهاد القاضي ﴾

(فصل) ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبي حنيفة لان القاضي ان يجتهد برأيه في قضاءه ولا يلزمه ان يقلد في التوازل والاحكام من اعزى الى مذهبه فاذا كان شافعي لم يلزمه المصير في أحكامه الى أقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها فان أداه اجتهاده الى الاخذ بقول أبي حنيفة عمل عليه وأخذ به وقد منع بعض الفقهاء من اعزى الى مذهب أن يحكم بغيره فنعى الشافعي أن يحكم بقول أبي حنيفة ومنع الحنفي أن يحكم بمذهب الشافعي اذا أداه اجتهاده اليه لما توجه اليه من التهمة والمائلة في القضايا والاحكام وإذا حكم بمذهب لا يتعداه كان أنبي لاهمة وأرضى لاهضوم وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فأحكام الشرع لا توجهه لان التقاليد فيها محظورة والاجتهاد فيها مستحق واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه وقضى بما أداه اجتهاده اليه وان خالف ما تقدم من حكمة فان عمر رضي الله عنه قضى في المشتركة بالتشريك في عام ترك التشريك في غيره قليل له ما هكنا حكمت في العام الماضي فقال: تلك على مانضينا وهذه على مانضي: فلو شرط المولي وهو حنفي أو شافعي على من ولاء القضاء أن لا يحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما أن يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجزها فيه وأخرجه مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدك القضاء فأحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا سواء تمنع أمرا أو نهيا ويجوز أن يحكم بما أداه اجتهاده اليه سواء وافق شرطه أو

خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا يحرم زولا يكون قدحا
 ان جهل لكن لا يصح مع الجهل به أن يكون موليا ولا واليا. فان أخرج ذلك مخرج
 الشرط في عقد الولاية فقال قد قلتك القضاء على أن تحكم فيه بمذهب الشافعي أو
 بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق
 تصح الولاية وبطلت بشرط. والضرب الثاني أن يكون اشترط خاصا في حكم بعينه ولا
 يخرج الشرط من أن يكون أمرا أو نهيا فان كان أمرا فقال له أقدم من المد بالحر ومن
 المسلم بالكافر واقص في القتل بغير الحد يد كان أمرا بهذا الشرط فاسدا ثم ان جعله
 شرطا في عتد الولاية فسدت وان لم يجعله شرطا فيها صححت وحكم في ذلك بما يؤديه
 اجتهاده اليه. وان كان نهيا فهو على ضربين أحدهما ان ينهيه عن الحكم في قتل المسلم بالكافر
 والحر بالبدن ولا يقضي فيه بوجوب قود ولا باسقاطه فهذا جائز لانه اقتصر بولايته على
 ما عده فصار ذلك خارجا عن نظره. والضرب الثاني أن لا ينهيه عن الحكم وينهيه عن
 القضاء في القصاص فقد اختلف أصحابنا في هذا النهي هل يوجب صرفه عن النظر فيه ؟
 على وجهين أحدهما أن يكون صرفا عن الحكم فيه وخارجا عن ولايته فلا يحكم فيه
 بأبواب قود ولا باسقاطه والثاني ان لا تقضي الصرف عنه ويجري عليه حكم الامر به وبثبت
 صحة النظر ان لم يجعله شرطا في التقليد ويحكم فيه بما يؤديه اجتهاده اليه اهـ

فعلم من هذا ان القاضي لا يزل اذا خلف مذهب مولاه او شرطه عليه تقليد
 امام معين بل يجب عليه مخالفة مولاه اذا ظهر له الدليل على ان مخالفته هي الصواب .
 والمفتي في ذلك كلقاضي كما تقدم نقلا عن شرح الهداية بل القول بوجوب اجتهاد
 المفتي عند الحنفية أقوى من القول باجتهاد القاضي كما عامت وبهذه التصوص تعلم ان
 ما كتب في تلك الجريدة الموحدة من كون المفتي بصير معز ولا ذا أفتي بخلاف مذهب
 مولاه قول باطل ، مني على الجهل الظاهر ،

وقد كان وقع مثل هذا الوهم أو قريبا منه لبعض الأزهريين عندما علم ان قاضي
 قضاء السودان حكم في بعض القضايا بمذهب الامام ملاك كاختلاف على المنسر والغائب .
 فسألنا يومئذ ذلك الأزهرى عن ذلك فأجابه بنحو ما تقدم وزيادة تتعلق بالمولى نسكت
 عن مثلها الآن . وربما تزيد الكلام في الافتاء والمفتي بيانا في جزء آخر

﴿مناظرة بين مقلد وصاحب حجة﴾ - تابع ويتبع

(الوجه الثالث والأربعون) قوامهم : ان الله سبحانه وتعالى اتى على السابقين لاولين من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وتقليدهم هو اتباعهم باحسان : فاصدق المقدمة الاولى وما أكذب الثانية . بل الآية من أعظم الأدلة وداعلى فرقة التقليد فان اتباعهم هو سلوك سبيلهم ومناهجهم وقد نهوا عن التقليد وكون الرجل إمامة . واخبروا انه ليس من أهل البصيرة ولم يكن فيهم - والله الحمد - رجل واحد على مذهب هؤلاء المقلدين . وقد أعادهم الله وعافاهم مما ابتلى به من يرد النصوص لآراء الرجال وتقليدهم طاف هذا ضد متابعتهم وهو نفس مخالفهم . فالتابعون لهم باحسان حقاهم أولوا العلم والبصائر الذين لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله رأيا ولا قياسا ولا مقولا ولا قول أحد من العالمين . ولا يحملون مذهب أحد عيارا على القرآن والسنن فهؤلاء أتباعهم حقا جعلنا الله منهم فضلا ورحمة . يوضحه :

(الوجه الرابع والأربعون) ان اتباعهم لو كانوا المقلدين الذين هم مقرون على أنفسهم وجميع أهل العلم انهم ليسوا من أولي العلم لكان سادات العلماء والاثرون مع الحجة ليسوا من اتباعهم ، والجهال أسعد باتباعهم منهم وهذا عين الحال . بل من خالف واحدا منهم للحجة هو المتبع له دون من أخذ قوله بغير حجة ، وهكذا القول في اتباع الأئمة رضى الله عنهم معاذ الله ان يكونوا هم المقلدين لهم الذين ينزلون آراءهم مقولة للنصوص بل يتركون لها النصوص فهؤلاء ليسوا من اتباعهم وانما اتباعهم من كان على طريقهم واقفى منهاجهم .

ولقد أنكر بعض المقلدين على شيخ الاسلام في تدريسه بمدرسة ابن الحنبل وهو وقف على الخبايا والمجتهد ليس منهم فقال انما أتناول ما تناول منها على مصرفي بمذهب أحد لاعلى تقليدي له . ومن الحال ان يكون هؤلاء المتأخرون على مذهب الأئمة دون أصحابهم الذين لم يكونوا يتأدبونهم . فأتبع الناس مسالك ابن وهب وطبقته من يحكم الحجة وينقاد للدليل أين كان وكذلك أبو يوسف ومحمد أتبع لأبي حنيفة من المقلدين له مع كثرة مخالفتهما له وكذلك البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وهذه الطائفة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين الخفض المنتسبين اليه . وعلى هذا فالوقف

على اتباع الأئمة أهل الحجة والعلم أحق به من المقلدين في نفس الأمر .
 (الوجه الخامس والأربعون) قولهم : يكفي في صحة التقليد الحديث المشهوره أصحابي
 كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . جوابه من وجوه :

أحدها : ان هذا الحديث قد روي من طريق الاعمش عن أبي سفيان عن جابر
 ومن حديث سعيد بن المسيب عن ابن عمر ومن طريق حزة الجزري عن نافع عن ابن
 عمر ولا يثبت شيء منها . قال ابن عبد البر : ثنا محمد بن ابراهيم بن سعيدان ابا عبد الله
 بن مفرخ حدثهم . ثنا محمد بن أيوب السموت . قال : قال لنا البزار : واما ما روى
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام
 لا يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني : ان يقال لهؤلاء المقلدين فكيف استجزتم ترك تقليد النجوم التي يهتدى بها
 وقد تم من هود ونهم بمراتب كثيرة . فكان تقليد مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد
 أثر عندكم من تقليد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . فإدال عليه الحديث خالفتموه صريحا
 واستدلتم به على تقليد من لم يضر له بوجه .

الثالث : ان هذا يوجب عليكم تقليد من ورث الجدمع الاخوة منهم ومن أسقط
 الاخوة به مما وتقليد من قال : الحرامعين : ومن قال : هو طلاق : وتقليد من حرم
 الجمع بين الاختسين بملك اليمين ومن أباحه . وتقليد من جور للصائم أكل البرد
 ومن منع منه . وتقليد من قال : تعدد المتوفى عنها بأقصى الاجلين : ومن قال : بوضع
 الحمل : وتقليد من قال : يحرم على المحرم استدامة الطيب : وتقليد من أباحه . وتقليد
 من جوز بيع الدرهم بالدرهمين . وتقليد من حرمه . وتقليد من أوجب الغسل من
 الإكسال . وتقليد من أسقطه . وتقليد من ورث ذوي الارحام . ومن أسقطهم .
 وتقليد من رأى التحريم رضاع الكبير . ومن لم يره . وتقليد من منع تيمم الجنب .
 ومن أوجبه . وتقليد من رأى الطلاق الثلاث واحدا . ومن رآه ثلاثا . وتقليد من
 أوجب فسخ الحج الى العمرة . ومن منع منه . وتقليد من أباح لحوم الجوارح الاهلية . ومن
 منع منها . وتقليد من رأى النقص بمس الذكر . ومن لم يره . وتقليد من رأى بيع الامة
 مطلقا . ومن لم يره . وتقليد من وقف المولى عند الاجل . ومن لم يقفه . واضماف

اضماف ذلك مما اختلف فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فان سئوتم هذا فلا تحتجوا قول على قول ومذهب على مذهب بل اجعلوا الرجل خيراً في الاختداب أي قوله شاء من اقوالهم . ولا تنكروا على من خالف مذهبكم واتبع قول أحدكم . وان لم تسوغوه فانتم أول مبطل لهذا الحديث ومخالف له وقائل بضد مقتضاه وهذا عيب لا انفكاك لكم منه .

الرابع : ان الاقتداء بهم هو اتباع القرآن والسنة والقول من كل من دعا اليهما منهم فالأقتداء بهم يحرم عليكم التقليد ويوجب الاستدلال وتحكيم الدليل كما كان عليه القوم رضي الله عنهم . وحينئذ فالحديث من أقوى الحجج عليكم وبالله التوفيق .

(الوجه السادس والاربعون) قولكم : قال عبدالله بن مسعود : من كان مستناباً منكم فليستن بمن قد مات أولئك اصحاب محمد : فهذا من أكبر الحجج عليكم من وجوه . فانه ينهي عن الاستئذان بالاحياء وأنتم تقلدون الاحياء والاموات . الثاني انه عين المستناب منهم فلههم خير الخلق وأمر الامة وأعلامهم رضي الله عنهم . وأنتم معاشر المقلدين لا ترون تقليدكم ولا الاستئذان بهم وانتم ترون تقليد فلان وفلان من هو دونهم بكثير . الثالث : ان الاستئذان بهم هو الاقتداء بهم وهو بأن يأتي المقتدي بمثل ما اتوا به ويفعل كما فعلوا . وهذا يبطل قبول قول أحد بغير حجة كما كان الصحابة (رض) عليه . الرابع : ان ابن مسعود قد صح عنه النهي عن التقليد وان لا يكون الرجل امة لا بصيرة له . فعلم ان الاستئذان عنده غير التقليد .

(الوجه السابع والاربعون) قولكم : قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وقال « اقتدوا بالذين من بعدي » فهذا من أكبر حججنا عليكم في بطلان ما أنتم عليه من التقليد فانه خلاف سنتهم . ومن المعلوم بالضرورة ان أحداً منهم لم يكن يدع السنة اذا ظهرت لقول غيره كائناً من كان ولم يكن له معها قول البتة وطريق فرقة التقليد خلاف ذلك . يوضحه (الوجه الثامن والاربعون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قرن سنتهم بسنته في وجوب الاتباع . والاختصاص بسنتهم ليس تقليداً لهم بل اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ان الاختداب لاذان لم يكن تقليداً لمن رآه في المنام . والاختصاص ما فات المسبوق من صلاته بعد سلام الامام لم يكن تقليداً لما ذل اتباعاً لمن أمرنا

بالأخذ بذلك فإن التقليد الذي أتم عليه من هذا ؟ يوضحه
 (الوجه التاسع والأربعون) أنكم أول مخالف لهذين الحدين فإنكم لا ترون
 الأخذ بستم ولا الاقتداء بهم وأجبا وليس قولهم عندكم حجة وقد صرح بعض علماءكم
 بأنه لا يجوز تقليدهم ويجب تقايد الشافعي فمن السجائب احتجاجكم بشي أنتم أشد
 الناس مخالفا له وبالله التوفيق يوضحه

(الوجه الخمسون) أن الحديث بحملته حجة عليكم من كل وجه فإنه أمر عند كثرة
 الاختلاف بسنته وسنة خلفائه وأصرتم أنتم رأي فلان ومذهب فلان الثاني : أنه حذر من
 ههناات الأمور وأخبر أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ومن المعلوم بالاضطرار أن ما أتم
 عليه من التقليد الذي تركه كتاب الله وسنة رسوله ويعرض القرآن والسنة عليه ويجعل معياراً
 عليهم من أعظم المحدثات له والبدع التي يرأى الله سبحانه القرون التي فضلتها وخيرها على غيرها
 منه وبالحجة فأسسه الخلفاء الراشدون وأحدهم اللازمة فهو حجة لا يجوز العدول عنها فإن
 هنا من قول فرقة التقليد : ليست سنتهم حجة ولا يجوز تقليدهم فيها يوضحه

(الوجه الحادي والخمسون) أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في نفس هذا الحديث فإنه من
 يشك منكم يهدي فسري اختلافاً كثيراً وهذا دم للمختلفين وتحذير من سلوك سبيلهم وافتقار
 كثير الاختلاف وتناقض أسره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا
 كل فرقة تنصروا عها وتدعو إليها وتذم من خالفها ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة
 أخرى سواهم يدأبون ويكدهون في الرد عليهم ويقولون : كتبهم وكتبنا وأنتمهم وأئمتهم
 ومذهبهم ومذهبنا هذا والشي واحد، والقرآن واحد، والدين واحد، والرب واحد،
 قالوا جب على الجميع أن نقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم وأن لا يطيعوا إلا الرسول ولا
 يجعلوا معه من يكون أفعاله كخصوصه ولا يخذ بعضهم بعضاً راباً !!

فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وافاد كل واحد منهم لمن دعاه إلى الله ورسوله ونجحوا كلهم
 إلى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وإن لم يمد من الأرض . ولهذا نجد أقل الناس
 اختلافاً أهل السنة والحديث . فليس على وجه الأرض طائفة أكثر اتفاقاً وأقل اختلافاً منهم
 لما بنوا على هذا الأصل وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد كان اختلافهم في أنفسهم أشد
 وأكثر ، فإن من رد الحق مرج عليه أمره واحتلط عليه والتبس عليه وجه العوالب فلم
 يدرك بذهب كما قال تعالى (بل كذبوا الحق لما جاءهم فهم في أمر مريب)

باب السؤال والفتوى

الحكمة في كون الانبياء لا يورثون

(س ١) انهي اميوع بن احمدي سنا فوره : ما الحكمة في كون الانبياء عليهم السلام لا يورثون ؟
 (ج) الحكمة في ذلك دفع تهمة الكافرين والمرتابين الذين يظنون ان الانبياء عليهم السلام
 الصلوة والسلام كالموت والامراة كانوا يريدون بدعوتهم الثروة والحياه والسيادة والحجة
 على هؤلاء ان سيرة الانبياء تردها الزعم وتبطله فقد كانوا معروفين بالزهد في الدنيا وعدم
 المبالاة بزخرفها او الضاية بمجدها . وقد يقول المنكر ان اليهود في كثير من الناس ان ضيقوا
 ويقتروا على أنفسهم ليو فرو التراث لذر باتهم وهؤلاء كذلك فكان من تنسبهم الحجة ان يحصلوا
 ما يتركون صدق لا . ثم لم يلم يكن لهم حظ في الدنيا الا انفسهم في حياتهم ولا لذر باتهم بعد
 مماتهم وانما كانوا يقصدون بدعوتهم مرضاة الله تعالى بهداية خلقه وارشادهم الى ما فيه
 خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

تكميل الحجاج الذنوب

(س ٢) عوض افندي محمد كافر اوي زفني : أفيدونا عن الحجاج المبرور هل يكفر
 جميع الذنوب الكبائر والصغائر حتى التبعات أم يكفر البعض ويترك البعض ؟ وعن أصح الأقاويل
 والنصوص فيه لأن يننا خلافا في ذلك

(ج) الاصل في القول بالتكفير حديث أحمد والشيخين وأصحاب السنن ماعدا أبا داود
 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج
 المبرور ليس له جزاء الا الجنة» وحديث أحمد والشيخين وغيرهم عنه «من حج فلم يرفث ولم
 يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية لآل ترمذي «غفر له ما تقدم من ذنبه» قال الترمذي هو
 مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا المبادي لا يسقط الحلق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه
 اثم تأخيرها لانفسها فلو أخرها بعد ذلك تجدد اثم آخره وقال ابن عبد البر ان الذي يكفر هو
 الذنوب الصغائر ، وقال الطبري هو محمول بالنسيئة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها أي
 فمن كان عليه حق لا أحدا فانه لا يكفر منه الا العجز عن ادائه مع نية الاداء عند القدرة . وقالوا
 ان الحجاج المبرور هو المقبول والذي جاء على الوجه الاكمل باستيفاء الاعمال البدنية والقلبية ومن
 ذلك ان يكون المسأل الذي يفقه حلالا . وأنشدوا :

اذا حجت بمال أصله دنس فاحججت ولكن حجت المير
لا يقبل الله الاكل طيبة ماكل من حج بيت الله مبرور

واذا محتجاني معنى التكفير وسره يتسر لنا ان نفهم ان قول هؤلاء الائمة هو المقول وان قول
بعض التأخرين ان الحج يكفر التبئات والموبقات ويسقط الحقوق فاسد مخالف لاصول
الدين وقواعد الشريعة . ذلك ان الكلام الالهي والهدي النبوي يدلان على ان
الذنوب تدين الارواح وتُدَسِّسُهَا ، وان الاعمال الصالحة تطهرها وتزكها . وان
تكرار السيئات يحدث في النفوس ظلمات معنوية اذا كثرت ترين على القلوب أي
تغطيتها حتى لا تعود تتأثر بالذكرى والموعظة وان من أحاطت به سيئته بمثل هذا
التكرار ، كان خلدا في النار ، وان من تدارك الذنب بالتوبة والعمل الصالح الذي
يكون أثره في النفس مضادا لاثر ذلك الذنب يغفر له ويكفر عنه . ان الحسنات
يذهبن السيئات . « واني اغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

والحج للمبرور الذي لارفت فيه ولا فسوق أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا
خروج عن آداب الشريعة وحدودها هو توبة نصوح وإيمان وعمل صالح له في النفس
أكبر الآثار في اصلاحها لما فيه من الانقطاع عن الاهل والوطن والاعمال الدنيوية
والاقبال على الله تعالى بزي الاموات ، واحياء شعائر أعظم المرشدين ، والوقوف
في مواقف أفضل المراسين ، والتذكر بتقابلهم في تلك المعاهد المقدسة تعبد الله تعالى
وتقربا اليه وخضوعا خالصا للجلالة لاحظ للنفس فيه فن حج مثل هذا الحج المبرور ،
واستغرق قلبه بمثل هذا الاحساس والشعور ، رجي ان يمحي ما كان علق بنفسه من
آثار الذنوب الماضية أو تغاب تلك الظلمة بهذا النور وعند ذلك تنبعث النفس الى
حسن الطاعة ، والاستقامة على طريق الهداية ، فنعتمد الى أداء ما عليها من الحقوق
لله وللناس بقدر الاستطاعة فيصح ان يقال انها ولدت ولادة جديدة لانها دخلت في
دور من الحياة جديد ، وان يقال ان السيئات الماضية قد كفرت وغفرت لان الغفر
والتكفير بمعنى تغطية الشيء وقد غطيت تلك الظلمة الماضية وسرت بهذا النور الحاضر
وأما من يتوهم ان التكفير والغفر عبارة عن أجرة الحركات البدنية في
السفر الى مكة والطواف والسعي والوقوف في تلك المعاهد وان مثلها مثال من

أفسد في حرث غني ونسله فكلفه بمل شاق في مقابلة ذلك الفساد وجعل هذا في مقابلة ذلك - فهو الذي يجعل الدين ويرى أن الله ينظر الى حركات الايدان ، دون اصلاح النفوس والارواح . ولو كان الامر كذلك لكان كل من أدى أعمال الحج الظاهرة مقطوعا له بالمغفرة ولكن للمفروض ان يترك الفرائض ، ويشتهك المحارم ، وتوغل في المظالم ، ثم يسافر الى تلك البلاد ويأتي بتلك الحركات ، ويعتقد ان قد سقطت عنه جميع الحقوق والتبعات ،

وقد قالوا ان للحج المبرور الذي يكفر السيئات علامات جماعها الاستقامة بعده . قال الامام الغزالي في آخر كتاب الحج من الاحياء بعد ذكر أعمال القلب فيه ما نصه : « فاذا فرغ منها فليزيم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري اقبل حجه واثبت في زمرة المحبوبين ، أم رد حجه وألحق بالمطرودين ، وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار القربى وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اترنت بيزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاؤه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابايس الله . فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره الضاء والتعب نموذج بالله من ذلك » اهـ

﴿ بعض حكم الحج ﴾

- (س ٣ و ٤ و ٥) سيد افندي نصر بالجيزة : (١) ما الحكمة في الوقوف بعرفة ؟
 (٢) ما الحكمة بجمع الجمرات من محل مخصوص وما هي حقيقة الرجم وأي شيء يرجون ؟
 (٣) هل يشرزم صناعية أم طبيعية وما علة تسميتها بهذا الاسم ؟
 (ج) الوقوف بعرفة في معنى الاجتماع لصلاة الجمعة الا ان جماعة أكبر ، وفائدة الاجتماع فيه أعم وأكمل ، فان المسلمين يجتمعون له من كل شعب وقيل ويقصدون اليه من كل رجا من أرجاء الارض فيسارفون في موقف يساوي بين الملوك والامراء ، والصماليك والفقراء ، اذ يجتمعون بزي واحد على عمل واحد ، وينلقون من إمام المسلمين أو نائبه تعليميا واحدا بالخطبة ومارمي الجمار فيقصد به التشبه براهيم عليه الصلاة والسلام اذ كان في تلك المعاهد بني يدت الله وينقل الحجارة بنفسه ويساعده ولده اسماعيل . فان تذكر

قيام الرجال العظيم بخدمة الدين محيي شمعور الدين في النفوس ويحث الهمة للاقتداء بهم. وروح هذا التشبه وسره اظهار العبودية لله تعالى ولا ابتناء لاسره انتفاء أثر رساله في الامور الدينية التي وضعت لاصلاح النفوس باحياء شعور الايمان والتعبد لله . والرمي أذكركم خصوصاً بقصد بها ما ذكرنا فتكون الحصيات مع هذه الاذكار كالسجدة في احياء الاذكار الماثورة بالعدد المئين وكنوا في تصدر الاول اذا عدوا بمدون على نحو الحصا والنوى . والعمدة ما ذكرناه أولاً من معنى التأسي والتعبد . ولما برز من فهمي كسائر الآبار ماء طبيعي وبناء صناعي وفي ماؤها معادن نافعة ان شاء الله تعالى . والماء الرمز الكثير وروي ان هاجر أم سليمان عليه السلام هي التي اهتدت اليه عند الحاجة وان الملك فجرها لها والملائكة مكلون بكل شيء فهم أرواح تنقلب له اميس الاسباب والله أعلم وقد كنا عازمين على أن نشر في الجزء الثاني أو في هذا الجزء مقالاً مسهباً في أعمال الحج الفاضلة والباطنة وفي حكمه وأسراره لروحية والاجتماعية ولكن التكاليف في مسألة الفتاوى المعارضة شغلنا عن ذلك حتى سافر أكثر الحجاج الذين كنا نحب ان نرودهم فان كتبوا ما نأمن ان أهل الزمان نكتب ذلك في العلم تقابل ان شاء الله تعالى

✽ الصور الشمسية ✽

(س ٦) عبد الكبير افندي المصطفوي الحطاب والمدرس في (روسيا) :
شاع في عصرنا هذا التصوير بالآلة خصوصاً ونحن مجبورون من حكومة روسيا على ان نصور بهذه الآلة في بعض الاحوال لاثبات اشخاصنا ومن ذلك ان من يريد منا ان يكون اماماً في مسجد يكلف بأن يقدم صورته الى الجمعية الشريفة في أوقاف عند حضوره اليها لتأدية الامتحان لاثبات انه هو فهل يجوز هذا شرباً له لا وما معنى الاحاديث الواردة في النهي عن ذلك ؟

(ج) سبق لنا في المنار بيان السبب في النهي عن التصوير واتخاذ الصور بميثاقنا على التعظيم وهوان القوم كانوا قريبي عهد بالوثنية وكانت الكعبة في الجاهلية مزينة بالصور المقطوعة منها صور بعض الانبياء فاراد الشارع ان ينسبهم تلك العبادة الوثنية التي افوها الفنون الطويلة وأنست نفوسهم بها فنهضوا عن التصوير وتعظيم الصور كما نهضوا عن تسريع الآبور واتخاذ المساجد عليها واقاد المخرج عندها بل وعن زيارتها في أول الامر وعن

أي كتاب لاي مؤلف اذا لم يذكر تخرجه عن الحفاظ المعروفين . وكيف ينبغي التمسك
(ص) عن اسكان النساء الفرق والله تعالى يقول « أسكنوهن من حيث سكنتم من
وُجدهن ولا تضاوهن لضيقوا عليهن » ولكن ابن هؤلاء الجاهلون من فهم القرآن
وتطبيق السنة عليه ؟؟

﴿ يعمل بمنجز الجرائد في اثبات الصيام ﴾

(س ٨) الشيخ مقبل الذكير في جزوة البعيرين : اطلعنا في الجزء السابع عشر
من المنار على بحث الصيام وفضله وثبوته فجزاكم الله عن الاسلام خيرا فقد أوجزتم
وأحسستم ولنا ههنا سؤال وهو اذا ذكرت الجرائد ان شهر رمضان قد ثبت شرعا
ان أوله الجملة وكان بعض أهل الاقطار البعيدة كخليج فارس والعراق قد رأوا الهلال
ليلة السبت فهل يستمدون على خبر الجرائد اذا بلغهم في أثناء الشهر وينتظرون عليه اتمام
السنه ثلاثين يوما اذا لم يروا هلال شوال ثم يقضون ذلك اليوم (الجملة) أم يتمون
العدة على حسب صيامهم الذي أوله السبت ولا يجب عليهم قضاء ؟ أفيدوا مأجورين
(ج) الواجب على من ذكرتم ان يعملوا بحسب رؤيتهم ويتقوا العدة على حسابهم
الا ان يروا الهلال ليلة الثلاثين بحسابهم فاتم بنوا صيامهم على اثبات شرعي صحيح .
وما سبق في المنار استحسانه من عمل أهل القطر المصري لا ينطبق على مثل ما ذكرتم
فانه خاص ببلاد يمكن ان يعرف أهلها كلهم اثبات الشهر في الليلة الاولى منه ليصوموا
جميعا ويفطروا جميعا فان الاجتماع والاتفاق في اداء العبادة من مهمات الشرع . وأما
البلاد المنقطعة بعضها عن بعض فيجب ان يعمل أهل كل جهة بما يثبت عندهم ولا
يعمل أهل البحرين بما ثبت في البصرة أو الهند أو مصر الا اذا أمكن العلم بذلك في الليلة الاولى
من الشهر بطريقة مأثومة من التزوير أو في لهم هذا ؟

﴿ كيفية الاعتقاد بالوحي ﴾

كتب كاتب الى الاستاذ الامام يسأله ان يكتب في المنار كيفية الاعتقاد بالوحي
وتعريف الوحي التعريف الذي يسهل على الفهم تناوله وعلى العقل قبوله ويقول
انه اجتهد في فهم الوحي فلم يفهم المراء منه . فالاستاذ الامام يجمله على رسالة التوحيد
فاذا قرأها وتدبر ما كتب فيها ولم يقتنع فليحضر نفسه الى محل الاقامة في الأزهر وليسأل
عما اشبه عليه يجب عنه واذا لم يتيسر له الحضور فليكتب ما يشبه عليه

نظام الحب والبغض

(حب القوة)

— رابطة الدين —

قد بينا هنا لكم أن رابطة القوة لا يمتد نفوذها قدر اطفيفا كأن يعين لرجل رجلا من عزته على رجل من عزته أخرى . وأن هذا التقدر لو لبث عليه الانسان لم يزد على الحيوانات التي ينسب بعضها بمضاهي وهناتين كيف حدثت لهذا النوع رابطة أخرى وكيف أورشته قوة عظيمة : وسارت به في الارتقاء مسافة كبرى .

أما التاريخ فلا يعطينا هذا البيان لأنه إنما يحدث بعد حدوث هذه الرابطة . فبينا هنا أننا نأخذ مما قرأناه في طبيعة الانسان وعناية قاطره به .

تأسيس

ان من المحقق المحسوس ان الاقايم والاعمال والاعمال تحدث في أهلها ثم في أعقابهم من الصفات الجسدية ما يجعل بينهم وبين الآخرين فروقا تبدو صغيرة ثم تكبر . فهذه من جملة الاسباب التي أوجبت — على التسادي — الفروق التي بين ابدان البشر . وليس من صدقنا الآن التصدي لذكر الاسباب الاخرى . بل نكتفي بهذه لندعمها مقدمة أردنا اثباتها هنا وهي انه « كما تفاوت الابدان لاسباب تفاوت الافكار لاسباب » (وذكر امثال الرجال تفاوتوا)

ومن المحقق المحسوس والمقبول ان بين القوى الثلاثة التي في الانسان ارتباطا فانقوى الضاهرة مسخرة للنوعين الآخرين من فواء فهي قوة الادراك — التي نسميها الفكر أو العقل — وقوة الطام والارادة — التي نسميها الغلب — وانما نجد أن العقل والغلب يكونان على مبالغ البدن من الصحة والاعتدال والقوة . ثم نجد لصحة البدن أسبابا منها صحة الادراك واعتدال الارادة .

هذا الارتباط دقيق جدا وفيه شبه الدور الذي يمتصه علماء التصور والتصديق (المنطقي) ولقدته خفي على أكثر الناس إنافة كل قوة على أخفها في التأثير .

فن الناس من ظن ان صحة البدن هي التي تتيح صحة الفكر والارادة . وقد نسوا ان أصبح اليأس بدنا لا تنفوق بالفهم أضعفها . ونسوا أن الذين ليس لهم نهيب كبير من الحياة النوعية —

كرطاء الابل — أقرب الى صحة الابدان منهم الى صحة الافكار ونحن بهنا الاحتجاج لم نرد فنيد ذلك الرأي من كل الوجوه بل من وجه الجهد على هذه الجهة وحدها . وآخرون ظنوا ان الاصل صحة العقل فهي التي تنتج صحة البدن والارادة . وقد نسوا ان أقوى الناس عقلا لا يفوق بصحة البدن ضفاف الادراك وبصحة الارادة ضفاف الابدان .

كل هذه الفنون نشأت من التعمور بذلك الارتباط ولكن لم يرافقها التدقيق فسميت بالارتباك . والظن السديد الموطود هو ان الارتباط موجود ، والدور مفقود ، والامرء اثر على فضل طفيف ينهضه فيه القلب للعقل والبدن تنيف إنافة قليلة على آتياه منها . وهبة العقل للبدن تنيف قليلا على آتياه منه ثم وراء الكل للعقل والقلب جاذبان ضدان مستتران قدما وجدها باري الكل يحكما للمقول ليخلص الطبيب كما يخلص النور من الغناء الاحوى ، ولا يستل من خلق الاضداد هما خلق . سبحانه هو المنزه وحده عن الاضداد والانداد

هذا ما ظهر لنا من كيفية الارتباط بين قوى الجسد الظاهرة والباطنة ثم علاقتها بالامرين القيين وهو يعرفنا أنه مهما يكن للامور الحسية من تأثير فان وراءها أموراً غيبية . وانه مهما يكن للامور الغيبية من تأثير فان للامور الحسية دخلا وشركة . وتتمرر هذه المعرفة احترام الاسباب الظاهرة أديا مع من لم يوجد لها عبثا وتشوق النفوس الى ما وراء المعارف الحاضرة وبمثل هذا كان رقي النوع في المعارف . ويؤخذ من هذا ان أوائل علوم البشر كلها الهامية وحيية وأن الهام كل فرد يكون بحسب قواه .

ومعنى الهام او الوحي في اللغة الالتقاء في الروع أي الاخطار على البال . بيد أنه يكون على ثلاثة أنواع يختلف تعريفه اصطلاحا بحسبها .

النوع الاول : عام وهو ما يكون به هداية كل نوع لما يصلح له قوامه كالذي نراه في فطر آكلة العشب من اجتناب الاعشاب التي لا تلاءمها من غير معلم ومن غير تجربة سابقة كالحيل والبقر والانعام . كالذي نراه من اتخاذ كل نوع من الانواع المتعادية أسبابا للدفاع والهجوم من صياصي وخدائع . اعتبر بذلك من صفات الحشرات

الى كبار الساع . وكالذي نشاهده من استشفاء البعض منها ببعض الاعشاب كالسنابر والكملاط . وكالذي نراه من نظام الحيوانات المتقادة لرئيس منها كالنحل والنمل . (*)
والنوع الثاني : خاص وهو ما تكون به هداية هذا النوع الانساني في حياته التوعية وشؤونه الخصوصية . ومن هذا الباب الرجاء الفجائي وأوائل الاختراعات على اختلافها . (**)

والنوع الثالث : أخص وهو ما تكون به هداية بعض الافراد في معرفة شيء من عالم الغيب الذي من نحوه وردت نواميس عالم الحس فكان يمسها قوامه ونظامه ***
ويقابل هذه الهدايات في التوعين الآخرين اضلالات تأتي من جانب أحد الضدين المجتنبين المتجاذبين لقلل الانسان وقلبه . حتى يصعد ذوهدي من النوع الاخير الى أعلى عالين ، ويتزل ذو ضلال بضاد الى أسفل سافلين (****)

ومن ثمة لا يكون هذان النوعان الاخيران لافراد أهلها على وتيرة واحدة والالامكان التفاوت المكتوب . وأما يكون أهلوهما متفاوتين على مقدار قابلياتهم في الاتهاب . فمن الناس من يتعلم من معلم صنعة ثم يوحى اليه ان يجرب تجربة لم يتعلمها ليزيد في تلك الصنعة شيئاً جديداً ومنهم من لا يوحى اليه ذلك أو يوحى اليه ان ينقص منها . ومنهم من يوحى اليه ان يتبدى ويخرج أمراً لم يكن من قبل ولم يعلمه اياه معلم ثم يوحى اليه ان يعلمه لاخير أو ان لا يعلمه .

ومنهم من يلهم علم أمر سيكون (١) ومنهم من يأتي في روعه ان يقع غيره

(*) شاهد هذا النوع من القرآن المجيد « وأوحى ربك الى النحل »

(**) (الشاهد : - وأوحينا الى أم موسى - الآية

(***) (الشاهد : - انا أوحينا اليك كأوحينا الى نوح والذين من بعدهم الآية

(****) (الشاهد : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى

بعضهم الى بعض زخرف اقوال غروراً » (١) ان علم كل شيء من الامور الغيبية لا يكون لاحد من البشر كما لا يكون العلم لاحد منهم بكل شيء من الاشياء المحسوسة . أما الامور الخفية التي هي من عالم الحس فالعلم ببعضها ليس بقريب بالنسبة لمن فطر هذه الفطرة العربية . وانما الغريب العلم بالامور التي هي من عالم الغيب فهذه هي التي يوحى بعضها للرسول المظهرين .

وممنهم من يلقي إليه ان يضرب الفير وممنهم من ينشرح صدره لتصديق الملهم ومن لا ينشرح صدره وهكذا .

هذا ورمي طالينا مطالب بتسمية ذنوب المتجاوزين المحتين قاقول انه قد سمي من قبل جاذب الخير والسادة والفضيلة بالروح الطاهر (القدس) ، والامين ، وعون الله ، وحبر الله ، ونصر الله ، وأمر الله ، وروح الله ، وبالثور ، والشفاء ، وكل جيل . وسمي عيادب الشر والشفاء والرزيلة بالروح النجس (الرجس) واللعين ، ولعن الله ، وغضب الله ، وخزي الله ، وبالظلام ، والمرضى ، وكل قبيح .

ولكنني أحب الذين يدركون خواص المسمى اولاً ثم يلتفتون الى الاسماء فان وافقت المطلوب كما هنا والا التمسوا المطابق وأكره الذين يلتفتون للاسماء اولاً ثم يتجافون عن الخواص التي ربما لا تظهر لهم من الاسماء . أو يتجافون عن أسماء لم يسموها سوا خواص كانوا قد سمعوا بها .

بناء

بناء على هذا الاساس الذي مكناه نخاضاً وقول :

إن البشر لما تفاوتت أبدانهم وعقولهم وقلوبهم الاسباب الظاهرة والباطنة تفاوتت محبتهم ومشتياتهم ، وسرصر كل منهم على مشتهاه ، واتخذ إله هواه ، وافق ذلك للشئى لغيره أولم يوافق ، طابق ذلك التآله للانسانية أولم يطابق ، فتكون بينهم المداوة والبغضاء ، وأسمى القرباء بعداء ، وزين للاقوياء منهم حطيم الضعفاء ، وماذا تكون عاقبة الاقوام ، اذا آلهوا بالحكام ، وتعبدوا بدم الحسام ، الا يستعجز الضماف ويخارون ، الا يسرون بطلب المتاص ويجهرون ، فن ذا الذي يجيب دعوة المضطرين ، أقسمها الاحجار ، أقسمت جيب لها الاشجار ، أقسمتها الحشرات ، أقسمتها العجماوات ، أقترح لها نفوس الذين من نارهم تنفج ، ومن غبارهم تخرج ، ان يشكون أسمهم الكواكب وتبصرهم ، أقبح كسرهم وتصرهم ، أقدر ولا تريد ، أم كل ذلك عنها بعيد ؟ تجل يا عالم الغيب فليس الامن لديك يرسل الخالق هذا المدد الذي يحتاجه اكل عوالم الارض خاصة ، وأشر فهاضرية وأعظمها قوة ، وأكرمها منزلة .

ألم تسبق غابة الفاطر ان تعد لهذا المصنوع البديع ما لآراء الابصار ، ولا تسمعه الآذان ،

ولا تبلغه الأذهان، فها هو ذا المجد حاجته هذه عند تلك المحسوسات، ومن الجسادات الأرضية فصاعداً إلى نيرات السموات، فهل خبأ له هذه الحاجة إلا في خزانك يا عالم الغيب، تجل لنا بأوارك، أشرق علينا بأسرارك، متمنا بحملك، هينا من كمالك،

بلى قد سبقت غاية القاطر وهذا برهانها، وظهرت منحة وهذا سلطانها:

إنه كان رجال مطهرون مصاحون يرشدون الأقوياء إلى العدل الذي ينفعهم أنفسهم وغيرهم يرشدون الضعاف إلى أسباب القوة التي يدفعون بها ظلم الظالمين . وعلى هذا النحو أسسوا أول ميزان في الأرض لتوزن به ذات كل بالسوى، وتعرف به حدود القوى، فيكون الرجا والتقوى « فَأَمَّا مَنْ ظَنَّى أَنَّهُ بِحَيَاةِ الدُّنْيَا » هي القرية التي لها بعد « فَإِنَّ الْجَحِيمَ » (على أنواعها الحسية والمنوية) هي المآوى ، « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » (الذي يرى غير مكابريه، وقويه كإقويه) ونفى النفس عن القوى، « فَإِنَّ الْجَنَّةَ » (على أنواعها الحسية والمنوية) هي المآوى ،

ناهية الحد، لم تخلق سدى، وإن للمحظة الدنيا عدا، أن هذا القول من دعوا إلى الهدى، في كل الامم والأقبي، من أول الأزمان حتى المدى .

هذا الذي أشرنا إليه هو مبدأ تاريخ الدين القويم ولزيادة التوضيح نقول :

لما كان الفساد يكثر كان رجال ممن تطلب فيهم الروح الطاهرة يقومون للإصلاح ويربهنون للناس على أنه إذا لم توضع للمطالب والمجوبات حدود ويخضعون لها يفسد النظام وفيهم بعضهم بعضاً من حيث لا يستفيد آخر من بقي الكل . وكان الناس منهم من يقبل ومنهم من يرفض إذا لو قبل الكل لمن أصاح لما كان اليوم من فساد قط . ولو قبل الكل لمن أفسد لما كان اليوم من نظام قط . بل قد كان اتباع المفسدين أكثر لأن الفرق بين المصلح والمفسد كبير هو فرق ما بين الضدين . وإذا كانت درجة المصلح عالية كان الأقربون منها أقل من الأبعدين . ولو لأن الإصلاحات قوة تؤيدها ثلاثى كل إصلاح قام به مصلح منذ الدور الأول حتى هذا الدور . ولكن تلك القوة المؤيدة هي التي تقوم للمصلح ومن يقاربه مقام الكثرة فقد تكون عظيمة ويطلق من الإصلاح نفوس المفسدين خطرات موقطة من محبة فتجذب فيهم ياتهم وترجعهم عن غيرهم . وقد تكون ضيقة ويطلق نفوس المفسدين طائف

من الروح الخبيث فيهلك المفسدون دعاة الإصلاح ومتبعيهم . ولكن لا يلبثون بعدهم الا قليلا حتى تبدهم طبيعة الفساد لتقوم الحاجة فيما بعد .

وهذه خلاصة هذا الامر : (١) انه في القديم فسدت العوائل (٢) فقام في كل قوم مصالحهم . (٣) فلم يؤمن بالإصلاح الا قليل (٤) وزاد المفسدون (٥) فأبادت طبيعة الفساد من أبادت منهم من الطائعين (٦) واعتبر آخرون (٧) ثم نسوا ما ذكرناه فأصابهم ما أصاب الاولين (٨) لتكون آية في الآخرين (٩) وما برحوا حتى تواتر الهددون (١٠) وعلا شأن الميزان والوازنون . (١١) وخسر هنالك المطاعون والمطفون ، « الذين إذا اكتموا على الناس يستوفون ، وإذا كانوا هم أووز ثوبهم يحسرون » .

هذا هو تاريخ هذا الامر فيما قبل التاريخ ، واما من بعد ذلك فلكل أمة كتب منكم من يعلمها نقص عليهم أبناء مصلحين عرفوهم ولم تعرفهم أمة أخرى . والجدير بالذكر بعد كل ما تقدم أن دعاة الهداية الذين قاموا في أقوامهم بالسياسة قد أضر عملهم من بعد حين ثمرة كبيرة جدا وهي ربط أقوام كثيرين بخيالي الانساب واللفات بمباني واحد يدبون جميعا بها حتى يكون اسم امامهم فيما بينهم جساما مقدسا بل حتى يكون حلف الشفاف من أفئدتهم ، وعمدة الخائف والاقسام في ألسنتهم ، مثل هذه الحال من قوم أو أقوام ، تقوي بينهم أو أضر القلوب ووشائج الافكار وهي أهم من أواصر الابدان ووشائج الارحام

هذه هي القرابة التي تقرب البعيد ، وتجب بالقرب ، وتحمي الضعيف ، من كيد القوي . هذه رابطة الدين ان سألتم عن اسمها ، واحدى حراقي الانسانية ان سألتم عن رسمها .

وقد عرفتم الآن كيف كان كونها ، وكيف صار كونها ، وأوصيكم أن لا تحمدوا ونظروا أن وحي الانبياء هو من قيل ما ذكرنا فقط . بل هو من أفق آخر أعلى . أتيناكم من أجله بالاشباه والامثال ، وأرناكم في سرائي الكون الانساني أسفل سافل وأعلى عال ، ومن لم ير ينابيع العيون الصغيرة فرما لا يعرف كيف تنفجر الانهار العظيمة من الأرض وقد يظنها من السماء ، وانما الفرق بينها وبين الصغيرة بحسب المدد فتفكرهوا وتذكروا .

ومعنى الدين الطاعة للعاليم ويتكون من هذه الطاعة العمومية قوة يكون عظمها على مبلغ
أعلىها من قوة الأبدان والقلوب وكثرة الأفراد. وكيف ما كانت فان هذه الرابطة
قضية ان يكون الكل في أنفسهم وامام غيرهم كرجل واحد. ويظهر ان من مقتضياتها ایجاد
ثانية كبرى تتضاءل بل تتلاشى فيها الطبرية حتى لا يكون لامة غير. ولكن هذا الايم من جهتها
حق. يعلم افراد لامة حق العلم ما هو الجوهر الحقيقي للدين القويم. ويكملوا حق العمل بما
يطبع في النفس ذلك الجوهر المطلوب.

وقد استبعد هذا قوم فحكموا ان الاديان لم تزد الناس الانعادي وزعموا انها تلك الازيا
آخر من ازياما رابطة القومية من ركشاقفيلابسا هذبت فيه يد التجارب وتقموا منها تضيق
الدارة على الناس في تصوراتهم وفي عاداتهم وأعمالهم بكثرة ما يأتينهم مؤسوسها من فروع
الامر والنهي. والقطع والجزم. في مسائل يحتاج في ادراك اسرارها الى تبصر عقل سليم.
وتروي ارادة معتدلة. وبفرق هؤلاء بما تنصف ألسنتهم وأقلامهم من الاديان حتى يبعدوا
عن الحكمة وهم يظنون القرب منها. ويضلوا الحقيقة وهم يرون انهم وجدوها.
ولذلك ناسب ان تأتي في نبت تاهذه بما يضد من مزاعمهم ونيين لهم ولغيرهم منشأ هذه
المراعم ليتفكر من يتفكر. ويتذكر من يتذكر: (ع. ز) نمة بقية

بارم ... صقليه

٣

(مسينا ومقبرتها)

نسبت ان أضع في جبال المقابر مقبرة مسينا وهي مقبرة في الجنوب الغربي من المدينة
وأنا اذا قلت لصقلي : اني ذاهب الى مسينا : يقول لك في الحال : لا بد ان ترى المقبرة.
وهي جزء من المدينة تحسب مدينة بنفسها فيها مدافن للاسراء والاعيان مبنية على أجمل
نظام وأقرب الى السذاجة وفيها مكان شامخ رفيع يدفن فيه أرباب الشهرة من المهندسين
والشعراء ونحوهم. وطريقة الدفن في تلك الاماكن تختلف فبعضها على الطريقة
المهودة من وضع صندوق الجثة تحت الأرض وبعضها بوضعه في صندوق ضخم كبير
لا يمكن سرقة على ظهر الأرض. وبعضها في بيوت تفرض في عرض الجدران المربعة

وهكذا ، والمقبرة من نسة بأغراس من شجر الصنوبر وضرب من فصيلة الصنوبر يشبه الأثل وليس به ولا أعرف اسمه بالعربية سوى أنه شيء من كبار الطرף، لكنها نظمت بريد أوربية تعرف كيف تخضع النبات لارادتها فتوجهه الى الوجهة التي تريد . والطرق فيها على غاية ما يرام من النظافة والانتظام ، وهي انظف وأجمل من كثير من شوارع مدينة لاهياء (مسئنا) ثم انما تأخذ من أسفل الطريق الى قمة جبل اذا صعدت عليه نظرت وأنت في المقبرة من البحر والساحل أجمل ما تنظر هناك من الألاع والخصرة في المواقع المختلفة ، ومن الأشكال الطبيعية ، ويدافع الأعمال الصناعية ،

يظهر ان المقبرة أعجبتني حتى انطلق قلمي في وصفها ~~كأنه~~ قلم صاحب جريدة ينطلق في السياسة القصرية لبيان مناحيها ، ووصف ضواحيها ، — أعوذ بالله — يوجد في هذه المقبرة مواضع مخصوصة للفقراء قد صفت فيها قبورهم على نظام محكم تراها كأنها خطوط مزارع القطن في أرض غير مستدلة تقصر وتطول وعلى رأس كل قبر صليب أسود يخيل للرأي من يبد أنها أجنحة الغربان الجاثمة على بقايا الجبان . لا زال في وصف المقبرة كما لا يزال بعض الفاقلين عن أنفسهم في بلادنا يشتغلون بالسياسة . عن الأدب والكياس

ماذا أقول في وصف هذه المقبرة ؟ مدينة جميلة المناظر ، بديعة المداخل . بعيدة الخارج ، الداخلة فيها أكثر من الخارج منها ، قد احتير لها شجر الصنوبر زينة من بين الأشجار ، لانه في خضرة دائمة وحياة مستمرة ، كأن ارواح من يموت تنتقل اليه بعد مفارقة الاجساد فهو لا يزال دائم الحياة في الصيف وفي الشتاء والحريف والربيع ، مدينة زيناها الاحياء في حياتهم ، ليدوها لاقامتهم — فيما يزعمون — بعد مماتهم ، وهكذا من كان على يقين من الرحيل الى دار هيا تلك الدار للسكنى وأعد لنفسه فيها أنواع النعيم لطيب له المقام ، ولا يخلق به المكان ؛ لكن هل يكفي أن ترين لنفسك مقرا لجنتك وانت لا تدري هل تشمر هناك بما زينت ، أو تؤخذ عنه اذا مات ، فهل زينت دارا لروحك بالطييات ، كما زينت دارا لجنتك بالزهر والنبت ، ؟ أخاطبك وأنت مصري من سكان القاهرة لا ترى في مقبرتك ولا في الطريق النوصلة اليها الا ما يخيفك من الموت وينفصك فيه ، نمر من القبار ، وتول من التراب ، تذكر بها أنك من التراب والي التراب ،

إذا نيت فيها مسكنا فليست بنيه لنفسك يوم تموت ولكن بنيه لقيم فيه بنيه
الاموات وتشاركهم في المسكن وأنت حي تقضي فيه الأيام من رجب ومن شعبان ومن
شوال ومن ذي الحجة وبعض أيام من بقية الشهر وتأكل وتشرب وتنام ولا تشبه
جيرانك من أهل المقابر الا في النوم الثقيل ولا تستحي من معاشرتهم وأنت تأكل وهم
لا يأكلون ، وتضحك وهم ربما يبكون ، وتلعب وهم لا يلعبون ، تلهو بالقبيل والقال
وملاعبة النساء والأطفال ، وربما أمت في المقبرة فتسميه بلوالد وحيات بذلك اليها
من المغنين والمطربين والمازفين ، ونسبت فيها الحيام ، وصنعت من لذيذ الطعام ، مائة وعشرون
تناوله العلماء الاعلام ، والأتية الكرام ، فبايوا دعوتك زرافات ووحدا : مشاة
وركبان ، وبحوضون في غمار الالاهين الى ان يصلوا الى حيث نصبت حيامك ،
وهيأت طعامك ، على ظهور الاموات ، وبحوار تلك الرقات ، ونيت ايلت تلهو
وتنام ، وتصيح وتصخب ، كأن الموت قد فارق ديارك ، وكره جوارك ، وفر من بين
يديك ، مشتمرا بما يرى لديك ، امام مقبرة مسينا فلا ترى فيها أكلا ولا شرا ولا آثارا ترى الزائرين
في سكة ووقار لا يتكلمون الا همساء تماشيهم ولا تكاد تسمع لهم جرسا ،

﴿ صحب الصقليين وتسولهم وكسولهم ﴾

أهل مسينا من اهالي سيسيليا وسيبيليا هي جزيرة صقلية التي ملك فيها العرب نحو
مئتي سنة وكان منها كثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة والصوفية وبعض الزنادقة
وكل صنف من صنوف أهل العلم والتمسكين اليه كما كان في المراق والشام والاندلس . وقد
ترك العرب آثارا في البلاد منها ما تقدم ذكره وهو مما لا يذكر ومنها كلمات في لسانهم
كثيرة كالشروق للرجب الشرقية وكالقبية والطلعة والشر ونحو ذلك من الكلمات التي
ترشدك لأول وهلة الى أصلها والى البلاد التي حملت منها . ولا أظن ان الصياح والصخب
الذي احتضنه اهالي سيسيليا يكون من ميراث العرب رحمهم الله فان اصوات السيسيليين
أشد قرعا وآلم في الاذن وقعا ، واني لأشك في ان حناجرهم أشد تمرا على الصراخ
بغير داع من حناجر أهل كفر الجاموس (*) أو سكان عرب يسار ، أما العرب فكانوا
يصيحون في الحرب والجلاد ، ويسكتون عند الرجوع الى البلاد ولعل هؤلاء استعملوا

(*) كفر الجاموس مزرعة بالقرب من عين شمس في ضواحي مصر

في السلم ما كان يستعمله أولئك في الحرب كما يفعل بحرية يافا وميروت من تنفوس سوريا
أما الأهل والكسل فلا أدري هل هو من طبيعة البلاد أو من ميراث تركه بعض
السلف من الفاتحين ؟

ويل لك إذا عرفت بأنك غريب فانه يتبعك السائلون الملهفون ، والمكتدون
المهزون ، ويلزمونك حتى تعطي شيئا من النقد ، ولا فرق في حالتيك ان تجلس
في قهوة ، أو تكون في زيارة مسجد ، أو في تفقد مكتبة أو دار آثار ، نجد من
ذلك مالا يجده عند الثبوي ولا عند ضريح الأستاذ اليومي (رضي الله عنه) ثم نجد
الناس في الساحات وقوفا أو جوالين لا يدرون ماذا يعملون وانما يتقرب الى
الغرائب من يظن القسرة في نفسه على ان يفترس منهم فريسة لكن يمكنك ان
كان عندك صبر أيوب وسماحة بعض السباين عندنا من المصريين أو السوريين ان
لا تعطي شيئا أو تهرب إذا أردت

لعلك تقرست شيئا من الكسل في حكاية ما وقع في فهرس الكتب العربية
في المكتبة العمومية ، ودفع الاسماء في دار المحفوظات ، وأزديك انك اذا ذهبت عند
شركة الملاحة (بكسر الميم وتخفيف اللام) للملاحة بفتح الميم وتثديد اللام كما يقول
بعض أكابرنا فان التثديد يجعل الكلمة موضعا للملح الذي يوضع على الطعام ويتناول
أحيانا للاسهال . أما التخفيف فهو اللازم في اسم الشركة لحقة مراكبها في السفر على
البحر المالح وأظن اللفظ يرجع أيضا الى رقيقه فان في البحر ملحا أيضا لكنه
ليس ينكر كالذي في تلك الكلمة المشددة) وجئت مكتب الشركة لتطلب تذكرة
سفر مثلا تجد العامل يحرك يده ببطء كأن بعض أجزائه ينازع بعضا فاذا فرغ من
الكتابة على هذا الوجه القتال أسرع يدهم اليك لطلب المبلغ فاذا دفعته اليه وكانت لك بقية
من النقد بلز مهردم اليك كادت يده تشل بجانبه وأنت تنظر اليه وتنتظر أن تتناول مالك
وتصرف . وهو ينظر اليك كأنه يخشى ان تنسى مالك عنده أو تمل الانتظار ويأخذك الوقت
فتتركه . وهذا ضرب من الكسل في أداء الحق ونوع من البطء في العمل لا يجده حتى في مصر
حرسها الله فان العمال عندنا حتى في زمن الصيف لا يسمعون لاعتنائهم ان تعود
هذه العادة الردئة

﴿ رثاء الصقلين ووساختم ومقابلاتهم بالمصريين ﴾

أما رثاء الملابس عند الفراء وندس الثياب وعدم العناية بالنظافة في كثير من الشئون فذلك مما لا تجد له مثالا في كثير من الأحياء عندنا ، وأني أقص عليك فكاكتين وقتنا في النزول الكبير التي نزلت فيه - رفع الله عماده - كنت أطالع في جريدة خطايا ألقاه بعض أساتذة السوربون في باريس بمناسبة رفع تمثال للكاتب المؤرخ الفرنسي رنان القاه في بلدة رنان التي ولد فيها وكنت مستقرا فاقبأ بقول الخطيب عن القيسيين وتعاليمهم وعن الأحرار أطال الله في سنتهم وما يروونه في فلسفتهم وإذا انحادم النزول دخل علي وبحتا بطله ولد صغير في الخامسة من سنه تقربا وقد علا الوسخ وجهه الصبي وهجم القدر على عينيه يريد أن كلهما ، وأنفه وفيه سيلان ذلعا تعرف وهذا بما لا يخفى عليك ويده عنقه ودعني يتناول منه حبة بعد حبة وماء كل حبة يسيل من شذقيه إذا رأته أمكنتك أن تحلف بشيء من الطلاق أو العتاق أن أمكن أن هذا من ذرية الشيخ الدعكي رحمه الله وأن روح الأستاذ ظهرت في مظهره اللطيف ، وإذا كنت واحدا من بعض الأعيان أو بعض من يزج بنفسه في العلماء الذين تعهد هم أقسمت في الحال أنه ولي من الأولياء مجذوب من المجاذيب . فإذا ذكرك مذكر أنه إيطالي قلت لا يبعد على الله أن يكون قد ملأ قلبه جنبا وولها ورزقه من ذلك في صغره ، ما لم ينله الدعكي في كبره ، والا فكيف تسيل سمائه إلى هذا الحد ويكون ليس بمجذوب ؟ هذا خلف . وربما حلت حسن الاعتقاد على أن تذهب إلى الحمل الذي تعرفه وتستخرج من بحر الانساب . لا يصل نسبهم لا يصح لاحد أن ينسب إليه مادام على مثل هذا الاعتقاد . فانظر بهيشك إلى هذا الطباقي والتقابل بين ما كنت مستغرقا فيه وبين ما قفاني من هذا المنظر الكريه ، هل يمكنك أن تحدث نفسك بما إذا دافعت عن نفسي في هذه الشدة ؟ دفعت فرنكا واحدا رميته على الأرض فالتقطه الصبي كما يلتقط العصفور حبة الأرز وكر راجعا لا يبالي بتأخر أبيه عنه لي شكرني على ذلك الاحسان كأن الصبي كان يخاف أن أتبعه لاخذ القرنك منه . لا تظن أني أبالغ في كلمة مما قلت فأراك بهذه الوساحة :

أما الفكاهة الثانية فقد كنت على مائدة الطعام في محل تومي من ذلك النزول لقلعة السياح وسعة قاعة الطعام بحيث تكبر عن أن يجلس فيها شخص واحد فلما جاء صنف من الطعام يحتاج إلى الملح تبيت إلى الملاحظة (هذه المرة بتشديد اللام لأن فيها ملحا) كاسترى - نظرت إلى الملح فإذا فيه أنيق السوداء أكثر من زرات الشيطان وفي قلوب أهل الفسق والصبيان ، وأغزرهن الحطيات ، في بعض الزارات ، فطهرت إلى الحادوم وأخذت الملح وأنشأت أنكث ما فيها من

القط السوداء نكتة ونكتة وأصعد نظري في وجه الخادم وأقلب وأظهر التقرز ولازلت كذلك حتى فهم أن هذا شيء من الوسخ لا أستطيع تناوله فعنه ذلك تناول في الملاحظة بغاية الكسل ثم ذهب وأطال الفية وبعد ما كنت أغضب مع سمة حلقي في السفر جاء بملاحظة أخرى أوسع من الأولى وأظهر منها ما كان في فهم أن الوساخة مما لا يليق لكن لا يتم له هذا الفهم إلا إذا قال له شخص آخر أن النظافة خير منها وإن الوسخ شيء تفرز منه النفس ويضر منه الحسنى .

أما مثال هذه الواقعة الثانية فما بكثير في خدمنا بل في بعض ساداتنا رحم الله حياتهم فاتهم ينظرون بأعينهم إلى الخيف والخبائث ويرموا بحكمه وأفيه بوصفه لكنهم لا ينزهون المسكر عنه بل ربما لا ينزهون أنفسهم عن اللوث به إلا إذا أمرهم بذلك أصرفه بذلك يتشون الأمر بغيره المختار ، وعن ذلك الخيار ، ثم يحدثك أحدهم بحسن ما يصنع مع أمره كأنه هو الذي يدفع إليه من نفسه كأن الأمر الصادر إليه هو الذي أكسب الشيء حسنه وحلاه بوصفه ، وأعوذ بالله أن يكون هذا هو مذهب الأشاعر الذين يقولون أن حسن الفعل هو الأمر به وقبحه هو النهي عنه وأنه لا حسن ولا قبح لشيء في ذاته فاني على يقين أنهم لا يقتنون به ما يجده أولئك الآلات في أنفسهم ، وما عليك الآن أن تبحث في رأي القرية بين حتى تقف بنفسك على تحقيق الشبه أو فيه فاني الآن لا أكتب كتابا في علم الكلام ، ولا أكتب أسطري هذه الأفاضل من أهل الفن فاتهم أعلى من أن يستفيدوا من قراءة أمثال هذه القصص أوسع الله من عقولهم حتى تسع أهالي بلرم ومسينامما وما ذلك على الله بعزيز

الذي يخطر ببالى من أسباب ذلك إذا أخذنا الجيد أن هذا شأن العامة من الأمم التي طال فيها زمن الاستبداد وتصرف الأرادة الواحدة في جميع الإرادات مع ما يطرأ على تلك الأرادة الواحدة من الاختلال وفساد المزاج فتأمر بالشيء اليوم لأنه من هواها وتسهى عنه غدا لأنها يبق من همتها وأمرها واجب الاطاعة ، وفي مخالفة إضاعة أي إضاعة ، فتعود النفس على تعاملها بالأعمال لا لأنها مما يختاره بل لأنها مما تأمر به ، ويخفى عليها وجه الحسن والقبح لأن التعود على العمل مهما كان قبيحا يزنيه للنفس أو يسهل عليها مقارفته . وسهولة المقارنة إنما تنشأ عن عدم الاحساس برائحة القبح ولو بقيت في شاة النفس لما فقه ولما أمكنها تعامله . وكذلك يخفى وجه الحسن في الشيء حتى خفي وجه القبح في نفسه كالأخفى عليك أن كنت من المدققين خصوصا في علم أصول الفقه الحنفى وقرأت ما كتبه العلامة الفري والحق في الحنفية وغيرهما على التلويح للعلامة الثاني سعد الدين التفتازاني حاشية

التوضيح على مختصر البرزوي . اماذا سأنتي عن الملامة الاولى في مقابلة الملامة الثاني فاني
لا أنذكره الآن وان صدق ظني يكون هو عبدالقاهر الجرجاني ولكن الافضل لك
أن تسأل شخصا آخر من مدرسي حاشية التجريد للبناني فان من يقرأ هذا الحاشية
يسهل عليه وزن الملمين ، وتحديد الفرق بين الملامتين . - وربما قال لك ان الاول
هو القطب الشيرازي لان سهولة كلام الامام عبد القاهر وسلاسته تتنهم من جملة
اللاماة الاول - وان شئت ان لا تشغل بهذه المسألة فهو أفضل من ذلك الافضل
ويكون أفضل التفضيل الاول على غير بابيه والسلام . واتمنا المهم فيا نحن يصده ان
الارادة السليمة ، والطبيعة المستقيمة ، يمكنها أن تميز الملح التنظيف من الوسخ وتحتي
بتقديم التنظيف الى الضيف من أول الامر ، بدون احتياج الى اصدار أمر ، وقس على
على ملح الطعام بقية الاملاح كالنحو ملح العلم والعلماء وملح العالم وهكذا كل ما يحتاج اليه في
اصلاح الأغذية بدنية كانت أو روحية دينوية كانت أو دنيوية . اماذا كنت لا تميز ولا تفهم الا
بأمر فتربص حتى يأتي الله بأمره والله شديد العقاب

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ الاحتفال لتذكار تأسيس الدولة العلمية ﴾

نرى الاوربيين في مصر يحتفلون في كل عام احتفالات عمومية لدولهم أهمها
الاحتفال للجمهورية الفرنسية والاحتفال لاستقلال إيطاليا وان لهم في بلادهم من
الغاية بذلك اصحاف ماري منهم في بلادنا حتى انهم ليحتفلون للرجال المظلمة الذين
قدموا الامة خدمة جليلة . وبلاد مصر عثمانية ولكنها مستقلة عن الدولة في ادارتها
وعامة شئونها وقد زال على عهد الاحتلال أكثر ما يذكر المصريين بها حتى انها فقدت
كانت التركية الزامية في مدارس الحكومة المصرية ثم صارت اختيارية ثم اضمحللت
وتلاشت . وقد استحسن نفر من نخباء الترك المقيمين في القاهرة ان يحتفلوا في كل
سنة بتذكار تأسيس الدولة العثمانية وتكونها في مثل الوقت الذي نودي فيه بعثمان
الاول سلطانا وكان ذلك في ٤ جادي الاولى سنة ١٢٩٩ للهجرة الشريفة الموافق
١٧ يناير سنة ١٣٠٠ ميلادية وقد جعلوا هذا الاحتفال الاول على الحساب الميلادي ولا
أدري كان ذلك عن اختيار للحساب الميلادي لانه بالاشهر الشمسية أم السبب فيه ان الحكم

أو ألزم على الاحتفال كان متأخراً؟ والرأي الذي لا ينبغي التردد فيه ان يكون الاحتفال بعد هذا العام على الحساب الهجري

تألفت لجنة في ادارة جريدة (ترك) لاجل هذا الاحتفال فوضت اللجنة قانوناً لتأسيس جمعية خيرية لالعثمانيين الذين اسلمهم جمعيات خيرية في مصر وهم المسلمون على اختلاف شعوبهم ولقائهم فان انصارى العثمانيين جمعيات كثيرة منها عدة جمعيات للسوريين خاصة واحدة للموارنة وواحدة للارثوذكس وواحدة للارثوذكس الكاثوليك . والسبب في ذلك ان المسلمين متأخرون عن جميع أبناء الملل في الاعمال الاجتماعية حتى ان مسلمي مصر لم توجد لهم جمعية خيرية الا من عهد قريب وكان سبب ايجادها مشعوذ أفرنجي ولكن قبض الله تعالى لها أفضل رجال مصر في هذا العصر خافوا وهمة فثبتت بنيتهم على شدة سعي المسلمين أنفسهم في اسقاطها ولولم يكن لها مورد الا من اشترك المشتركين فيها لسقطت من زمن طويل فان الرجل الغني يشترك فيها وتمر عليه السنين انطوا ولا يدفع المبلغ الذي تبرع به وفرضه على نفسه . هذا وهم يرون كثرة الجمعيات المسيحية ويساعدونها . وقد قضت الصعوبات التي مارسها الذين نهضوا بهذه الجمعية والوشايات التي وجهت اليهم من المسلمين . ومنها اتهامهم بأنهم يساعدون مهدي السودان في وقته . ان يجمعوها خاصة بمسلمي مصر فأصبح سائر المسلمين العثمانيين لا مآذا لمن يصاب منهم أو ينكب في هذه البلاد التي لا تزال أوروبا تترف بانها عثمانية . لهذا كان تأسيس جمعية خيرية لمسلمي العثمانيين من أفضل الاعمال الدالة على ان روح الحياة الاجتماعية دبت في المسلمين أي في بعضهم ، ولكن أعداء أنفسهم من المسلمين يسعون في ابطال هذه الجمعية ويتهمونها بثل ما تهتموا بها أخيراً المصرية من قبلها ونسأل الله ان يقض لها من أهل الجدة والثبات ما يقضي لتي قبلها وان يهيئ لها أسباب النجاح والفلاح

دعت اللجنة نحو ثمانين رجلاً من العثمانيين من جميع الاجناس الى فندق الكونتيننتال ، وأعدت لهم هناك مائدة كأحسن ما يؤدب للامراء والأقوال . وبعد الفراغ من الطعام ، افتتح رئيس الخفلة الكلام ، (هو اعليق بناسليم) فذكر ان الغرض من الدعوة قد عرف من الرقاع التي أرسلت الى المدعوين وقال انه دعي الى رئاسة الاحتفال الحاضر ولا يدري السبب في ذلك ثم تكلم كلاماً وجيراً في سبب ترك مثل هذا الاحتفال في الاحقاب الماضية . والسنين الحالية . أبهم عز الدولة ومجدها . وزوع شمس سعيدها . واقليم بوفي مثل هذه الايام . وقد انحطت الدولة في نظر الأنام . فقال

ما خلاصته: ان الذي يسبق الى الأفهام ان الاحتفال باستقلال الدولة العلية الآن يطبق على المثل « بعد خراب البصرة » فان هذه الدولة التي أسسها قوم ساقهم حب المعالي الى اذلال الامم ودوس هام الدول بسنايك خيولهم فأقاموها بالقوة القاهرة والسيوف البائرة قد وصلت الى درجة من الجود والفخر لا تلوها درجته ولم يحتفل في أيام عزها أحد بتدكار استقلالها . ثم طرأ عليها الترف والفساد فضسفت وانحطت وقامت دول الغرب تهددها بالجو والاقراض — وذكر من مجد دول الغرب وتقدمها — وفي هذه الحالة التي ترى فيها الدولة في التزع تحفل بتدكار استقلالها . ألا يصح ان يقال ان هذا « بعد خراب البصرة » (قال) ماذا تريد بهذا الاحتفال الآن هل تريد ان تفتخر بمجد مضى وانقضى وتفتش أنفسنا ونفد عنها بما لا ينفي عن ضعفنا شيئاً ؟ أم تريد ان تزي الدولة ونؤنبها وتبكي على عزها ومجدها ؟ ثم قال انه لا يريد ان يسي الحاضرين ويوقعهم في اليأس فانه يوجد في العثمانيين الآن من الفصحاء وأصحاب الاقلام من يرجح فيهم الخبر للدولة . وختم كلامه بقوله انه قد أسست في القاهرة جمعية خيرية وأشار الى قانونها بين يديه وان جمعية الاحتفال عهدت اليه بأن يكلف جلال الدين بك عارف بالقضاء خطبة تركية وصاحب المنار بخطبة عربية . فقام جلال الدين بك ف تلا خطاباً مسهباً مكتوباً في ورقات صفق له القوم في أثنائه مراراً . ثم قام هذا العاجز منسج المنار وخطب خطبة عربية لرتجالية سر العثمانيين عامة والمصريين منهم خاصة اعتدالها واحتنامها بالدعاء للسلطان عبد الحميد أيد الله دولته ولم يذكر اسم الرئيس والخطيب التركي .

وقد لحقت بعض الجرائد الخطبة فرأينا ان نقل تلخيص جريدة الراوي لانه لم يكذب بقادوم الافكار الاساسية التي قلناها شيئاً مهما الا قولنا ان العثمانيين أنشأوا يشنعون بتحصيل العلم لعلومهم في هذا العصر وقيام الدول وأساس القوة لذلك تقع كتابين مما جاء في تلك الجريدة ولنا الحق في ذلك لانه كلامنا هو :

تحتفل اليوم بتدكار استقلال دولتنا العلية العثمانية وقد دعيت الى الخطابة فرأيت ان أنجي على مقالته سعادة رئيس الاحتفال في فاتحة المقال وهو كالتالي — كفة في معنى الاحتفال وكفة في الدولة التي تحتفل لذلك ترى استقلالها وتكونها

انما يراد بالاحتفال احياء الشهور بمجد من تحتفل لاحلها والتذكير بتاريخه الحميد . وهل نحن اليوم في حاجة الى احياء هذا الشهور وتجديد هذه الذكرى ؟ وهل لدولتنا العلية تاريخ حميد تستحق به ان تحتفل لتذكر تاريخها وتمثيل ماضيها ؟ وماذا لم يبق لعثمانيين مثل هذا الاحتفال في الزمن الماضي

لاشك اننا اليوم أحوج الى مثل هذا الاحتفال منا في الزمن الماضي أيام مجد الدولة الأكبر فان احياء الشعور بمجد الدولة وتذكير تاريخها يبعث فينا روح النهضة لتأييد استقلالها ، وتدارك ما فرط من خطأ بعض رجالها ، وأما سبب تأخيرها الى اليوم فهو ان مثل هذا العمل لم يكن يمهّد في بلادنا وأمسهاو شيء استفدناه في هذا العصر من الاوروبيين فانا نرى القوم يحتفلون للتذكير بقيام دولهم وباعمالها العظيمة ويحتفلون مثل ذلك رجالها العظام من الفاتحين وغيرهم

وللدولة العلية العلية اسم عظيم في الدول وطس تاريخ مجيد محق للعثماني ان يفخر به . يعلم ذلك من النظر في كيفية تكويناها ومن سيرتها الحميدة في نشأتها

بذهب الذين لا يعرفون من التاريخ الاظواهره الى ان هذه الدولة قامت بالقوة والقهر والصواب انها قامت بالفضيلة فان تلك الفتنة التي جاءت مع أسرة السلطان عثمان الاول من بلاد ارمينيا الى بلاد الاناطول ونصرت السلطان علاء الدين السلجوقي وايدته ثم بنت دولة عظيمة على اطلال دولته بعد سقوطها لم تكن من القوة والكرّة بحيث تلك بلاد الفرس وبلاد الروم وجزءاً عظيماً من بلاد أوروبا . وانما علم ان السلطان محمد الفاتح قد حاصر القسطنطينية العظمى بثلاثمائة رجل ونيف على عدا اهل يد : (رض) تقريباً ثم فتحها وهي أمتع مدينة في الارض وأهاها كانوا أكثر من الترك عدداً وأحسن عدداً وأكثر اطلاقاً وعلماء . ولكن العثمانيين كانوا متصفين بالفضائل التي أهمها الاتحاد الذي كان الروم محرومين منه يومئذ . فقد نقل انهم كانوا يتنازعون في المسائل الدينية والفاتح على اسوار المدينة حتى ان بعض رجال الدين قال : لأن أرى تاج السلطان محمد في مذهب كنيسة أباصوفيا أحب اليّ من ان أرى فيه كمة (طاقة) على رأس كردينال من كرادلة الكنيسة الفرية لا تعجبوا من القول بان الدولة قامت بالفضيلة لا بمجرد القوة والقسوة فان القوم

كانوا في حال بدواة فجاءهم الاسلام فجمع كلمهم وهذب نفوسهم حتى كان ملوكهم الاولون على مقربة من سيرة الخلفاء الراشدين فقد نقل المؤرخون ان المؤسس لهذه الدولة السلطان عثمان الذي ترون صورته امامكم الآن لم يترك لورثته الاحقة وعمامة مضرجة بالدم والمههود في الفاتحين المؤسسين للمالك بالقهر والقسوة ان يتركوا القناطر المنقطعة من الذهب والجواهر والآث والماعون

اماسيرة هذه الدولة الحميدة قائما تعلم من النظر في وجه طاعة الانسانية اليها عند تكويناها ومن سيرتها في بلادها . اما وجه الحاجة الى دولة مثلها في زمانها فاقم

أيها السادة تعرفونه من الوقوف على تاريخ الأمم التي تأسست الدولة في بلادها هذه الدولة مؤلفة من أمم وشعوب وقبائل لها لغات مختلفة واديان مختلفة ولكن الدولة مسلمة وأكثر شعوبها إسلامية وأهم عناصرها الأولى المسلمون والروم. فاما المسلمون فقد كان ملكهم تمزق كل تمزق فاما الدولة العباسية فقد كان التنازعوا مسرحها ثم زحف الصليبيون على بلادها من كل جانب وأما الدولة الفاطمية فكانت أيضا قد زلزلت زلازلا ، وهددت من الصليبيين بزوالها ، ولا أعد ملوك الطوائف والممالك في عداد الدول فاتهم كانوا أشبه بالبيوت (المائلات) منهم بالدول — يقوم في البيت رجل عظيم فيجعل له ذكراً ومجدداً ثم يسقط فيسقط البيت بسقوطه ولا يبقى فيه الا أثره . فدخل الاسلام قبل المئتين ثلاث الأموية والعباسية والفاطمية وقد كانت هذه الدول اضمحلت وذهب الرجاء منها وبذلك كان المسلمون في حاجة

الى دولة جديدة يجمع قلوبهم وتحمي حوزتهم وأما الروم فقد كانوا في ذلك الوقت أسوأ حالا من المسلمين ولولا ذلك ما تيسر للترك تقرييق شملهم والاستيلاء على بلادهم وفتح عاصمتهم بعدد قليل . ذلك أنهم لم يكونوا أقل من المئتين عدداً ولا علماء بالحرروب وانما كان ينقصهم ما كان عند المئتين من الفضيلة والوحدة فان فساد الاخلاق والتنازع في الدين لا يبقى للأمم قية سار المئتين في تأسيس دولتهم بما تقتضيه الفضيلة الإسلامية من العدل بالنسبة الى غيرهم من الدول الفاتحة فقد اقرروا أهل الملل المخالفة لهم على اديانهم ولغاتهم وعاداتهم بل جعلت لهم امتيازاً يتمتعون به الى الآن حتى أنهم يفضلون المسلمين في ذلك ببعض الامور . وكان يسهل على هؤلاء المتنازعين ان يرتقوا في ظل عدل هذه الدولة وفضلها ويبحث همتها الى أقصى ما في استعدادهم

فدولة لها مثل هذا التاريخ المجيد يصعب لا بنائها ان يفتخروا بها على اختلاف مللهم ونحلهم وان يحتفلوا لتدكار تأسيسها واستقلالها . ونعود الى ذكر فائدة الاحتفال قلنا ان الفائدة في هذا الاحتفال هو احياء الشموخ بمجد الدولة والتذكير بتاريخها لأجل السعي في استحياء ما كان نافعاً واجتباب ما كان ضاراً . وقد تكلم رئيس الاحتفال عن ضعف الدولة واحاطة الاخطار بها تنبيهات ذكيرا ولكنهم لم يوقعنا في اليأس بالمرّة فقد أعرب عن رجاءه بعض فضلاء الأمة . ونزبد على ذلك فنقول إنه لا بأس من الدولة

فإنها بفضل الله لا تزل الذات قوة عسكرية يشهد لها بها الأعداء وهي قادرة على حماية الأمة وإنما يقصها قوة هي أم القوى في هذا العصر وهي قوة العلم والصناعة قلنا إن هذه الدولة قامت بقوة الفضيحة الفطرية والدينية وقد كانت هذه القوة كافية لسيادة صاحبها على جميع الأمم إذ كانت متساوية في الجبل . ولكن الزمان قد تغير وصار كل شيء فيه مبنياً على السلم والصناعة ولذلك تأخرت الدولة عن غيرها فأنها لم تكن في يوم من الأيام دولة علم وكيف تكون دولة علم وهي لم تكن لها لغة إلا اللغة البدوية التي لا قواعد لها ولا تنسج العلوم والفنون . أن اللغة السياسية العذبة التي تعلم الآن قد وضعت قواعدنا النحوية والصرفية أثناء القرن الماضي فأين العلم من أمة وأقامها القرن الماضي وليس لهائلة تعلم بالقلم والكتاب؟

فأساس الإصلاح الذي نطلبه لحفظ استقلال الدولة هو العلم . فالعلم هو الذي يقوي شوكتها والعلم هو الذي ينجي روثها والعلم هو الذي يجمع كلنا . أراءتم هذا الشعوب المتفرقة والممل المختلفة لا يمكن أن تكون أمة واحدة إلا بالعلم ، العلم هو الذي يقرب بين البعداء ، ويصل الأفكار بالافكار ، وهو الذي يمتاز به الإنسان فكل من كان أقرب في فكرنا كان أقرب في ودأ وأنني لا أفضل معاملة من لا تجمعني به غير صلة الانسانية على معاملة من تجمعني به كل صلة حتى صلة الدين والنسب القريب إذا كان الأول قريباً مني بفكره وقلبه ، والآخر بعيداً عنني بعقله ولبه ، لكن العلم ناقص ربما كان شرأ من الجهل البسيط فإن الجاهل البسيط يكون على شيء ممن سنة الفطرة يستقيم به عمله بعض الاستقامة ولكن ناقص العلم لا يستقيم على الفطرة ولا يحسن الصناعة العلمية

أقول هذا لأنني أرى كثيراً من الناس يحصرون النتي في اصلاح الدولة بالانهاء على القاضين على زمام الاحكام فيها وما هؤلاء الحكام الا طائفة من الامه فاذا صاحبت الامه بالعلم والتهذيب فأنها تصاحبهم لا محالة . تشكو الامه من الحكومة وانا استأمنه في الحقيقة ولا يمكن أن نكون أمة إلا بالعلم والتهذيب العام والدولة غير قادرة على تصحيح التعليم فبلى العقلاء مثان يسعوا في ذلك لاجل تكوين الامه . ان لنا صورة الامه وهي الافراد المجتمع ولكن ليس لتامنها وهو الافراد المتحددة . فاذ كانت هذه الصورة التي أمامكم هي السلطان عثمان مؤسس الدولة فهو لاء الافراد الذين تروهم في البلاد العثمانية هم أمة طان تطالب بحقوق الامم هذا ما قوله واختصر القول خنوق المال واحتيم قولي بالدعاء الى الله تعالى بان يؤيد لدولة العلمية ويوفني سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان ورجال دولته الى افيه خيرها وحفظ مجدها آمين .

المجلد

١٣١٥

بِغَيْرِ الْحِكْمَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَنْ يَرْثِ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَتَى خَيْرَ كِتَابٍ وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

فَقَسْرُ عَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ
فَيَسْمَعُونَ حَسْبَهُ أَوْ تِلْكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر — المجلس غرة ذي الحجة سنة ١٣٢١ — ١٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

باب الفقه في أحكام الدين

المفتي والافتاء في الشرع

حَمَّهِ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ (أَعْلَامُ الْمُوقَعِينَ) بِفَوَائِدَ كَثِيرَةٍ مَطْوُولَةٍ تَمْلُقُ بِالْقَوَى فَرَأَيْنَا أَنْ نَلْخِصَ مِنْهَا مَا يَأْتِي تَنْوِيرًا لِبَحْثِنَا السَّابِقِ وَلِيَعْلَمَ قَلِيلُ الْإِطْلَاعِ أَنَّ مَفْتِيَ الْهَيْدَارِ الْمَصْرِيَّةِ جَرَى فِي قَوَاهِ لِاتِّرَتْسَالِي عَلَى سَنَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَقْتَدَى فِيهَا بِأَمَّةِ الدِّينِ ، لَا بِأَوْضَاعِ جَهْلَةِ الْقُلُودِ ، الْفَائِدَةُ الْأُولَى مِنْ تِلْكَ الْفَوَائِدِ فِي أَنْوَاعِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي تَعْرِضُ عَلَى الْمَفْتَى ، وَالثَّانِيَّةُ فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمَفْتَى أَنْ يَبْدُلَ فِي جَوَابِ الْمُسْتَفْتَى عَمَّا سَأَلَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَتَمُّ مِنْهُ وَاسْتَدْلَ عَلَى ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ فِي بَيَانِ أَنَّ يَجُوزُ لِلْمَفْتَى أَنْ يَحْيِي السَّائِلَ بِأَكْثَرِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَاسْتَدْلَ عَلَى ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ (وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بَابُ مَقْشُودٍ هَذَا) وَالرَّابِعَةُ فِي بَيَانِ أَنَّ مَنْ فَهَمَ الْمَفْتَى وَاصْطَحَّ أَنْ يَبْدُلَ الْمُسْتَفْتَى عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ عَمَّا مَنَعَهُ مِنَ الْقَوَى فَيَسْأَلُ عَنْهُ وَاسْتَدْلَ

عليه بالسنة ، والخامسة في أنه ينبغي للمفتي أن يحذر السائل عما يذهب إليه الوهم من خلاف الصواب في الفتوى واستدل عليه بأسلوب الكتاب والسنة . قال :

(الفائدة السادسة) ينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم وما أخذه مأثمة ذلك ولا يلقيه إلى المستفتي ساذجا مجردا عن دليله وما أخذه فهذا لضيق عطنه وقلة بضاعته من العلم . ومن تأمل فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أوردتها المصنف في آخر الفوائد) الذي قوله حجة بنفسه رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ، وهذا كما سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال « أينقص الرطب إذا جف » قالوا نعم فجزع عنه ومن المعلوم أنه كان يعلم نقصانه بالجفاف ولكن نبههم على علة التحريم وسببه . ومن هذا قوله لدمر وقد سأله عن قبلة امرأته وهو صائم فقال : « رأيت لو تمضمضت ثم سجدت كان يضر شيئا » قال لا . فنبهه على أن مقدمة المحذور لا يلزم أن تكون محظورة فإن غاية القبلة أنها مقدمة الجماع فلا يلزم من تحريره تحريم مقدمته كما أن وضع الماء في الفم مقدمة شربه وليست المقدمة محرمة . ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » فذكر لهم الحكم ونبههم على علة التحريم . ومن ذلك قوله لآبي الثمان بن بشير - وقد خص بعض ولده بسلام نخله إياه - فقال : « أتحب أن يكونوا لك في البر سواء » ؟ قال نعم قال « فاتفوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفي لفظ « ان هذا لا يصلح » وفي لفظ « اني لأنشهد على جور » وفي لفظ « أشهد على هذا غيري » تهديدا لإذنا فإنه لا يأذن في الجور قطعا . وفي لفظ « رده » والمقصود أنه نبهه على علة الحكم : الخ الشواهد

(الفائدة السابعة) ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل على أحسن بيان ، وقول الفقيه المعين ليس كذلك . وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري حتى خافت من بعدهم خلوف رغبوا عن التصوص واشتقوا لأنفسهم الفاظا غير الفاظ التصوص فأوجب ذلك هجر التصوص ومعنوم أن تلك الالفاظ لا تنفي ما تنفي به التصوص من الحكم والدليل وحسن البيان

فتولد من هجر النصوص والأقبال على الألفاظ الحادثة وتطبيق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يسهه إلا الله تعالى فالفاظ النصوص عصمة وحجة برية من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة عمدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطأهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم إن التابعين بالنسبة إلى من بعدهم كذلك وهم جرا، ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض

« وقد كان أصحاب رسول الله (ص) إذا سئلوا عن مسألة يقولون : قال الله كذا قال رسول الله (ص) كذا أو فعل كذا : ولا يمدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط ، فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفا لما في الصدور ، فلما طال العهد وبمد الناس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكر وفي أصول دينهم وفروعه : قال الله وقال رسول الله : أما أصول دينهم فقصرحوا في كتبهم أن قول الله وقول رسول الله لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين وإنما يحتاج بكلام الله ورسوله فيها الحثوية والمجسمة والمشبهة . وأما فروعهم فقمعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسوله (ص) ولا عن الإمام الذي زعموا أنهم قلده دينهم بل عمتهم فيها يفتنون ويقتضون به ويقولون به الحقوق ويبيعون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف ، وأجهلهم عند نفسه ، وزعيمهم عند بني جنسه ، من يستحضر لفظ الكتاب ويقول : هكذا قال وهكذا لفظه : والحلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ما حرمه والواجب ما أوجبه والباطل ما بطله والصحيح ما صححه ، ... هذا وأنا في لنا بهؤلاء في مثل هذه الأزمان فقد دفنا إلى أمر تصح منه الحقوق إلى الله ضحيجها ، وتبع منسه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجهاء ، يبذل فيه الأحكام ، ويطلب الحلال بالحرام ، ويجعل المعروف فيه أعلى مراتب المنكرات ، والمنكر الذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات ، ألحق فيه غريب وأغرب منه من يعرفه ، وأغرب منهما من يدعو إليه ويتصح به نفسه والناس ، قد فلق له قالق الأصباح صبغه عن غياهب الظلمات ، وأبان له طريقه المستقيم من بين تلك

الطرق الجائزات ، وأراء بعين قلبه ما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه مع ما عليه أكثر الخلق من البدع المضلات ، رفع له علم الهداية فشمريه ، ووضح له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه ، وطوبى له من وجد على كثرة السكان ، غريب على كثرة الحيران ، بين أقوام رؤيتهم قذى العيون ، وشجى الخلق ، وكره النفوس ، وحسب الأرواح ، ونعم الصدور ، ومرض القلوب ، أن أنصفهم لم تقبل طيبتهم الانصاف ، وإن طلبته منهم فإن الثريا من يد الملتبس ، قد انتكست قلوبهم ، وصحى عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأثماني وأبتلوا بالخطوط وحصلوا على الحرمان ، وخاضوا بحار العلم ولكن بالهواوي الباطلة وشقاق الهذيان ، ولا والله ما بليت من وشله أقدامهم ، ولا زككت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابضت به ليالهم وأشرقت بنوره أيامهم ، ولا ضحكت بالهدى والحق منه ربوة القفار إذ بليت به أقدامهم ، أنفقوا في غير شي " نفائس الانفاس ، وأتبعوا أنفسهم وحبروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الأصول ، فخرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مهامة الخيرة وتبديد الضلالة ، والمقصود أن العصمة مضمونة في الفاظ النصوص ومعانيها في أمهيات وأحسن تفسير ، ومن رام ادراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه عسير غير يسير « اهـ

(الشار) أن ما ذكره هذا الامام الجليل من وجوب اسناد الفتاوى الى نصوص الكتاب والسنة هو الذي جرى عليه جميع أئمة المسلمين ولكن الذين ذكرهم خرجوا عن هدي السنة وطريقة الأئمة فحتموا اسناد الفتوى الى قول مؤلف من المقلدين الذين ولم ينقل عن عالم من علماء الاسلام جواز تقليد المقلد ولم يكتبوا بهذا حتى صاروا يعميون من يفتي بالكتاب والسنة ويزعمون أنهم بهذا ينصرون الاسلام وما الاسلام الا الكتاب والسنة الذين تركوها وعادوها . وما ذكره من أوصاف العالم الذي يفتي بالنصوص ويراه الناس غريبا ينطبق في زمنه على شيخ الاسلام (رحمهما الله تعالى) وفي هذا الزمن على الأستاذ الامام (حفظه الله) فإنه لم يستد في الفتوى بحل ذبائح أهل الكتاب على إطلاقها بطلاق نص القرآن في حلها قام بعض الجاهلين يعيب ذلك زعماء الافتاء بنص القرآن غير جائز له فتى وإنما يجب عليه أن يذكر نص مؤلف من المؤلفين الذين ينسبون الى أبي خنيفة خاصة . وبإيت هذا السبب والافكار كان ممن يدعون الاشتغال بكتب الاحكام التي يسمونها فقها ! كلاته صادر من

أجهل أرباب الجرائد الاخبارية بالدين وأشدّهم إغالا في الفسق وإسرافا في الامر، فلو كان ابن القيم في هذا الزمان فاذا عساه يقول ويكتب في هؤلاء ؟

(الفائدة الحادية عشرة) اذا نزل بالحكم أو المفتي التازلة فلما ان يكون علما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسمعه في طلبه ومعرفة أولا فان لم يكن علما بالحق فيها ولا غلب على ظنه لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بما لا يعلم ومتى أقدم على ذلك فقد تعرض لمقوبة الله ودخل تحت قوله تعالى : « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاشم والبغي بغير الحق ، وأن تشر كوابله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » فجعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الاربع التي لا تباع بحال . ولهذا حصر التحريم فيها بصفة الحصر . ودخل تحت قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » انما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » * * * ودخل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أفتى بغير علم فإثماته على من افتاء » وكان أحد القضاء الثلاثة الذين ثلثاهم في النار . وان كان تدعر في الحق في المسألة علما وظنا فالإجماع لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بغيره بالاجماع المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وهو أحد القضاء الثلاثة والمفتين الثلاثة والشهود الثلاثة واذا كان من أفتى أو حكم أو شهد بغيره لم تركبوا أعظم الكبائر فكيف من أفتى أو حكم أو شهد بما يعلم خلافه !!!

فالحكم والمفتي والشاهد كل منهم مخبر عن حكم الله فالحاكم مخبر منفذ ، والمفتي مخبر غير منفذ والشاهد مخبر عن الحكم الكوني القدري المطابق للحكم الديني الامري فمن أخبر منهم عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » ولا تأطم بمن كذب على الله وعلى دينه . وان أخبروا بما لم يعلموا فقد كذبوا على الله جهلا وان أصابوا في الباطن وأخبروا بما لم يأذن الله لهم في الاخبار به وهم أسوأ حالا من القاذف اذا رأى الفاحشة وحده فآخبر بها فانه كاذب عند الله وان أخبر بالواقع فان الله لم يأذن له في الاخبار بها الا اذا كان رابع اربعة فان كان كاذبا عند الله في خبر مطابق لخبره حيث لم يأذن له في الاخبار به فكيف من أخبر عن حكمه بما لم يعلم ان الله حكم به ولم يأذن له في الاخبار به قال الله تعالى : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا احرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب

لا يفتخرون * متاع قليل ولهم عذاب اليم * » وقال تعالى: « من أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه » والكذب على الله يستلزم التكذيب بالحق والصدق. وقال تعالى: « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا، أولئك يرسون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » الآية الله على الظالمين * » هؤلاء الآيات وإن كانت في حق المشركين والكفار فإنها متساوية لمن كذب على الله في توحيد ربه ودينه وأسماء وصفاته وأفعاله ولا تتناول المخطئ المأجور إذا بذل جهده، واستفرغ وسعه في أصابة حكم الله وشرعه فإن هذا هو الذي فرضه الله عليه فلا يتناول المطيع لله وإن أخطأ وبالله التوفيق.

(الفائدة الثانية عشرة) حكم الله ورسوله يظهر على أربعة السنة: لسان الراوي ولسان المفني ولسان أخاكم ولسان الشاهد فالراوي يظهر على لسانه لفظ حكم الله ورسوله والمفني يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه. والحاكم يظهر على لسانه الأخبار بحكم الله وتنفيذه. والشاهد يظهر على لسانه الأخبار بالسبب الذي ثبت حكم الشارع والواجب على هؤلاء الأربعة أن يخبروا بالصدق المستند إلى العلم فيكونون ظالمين بما يخبرون به صادقين في الأخبار به وآفة أحدهم الكذب والكتمان فتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حاد الله تعالى في شرعه ودينه وقد أجرى الله سنته أن يحق عليه بركة علمه ودينه ودينه إذا فعل ذلك كما أجرى عادته سبحانه في المتباعدين إذا كتموا وكذبوا أن يحق بركة يمينها. ومن التزم الصدق والبيان في مرتبته بورك له في علمه ووقته ودينه ودينه وكان مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما.

فبالكتمان يزل الحق عن سلطانه، وبالكذب يقلبه عن وجهه، والجزاء من جنس العمل فجزاء أحدهم أن يزيله الله عن سلطان المهابة والكرامة والمحبة والتعظيم الذي يليه أهل الصدق والبيان، ويلبسه ثوب الطوان والمقت والحزني بين عباده، فإذا كان يوم القيامة حازى الله سبحانه من يشاء من الكاذبين الكتمان بطمس الوجوه وردّها على أديارها كما طمسوا وجه الحق وقلوبهم عن وجهه جزاء وفاقا. « وما ربك بظلام للعبيد »

(الفائدة الخامسة عشرة) يحذر المفني الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه

أن يفني السائل بمذهبه لدى يقلده وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلاً فحمله الرخصة على أن يتقدم الفتوى بما يميل على ظنه أن الصواب في خلافه فيكون خائناً لله ورسوله وللسائل وغاشاه والله لا يهدي كيد الخائسين وسهرم الجنة على من لقيه وهو غاش للإسلام وأهله والدين الصحيحة والعش مضاد للدين كضادة الكذب للصديق ، والباطل للحق ، وكثيراً ما نرى المسألة تمتد فيها خلاف المذهب فلا يسفح أن نفتي فيها بخلاف ما نعتقد فيحكمي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونرجحه ونقول هذا هو الصواب وهو أولى أن يؤخذ به والله التوفيق « اهـ

(المثار) يعتبر بهذا الجهلاء الذي يزعمون أن المفتي يجب عليه أن يفني كل سائل بالمذهب الذي عليه الحاكم الذي قلده منصب الأفتاء وإن خالف اعتقاده كان المنصب يميز للمسلم أن يترك اعتقاده فيحلل ما يعتقد حراماً ويحرم ما يعتقد حلالاً ، وفي هذا الزعم من الخيانة على الدين ونصر أهواء الحكام عليه مالا يقوى إفساده إفساداً ونحن نعلم أن أكثر السلاطين والأمراء المتأخرين لا يعلمون من المذاهب التي ينسبون إليها شيئاً من الأحكام القضائية ولا من أحكام الحلال والحرام الا المشهور الذي يعرفه العوام فإذا ولوا مفتياً ليفتي بحاكمهم ورعاياهم فمن أي كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس نوجب على هذا المفتي أن يترك علمه واعتقاده في كل مسألة تخالف مذهب السلطان ويفتي الناس بالمذهب الذي ينسب إليه السلطان بالقول وهو في الحقيقة من المواقم الذين مذهبهم مذهب مقتسم ؟

نعم إن لإفتاء المفتي بمذهب السلطان في المسائل القضائية التي تنظر فيها الحاكم وجهها إذا كان السلطان لا ينفذ الا ما يفتي به القاضي على مذهبه وذلك لأن الأفتاء والأفتاء بخلاف ذلك يكون لغواً . أما إذا كان السلطان يطلب الحق في المسائل القضائية فمضى ظهر له بإفتاء وغيره وحكم به حاكم ينفذه فلا وجه لالتزام مذهب مطلقاً ، وأما المسائل الدينية التي لا تتعلق بالحاكم ولا تحتاج الى تنفيذ السلطان كمسائل الحلال والحرام والعبادات فمن أكبر الجهل بالدين أن يقال أنه يجب على المفتي أن يفني فيها بمذهب السلطان ويترك اعتقاده الذي ينجيه عند الله تعالى لأجل منصبه الذي يفتي على الاجتهاد في كل مذهب ويريد المقلدون أن يقصروه على التقليد ثم قال ابن القيم :

(الفائدة الضرورية) لا يجوز للمقلد أن يفني في دين الله بما هو مقلد فيه وليس

على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه - هذا اجماع من السلف كلهم وصرح به الامام أحمد والشافعي رضي الله عنهما وغيرها . قال أبو عمرو بن الصلاح : قطع أبو عبد الله الحليسي امام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو الحسن الروباني صاحب بحر المذهب وغيرها بأنه لا يجوز للمقلد ان يفتي بما هو مقلد فيه ، وقال : وذكر الشيخ أبو محمد الجويني في شرحه رسالة الشافعي عن شيخه أبي بكر القفال المروزي أنه لا يجوز لمن حفظ كلام صاحب مذهب ونصوحه ان يفتي به وان كان متبحرا فيه جازان يفتي . قال أبو عمرو : ومن قال لا يجوز له ان يفتي بذلك معناه لا يذكره في صورة ما يقوله من عند نفسه بل يضيفه الى غيره ويحكيه عن امامه الذي قلده فلي هذا من عندنا في أحناف المقتنين المقلدين ليسوا على الحقيقة من المقتنين ولكم قاموا مقام المقتنين وادعوا عنهم فعدوا منهم ، وسيلهم في ذلك ان يقولوا مثلا : مذهب الشافعي كذا وكذا ومقتضى مذهب كذا وكذا وما أشبه ذلك ، ومن ترك منهم إضافة ذلك الى امامه فان كان ذلك اكتفاء منه بالمعلوم عن الصريح فلا بأس :

قلت ما ذكره أبو عمرو وحسن الا ان صاحب هذه المزية يحرم عليه ان يقول فذهب الشافعي لما لا يعلم أنه نص الذي أفتى به أو يكون شهرته بين أهل المذهب شهرة لا يحتاج معها الى الوقوف على نصه كشهرة مذهب في الجهر بالبسملة والقوت في الفجر وجوبه تبينت التية للفرض من الليل ونحو ذلك فاما مجرد ما يجرد في كتب من نسب الى مذهب من الفروع فلا يسمه ان يضيفها الى نصه ومذهبه بمجرد وجودها في كتبهم فكيف فهمان مسألة له لا نص فيها البتة !!! ولا ما يدل عليه ركم فيها من مسألة نصه على خلافها ولم فيها من مسألة اختلاف المتنبسون اليه في إضافتها الى مقتضى نصه ومذهبه فهذا يضيف الى مذهب اثباتها ، وهذا يضيف اليه نفيها ...

فلا ندري كيف يسمع المفتي عند الله ان يقول هذا مذهب الشافعي وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة . وأما قول الشيخ أبي عمرو ان هذا المفتي يقول : هذا مقتضى مذهب الشافعي : فلعمري لا يقبل ذلك من كل من نصب نفسه لفتيا حتى يكون مالما بما أخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده جمعا وفرقا ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لأصوله وقواعده بعد است فراغ وسعه في معرفة ذلك فيها حتى اذا أخبر ان هذا مقتضى

مذهبه كان له حكم أمثاله ممن قال بمنع علمه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .
وبالجملة : قالفتي غير عن الحكم الشرعي وهو اما خبر عما فهمه عن الله ورسوله
واما خبر عما فهمه من كتاب أو نصوص من قوله ديد و هذا لون وهذا لون فكما
لا يسع الاول ان يخبر عن الله ورسوله الا بما علمه فكذا لا يسع الثاني ان يخبر عن
امامه الذي قبله ويته الا بما يعلمه وبالله التوفيق

(الفائدة الثانية والخصرون) اذا عرف العامي حكم حادثة بدليلها فهل له ان يفتي
به ويسوغ لغيره تقليده فيه ؟ ففيه ثلاثة أوجه للشافعية وغيرهم
أحدها الجواز لانه قبل حصول له العلم بحكم تلك الحادثة عن دليلها كما حصل
للعالم وان تميز العالم عنه بقوة يتمكن بها من تقرير الدليل ودفع المعارض له فهذا قدر
زائد على معرفة الحق بدليله .

والثاني لا يجوز ذلك مطلقاً لعدم أهليته للاستدلال وعدم علمه بشروطه وما
يعارضه ولعله يظن دليلاً ما ليس بدليل .

والثالث ان كان الدليل كتاباً أو سنة جاز له الافتاء وان كان غير هلم يجوز لان القرآن
والسنة خطاب لجميع المكلفين فيجب على المكلف ان يعمل بما وصل اليه من كتاب
ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز له ان يرشد غيره اليه ، ويذله عليه . اهـ
(النتار) علم مما قاله هذا الامام الجليل ان سلف الامة وأئمتها مجمعون على انه
يجب على المفتي ان يفتي بعلمه في المسألة وانما اجاز بعض فقهاء القرون المتوسطة ان ينقل
المفتي قول بعض الأئمة المجتهدين أو رأيهم على أنه خبر ورواية وذلك لا يسمى فتياً وناقله
لا يسمى مقبلاً وانما اجازوه للضرورة . وكلام هذا الامام الحنبلي موافق لما افتاءه في الخبر
الماضي عن أئمة الحنفية والشافعية ومثلهم في ذلك للملكية لان المسألة إجماعية

وعلم من قوله أيضاً ما تقدم مثله من قبل وهو ان العالم اذا كان لا يقدر على الفتوى
في جميع المسائل بالاجتهاد وكان واقفاً على أدلة بعضها فما عرف دليله وجب عليه ان
يفتي به دون غيره ، وقد تقدم في الأجزاء السابقة ان هذه المسألة مبني على قول أهل
الاصول تجزؤ الاجتهاد . فاذا فرضنا ان مفتي الديار المصرية لم يستوف الشروط التي
وضموها للمجهد المطلق فهل يبعد على مثله وعلى من هو دونه بمراحل ان يعرف

بعض المسائل بدليلها من الكتاب والسنة ؟ ما ظن ان احدا من حاسديه يباغت نفسه
بانكار اهليته لذلك كيف وقد اجازوها للعامي ! ، وعلى هذا يكون وافق ائمة الاصول
والفقه في فتواه للترسفاي بالدليل من غير صاحبة الى بناء الفتوى على دعوى الاجتهاد
المطلق ، وهذا الكلام انما هو لبيان صحة اسلوب كتابة الفتوى اما صحة الحكم وحقيقة
ما افق به فهي مؤيدة بالاجماع في الواقعة كما تقدم شرحه

﴿ الآثار المكذوبة ﴾

اضداد كثير ممن اراد الله بهم شرا على الاختلاق والتدليس وزيادة اشياء في
الدين ما أنزل الله بها من سلطان ليحبذوا بها نفعا ويكسبوا بها حطاما فكذبوا وزوروا
آثارا ونسبوا للنبي صلى الله عليه وسلم وغروا بذلك العامة وموهوا عليهم حتى
اعتقدوا صدق تلك الآثار ورسخ في اذهانهم انها من الحقائق مع انها مزورة
يلابس ويبرفها كذلك كل من له الهام بالحديث الشريف ووقوف على السنة
الثبوتية واطلاع على السيرة الشريفة والشمايل المنيفة وخبرة بالتاريخ وتجري في المعارف
وبعد عن الخرافات والاهام . وكثيرا ما تستر الاوهام اتوار الحقائق وتجبس شمس
المعارف ثم لا تلبث ان تزول لقوى الاطسلاع والنقد والاختبار فلا تفرهم تلك
الزخارف ولا يخذعون باعمال العامة والجهلة ولا يثمدونهم في اعمالهم الفاسدة التي
درجوا عليها واطمأنوا بها وكنسوا اليها كونا عظيما

لبس هؤلاء المزورون على المسلمين وادخلوا في الديانة الاسلامية ما ليس منها
وحسنوا لهم اعمال اهل الوثنية كالتمسح بالاشجار والاختشاب والاشجار وتقبيل
الابواب والآثار المزورة كآثر القدم المزو لنبي صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا في
الجامع الاحدي وجامع قابنابي ومسجد سيدي عبد الرزاق بالاسكندرية وحجر
المرفق ومسجد البغلة والآثار التي بالرباط الكائن بقرب بركة الحسين على شاطئ
النيل . قال المؤرخ القريري : وكان شيخنا السراج البلقيني يظن في هذه الآثار
ويذكر ان له فيها مصنفا : فترى هناك العامة مزدهين على التمسح بتلك الآثار
والاحجار اي ازدحام معتقدين فيها اعتقادا كبيرا فتمسحون منها البركات الموهومة

مستشهدين بالأحاديث الموضوعة على أن الاعتقاد بالأحجار ينفع مع أن ذلك من شأن أهل الوثنية قائم بحسب ظنهم بالأحجار وهؤلاء تشبهوا بهم وساروا على طريقهم ولم يكتفوا بتلك الأعمال حتى اعتقدوا أنها قرينة تقررهم إلى الله تعالى زاني مع أنها مفسدة كبرى ودين الإسلام يرى من هذه الأفعال ومن نسبتها إليه ومزجه عن أفعال الوثنيين وعقائدهم الهائلة التي لا يركن إليها من أطلع على السنة واشرب قلبه بالتوحيد وابتعد عن الشرك

وقد رأينا تماماً للفائدة أن نذكر هنا نص الفتوى التي أفتى بها حافظ الأناضول شيخ الإسلام الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية الحلبي فيما نقله عند تلميذنا حافظ ابن القيم وغيره وهي: « أن الجهال تختزع أحجاراً يزعمون أن فيها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم فيتمسحون بها ويقولونها كما يقول الجهال في الصخرة التي في بيت المقدس من أن فيها أثر من موطئ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وفي دمشق مسجد يسمى مسجد القدم يقال أن ذلك أثر قدم موسى عليه السلام وهو باطل لأصله ولم يقدم موسى دمشق وما حولها ومثله أحجار بمصر وغيرها من البلدان اقترأها الكذابون واستخفوا بها عقول العامة بل ما روى من حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا وطئ على الصخر أثر فيه قدمه كل ذلك من الكذب الخفاق لم ينقله أحد من أهل العلم بأحواله صلى الله عليه وسلم بل هو كذب عليه فلا يفتقر بنقل كثيرين متساهلين في ذلك ساكتين عن حكم الحديث وقد اتفق العلماء على ماضيت به السنة من أنه لا يشرع الاستسلام والتفجيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله في قوله تعالى « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى » وذكر الأزرقي عن قتادة: أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه؛ وأما تكلف هذه الأمانة شيئاً ما تكلف به الأمم قبلاً ذكرنا من رأى أثره وأصابه (كذب) ثار به هذه الأمانة تمسحه حتى اخلوقوا أيضاً فإن المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه كان يدعى المنورة دائماً يكن أحد من الساف يستلمه ولا يقبله فكيف يستلم منه من آثاره عليه الصلاة والسلام وما يعلم أنه مكذوب كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون ويحتون فيها موضع قدم وزيرهم من الجهال أن هذا موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كان هذا غير مشروع في موضع قدمه وقدمي إبراهيم الحلبي عليه السلام

فكيف يقال انه موضع قديمه كذبا وافتراء عليه كالوضع الذي صخرة بيت المقدس
وغسيرة من المقامات اه من كتاب تنزيه المصطفى المختار . مما لم يثبت من الآثار ،
للعامة المحقق الشيخ أحمد بن السجى الوقائي الشافعي

جاء الاسلام بقطع شأفة الوثنية ورفع اعلام التوحيد ونحو العقائد الباطلة الراسخة
في الأذهان ونفي كثير من الأباطيل التي كانت منتشرة ، وخص على التمسك بتمكارم
الاخلاق والابتعاد عن سفاسف الأمور وبين للناس ما يجب عليهم واظهر الحق من
الباطل وحذر من الوقوع في التآثم فلي العاقل ان يتمسك باوصاره ويتمسك عن تلك
الآثار التي ابتدعها الزورون ليروا بها سلمتهم ويستفيدوا الفوائد الدينية الوقية
فجاء الناس على الاعمال الموجهة لرضب الله تعالى المتأقية لدين الفطرة المفسدة
للعقائد المنزللة لركن التوحيد وسعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

(محمد البشير ظافر الأزهرى)

باب السؤال والفتوى

(التفريق في التقليد)

(س ١) مصطفى أفندي رشدي بنباية الزقازيق :

توضأت وقبل الصلاة نزل من في دم خالط الربق وغلبه فانتقض الوضوء لاني
على مذهب الامام الاعظم فأردت أن أصلي على مذهب الامام الشافعي لأن ذلك
لا ينتقض الوضوء عنده فهل تجوز الصلاة ؟ وهل اذا عتراني مثل ذلك وأنا داخل
للمسجد للصلاة اوفيه والوقت ضيق لا يسع الوضوء أو كنت أنا لا أستطيع الوضوء
الا في منزلي لاسباب سيئة فهل أصلي على مذهب الشافعي وان مسمت امرأة ؟

ومثال ذلك في عبارة أخرى ان التي ينقض الوضوء عند الامام الاعظم دون
الامام الشافعي فاذا قاء الانسان وهو متبوء الصلاة فهل يصلي على مذهب الشافعي
(ولمس امرأة) ام في حال لمس المرأة لا تجوز الصلاة ؟

ومثال ذلك ايضا ان صلاة الظهر تعبير قضاء عندنا اذا دخل وقت العصر
ولكن عند الامام مالك تعدلاتها اداء الى ما قبل الغروب فاذا كنت مقتسلا وتوضأت

على مذهبي فهل يجوز لي الصلاة بعد العصر واعتبرها اداء على مذهب الامام مالك؟
 (ج) يعني السائل بالامام الاعظم ابا حنيفة فان مذهب الحنفية مؤلف في الحقيقة
 من عدة مذاهب أشهرها مذهب أبي حنيفة ومذهب أبي يوسف ومذهب محمد
 ابن الحسن ولكن هذين الامامين قد تلقيا عن الامام أبي حنيفة وسارا في الاجتهاد
 على طريقته في الاستنباط ولم تعرف اقواله وآراؤه الا عنهما وفي كتبهما لذلك جعل
 مايؤثر عنهما من النقل عنه وما خالفاه فيه مذهباً واحداً ثلاثمائة يقال لكبيرهم
 ومرشدهم الامام الاعظم . وقد جرى المؤلفون في هذا المذهب والمفتون فيه من
 المجتهدين فيه على ترجيح اقوال بعض الثلاثة على بعض فكان كل عامل بما في كتبهم
 مقلداً لعدة اشخاص في حقيقة واحدة وهذا هو التلفيق الذي منه الجمهور وأجازوه
 بعض المحققين . وعلى القول بالجواز تكون صلاة السائل صحيحة في المسائل التي ذكرها
 وقد تقدم البحث في جواز التلفيق والاستدلال عليه في مقالات المصلح والمقلد
 فليارجعه السائل في مجلد المنار الرابع (ص ٣٦٦) وما بعدها وفي مباحث جمعية
 أم القرى من المجلد الخامس (ص ٦٧٦) وملخصه ان المسألة خلافية وان أكثر
 علماء التقليد منوا التلفيق مع انه لازم للتقليد وان دليل الذين أجازوه أقوى. وهذا
 الخلاف مفروض في المقلد الذي له معرفة بمذهب أمامه ونظر في أدلته وأما من ليس
 كذلك فهو عامي لا مذهب له وإنما مذهب مذهب مقتبه فاذا أقام شافعي بشي
 وخفي بشي فلا يجب عليه ان يتوقف عن الاخذ بقول مقتبه في المسألة الى ان يعرف
 مذهب في جميع المسائل التي تتعلق بموضوع الفتوى كالصلاة مثلا

هكذا وأنه لا دليل في الكتاب ولا في السنة على تقض الوضوء بالتيء أو بخروج
 الدم فالخلاف فيها بالرائي والاجتهاد . وأما وقت الاداء والقضاء فالحكم فيه ان كل
 امام يهاك عن تأخير الصلاة الى الوقت المختاف فيه عمداً وإذا أخرت بعذر فأحسن
 التوبة وأقم الصلاة على وجهها في أول فرصة وليس عليك تعديدها أم قضاء والله أعلم
 ﴿تعريف الزنا وتحريم الاستمتاع بما دونه﴾

(ص ٢) اسماعيل أفندي . ل . د . بمصر : توجهت لزيارة صديق لي فوجدت عنده مجلساً
 متافلاً بالاخوان والكل مشغولون بالبحث في أحكام الدين . وهذا الشهور لم يوجد

الايمة حضرتكم أنابكم الله وجزاكم احسن الجزاء ، وكان من موضوع محرم تعريف الزنا فقال فريق : هو كذا .. - وذكر مع الفاحشة الكبرى - وما كان غير ذلك لا يعتبر زنا ولا ترتب عليه أحكام وحينئذ يمكن للرجل ان يأتى المرأة في جزء من جسمها ولا يغاب عايه : والفريق الآخر قال : ان الازال باحدى هاتى الطرق يعتبر زنا : واخيرا اتفقوا على سؤال النار والسبر على ما يقرره طبقا للشريعة الاسلامية القراء .. (ج) ان أرادوا بالزنا ما يجد الحاكم صاحبه الخلد الموقوف فى الفقه فهو ما عرفت به الفريق الاول وان أرادوا ما حرمة أحكام الخاكين على عبادته وجسده من أسباب مقتبه وسخطه فهو أعم مما قاله الفريق الثانى فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لالحالة فالعينان زناها النظر والاذنان زناها الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويغنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب » وفى رواية لمسلم « والفم يزنى وزناه القبل » : وظاهر ان المراد بالنظر هو النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة والمراد بالبطش لمسها وفى معنى اليد غيرها فكلى ملامسة محرمة . فاستمتاع الرجل بهى امرأته أو جاريته المملوكة له ملكا مهييجا شرعيا محرم كيفما كان سواء أنزل أم لم ينزل

ومقتضى الحديث الصحيح الذى تقدم ان هذا الاستمتاع يسمى زنا وان لازنا مراتب أدناها النظر بشهوة عمداً وأقصاها الفاحشة الكبرى المرفوعة ، وانما وضع الخلد على من انتهى الى الدرجة القصوى لان المضرات البدنية والمادية والادبية التى يعاقب الحكام مرتكبها لا تظهر الا فى هذه الدرجة فالنظر مما يكثر وقوعه ولا يسرف كونه بشهوة الا من الناظر فترتيب الخلد عليه حرج عظيم لانه من المم الذى ترجى مغفرة بجنتاب ما وراءه « والذين يجنبون كبار الآثم والفواحش الا اللهم » وأما اللبس والتقييل فمصراته فى الاصرار ومنها تجرئة مرتكبه على المحارم اذا لم يبادر الى التوبة منه وهى مصرة روحية لأثر لها فى الامة - اوفى الهيئة الاجتماعية كايقاولون - الا اذا تعدي الرجل على المرأة او فعل ذلك بحضور الناس ولذلك درجات تختلف باختلاف الاشخاص والمكان والزمان ليس من العدل ان توضع لها عقوبة معينة

لا يختلف كما هو معنى الحد وإنما عقوبتها التزمير الذي يفوض الى رأي الحاكم .
فهم من ذلك ان عدم وضع الحد على مثل هذه الامور ليس دليلا على اباحتها ولا
على كونها هيئة عند الله تعالى

وتوهم بعض الناس ان ما امرنا اليه من انواع الاستمتاع بالنساء دون الوقاع
لم يحرم الا لانه مقدمة للوقاع الذي ترتب عليه الفساد الكثيرة وان من وثق بنفسه
وقدر على منعها من الوقاع حل له ان يستمتع بالمرأة الاجنبية كما يشاء اذ لا مفسدة
في هذا (بزعمهم) ومن كان من هؤلاء تجاوزا في الازهر بمضي سنين ، او مقلتا شيئا من
كتب الدين ، يستدل على ذلك بنص « ان محتجوا كبار ماتمبون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم » ويقول بعض الفقهاء لا كبيرة بما دون الفاحشة الكبرى وهي الوقاع .
وقد كان سألني مشافهة احد تلامذة المدارس العالية في مصر عن ذلك وقال ان التلامذة
وغيرهم من الشبان في مصر يمشرون البنات العذارى ويستمتعون منهن بما عدا
الفاحشة المدينة فهل يحل ذلك ام يحرم ؟ فأجبت بآني انه يجب اشد التعجب من كون
هذا مما يحل تحريمه على مسلم ويرى انه مما يستفتي فيه

فهم انه لم يحرم شيء في الشريعة الاسلامية الا لانه ضار بفاعله او بالناس مباشرة
او مفض الى الضرر وان استباحة استمتاع الرجال بالنساء في ادون الوقاع ضار بالمستمتعين
والمستمتعات وبغيرهم . وبيان هذا بالتفصيل لا يذكر في جواب سؤال ولكننا نذكر
ما يخطر لنا من ذلك الان بالاجاز فقول ان لذلك مضرات كثيرة

(احدها) ان هذا الاستمتاع يضي صاحبه بالشهوة ، ويولد باللذة ، حتى لا يكون
له هم سواها ، فان من طبيعة نفس الانسان انها اذا أخذت بمادي الامر المستلذ بالطبع
تندرج فيه حتى تصل الى غايته ، وتكون قبل الوصول الى الغاية في بلبال وهم ، واشتغال
فكر وقلب ، وهذا ضرر في نفسه وهو اصل المضرات اخرى تنشأ عنه كما يعلم بما يأتي

(ثانيا) انه يورث النفس الضغارة والضعف لان الولوع بملاعبة النساء من الولوع بملاعبة
الاطفال او الحسام فان هذه على كونها اشتغالا بالمحقرات والفساسف التي تنافي كبر

العقل وعزة النفس ليس فيها من الحشونة ومهانة النفس ما في الولوع بملاعبة النساء
(ثالثا) انه يملك الهوى وحب اللذة زمام الارادة وقلما تجد عند صاحبه عزيمة

ثابتة الا ماعصاء يكون في طلب لذته ، ومن يستحل الزنا فيرتكبه عند شدة الداعية اليه في المواخير العامة لا يكون عرضة لهذنه الفائلة وما قبلها كالمستحل في ملاعبة النساء والاستمتاع بهن في غير المسكن ، وان كان لازنا مضرات أخرى شر منهما (رابعها) انه لا بد ان ينتهي أمر هذا الاستمتاع بالفاحشة الكبرى لما فيه من من الاحساح بالاغراء ، والتجربة على الصيان ، فان كان الفاسق يستمتع بمضرات يحافظ على شرفها ، ويحشى عاقبة فضيحتها ، وقوي لذلك على ضبط نفسه معها ، فانه لا بد ان يجمع به سلطان الهوى المطاع الى غيرها ،

(خامسها) ان وزاع الدين والحياة من الله تعالى يضعف ويضمحل في نفس هذا المستمتع وفي ذلك من الضرر الروحاني ما لا يحل لشربه هنا ومن قرأ ما كتبناه في معنى تكفير الخبيث للذنوب في الجزء الماضي فانه يستفي به عن طول الشرح

(سادسها) ان هذا العاصي لسلطان الدين ، الخاضع لسلطان الشهوة ، لا يكتفي غالباً بالاستمتاع بامرات واحدة لاسيما اذا كانت الحلوة بها لا تيسر له دائماً فهو اذا جاء الوقت تم به داعية الشهوة بدافع من التأثير والتأثير العصبي فيتمس غير من عرفها أولاً حتى يضيع كثير من وقته ويحرم بذلك من آفاق عمله في معيشته

(سابعها) ان هذا العاصي يفسد باسلاسل قياده للذة كثيرا من النساء وهذا شر في نفسه وربما يتولد منه شرور أخرى كالتنازع بين الفاسقين او بين الفاسق وأقارب المرأة

(ثامنها) ان في هذا التثقل في الفسق من اتلاف المال ما يقل عنه كل اتلاف

(تاسعها) ان من اعتاد على التثقل في مصانع الفسق كثيرا ما يرغب عن الزواج ويكتفي بالمسافة واتخاذ الاخذان وفي ذلك من المفسد ما فيه وشرحه شرح لمضار الزنا وانما كلامنا في الاستمتاع بما دونه الى ان يؤدي اليه

(عاشرها) ان من اعتاد ذلك يحرم في الغالب من السعادة البتة التي هلاكها قناعة كل من الزوجين بالآخر ، ومن تثقل في مصانع الفسق لا يكاد يرضى عن يتزوج بها لاسيما اذا اعتاد الاستمتاع بمن هي أجمل منها شكلا ، أو ألطف في ذوقه دلا ، وكذلك المرأة ، وناهيك بما في فقد هذه القناعة من ضروب الشقاء ، والحباية على

اللسل ، فانه مغرَّب لليوت التي تتألف منها الامة ووجهة التوسل ، ان الاستمتاع المشوول عنه ضار في ذاته ومؤد الى الفاحشة حتماً ولكنه شر طريق اليها لان من وقع في الفاحشة ابتداء يوشك ان يدرك فبجها ويتوب منها قبل الاسترسال فيها ولكن من يقدم لها تلك المقدمة للمهيجة فانه يتمس فيها حتى يفرق ويكون من الهالكين ، أما مضرات الزنا في البدن والنفس والمال والامة أو الاجتماع فسنشرحها في وقت آخر ، فعلى المؤمن بالله واليوم الآخر ان لا يتخذه لهواه ويتجرأ على الاستمتاع بغير حليته الشرعية غشا لنفسه بأن هذا مقدمة لازن ليس فيه كبير ضرر فان هذا من وسواس الشياطين ،

﴿ اسئلة رفعت الى مفتي الديار المصرية ﴾

كتب احمد بن الحاج مصطفى التركي الجزائري كتاباً للاستاذ الامام بفتح عليه ان يؤلف كتاباً مختصراً فيما يجب معرفته من الصادات على الجاهل ويسأله هل يجوز الاخذ بقول أي مذهب من المذاهب الاربعة أم لا وعن أخذ الاوراد من مشايخ الطرق وعن التوسل بالاولياء مثل : اللهم يارب بحق فلان : الخ وعن التبرك بكتابة الفاتحة في سخن وشرها للعافية من المرض أو من العين والسحر ، وعن اتخاذ حوز من الادعية النبوية التي في صحيح البخاري - - « لا غيرها مثل الزناتي وأبي ممشر (قال) فهذا الحقير يسترف بأنه باطل » - - ثم قال « لان الحقير عيّل بالطبع الى الاقتداء بمذهب السلف الصالح » ولما كانت حضرتكم امامنا في هذا الزمان الذي كثر فيه الخلط والتخطب خصوصاً في بلادنا ولم نجد من يرشدنا انزوى الفقير لبابكم فلا تردوه خائباً والله يحفظكم ويرعاكم ، واذا ظهر لكم نشر ما ذكرت لكم في المثار الاغر فذلك ما كنا نبغي والسلام »

وقد أعطانا الاستاذ هذه الاسئلة لتجيب عنها بما يأتي : أما الاول فالعامي لامذهب له واتما مذهبه مذهب مفتيه فضليه ان يسأل أي عالم عن حكم الله في المسائل التي تعرض له وان يأخذ بما يرشده اليه وليس عليه ان يسأله عن مذاهب العلماء وآرائهم . وأما مشايخ الطرق فمنهم العالم تشرع والجاهل به فاذا أرشد العالم تلميذه وورثه الى التوبة والذكر والفكر والادعية الماثورة في الكتاب والسنة الصحيحة

قله ان يتخذ صريحا وصريحا وان يهدي بهديه السالم من البدع ولا يجوز لاحد ان يأخذ شيئا عن مشايخ الطرق الجاهلين بعلم الدين .. وأهمه علم الاخلاق وآفات النفس .. لانهم مصلون لمرشدون ، وأما كتابة الآيات والادعية في الاواني والاوراق لاجل دفع الامراض والآفات فهو استعمال لها في غير أنزلت لاجله من هداية الناس وتوجيه قلوبهم الى الله تعالى وحسنه حتى لا يبول على غيره في دفع الضر وجلب النفع بهذا اتخاذ الاسباب المعروفة للناس . وما ورد من نحو اجازة بعض الرقي .. وهي من هذا القبيل .. فلا بد ان يكون له سبب خاص في واقعة حال خاصة ولذلك ورد في حديث البخاري وغيره ان من علامات المؤمن الصادق الذي يدخل الجنة بغير حساب ان لا يرتقي ولا يستترقي بل يتوكل على الله تعالى في دفع ما لا يعرف سبيعا ديا لنفسه وهذا ما حذري عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

وأيضا التوسل الصحيح هو التقرب إلى الله تعالى بمشعره من العلم والعمل الصالح ، والتوسل بالصالحين من سلف الامة باتباع طريقهم في الورع والتقوى وتخري العمل بالكتاب والسنة مطلوب : وانما نتم هذه الاجوبة بما جاء في آخر الصفحة ١١٣ وعامة الصفحة ١١٤ من كتاب إغاثة الالهفان للامام ابن القيم ، فقد ذكر بعد بيان الفتنة بالدعاء عند القبور وتوهم تأثيرها في الاجابة مانعه بعد العنوان :

﴿ الأقسام على الله تعالى ببعض عبادہ ﴾

والمقصود ان الشيطان يلطف كيد به بحسن الدعاء عند القبر وانه أرجح منه في رايه ومسجده وأوقات الاسحار فاذا تقرر ذلك عنده قل له الى درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أكرأمة الإسلام ذلك . فقال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به ، قال وأكره ان يقول أسألك بمقد الز من عرشك وأكره ان يقول : بحق فلان وبحق أنبيائك ورسولك وبحق البيت الحرام : قال أبو الحسن : أما المسألة في غير الله فنكرة في قولهم لاه الحق لغير الله عليه وأيضا الحق لله على خلقه ، وأما قوله : بمقد الز من عرشك :

فذكره أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف قال : وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بذلك . قال : ولأن سعد العز من العرش أنما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكانه سأل الله بأوصافه . وقال ابن بلدي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى إليه فلا يقول : أسألك بفلان أو بعلائك كنتك أو بأبيائك ونحو ذلك لأنه لاحق للمخلوق على خلقه . أو يقول في دعائه : أسألك بمحمد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جواز ما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه « أكره كذا » هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام : أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم ، وتوقف في نينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا اعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف بحجة الحديث .

فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به والسعاء به بلغ في تعظيمه واحترامه وانجح في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ثم نقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يكف عليه ، يوقد عليه القنديل ، ويعلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويمد به بالسجود له ، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه ، والذبح عنده ، ثم نقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته ، واتخاذ عبيدا وبناته ، وإن ذلك انتفع لهم في دنياهم وآخرتهم . قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراعاة بعد ما عان الشرائع أن يسأل الميت حاجته ويستغث به فيها كما فعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا قد تدل لهم الشيطان في صورة الميت أو القاتل كما يمثل لعباد الأصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيمثل له الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتسبح به وتقبيله . المرتبة الثانية أن يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من التأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين ، الثالثة أن يسأله نفسه . الرابعة أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجهم فهذا أيضاً من المتكررات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك زاعا بين أئمة الدين وإن كان كثير من التأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان تراقي مجرب والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر . اهـ

القسم العمومي

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ (تابع ويتبع)

(بقية الكلام في رابطة الدين)

ان الذين ما أرادوا الا الإصلاح ما استطاعوا ! يتألف هدهم الذي يدعون اليه في كل حيل وكل قبيل من ركنين مشيدين ، على اساسين متينين . الاول توجيه النفوس الانسانية الى عالم الغيب لأن هناك كمالها الممد لها بحسبها . وأساس ههنا الركن ان النفس الانسانية - هذه التحفة البديعة التي لم تزل من الاسرار الفاضلة - لم تخلق عبثا ، والثاني ترقيق عواطف الناس بعضهم على بعض ليخفف تواخي الكثيرين بعض من العادي القديم العمومي الوحشي . وأساس هذا الركن ان كمال كل نفس - في عالم الشهادة والغيب بفبرها سواء فضلت افادتها للغير أو فضلت استفادتها أو استوتها . ثم ان كل ركن من هذين الركنين مبني من أجزاء كثيرة . وههذه الاجزاء تكون بحسب الادوار والاحيال . فلهذه العلة تختلف صور الاديان وجوهرها وواحد . هذه الاجزاء نسميها وسائل . ولاختلافها بحسب احوال فيما يدعو اليه المتعددون تعددت الاديان باعتبار تعدد الدعاة وباعتبار تخالف الوسائل .

فأما الراسخون في هذا العلم فزالوا ولا يزالون يعظمون أمر ذلك الجوهر الذي يهدي سبل السلام ويخرج من الظلمات الى النور

وأما البعيدون عن العلم فلا يستقنون عن قائد بقودهم في مناهج تلك الوسائل فالشري لهم ان كان قائدهم مصلحاً مخلص القلب والويل لهم ان كان قائدهم مفسداً . وبالجملة فشان هؤلاء ان يظنوا أن الوسائل روح الدين . والتذليج في سبيلها نهاية عمل الطيبين الطاهرين ، وغاية الزلف عند رب العالمين .

ولتأيد ما ذكرناه آتوا من وحدة الجوهر لزم ان نورد شهادات من كتب الاديان . ويجدر ان تقدم بين يدي ذلك قولنا : « ان هذا الذي علمناه بعد قراءة اسفار الامم ، ومحفف أجيال الشعوب ، قد أوحى لبي أمي لم يقرأ سافراً ، ولم يخط سطره فاعظم تلك المنحة (عليه الصلاة والسلام) .

فما أوحى اليه : « قل يا أهل الكتاب (علم على اليهود والنصارى) تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم (هي) أن لا نعبد (أي) أن لا نحول ولا نخاف شيئاً من الاشياء

رجاء يقارنه حب واحترام ، وشوق وهيام ، وخوفاً يقارنه هيبة واعظام ، وخشوع واهتمام) الا الله (الصانع المدير من به قوام الكوائن واليه يعود نظامها) ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً (أي مقام الارباب من السلطة المطلقة) من دون الله (بل لله وحده السلطة المطلقة والكمال المطلق والقدس المطلق) أفلم تروا ان قوله « سواء بيننا وبينكم » يفيد ما نحن بصدده من وحدة جوهر الدين .

ومما أوحى اليه : - « ان الذين آمنوا (علم على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم في زمانه) والذين هادوا (علم على اتباع موسى) والنصارى (علم على اتباع عيسى) والصابئين (علم على طائفة كانوا بابل) من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً (ما يصاح لسعادة النفس) فلهم أجرهم عند ربهم (كل على حسبه) ولا خوف عليهم (من اختلاف النسبة) ولا هم يحزنون (على فوات أجر العمل) »

أولم تروا ان ذكر الذين هادوا والنصارى والصابئين مع الذين آمنوا بمحمد ثم الوعد بالجزء الذي ينفي الخوف والحزن لدى الايمان بالغيب والعمل الصالح يفيد ان هذا هو الدين المطلوب من كل لا الاتمنا للاسماء .

ومما أوحى اليه : - « وأتيناك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (أي التوراة والانجيل) ومهيئاً عليه (أي شاهداً) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم (أي ظنونهم بأن وسائلهم لا تنسخ) عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (أي في الوسائل) ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة . (أي متفقة المناهج في السلوك لبلوغ الركنين المقصودين في الدين) ولكن ليلوكم (أي ليظهر استعداد كل منكم بحسب زمانه ومكانه) فيما آتاكم (من آلات العلم والعمل) فاستبقوا الخيرات (أي استعملوا الآلات فيما خلقت من أجله لتكون لكم العلوم النافعة والاعمال الزايفة وهي الخيرات بمخادفها . وهذا الخطاب خنان وتفضل على الفطرة ومنح لها السعة في القابلية) الى الله مرجعكم جميعاً (أي الى الموقف النسي الذي تال فيه نفوسكم ما اعتد لها بحسب ما قدمت في الموقف الحسي) فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . (أي يكشف لكم هنالك ما حجب الحس عنكم هنا) . »

وشواهد هذا المعنى من القرآن المجيد كثيرة ، وللاختصار نكتفي بما تقدمناه

ونكتفي أيضاً بشاهد واحد عافى كتب المهدين (القديم والجديد) فاليكموه جامعا هذا المعنى المجمع عليه في المهدين ، سئل المسيح : « يا معلم أي وصية هي العظمى في التاموس . فقال له يسوع تحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الاولى والعظمى . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق التاموس كله والانياء » (متى ص ٢٢) أو لم تروا كمال المطابقة بين ما عبرنا عنه هنالك في وصف الركنتين وبين ما عبر به هنا عنهما .

وانا قد كتبتنا هذه الادلة للمتدينين الذين قد يصيرون البال لاثام هذا للنبي اماخيرهم فسوف يقولون سواء علينا أصبحت هذه الدعوة أي ام لم تصبح فأتقوم بنظر الواقع فأأخذ منه نفس الامر . ونحن نقابلهم فنقول سواء علينا أذعنتم ام لم نذعنوا فأنا قوم بنظر للجوهر ، ولا نسيا بالصور ،

وها نحن اولاء نبين لكم كيف تغيرت الوسائل حتى تغيرت صور هذه الاديان :

إن فروع كل قانون من قوانين العالم في الاخلاق وفي نظام الاجتماع تكون بحسب الحيل والقتيل وقد يحدث في فهم المخاطبين بها تفاوت فيكون اليونانيون قانون وقانون وهذا مثله ذلك

(١) في بعض الاحيال سنعمل شئ لتأليف القلوب . وفي آخيل أخرى كان ذلك العمل من مفرقاتها .

(٢) في بعض الاحيال شرع عمل لضرورة وفي أخرى لم تكن لضرورة تلك .

(٣) خطوب قوم يرموز فأخذها آخرون على ظاهرها وخطوب قوم بصريح فقالوا هذرموز !!

(٤) ذهب قوم بسعادة الحس وأرهبوا من شقائه وآخرون رغبوا بسعادة الغيب وأرهبوا من شقائه وشوق آخرون للامرين فقام الأولون بوسائل الملك والعلية على الامم . وهام التالون برفض التعم في هذا العالم وعدم المبالاة بحجيجه . واعتدل الآخرون فطلبوا نصيباً من ههنا وههنا . واشتغلوا بكلتا الويلتين فكيف تساوى الفروع ههنا ؟

فأتمرون من هذه الامثلة وما ستقيسون عليها أن الوسائل ضروري فيها التغيير وما كان تحت التغيير فهل يكون الروح والحب ؟

وكثيراً ما ستفقد بعض الأجزاء بالمضى ويفترق دواها ما بين صريح أو رمز كالتمثيل عن كون الخالق خالق الخلق اضداداً بأن العالم نشأ من الظلمة والنور أو أن الظلمة نشأت من النور . وكالتعبير عن كون الفاطر فطر الإنسان فطرة بديعة وآتاه فضلاً من العناية (كأن سخر له الأرواح الساريات بطوناً ، والأجسام الجارية ظهوراً ، والعادات عدناً) بأنه سواء بيده ، وتنفخ فيه من روحه ، وخلقه على صورته ، واستخلفه في أرضه ، وعلى هذين المثالين قسموا ما اختلافه بين صريح وكناية وعجالة وإشارة ، ولو شئت لسردنا ههنا من الأمثلة مئات ، تنفع بها النفقات ، فليست تنفع من قرعت سمعهم هذه الإشارات ، ينابيع ذكهم الفاتحات ،

والفرض من كل ذلك أن الذين يلهمون الحكمة الصافية لا يهدمون ما يبنون به الناس دينهم الذي أحبه من فهم شخص ، وكرهه من فهم آخر ، وهو واحد

ذلك الدين الواحد هو ما أمر به المرسلون من اسلام النفوس الى ربها وتصحيح الأروادة وتوجيهها نحو الكمال الذي اعتد للفطرة ان تاله « فطرة الله التي فطر الناس عليها » . « ان الدين عند الله الاسلام » ومن أحسن ديناً عن أسلم وجهه لله وهو مؤمن وأتبع ملة إبراهيم خيفة ، ولم تكن ملة إبراهيم الأملة الفطرية ، فقد سمعتم أنه عاف تلك الأوضاع التي كانت في قومه « الصابئين » وما جرح من ديوارهم ولم يك في ملته تلك الو - - بل والأجزاء التي اقتضاها من بعد ذلك زمان موسى ثم لم يقتضها زمان عيسى ولا زمان محمد (عليهم السلام) فيألفكم من فضل ومنه علينا لهادينا الرؤف الرحيم ، ومرشدنا الرسول الكريم ، الذي أقدنا من الضلالة ، اذ دعانا الى هذه الملة . ملة الانبياء كلهم كما أوحى اليه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وفي آية أخرى « قولوا آمنا بالله وما أنزلنا اليك وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي التيون من دينهم لا نفرق بين أحد منهم نحن له مسامحون »

أما البعيدون عن العلم فهم عن هذا معروضون ، يستنون المشاهدة في الكلام والاباء ، والكبر على الوسائل والأجزاء ، لب الفرض وروح الدين ، وغاية المطلوب من الطيبين الباطهرين ، ونهاية الزناز عند رب العالمين ، ولو كان كذلك لما غير الانبياء شيئاً من وسائله من قبلهم

اذقت أمروا ان لا يتفرقوا في الدين، فهل هم يخافون الوحي؟ كلا أم أوحى لكل منهم دين على حدة؟ كلا وإنما أوحى لكل منهم شرعة ومنهاج، ووضع لكل منهم في تربية الناس مصراع، وبين الدين والشرعة فرق لغوي واصطلاحي. فاسألوا أهل العلم ان لم تعلموا وقد حررنا لكم آتقأ ما يفيدكم هذا ان كنتم تذكرون

وإنا سألوهم هل لب الدين تلك المسائل التاريخية التي وقعت كما وقعت ثم اختلف التعبير عن كيفية وقوعها. هل غاية ما توقف عليه رضا الباري وغضبه القول بأن زيدا أهانه عمرو أو أنه لم يهنه عمرو وإنما أهانه يد سرية ورأى الناس يد عمرو فحكموا أنه هو الذي أهانه ولكنهم في الحقيقة واليقين لم يصيبوا في حكمهم لأن الذي أهانه يد سرية لا يد عمرو هل هذا كل الدين؟

وسألوهم هل منتهى الدين أمور تتعلق بالمعادن البشرية من قيام وقعود، وسهر وهجوع، وشبع وجوع، وذهاب ورجوع، وإقامة ورحيل، وإعلاء وتنزيل، وأمور أخرى تتعلق بالأبدان، من لحم وشعر وظفر وأستان، أو هذا هو الدين أو هذا كل الدين؟ وسألوهم هل مباح زنا المتدينين ان يفي بعضهم بعضاً ان استطاعوا أو يقبل المخطوب ما قبل الغالب. اذن أين حرية التفكير. اذن أين الفضيلة للمعصية فيما يأتي بظواهره وينكره باطنه؟

هناك أسئلة كثيرة يسألها من ظنوا تلك الظنون، وتربس بعضهم ببعض ريباتنون أما نحن فسيسألنا سائل من أهل الملل قائلًا: هل أنت تنكر الوسائل مطلقاً، وهل الوصول إلى ذلك الركبتين يكون بدون الوسائل، وهل أنت غير معتبر لو سائل دين من الأديان وبهذا الاعتبار ألا ترد غيرها؟ وحيثذ فائرة تطويلك هذا الذي لا يتيك مثل غيرك عن تشديد الناهبين إلى وسائل شرعة أخرى؟

فقول هؤلاء انه من المؤكد اننا قبل الوسائل التي في دين محمد (عليه السلام) لانها قسمان (١) قواعد عامة شرعية يمكن البناء عليها في كل زمان ومكان و (٢) قواعد خاصة أدبية معينة ومساعدة للقواعد الشرعية. ومن شاء ان يسألنا عن قاعدة منها لا يقبلها العقل فليعلم .. ولكن قبولنا ذلك هل يمننا عن تذكر القاعدة المظلمة التي يفي عليها الاخاء الكبير، أم يأصمنا به وبالتذكير؟

أني رأيت الناس (منهم) من نسوا الجوهر الذي منه واليه ~~شكل~~ الأديان،
ومنه واليه صلاح الإنسان، وظنوا أن الخير كله والدين في مخالفة غيرهم في كل شيء
(*) و(منهم) من اختلفوا في فهم وسائلهم فأقسموا على أنفسهم، ومنهم من أقاموا
ناساً منهم مقام المرشدين الذين يستقدون عصمتهم فعشوا بالمقاصد والوسائل عجمداً
أَوْخِطاً. و(منهم) من ليس له من الأديان إلا النسبة التي أصبحت بمقام النسبة للقوم -
لما رأيت هذه الأحوال الضارة التي ليست من الأديان في شيء نويت بتطويعي هذا
تذكيراً لمن كان له قلب وأتني السمع وهو شهيد بالجور وتقيد لمن أقاموا أقل الوسائل
اعتباراً بمقام المقاصد العظمى على حين أن الشعوب تشابهت في الحاجات المادية والأدبية
وتشابهت في عدم العلم والعمل بأديانهم المقاصد والوسائل. فمن تذكر هذا التذكير يرجى به
أن يتخذ نبراساً يخرج به من الظلام، ويهديه سبل السلام، وأن قبل هذه التذكير عاقل

من أتم ١ من ب ثم ١ من ج ثم ١ من د فهذه هي الثمرة المطلوبة لأن ١

وسيقول بعد هذا من يدعون حب الحكمة من الذين لم يربطوا بعروة من عرى الأديان
كلها: إن هذا الذي حررته الأشهر أو حاه حب المؤلف وأن جنى الناس من الديانات إلا
التذابج، فيأله المصحب هل حدث التذابج يوم حدثت الديانات أم هي سنة البشر من قبل؟
ألم يكن من ثمرات الأديان تخفيف ذلك التذابج القديم؟ ألم تحشر الشعوب الكثيرة
التفكير في الآلة واللون - المتباعدة في العادات والبلدان، تحت رايات قليلة من
رايات الأديان؟

(*) قيل لمهدي عامي هل تصلي قال: آكل البقر الحمد لله: ورأيت قوماً يرمون شخصاً
بالكفر فسألهم عن دليل كفره فقالوا إنه ليس قيمة في أوربا. وأخبرني شيخ بصرة
... لا يزال حياً - عن نفسه أنه كان هو أول من لبس القوندرة (الجزمة) في هذا البلد فرآه أحد
الاعيان فاستحضر أخاه وقال له أن أخاك لم يبق عليه إلا أن يطلق صلياً في عنقه. قال فما باله؟
قال أني رأيته ليس قوندرة أليس هي من زي الفرنجة؟ فماد على أخيه باكيًا ناحياً قال
فما بالك قال أنك البستنا العار بلبستك هذه وقص عليه الخبر. ولكن لم يرض عام حتى لبس
الامرئ تلك اللبسة فقال له كما قال له فيجب له طلب منه إلا قاله.

وإنما لسألوهم لو لم تكن الأديان التي تدور على الحروف والرجاء من القوة النفسية ،
والعدل والاحسان في البرية . كيف كان المرء يصنع إذا خيف به المصائب ، وانتهكت التواب ،
أُجْتَلِبَ يده لنفسه المنية ، لانه رأى الحياة قرارة الآلام الحقيقية ، وعش الآمال الوهمية ،
وكيف يده يذهب الحياة وهي حبيته وان عضته ، ومناه وان منته فَعَتَتْهُ ، أم يصبر
تحت مائت من اعباء الحياة صبر الحمار الذي لا غرض له في المحمول ، ولا أمل له
بغير الفصص المأكول ، ؟

وكيف يصنع المرء اذا لاحته لرغائب ، فيها للغير مطالب ، أيرعى الغير وهو على أن يبيده
قدير ، وبأن يؤثر نفسه جدير ، أم يبيده في الهوى ، ويفعل الآخرة هذا حتى لا يبقى سوى ،
أم للرغائب حذق النفس لديه ، أو مطلوب اسمي تلقت اليه . أهدا شرعكم أيها المتاديون
أن يبيد القوي الضيف أنى ثقفه ، ويشيد على الحنايات والحنايات شرفه ، فكم اخطأ الناس
اذ لم يبنوا فيكم شرعكم ، ويذرعوا لكم ذرعكم ، كأن لذكمن ان لا تكون الحكمة اتى بها
نظام العالم التي من أجهار حكم من هم أقوى منكم وتركوكم بمواهبكم كلها تهمون ، أفهنا
جزاؤكم للحكمة أن تغيروا عليها بغميس كئيف من التوهيمات السعيرية التي تريدون ان
تهدموا بها قواعدها ، وتجرموا الناس قواثدها ، ؟

أقامتم من أنصارها الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، ما تظنون ، وبئس
ما تسمعون ، تفكروا للعالم ترشدون ، وتذكروا للعالم تشكرون .

❦ خلاصة ❦

والخلاصة من كل التفصيلات المتقدمة أن اقبال الجماعات الكثيرين ، على دعوة هاد
من الهداة المطهرين ، معراج من معارج الانسان في العلم بعد الجهل ، والقوة بعد الضعف ،
فالفضيلة التي تكره الضر ، وتنبى عن الشر . تبهج نفسها بهذه الام التي تربي في حضن اقوام .
تباعدوا في الصور . كاتبا بعدوا في الكور ، حتى صاروا يتقاربون في القلوب ، ويرحم الغالب
منهم المغلوب . والسياسة التي تهوى القوى ، لتوزن كل جماعة مع السوى ، تقرع فيها هذه
الام التي تربي لها طامة ، لا تسأل يوم الواقعة ما هي ،
(ع . ز)

اتان عالم جزائري

تفسير سورة العصر

قد جمعنا من النثر تفسير سورة العصر للاستاذ الامام وطبعناه وحده في كتاب صغير الحجم كبير الفائدة وطبعناه معه ملخص درس الاستاذ وخطابه في تونس وموضوعه (العلوم الاسلامية والتعليم) ، ويعلم قراء النثر ان هذا الكتيب ركن من أركان الاصلاح والارشاد وقد كتب الشيخ محمد بن مصطفى أحد علماء الجزائر المشهورين بآفاقهم المفيدة كتابا الاستاذ الامام يقول فيه مائمه :

(وقد اطلمت في النثر الاثور على تفسير سورة العصر فسلمكم البديع فرائي اسلوبه الفائق العجيب ، واخذتني منزعه العجيب بالتلايب ، فقله أتم ، وقه دركم ، ما أبدعور فكركم الصائب ، وغوص ذهبتكم التاقب ، في استنباط دقائق المسائل ، وتقرير حقائق الفضائل ، ولشدة شغفي به قرأته على ملاء عظيم من العلماء والطلبة والاعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوه جدا واستجزلوا فوائده وأبدوا من المرور مالا مزيد عليه وأنشوا على جنابكم السامي بمسانتم أهله ، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بمادة الدارين ، اهـ .
هذا واتا قد جمعنا نحن هذا الكتاب في مصر قرشا صحيحا واحدا تسهلا لاقتناء على مجاوري الأزهر وتلامذة المدارس الذين هم أجدر الناس بالاستفادة من حكمه العالية وأسلوبه الرفيع . ومن طلبه في البريد فعليه ان يزيد أجرة إرساله

قصيدة عالم جزائري في الاستاذ الامام

أطلعتنا على قصيدة تريد على الحسين يتا للشيخ عبد الحليم بن علي بن سباه أشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها الي في القاهرة من عهد قريب فسرنا منها لها آية من آيات صلاة علماء الاسلام بعضهم بعض في الاقطار المتباعدة وشعور أهل القرب منهم بما يشمر به أهل الشرق من قدر الاستاذ الامام ، واتا تقطف منها هذه الايات
فأنت لنا شمس تنير على المدى أتى نورها من غير أن تنطاما
ادبر بذكرك الذي منك قدمي فأشرب كأسا بالصفاء مشمشا

يذكر نيك المجد والعلم والتقى
 وتلوي الى تلك المجالس فكرتي
 محافل كان العلم فيها مجالسي
 فأسمع فصلا من حكمهم وحكمة
 فما بال أقوام هدى الله عقلمهم
 ألم ينظروا الآثار تشهد بالعلی
 لسان مسق يوما تألق بوقه
 أمن بعد اجماع عليه وأخذ
 فهل صرية من بعد حق مشاهد
 يقول يشد الفعل متن يانه
 يطالب بالاعمال في العلم أهله
 لمسرك ما تنفي العلوم وحفظها
 تحس بها كالماء يسري بعوده
 أتي بكتاب في الكلام يسانه
 ويسمح ران القلب عن له رنا
 براهينه في النفس والكون والحجا
 تنزه عن دور وغسل تسلسل
 بقودك للبرهان غير مقيسد

فانظر من عليك عرشا مرفعا
 فترك قلبي بالخيال عتعا
 أسامر بدرا بالجلال تقصا
 اذا ما بدت خرت ذرى الزور وكما
 يمارون فيه والسحاب تقصا
 وان ينيع الماء يوجب منبععا
 يسبح رعد السامعين لمادعا
 نراه على أيدي الهوى قد تروعا
 وما الحق إلا أن تراه وتسمعا
 وما القول لولا الفعل الامعدعا
 وحق له من عالم قد تضلعا
 اذا لم تكن فيها خطيبا ومصنعا
 مق رامة ففكر لاسر تجمعا
 يقادر من صم الجنادل خشعا
 يسكن جاش القلب مهما يردعا
 وليست لرسطاليس أو من تضعا
 وكم سلسات آياته من تطعا
 يريك حدود العقل مهما تطلعا

بَابُ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

— مجلة بشارت السلام —

يعلم قراء النثار اننا أنشأنا فصولا كثيرة في الرد على هذه المجلة البروتستنتية المصتدية
 على الاسلام وكتابه القرآن الحكيم، وبنية خاتم النبيين، وهذه الفصول منشورة في المجلة
 الرابع والخامس والسادس وسلام يزدها الرد الذي كشف النقاب عن أباطيلها وأظهر

لها الحق إلا لحاجة وغداً حركت القيرة بعض أعضاء مجلس شورى القوانين فخطبوا
الحكومة في شأنها وقبل أن يخطبوا طلبوا منا أعداد المجلة ليراجعوها ويعطى بعضهم
بعضاً على ما فيها من الطعن المتشوّع فنونا وأدبا وكنا سكنتنا عن الرد في أجزاء قليلة لكثرة
المساائل الباردة فالتفت نظرنا إلى الاستمرار على المستحقوق لأننا لا نريد أن
وقد توهم بعض القراء أننا سكنتنا لأجل اعتراض ذلك المعترض من الاستمرار فينا
لم يستحسن الرد على المجلة وزعم أن ذلك يزيد في نشر شبهاتها فنسار الناس يسألوننا عن
ذلك حتى كتب لنا قاضي جزيرة البحرين - وهو من فضلاء أهل العلم والدين -
من كتاب طويل مانعه :

« ولما في على تقاريرك عن شبهات النصارى فسألي لأرى لها ذكراً فوريتك
أن أجوبتك كالشبه المحرقة لشياطينهم الممزقة لشبهاتهم، وفيه من مدلول علمك
وقور عقلك، فما أظنك تصني لغير انتقدك في أجوبة شبهاتهم، وعلمته التي قادها أوهي
من انتقاده، أو في حسبان أن درى أصوات شبهاتهم محصورة فيما بينهم بل بعدما أوحى
بها شياطين جهنم، فاه بها شياطين أنفسهم، الخ
فليعلم القاضي الفاضل وغيره من القراء، أننا لم نترك الرد على القادة، فالتفت
نعم إن فينا من لا نرضيه من الحننات، ويود أن يحوطها إلى سبيل، وكما انتقد ذلك
الاسكندري علينا بالأمر الرد على المعتدين على الإسلام من الذين قالوا أننا نصارى،
انتقدنا اليوم الرد على المعتدين على الإسلام من الذين قالوا أناسميين، وحرّموا
علينا طمام أهل الكتاب وهو حلال بضم الكتاب المين - وحرّموا علينا لباسهم وقد
لبسهم الرسول الأمين، ومن أعجب قنون الجنون أن يشتمك شاتم سرا، ويكلفك أن
تشم نفسك جهراً، على أن هذا الجاهل أراد أن يذم فذبح فقد قال أننا استبدلنا الطيب
بالخبيث والحلو بالمر ومضى هذه العبارة في لغة القرآن أننا جعلنا الطيب بدلاً من الخبيث
والحلو بدلاً من المر والمعنى بسكس ذلك في لغة الجاهلين وهو ما أراد الله

أما ما كان من أمر مجلس الشورى والحكومة فإن الحكومة خاطبت وكيل انكلترا
السياسي في الأمر لأن الذي يصدر تلك المجلة الخاطئة انكليزي غير اللورد كرومر
الحكومة بين محاكمه واستأنته فرضيت بالثانية فوجه اللورد واستأنته. ولما انبرى

مجلس الشورى لهذا الامر قام أحداث السياسة يتجربون في جرائدهم ويقتضرون زاعمين أنهم أصحاب الدين ، وأصحاب الفيرة على الاسلام والمسلمين ، وانه لولاهم لم يتعرض مجلس الشورى لمخاطبة الحكومة في شأن تلك المجلة . ومن عجائب فوضى هؤلاء الاحداث ان واحدا جديدا منهم قام يعترض على أكبر المتصرين للدين ويرميه بالتقصير في مقاومة بشار السلام وهو يعلم أولا يعلم أنه لولا ما قال أحد كلمة في هذا الانتصار فيما نطن ولو كان هذا وغيره من أصحاب الدعوى المريضة يحجون الدين ويشارون عليه أو لو كانوا يعرفونه لعرفوا انتصاره واتخذوهم أئمة لهم لأعداء واضدادا . واتنا نرجو ان ترد إلينا الاجزاء تلك المجلة التي أخذها بعض أعضاء المجلس لثم الرد على تلك الشبهات الموهمة ذلك لا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

الشيخ محمد الأشموني - وفاته

فأنا ان نذكر في الجزء الماضي وفاة شيخ شيوخ أهل الأزهر الشيخ محمد الأشموني الذي قيل فيه انه لا يوجد عالم أزهرى الآن الاوقداً أخذ عنه أو عن أحد تلامذته وقد أبنته الجرائد بمثل: البخاري حديثا والشافعي قهها وسيديوه نحواً: ولكنها لم تذكر له منزلة غير انه عالم كبير . وقد بلغنا انه كان يمقت هذه الحواشي فلا يقرأها وكان يحفل بما يحفل به الشيوخ من كساوى التشريف ولقاء الامراء بل يكره ذلك . وروي أن سائلا سأله في الدرس عن حكم لبس البرطلة (البرنيطة) فأجاب: جئني بواحدة ألبسها لك هنا : اي في الأزهر . وكان صاحب انبساط ودعابة مع جلسائه . مات عن مئتين سنة ونصف رحمه الله تعالى

جاءنا بعد جمع المنار وقبل طبع هذه الصحيفة الاخيرة منه مقالة من احد علماء الديار التونسية في تأييد فتاوى مفتي مصر لثرا نسفالي فأرجأناها الى الجزء الآتي

(تصحيح) قال الاستاذ الامام ان الاولى ان تستبدل كلمة (المشاعر) في السطر

السادس بكلمة الشماثر من الصفحة ٤٤٤

ثبت لدى قاضي مصر ان أول ذي الحجة كان يوم الاربعاء فعيد الاضحى يكون الجمعة جملة الله مباركاً على أهله



فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيستمعون أحسنه أو إليك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بقوفي السكينة من بقاء ومن يؤمن
السكينة فقد أوتي خير الدنيا وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر - الخميس ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢١ - ٣ مارس ١٩٠٤ سنة ١٩٠٤)

«أب الفقه في أحكام الدين»

«تأييد علماء الآفاق» للفتوى بحل طعنام الكتاب على الاسلاق»

نادت الجريدة المحدثه علماء الاسلام في الغرب والشرق للكتابة في موضوع
الفتوى مفتي الديار المصرية للتراسلاني بحل طعنام أهل الكتاب أو ذنبهم خاصة وذكرنا
في الجزء الثاني ان أحد علماء الديار التونسية أرسل لنا رسالة في ذلك ثم رأينا
رسالة أخرى لبعض علماء فارس الاعلام في ذلك أرسلها مع كتاب منه الى الأستاذ
الاسلام . كلاً رأينا فالأت في بعض السطور اننا لندية سفر رأينا ان ننشر الكتاب ثم الرسالتين
لما في ذلك من تأييد الحق وصلة علماء الاقطار الاسلامية بعضهم : في التوازل
الفتوية ومن خذلان الباطل وأهله . وهذا نص كتاب العالم القاسمي :

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

« سيدنا الامام ، الدواكة الامام ، المتبحر مفتي الانام ، القائم بشريعة الاسلام ،
الطائر قصب السبق ، في الفضل والتقدم والمجد ، الأستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبد
الله سيدي محمد عبده ، سلام على سيادتكم ورحمة الله .

« أما بعد فالقصد الاعلام بأنا على محبتكم وودادكم وان لم نركم «البصائر»
لكن نرجو الله تعالى بفضل ان يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم
ومحبتكم صاحبنا وحبيبتنا الفقيه الوزير العلامة الاسعد ، البركة الفاضل الأجد ، أبو
عبدالله سيدي محمد التباس القاسمي وزير الحرب الآن الذي كان سفيراً بالجزائر قبل
هذا الوقت وان كان لم يتلاق معكم أيضاً هناك وقد تأسف على ذلك . ووجه خبركم
وهو بوجودة فرجع سره الى الجزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هناك وان كان تلاق
معكم بحله المبارك الامين سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ولا زلنا جميعاً نرجو الله
تعالى ان يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال ، بحاجه التي والآل .

« ثم انه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبحة أهل الكتاب فأجبته بما
قاله الامام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقت فيها بفاس مذاكرة قبل
هذا الوقت فكشفت فيها جواباً بذلك ، فإذا به جاءتنا جريدة من محروسة مصر فيها

فتواكم عن ثلاث مسائل فأعجبني في سرورت ما فاقته سرور ووضوح ما كتبتالي في انوار الـ
 لمسناها ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاما لبعض المارقين من الذين انقضت لذلك
 وهزمت ان أوجه لكم بعض ما كتبت تبينه فيها من كلام الاثمة المتهدين فشاؤرتني في
 ذلك الوزير المذكور ، فخط علي في تقديم ارساله على جميع الامور ، وأعجبه ذلك
 فظهور به غاية الفرح والسرور ، وبسلام عليكم أيضا وطالب الصالح أدعيكم في حفظ انكم
 وجاؤتكم والسلام . ١٤ ذي القعدة الحرام عام ١٢١٠ (المهدي الورزاني عباس)

وأما رسالة هذا العالم فهذا نصها وكتب انه لم يرسل جميع ما كتبه لعدم الحاجة اليه
 بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد فهذا جواب عما ذكر فيه الخوض بين الناس في ذبيحة الكتاني على توكل
 أم لا ؟ ففي نوازل الصلاة أبي عبد الله سيدي محمد الورزاني انه (سئل) عن ذبيحة
 الكتاني هل يحل المزكي كيفما كانته سواء وافقت ذكاتها أم لا أو فيها تفصيل ؟ (فأجاب)
 قال الامام ابن العربي : اذا سئل انصرافي عن حاجة مسلم للمسلم ان يأكلها لان
 الله تعالى أحل لنا كل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم وكما ما يرونه في دينهم فانه
 حلال لنا الا ما كتبهم الله فيه . الخ (وتقدم في الصفحة ٧٧٩ من انوار) ثم قال القاضي :
 « قلت وعضي قوله : وقد قال عبد الوفا : الخ انه حيث أباح العلماء وطء نسائهم
 وبناتهم المقبوضة منهم في المصالح معهم مع ان ذلك أشد من طعامهم الذي يستحلونه
 في دينهم فيجوز لنا أكل ذبيحتهم بالاحرى لانه يختلط في الفروج مالا يختلط في
 غيرها والله أعلم

« وقد أتني الامام الحفار بمثل ما قاله ابن العربي وانصرله كما في الميزان ووجهه
 فقال : أتني ابن العربي يجوز أكل ذبيحة ذلك نصراني رقيقها ولا اشكال فيه عند
 التأمل لانه تعالى أباح لنا كل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه المباح لهم
 من ذكاته المشروعة لهم ولا يشترط ، والله كتبهم لذكاتها : » - الخ . قاله الحفار وقد تقدم
 في (ص ٧٧٩ و ٧٨٠) من انوار . ثم قال القاضي :

« وقد كتبت ابن عرفة عن فتوى ابن العربي وأقرها وقال : حاصله ان ما يرونه بذلك
 عندهم حلال لنا وان لم يكن ذكاته عندنا ذكاة : » وهذا طرف البور والري في « انوار »

الحلفاء وسلماء أيضا. قلت: وأنتابع لهم أيضا

« الدلائل على صحة مسألة الإمام ابن العربي ما ذكره العلماء في مذبحه أهل الكتاب للصنم
فانه حرام مع المتخفة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا .
قال الشيخ بناني على قول المختصر « وذبح الصنم » مانصه : الظاهر أن المراد بالصنم
كل ما عبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصاب وغيرهما وإن
هذا شرط في أكل ذبيحة الكتابي كما في الثاني والزرقاتي وهو الذي ذكره أبو الحسن
رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبايح
ونصه : ذكره مالك رحمه الله ما ذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا
لقوله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يحرمه إذ لم ير الآية متأولة
وانما رآها مضاهية له لان الآية عنده انما مضاهيا في ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون ،
قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك : هـ .

« وقال في سماع عبد الملك عن أنسب : وسألته عما ذبح كنائس قال لأبأس
بأكله : ابن رشد : ذكره مالك في المدونة أكل ما ذبحوا لأعيادهم وكنائسهم ووجه
قول أنسب أن ما ذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب أن تكون حلالا لنا لان
الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وانما تأول قول
الله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يقتربون به اليها ولا
يأكلونه فهذا حرام عينا بدليل لا يبين جميعا : هـ .

« فتبين أن ذبح أهل الكتاب إذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لأنهم لا
يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة بإباحته (هـ) وهذا هو المراد هنا وما
ما يأتي من إنكاره في ذبح الصليب فالمراد به ما ذبحوه لأنفسهم لكن سموا عليه اسم
آلهتهم فهذا يؤكل بكرة لانه من طعامهم : هذا يفرض من كلام بناني وسلمه الرهوني
بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لانه علق جواز الأكل على كونه من طعامهم
والنص منه على ضد ذلك . وأيضاً ليس كل ما يحرم في ذكاته يحرم أكله في ذكاته
كمزكاة التذكية عمدا فانها لا تؤكل بدبختنا (١) وتؤكل بدبيحتهم حسبما تقدم فإذا المدا

(هـ) التام : يؤيده ما سبق ان المدا في التذكية على القصد الى الاكل (١) هذا على

مذهب المالكية وأما الشافعي فيبيح أكل ذبيحة المسلم وإن ترك التسمية عليها عمدا أو سهوا

على كونها من طعامهم لا غير والله أعلم

« فظهر من مقاله الامام ابن العربي لم يفرده بل تبعه عليه جماعة من المحققين ، لكنه اعترضه عليه جماعة من المتأخرين ، قال ابن ناجي في شرح الرسالة : واذا كان النصراني يسئل عنك السجاسة فالمشهور ان لا تؤكل وأجاز ابن العربي أكلها ولو رأيت يسئل عنها لانها من طعامهم : ابن عبد السلام وهو بعيد : ه ونازع البساطي فقال : ليت قوله هذا لم يخرج للوجود ولا سطر في كتب الاسلام : ه ابن سراج : وهو حقوة لا تا اذا لم نستبح الوحشي بقرهم فأحرى الانسي . وعلى استباحته فعليه الحنفي بأنه ذكاة عندنا وعقرهم الانسي ليس بذكاة عندنا فلا يباح ذلك : ه

« قلت وهؤلاء المسترضون عليه لم يأتوا بحجة ولا دليل ، ولا بصريح أو رواية تدعي الظيل ، وإنما أتوا بمجرد كلام خضن ليس فيه أدب مع القاضي ، لا اعتقادهم أنه خالف ماقرر قبله في الزمان الماضي ، ولا سيما الشيخ الرهوني رحمه الله . وايضا المترض عليه هو ابن عبد السلام وابن سراج والبساطي ، والمؤيد لكلامه هو الحفار وصاحب المعيار والزياتي فيتقابلان وينساقطان ويبقى كلام ابن العربي سالما

« وقول الشيخ الرهوني : ويكتفي في كون ما لابن العربي شاذا اذ اتفق الائمة على عزوه له وحده الخ : فيه نظر ظاهر لآن هذه المسألة إنما تكلم عليها ابن العربي فقط دون غيره من الائمة فلم يتعرضوا لها بنفي ولا باثبات فلذلك نسبوها له وحده وإنما يصح ما ذكره لو تعرضوا لها في كتبهم وأفتوا فيها بخلاف مقاله هو فهذا يصح له مقاله . أما حيث ~~مكتوا عنها~~ وهو الذي تكلم عليها بالخصوص فلا . وأما اعتراضهم عليه فقد مناهم لم يأتوا عليه بدليل فهو والمدم سواء . وقول ابن سراج : لا تا اذا لم نستبح الوحشي بقرهم فأحرى الانسي الخ : لاجحة فيه لان الوحشي كما قاله ابن قاضي إنما لم يستبح بقرهم لان فيه نوتا من الصيد أي وايسوا هم من أهله تأمله . وايضا مقاله غير متفق عليه عندنا بل مترض ولا يخرج بخلاف فيه كما هو معلوم . قال الزرقاني على قول المختصر « وجرح مسلم » الخ مانعه : فلا يؤكل بصيد الكافر لقوله تعالى « تناله أيديكم ورماحكم » أي والخطاب للمؤمنين وإنما افرق صيده من ذبحه لان في الصيد نوع تبعد ووقفا مع الاضافة الى المؤمنين في الآية ولا يبارضه عموم « وطعام

الذين أوتوا الكتاب حل لكم . كما استدل به أشهب وابن وهب وساجدة على عدم اشتراط الاسلام لحطبها بالآية الاخرى مما بين الدليلين : الخ

وقال في التوضيح : الاستدلال بهذه الآية على منع سيد المصطفى هو الذي في المدونة وفيه نظر لأنه اشكل في الرد بهذه الآية تحمل المراد بها يا حنيفة العميرة وقيل منه واستارده البعض وغيره ، وان المراد الامتناع في حال الانسجام ، والاعتلاء في غير ذلك . والاشكال على بعضهم عند قوله تعالى لا يرسل الله من يخالفه بالدين . فقوله تعالى : من اعتدى بعد ذلك فله عذاب العج ، انه قوله تعالى واقراء ، وكذا سخطه الرهوني يسكره عقبه . فاستدلال ابن سراج بقوله باطل لا يصح ، وغادر الرهوني على قول الزرقاني : كما استدل به أشهب وابن وهب : الخ مانعه : مقاله هؤلاء ، هو الذي استارده الساجي وابن تونس وابن العربي والبعضي . وقيل انه مكره وقال ابن بعبس ويحسب ان تحمل المدونة على الكراهة : الخ فانت ترى بعضهم نظرا في كلام المدونة بعضهم تأوله كما ان جماعة من أهل المذهب مخالفوه فكيف يستقيم الاستدلال به لابن سراج ؟ والله أعلم .

قوله وقيد عبيد ربه تعالى محمد الوزاني ، اه الحسني العمراني (الان) جاء في كتاب العبد من المدونة بعده تقدم في سيد اليهودي والانساني مانعه : قال سفيان قال ابن وهب لأبى بكر بن سريج قال علي بن زياد قال لا أرى به بأسا لان الله تبارك وتعالى قال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم اه

وهذا هو الثمين والآية وابست في الموضوع وانحسا هي في الحرم باطبع وساء في كتاب السباح من المدونة مانعه :

قلت أقبل فذبح نساء أهل الكتاب وصبياتهم . قال ما سمعت من مالك فبسه ميتا ولكن اذا حل ذبائح رسلهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبياتهم اذا أطاعوا الذبح قلت : أرايت ماذا جأوا لأعدادهم وكنا نسهم أبوا كل ؟ قال قال مالك أكرهه ولا أحرمه وتناول مالك فيه (وأوفى أهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يحرمه . قلت أرايت ماذا ذبحت اليهود من الفم فأصابوه فاسدا عندهم لا يستحلونه لاجل الرقة وما شبهها التي يجرسونها في ذبائح أهل أكله للمسلمين قال كان مالك صرة يحينه فجا باني ، اه

فأنت ترى هذا النص أوسع مما ذهب اليه ابن العربي الذي اشترط ان يأكل منه

أخبارهم وروايتهم وإذا كان الاسم مذكور في النص في المبرم بحسب ما ينبغي وهو ما أعلن
 فيه الله لا حول محوم حل طمام الكتابي قسائل القاضي أي يمكن نقل الكتابي عنه
 لا يحتاج إلى تأويل فإن القرآن لا يتأوله إلا من المبرم من الميتة حقيقاً وأما من المصلحة
 ومنهدها ثم أن من أول المذهب ولا يفتن فيه فإن المصلحة في الملة ما انفقت بدون فعل
 العمل هو القدر ووجهه حقيقة القدرين كمال أبي جعفر في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا

ما كنتم (المراد بالمراد من قوله ١٢٩)

مما أرى على هذه الأقوال بالصواب قول من قال هي التي تحقق التي وثاقها أما إذا كان
 وأما في الموضع الذي لا يقدح على التخصيص منه فيحقق حق ثبوت وإمكانه فذلك ما أرى
 بالصواب في تأويل ذلك من غيره لأن المصلحة هي المصلحة لا بالاعتقاد دون تحقيق خبرها
 طاولوا كان مضياً بذلك أنها مفعول بها الفعل هو المصلحة حتى يكون هي السكينة ما كان الله

رسالة العالم التونسي

لأن العلامة التقاد السيد منشيء في المنار الأخر

لقد كنت أحب أن أوجه إلى مزاركم شيئاً من فوائده أفكاري ، وأبسط بقلبي
 الطيبا قديماً من تاري ، وما كنت أحب أن يسبق أول شيء أن أذكركم فيه رأيي
 وسألتكم كثر فيما القبط ، والاختلاف القبطي القبطي ، ولكن من المصلحة
 أن أستهد الناس وتهاهم على مبادئ الملة في هاتين المسألتين فليكن في ذلك
 يوزم أصدره وأردوا فيها هاتين النتيجة التي توافقكم ، ولعلكم تعلمون أن أول
 في مزاركم بحقيقات أحب أن أزيل بها أو غافاً عن بعض الأجزاء من الملة فليكن
 يجرى به فليكن للمسائل العامة الحقيقية الاجر يدرككم التي تجلب على أساسها الملة
 والشرح لأعلى منها جرف الجود والمقالة ثم يصعد من ذلك في المسائل
 وسرعة المتأخرين إلى تسليم سلاح الجسد ، وما صادقت مسألة كثير من الناس
 سهل مركب ، واعتاد على هذا إرضاء العامة وتصب في حاشي المسائل
 وها مسألة لكل موقوفة العكس أني ونحوها من طامه ومسألة في نفسه أو
 نحوها من لباس غير المسلمين ، التان أفق فيما ذلك الاستناد الزمان بمسقي الديار
 المصرية بلجوان بعض مسلمي الترانقال وأبان ذلك بما لا يمنع فيه ، ولا يتوقف

بمد النظر اليه ، ولكن بعض من استهده حب الهديان ، والحكم فيها لا ترضى فيسه
 حكومته من مسائل الاديان ، أبى ان يلقى عصا التسليم ، ووجدها فرصة للطمان في
 رجل من العلماء عظيم ، بتوبيات وربما استرهبت العامة الذين دينهم الفهم ، واستهوت
 العلماء المشبهين بهم ، الذين هم نزلت بهم الحادثة . مردوا ما يفظونه من الكلمات ،
 بدون ملاحظة الجانب الحقيقة ولا التفات ، وقد كان الكثير من المتكبرين ساهين أو
 متفاضلين عن مصدر المسألة هل هو الرغبة والاستعجاب ، أم تحقيق الحق وإزالة
 الحجاب ، ولكن مع هذا لم يزل من بين قه منا طائفة من اساندة العلوم الذين تظن
 نباهتهم القشر من السب يفهمون الحقيقة خلافا لما لحناء في بعض الجرائد المصرية
 — ان صدقت — من الحنكية عن الازهرين خطأ صريحاً ، وكم من غائب قولاً
 صحيحاً ، وربما كان بعض الجرائد التي لا يقوم لانتباهها وزن في الاجتماع ، ولا يلهو
 بها الا البطالون من الرعاع . قد أخذت في هاتين المسألتين نصيباً مع الناس . وأحب
 من هذا وذلك انهم رأوا ان يغفروا الجدال في هاتين المسألتين بتوجيههما الى حكم
 مشيخة الاسلام في الاستانة الماية وجهلوا ان حكم الله لا يثبت الا لليل ، سواء كان
 من الاكثر أم من القليل ، وسواء أحبه الناس أم كرهوه ، وبادر المحبون الى العمل
 به أم أخروه ، وذلك كله أثباتاً (وهو صادق فيما ينبغي) ان كثيراً من الجرائد
 المصرية لا يترقب من بحثه بيان الحقيقة أو بالأقل دفع معرفة الغلط وانما يقصد أن
 تصدر جريدته في المقات المعين لها ملأى كلاماً ، ولو علم انه يبحث يقال لثله فيه عند
 المارضة سلاماً ، ونحن (وان كنا في شئ عن تعب تغيير هاته الاخلاق بما اترتموه
 في مشاركم من تشخيص الحقيقة) أجبنا ان نصنع بكلماتنا ليعلم أهل الحق ان لهم نصراء
 لايزالون ظاهرين وان أصبحوا ضغفاء الشيعة . وربما رطط يربدون مسخ الحق وتشنيعه ،
 وما كان الله تعالى ابودع دينه أو يضيعه :

الموقوذة ونحوها من ذكاة أهل الكتاب

« لما انقسم الناس في الدين الى مقلدين وناظرين وجب ان نخوض عباب هاته المسألة
 تارة الى وجهة التقليد واخرى الى هدي النظر . فأما الخطوة الاولى فان الناس بعد
 ان اتفقوا أن الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب واتفقوا على ان ذبايحهم داخله تحت

عموم طعامهم وافقوا على أن لا يشرط في ذبحهم أن تكون على الوصف المصطوري كتبهم اختلفوا فيما كان من ذكائهم على بعض المذاهب التي نص الله تعالى في صدر الآية على تحريمها كالنخلة والموقدة وما أهل به لغير الله والخلاف فيها في مذهب مالك معلوم أن كان ذا بصير في الفقه ذهب ابن عبد الحكم وابن وهب من أصحاب مالك فيما يجمع لغير الله للكنيسة أو للمسيح إلى جواز أكله وذهب ابن القاسم إلى منعه وهذا يرشد إلى أنهم يختلفون في تخصيص الطعام بالمباح بشر ما لم يكن في تخصيصه بحرم ما لم يكن عينا بحالة لا يكون فيها طعام أهل الكتاب، ونحن هنا لا يهمن أن نبحث عن ترجيح أحد الاحتمالين حتى نبحث في المسألة بحث المجتهدين. وعلى قولي ابن عبد الحكم وابن وهب أنني ما أتفق به القاضي أبو بكر ابن العربي. والذين يكشف عن خلاصة الفقه في هاته المسألة قول الامام عبد المنعم ابن الفرس الحزرجي الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ في أحكام القرآن ونصه:

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى «وطعام الذين أوتوا الكتاب» فلا خلاف في أنها حلال لنا وأما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلاف فيه فذهب الأكثرون إلى أن ذلك من أطعمتهم. وذهب ابن عباس إلى أن الطعام الذي أحل الله لنا ذبائحهم فأما ما خيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه. وإذا قلنا أن الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عموم أم لا؟ فلا أكثر إلى أن حل لفظ الطعام على عموم في كل ما ذبحوه مما أحل لهم أو حرم الله عليهم أو حرموه على أنفسهم. وإلى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم إلى المراد من ذبائحهم ما أحل الله خاصة وأما ما حرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم. وذهب قوم إلى أن المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعا لا ما حرم الله عليهم خاصة لا ما حرموه على أنفسهم. إلى نحو هذا ذهب أشهب. والذين قالوا الله يجوز لنا كل ما لا يجوز لهم أكله اختلفوا هل ذلك على جهة المنع أو الكراهة وهذا الخلاف كله موجود في المذهب واختلاف أيضا في ما ذبحوه لآعيادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الإباحة أم لا؟ فذهب أشهب إلى أن الآية متضمنة تحريمه وإن أكله جائز وكرهه ما شرحه الله وتناول قوله تعالى «أو فسقا أهل لغير الله به» على ذلك. «الذين أوتوا الكتاب» اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى

منهم ٥٠٠ وقد اختلفوا في الجوس والصائبة والسامرة (كذا) فهل هم ممن أوتي
كتاباً أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم وما كتبهم أم لا

والناس وإن اختلفوا في الرجل يدعو إلى ولجة النصراني هل يأكل ما بارأه ويخذه
نهم ينفقون في محل الضرورة في بلادهم لا يذبحون الأكل ذلك فساداً يمنع المسلمين
بهم أن يمسوا كائنات الكعبة فترك مسألة تدبر الضرورة ما هي في قوله تعالى «لا
ما اضلوا ربهم إليه» ولنا قولنا فيهم (٥)

فإن أردنا أن نخرج من في حاته المسألة فتوض المارفين الناظرين - وقيل ما هم - قالوا
تقول وردت الآية «من ذكأكم الميتة والدم» الآية طهرت أشياء سميت وأباح
شيئاً بالعموم وهو طعام الذين أوتوا الكتاب من المحتمل أن يكون عموم قوله «طعام الذين
أوتوا الكتاب» مخصوصاً ببعض من الحمرات وقد يحتمل أن الله تعالى أراد عموم الطعام
فأورد به بعد ذكر المتوضعات على وجه يشبه ورود النسخ بعد النص وإن كانت الآية
هنا واحدة والخفية خاطبة يرون العام الوارد بعد الخاص فاستخا وخالفهم جمهور المالكية
والشافعية فأروه مخصوصاً بالذئمة والحقيقة في هذا الأصل أن العام إذا ورد بعد الخاص
على وجه لا يمكن فيه الجمع بين عمومه وتخصص الخاص ينسخ الخاص لقصداء مملونه
عموم لا يعلله فتكون شبهة بالبيان ولهذا سماه الخفية فاستخا نظراً لنسخه ما اقتضاه
الخصوص أول مرة ولم يسم غيرهم نظراً إلى أن النسخ ابطال الحكم كله وكأنه متلفس
في اللفظ والغاية متحصدة .

ولقد رأيت رأياً رتباً وجح أحد الاحتمالين أيضاً وهو أن الله تعالى أحل لنا طعام
أهل الكتاب بعد أن قال «اليوم أحل لكم الطيبات» والطيب ما وافق شرع الله
تعالى مما شرع لنا ثم قال «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم» فيه بطلان عموم
الطيبات عطفت الجملة على الجملة أنه حلال - قد لم يكن على شرطنا وكان في مقابلة يكونه

(٥) النار : إلى هنا انتهى بحثه في المسألة من جهة التقليد وبه علم أن كبار أئمة
المذهب قالوا بحل ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن لم تكن على طريقنا بل ولا على طرقهم
في قولنا وإن ذكرها عليها اسم غير الله تعالى . وأما بحثه الآتي فهو من طريق النظر
والاستدلال وهو لا يزيد قارئه إلا صيرة في الدين وإن كان مقلداً

فيها غير طيب أو تحقق فيه أما إن وافقنا فلا حاجة إلى التخصيص عليه. وأما ما قاله
تعالى وأوتوا الكتاب هودن الذين يمسكون بالكتاب أو يقرءون بكتاب ليس فيه
إلا أن مناط الحكم هو أن يكون الطعام طعاماً من له. فإنا لا نلزم أن يكون الكتاب
تأريخاً لم يبق من الأسماء وتسميته فلا يكتفى بالبحث عن صحة فهمهم فيها أو تواتر من ذلك
وكيف كان ذلك وهو تعالى يعلم وقد علمنا أنهم يملكون كتبهم بغيره لا وقع اللغة
بها ونسب الملبس بصحة أي شيء منها لا احتمال التبديل فيه. فذهب ما يذهب كثير من
الناس بسرد علينا نصوص التوراة. ومن عجيب طائفة المفسرين البكية أنهم يشتدون
بالتركيز على الناظرين في الدين ثم هم يجاهدون فيه ويشرحون مراد الله تعالى بالتوراة
والإنجيل، بعد ما يتقوا من التحريف والتبديل.

أما قول قسوى الأستاذ الامام من هذا الباب إلى باب ما يذبح بعد عقربه أو جرحه
فانظر إلى حاله دخول إلى مظارة يسر الخلاص منها لأنه بعد موضع يفصل فيه الفقهاء
حالياً بعد أن قد هل كانت تعمل فيها لذلك واحتجاج الاستاذ الامام أيده الله وسؤال السائل
يدل أن اهتماماً قصداً للصحة عندئذ كان من أهل الكتاب لأن المسلم يستأنف فعله (*)

﴿ ليس القنسوة ونحوها من لباس الكفار ﴾

أما مسألة القنسوة فليس من حيث التقليدان الفقهاء ما قالوا إن لبس أي شيء من
ثياب الكفار موجباً للردة إلا لبس الدين حيث ينضم إليه قرأني تقيدها كثيراً قطعاً بان
صاحبه السامع عن الدين وافر عظيم بين محور الزنار لباس الكنيسة وبين لبس القنسوة
ونحوها من لباس الشعب والأمة التي ما كان الدين فيها إلا اتفاقاً وقد أنهى بعضهم
حكم لبسها إلى الوجوب وبين الردة والوجوب مراتب كثيرة منها التكرار أو الإباحة
والذي يجب أن ينظر نظر المنقضي عليه من التقاليد يمكنه مع ذلك أن يحجز بحالة الحكم في
صورة الاستفتاء فإن كنا من أهل الغفر قلنا الردة لا يجوز أصراً لا تحلفان لا بالمواد

(*) النار : قد أوجز الكاتب هنا اعتماداً على قصصه في السابق وهو أن الدليل
المنطقي ونص المذهب يدلان على أن طعام الكفار حلالاً كيفما دكي فالتعديل الذي
ذكره الفقهاء على هذا خاص بذكره للمسلم كأنه يقول إذا كانوا أحلوا ما أهل به لغير الله
من ذبائحهم وأحلوا ما خلقه وعقروه ، فكيف لا يحلون ما ذبحوه .

والإسلام شيء يتأق الاذعان الى لاسكاه الشريعة والاعلان بتصميم القلب على تصديقها فلا يصلح الا حيث انتهت هاه المنومات وربما كان بهض اللباس مع بعض قرائن مؤذناً بالصلاح صاحبه من الاسلام ولكن يكرن ذلك حيث يكون اللباس لباس الدين لالباس الامة وحيث ينضم اليه ترك الاعلان بكلمة الاسلام والتردد على شوائر الكفر وكل واحد من هذين كاف في الردة وفقاً وخلافاً بين العلماء إما التزام عادة من عادات الكفار لحب في العادة لافي دين أهالها أولاً لانتباطها على حاجة الرقي في الوجود المدني فليس من الكفر في شيء .

ليس اسلام العربي في عساته والالكفر اذا خلصها عند وضوئه ولا كفر الكافر في قيمته والا لكان مسلماً اذا كشف راسه للسلام . وإنا ننظر أنواع الشعوب الذين انفقوا في الدين يختلفون في اللباس اختلافاً بعيداً وما يتضي ذلك باختلافهم في الدين كاختلاف أصماغ المسلمين بين حجازي وتركي وفارسي ومصري وتونسي كل لباس منها بخلاف لباس الآخر خلافاً بيناً والكل غير لباس الصحابة . فاذا لبس الرجل لباساً باعتبار اصله فيه . فذلك الواجب أدبا عليه . قد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والخطباء الراشدين فاسمنا . ولو كان لسمنا شيئاً تتوفر دوني العلماء على نقله ولا يتمد به شيوعه عن وصول ذكره . أحد منهم أمر الفارسي ان يتحول الى اللباس العربي ثم مشاهدة المساواة اليوم بين مسلمي القهر الواحد وكفاره في زي واحد شاهدة على ما تقول الابدان ميز المسلمون أهل ذمتهم بعلامات حين أرادوا ان يكتنوههم ايمانهم من بعد عهدهم ولا يرقبون فيهم ذمتهم . وهل كانت ثياب رسول الله وأصحابه إلا كتياب المشركين من العرب ؟ أم هل علمناهم حين دخلوا في الخليفة استبدلوا لبوسهم ؟ كلا ان الدين لا كبر من الاهتمام بمسايسم له المسنطات وسخفاء المزئين

أما استبدال الرجل بزي زيا آخر كيف كان بلادع قصد للعلاء فتبي يدل على سخافة عقل وانحراف ادراك ولذلك يتخذ سخريا بين الناس في كل زمان ومكان . ترى الرجل يلبس لبوس الافرنج لكونه من أهل الدولة فلا يلوم . أو يسخر منه أحد فلو لبس عبامة العلماء وطيلباسهم لكان ضحكة لاصاحبين . وبالعكس نرى العالم مثلاً . وهذا

هو دستور هاته المتشابهات التي صيرت السهل حبيلا، جهات هؤلاء القوم لا يكادون يهتمون سبيلا، واليكم تحققي سلامي على بعد الدار، وقناعة من التعرف بالأخبار، وحرر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢١ هـ

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

سأل سائل من طلاب العلم في الجامع الأعظم بتونس اسمه (أبو بكر العروسي) عن مستند مفتي الديار المصرية في الفتوى لشركة التأمين على الحياة التي نشرت في جريدة المغرب نقلا عن جريدة الوطن وإطال الكلام بأحكام فقهية مالكية ليست من موضوع الفتوى فيها شيء وانما هي من موضوع ما كتب في الجريدتين فعمدنا من ذلك وكتب الى المفتي عالم من (وحدة) في الجزائر كتابا يقول فيه انه اطلع على ما نشرته جريدة المغرب وانه رأى ان الفتوى منطبقة على السؤال وانها حق في نفسها ولكنها لا تنطبق على موضوع شركة التأمين على الحياة وشروطها أي فسادت الشركة منها غير الايهام ولمسأرتنا ما كتب في جريدة المغرب قد استعجنا وسؤالا في بلاد المغرب على ان ما نشر في جريدة الوطن لم يستعج مثل ذلك في المشرق احيانا ان نين الحظيفة قد ذكر أولا صورة السؤال والفتوى كما نشر في جريدة المغرب ثم نين منار وهم الطالب فنقول (اما صورة السؤال فهي)

حاضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية
ماقولكم دام فضلكم في شخص يريد ان يتعاقد مع جماعة (١) على ان يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة واشترط معهم انه اذا قام بما ذكر وانتهى أمد الاتفاق المعلن باتهاء الاقساط المئوية وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخص من الارباح واذا مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أولي له حق الولاية في ماله ان يأخذوا المبلغ المتفق مورثهم مع الارباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيد لأربابه بما ينتجه لهم من ربح جائز شرعا رجوكم التكرم بالإفادة أقدم :

(١) نشرت شركة الجرشام في مصر هذه الفتوى في كراس طبعت في ران موضوعها واعمالها وزادت في السؤال هنا في عند ذكر لفظ جماعة (شركة الجرشام مثلا) ووضعت لي يادها هكذا بين قوسين للإشارة الى انها لم تكن في الصورة التي قدمت لفتحها وأجاب عنها

في الجواب

الحمد لله وحده

لو صدر مثل هذا التاميم بين ذلك الرجل وهو لاء الطماعة على الصفة الثالثة تورة
كان ذلك سبباً شريعياً يجوز تلك الرجل بعد انبائها الاقسام في العمل والالتزام
التي هي انما بأخذها لو كان معاً ما يكرهه من المال مع ما يصلحة من الرعي وكذلك يجوز
أن يوجب نفسه مائة من ورقنا أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ
ما يكون له من المال مع ما يصلحة من الرعي والله أعلم
(المادة الخامسة من السؤالين الأولين) الجواب الثاني أن ذكرنا الكلمة الزائدة
وهي شركة بل يشام مثلاً في الخامس. فأين متناهي على الحياة؟ ومن قال أو من قبله
أن المقي يوجب عن نيات الناس دون أنفسهم ومن أمثال العامة (أن الفتوى على قدر
التمس) أي نفس السؤال؟ نعم أنه يجوز للمفتي أن يفيد السائل بأكثر مما يطلبه إن
وآه عتاجاً إلى ذلك ولكن ليس لشتات العلم وقدر رأي فتوى استدلال بها على ما لا يدل عليه
في رأيه أن يقول ما يستند هذا الفتوى في تجوزها ذلك الأمر الذي استدلال بها عليه !!!

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(الوجه الثاني والخمسون) قولكم: إن عمر كتب إلى شريح: أن قض عسافي
كتاب الله فإن لم يكن في كتاب الله فيما في سنة رسول الله فإن لم يكن في سنة رسول الله
فما قضى به الصحابون فهذا من أظهر المصحيح عليكم على بطلان التقليد فإنه أمره أن يقدم
الحكم بالكتاب على كل ما سواه فإن لم يجد في الكتاب ووجد في السنة لم يلتفت إلى
غيرها فإن لم يجد في السنة قضى بما قضى به الصحابة ونحن ننشد الله ثروة التقليد هل
هم كذلك أو قريبا من ذلك؟ وهل إذا نزلت بهم نازلة حدث أحد منهم نفسه أن يأخذ
حكمها من كتاب الله ثم يخذله فإن لم يجد في كتاب الله أخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه
عليه وآله وسلم فإن لم يجد في السنة أتى فيها بما أتى به الصحابة والله يشهد عليهم وملائكته
وهم شاهدون على أنفسهم أنهم إنما يأخذون حكمها من قول من قلده وإن استبان
في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة خلاف ذلك لم يلتفت إليه ولم يأخذوا بشيء

منه الا بقول من قلده فكتاب عمر من أبطل الأشياء وأكسرها لقولهم وهذا كان
 صير السائق المستقيم ، وهدمهم القوم ، فلما انتهت التوبة الى المتأخرين ساروا عكس
 هذا السير ، قالوا : اذا زلت النازلة بالفتي أو الخاصكم فليعلم ان ينظر أولا هل
 فيها اختلاف أم لا ؟ فان لم يكن فيها اختلاف لم ينظر في كتاب ولا في سنة بل يبقى وبقي
 فيها بالاجماع وان كان فيها اختلاف اجتهد في أقرب الأقوال الى الدلائل ففتى به وحكم به
 وهذا خلاف ما دل عليه حديث معاذ وكتاب عمر وأقوال الصحابة والذي دل عليه
 الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أولى فانه مقدور مأمور فان علم المجتهد بما دل
 عليه القرآن والسنة أسهل عليه بكثير من علمه باتفاق الناس في شرق الارض وغربها
 على احكامهم وهذا ان لم يكن متعذرا فهو أصعب شيء وأشق الا فيها هو من لوازم
 الاسلام فكيف يحيلنا الله ورسوله على مالا وصول لنا اليه ويترك الحواشي على كتابه وسنة
 رسوله اللذين هدانا بهما ويسرهما لنا وجعل لنا الى معرفتهما طريقا سهلة التساؤل من قرب .
 ثم ما يدريه قلل الناس اختلافوا وهو لا يعلم وليس عدم العلم النزاع عما يصدم فكيف يقدم
 عدم العلم على أصل العلم كله ؟ ثم كيف يسوغ له ترك الحق المعلوم الى أمر لا يعلم به وغاية أن
 يكون موهوما وأحسن أحواله ان يكون مشكوكا فيه شكاً متساويا وارجحا ؟ ثم كيف
 يستقيم هذا على رأي من يقول انقراض عصر المجتهدين شرط في صحة الاجماع فسلم
 ينقض عصرهم فلن شيء في زمنهم ان يخالفهم فصاحب هذا السلوك لا يمكنه ان
 يحتج بالاجماع حتى يعلم ان العصر انقرض ولم ينشأ فيه مخالف لأهله .

وهل أحل الله الامة في الاقتناء بكتابه وسنة رسوله على ما لا سبيل لهم اليه ،
 ولا اطلاع لأفرادهم عليه ، ؟ وترك إحاطتهم على ما هو بين أظهرهم حجة عليهم باقية
 الى آخر الدهر وهم متكئون من الاهتداء به ومعرفة الحق منه وهذا من أعمال المحال ؟
 وحين نشأت هذه الطريقة تولد عنها معارضة النصوص بالاجماع المجهول وانتج
 باب دعواه وصار من لم يعرف الخلاف من المتقدمين اذا احتج عليه بالقرآن والسنة
 قال هذا خلاف الاجماع وهذا الذي أنكره أمم الاسلام ، وما يوا من كل ناحية على
 من ارتكبه وكذبوا من ادعاه . فقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله : من ادعى
 الاجماع فهو كاذب لعل الناس احتفوا ، هذه دعوى بشر المريسي والاصم ولكن

يقول لا تعلم الناس اختلافوا أو لم يبلغه ، وقال في رواية المروزي : كيف يجوز لأرجل
أن يقول أجمعوا إذا سمعهم يقولون أجمعوا فاتهمهم لو قال اني لم أعلم مخالفا كان (أحسن) :
وقال في رواية أبي طالب : هذا كذب ما علمه ان الناس يجمعون ولكن يقول ما أعلم
فيه اختلاف فهو أحسن من قوله اجماع الناس : وقال في رواية أبي الطارث : لا ينبغي
لأحد ان يدعي الاجماع بل الناس اختلفوا : ولم يزل أئمة الاسلام على تقديم الكتاب على
السنة والسنة على الاجماع وجماع الاجماع في المرتبة الثالثة قال الشافعي : الحجة كتاب
الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة : وقال في كتاب اختلافه مع مالك : والعلم طبقات
الاولى الكتاب والسنة الثانية ، ثم الاجماع فيما ليس كتابا ولا سنة ، الثالثة أن يقول
المصاحبي فلا يعلمه مخالف من الصحابة ، الرابعة اختلاف الصحابة ، الخامسة القياس :
فقدم النظر في الكتاب والسنة على الاجماع ثم أخبرناه انما يصير الى الاجماع فيما لم يعلم
فيه كتابا ولا سنة وهذا هو الحق

وقال أبو حاتم الرازي : العلم عندنا ما كان عن الله تعالى من كتاب ناطق ناسخ
غير منسوخ ، ومصحح به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالما بعارض
له ، وما جاء عن الاولياء من الصحابة ما تفقوا عليه فاذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم
فاذا خفي ذلك ولم يفهم فمن التابعين ، فاذا لم يوجد عن التابعين فمن أئمة الهدى
من اتباعهم مثل أيوب السجستاني وحسين بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان ومالك
والاوزاعي والحسن بن صالح ، ثم ما لم يوجد عن أمثالهم فمن مثل عبد الرحمن بن
مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن ادريس ويحيى بن آدم وابن عينة ووكيع
بن الجراح ، ومن بعدهم محمد بن ادريس الشافعي وزيد بن هرون والحميدي وأحمد بن
حسب وسحق بن ابراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم : انتهى

فهذه طريقة أهل العلم وأئمة الدين جعل أقوال هؤلاء بدلا عن الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة بمنزلة التيمم انما يصار اليه عند عدم الماء ، فعلى هؤلاء المتأخرون المقلدون الى
التيمم والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير ، ثم حدثت بعدهم فرقة هم أعداء العلم
وأهله فقالوا اذا نزلت بالفتي أو الحاكم نازلة لم يجوز أن ينظر فيها في كتاب الله ولا سنة
وسوله ولأقوال الصحابة بل الى أقواله مقلد مومنينه ومن جعله عيارا على القرآن والسنة

فما وافق قوله أثنى به وحكم به وما خالفه لم يجز له أن يفتي به ولا يقضي به وإن فعل ذلك تعرض لزلزلة عن منصب الفتوى والحكم واستفحق له ما تقول السادة والفقهاء فيمن ينسب إلى مذهب امام ممين يقلده دون غيره ثم يفتي أو يحكم بخلاف مذهبه هل يجوز له ذلك أم لا؟ وهل يقدح ذلك فيه أم لا؟ فينفض المفسدون رؤسهم ويقولون لا يجوز ذلك ويسدح فيه ولعل القول الذي عدل إليه هو قول أبي بكر وعمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأمثالهم فيجيب هذا الذي اتصّب لتوقيع عن أئمة ورسوله: بأنه لا يجوز له مخالفة قول متبوعه لأقوال من هو أعلم بالله ورسوله منه وإن كان مع أقوالهم كتاب الله وسنة رسوله: وهذا من أعظم جنائبات فرقة التفتيد على الدين، ولو أنهم لموا أحدهم ومربّيهم وأخبروا بخبر عاجز دأبوا وجدوه من السواد في البياض من أقوال لا أعلمهم بصحتها من باطلها السكان لهم عند الله ما عند الله ولكن هذا يبلغهم من العلم وهو معاداتهم لأهلها وللقاتل لله بحجته، وبالله التوفيق.

(الوجه الثالث والخمسون) قولكم: منع عمر من بيع امهات الاولاد ونسب الصحابة وألزم بالطلاق الثلاث وتبعوه أيضا: جوابه من وجوه (أحدها) أنهم لم يتبعوه تقليد الله بل ادأهم اجتباهم في ذلك إلى ما دأه إليه اجتباوه وإقبل أحد منهم قطري رأت ذات تقليد العمر (الثاني) أنهم لم يتبعوه كلهم فهذا ابن مسعود بخلافه في امهات الاولاد وهذا ابن عباس بخلافه في الالتزام بالطلاق الثلاث وإذا اختلفت الصحابة وغيرهم فالحكم هو الحجة (الثالث) أنه ليس في اتباع قول عمر رضي الله عنه في هاتين المسألتين وتقليد الصحابة — لو فرض — له في ذلك ما يسوغ تقليد من هو دونه بكثير في كل ما يقوله وترك قول من هو مثله ومن هو فوقه وأعلم منه فهذا من أبطال الاستدلال وهو تعاقب بيت الشكوك فقلدوا عمرس وتركوا تقليد فلان وفلان فأما وأنتم تصرّحون بأن عمر لا يقلد وأبو حنيفة والثمامي ومالك يقلدون فلا يمكنكم الاستدلال بما أنتم مخالفون له فكيف يجوز لأرجل أن يمتنع بما لا يقول به.

(الوجه الرابع والخمسون) قولكم: إن عمرو بن العاص قال لعمر لما احتج خذ ثوبا غير ثوبك فقال: لو فعلت صارت سنة: فإن هذا من الأذن من عمر في تقليده والاعراض عن كتاب الله وسنة رسوله وغاية هذا أنه تركه لثلاثي قدي به من براء

ويفعل ذلك ويقول : لولا ان هذا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعله
عمر : فهذا هو الذي خشيه عمر والناس مقتدون بعلماهم شاءوا أو أبوا فهذا هو الواقع
وان كان الواجب فيه تفصيل

أثر الحماسة

التعريض

(الحماسة السنية الكاملة المزينة ، في الرحلة العلمية ، التكرية الشنيطية)

للشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنيطي شهرة طارئة في جوعولم العربية
كأنهنا بذلك مراراً وتحت محبو العلم من المارفين بمكانة هذا الرجل منه وبهي الاستفادة
منه لو بطبع له تأليف يزادون به علما ، ونشرهم بأن رحلته العلمية تم طبعها من
عهد قريب ونشرت في هذا الأيام ، فيه يحمل من سيرة الشيخ وآثاره في التنظيم والنثر ، فمن
ذلك ابتداء تحصيله بالمغرب وابتداء رحلته إلى المشرق ، وذكر ما استنبطه من العلم الذي
أخطأ فيه من قبله ، وذكر بعض مشهورات قبائل العرب ، وفيها مناظرات ومكانات بينه
وبين بعض العلماء في المغرب والمشرق ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة ، وقد سلكه
المؤلف في رحلته هذه مسلك الحرية التامة في كتابة ما يفتقده في نفسه وفي غيره من
الذين خالفوه في بعض المسائل وأبغى على المخالفين له بشدة عظيمة ، وإذا كانت هذه الطريقة
متممة عند بعض القارئ فهو الذي عهدناه لا يخاف في حق اعتقده لومة لائم
ولمما نشر من الرحلة شيئا في المنار ، واتناحت أهل العلم والادب على قراءة هذه الرحلة
فانهم يجدون فيها من سيرة هذا الرجل الشهير ومن علمه وأدبه ما لا يطعم في
الوقوف عليه لولاها

(تحذير المسلمين ، من الأحاديث الموضوعة ، على سيد المرسلين)

كتاب جديد انه حديثا الشيخ محمد البشير ظافر الأزهرى جمع فيه فصولا كثيرة
في الحديث على الاعتغال بالحديث وفي وضع الحديث وأسبابه والمؤلفين فيه وفي ذكره

الكتب والرسائل التي تكثر فيها الاحاديث الوضوئية وفي بعضها المتضمنة على ذكر الاحاديث الموضوعية خطيبهم وفي الحرفات الاسرائيلية التي دخلت في كتب المسلمين وأشهر رواياتهم وفي الحكم والامثال التي رفعها الوضعون وهي موضوعة وفي طائفة من الاحاديث الموضوعية مرتبة على حروف المعجم. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة (الراوي) فنشكر المؤلفه عنايته وخدمته ونحت القرائ على مطالعة كتابه وهو يباع بمكتبة المتار وغيره او عن النسخة منه ثلاثة قروش وأجرة البريد نصف قرش

سبط بن التعاويذي

سبط ابن التعاويذي هو أبو الفتح محمد بن عبد الله توفي سنة ٥٨٣ وهو شاعر مشهور قال فيه ابن خلكان «كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع بين جزالة الالفاظ وعدوبتها وورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن قبله بمثقي شاعر من يضاهيه» وله ديوان كبير عني بنسخه وطبعه حديثا الدكتور مرجايوت الانكليزي مدرس العلوم العربية في مدرسة اكسفورد الجامعة في انكلترا. وقال في مقدمته انما اخذه من نسختين في المكتبة البلدية المشهورة احدها مبيعة على ما وصفه المصنف في خطبته والاخرى على ترتيب القوافي الخ مذكروه وهو يدل على ما نزل من امانة في جمع الديوان وترتيبه. وقد وصف الدكتور الديوان بمبارة رقيقة لا تراجمها ولا تلتصاف فيها على ما فيها من السجع والجناس فقال: «وكفي هذا الديوان من مدحة راقدة لا قدر، وأرجوزة شارحة للصدر، ومن أهجية جارية للاعراض وشكاية مصيبة للاعراض، ومزينة بمكية للعيون وقطعة مختلفة للفنون، قان القصائد كأنها مبرايا تظهر فيها أسرار القلوب، وخفايا الغيوب، وتكاد ان تعيد الاموات، وتبسطهم ذوي حياة، وتظهر من غير رسائل، تصبغ من مختلف، حتى يشترك فيها كان يداعلهم من المفة والمقت، عند قدم الوقت، ويشاهد من في السراء والضراء عنه اختلاف الشئون، ويسمع حديثهم ذا الشجون»

فانت ترى هذا السجع الرقيق لا ياباه لنفسه كتب ~~مكتبات~~ المصنفان وجد من الكائمين من يرى مثل قوله «المفة والمقت» عند قدم الوقت «من التكلف في التخييل والسجع فانا نؤمن بأن ابن الفارض يتقن مثله في شعره، ولا ياباه الحريري في شعره، ولعلنا نجد في الازهر من يحسن مثله»

وقد وضع للدويان قهرسين أحدها في إحصاء أسماء الممدوحين والمهجورين وغيرهم
 عن ذكر في هذا الديوان مع بيان نوع الشعر الذي قيل فيهم . وثانيهما في أهم المصاني
 الخاتمة في أبيات الديوان مرتبة على حروف المعجم كالآباء وأخذ الممدوح الجائز دون
 الناصح وإعادة الدعوة الصانعة في مصر والترك والتشيع والعين وعبوب الشعر
 وقلة الخليلي ونحو ذلك من الماني التي تحتاج إلى مراجعتها الباحثون وهذه الفهارس التي
 يلحقها الأفرنج بكتبهم وما يطبعونه من كتبنا مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث
 والمؤلف ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فالتناخذ وحدهم فيها وقد طبع الكتاب بالشكل
 الكامل في مطبعة نعتطف وهو فهارسه نحو ٥٥٠ صفحة وعن النسخة منه غير مجلدة ٣٦٦ قرشا
 صحيفا وعن المجلدة تجيدا عاديا ٤٠ قرشا والمجلدة تجيدا متقنا مرسوما بالذهب ٤٥
 قرشا . فنشكر للمؤلف عنايته وخدمته لفتنا وتبه قومنا للاعتبار بذلك فاتنا صرنا
 نأخذ لفتنا وآدابها عن الأفرنج

﴿ أسرار النجاح ﴾

كتاب يشتمل على مقالات مفيدة جدا في الثروة والكسب مؤلف من مقدمة
 وثلاثة أبواب . اما المقدمة فهي أنفع التصانح والاعتدال على النفس والحفاظة على الوقت
 ومصادر الثروة والثبات على العمل واختياره وأهم الأعمال الصناعية واما الباب الاول
 ففي الزراعة وفيه ثلاثة مباحث واما الثاني ففي الصناعة وفيه أربعة مباحث واما الثالث
 ففي التجارة وفيه سبعة مباحث . واضع الكتاب ابراهيم بك رمزي صاحب جريدة النمدن
 ومن قرأ جريدته يعرف كنه أفكاره المفيدة في أمثال هذه الموضوعات وقد جعل الكتاب
 هدية الى أبناء الوطن ، فهو يوزع عليهم بشيئ من ، وهذا دليل على غيرة المؤلف وأخلاصه
 في حب الخير لبلاده ، ولكن قومنا مغفلوا الأيدي ومقيدوا الأرجل فلا يستطيعون السعي
 ولا يدرون على الكسب بالهمة التي يريدونها أمثاله من النباهة لا بدفك تلك الأغلال وكسر
 تلك القيود . ولا بد لذلك من جهاد في عالم العماثم ينصرف فيه من يدعو الى الأسراع في
 عمارة البلاد ، وترقية المباد ، ولأنك عندنا في أن مثل هذا الكتاب من أنفع الكتب
 التي نشرت فإن الناس إذا علموا وجوه الفوائد ، يقوون على محاربة التقاليد والموائد ،
 (الزهرة) جريدة أسبوعية صدرت في تونس زمانا ثم احتجبت زمانا وقد برزت
 ثانية من كمها فترجو أن يبقى عطرها ، ويم نشرها

باب الحجة الأولى

الحرب بين اليابان والروسية

الروسية دولة تشب شبابا عجبا مساحة أرضها تناهز سدس الأرض ولكن معظمها في أقصى الشمال حيث البحار جامدة من شدة البرد لا يتفتح بها ، وسكانها مئة ألف ألف أوزيريدون عشرة آلاف ألف ونيفا ، ونحو ثمانين ألف ألف منهم خاضعون للكنيسة الشرقية يتقلدون المذهب الأرثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وحيثها في وقت السلم زهاء ١٨٩٦ القأويقال أن في أمكانها بحجيداربعة ملايين ونصف اذا وجدت المال الكافي لذلك ، وقول اذا وجدت المال فاتها لا نجد الضباط والقواد الذين يدبرون نظام هذا الجيش مجتمعوا ولكن هامن المسكر مددا لا ينقد في حرب اي دولة من الدول الكبرى . وقد ارتقت اساطيلها في السنين الاخيرة وكثرت حتى صارت قوتها البحرية في الدرجة الثالثة اي بعد انكلترا وفرنسا ، ويقال ان عدد سفنها الحربية يزيد على مئتي سفينة متفرقة في البحر الاسود وبحر قزوين وبحر البطليك وبحر الصين ولكن السفن الجديدة القوية التي يعتمد عليها في الحرب لا تزيد على خمسين سفينة . ثم ان عسكر هذه الدولة في البر والبحر متمرن على القتال والزال ، مستعمله في كل حال ، ومالية الروس في ارتقاء مستمر ولهم خزينة مخصوصة للحرب ، نعم ان الامة الروسية في ظلمات من الجهل ودولتها في غمرات من الاستبداد ولكن كان من الحكمة ان بدأت باصلاح العسكرية ثم المالية وأما الادارة والمعارف فلا تأتي اصلاحهما في مثل تلك البلاد الواسعة والامة العريقة في الجهل الا بالتدريج البطي . وهذه الدولة رجال لا يارون في السياسة فهم في الدرجة الاولى ولذلك نالت بين الدول مقاما عليا ، وقد قلت منذ سنتين ان روسيا كشاب في سن العشرين وألمانيا كشاب في الثلاثين وانكلترا ككهول في الاربعين وفرنسا قد أشرفت على الخمسين أودخلت فيها .

أصبحت هذه الدولة القاهرة مرهوبة الشذامن دول أوروبا القوية ولقد حالفها دولة فرنسا فكان حديث الأمم ان فرنسا على عظمتها وغناها وقوتها وعلمها هي

التابعة وروسيا هي الشيوعية. أليس من العجيب أن تجرأ على هذه العظيمة والجبروت دولة شرقية حديثة المدينة كدولة اليابان التي لا يكاد يزيد عدد رعيته على ثلث عدد الروسيين الأقيلا؟ أليس من العجيب أن يغضب هذا الطفل الصغير (كما يقول القيصر) ذلك الشاب المتين قوة وشباباً وزهواً وإعجاباً ثم يوانبه فيخفه ولا يخاف منه؟ بلى أن هذا من مواطن العجب، عند من لا يعرف السبب، عندهؤلاء الأفراد الذين لا يعرفون معنى حياة الأمم وعزة الدول وأن كانوا من الكثرة بحيث يطلق عليهم لفظ (أمة). عند الذين لهم هيئات حكومات يطلق عليها لفظ (الدولة) عند الأفراد الذين لم يشعروا بأن في الكون سنة إلهية سماها الناس (تأزاع البقاء) وهي تقضي بنمو الحي قوي، بتغذيته بالضعيف والميت، وأنما لم يشعروا لأنهم لم يدركوا «ومن ذاق عرف» أما الميت منهم فلم يدق لأنه ميت وأما الضعيف فلم يشعر لأن مدته لا تقبل الغذاء فأرادته لا تطليه فهو في معنى الميت إلا أنه اشقى منه بما بقي له من الشعور بالآلم عند تغذي الأحياء به.

أظن أن القارئ فهم المراد لأنه يعرف أن أكثر الذين يعيش معهم لا يحسبون ولا يشعرون بأنهم طعام للامم الحية ومن عساه يحس منهم بذلك فإنه يتألم ولا يكاد يبدى حراً لأنه إذا قوي على الحركة صاح به سائر الضعفاء واستعانوا عليه بالأموات وقالوا جميعاً: هلموا به فإنه يريد أن يغير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من جرائم مانحن فيه (أي من الضعف والموت والزؤام فأنهم في ذلك دون سواء) فهذه إيرمية بكسر القيود، وذلك يذبّه باعتداء الحدود، وفلان يقول إنه أجاز لنا أن نأكل مع الآكلين، وفلان يتادي بل أجاز لنا أن نلبس من لبوس السائدين، لقد أوقعتنا في البلاء المبين، وسلب منا بإباحة الأكل واللباس الدين والدين، فإذا أجاز لهم مع الفداء والكساء أن يكسبوا مع الكاسيين، فقد استحق عندهم أن يكون من المخرجين،

أمثال هؤلاء لهم أن يعجبوا من مواربة دولة توصف بالشرقية مثلهم لأعظم دولة في الغرب والشرق ولكن الذين يعرفون معنى الحياة لا يعجبون فأنهم يعلمون أن هذه الأمة قد ارتقت في معارج الحياة الاجتماعية فالتمست الغذاء والحي الصحيح تغذي دائماً بغيره فصادفت المقاومة فسلمت الحسام ولجأت إلى القوة فخارت دولة الصين التي يبلغ

سكان بلادها زهاء ثلث البشر قهرتها واستولت على طائفة من بلادها تسمى كوريا قريبة من اليابان وهي تستمد منها غلاتها وتنفق فيها تجارها وعليها كان النزاع وتنازلات الصينيين لليابان بعد الحرب عن ميناء (بورت آرثر) وطايلانوان، وهما الثمران اللذان يرن ذكرهما كل يوم في الآذان، ولكن روسيا حسدتها على هذه النعمة وخافت مع غيرها من الدول الأوروبية عاقبة اليابان فاتفقت مع ألمانيا وفرنسا على حرمان الظافر من ثمرة ظفوره وقضت هذه الدول الثلاث على اليابان بالخروج من منشوريا وكانوا انقلبوا فيها وباستقلال كوريا (وذلك بعد الحرب سنة ١٨٩٥ م) وفي أثناء ذلك احتلت الروسية منشوريا بحجة تسوية مسألة اليابان والمحافظة على استقلال الصين الذي عقدت المحالفة الثلاثية لاجله ولكنها لم تخرج منها بعد خروج اليابان ولم تسكنف بذلك حتى اتفقت مع الصينيين على اصلاح مقر بورت آرثر وطايلانوان ثم طفت تمدد السكك الحديدية في منشوريا وتقيم فيها الحصون والقلاع بحجة حماية السكة الحديدية وقد خاطبتها اليابان في الجلاء عن منشوريا «حفظا لاستقلال الصين» فساطت وسوفت ثم وعدت وعدا الى أجل مسمى فاقضى الاجل ولم تقب بالوعد فعلت اليابان ان السمي في اخراجها انما كان لاجل الحلول في محلها والاستئثار بفضيحتها فطفقت تستمد للكيفاج، وتطالب الروسية بالوفاء بوعددها مع شروط اخرى بقاية الاحطاح، ولما ابطأت عليها بالجواب آذنتها بقطع الصلات السياسية، وابتدأتها بالحرب بحرية وبرية،

اما قوة اليابان البرية فقد قالوا انها تستطيع ان تجهز في زمن السلم زهاء ثلاث مئة الف مقاتل، وأما اساطيلها فهي أقل من مجموع الاساطيل الروسية سفنا ولكنها في الغالب اسرع منها سيرا وأبعد رميا وعدد السفن الحربية عندها على اختلاف أنواعها ثلاث وثلاثون يقابلها خمسون عند عدوتها ولكن هذه لا تستطيع ارسالها كلها الى الشرق الأقصى فاليابان هناك أقوى اسطولا والفتح المجري عندهم أقرب تناولا لكثرة في بعض جزائهم وعندهم حياض كثيرة لاصلاح السفن التي يمرض لها في الحرب التلف في آلاتها اوفي ذاتها. وقوة اليابان البحرية سهلت عليها انز الجنودها البرية حيث تشاء من مواني كوريا وامدادها بما تحتاج اليه من المؤن والذخائر، وقد حصرت الاسطول الروسي في مرفأ ميناء بورت آرثر بعد ان دمرت بعض مدرعاته في مهاجماتها تدهيرا

لهذه الاسباب واصهوية ارسال الجنود مع ذخايرها ومؤنها من قلب البلاد الروسية الى منشوريا بعد الناس الدولتين المتحاربتين متكافئين فبعضهم يرجع النصر لهذه وبعضهم يرجحه لتلك ومنهم من يفصل في ترجيحهم فيقول ان الظفر يكون في اول الامر لليابان في البر كما كان لها في البحر ولكن الماقبة تكون لحصنها لان مدد الجنود الروسية لا يند وعندها المدد الكثير الذي يمكنها من مواصلة الحرب مدة سنة كاملة من غير ان تحتاج الى القرض ثم ان الاكتاب من رعيها للمعاونة على هذه الحرب قد بدأ بصفة مذهشة اي انه بدأ بالملايين من الروابل (قيمة الروبل عشرة قروش مصرية) فيما ذابتهى

اما ميل الاسم الى المتحاربين فيختلف فالانكليز والامريكان يميلون الى اليابان ويقال ان الانكليز حرصتها على الحرب ، وفرنسا تميل الى حليفتها روسيا ، واما المانيا فقد اختلفت الرواية عنها والراجح عندي انها تودد الى روسيا ظاهرا وتودضعها باطنا لانها جارتها وحليفة عدوتها (فرنسا) وقد ظهر ميل الانكليز والامريكان لليابان في جرائدهم كظهور ميل فرنسا لروسيا في جرائدها بل ان شركة روتر البرقية الانكليزية تنقل بقل الاخبار التي تنيد خذلان الروسيين وشركة هافاس الفرنسية بالعكس . وقد بالغت الجرائد الانكليزية في الطعن والتفخيم من روسيا حتى خافت حكومتها مغبة ذلك وطلق الملك بتودد الى القيصر ويكثر مقابلة سفيره في لندن والاقبال عليه . واما المسلمون عامة فانهم يودون ضعف روسيا لانها اكبر خطر على دولتهم المستقلة الثلاث - تركيا وايران وافغانستان - ولكن السلطان عبد الحميد انترص اوتباك روسيا واشتاتها بأمر الحرب فبان في التودد الى القيصر وهي سياسة حكيمة بصرف النظر عما يقول كبار الترك من وجود اتفاق سري بينهما فان اظهار الميل عن روسيا الى اليابان يحفظ قلب القيصر ورجال دولته على تركيا فيضربون الانتقام منها في اول فرصة من حيث لا ينفص هذا الميل السلطان والادولة من وجه آخر .

واما التضارى في البلاد العثمانية فهم أشد ميلا الى روسيا لاسيا الروم الارثوذكس منهم والسبب في ذلك النزعة الدينية ولكن نجد افرادا منهم يميلون الى اليابان لانها دولة شرقية قد ارتقت في العلم والنظام والصناعة فهم يفتخرون بها لانهم يمدون الشرق كله وطنهم والرابطة الوطنية على في نفوسهم من الرابطة الدينية بل يرون ان الرابطة

الدينية ضارة في الدنيا وغير نافعة في الآخرة فاتها هي التي حالت دون مساواتهم بمن يعيشون معهم في بلاد واحدة من كل وجه. وهذا الاعتقاد قاش في المتعلمين من النصارى ولكن لم يغلب وجدان الاكثرين، كما غلب أفكارهم - فهم يميلون الى مشاركتهم في الدين - ، وان كانوا غير متقدمين، ولو وجد في المسلمين عدد كثير يميل الى هذه الوطنية ولومع المحافظة على دينهم لكثير عدد النصارى الوطنيين وتضاعف . وليس من موضوع بحثنا ان نطيل في حديث الوطنية وانما ذكرنا هذه المسائل لانها من العبر التي يصح ان نستفيد منها من تأثير الحرب فذلك انفع لنا من معرفة عدد الذين يخفرون سكة حديد منشوريا ومعرفة طول نهر (يالو) وعرضه

وأهم مباحث هذه الحرب مبحث عاقبتها وتهديتها الى الدول الاخرى ويظن ان اوربا كلها يستثناها ان يكون في الشرق دولة قوية عالة صناعية ويسرها ان يتزق شمل الجنس الاصفر كما تترق شمل المسلمين اذ لم يكن لها منازع في السيادة على الشرق غير المسلمين وما أمنت جانبهم باستيلائها على أكثرهم وتعصبها على باقيهم الا انهم لها في الشرق ناجم آخر ينازعها في هذه السلطة . لذلك يظن ان اليابانيين انتصارهم - انهم انتصروا - اكثر مما جنوا من انتصارهم على الصين وان اوربا لا يمكنهم من توسيع نطاق ملكهم في الشرق ولا من تمدين الصين وتعليمها الا ان تشاء ان تكثر او امرى بكمقاومة روسيا بهما . وقد بحث السياسيون منهم في عاقبة ارتقاء اليابان واتذروا اوربا الخطر من الجنس الاصفر اذا اجتمع شمله واتحدت كفته . واطن ان فرنسا لا تتورط في الحرب لاجل روسيا اذا هي انكسرت واذا هي تورطت فانها تورط انكسرتا وهنالك الخطر العظيم على اوربا كلها وعلى آسيا وعقلاء الدول الاوربية يتقون هذا الخطر أشد التقوى ولذلك اتفقوا على حل (المسألة الشرقية) بالمطالبة بالانكسار والاقرب الى المقول ان يحل منشوريا وكوريا مما والاولى فقط جيش مؤلف من دول اوربا الكبرى لتبقى السيادة للابيض على الاصفر ولتؤمن اغارة روسيا على هذه البلاد مرة أخرى والا فان الحرب تستمر سنين طويلة واما اذا انتصرت الروسية عاجلا أو آجلا فهل تترك لها اوربا وامر بكمملكتي منشوريا وكوريا غنيمة باردة وترضيان بأن تكون لها السيادة العليا في الشرق الاقصى والكلمة الزائفة في الصين؟ كلا ان هذا بعيد من المقول وان الخطر في انتصار روسيا أشد

من الخطر في انكسارها وأنه ينتظر حيث أن تهب الصين الى مساعدة اليابان فاذا ظهرت روسيا على الجنس الاصفر كله فلا دول طريقان أحدهما سلمية وهي الاتفاق على إلزام روسيا بحمل منشوريا وكوريا تحت حماية الدول الكبرى واحتلالها بها بحش محتاط وإلزام اليابان بالفرامة التي تثقل كاهلها واخذها بالقوبات التي لا ينقض لها معها رأس، ولا يرتفع لها فيها صوت، والثانية حرية تسلك اذا تمذر الاتفاق بين الدول ذات الشأن وهي انكلترا والولايات المتحدة ثم ألمانيا وفرنسا وأبت عاين روسيا الدخول في الامر ولا بد ان تغد فرنسا عضدا حيث لا مندوحة لانكلترا والولايات المتحدة عن امداد اليابان بالسواكر البرية والاساطيل البحرية ان بقي اسطول روسيا في الشرق حيا الى أن يتمكن من تعزيزه بأسطول بحر البلطيك وماذا يفعل الدب الروسي حيث ؟

اذا كانت الحلفاء بين روسيا وفرنسا تفضي على هذه باسعادها في الحرب اذا أسعدت خصمها دولة أخرى فهناك الطامة الكبرى وتكون الكلمة العليا في أوروبا لمن تنصره ألمانيا فان أسطول فرنسا في البحر المتوسط لا يقف أمام اسطول انكلترا فيه لان هذا أقوى اساطيل انكلترا وهي تستطيع ان تعززه حالا بأسطول بحر المانش واسطول البحر الشمالي ، والا قرب الى أن تصور ان تنصر ألمانيا يومئذ لانكلترا على عدوتها الظاهرة وهي فرنسا وعدوتها الخفية وهي روسيا وتجعل السيادة في العالم بين الجرمانيين والمكسونيين فانهم اقرب نسباً ومذهباً - يقول هذا على تقدير وقوع ما تحذر منه أوروبا وتوقاه ، على أنها توقعه وتحشاه ، والارحى ان الدول تقدر على إلزام الغالب والمغلوب بما تحكم به وأنها تكتفي باضفاف الدولتين المتنازعتين في السيادة على الشرق الاقصى وتجعله مرتعا مباحا لجميع الاوربيين والامريكيين ، ويكون النجاح للسابقين ، ويظن بعض الناس هنا ان الحرب العامة تقيد الدول المهضومة كالدولة الصينية وايران وبعض الدول الصغيرة في أوروبا ولكن المتفكرين يرجحون ان يستمدون بأن الحرب العامة لا تنتهي الا بانتهاء المسألة الشرقية وابتلاع الدول القوية للضعيفة في تلك الفرصة وقانا الله شرها وألم الاقوياء ما فيه أمن الضعفاء .

هنا ما سنح لنا من الاخبار والآراء في هذا المقال لم نقصد به التفكيك والتسليية ولا تدوين تاريخ الحرب ولا التحزب السياسي بالاتصار لدولة دون أخرى وانما نقصد

التبعية والابقاظ للاعتبار بأحوال الأمم الحية وأعمالها ، وأمانها ، وأملها ، لكل
 القارئ تدبر فحسن نفسه الى المزة والقوة ، ونحى ان تكون امته حية قوية ، ثم
 يقوده التفتي الى التفكير في وسائله ليصير رجاءً وأملاً ، يستلزم سعيًا وقضي عملًا ، وليت
 شعري امن التفتي ام من الرجاء ما يذكره الا كثرون من استفادة الدولة العثمانية والدولة
 الفارسية من هذه الحرب التي يرون انها تشغل روسيا عنهما عشرين سنة ، مثل عظيم من رجال
 احدى الدولتين المستفيد ولنا الاسلام — تركيا وايران — من هذا الحرب ، فاجاب الرجل
 العظيم هل استفاد من حديثنا هذا التأم (واشار الى رجل تأم في المجلس) واتفق ان
 استيقظ التأم عند الجواب فقال السائل : ها قد استيقظ التأم . قال : نعم ولكن التوم
 لا يزال مله عينه .

كم من فرصة سنحت لنا وخفت ، ثم تولت وخفت ، ونحن في طريقنا سائرونه
 ولما اناراضون ، كتبنا (في ٣٠ جادى الثانية سنة ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩)
 مقالة عنواتها (الفرصتان) جاء فيها ما نصه كفى (ص ٥٣٢) من مجلد النار الثاني :

« واما فرصة الدولة الحالية فهي اشتغال روسيا فانكثرت اوسائد دول أوروبا الكبرى بالمسألة
 الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي
 هو اسحبها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق أوروبا
 على قسمتها . يدل على شغل روسيا عنها بالطبع في الصين الفصحاء البعيدة الارضاء ان
 هذه الدولة قد عجزت على تعزيز الخط الحديدى العظيم الذي انشأته في سيبيريا (وطوله
 ٤٦٩٥ ميل) بخط آخر ينتظم الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقى
 للصين تمتد الى ميناء بورت آرثر وينوشونغ ويقرب ان تمده من هذه الى بكين عاصمة الصين ،
 ويقدر المسال الا لازم لهذا النشاط بعشرين مليون جنيه كاقدر المسال الا لازم لطريق سيبيريا
 الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مده عليه خط واحد . وانها قد قررت ان اق ٩ ملايين
 جنيه لتميز اسطولها بالبورج من الطراز الجديد ، ثمانية وثلاثون مليوناً من الخبثات من
 دولة لا تمدس الدول الغنية ليس الا تلك الغنية الكبرى التي تتوقف في الصين ويؤكد ذلك
 قوتها الاسطول مع أمنها على ثغورها في أوروبا من الدول البحرية وعلمها بان اليابان لا تقدم
 على خطر تهافت خاف منها على فلاذيقو ستك وميناء بورت آرثر ولا يحتسى على هاتين الحاضرتين

من غير اليابان . هذا ولايدلانكلتراوفرنسا والمانيا من مزاحة روسيا ولايدان
يمنداشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة

« فيجب على الدولة العلية ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها تقدمضى عليها
نحو نصف قرن وهي مشغولة السياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية
تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد ينارأيتاني الاصلاح الواجب من قبل
في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤبدوا همها تسميع التسليم العسكري وتقوية الاسطول
ومساعدة الرعية على تعميم المعارف واتقاء الصالح والحكام من الألف كفاها والدولة العلية
وسلطاتها الاعظم أعلم بما ينبغي ويجب من ذلك » اهـ

هذاما قلناه منسئين والدولة لم تعمل شيئا منه يذكر ولكن اليابان استعدت في هذه
اللدة وايتعات روسيا بالحرب وقد نفلت الجرائد الاوربية من أقوال قصر روسيا وكبار
قواده مايدل على اعترافهم ببسالة هذه الدولة واستعدادها وانهم لايشددون على الانتقام
منها الا بعد زمن طويل يتم فيه استعدادهم . ونفلت من أقوال اليابانيين وأناسيدهم
مايدل على احتقارهم الروسين ورميهم اياهم بالجبل والظلم واعتقادهم بأنهم هم الطالبون
بأهل والنظام ودلائل النصر بادية لهم فاعتبروا يا أولي الابصار

وبقي علينا ان نشير الى مايجب على دولة ايران فان الخطر عليها من روسيا أشد
منه على غيرها وربما يكون أول شيء توجه اليه روسيا بعد ذهاب منشوريا من يدها
اذا هي غلبت عليها أن تأخذ بلاد فارس عوضا عنها فتترخذ لانها وتسكي انكلترا فواجب
على دلة ايران ان تعني قبل كل شيء باتخاذ الوسائل لتسليح أهالي بلادها وتزويجهم
على رمي الرصاص ليكنوا كلهم مدافعين اذا دخل العدو بلادهم كما هو حكم الشريعة
الاسلامية وان تمتني أشد الاعناء بالتعليم العسكري واستعجال السلاح والذخائر
الجديدة بقدر الطاقة وأظن ان انكلترا تساعدنا في هذا الوقت اذا أرادت ولها ان
تطلب منسباطا من أختها تركيا فقد مضى زمن التقاطع والتدابير

واما أفغانستان فهي غنية عن التنبيه والانتذار فان عنايتها بالتعليم العسكري واستعمال
السلاح لازمة عليها فاذا التزم روسيا من امام اليابان ، فانها لا تقوى على مهاجمة افغان ،
لماعليه هو لا من شدة الباس ، وصعوبة المراس ، ووعورة البلاد ، وحسن الاستعداد .

دعوى الخلافة

(تدريب مقلد نشر في جريدة (ترك) الفراء)

ان دعوى الخلافة هي من أهم الاسباب الداعية لتشتت شمل المسلمين والمنازع الوحيد لواقعهم ووثاقهم وماهي بالشي الجديد وانما بدأت منذ زمان سيدنا علي ومعاوية وتمت بمعدن وتشتت الى شعب كثيرة . واشرايت نحوها غناق الامم الاسلامية بأسرها حتى ان كل أمة من هذه الامم لا يروقها وجود الخلافة عند غيرها ولا تراها صالحة الا لها . فكم من دماء على هذه المسئلة قد اريقت ، وكم أرواح زهقت ، وأطفال يمت ، ونساء رملت ، وكم أضرت هذه الدعوى بالاسلام من الاضرار البليغة المادية والادبية

وأكثر الكل تجحاً بدعوى الخلافة هم العرب اذ يتخذون انتماسهم الى النبي ص و نزول القرآن باللغة العربية ومدينة العرب بعد الاسلام حجة على تأييد مدعاهم . ولا يروقه كون الخلافة بيد الترك الذين تشرفوا بالدين الخفيف من ذبحة قرون ولا يرونها لائقة بهم . ومع ذلك فان الوقاق والوثام لا أثر لهما بين العرب . فترى مثلاً ان أهل الحجاز يريدون ان يكون شريف مكة هو الخليفة وان الخلافة حق لا ينازع فيها منازع . كما ان كل شيخ مشايخ عربان اليمن يريد الخلافة لنفسه . اما السوريون فان أفكارهم تناقض هذه الافكار كل المناقضة . ولوعظمتا النظر الى المسلمين القاطنين في أفريقيا انما الرأكسين يدعون ان سلطانهم من نسل النبي وآله أحق بالخلافة من غيره . أما سكان وادي النيل فانهم يريدون ان تكون القاهرة مركزاً للخلافة كما كانت في المصور القاهرة فتراهم لا يأتون جهداً في تعميم هذا الفكر بين افراد المصريين . واما الايرانيون فانهم لا يعتقدون بصحة خلافة الذين تولوا الخلافة بعد أولاد الرسول ولا يقبلون غيرهم أحداً فعلى ظني ان هذه الدعوى جميعها مبنية على اسس واهية وهذه الافكار أوها مباطلة وهذه الاقوال غير صحيحة ،

فاول شرط من شروط الخلافة هو ان تكون الامة التي تبغي حمل تبعه هذا المنصب على عاتقها هي أكثر الامم الاسلامية جاهلاً وأبعدهم في الحضارة شأواً وأقدرهم على درء العدو عن حوزة الخلافة المقدسة وهو ما يقضي به العقل والشرع . فاذناظرنا اليهم نظرة الناقد البصير فهل نرى غير العثمانيين منهم أمة نحو هذه الاوصاف جميعها ؟ كلا: فالخلافة لا تهاضي بباباوية الكاثوليك . ولم تكن وظيفة الخليفة محصورة في رفع الاكفب والمداء

لحفظ الخلافة الاسلامية وصيانتها . بل ان من الواجب على الخليفة ان يريق الدماء ويذبل الاموال للذود عن حقوقها .

فللمرأكتيون الذين لايزالون على ما كانوا عليه من الهمجية منذ القرون الوسطى ولاهجة الرع ورماة السهام من قبائل افريقيا ولاشريف مكة الذي لايجبه سوى سلب الحجاج أموالهم ، ولاأنحاب الارهام الباطلة من المصريين بقادربين على القيام بحقوق هذا المنصب . ولايمكن ان يقوم باعبائه غير الثمانين الذين تؤهلهم له حضارتهم وموقعهم الجغرافي وبسالة جنودهم وانتظامها . وما أتوه من الخدم الجزيلة وما أراقوه من الدماء في سبيل هذه الغاية في المصور الحالية هو اقوى دليل على ماقدمننا . ولكن هل استفادوا مقابل ذلك شيئا من الفائدة المادية؟ كلامهم كلا . فلو لم يحملوا تبعه هذا المنصب على عاقمهم لاستراحوا من هذا العناء . ولا مضوا حياتهم السياسية بكل راحة وهناء . ولما تسلطت انتصارى حتى الاميركيون منهم على الانرك ولما ترقبوا الفرص لايقاع الاذى بهم وكل ذلك لم يكن الا لكون الانرك هم عضد الاسلام الاقوى وجميع السهام المصوبة نحو الاسلام لا تقع الا على رؤوس الانرك . اما ما يقال من ان الترك لم يقوموا بأعباء هذا المنصب حق القيام فهو صحيح . ولكن لايرى من يقدر على القيام باعبائهم أكثر منهم على شرط ان يؤيدأقواله بالافعال . وحينئذ يرى الثمانين مستعدين لتسليم هذه الامانة المقدسة والاتزواء في زاوية الراحة . اما اذا قال قائل ان الحكومة الثمانية لاترك للسوريين واليانيين والبقاديين مجالا فقول . من ذا الذي ياترى غل أيدي المراكشيين والتونسيين والمصريين عن العمل؟ ولكن هيئات « طيب يداوي والطبيب عليل » اه

(المناقشة) قول الكاتب الاديب ان دعوى الخلافة كانت بلا على المسلمين وأنها أضرت بهم كثيرا صحيح وكان يجب عليه ان يبحث في تلافي هذا الضرر لأن ما يبيحه بمعظم قومه وتحفيري سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم . وكان يجب عليه ان يتل لهم قوة الدولة الثمانية عزهم وشرافها لاعاراعليهم وهضمها . ان الكاتب أخطأ في سيره وعقله وان اتينا نيل له خطأ ووجه الصواب الذي كان ينبغي له ان يعرفه وان يعرف الناس به وهو انه لا يوجد في سوريا ولا في مصر من يفكر في جعل خليفة المسلمين سوريا أو مصريا أو بشاديا . واما الكلام في امالة نقد وجد في مصر وحدها من افراد من أهل البطالة الذين يكسبون المال والطب

من الاستانة ومصر بكتابة التقارير ، للايهام والتقدير ، وقد كتبوا أوراقا ونظاما أشعارا
 يوهمون بها السلطان بأن خذ بمصر بسى للخلافة سعيها وان الامة المصرية تابعة له .
 ويريدون بهذا التقرب الى السلطان تارة والى الخدييه أخرى على أنهم يخوفون السلطان
 منه ليقضي له حاجاه عنده حال هؤلاء معلوم وهم يوقنون بأن الامة المصرية لانفكير
 في هذا المعنى والارجوه فضلا عن كونها تسمى اليه

هذا ما نعلمه علم اختبار في الفطرين ونسرف برواية الصادقين ان أهل مكة والمدينة
 لا يريدون ان يكون أميرها خليفة للمسلمين ، وكذلك البلاد العربية كلها تود ان تكون
 دائما تحت رعاية الدولة العثمانية وسيادتها بشرط ان تقيم فيها العدل واما الذين يخرجون
 في اليمن فهم معدودون يستفهم ظلم أحكام الترك فيبحون ، ولو حكموا بالعدل لسا كانوا
 يذرون ، فهذا ما نقوله بناء على اختبار من تلق بهم كصديقنا محمد ناسا عبد الوهاب
 أمير دارين وصديقنا المرحوم الكواكي الذي ساع في الجزيرة واختبرها حق الاختبار
 ولكن العرب لا يصبرون على الضم فاذا ساءت معاملتهم ساءت اعمالهم . واما أهل
 صراكش فلا علاقة لهم بالسلطة التركية . ودعوى ساطانهم الخلافة كدعوى سلطاننا
 لم تحمل احدهما صاحبها على تنازعة الآخر وأما كونها مائة من اتحادها فاللوم فيه
 أعلم السلاطين وأحكامهما اذ يرضى ان يكون اللقب سبب التفريق بين رؤساء المسلمين
 بلا فائدة . واما الابرانيون فمنهم من أوضع الاعذار لان المسألة عندهم دينية محضة فلا
 يمكن مطالبتهم بترك اعتقادهم الاباحية الدينية ومقالة جريدة (ترك) سياسية لادينية

فلمن هذا ان تصوير الكاتب الفاضل مسألة الخلافة غير صحيح من جهة الواقع
 أي انه ليس في المسلمين من ينازع الترك بالفعل لاجل لقب الخلافة وهذا هو روح المسألة
 واما قوله ان العرب يحتاجون على كونهم أحق بالخلافة بكتبنا فغير صحيح ايضا وإنما
 يحتاجون بالاحاديث الصحيحة المتفق عليها الناطقة بأن الخلافة في قرينش وهي حجة
 يخالفهم فيها أحدهم علماء الترك فهذه كتبهم في العقائد والفقه والحديث متفقة مع كتب
 علماء العرب على اشتراط القرشية في الخلافة . ولا يقدر ان يقول ان حديث الرسول
 من « الا وهام الباطلة والاسس الوامية » وإنما الباطل ما ذكره هو في شروط
 الخلافة من الجاه والحضارة والموقع الجغرافي !! نعم ان القوة هي المدار الحقيقي ولكن
 يجب على المسلمين ان يحصوا قوتهم مؤيدة للحق الذي جاءت به شريعتهم وحجة له

لا خاتمة له ووجهة عليه ولو كانت الحضارة شرطاً لبحث خلافة الراشدين وأما قوله هاتان من يقدر على القيام بحقوق الخلافة من غير الترك لنسألهن في جوابه ان الخلافة ليست حقاً شائعاً منتشراً بين افراد الشعب التركي الممتاز على جميع الشعوب بحضارة فيقال ذلك وانما هي منصب تقدره الأمة لرجل واحد وهذا الواحد يجب ان تقيده الأمة بشروطها فاذا كان ما يقوله الكاتب صحيحاً فيختار الترك أوليها ورجلاً قرشياً من آل البيت على صفات الخلافة ويجعلوه بقوتهم التي وصفها خليفة المسلمين ولا يتوقف هذا على ما يعجز الكاتب به الشعوب الإسلامية من مطالبتها بالاستعداد لازالة قوة الترك وإيجاد خلافة بقوة أخرى !!!

وخلاصة القول ان البحث في الخلافة والخليفة من اللغو الذي يفرض ضرره ولا يرجى نفعه . وان الذي يجب على كل مسلم في هذا العصر هو ان يؤلف بين المسلمين في حكوماتهم وأفرادهم وان لا يحمل هذا القرب سبباً للتفريق ولا اختلاف اللغات سبباً للاختلاف . وأما لا يضر الترك شيء مثل جعلهم التركية جامعة لهم فيفخرون بها على سائر المسلمين وتعتمدهم إضماراً الشعوب الإسلامية ليتنازوا بالقوة وحدهم قائم اذا أمسوا وحدهم فلا بد ان يتعلمهم أوروبا وقد رأوا العبرة بالممالك التي انفصلت منهم والممالك التي تهدد بالانفصال . والكاتب المفاضل يعلم ان القوة التي اقتصر بها ليست مؤلفة من الترك وحدهم بل منهم ومن العرب والاكراذ والارناؤط وغيرهم . فعليه ان يبحث قومه على مساواة جميع الشعوب التي تتألف منها الدولة بانفسهم في بلاد الدولة وان يتقربوا من سائر الشعوب الإسلامية بخدمة الاسلام نفسه أي باحياء لغة كتاب المنزل من عند الله تعالى على رسوله العربي وباقامة شرعته العادلة وبأمان حرم الله وحرم رسوله فان طار سلب الشريف أموال الحاج انما هو على لدولة التي تحكم الحاجز لا على الشريف الذي هو أحد عمالها الذين يوليهم سلطانها « خدام الحريم من الشريفين » فاذا فعلت الدولة ذلك ووجهت قوتها الى جميع الشعوب وتأليف القلوب ، رجي لها الفوز بالرغوب . والا كانت هي المقطعة لواصل الاسلام بحافظة على سيادة العصر التركي وأما ما تبجح به من أعمال الترك وجهادهم في سبيل الخلافة المقدسة فهو أغرب ما في المقالة فان الترك أيام حروبهم وقتوحاتهم لم يذكروا نطق الخلافة ولا يتجهجون به كالقوم ولم تكن حروبهم دينية اذ لم يكن تقدمها دعوة الى الاسلام

ولم تكن حماية الدعوة وحرية الدين وإنما كانت لسعة الملك ولذلك لم ينتشر الإسلام في الممالك التي اقتنحوها بسعيهم وأقامتهم للدين ، ولا ارتقت فيها الحضارة بحمد نيتهم ، ولا اتسعت دائرة المعارف بعلمهم ، ولا قدروا على تحويلها إلى لغتهم وجنسهم بحسن سياستهم ، بل أحفظوها عليهم ، حتى أمكنها الفرصة فتملصت من أيديهم ، وهذا حق بسوء ناذكره ، ولا يسمن إنكاره ، فعلينا وعلى أخينا الكاتب الفاضل أن يرغب عن الفخر بالباطل ، إلى تأليف القلوب بالحق ، وما هو الأشد حاجة بعضنا إلى بعض وتناهي انشغاب مختلفه فحسبنا أن الإسلام جمع بيننا وجعلنا بفضله إخوانا وأن الخلافة الحقيقية لم تكن إلا لراشدين ثم صارت ملكا عضوا

ألم يكن أفضل مما كتبه في رمي العرب عامة والمصريين والسوريين منهم خاصة بغض الترك وتحتي نزع لقب الخلافة منهم أن يذكر الجميع بأن أوبا واقفة للمسلمين عامة بالرصد وأن أعون شيء لها عليهم اختلافهم وتفرقهم وأنه لا مصالحة لأحد منهم في هذا التفرق وأن الدولة العلية هي أقوى دولهم فإذا أوقع الأعداء بها وهي قائمة ، فكيف يرجي أن تهض بهم أمة نائمة ؟ ألم يكن الأفضل لمن يعتقد أن التنازع على لقب الخلافة هو المانع من اتحاد المسلمين أن يدعو قومه إلى السكوت عن هذا اللقب ويدعو سائر الحكومات الإسلامية إلى الاتحاد على حفظ البلاد الإسلامية مع بقاء كل أمير في إمارته وكل سلطان في سلطته كما يخالف ويخمد ملوك النصارى ؟

ليخبرني الكاتب الفاضل أي ضرر يلحق الدولة أو الإسلام والمسلمين إذا سكنا عن الفخر بهذا اللقب الذي اعترف هو بأن ادعاءه قد فرق كلمه المسلمين ؟ إن قال قوت فائدة في تكبير أوبا شأن الدولة العلية : أقول وهل كان هذا التكبير الا ضارا إذ هو الذي أقام قيامة أوبا على الترك كما قال ، وهو الذي يحمل دول أوبا على التضييق على مسلمي مستعمراتهم توها اتهم يتدلون إلى الدولة على أنهم لا يتركون الضغط على الدولة لأرضائهم ، وإن قال أنه يفوتها بذلك ما يجنيه من مسلمي تلك المستعمرات من الفوائد : أقول لانسلم أن نحو مساعدة مسلمي الهند لسكة الحديد الحجازية هو لاجل لقب الخلافة ولئن سلمنا ثقلنا أن هذه الفوائد لاتوازي بعض مضرة ناهضة أوبا ونفور العرب من الدولة أن صح قوله الأول أنهم تافرون .

❦ - دعاء شعبان - انتقاد النار - ❦

تكرر من الوعد بأن تقبل الانتقاد علينا ونذكر رأينا فيه فاما تسليما واما تنديدا. وقد كذا ذكرنا في الجزء السابع عشر من هذه السنة كلاما في بدع ليلته نصف من شعبان ذكرنا ان من ذلك الدعاء المشهور الذي لم ينزل الله به من سلطان. ثم تنبها الى ما كنا نراه في كتاب كثر الصالح من ان لبعض ألفاظ الدعاء أصلا مرويا في الجملة كما سنذكره وكتب الينا عقيب ذلك الشيخ ابراهيم السنودي المنصوري كتابا يقول فيه: « اخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا رسع الله عليه في مدينته: يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والاكرام، يا ذا الطول لا إله الا انت، ظهر الاالجين، وجار المستعجزين، ومأمن الخائفين، ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا، ففتح عني اسم الشقاوة. واثبتني عندك سعيدا، وان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروما، ففتح علي رزقي ففتح حرمني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيدا موفقا للخير فانك تقول في كتبك الذي انزلت « يحول الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » : واخرج بعضه عبد بن حميد وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه. وكذا ابن جرير عن شقيق بن وائل ومعلوم ان ليس في ذلك للرأي مجال فيكون في حكم المرفوع: اهـ (الانار) : مصنف ابن أبي شيبة ومسنده عبد بن حميد متداولها الايدي ولا نفر في عصرنا من يرويهما متافيا نسخهما بحيث يصح ان يعتمد على هذه النسخ والرجلان من متقدمي الحديث وكل ما رويوه فهو في كتب الحديث المتداولة بحججه في الصحاح وحسنه في الحسن وضعفه في الضعاف. وهذا كتاب الجامع الكبير للسيوطي يقول انه احصى فيه جميع هذه الكتب المعروفة ولم نجد في كثر الصالح (الذي هو الجامع الكبير وزيادة الا انه مختلف الترتيب) هذا الحديث عن هذين الحديثين. وانما اخرج عن الحاكم بسند ضعيف « عن الحسن بن أبي الحسن اظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة كان يأمر ان لا تعاموها السفهاء ف يدعو بها (كذا) فكان يقول يا ذا الجلال والاكرام » وساق نحو ما تقدم مع تغيير في العبارة ولم يذكر « فانك تقول في كتابك » الخ وعن الاكلائي عن أبي عثمان الهندي انه سمع عمر يقول في طوافه « اللهم ان كنت كتبتني عندك في السعادة فثبتني فيها وان كنت كتبتني في الشقاوة فاهني منها واثبتني في السعادة فانك تحمو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » ولو صح هذا ما قبله. وما

هما بصحيحين لم يكن فيما حجة على هذا الشعار الديني المتبدع في ائمة النصف والدعاء المنفق الذي يطلب فيه نحو ما في أم الكتاب ، على ان الرواية الاولى لم يجوز فيما يقول ابن سمود ، والثانية بعد عن المقصود . ورجو من الاستاذ الممنودى ان يكتب لنا سند ما رواه والا فلا ممول عليه انى كان .

﴿ خاتمة السنة السادسة ﴾

نحمد الله تعالى ونشكره ان آم لنا ست سنين ، في خدمة الامة والدين ، وان جعل هذا المنار حيا ناميا يزيد الاقبال عليه والثقة به سنة بعد سنة ويتجدد له في كل عام مئون من المشتركين . ثم بعد شكر الله تعالى نشكر أهل الفضل والغيرة الذي ازرونا في عملنا بالترغيب في المنار وبأداء حقه في وقته وكان أعظمهم منة عاينا في هاتين السنتين وكيل المنار الهمام في تونس الذي تجدد لنا بسعيه وحمته عدد عظيم من المشتركين ووعد - وهو خير من وفى - بأنه لا يأتي شهر صفر ولنا عند أحد في تلك البلاد قرش واحد من الاشتراك . ثم ذلك السري الشيعي الذي طلب منا خمسين نسخة ترسل باسمه وهو يدفع قيمتها . وكذلك بعض كبراء المصريين الذي كان مشتركا بعدة نسخ فزادها في السنة الماضية عشرا ومثله كبير في بلاد العرب زاد في اشتراكه عشر نسخ فحيا الله هؤلاء الكرام ، وادامهم انصارا لاملهم والاسلام ، ثم نشكر لسائر المشتركين الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وقادهم في زمن قل فيه الوفاء وعظا فيه الشح في طريق الحق والخير من حيث عظم السرف والتذير في سبيل الزلف والشهوات . ونذعول الماطلين السوفين بأداء قيمة الاشتراك بمذر أو بشر غير بأن يؤتقهم الله تعالى لما فيه خير أنفسهم وصلاحها من الوفاء والاهتمام بالأحصال النامة واتعاون على البر والتقوى . ونحمد هذا المجلد بالصلاة والسلام على خاتم النبيين . والحمد لله رب العالمين ،

﴿ شرط الاشتراك في المنار ﴾

كل من يقبل الجزء الاول من السنة السابعة (١٣٢٢) ، يدفعه مشتركاً الى ائمة السنة ويوجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان ردت المجلة بعد ذلك فمن لم يرخص بهذا الشرط فعليه ان يخرجه الاول . وعلى من لا يصل اليه بعض الاجزاء ان يشابه في مدة ٢٠ يوما . ومن لم يرد منه ما يرد يرسل اليه فان طلبه بعد ذلك فعليه ان يرسل ثمة ترشين ونصف قرش والادارة غير مكلفة باعطاء بدل المفقود ولو باليمن ، والحكم في صراحة ما تقدم الذمة والامانة .